

ديوان ابن زيدون

رَسَائِلُهُ أَحْبَابُهُ شِعْرُ الْمَلِكَيْنِ

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر المحسنون عن إحسانه
أخذ الروم في الحزيرة عنه ومثوا في خياله وافتنانه .
« شوقى »

شَرِّحَ وَضَبَّطَ وَتَصَنَّفَ

كامل كيلانى و عبد الرحمن خليفه

الطبعة الأولى

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - رقم ٤٧٤

كل الحقوق محفوظة

طبع بطبعة

مصطفى البابی الحلبي وأولاده بمصر

وشرطه محمد امين عمران



مقدمة ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
١٧	ابن جهور - بنو عباد	٨	تصدير
٢٧	المناهج الأدبية	١٠	مقدمة الديوان
٣٠	نشأة ابن زيدون	١٠	تحريف للديوان
٣٣	بختري المغرب	١٠	أمثلة من التحريف
٣٧	شاعرية ابن زيدون	١٢	أثر التحريف
٤٢	لماذا سجن ابن زيدون	١٣	لماذا بدأت بهذا الديوان
٤٤	حساد ابن زيدون	١٥	تنفيذ المعركة
٥٠	حب ولادة	١٦	رسائل ابن زيدون وأخباره
٥٥	أدب ابن زيدون	١٧	إلمامة
		١٧	ملوك الطوائف

فهرس ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
٣٨	جواب كتاب	١	في السجن
٣٩	في العزل	٤	ذكرى أيام الوصال
٤٠	في مدح ابن جهور	٩	في مدح ابن جهور
٤٩	بعد خمائة يوم في السجن	١٢	ذكرى ولادة
٥٤	من قصيدة صنعها ببطليوس	١٣	بعد المرار من السجن
٥٧	في العزل	١٩	في مدينة بطليوس
٥٨	بين صديقين	٢٢	يوم بوصل ساعة
٥٩	دعوة	٢٣	في عيد الأضحى
٦٠	قال في الوزير الشيخ أبي الحزم	٣٤	في طرطوشة
٦٠	وصال	٣٥	إلى الوزير أبي عبد الله

صفحة	صهجة	رقال معاندا من قصيدة
١١٩	حيب	٦١
١٢٠	في مدح ابن جهور	٦١
١٢٢	الى المطفر	٦٢
١٣٠	في نكسة بنى ذكوان	٦٦
١٣٦	تهنئة بقران	٦٨
١٣٩	تهد	٦٩
١٤٠	مدح ورتاء	٧٤
١٤٨	الى ابن ذكوان	٧٥
١٤٩	الى المعتمد	٧٦
١٥٠	مدح ورتاء وتهنئة	٧٧
١٥٢	هدية عنب	٧٨
١٥٣	رتاء ابن ذكوان	٧٩
١٥٨	في مدح المعتضد	٨٢
١٦٥	هدية تفاح	٨٩
١٦٧	شكر على زيارة	٩١
١٦٨	تهنئة	٩٢
١٦٩	استدعاء قصيد	٩٨
١٧٠	الى أبي القاسم	٩٨
١٧٤	مدح ابن جهور ورتاء أمه	٩٩
١٧٧	في مدح ابن جهور	١٠٥
١٨٤	رتاء أم المعتضد	١٠٦
١٨٨	دل للعاة	١٠٧
١٩٢	د كرى قرطبة	١٠٨
١٩٥	سلوى المنظر	١٠٩
١٩٧	في مدح المعتضد	١١١
٢١٦	في « »	١١١
٢٢٣	دولة عباد	١١٢
		١١٨



صفحة

٢٦٥	قسم	٢٢٣	الى حبيب
٢٦٥	خداع الأمانى	٢٢٤	فى مدح أبى المظفر
٢٦٦	فى العزل	٢٢٩	ذكري قرطبة وأيام الصبا
٢٦٦	الى هاجر	٢٣٦	الى ابن عبدوس
٢٦٦	دعاء محب	٢٤١	مدح ابن جهور وشكر باديس
٢٦٧	أنت حسبي	٢٤٣	اسم من أحب
٢٦٧	ما الذى أنكره ؟	٢٤٤	الى أبى العطف
٢٦٧	شوق بعد سلوان	٢٤٧	بين ابن زيدون والمعتمد
٢٦٨	أسر الهوى	٢٤٨	الى المعتمد
٢٦٨	مؤذنة	٢٤٨	جواب للمعتمد
٢٦٨	وصف الكأس	٢٤٩	جواب آخر للمعتمد
٢٦٩	غاية المحبين	٢٤٩	وقال للمعتمد يستهديه خرا
٢٦٩	صفح الذنب	٢٥٠	وقال مجاوبا المعتمد
٢٦٩	لا بأس	٢٥٣	وقال
٢٦٩	عتب	٢٥٣	وهل
٢٧٠	تجننى الحبيب	٢٥٤	مهنته
٢٧٠	لا بأس فى الحب	٢٥٧	ذكري ولادة
٢٧٠	بقية المسواك	٢٥٨	الى ولادة
٢٧١	غرور المي	٢٥٩	الى أبى حفص بن برد
٢٧١	صلنى	٢٥٩	ليل أنس
٢٧١	شكوى ضائعة	٢٦٠	دواء
٢٧١	وفاء المحب	٢٦١	حسبي رضاك
٢٧٢	عذر الحبيب	٢٦٢	عودى الى الوصال
٢٧٢	حذر العاشق	٢٦٣	أبو القاسم
٢٧٢	قناعة المحب	٢٦٣	وقال
٢٧٣	كيف السلو	٢٦٤	آلام المحب
٢٧٣	أنت المي	٢٦٤	كيف السلو



صفحة	صفحة	صفحة	
٣١١	الى المعتمد	٢٧٣	بقاء على العهد
٣١٣	صرعى الحب	٢٧٤	أين وفاؤك
٣١٢	ذكرى قرطبة	٢٧٤	صریح الحب
٣١٣	رسائل ابن زيدون وأخباره وشعر الملكين	٢٧٥	وفاء المحب
٣١٤	الرسالة الهزلية	٢٧٥	أنت حسبي
٣٣٣	الرسالة الجدلية لابن زيدون	٢٧٥	الى هاجر
٣٤٦	رسالة الى المطرف	٢٧٦	لا سبيل الى السلو
٣٥٥	رسالة الى ابن مسلمة	٢٧٦	أنت الحياة
٣٥٧	رسالة الى المعتضد	٢٧٦	ذكرى معاهد قرطبة
٣٥٨	رسالة من قرطبة	٢٧٧	غدر الحبيب
٣٦٠	من رسالة	٢٧٨	اصنع ما شئت
٣٧٠	شعر المعتضد	٢٧٨	أمنية
٣٧٧	شعر المعتمد	٢٧٨	نعسى فداؤك
٣٧٩	ابن عمار	٢٧٨	دين الحب
٤٠١	معارضات الشعراء لابن زيدون	٢٧٩	وفاء
٤٠١	معارضة أبي بكر	٢٧٩	في سبيل الهوى
٤٠١	معارضات أمير الشعراء	٢٧٩	صلة المحب
٤٠٩	صفحات من كتاب الذخيرة	٢٨٠	مقيم على العهد
٤٢١	صفحات من كتاب نفع الطيب	٢٨٠	آلام المحب
٤٢٣	ابن جهور	٢٨١	المعميات والأغاز
٤٢٥	جهور	٢٨١	الى المعتمد
٤٢٥	بنو عباد	٢٩٩	الى المعتمد على الله
٤٢٦	صفحات من كتاب العيني	٣٠١	جواب
٤٢٧	ملوك الطوائف	٣٠٣	الى المعتمد
٤٣٠	دراسة الدكتور أحمد ضيف لابن زيدون	٣٠٦	جواب على بيت مطير
٤٣٨	دراسة الأستاذ السكندري	٣٠٧	البيت المطير
٤٤٢	دراسة الأستاذ علام سلامة	٣٠٧	حل البيت المطير
٤٤٣	دراسة الأستاذ أحمد زكي اشا	٣٠٨	جواب على بيت مطير
٤٥٥	فهرس القوافي		

(تمت الفهرست)



مقدمة ابن زيدون

لحضرة صاحب السعادة أمير الشعراء

يَا أَبْنَ زَيْدُونَ مَرْحَبًا قَدْ أَطَلَّتِ التَّعْيِيبَا
 إِنَّ دِيْوَانَكَ الَّذِي ظَلَّ سِرًّا مُحَجَّبَا
 يَشْتَكِي الْيَتِيمَ دُرُّهُ ، وَيُقَاسِي التَّغْرِبَا
 صَارَ - فِي كُلِّ بَلَدَةٍ - لِلْأَلْبَاءِ مَطْلَبَا
 جَاءَنَا « كَامِلٌ » بِهِ عَرَبِيًّا مَهْدَبَا
 تَجِدُ النَّصَّ مُعْجَبَا وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجَبَا

* * *

أَنْتَ فِي الْقَوْلِ كُلِّهِ أَجْمَلُ النَّاسِ مَذْهَبَا
 يَا أَبِي أَنْتَ هَيْكَلًا - مِنْ فُنُونٍ - مَرْكَبَا
 شَاعِرًا أَمْ مُصَوِّرًا كُنْتَ، أَمْ كُنْتَ مُطْرِبَا؟
 تُرْسِلُ اللَّحْنَ كُلَّهُ مُبْدِعًا فِيهِ مَغْرِبَا
 أَحْسَنَ النَّاسِ هَاتِفًا ، بِالْفَوَانِي مَشْبَبَا
 وَتَزِيلُ الْمُتَوَجِّعِ - مِنَ النَّدِيمِ الْمُقْرَبَا
 كَمْ سَقَاهُمْ بِشِعْرِهِ مِدْحَةً أَوْ تَعْتَبَا
 وَمِنَ الْمَدْحِ مَا جَزَى وَأَذَاعَ الْمَنَاقِبَا

* * *

وَإِذَا الْمَجُوءُ هَاجَهُ - لِمَعَانَاتِهِ - أَبِي

[٨]

وَرَأَاهُ رَذِيْلَةً لَا تَمَانِي النَّسَادُ بَا
 مَا رَأَى النَّاسُ شَاعِرًا فَاصِلَ الْخُلُقِ طَيِّبًا
 دَسَّ لِلنَّاشِقِينَ - فِي زُنْبُقِ الشَّعْرِ - عَقْرَبَا

جُلْتِ - فِي الْخُلْدِ - جَوْلَةً هَلْ عَنِ الْخُلْدِ مَنْ نَبَا ؟
 صِفْ لَنَا مَا وَرَاءَهُ مِنْ عَيْوُنٍ وَمِنْ رُبِي
 وَنَعِيمٍ - وَنَضْرَةٍ وَظِلَالٍ مِنْ الصَّبَا
 وَصِفِ الْخُورَ مُوجِزًا - وَإِذَا شِئْتَ - مُطْنِبًا «

قُمْ تَرِ الْأَرْضَ - مِثْلَ مَا كُنْتُمْ وَأَمْسِ - مَلْعَبًا
 وَتَرَى الْعَيْشَ لَمْ يَزَلْ - إِبْنِي الْمَوْتِ - مَأْرَبًا
 وَتَرَى ذَلِكَ - بِاللَّيِّ عِنْدَ هَذَا - مُعَدَّبًا

« إِنَّ مَرَّوَانَ عَصْبَةٌ يَصْنَعُونَ الْمَجَابِيَا
 طَوَّقُوا الْأَرْضَ مَشْرِقًا - بِالْأَيْدِي - وَمَغْرِبًا
 آلَةُ أَطْلَمَتِكَ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ كَوْكَبًا
 أَنْتَ لِلْمَتَّحِ تَنْتَمِي وَكَفَى الْفَتْحُ مَنْصِبًا
 لَسْتُ أَرْضِي بِغَيْرِهِ لَكَ جَدًّا وَلَا أَبَا «

« شوقي »

مقدمة

١ تحريف الديوان

كان أيسر ما في هذا الديوان نسخه وضبطه وشرحه : فقد أنسانا ما كابدناه فيه من عناء التحريف كل عناء آخر كابدناه فيه ، وقد وفق السباح أيما توفيق في تشويه محاسن هذا الديوان الفدّة ، وتحريف آياته ، وطمس غوره وعبوه .

ولقد كما قرأ القصيدة عدّة مرات ، وكأنا - لشدة ما فيها من تحريف واضطراب - أمام طلسم غامض لاسدليل إلى حله ، ثم لا يلبث الصبر أن يذلل من العقبات ما كنا نوقن باستحالة تدليله ، وكانت تعريتنا لدة النور والانتصار - كلما اجتزنا عقبة - أن تقتحم أخرى حتى انتهينا من هذا الديوان ونحن لانكاد نصدق بأننا قد اجتزنا هذه المعارة الخيفة ، ورفعنا عن ذلك المسجم الرائع كثيرا من الهضاب والكثبان المتراسة فوقه .

وما نزعم أننا قد برأنا هذا الديوان من كل عيب ، ونزهناه عن كل تحريف ، ولكننا نجروا فزعم أننا لم نأل جهدا في تبرئته من كل عيب وتزيمه عن كل تحريف ، فاذا بدّ عن خاطرنا معنى أولق بذهننا كلال في تصحيح بيت أو تجلية غامض فهو الذهن الانساني يخلق ثم يسقط ، ويدع ثم يسخف ، ويعتوره النقص والكال ، أقوى ما يكون رغبة في توخي الابداع والكمال .

٢ -- أمثلة من التحريف

فلما إن نسخ هذا الديوان وضبطه وشرحه كانت أيسر ما لتينا من العناء ، وهذا الكلام ربما لمح فيه القارىء الخلى الدهن نوعا من الزهو والخلاء ، ولكنه الحفيقة التي لا أثر للعلاة فيها ، ولو أننا أردنا أن نسر دكل ما أصلحناه من تحريف أو تشويه . لا اضطررنا إلى ذكر أكثر آيات الديوان ، وقد أشرنا إليها في مواضعها من الكتاب ، فلجئنا بذكر القليل منها عن الكثير ، ليرى القارىء المصنف مقدار ما جنى الساخ على شعر هذا الشاعر العظيم ، ونحن لانرى في مثل هذا العمل إلا أنه زكاة يؤديها الأديب للأدب العربي الزاخر بأروع الحوارج الفسفية وأسمى المعاني الرائعة .

وليمثل القارىء نفسه أمام هذا البيت مثلا .

« لم يدع منى شتا من جلد مع أنى لم أرل ثبت العرر . »

أول البيت التالي :

« كأننا لم يواليا زمان لين الأخدع . »

أوقوله في نفس القصيدة : « وأنف العمل لا يجمع . »

أوقوله في قصيدة أخرى :

« حياء هو الليل ادلهم طلامه . »

أوقوله :

« زمن كما لون الرضا ع يشوق ذكره الفطيم »

أوقوله : « لم أدع حظي منها بالحيل . »

أوقوله :

« فما ابنك إلا عدل نفسك إن يسر فللجسم لا للنفس منك مقام »

في قصيدة لم يرد فيها ذكر اسمه تاتا :

فادا قرأت البيت الأول قراءة صحيحة . قلت :

« لم يدع مني سقاهي جلدا مع أني لم أزل نت المرر »

والبيت الثاني :

« كأننا لم يؤالسا زمان لين الأخدع »

والشطر الثالث : « وأنف المعجل لا يجمع »

والبيت الرابع :

« جفاه هو الليل ادلهم طلامه »

والبيت الخامس :

« زمن كما ألوف الرضا ع يشوق ذكره الفطيم »

والبيت السادس :

« لم أرغ حظي منها بالحيل »

والبيت السابع :

« فما ابنك إلا عدل نفسك إن يسر فللجسم لا للنفس منك مقام »

فاذا أضفت إلى هذا العناء عناء آخر هو بعض تكملة الآيات الناقصة بما يلائمها، ظهر لك

أننا لم نكن مغالين في وصف ما كابدهناه من المشقة والتعب.

ومن أمثلة ذلك قوله : « في جواركم ذليل . »

وقد آتمناه بما يلائم المعنى « قلنا : « [جناحي] في جواركم ذليل »

وقوله :

« شافعا لأيديك التي بعضها يفوق الشناء »



« [فقبله] شافعا لأبيادك التي بعضها يفوق الثناء »

- وإنما اجتزأنا بهذه الأمثلة القليلة لأن الثمرة - كما يقول شيخ المعرة - تدل على الشجرة .
- ولأن الديوان كله مائل بين يدي القارئ فلا حاجة بنا إلى الأفاضة في ذكر الأمثلة .

٣ .. أثر التحريف

وكثير مما يرويه أساتذة الأدب في المدارس من شعر ابن زيدون محرف أو مشوه ، فن ذلك ما أثبتته الأستاذ علام سلامة في مذكراته المطبوعة لطلبة دار العلوم :

« وبيت ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الله الوري طينا . »

والبيت في وصف ولادة . وصوابه . « ريب ملك » ، وقد أكثر شعراء الأندلس - ومنهم ابن زيدون - من هذا التعبير، والرواية التي أخذ بها الأستاذ علام هي رواية نصح الطيب الذي لا يقل تحريفه وتصحيحه عن تحريف الديوان وتصحيحه . وقد أثبتنا هذا البيت كما يلي :

« ريب ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد إنشأ الوري طينا »

وبهذا يطهر جمال أسلوب ابن زيدون وروعة أدائه .

وقد روى بعض الأدباء البيت التالي لابن زيدون هكذا :

« سون من الأيام خمس قطعها أسيرا ، وإن لم يبد شد ولا قلا . »

وصوابها « مئون من الأيام خمس قطعها » فان سنين من الأيام أو سنين من الليالي أو سنين من الساعات لا معنى لها - ويؤيد هذا الرأي قول ابن زيدون نفسه من قصيدة أخرى في رسالة لابن جهور :

« أفصبرا مئين خسا من الأيام ؟ »

وقد وقع في هذا التحريف الأستاذ أحمد زكي باشا ثم تابعه في ذلك الأستاذ أحمد السكندري .

وظن الأستاذ زكي باشا ان ابن زيدون قد سجن مرتين ، الأولى خمس سنوات ، واستدل

على ذلك بالبيت الأول ، والثانية خمسمائة يوم ، واستدل على ذلك بالبيت الثاني .

أما الأستاذ السكندري فقد قرر أن ابن زيدون سجن خمس سنوات (١) ، وهو لم

يسجن إلا خمسمائة يوم كما يدل على ذلك شعره .

(١) قال الاستاد السكندري :

« لست ابن زيدون في السجن بضع سنين ، ولكن كم كان مدتها ؟ ومتى كان مبدؤها ؟ »

أما الأول فيجبنا هو عليه بقوله من قصيدته الطائية النابغة :

« سنون من الايام - خمس قطعها أسيرا ، وإن لم يبد شدولا قط »

وأما الثاني فيجبنا هو أيضا عليه بقوله من قصيدته الرائية التي كتبت بها من السجن الى أبي الحزم

جهور : « لم يطو برد شابي كبرة وأرى برق المشيباعلى في عارض الشعر »

وقد جنى تحريف النساخ على أدياء العربية وشعرائها جناحة لا تعترف فاضطرت بسببه آيات البلاغة ودقائق البيان وعزف الكثيرون عن أدبهم بعد أن رأوا ما فيه من الخلط والتشويه والتحريف ولا وهم على ذنوب لم يجترموها وآخذوهم بعيوب لا يدلم فيها :

« وذنّب جرّه سفهاء قوم وحل بغير جرمه العقاب »

ولا يزال رجال الأدب وأساتيده الأفاضل مسؤولين عن إصلاح هذه الروائع وتنظيم هذه الكنوز الغيسة وردها إلى الصواب، حتى يظهر جلال الأدب العربي وروعته وتبرأ ذم القدماء مما لحق آثارهم الأدبية من الخلط والتشويه .

٤ - لماذا بدأت بهذا الديوان

كانت فكرة موقفة سديدة تلك الفكرة التي خطرت ببال الأستاذ الكبير الدكتور «أحمد ضيف» مدرس الأدب العربي بالجامعة المصرية القديمة حين طلب إلى عام ١٩٢٢ أن أترجم لطلبة الجامعة الفصل الرابع الذي كتبه الأستاذ المستشرق « نيكلسون » عن الأدب الأندلسي وتاريخه ، فقد كان من آثار تلك الفكرة أنني نشطت إلى إلقاء تلك المحاضرات التي أظهرتها للقراء في ذلك العام بعنوان « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي (١) » ووعدت في مقدمة ذلك الكتاب بالعودة إلى البحث .

قل الثلاثين إذ عهد الصبا كث ولشبية غصن غير مهتمصر »

ونحن نعلم أن انقطاع دعوة بي أمية عن قرطبة كان سنة اثنين وعشرين وأربعمائة، ولم أن قد ولد ابن زيدون في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة فإذ كان بدأ خدمته في دولة آل حهور وهو في الثانية والعشرين من عمره وإذا قدرنا أنه بمث بهذه القصيدة في مبدأ اعتقاله كما هو الظاهر إذ قد صرح بها بأنه لم يبلغ الثلاثين ، كانت مدة خدمته لآل حهور لا تزيد على سنتين وكان بدء اعتقاله في نهاية سنة أربع وعشرين وأربعمائة أو أول خمس وعشرين وأربعمائة .

لث ابن زيدون في السجن خمس سنين استظف فيها أبا الحرم حهورا واستشفع عنده بابنه أنى الوليد محمد بن حهور ، وكان أليفه وصديقه من قبل ونسبه من الرؤساء ووجوه قرطبة لبوت إليه واليهم شكواه بعدة قصائد أبدعها ورسائل استنجد فيها حبه فما ألانت له قلوبهم

(١) وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب ما يلي

طلب إلى حضرة الدكتور أحمد ضيف ، أن أترجم الفصل التاسع من كتاب « تاريخ آداب العرب للأستاذ نيكلسون » لألقيه في الجامعة المصرية ، وهو الفصل الذي أفردته من كتابه الممتع ، بالكلام على تاريخ الأدب العربي في أسبانيا .

لم أكد أقرأ هذا الفصل حتى بدا لي خطره ونقاسته وعرضت لي عدة ملاحظات دلت على ما جاء فيه ولم أكد أشعر في مناقشة نغمة الجوهري حتى اتسع أمني مجال البحث وشجعت على مواصلة ملاحظته من القصص الشديد الذي يكاد يلصق كل مطلع على الكتب العربية التي تناوكت الكلام في هذا الموضوع وما علمته من الحاجة الماسة إلى كتاب يسر على طلبة الأدب الأندلسي وغيرهم من المشتغلين به ، قليلا مما يتكبدونه من عناء البحث في الأسفار العربية الضخمة المهوشة ويحفظ وقتهم الثمين من الضاع .

فالآن أعود إلى الكتابة بعد عشر سنوات مضت على تلك السحوت التمهيدية الأولى .

ولكن لماذا اخترت ابن زيدون وبدأت به قبل غيره من الشعراء ؟
لقد كنت أسمى الطن بشعر ابن زيدون وأدبه ، ويخيل إليّ - كما يخيل إلى كثير من
أدبائنا الذين يتسرعون في الحكم على الشعراء من غير أن يعنوا أنفسهم بدرس آثارهم
وعصورهم دراسة مستفيضة - أنه شاعر صنعة مولع بالديع والمقابلات اللفظية لا يسمو إلى
درجة الفحول الممتارين .

لما وصلت إلى قول « نيكاسون » في فصله الرائع : « وكانوا يلقبون ابن هانيء بأنه
متبني العرب ، كما يلقبون ابن زيدون بأنه محترى العرب (١) » صارت القارئ حبيثد بأنني
لا أستطيع الحكم على الجزء الثاني من هذه التسمية ، وقد عقدت فصلا موجزا في المقارنة بين ابن
هانيء والمتبني ، لأنني درست ديوانيهما وروى عدلت الآن عن بعض آرائني في ذلك الفصل . ولم
أستطع المقارنة بين ابن زيدون والبحترى ، لأنني فرأت ديوان الثاني ولم أقرأ للأول إلا بصع
قصائد لا تكفي للحكم على شاعر .

ودكرت أن حلال نهضنا القرية لا يناسب مع جهلنا تطماء لعنا الذين تركوا أوصح الأثر في بلاغه
تتمد منها الحياة والدوة ، ومن كان من الواجب ألا يجهل الانسان تطماء الأمم دوى الأثر الكبير في
المحصارة العالمية فهو أجدر ألا يجهل تطماءه قل كل شيء .
دفعني هذه الاعتبارات إلى عدم الاقتصار على ترجمة هذا الفصل الممتع وتم اتخذه مرجعا من المراجع
الكثيرة التي رجعت إليها بدلا من أن اتخذه موسوع المحصرة .
وقد أقصرت في هذا الكتاب على ترجمة "نصف الأول من هذا الفصل ، وقد ألقى القسم الأكبر من
هذه المحاضرات مدأ أكثر من عاين في الجمعة المصرية ، ثم نشرت بمصفا في إحدى الصحف الأدبية
فليت من الاستحسان وارضاه ما سجدني على طعمها .
ولم يعتني ان أورد في حواشي الكتاب كثيرا من التعليلات الضرورية التي اضطرنني ضيق الزمان إلى
الاكتفاء بالإشارة إليها دون ذكرها وقت لقاء المحاضرات .
وقد تعددت ذكر أمثلة ونماذج شملت مكانا من الكتاب ما كانت لتشفله لو أن كتبه ما حديت سببي إلى
الاستشهاد بها أو لو أني وثقت أن جمهور الأدباء - عندما يبرها .
(وعد) فهدى طرات سريته ألقى بها إلى نابع الألب الاملائي وسأذمها بعد قليل بالقسم الثاني
منها فليقأها القارئ على انها منهمة لدراسة الأدب في ذلك العصر ، ولتعددها بواة لكتاب تناول فيه
ذلك التاريخ شيء من التوسع والاسهاب اد أمكننا المرس ، وكان في الأجل بنية .
(١) قال الأستاذ نيكاسون :

« إن قائمة العمدة الذين رحلوا في طلب العلم إلى افرديا ومصر وإلى المدن المقدسة في بلاد العرب وإلى
حواضر - سوريا العظيمة والعراق - وإلى حراسك وتركستان وإلى بلاد الهند - أميانا - كاتب محوى
كل نأبي الأدباء ورجال اللامعة العربية الذين أنجهم اسبابا لا لامة كما يرى ذلك من يسمح الفصل
الخامس من كتاب المعري . لهذا كتاب حركة بآدله الآراء في دؤب ونشاط فلم يستأثر إحد من رجال الشرق
والغرب بشيء خاص ، وعرف الناس قبل كل شيء أن من نهر شعراء الاندلس كان هانيء وابن زيدون كان
يعتقهما الدناد "شعرا من المحبوبين" بهاء في العرب وخترية . »

ورأيت أن واجب الأمانة يقضى على أن أدرس ابن زيدون كما درست المحترى لينسني لي أن أنسه .

وما كدت أبدأ في درس ابن زيدون ، شعره وثره، وأنقصي أخباره وأخبار عصره، حتى رأيت ماراعني وأدهشني مارأيت، لقد كنت أستكثر عليه اسم شاعر عادي فصرت أستقله الآن اسم شاعر كبير وكنت أكرهه لكلفه بالصنعة التي بغضت إلينا أكثر شعراء ذلك العصر وأفسدت علينا أكثر الأدب العربي ، فإذا بي أحب هذا اللون الرائع من الصنعة المبهجة التي تترج بالفلس وتهمين على القلب وتحبب فيها أشد الناس بغضا لها، وقد عرف ابن زيدون كيف يتخذ من الصناعة والبديع أدوات للافتنان في الأداء والتعبير والابداع في تصوير أروع المعاني الساحرة وأدق الخواج النفسية ، وإذا بها نفس تطرب إلى الجبال وتذئن في التعبير عنه ، وطبيعة سمحة صناع لا اتواء فيها ولا تكلف ، وقد صدق القائل : « كل طعام يتناوله الصحيح ينقل إلى صحة ، وكل طعام يتناوله المريض ينقل إلى مرض » وهكذا كرهنا المقلدون في الصنعة والبديع ، كما حجب إلينا المدعون كثيرا من ألوان الصنعة والبديع .

الحق أن ابن زيدون ساحر بياني حلاب يتخذ من الصنعة وسيلة للروعة والدقة وحسن الأداء ، كما يتخذ المصور الماهر من مختلف الألوان والأصاغ - وسيلة للتعبير عن أدق وأخفى الأساير والملاحظات .

ولأأكرم القارئ أنبي من ألد أعداء الصنعة اللفظية ، ولكنني من أشد أنصارها إذا جاءت عن هذه الطريق .

ولقد أراد بعض الكتاب أن يعيب على ابن زيدون وأتاتول فرانس أنهما من رجال الأساليب، ونسوا أن الأسلوب العالي هو غاية تنخلع دونها الرفاه، وأن طول المرانة والدرس تخلق من صاحبها الكاتب الحاذق والشاعر اللق ولكنها أعجز من أن تخلق الكاتب الموهوب والشاعر العبقري أو تلهمهما الأسلوب العالي الذي يحاول بعض الأدباء أن يزري به ويحقره .

تنفيذ الفكرة

ولم أكد أبدأ في قراءة ديوانه ونسخه حتى أكرت الرجل وفتت بشعره وسحرت ببيانه الرائع وإن قطع على إعجابي وقتني ما اعتوره من التحريف والتشويه - وهما من جبايات النساخ على الأدب العربي - ولكنني اعترمت المضي في هذه الطريق الوعرة وصممت على اجتياز هذه المفازة التي لأعلام فيها ولاصوى (١) نسترشد بها في السير ، ثم شغلني أعمالى الكثرة عن المضي فيها لما تتطلبه من عناء لا تحتمله صحتى المهوكة ، وفراغ من الزمن يضيق عنه وقتى المزدحم بالفروض والواجبات .

(١) الصوى - للمات الطريق التي يطلق عليها اسم « Milestones »

ولم يكن من اليسير على أن أظفر بأديب تدفقه الغيرة على الأدب العربي الى التضحية بصحته وورقته في عمل مضمّن شاق لا يفهم منه القارئ العادي إلا أنه هين سهل لا يتجاوز شرح ديوان شاعر وضطه .

ولكن صديقي الأديب العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن خليفة تقدم الى مظهر الى استعداد له اعوانتي في هذا العمل والسيرمي في هذه المفازة .

ولصديقي الفاضل ولع شديد بدرس الأدب العربي، وغيره نادرة على اللغة العربية، وحرص بالغ على كسوز البيان العربي، وصبر لا يشركه فيه الا القليل من الأدباء المخلصين، وعزيمة لا تعرف للتردد والنكوص معنى، وهذه هي الصفات التي كنت ولازال أبتدأها فيمن يتصدى لمثل هذه الأعمال المضنية .

وكان صديقي عند حسن ظني به، فقد كان يقضي معي الساعات الطوال دائما لا يكل ولا يني ولا يفتر عزمه الا ريثما يتجدد، ويعود إلى أقوى مما كان عليه نشاطا وهمة، وهكذا مضينا معترمين في شرح الديوان وضطه وإصلاح تحريفه حتى أظهرناه للقارئ في هذا المظهر الأتيق .

٦ - رسائل ابن زيدون وأخباره

ولما كان التحريف قد لحق نثر ابن زيدون كما لحق أشعاره وان خففت عناية الأدباء وتعاضلهم وشروهم عناء التحريف في الرسالتين الجدية والمزلية فقد رأينا أن نثبت كل ما وقع لنا من نثر ابن زيدون وشعره وأخباره كما أثبتنا ما وصل اليها من شعر « المعتمد » و « المعتضد » و « ابن جمهور » وبعض المعاصرين لابن زيدون كابن عمار وغيره، وأتبعناهم بدراسات الأدباء المعاصرين تمة للبحث .

وقد اتسع النطاق حتى ضاقت صفحات هذا الديوان - على كثرتها - فاضطرت إلى فصل سفرين عنه واخرجهما مستقلين ليعاونا القارئ على درس هذه المسكرة من كل وجوهها. وسأفرد - ان شاء الله - كتابا يظهر بعد انتهاء طبع هذا الديوان الحافل - بعنوان « ابن زيدون - أدبه وعصره » وكتابا آخر بعنوان « ملوك الطوائف »، يتناول مساهم الكلام في عصر ابن زيدون الذي عاش فيه، حتى لا ينطق علينا قول المتنبي :

« ولم أر في عيوب الناس عيبا كنعص القادرين على التمام »

فاذا انتهت من ذلك بدأت في إظهار ديوان « ابن حديس » في الحلقة الثانية من سلسلة شعراء الأندلس، إن ساعفت الظروف وكان في الأجل بقية .

كامل كيلاني

الملوك

١ - ملوك الطوائف (١)

ابن جمهور - بنو عباد

منذ سنين عديدة تقلص ظل السلطة العامة عن الولايات الاسلامية ، وأصبح أمرها يسدها ، ولم يكن تفكك السلطة أمراً مرغوباً فيه عند أهل تلك الولايات عامة ، فقد ذهب بهم التفكير إلى أبعد مداه جزعاً من المستقبل وأسفاً على الماضي . ولم يستفد من هذا الانحلال في البلاد إلا ملوك الافرنج وحدهم . وكان من نتائج هذا الانحلال أن اقتسم قواد البربر جنوب الجزيرة فيما بينهم ، وحكم الصقالبة الشرق ، وصار ما تبقى بعد ذلك منها مقسماً بين الطارئين المتوئنين على الحكم ، وآخرين من بقايا الأسر العريقة ممن سنحت لهم الفرصة وساعدتهم على الثبات أمام ضربات « عند الرحمن الثالث والمنصور » التي كانت مصوبة إلى الأرسطوقراطية ، وانتهى الأمر بأن تكوّن من المدينتين الكبيرتين : قرطبة ، واشيلية . حكومتان شوريتان ، أما قرطبة فقد حدث بعد إلغاء الخلافة أن اجتمع كبار أهلها وعمدوا إلى إسناد السلطة التنفيذية إلى « ابن جمهور » الذي عرف عند الجميع بالجدارة والاستحقاق لتقلد هذا المنصب والاضطلاع بالحكم فرفض - بادئ ذي بدء - هذا المركز السامى الذى عرض عليه ، و بعد إلحاح من جماعة المنتخبين له ، رضى بقول هذا المنصب ، ولكن على شريطة أن يكون عضوان من أسرته زميلين له فى مجلس الشورى ، وهما : محمود بن عباس ، وعبد العزيز بن حسن ، فأجاب الجماعة إلى ما طلب ، ولكن على شرط أن يكون لهدين الاثني عشر صوت استشارى .

وقد حكم السفير الأول الحكومة الشورية الجديدة بطريقة عادلة رشيدة ، وإليه يرجع الفضل فى أن أهل قرطبة لم يعودوا يشكون شيئاً من المظالم التي كانت تقع عليهم من قسوة البربر . فكان أول ما واجهه إليه نظره أن صرفهم عن الخدمة ، واحتفظ بنى

(١) ارجع إلى ما نشرناه فى آخر الديوان الأستاذ « نيكسون » « من ٤٢٧ » أما هذا الفصل فهو للعلامة دوزى وقد نقلناه من كتاب « ملوك الطوائف » الذى نظهره قريباً إن شاء الله .

ايقورين « Beni - Iforen » وحدهم ، وهم الذين يستطيع أن يعتمد على ولائهم وطاقاتهم ، واستبدل بالآخرين الذين سرحهم من البربر حرسا وطيبا . وكان يظهر بمظهر من يريد استقرار نظام الحكم الجمهوري ، فكان إذا طلب إليه تنفيذ أمر يقول : « ليس من شأني أن أقرر أمرا هو من اختصاص مجلس الشورى ، وما أنا إلا منفذ لأوامره وقراراته . » وكلما وردت عليه قصة أو كتاب رسمي يكون موجها إلى شخصه أبي تسلمه وأمر بتوجيهه إلى مجلس الوزراء . ولم يكن ليصدر قرارا قبل عرضه على مجلس الشورى ، أضف إلى هذا أنه لم يكن يتظاهر التمتع بمظهر الحاكم ، فهو - بدلا من أن يقيم بقصر الخلافة - بقي مقبلا بمسكنه المتواضع الذي اعتاد سكناه دائما . وكانت العقيدة في نزاهته ثابتة قوية لا تحوم حولها الشكوك والريب ، وقد فرض - مع هذا - أن يكون بيت المال في داره وتحت إمرته ، فعهد بحراسته إلى أكبر الناس مقاما وأكثرهم احتراما في المدينة . ومع حبه - في الحقيقة - للمال ، قضت عليه المصلحة ألا يرتكب عملا غير شريف ، ولما كان مقتصدابا وحريصا حرصا يكاد يصل به إلى درجة الخل فقد أثرى حتى صار أغنى رجل في قرطبة ، ولكنه في الوقت نفسه بذل من الجهد المحمود ما وفره اليسر والرخاء على الناس كافة .

وكان يذل ما في وسعه لتحسين العلاقات الودية بينه وبين الممالك المجاورة ، وقد كتب له النجاح في ذلك . فلم يمض وقت طويل حتى توطد الأمن ، وأمنت السبل ، وانتشرت التجارة والصناعة وهبطت أسعار المواد الغذائية . وأمّ قرطبة طوائف كثيرة من السكان أعادوا بناء الأحياء التي دمرها البربر أو أحرقوها حينما أوقعوا النهب والسلب في المدينة . وعلى الرغم من هذه الأعمال التي قام بها فان قرطبة - عاصمة الخلافة القديمة - لم تسترد مكائنها السياسية ، ومنذ ذلك الحين بدأت اشيلية - التي سنعنى بتاريخها عنانية خاصة - تبرز الشأن الأول في المركز السياسي .

كانت اشيلية - منذ أمد بعيد لا تزال - مرتبطة الحظ بقرطبة متأثرة بما يجري من الحوادث فيها ، متأسية بالعاصمة حاصعة للملك الدولة الأموية على التعاقب ثم لدولة بني حمود ، ومن جراء ذلك كان للنورة التي وقعت في قرطبة أثرها السيئ في اشيلية ، فقد ثار القرطبيون على فاسم بن حمود وطردهوه ، فعول هذا الأمير على الانجاء إلى اشيلية حيث يقيم بها ولداه ، ومعهما حامية من البربر تحت قيادة محمد بن زيري من قبيلة بني ايقورين .

وأرسل إلى الاشيليين يأمرهم باخلاء مائة مسكن لجنوده القادمين معه . وقد ترك هذا الأمر أثرا سيئا في نفوس أهل إشيلية هذا إلى ما عرف عن جنود فاسم الذين هم أفقر أبناء جنسهم من أنهم من كبار اللصوص . وقد أظهرت قرطبة للاشيليين أن من الممكن أن يتحرروا من هذا الير الذي يرضجون بالشكوى منه . فعولوا على أن يحدوا حذر قرطبة ، إلا أن خوفهم من حامية البربر المقيمة بين ظهرانيهم حال بينهم وبين تحقيق أمانيهم ، وبعد

جهد مجح فاضى المدينة «أبو القاسم بن عباد» في كسب قائد الحامية وضمه إلى جانبه بعد أن صرح له بأنه من الهين السهل أن يصبح ملكا على اشبيلية ، فأعلن حينئذ محمد بن زيرى استعدادة لمساعدته، وسارع القاضى فعقد بينه وبين قائد بربر «قرمونة» محالفة تقلدوا السلاح - على أثرها - ضد ولدى قاسم وحاصروا قصره .

ووصل قاسم إلى أبواب اشبيلية التي كانت مغلقة ، وحاول أن يجتذب سكان المدينة إليه بالوعود الخلابه ، ولكنه أخفق في هذه المحاولة ، ولما أوجس حيلة من نفسه على ولديه اللذين كانا معرضين للهلاك داخل المدينة ، قنع على نفسه عهدا أن يجلى - هو ومن معه من الجند - عن أراضي اشبيلية، اذا ما أسلموا اليه ولديه وأموالهما ومملكتيهما، فضمن له الاشبيليون تنفيذ هذا الشرط ، وعلى أثر ذلك اسحب قاسم وعاد أدراجه ، وتم سحقت للقاضى أول فرصة ليرضى حامية البربر . ولما حصلت المدينة على حريتها اجتمع سكانها ليختاروا حاكما يولونه عليهم ، إلا أن الخواطر في هذه الحال لم تكن هادئة والنفوس لم تكن مطمئنة خشية أن تتمخض الحوادث عن ثورة ، أو أن يعيد بنو جود الكرة عليهم ، وحينئذ لا يتوانون لحظة عن معاقبة المجرمين النافرين ، ولهذا لم تبد من أحد منهم أية رغبة قط في أن يأخذ على عاتقه تحمل عبء المسؤولية عما وقع .

واتفق عامتهم على أن يلقوا عبء المسؤولية على عاتق القاضى وحده الذى حسدوا ثروته واستشعروا سرورا خفيا في أعماق نفوسهم بدنو الساعة التي تصادر فيها هذه الثروة الطائلة .

فعرضوا على القاضى أن يتولى حكم المملكة، وكان - مع ما يجيش بصدرة من مطامع وآمال - حكيما حازما ، فرفض في إباء أن يتولى الحكم في وقت غير مناسب . ولم يكن القاضى متصل السبب بالسلالات العربية، إلا أنه امتاز بجزافته أكر ثروة ، فقد كان يملك ثلث أراض اشبيلية ، وفوق ذلك امتلك له منزلة سامية من الاعتبار نظرا لمواهبه العلمية ، وكان يعوزه أن يضم الى هذه المؤهلات أن تندمج أسرته ضمن السلالات العربية القديمة . وقد تم له ذلك - فيما بعد - تريجا ، وكان يدرك أنه في حاجة ماسة إلى وجود عدد من الجند تحت إمرته ، وليس لهذا العدد وجوده، ولم يشك في أن الارستقراطية العظيمة المجيدة في اشبيلية لا بد أن تتور على صعاوك مثله غير معروف النسب ، يسمو مكانه إلى تسم ذروة الخلافة ، ولم يكن ثمة شيء غير هذا في الواقع ، وقد وقع هذا حقيقة عندما أوسك بنو عباد أن يؤسسوا الخلافة لأنفسهم . وثمة زعم آل عباد أنهم من سلالة ملوك « لحم » الذين كانوا يحكمون الحيرة قديما قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم) وكان الشعراء الذين يريدون إشباع بطونهم يتحنون الفرص للإشادة بهذا النسب العريق المزعوم ، على أنه لم يوجد ما يبرر هذا الزعم، لأن بنى عباد والمتزافين إليهم ومن يمتلقونهم لم يستطيعوا أن يقيموا الدليل على ذلك، وكل ما يربط هذه الأسرة بملوك الحيرة أنها تنسب إلى قبيلة لحم اليمية التي ينسب إليها ملوك الحيرة . ولكن فرع أسرة آل عباد الذى

تسلسل منه آباؤهم لم يقطن - على ما يظهر - الحيرة بتاتا ، ولكنهم كانوا يقيمون أخيرا بالعريش الواقعة على حدود مصر وسوريا في قسم إيميز « Emese » .

وعلى الرغم من أن آل عباد بذلوا ما في استطاعتهم كي يصلوا نسبهم بملوك الحيرة فانهم لم يستطيعوا أن يصعدوا به إلى أبعد من نعيم والد عطاف ، وكان عطاف هذا على رأس كتيبة من جنود إيميز وقد رحل إلى أسانبا مع بلج حيث أعطيت لجنود إيميز أراض على مقربة من اشبيلية وأقام على ضفاف الوادي الكبير ، وقد انحدر عن أصل هذه الأسرة فروع فيما يقرب من سبعة أجيال أخرجت ببطء من ظلمة الماضي أناسا صالحين عاملين مقتصدین ، واسماعيل والد القاضي هو عنوان مجدها وهو الذي خط بيمينه في الصحيفة الذهبية لنسب اشبيلية اسم عباد (١) . ولا غرو فقد كان اسماعيل من حملة الأقلام والسيوف ، وكان رجل فقه ودين كما كان رجل حرب وطعان ، وقد تولى قيادة فرقة في حرس هشام الثاني ، ثم صار - فيما بعد - إماما لمجلس قرطبة الكبير ، ثم قاضيا لاشبيلية ، واشتهر بالفقه والذكاء والورع وإرشاد العامة ، وإسداء النصيح للكافة ، وكانت شهرته في النزاهة تروبو على شهرته في غير ذلك من الأمور ، فهو على الرغم من انتشار الفساد والرشوة كان يتورع عن أن يقبل هبة من سلطان أو وزير ، وكان كريما إلى أبعد غايات الكرم ، وقد لقي القرطبيون منه كرم الضيافة ، وحسن العشرة ، فجعلته كل هذه المزايا والصفات حريا أن يحرز أكرألقاب النسل والسؤدد في العرب .

وقبيل العهد الذي نحن بصدده توفي إلى رحمة الله في غضون سنة ١٠١٩ . وربما كان ابنه أبو القاسم محمد يماثله علما وأدبا وإن كان لا يدانيه خلقا وفضلا ، فقد كان أنانيا ذا أثر وطمع وصلف وتكبر وإنكار للجميل ، وقد حدث على أثر وفاة أبيه أن طمع في أن يخلفه في منصب القضاء ، ولكن القوم آثروا عليه غيره ، فتقدم بالرجاء إلى قاسم بن جود فقال - بفضل قاسم - منصب القضاء الذي كان يؤمله . وقد يرى المتتبع للحوادث فيما بعد كيف كان نكرانه لهذا الجيل .

وفي مفتتح هذا العهد الذي نحن بصدده - أشار نبل اشبيلية وأصحاب الرأي فيها على أبي القاسم قاضي اشبيلية أن يتنوا عرش المملكة ، ولما أدرك الغاية التي يرمون إليها أظهر لهم أنه لا يستطيع أن يقبل هذا الشرف الذي يولونه إياه إلا بشرط أن يشرك معه في الحكم أفرادا يعينهم هو بنفسه على أن يكونوا وزراءه وأعوانه في الاضطلاع بأعباء الحكم بحجة أن هؤلاء الأشخاص الذين يشركهم معه في الرأي ستألف منهم هيئة شورية تقوم على تدبير المملكة بحيث لا يصدر إلا عن رأيهم ، ولا يتخذ أي قرار بدون مشاورتهم ، فقبل الاشبيليون ما اشترطه القاضي من أن يكون حكمه على قواعد الشورى فلا يحكم بمفرده ، وطلبوا إليه إنفاذ ما اذتمه من تعيين أولئك الزملاء والأعوان ، فعين بعض كرام الأسر العريقة مثل ابن حجاج وآخرين كانت تسمو إليهم الأنظار وترمقهم العيون من نصرائه الذين أنجبهم العصر ،

(١) وكان عباد الجد الثالث لإسماعيل .

وأطلعهم كواكب في سماء مصر ، كأبي بكر الزبيدي العالم النحوي الشهير مؤدب هشام الثاني ، وبعد أن تم له ما أراد من ذلك انصرف همه الى تكوين جيش للملكة ، رفع أعطيات وأرزاق الجند ، فانضوى تحت لوائه كثير من العرب والبربر ، ثم اشترى عددا كبيرا من المماليك ودرّبهم على القتال وجرّد منهم جملة على الشمال ، وهي في الكثير الغالب كانت موجهة الى أمراء آحرين ، وقد حاصر قصرين في شمال فيزي أنشأ متقابلين على صخور يفصلهما سور وأطلق عليهما اسم الأخوين وهما معروفان الآن باسم «الأفوين» وكان يقطنهما اسبانيون مسيحيون كان أسلافهم قد عقدوا معاهدة مع موسى بن نصير ، والظاهر أن هذين القصرين لم يكونا في العصر الذي تحدث عنه في حيازة ملك ليون ولا في حيازة أمير مسلم ، ولذلك استولى القاضي عليهما وأرغم الذين كانوا يدافعون عنهما - وهم زهاء ثلاثمائة فارس على - الانضواء تحت لوائه ، وبذلك زادت نواة جيشه فبلغت خمسمائة فارس ، وتمع اجتمع لديه من الجند ما يكفي للاغارة على الممالك المناخلة له ، إلا أن حالته هذه لم تكن لتمكّه من صدّ هجمات قوية جدية ضدّ اشبيلية ، وهذا ما وقع له سنة ١٠٢٧ ، ففي هذه السنة جاء الخليفة الجودي يحيى بن علي وأمير بربر قرمونة محمد بن عبيد الله وحاصرا اشبيلية ، ولما كان في منتهى الضعف بحيث لا يستطيع المقاومة طويلا أخذ الاشبيليون يفاوضون يحيى وأعلنوا أنهم مستعدون للاعتراف بسيادته عليهم على شرط ألا يدخل البربر مدينتهم فقبل يحيى هذا الشرط ولكنه شرط عليهم - ضمنا لوفائهم وإخلاصهم - أن يرسل بعض أعيان ونبلاء اشبيلية أولادهم ليكونوا عنده رهائن يضمن بها ولاء الاشبيليين ، فلم يستطع أحد منهم أن يقدم ابنه خشية من البربر الذين يقضون على حياته لأقل شبهة ، والقاضي وحده هو الذي لم يتردد في إجابة الطلب إذ أرسل الى يحيى نجده عباد. ولعلم الخليفة بما للقاضي من الجاه والنفوذ اكتفى بقول ابنه رهينة لديه ، وبفضل هذا العمل المجيد الدال على الاخلاص للملاد ازدادت مكانة القاضي عند الاشبيليين عامة ، وأصبح - منذ ذلك الحين - لا يخشى شيئا لامن جانب الشعب ، ولا من جانب الخليفة الذي اعترف بسيادته شكلا وخيل إليه أن الفرصة السانحة قد أمكته من الانفراد بالحكم .

ولما كان قد أبعده من مجلس الحكم مثل ابن حجاج وغيره ولم يبق معه سوى زميلين ثم رأى أن يصرفهما عن خدمته ، ونفى زبيدي ، وعين رجلا من خواص اشبيلية اسمه « حبيب » رئيسا للوزارة ، ولم يكن حبيب هذا من رجال المبادئ إلا أنه مع هذا كان ذكيا مخلصا بكل معاني الاخلاص لمولاه ، منصرفا الى مصلحته .

وعلى أثر ذلك أراد القاضي أن يزيد في رقعة المملكة بالاستيلاء على باجة ، وقد حلت أخيرا هذه المدينة المصائب في غضون القرن التاسع عشر من جراء الحرب التي نشبت بين العرب والختانيين . إذ نهبت وخر البربر جزءا منها ، وعانوا فيها سلبا ، وأحرقوا ما صادفوه في طريقهم ، وكان في نية القاضي إعادة تشييد ما خرب منها ، ولكن لما اتصل بعد الله بن الأفطس أمير « باداجوز » عزم القاضي ، جرد جيوشه تحت إمرة ابنه محمد « الذي خلفه فيما بعد باسم المظفر » وتم استيلاء هذه الجيوش على باجة في الوقت الذي جاء فيه اسماعيل بن القاضي بجيش اشبيلية وجيش حليف أبيه أمير قرمونه ، فبدأ حصارها في الحال وأمر فرسانه بالسلب والنهب في القرى الواقعة بين ايفورا والبحر ، وعلى الرغم من المدد الذي جاء من ابن طيفور ، فان محمدا كان سيء الحظ كثيرا إذ بعد أن فقد نجبة فرسانه المحاربين وقع أسيرا بين يدي أعدائه وأرسل الى قرمونه .

زادت هذه الانتصارات في حماسة القاضي وحليفه الأمير ، فلم يكتفيا بالاغارة على باداجوز وحدها بل أغارا على قرطبة أيضا فاضطرت حكومتها أن تستخدم للدفاع كثيرا من بربر ولاية سيدونا .

وبعد فترة من الزمن أبرم القاضي وحليفه صلحا أو سمه - إن شئت - هدنة مع الافتازيد وحينئذ أطلق محمد من الأسر برضا القاضي (مارس سنة ١٠٣٠) ولما أبلغه أمير قرمونه نأ اطلاق سراحه عرض عليه أن يهرج في طريقه على اشبيلية ، ويباغ القاضي شكره ، ولكن محمدا لفرط اشمزازه من القاضي ، قال لأمير البربر : « إني أدثر أن أظل سجينك على أن أقوم بما أشرت به على ، فاذا كنت مدينا اميرك باطلاق سراحي ، وكان على أن أشكر فاضى اشبيلية وفاء لهذا الحق ، فاني أفضل أن أبقى حيث أنا سجين » فاحترم الأمير شعوره وأرسله الى باداجوز مشيعا بما يليق برجل عظيم مثله من واجب الاجلال والتكريم .

وبعد بضع سنين أي في سنة ١٠٣٤ انقم عبد الله بطريقة قد تعتبر غير شريفة ونأر لنفسه من تلك الشدائد التي نالته ، وذلك بأن أباح للقاضي أن تمر بأرضه جنوده بقيادة اسمه اسماعيل وهي ذاهمة في طريقها للاغارة على مملكة ليون ، ولما كان اسماعيل وجنوده في مضيق لا يبعد كثيرا عن الحدود الليونية باغته جيش الافتازيد فقتل من جنود اشبيلية مقتلة عظيمة ، وقتل فرسان ليون فلول الجيش عند اياذهم بالفرار ، وأفلت اسماعيل من هذه المذبحة معه نفر يسير من رجاله ، وفيما كان موليا وجهه شطر مدينة لشبونة الواقعة على حدود مملكة أبيه من الجهة الشمالية الغربية تحمل هو ومن معه أشد آلام الحرمان من حاجات المعيشة الضرورية .

ومنذ هذه الآونة صار القاضي الحصم الألد لأمير « باداجوز » وليس لدينا معلومات تفصيلية عن

المعارك التي دارت بعد ذلك بين أمير «باداجوز» وخصمه، وبما لا ريب فيه أن هذه الحروب لم يكن لها نتائج ذات شأن عظيم لأسبانيا المسلمة ولم تترك فيها أثرا يضارع ما تركه فيها حادث آخر سنتناوله فيما يلي. قلنا ان القاضي اعترف بسيادة الخليفة الجودي يحيى بن علي ولكن هذا الاعتراف عبارة عن تعهد غير مجد وقد بقي كذلك مدة طويلة فقد قام القاضي بحكم أشبيلية بلا سلطان عليه ولا رقابة وكان يحيى من الضعف بحيث لا يستطيع أن يلزمه بالمحافظة على حقوقه وقد تدلت هذه الحال تدريجا اذ وفق يحيى لأن يضم حوله جميع أمراء البربر تقريبا ، فأصبح من الآن بحق زعيم عامة الحزب الافريقي بعد أن كانت هذه الزعامة فيما مضى اسمية ، ولما كان معركه العام في قرمونة التي طرد منها محمد بن عسد الله فقد أصبحت جيوشه تهدد قرطبة وأشبيلية في آن واحد ، وقد أوحى هذا الخطر الخيف المحقق الى القاضي بفكرة وطنية لها خطرها وقيمتها لو لم يشبها الحرص والطمع والأناية والجشع.

فقد رأى من الضروري أن يجتمع العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد حتى لا يهزو البربر الذين اتحدوا الاملاك التي سبق لهم غزوها .

وهذه هي الوسيلة التي تجعل اللاد بمنجاة من حلول مثل ما حلّ بها من المصائب من قبل ، وكان القاضي يشعر من أعماق نفسه بهذه الضرورة ، فقويت عنده الرغبة في أن يتألف حزب قوى كبير يندمج فيه جميع العناصر المعادية للحزب الافريقي ، وهو في الوقت ذاته يمتنى أن يكون رئيسه ، ولم تكن العقبات التي عليه أن يذلها لنيل تلك العاية بخافية عليه . فقد كان يدرك أن ملوك الصقالبة وأمراء العرب ، وشيوخ قرطبة يجرحون في كرامتهم اذا ما حاول أن يبسط سلطانه عليهم ، على أن شيئا من ذلك لم يذب همته ولم يجعل اليأس يتسرّب الى نفسه .

ولما كانت المصادقات ستخدمه ، فهو سيتمكن الى حد ما من الوصول الى الغاية التي يرمى اليها ، والمشروع الذي يعمل على تحقيقه ، وسنرى فيما بعد على أي نحو يتم له ذلك .

أسلفنا أن الخليفة التمس «هشام الثاني» فر من القصر في عهد سليمان الثاني . وقلنا ان أكثر الظواهر تدلّ على أنه مات في آسيا مجهولا غير معروف . ومع هذا فقد بقي الشعب غير مصدّق بوفاته لتعلقه المفرط بالدولة الأموية التي درت عليه أخلاف اليسر والرخاء، وكنته حلل الشرف والمجد ، وكان عامة أفراد الشعب يتلقون الاشاعات التي كانت ترد اليهم من الخارج منبهة ببقائه على قيد الحياة باهتمام وشغف ، وهناك أفراد كانوا يزعمون أنهم واقفون على تفاصيل حياته بآسيا فقد أشاع بعض أولئك الزاعمين أنه رحل أولا إلى مكة ومعها خريطة مملوءة بالقود والفانس ، فسله الزنوج الذين كانوا يرفقته مامعه ، وأنه استمر يومين لا يتذوّق طعاما ولا شرابا ، إلى أن رآه رجل يصنع الفخار فرق له ورثي لحاله ، فعرض عليه أن يعجن له الصلصال على أن يعطيه في اليوم درهما ورغيفا ، فرجا صانع الفخار أن يعطيه الأجر سلفا إذ قد مضى عليه يومان لم

يتناول فيها طعاما و بعد لأي استطاع هشام على كسل وفترة في العمل أن يكسب قوت يومه ، إلا أنه أتف من هذه الحالة فهرب ، وسار مع قافلة ذاهبة الى فلسطين ، ووصل الى اورشليم ، وهو في أشد حالات الاملاق ، وهناك بينما هو ينتقل في بعض طرق المدينة إذ وقف على حانوت حصري ، وأخذ ينظر الى عمله بانقباه شديد ، فسأله الحصري : هل تعرف هذه الصناعة ؟ فأجابه بحزن كلا ، وأما آسف لأنه لا سبيل الى العيش وكسب ما أسد به الرمق ، فقال الحصري : اذن فابق معي لحاجتي اليك في احضار الخيزران ، ولك أجرك ، فقبل مسرورا وبقي عند الحصري الى أن حذق الصناعة ، وما زال على هذه الحال بضعة سنين ، وقد أذاعوا بعد ذلك أنه عاد الى أسبانيا في سنة ١٠٣٣ ونزل مائقه ثم تحوّل عنها الى المريه ، فوصل اليها سنة ١٠٣٥ فاضطر الأمير زهير الى إبعاده خارج حدود مملكته ، فرحل الى كالاترافا وثمة التي بها عصا القيسار .

هذه الرواية التي صادفت رواجاً وقبولاً من الشعب لا تستحق - على ما يظهر - أن تنال شيئاً من الثقة ، والذي وقع حقيقة هو أنه في العهد الذي كان فيه يحيى يهدد إشبيلية وقرطبة ، كان في كالاترافا رجل حصري اسمه خلف يشبه تمام الشه الخليفة هشاماً الثاني ، ولكن لم يقم دليل على أنه هو بعينه ، وقد نفي الأمويون شيعة هشام ومعهم ابن حيان وابن خزم المؤرخان ما دار حول هشام المزعوم من الروايات والاراجيف وعدوه ضرباً من الحيلة السياسية والخداع والقحة ، وان كان من مصلحتهم لو أمكن الوقوف لهشام على أثر ، ولم يتوقف خاف حين طرق سمعه كثيراً أنه شبيه هشام عن ادعاء أنه هو نفسه الخليفة هشام الثاني ، وقد جارت هذه الحيلة على أهالي كالاترافا ، لان خلفاً لم يكن معروف النسب عندهم ، والأغرب من هذا أنهم دخلوا في طاعته ، وثاروا على أميرهم اسماعيل بن دهمان - نون أمير طليغلة فجاء هذا وحاصره ولم تطل مدة مقاومتهم ، وأخرج هشاماً المزعوم من المدينة فهذا تأثر الأهالي ، وعادوا الى السكينة والخضوع .

ولم ينته دور خلف عند هذا الحد ، بل رجع عوداً على بدء حين علم قاضي إشبيلية بخبره وعلم الفائدة التي يجنيها من وراء ذلك الرجل اذا هو أحضره الى إشبيلية ، وكان الذي يهمه إنما هو استغلال الموقف بقطع النظر عن شخصية الرجل ، كما كان يسره كثيراً أن يرضى الناس أنه هشام ، ليستطيع أن يكون باسمه حزبا ضد البربر ويكون هو بعنوان كونه رئيس الوزراء زعيم روح هذا الحزب ، ولهذا يبادر الى دعوة الخليفة المزعوم الى إشبيلية ، ووعدته بتعويضه اذا نجح في اثبات شخصيته ، ولما حضر الحصري الى إشبيلية قدمه القاضي الى نساء هشام بالقصر ، فصرحن جميعهن تقريبا بأنه هو بعينه الخليفة السابق ، وعول القاضي على قولهن ، وبعث الى شيوخ إشبيلية وأسماء العرب والصقالبة يعلمهم بأن هشاماً الثاني عنده ، ويدعوهم الى حمل السلاح معه دفاعاً عن حقوقه ، ومؤازرة لقضية الخلافة وقد كان الله هذا المسعى

بالنجاح ، واعترف بسيادة هشام محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخولع الذي لجأ إلى اشبيلية ،
وعبد العزيز أمير بلنسية ، ومجاهد أمير دانية ، وجزر بليار ، وأمير تروتوزا (طرطوشة) .

وعلم عامة الشعب في قرطبة علما مقروبا بالسرور أنه لا يزال على قيد الحياة ، إلا أن كبيرهم
أبا الحزم بن جهور كان أقلهم تصديقا للخبر حرصا على الحكم ، فلم ينخدع ، ولم تجده هذه الحيلة
الى نفسه مساغا ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى مقاومة إرادة الشعب ، ومخالفة ميوله ، ورأى ضرورة
اتحاد العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد ، لأنه كان يخشى في ذلك الحين أن يهاجم البربر
قرطبة ، فلهذه الأسباب لم يناقض أغراض مواطنيه ، وسمحت نفسه بأن تتجدد البيعة لهشام
الثاني من جديد .

وكان من نتيجة هذه الحوادث أنه بينما كان الحزب العربي الصقابي يتسلح ضد يحيى ، كان هذا
محاصرا لإشبيلية ، مجدا في تخريب ما ينصل بها من العمران ، موطنا النفس على الانتقام الهائل
من القاضى الحائن ، ولكن الملتفين حوله - من بربر قرمونة الذين أكرههم على الانضواء تحت
رايته - كان هواهم مع هشام الثاني خليعتهم السابق ، وكات الخابرة بينهم وبينه سائرة ، وفي
اكتوبر سنة ١٠٣٥ ذهب فريق منهم خفية الى اشبيلية ، وأبلغوا القاضى ومحمد بن عبدالله
أنه من السهل مناغته يحيى لأنه لا يكاد يفريق من السكر ، ولم يدع القاضى وحليفه هذه الفرصة
تمر دون أن يستفيدا منها ، وهنا وجه القاضى ابنه اسماعيل ومعه محمد بن عبد الله على رأس
الجيش الاشبيلي ، وعند ما أرخى الليل سدوله كن اسماعيل مع أكثر الجند في كمين ، وأرسل
كوكبة لماوشة قرمونة ليغري يحيى بالخروج الى ظاهرها وقد نجح في خطته هذه ، اذ كان يحيى
حين بلعه يحيى ابن عباد على رأس جيش ثملا ، فنهض وكان متسكئا على سريره وصاح قائلا :
« يا لها من فرصة سعيدة ، هذا ابن عباد مقبل لزيارتى ، والآن أيها الجند ، خذوا أسلحتكم
وامتطوا جيادكم قبل ضياع الوقت ، وخرج في ثلاثة آلاف فارس ، وكان النبيذ قد لعب برأسه
فلم يتمهل ريثما يعي جنده وينظم خططه ، يضاف الى ذلك أن ظلام الليل الخالك كان يحجب
عنه كل شيء ، وفوجيء الاشبيليون منه بهذا الهجوم المناغت فقابلوه من جانبهم بجلد وعنف ،
وأخذوا يتقهقرون بنظام نحو المكان الذى كمن فيه اسماعيل ، ومن هذه اللحظة سعى يحيى الى
حرقه بنفسه ، فان اسماعيل انقض عليه بكل قوات الجند ، واضطره الى التقهقر ، وقتل
يحيى نفسه في المعركة ، وكاد يأتى القتل على أكثر رجاله لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك ،
وقال له : « إن أغلب هؤلاء المساكين من بربر قرمونة الذين أكرههم هذا الطاغية على الدخول
في خدمته مع كراحتهم واحتقارهم له . » فأبقى عليهم وأمر جنده بترك تعقبهم وخف محمد
ابن عبد الله إلى قرمونة على ظهر جواده ليسترد ملكه ، وأراد زئوج يحيى الذين استولوا على
أبواب المدينة أن يحولوا بينه وبين الدخول لو لا أن ساعده الأهالى على دخولها من ثغرة ،
وسار الى قصر الامارة وسلم نساء الأمير يحيى الى بنيه ، واستولى على ما فى القصر من كنوز
ونقائس « نوفمبر سنة ١٠٣٥ »

وقد أحدث نبأ وفاة يحيى سرورا عظيما في اشبيلية وقرطبة ، وعند ما وصل الخبر الى مسامع القاضي خنّ ساجدا شكرا لله ، وحذا حذوه جميع من كانوا حوله والآن أصبح القاضي لا يخشى شيئا من جانب اليهوديين ، وقد نودى بادر يس أحد أشقاء يحيى خليفة في ماله ، وقد كان يعوزه الوقت السكاني الذي يستطيع فيه أن يكسب بقوة نفوذه ، وما يقدمه من وعود ، قلوب زعماء البربر ، ليجعلهم في صفه ، ولهذا لم يعد في استطاعته أن يخضع الجزية بعد أن نادى الزنوج فيها بان عمه محمد ، خليفة .

ولما رأى القاضي أن الظروف خدمته ، همّ بأن يقيم هو وهشام الثاني المزعوم بقصر الخلافة في قرطبة ، إلا أن يقظة ابن جهور ، وتصميمه على عدم التخلي عن الحكم ، وقنا حجر عثرة في طريقه ، فقد نجح في اقناع أهل قرطبة أن الخليفة المزعوم لم يكن سوى رجل ماكر مخادع وأن اسم هشام قد أتى من الامامة ، وعرف أن القاضي عند مجيئه بهشام الى قرطبة سيلقى أبوابها معلقة في وجهه ، وثمة لا يستطيع التغلب على مدينة منيعة حصينة مثلها ، فيضطر أن يعود من حيث أتى .

٤٤

وعوّل في بداية الأمر على أن تعسكر جيوشه عند الأمير الصقابي ، وهو الامير الوحيد الذي أبقى الاعتراف بهشام الثاني ، ذلك الأمير هو زهير أمير المرية ، ومند أراد الخليفة فاسم أن يهون على الأمير ، واقطعه عدّة أملاك بدأ زهير يناصر اليهوديين ، ولما نودى بادر يس حايفة بادر بالاعتراف به ، ولما صار الآن مهتدا من القاضي عقد محالفة مع جيوس الغرناطلي ، ثم زحم جيش إشبيلية ، وذهب لمقابته بجنوده وجنود حليفه إذ اضطره إلى التقهقر . ومن المحقق أن القاضي قد بالغ في الاعتداد بقوته ، ولم يحسب حساب أعدائه ، وكان عليه أن يخشى يحيى الوقت الذي تغزو فيه جيوس المرية وغرناطة بدورها إشبيلية . وكثيرا ما خدمته محاسن الصدق التي شاعت أن يخلصه أحد أعدائه من عدوه الآخر .

كل ما يكتب في هذا العصر إنما هو محاولات أولية ترمى الى المثل الأعلى الذي نشده جميعا ، ولا يزال الأدب العربي وتاريخ الأدب العربي في أشد الحاجة الى جهود الأدباء المتواصلة لتنظيمه وتمحيصه وإصلاح تحريفه والكشف عن الاغلاط الكثيرة التي ألحقها به الفسوخ . ولا زال كل جهد يبذل في ازاحة الستور عن هذه المناجم الفيسة مفتقرا الى جهد آخر يشد أزره ويساعده .

قد كنا الى عهد قريب لانكاد نؤمن بأن في العربية كلها شاعرا واحدا يجاري المشهورين من شعراء الغرب . فلما انصرف الأدباء والعلماء الى الدرس والتحجيص والبحث والتحليل ، اكتشف الشباب نخبة من فادة الفكر العربي الممتازين ، ولا زلنا نطمع في ازاحة الستور عن بقية اعلام الفكر العربي القديما .

وقد كان من الطبيعي أن يصحب نهضتنا وهي في أولها ما يصحب كل نهضة أخرى من العلو والاسراف في بعض الواحي ، وفي نهضتنا الأدبية عيب جوهرى نخشى أن يعوق سيرها حيناً من الزمن نحن في أشد الحاجة الى الانتماع به واسعلا له بأقصى ما فينا من قوة . ذلك العيب الجوهرى هو أن أكثر من يكتب في تاريخ الأدب العربي ينقسم قسماً : فريق من المحافظين الجامدين وفريق من المجددين المسرفين .

يأبى الفريق الأول إلا أن يتقيد بالنصوص القديمة ويأخذ بأراء القديما في النقد والادب بالغة ما بلغت من الاضطراب والفساد من غير أن يعنى نفسه ببحثها وتمحيصها ولا يكاد يردد الا عبارات محفوظة و (كليشيات) قدأبلاها الدهر ولا يكاد يجرو على استخلاص نتيجة واحدة من بحوثه الطويلة واطلاعه الواسع ، فامرؤ القيس أكبر مزاياه أنه رطب واستوقف ، وبكى واستكى ، وذكر الحبيب والمزل في شطر بيت واحد وذلك في قوله :

« فما نك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فومل »

والباغة الدياني قد بز الشعراء بقوله :

« فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت أن المنأى عمك واسع »

الى آخر هذه العبارات التي حان الوقت لاراحتها بعد أن أنهكها طول الاستعمال وكثرة الاستشهاد والتكرار .

الفريق الثانى من غلاة المجددين أو - على الأصح - دعاة التجديد ، لا يبالون بالنصوص ولا يعنون أنفسهم بدرس الموضوع الذى يتصدون لبحثه ، وربما اكتفى بعضهم بالخلاص المدرسية التافهة فى الحكم على الشعراء والأدباء والأدب العربى كله . فالعرب - فى رأى أحدهم - لم يطرقتوا نوعا بعينه من الشعر ، لأنه لم يقرأ هذا النوع فى تلك

(١) ثبت فيما بلى فصولا مختارة من رسالتنا عن ابن زيدون ، توبرا للقراء .

الخلاصات المدرسية ، وهذا الشاعر لا يسعوا الى مرتبة الفحول لأن الآيات القليلة التي قرأها في تلك الخلاصات لا تبرر وضعه في مصاف الممتازين والنوابغ .

وهم لا يرون اذا تصدوا للكتابة إلا وسيلة واحدة للطرافة والابداع وهي الخيال ، فهم لا يبالون اذا أعوزتهم النصوص أن يخلقوا تاريخ الشاعر خلقا ، وأن يدمجوا حياتهم في حياته وينحلوه نقائصهم وما يتخيّلونه في نفوسهم من مزايا ، قترام يخفون من الشاعر صورة هي أصدق مرآة نستشف فيها نفوسهم .

فاذا كان أحدهم حليعا تلمس شاعرا مشهورا بالخلاعة ولم يعن نفسه بشرح أسباب خلاعته مقدار عنايته بتبرير الخلاعة والتمدح بها ، واذا كان أحدهم حاقدا تلمس شاعرا مشهورا بالحق ، ولم يعن بالأسباب التي أحفظته على معاصريه عنايته بتبرير هذه الخلة فيه .
ولست أنكر على الباحث أن يتصدى لتحليل أية نفس إنسانية ماجنة أو جادة ، راضية أو ساخطة ، ولكنني أنكر عليه أن يخفق التاريخ خلقا ليؤيد رأيا - صالحا كان أو فاسدا - فان أمانة المؤرخ ودقته هما أول واجبه نحو الحقيقة والانصاف .

اما أن يصر هوى أو يجرى وراء خيال أو يطق لما - بلا روية ولا أناة - نظريات مغلوطة وآراء فاسدة خاطئة تلقعها بلا روية ولا تدبر ، فذلك أضرّ على الحقيقة من أولئك الجامدين الذين لا يتقنمون بالأدب خطوة واحدة .

وقد بلغ من تهوس وشطط بعض دعاة التجديد أنهم أنكروا كلّ خيال عربي - لماذا ؟ لأنهم سمعوا أن أحد المستشرقين قال : « إن العرب ضيقو الخيال وإن سعة الخيال وعمق الفكر وقف على الآريين » .

فإن الرومي مثلا واسع الخيال . لالأهم اقتنعوا بسعة خياله ، بل لأن جدّه رومي . والمعري لا خيال له وإن كان خياله أوسع من خيال ابن الرومي - لماذا ؟ لأنه عربي قح ، ولكن المعري هو صاحب رسالة الغفران التي تعدّ آية من آيات الخيال العربي ، فإذ يقولون فيها ؟ الأمر غاية في اليسر ، ليس في رسالة الغفران كلها خيال وإنما هي كتاب أنشاء المعري في جغرافية الجنة والنار .

ومن اليوم الى أن يظهر للمعري جدّ رومي تبقى رسالة الغفران كتاب جغرافية ، ومتى ظهر له جدّ آري أصبحت « رسالة الغفران » كتابا من أروع كتب الخيال .

هكذا يحكمون من غير أن يحاسوا نفوسهم على ما يقولون . وقد حاولنا جهدا أن تلمس لابن زيدون جدا آريا نتقدم به الى هذه الفئة لنكبر من مواهبه وخياله ، فلم نظفر بذلك .

على أن في ابن زيدون منية قد تشفع له عند هؤلاء المفتونين بالغرب ومايمت إلى الغرب . فقد نشأ ابن زيدون في بلاد الأندلس : وهي في صميم أوروبا ، فهو شاعر أوروبي البيئة وقد مدحه كثير من المستشرقين ، ولعلّ هذا يشفع له عند هؤلاء المقلدين .

أما الشباب المنصف الذي لا يعني إلا بالحقائق ، فإنا نتقدم إليه بدعوى ابن زيدون ورسائله ، وسيرى فيها أمثلة من الابداع والافتان ، ونماذج من الروعة والاحسان ، وصفحات رائعة من صفاء الديباجة وسحر البيان - وكلما ثقة بأن درس ابن زيدون سيكون أكبر حافز على درس غيره من غول الأدب العربي والبيان العربي .

وما أجدر الباحثين أن يتوخوا الانصاف فان آفة الرأي الهوى ، وأكثر الناقدين لا يفسد عليهم بحوثهم إلا التحيز وتنكب الجادة وإرضاء النزوات الفكرية الطائشة . وفي يقيني أن الناقد كالمقاضى يجب أن يتوخى النزاهة التامة ، ويسمو بنفسه عن مزائق الأهواء ، ولا يألو جهدا في البحث عن الحقيقة ، أما أن ينقلب الناقد محاميا للدفاع أو نائب اتهم - كما يفعل أكثر الكتاب - فذلك ما لا نرضاه له ، ولعل أكبر عقاب يناله هو فقدان الثقة بما يكتب .

- ولد ابن زيدون في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ في زمن الدولة العاصمية ، في أول عهد المظفر ابن المنصور بعد سنة واحدة من موت المنصور بن أبي عامر . وهو من أسرة مجيدة من بني مخزوم (١) ، وهو أحد ثلاثة تسموا بابن زيدون وهم :
- ١ - أبوه : عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون وكنيته أبو بكر ، وكان فقيها بقرطبة وكان قاضيا وعالما مشهورا وأديبا واسع الثقافة .
 - وقدمات (٢) سنة ٤٠٥ هـ ، وترك ابنه وسنه حينئذ إحدى عشرة سنة وهكذا أصاب ابن زيدون اليتيم وهو صغير .
 - ٢ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون صاحب هذا الديوان الذي بين يدي القارئ وكنيته أبو الوليد .
 - ٣ - ابنه أبو بكر بن زيدون الذي تولى بعد وفاة أبيه وزارة المعتمد بن عباد وقتله يوسف بن تاشفين ، بعد أن استولى على ملك بني عباد سنة ٤٨٤ هـ .

وكان ابن زيدون صاحب هذا الديوان أشهر هؤلاء الثلاثة وقد كرس حياته للدرس والتحصيل وساعده نوعه ومواهبه على ذبوع صيته وشهرته وهو لم يتجاوز العشرين من سنه ، وكان عصره أزهى عصر أدبي في الأندلس وقد تلمذ على أساتيد الأدب في زمنه وألم من كل علم بطرف ، وفرص الشعر وسع فيه وهو في العشرين من عمره ، واشترك في الفتنة القرطبية ، وقام بصيب كبير في تلك الثورة التي اندلعت نيرانها في قرطبة .

وكان ابن زيدون من زعماء تلك الفتنة التي زلزلت دولة بني أمية ودولة بني حمود والعلويين ، وانتهى الأمر بالقضاء عليهم جميعا وقيام ملوك الطوائف على انقاضهم . وكانت سه وقت الثورة ثمانيا وعشرين سنة (٣) .

(١) بطن من قريش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد .

(٢) مات أبوه بمدينة البيرة ، ونقلت جثته الى قرطبة فدفن بها ، ومما وصل إلينا من رثاء الشعراء

فيه قول بعضهم :

«أى ركن من الرياضة هـ صا وجوم من المكارم أيضا
جلوه من بلدة محو أخرى ليوافقوا به ثراء الأريضا
مش من السحاب ماء صيبا ليداوى به مكانا صريضا»

(٣) بدأت الثورة سنة ٤٢٢ هـ وكانت ولادته في سنة ٣٩٤ هـ فتكون سنه حينئذ ٢٨ عاما .

وقد ظل ملك بني أمية في الأندلس ٦١٢ سنة وثلاثة وأربعين يوما . وقد انقسمت ممالك الأندلس بعد

فقر به اليه ابن جهور (١) وأعلى قدره ثم لم يلبث أن منحه لقب « ذى الوزارتين » .
وكانت بين ابن زيدون وابن عبدوس منافسات كثيرة لاشتراكهما في حب ولادة ،
فأخذ يكيد له ابن عبدوس هو وأصحابه اللاقون على ابن زيدون عند أبي الحزم حتى غيروا
عليه قلبه وسجنوه بتهمة التآمر على قلب الملك واعادته الى بنى أمية كما سنفصل ذلك في
رسالة خاصة .

وقد أنشأ ابن زيدون في سجنه كثيرا من القصائد الرائعة والرسائل البليغة التي يراها
القارى في ديوانه . وحاول أن يستهطف بها ابن جهور متوسلا اليه تارة بابنه أبى الوليد وتارة
بغيره من أصدقائه ، فلم تلقى شكواه أذنا صاغية . على أن السجن لم ينس ابن زيدون حبه
ولادة فنظم فيها نخبة من أروع قصائده ، ولما ينس من عفو أبى الحزم ، لجأ الى الفرار من السجن ،
ولم ينس ولادة التي كان يهيم بحبها ، ولكنها أغفلته واشتعلت عنه بحب ابن عبدوس (٢)
على أن ابن زيدون لم ينسها طول حياته ، وما زال ينظم الأشعار متغزلا بها ، شديد الحنين
الى أيام وصلها وظل حبا المعين الثرار الذي لا ينضب ، وما زال يلهمه أروع خواطره الثائرة
وعواطفه المتأججة ، وكان من أكثر الأسباب في وصول ابن زيدون الى مرتبة الزعامة بين
شعراء الغزل الممتازين .

سقوط الدولة الأموية الى تسع عشرة سنة منها ، قرطبة ، واشبيلية ، وحيان ، وقرمونة ، والعرب ،
والجزيرة الخضراء ومرسية وبليسية ، وداية ، وطرطوشة ، ولاردة ، وسرقطة ، وطليلة ، وباحة ،
ولشونه الح

قال ابن حزم : كانت طرطوشة وسرقطة وفراغة ولاردة وقلعة أيوب في يد بنى هود . وبليسية
في يد عبد الملك بن عبد العزيز . والشراى مافوق طليطلة - من جهة الشمال - في يد بنى رزيق . وطليلة
في يد بنى ذى النون . وقرطبة في أيدي أساء جهور . واشبيلية في يد بنى عباد . ومالقة والجزيرة الخضراء
في يد بنى برزال من البربر . والمرية في يد زهير المامري ثم ابن صمادح . ودانية وأعمالها والجزائر
الشرقية في يد مجاهد المامري . وبطليوس ويايرة وشنترين ولشونه في يد بنى الأقطس . وأصبح كل امرئ
وما اختار من الألقاب والاسماء ، حتى أن السمين ، لما جلس على كرسي الخلافة ، قال للناس أجمعين :
« ارتعوا كيف شئتم وارتمسوا عما أحببت من الخطط » فسمى بالوزارة في أيامه - ممردة ومشاة - أرادل
الدائرة ، وأحاطت الطيارة ، فصلا عن زطاب الكتاب والخدمة .

(١) هو أبو الحزم بن جهور الذي استولى على المملكة بمدخل الجند آخر خلفاء بنى أمية ، ولم يتحول
عن داره الى قصر الخلافة ، وجعل الأمر شورى ، وساس الأمور بحزمه وحسن تديره ، وكانت مدته في
الحكم أربع عشرة سنة وبضعة أشهر ، ثم خلفه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور الذي مات في شوال
سنة ٣٤٣ هـ

(٢) وفي ذلك يقول ابن زيدون .

« أكرم بولادة ذخر المدخر لو فرقت بين بيطار وعطار
فالوا : أبو عاصم أضحى يلم بها قلت : العراشة قد تدنومن النار
عيرتمونا بأن قد صار يخلقا فيمن نحب ، وما في ذلك من طار
أكل شهى أصبنا من أطايبه بمصا ، وبمضا صفحا عنه لفار »

ولما مات أبو الحزم عاد ابن زيدون إلى قرطبة وانضم إلى أبي الوليد وقام بالسفارة بينه وبين ملوك الطوائف فأعجبوا به وتمنوا استنثارهم به لبراعته وحسن سيرته وتمكن من دولة ابن جمهور وابتسم له الحظ ثانية حتى أفسد الحساد ماصلح ، وخشى ابن زيدون أن يلقى من الابن ما لقي من الأب من النكال والسجن ، ففرّ هاربا من قرطبة . وظلّ ينتقل في أرجاء الأندلس من رنده إلى باداجوز إلى اشبيلية أخيرا حيث اتصل بعباد ابن محمد صاحبها الملقب بالمعتضد (١) ولم يكن يخفى أدبه وشهرته ومكانته عليه فهش له وبش وألقى إليه مقاليد ورارته ، وبعد أن مات المعتضد حارل الوشاة وعلى رأسهم ابن عمار أخلص أصدقاء المعتضد أن يغيروا قلبه عليه وأن يدسوا له عنده ولم يفلحوا ، وأقصاهم المعتضد بن عباد عنه وقرّب إليه ابن زيدون وأعلى مكانته عنده وظلّ ابن زيدون يزين له غزو قرطبة حتى ملكها عنوة بفضل تدير ابن زيدون وسعة حيلته ، وانتقل المعتضد وابن زيدون إليها وجعلها عاصمة ملكه .

ولما وقعت الثورة ضد يهود اشبيلية ، انتهز ابن عمار وابن مرتين وأنصارهما هذه الفرصة لاقصاء ابن زيدون عنهم تخلصا من منافسته ، فزينوا للمعتضد أن يوفده إلى اشبيلية لشدة تعلق أهلها به واستغلال حبه في تسكين الاضطراب وتهدئة الخواطر ، وكان المعتضد يعلم ما يكره أهل اشبيلية لابن زيدون من الحب وماله عندهم من المكانة والخطر . وكان ابن زيدون مريضا فاضطره المعتضد الى السفر ، فلم يستطع إلى مخالفته سبيلا ، ولم يلبث أن اشتدت به الحمى وألح عليه السقم فلحقت به أسرته . ولكن الشيخوخة والمرض تكاثفا عليه فأهلكاه في ١٥ رجب سنة ٤٦٣ هـ فحزن عليه أهل اشبيلية أشدّ الحزن ودفن فيها باحتفال مهيب . وقد مكث في خدمة آل عباد تسعة عشر عاما ، ولوطال عمره قليلا لأفلق حساده ومنافسوه في تغيير قلب المعتضد عليه والتسكيل به كما أفلحوا في مثل ذلك من قبل ، ولكن الموت ألقاه من دساتهم وكيدهم ورجه من شرّهم .

(١) استطاع المعتضد أن يتلبس بلى كل ماواجهه من القات وبذل أقصى ما يبدل داهية من الدهاة حتى صغاله الجور وسلم له الملك وكان أكبر من يناوته من التعليل وأشدهم عليه صهاجة و سو برزال الذين كانوا بقرمونه وأعمالها من نواحي اشبيلية ، فلم يزل يصرف الحيلة تارة - كما يقول المراكشي - ويمهز الحياوش أخرى الى أن استدلمهم ففرق كلتهم ، وشقت منتظم أسرهم ، وساعم عن جميع تلك البلاد ، وصفت له أموره .

« ويقول ،ض أدائنا : إن ابن زيدون بحترى زمانا، وصدقوا

لأنه هذا حذو الوليد في بعض قصائده » « ابن سام »

قلت في فصل سابق : إنني ترددت في شايعة « نيكاسون » حين وصلت إلى قوله :

« وقد أطلقوا على ابن هانيء لقب متبني الغرب ، كما أطلقوا على ابن زيدون لقب بحترى

الغرب . »

وقد قلت حينئذ :

« ولما كما لم ندرس ابن زيدون دراسة تمكننا من الحكم عليه حكما صحيحا ، فاننا نترك مناقشة القسم الثاني من هذه التسمية ونكتفي الآن بالكلام على القطة الأولى وهي تشبيه ابن هانيء بالمتبني لاستطاعتنا الكلام في هذا الموضوع . »

والآن بعد عشر سنوات أستطيع أن أقرر مستوثقا : أن هذه التسمية صادقة في تفصيلها وإجمالها ، وأن من يدرس ابن زيدون والبحترى يطلق على ابن زيدون لقب بحترى المغرب ، ولو لم يعرف أن القدماء قد أطلقوا عليه ذلك اللقب ، فكلاهما رائع الظم ساحر الأداء ، وأكثير الصور الشعرية التي أبدعها جديرة بأن تال أعزّ مكان في أرقى المتاحف الشعرية .

ولقد يسر علينا ما لقيناه من الجهد والعناء في اظهار هذا الديوان أن به من الصور الشعرية الرائعة والبيان الساحر الخلاب ما يفخر به الأدب العربي والشعر العربي في أزهى عصورهما وأنضرها ، فقد كان ابن زيدون في سموه وافتنانه - وما أكثر سموه وافتنانه - مثالا رائعا للشاعر المدع القادر المتصرف بفنون القول وأساليب البيان .

وأحب أن أصرح القارىء أنني كدت أتسرع في الحكم حين عرضت لهذه التسمية في كتابي « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي » ، فأقرر أن في هذه التسمية كثيرا من الاسراف والمبالغة ، وقد كنت حينئذ متشعا بروح البحترى مأخوذا بسحر بيانه ، وكنت لا أكاد أصدق أن شاعرا - كابن زيدون - جدير أن يوضع معه في ميزان أو يشركه في إحسان .

ولكنني رأيت أن من الظلم والغبين أن أفاضل بين شاعرين درست أحدهما دراسة مستفيضة ولم أقرأ لثانيهما إلا عشرات من الأبيات و بضع صفحات من النثر ، فأرجأت الحكم حتى أتم الدرس . وهذه حالة نفسية تعرض لأكثر المشتغلين بالأدب في هذا العصر ، وهي آفة من الآفات التي تفسد على الباحثين بحوثهم ، فان أكثرهم لا يتورع في الحكم على شاعر لم يدرسه ولم يعن بقراءة آثاره وتقصى أخباره ، بأنه شاعر ممتاز أو سخي ، وبعضهم يكتفي بالمختصرات المدرسية والمختارات الشائعة المقتضبة فيصدر الأحكام السريعة على الشعراء والأدباء وربما عكف أحدهم على درس شاعر ولم يدرس غيره ، فراح يملأ الأرض تمجيده له ويسرف في اظهار منازيه وتفضيله على جميع شعراء العربية حتى ليقول أحدهم في وصف بعض الشعراء :

« فهو الشاعر من فرعه إلى قدمه وهو الشاعر في جيده ورديته ، وهو الشاعر فيما يحتفل به وما يليه على عواهنه » إلى أن يقول « فما تحرك حركة الأكان للعقرية فيها أوفى نصيب » (١) وقد كان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم شارح ديوان ابن الرومي ، يرى بعد أن درسه دراسة مستفيضة أن ابن الرومي أشعر شعراء العربية . وأكثرتهم تصرفا بفنون القول وكان الباعث له على ذلك أنه عكف على درسه زمنا طويلا فظهرت له مزاياه الناهرة فحسب أن أحدا من الشعراء مهما سما لن يصل إلى مكانة ابن الرومي .

وهؤلاء الباحثين عذرهم في إصدار هذه الأحكام وإن لم ينصفوا الحقيقة ، فإن كل شاعر من هؤلاء الفحول يترجم لنا عن حضارة هائلة ويخلق بنا في أجواء ساحرة تنسينا - حين نحلق فيها - كل شاعر سواه ، فالحتري والمتنبي والمعري وابن الرومي وابن زيدون وابن حديس وأضرابهم يكاد يعيبك واحد منهم ويملا نفسك جمالا وروعة إذا اقتضت على درسه وحده . ولككك بعد ذلك جدير ألا تحكم بتفضيل أحد هؤلاء على الآخرين والازراء بهم لأنك لم تدرسهم جميعا دراسة مستفيضة .

وأذكر بهذه المناسبة أبي كست في مجلس يضم صفوة من رجال الأدب الممتازين كانوا يتناقشون في الأدب فقال أحدهم :

« إن سيد كتاب العربية وإمام البيان العربي هو ابن المقفع » ثم راح يطريه ويخلع عليه كل عبارات الثناء ، فقال له الآخر : « أما أنا فليست من رأيك ، فإن أبا العرج الاصهاني بثرة المعجز قد بز كل كتاب العربية » فقال الثالث : « أين أنتم من عبد الجيد الكاتب فهو سيد هؤلاء جميعا » فابرى له الرابع مثلا :

« الحق أن امام البيان العربي هو الجاحظ » ثم سألوني رأيي فقلت :

« بل سيد كتاب العربية هم هؤلاء جميعا وأضرابهم ولكن كل واحد منكم عكف على دس كاتب من هؤلاء فحبل إليه أن أحدا لا يدانيه بلاغة وسحرا » وهذا مثال لا يزال يتكرر ولازلا نرى في كل يوم باحثا يأتي إلا أن ينتصر لنا بفة بعينه ويفضاه على جميع الناس ، وفي هذا ما فيه من الاسراف والمعالجة وظلم الحقيقة .

وما رأيك في قروي لم يغادر فريته الحقيمة طول عمره ، فلما سافر إلى مدينة كبيرة ورأى ما فيها من قصور فخمة وحدائق غناء ، ظن أن هذه المدينة الكبيرة - التي جعت ألوان الحضارة والترف وجماليات السرور - هي أجل مدن العالم ، وليس من الضروري أن يزور الانسان كل المدن الشهيرة ، فله أن يكتب بوحدة أو أكثر ، ولكن من الضروري لمن يريد المقارنة بينها وبين سائر المدن أن يزورها ويتعرفها جميعا .

كذلك ليس من الضروري أن تقرأ كل شعراء العالم ، ولكن من الضروري الا تفضل أحدا من الشعراء عليهم جميعا من غير أن تقرأهم جميعا .

(١) ارجع إلى كتابي « صور جديدة من الأدب العربي » « ص ٢٢٣ »



ماذا ، بل أنت اذا توخيت الانصاف والبدقة والنزاهة عاجز - بعد طول الأناة والدرس - عن البتة في تفضيل شاعر من الفحول على آخر ، وإن المنصف التزيه ليتدرد في أن يجزم بتفضيل قصيدة رائعة على أخرى كما يتردد في تفضيل حسناء بارعة في الجلال على شبيبتها ، ورحم الله الأعرابي الذي طلب إليه أن يفاضل بين نوعين من الحلوى ، فظل يتذوق أحدهما تارة ، ويتذوق الثاني تارة أخرى ثم يعود إلى الأول ويرجع إلى الثاني ثم قال :

« إنني كلما أردت أن أحكم لاحدهما أدلى الآخر بحجته »

وليس في قدرة ناقد غربي تزيه أن يسخف شاعرا فلا كشكسبرو وإن كان في قدرته أن ينتقده ويظهر عيوبه .

أما عندنا فعلى العكس من ذلك ، لا يتحرج كاتب عن تسخيف شاعر فحل كالتابي أو إنكار شاعرية المعري أو تحقير واهب ابن الرومي أو ابن زيدون أو ابن جديس أو البحتري إلى آخر هؤلاء الفحول .

ثم ماذا ، عندنا من يجروا على إنكار شاعرية عصر بأكله كعصر ملوك الطوائف (١) الذي يعد أزهى عصر أدبي في الأندلس ، بل عندما متهمون بجرؤون - فيزعمون بلاحيطة أو مبالاة - أن ينكروا الأدب العصري كله في جميع عصوره المختلفة ، وعندنا آخرون ينكرون روعة الأدب العربي في شتى لعائنه وعصوره من غير أن يجشموا أنفسهم قراءة شيء من آثار هؤلاء أو أولئك .

وما كنا لعرض لمناقشة أمثال هؤلاء المتسرعين في الحكم لولا أن عدواهم كادت تسرى إلى أكثر شبانا وبعض شيوخ الأدب واعلام الفكر عندنا .

وقد ساعدت الخلاصات المدرسية التي كتبها مدرسو الآداب عندنا على إصدار هذه الأحكام السريعة ، فإن أحدهم ليكتب كتابا يعرض فيه لتاريخ أدب اللغة في جميع عصوره ويقتبس من أحكام القدماء ما شاء من غير أن يقرأ ديوان شاعر واحد بأكله ، ومن غير

(١) ومن هذه الأحكام قول أديب من هذا الطراز العجيب في هجاء هذا العصر الذهبي - عصر ملوك

الطوائف - الذي لا يكاد يعرف منه غير اسمه :

« دلسم عصر الاسرحاء والترف . عصر تزيف فيه الأبصار والبصائر فتكل عما وراء القصور والطواهر تهجع المناعم في ذلك العصر فتعربد الحواس ، ويموت الحب افطرى فتروح في رفاته ديدان الشهوات . وناهيك بعصر تكون فيه البهائم أصدق حياً من الناس ، لأن البهائم لا تنم بالحب ولا تبتذله في مثل هاته المصنوع يأخذ الناس من كل شيء . بأيسره ، ويقنعون من كل مطلب بأقربه إلى الحسن وأصعره . لا يكون الجلال فيها إلا صبغة في البشرة تلحسها الألسنة حتى تزول ثم تمجها بصافا ، ولا تكون البساتين والأمواء إلا مجالس شراب ومراوح هواء ، ولا الطبيعة بكائها ورياحيتها وأثمارها إلا لطفسة . طررة بمختلف الألوان والأشكال ، ولا الشمر إلا مهرجا براناً لو صور بشرا سوياً لالت منه السيون ما لا تنال النفوس ، وما الأخلاق والمروءة والشرف إلا آدابا يصطليح عليها المداقرون ليدوم لهم صفو المجلس ، ثم ماشاء الماقر سد ذلك من غي وشنار ، وما طاب له من هبت واستهتار لا يشينه ذلك ولا يقدح في آدابه . »

ان يدرس عصره ويتقصى أخباره ، وهو لو فعل لما استطاع إصدار فصل واحد من كتابه .
وعندنا أن الخلاصات المدرسية لا يمكن كتابتها الا بعد أن يستوفى الباحثون درس
العصور والشعراء والأدباء ويقطع كل منهم لشاعر بعينه أو كاتب بعينه ، فيدرسه من جميع
واحيه ، فاذا تمّ ذلك كله أمكن اختصار بحوثهم المستفيضة في صفحات قليلة للناشئين .
وقد تكافتت فئة من أعلام الباحثين في العصر الحديث كما قلنا على درس المتنبي وابن الرومي
والمعري ، وظفروا بنتائج باهرة أقنعت كثيرا من الشباب المصنف بأن عندنا من الشعراء من
نباهي بهم ونفخر معتطين ولا تردّد في مقارنتهم بأكبر شعراء الغرب .
وما كان في قدرة اسان أن يفهم جلال شعراء الغرب وكتابه ويقدره واهبهم الممتازة
وعبقرياتهم الفذة لو لم يعرض القاد والشراح والباحثون لتجلية كل غامض وتوضيح مسامح
اتجاهاتهم الفكرية ، ولن يقتنع الشباب العربيّ بأن أدبا زاخر بالشعراء الدحول الذين
لا يتخلفون عن أكبر شعراء الغرب ، الا بعد أن يتصدى أدباؤنا وباحثونا لتحليل آثار القدامى
وتنظيمها وشرح غامضها وإزاحة الستور عن مناحي العقريّة فيها وتقديم ثمار جهودهم الراضجة
للشباب العربيّ ، وثمّ يرى شاسا أن هذه العقول العربية الكيرة التي استوعبت أرقى
الحضارات في أزهي العصور وعبرت عن أخفى الخواج النفسية وأدقّ الاحساسات وأروع
الأفكار وأعمق الآراء ، حديّة بالانصاف والاقبال عليها والتمتع بسحرها الفائق .
وسيرى الشاب الذي نعلق عليه أكبر الآمال في ديوان ابن زيدون بحترى المغرب ، إذا
درسه بعناية وأناة . ولم يكتف بتصفحه والمرور به - على عادته - مروراً سريعاً ، أو ابن زيدون
كان جديراً بما بذلنا من عناء وجهد ، وأنه جدير بمعاودة الكرة لدرسه دراسة مستفيضة
في رسالتنا التي أفردناها لتحليل أدبه وعصره والذنيه على دقائقه ومزاياه والامام بعصره الزاهي .
و بعض الناس يفضلون الحترى على ابن زيدون ، لأن ابن زيدون كان يجب به ،
وهو رأى مردود عليهم . فان إعجاب ابن زيدون بالبحترى كما إعجاب المعري بالمديني ، إعجاب عظيم بهظيم ،
ولو تقدّم ابن زيدون زمنه على زمن البحترى لفان البحترى بشعره ، واتخذ منه مثالا يسج
على منواله وإماما يهتدى به في فنه الرائع .

شاعرية ابن زيدون

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر المحنون من إحسانه
 أخذ الروم - في الجريرة - عنه وهشوا و خياله وانسانه »
 « شوق »

لكل شاعر من الفحول طابع خاص يمتاز به شعره فاذا امتاز المعرى بالفلسفة في شعره
 وامتاز المتنبى بالحكمة ، وامتاز ابن الرومي بالعوص على المعاني النادرة ، وامتاز أبو العتاهية
 بالزهديات ، وأبو نواس بالخرجات ، والبحتري بحسن النظم ، وأبو تمام بالصناعة وابن جديس
 بالوصف فإى ميزة امتاز بها شعر ابن زيدون ؟

ميزة ابن زيدون التي تكاد تفرد به من شعراء العربية هي الفن . فهو شاعر فنى قبل أن
 يكون فيلسوفاً أو حكماً أرغواصاً على المعاني أو وصافاً .

الفن وحده هو الذى أ كسب ابن زيدون زعامة الشعر في عصره ، وأغرى فحول الشعراء
 في زمنه وبعد زمنه بمحاكاته والانضواء تحت رايته . فهو شاعر الفن الذى أبدع أمير الشعراء
 في وصفه حين قال :

« بأبى أنت هيكلا من فون مركبا »

وإنك لترى صورته الفنية قد وصلت الى الذروة ، وقاما اشترك ابن زيدون مع شاعر آخر
 من الفحول فى معنى من المعاني إلا بزه ابن زيدون بفنه ، وأعجزه بديابه الساحر المحجب .
 حتى البحتري الذى كان القاد بلقون ابن زيدون به ، كثيرا ما اشترك معه ابن زيدون فى
 صور شعرية وتفوقت صور ابن زيدون على صور البحتري .

وإما خصصا البحتري بالذكر ، لأن البحتري هو المثال الذى اختاره ابن زيدون ونحا
 نحوه حتى غلب عليه اسم بحتري المغرب .

ومن العجيب أن ابن زيدون قد اشترك مع البحتري فى عدة صور شعرية - كما اشترك
 مع غيره من الشعراء - فكان ماذا ؟

كانت الصور الكلامية التي يبدعها الشاعران جديدة أن توضع فى أرقى المتاحف حين
 يشتركان فى غرض واحد ، ولكن الصور التي أبدعها ابن زيدون جديدة بالجائزة الأولى فى
 أغلب الأحيان .

قال البحتري :

«ولما حضرنا سدة الأذن أخت
 فأفضيت من قرب - إلى ذى مهابة
 كما انتصب الرمح الردينى . ثقفت
 وكالبدر ، وأفيناه ، تم سعوده
 وسلمت ، فاعتاقت جناني هيبة
 فلما تأملنا الطلاقة ، وانثنى
 رجال عن الباب الذى أما داخله
 أقابل بدر التم حين أقابله
 أنا يئبه ، واهتز للطنن عامله
 وتم سناه واستهلت منازله
 تنازعنى القول الذى أنا قائله
 إلى يئش آنستنى مخاييله

دنوت فقبلت الدى من يد امرئ كرم يحياه سباط أنامله
صفت - مثل ما تصفو المدام - خلاله ورقت - كمارق النسيم - شمائله «

وقال ابن زيدون :

« فلما قضينا ما عسا بنا أدأوه
قرنا بحمد الله جدك ، إنه
وعدنا إلى القصر الذى هو كعبة
إذا نحن طالعناه والأفق لا يس
رأيناك فى أعلى المصلى كأنما
ولما حضرنا الاذن والدهر خادم
وصلنا وقلنا الدى منك فى يد
لقد جدت حتى ما بنفس خصاصة

فأى الصورتين يفضل القارىء ؟

الحق ان الانسان ليحار فى تفضيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادنا تصلان الى
أقصى درجات الكمال . وتجلى إبداع الشعارين فيما إلى أقصى حد ، ولكن المنصف لا يلبث
بعد طول الروية والأناة ، أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التي أبدعها ابن زيدون بحترى المغرب
على صورة صاحبه بحترى المشرق .

وقد وفع كثير من القاد المعاصرين فى خطأ شديع حين تسرعوا فى الحكم على ابن زيدون
بأنه مقلد فى أكثر معانيه غير مبتدع ، وحسبوه لذلك فحضاح المكر لا ينفد بشعره إلى الأعماق ،
وقد عاب بعض المتسرعين فى الحكم مثل ذلك على أناتول فرانس ، وعيروه بأنه كاتب أسلوب
لا أكثر ، كما عيروا ابن زيدون بذلك ، ونسوا أن الفن - كما يقول أناتول فرانس - ليس فى
الابداع والاختراع بقدر ما هو فى حسن التأليف ودقة الانسجام . وكثيرا ما اتخذ أناتول من
الحوادث التافهة وسيلة إلى خلق قصة رائعة . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر - إذا اشتركا
فى معنى من المعانى - بما يبدعه أحدهما من الألوان وما يوفق اليه من التعبير عن ظلال
المعانى ودقاتها .

فان أمهات المعانى - كما قلت فى كتابى « صور جديدة من الأدب العربى » مشتركة بين
الناس - على اختلاف لغاهم وأزماتهم وبيئاتهم وأجناسهم - وانك لو حاولت أن تجد لأكثر
المعانى أشاها لما أعياك ذلك . وربما قلت المعنى تحسب أنك انفردت به ثم عثرت على شبيهه
- بعد عام أو عامين - فى شعر قديم أو حديث عربى أو غربى وقد يعاقل عنتره :

« هل غادر الشعراء من متردم ؟ . » وذلك أن النفس الانسانية - على اختلاف
نزعاتها وشتى أحساسها وشعورها - تكاد لا تختلف فى الشعور بأمهات المعانى ، وثمة تتوارد
الخواطر . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر بالافتنان فى أداء هذه المعانى ، وروعة الأداء وحسن

التعبير عن دقائقها وظلالها والابداع في صوغ الخواج النفسية والصور الشعرية المشرقة بالحياة والقدرة على تهيئة الجو الرائع الذي تخالفيه شاعر ربه وعرض معانيه في أبهى صورها وأجل حليها . ولنضرب للقارىء مثلاً واحداً من أمثلة عدّة لا يتسع لها المقام :

لعلّ كثيراً من الناس يدركون من أمثلة الحياة ونظمها أن ما يضرّ واحداً قد ينفع الآخر . هذا معنى شائع ميسور لكل متأمل وليس للسرقه مجال فيه . وقد افطن كثير من الشعراء في صوغه فظهرت في ذلك ميزاتهم ومواهبهم وتجلت قدرتهم على الخلق والابداع .

وقد صاغه المتنبي في أبسط صورته فقال . « مصائب قوم عند قوم فوائد . »

وتناوله ابن الرومي من قبله بجلاء في صورة أخرى وهي قوله :

« فاشقى انما هجاؤك عندي فحسكات تزيد في السراء

ومحال أن يسعد السعداء الدهر الا بشقرة الأشقياء . »

ولما طرقة المعري جلاء في أبدع صورته وأجلها فقال :

« وسخط الطاء بما نالها تولد منه رضى الخابل . »

فمثل لنا - من ذلك المعنى الشائع المطروق - صورة رائعة دقيقة مشرقة بالحياة وأظهر لنا - ريشة المصور الفطن - ظنية يوقعها القدر وسوء الحظ - ونسكد الطالع في حالة المايص فتدرك أن حينها قد اقترب وأن هلاكها وشيك ، وصيادا يراها - في هذه الحال من الألم والسخط - فيرى فرصة ثمينة نادرة بات يحلم بها طويلاً .

ولقد أحسن الجرجاني حين دل في ضمن فصل طويل بحسب أن يرجع القارىء اليه في كتابه : « وقد يتفاضل مدعو هذه المعاني - بحسب مراتبهم - فنشترك الجاعة في الشيء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتب يستحسن أدناً كيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى اليها - دون غيره - فيريك المتذلل في صورة المبتدع والمخترع . »

وقد ضرب الجرجاني لذلك أمثلة كثيرة ثم قال :

« ولم يبق عليك الا أن تحترس من التفريط - كما احتترست من الافراط - فلا تكن كمن يرى السرقه لا تتم الا باجتماع اللدظ والمعنى ونقل البيت جملة والمصراع تاماً ، بل لا يعرف إلا من يفعل فعل عبد الله بن الزبير بأبيات معن بن أوس . »

إلى أن قال بعد كلام طويل :

« والسرق - أيدك الله - داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه . »

ومن أجل ما أورده في ذلك الفصل قوله :

« ومتى انصفت علمت أن أهل عصرنا - ثم العصر الذي بعدنا - أقرب فيه الى المعذرة وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها وأتى على معظمها ، وانما يحصل

على بقايا إما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها أو لبعدها واعتياص مرامها وتعذر الوصول إليها .

ومتى أجهد أحدنا نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى - يظنه غريبا مبتدعا ونظم بيت يحسبه فردا مخترعا ، ثم تصفح عنه السواوين - ثم لم يحظ أن يجده بعينه أو يجده له مثالا يفض من حسنه .

ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لعيري بت الحكم على شاعر بالسرقة . وقد أحسن أحد بن أبي طاهر في محاجة البحترى لما ادعى السرقة في قوله : -

« والشعر ظهر طريق أنت راكبه فنه منشعب أو غير منشعب

وربما ضم بين الرك منجه وألصق الطنب العالى على الطنب »

فاذا شئت أن نمثل لك من شعر ابن زيدون بما يؤيد هذا الرأي، عرضنا لك نخبة موجزة من أقوال رجال البيان في بعض المعاني التي طرقها ابن زيدون . قال معاوية: « السرو التغافل » وقال المتنبي : « ليس العبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي » وقال زهير :

«ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم»

وقال بشار :

« إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأىّ اللاس تصفو مشاريه
فعمش واحدا، أوصل أحاك، فانه مقارو ذنب صرة ومجانبه »

وقال أحد الشعراء :

« ومن يتنع جاهدا كل عشرة يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب »
وول آخر :

« اقبل معاذير من يأتيك معذرا ان برّ عندك فيما قال أو جفرا
فقد أجلاك من أرضاك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا »

الى آخر ما قالوه في هذا المعنى وهو كثير مجتزئ منه بما ذكرنا ، فهل ترى في كل ما قالوه أروع من قول ابن زيدون :

« إن السيادة بالأغضاء لا بسنة بهاءها وجمال الحسن في الخفر »

ألا ترى أن فن ابن زيدون قد غلب فنون هؤلاء المحول الأفاذ وتدوّق عليهم في هذه الصورة الرائعة ؟

وانظر الى ذلك البيت الرائع الذي طالما تغنينا به وحسبنا فائله قد تخطى به درجات الكمال والابداع حين قال :

« يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظرا »

وقد أخذه ابن الرومي فقال في «وحيد» المغنية :

« ليت شعري ، إذا أعاد الينا ككرة الطرف مسدىً ومعيد
أهى شىء لا تسأم العين منه ؟ أم لها كل ساعة تجديد ؟
بل هى العيش لا يزال - متى استع - رض - يلى غرائبها ويفيد »

انظر كيف تلتطف ابن زيدون فى نظمه وتحويره اذ فى أى صورة مشرقة بالحياة رائعة الحسن
صاغه ذلك الشاعر العقرى فقال :

« حسن أهاين لم تستوف أعيننا غاياته بأفانين من النظر . »

ومن اليسير على كل انسان أن يقرّر أن حبيبه قد هجره وأنه لا يزال باقيا على عهده .
ولكنه ليس من اليسير عليه أن يؤدى هذا المعنى كما أدّاه المجنون يقول :

« وأدبتنى حتى اذا ماقتنى بقول يحل المصم سهل الأباطح

تناءيت عنى حين لالى حيلة وغادرت ماغادرت بين الجوانح »

ولا أن يقول مثل قوله أيضا :

« أليس وعدتني ياقلب أنى اذا ما تبّت عن لىلى تتوب

فها أما تائب عن حب لىلى فمالك كلما ذكرت تدوب . »

أو يقول كما قال ابن زيدون :

« كان التجارى بمحص الودّ مذمّ من ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا »

فالآن أحمد ما كنا لهمدكو سلوتم وبقينا نحن عشاقا (١) ؟ »

تلك صور فية تنخلع دوهها الرقاب ولا يحسن أن يقولها إلا شاعر فنى موهوب ، ولا تزال
أهمّات المعانى كأصول لأنواع لا تكاد تختلف فى جلتها وان اختلفت فى دقائقها وتفصيلها ، وانك
لترى ألف حسناء فترى فى وجه كل منهم ملاحظة من الحسن لا توجد فى الأخرى ، ولا يزال
الرسام يتفنن فى التعبير عن أسارير الوجوه ويبدع ماشاء ابداعه ، ولا يزال اللحن الواحد يؤديه
ألف مغن بارع فتحس نفسك لكل صوت سحرا خاصا يختلف عن الآخر .

وماز يد أن نخصّ ابن زيدون بالابداع فى كل معانيه دون سائر الشعراء ، فقد تختلف عنهم
وقصر فى بعض قصائده كما يقصر النحول أحيانا . الشعر كما يقول ابن الرومى كالشجر :

« ركب فيه اللحاء والحشب اليا بس والشرك بينه الثمر . »

ولكن الاصاف يقضى عليك - إذا تصدّيت للتفضيل بين الشعراء - أن تقارن بين روايتهم
وبدائعهم ، أما ما يقولونه عفو الخاطر ، أو فى ساعات الكلال والضعف ، فليست جديرا أن تحكم به
على شاعر يتهم ، فقد تخرج الشجرة الممتازة - إلى ثمارها الشهية الغضة - ثمرة جفة فلا ينقص ذلك
من قيمتها . وما نريد أن نتنصر لابن زيدون وأن نمدحه ولا نكسا نريد أن ننصفه ولا نظامه .

(١) هأت ذاترى صورتين رائعتين لمعنى واحد ، هل تستطيع أن تعمل إحداهما عن الأخرى ؟ ألا ترى
أن كل واحدة من هاتين الصورتين مستقلة عن الأخرى وكل الاستقلال وإن كانتا تمبران عن معنى واحد ؟
الأخرى إلى الصديق الذى يتمثل فى كل صورة بينهما ؟ أليست كل واحدة من هاتين الصورتين ملكا
للشاعر لا ينازع فيها الآخر ؟

لانكاد تقرأ تاريخ ابن زيدون في أى كتاب من كتب الأدب وتصل إلى هذا الفصل من تاريخ حياته - حتى تقرأ هذه الجملة بنصها أو معناها .

« ثم سجنه ابن جهور لسبب وشاية أعداء ابن زيدون به » .
 ولكن كيف وثى به أعداؤه فأحفظوا عليه قلب ابن جهور وأى وشاية هي ؟ ذلك ما يقف أمامه ، وورخو الأدب من غير أن يتعرفوا له حلا .

وقد حاول بعضهم أن يعلل ذلك بانغماس ابن زيدون في حب ولادة وقلوا ان ابن عبدوس وأخزابه وشوا به عند ابن جهور فسجنه لأن أبا الحزم بن جهور - في زعمهم - رجل ورع يؤثر القوى والزهد ولا يقبل أن يرى إلى جاسه خليعا ماجنا كإبن زيدون ، ونسى هذا الفريق من مؤرخى الآداب أن ابن عبدوس نفسه كان - بمسما في حب ولادة وكان أكثر من ابن زيدون خلاعة ومجونا إن كان لابد من هذا التعبير الذى ارتضاه وورخو الآداب ، فليس من الانصاف أن يطلق اسم الماسجن المستهتر على مثل ابن زيدون ، فقد كان اذا قورن بغيره من شعراء عصره وشعراء العصور الأخرى أبعد عن هذه الصفة انى ألقها به . وورخو الآداب ، ولم يكن أبو الحزم بن جهور - تا مبتلا ورعا منقشفا كما حاولوا أن يقعوننا به ، فقد كسر دنان الخمر حين ولّى أمور الناس ، وهذا يدل على حزم وبعد نظر ولا يدل على تقشف وزهد وورع .

وما كان أبو الحزم ليسىء الى وزيره الذى خاض إلى جانبه نار الثورة القرطبية وكان يلهبها بلاغته ويعذيها ببيانه والذى كان لا يستغنى عنه أبو الحزم بن جهور ، تقول ليس أبو الحزم الذكى الأريب - الذى شاد ملكا موطد الأساس بين الزعازع والفتن - من العفلة بحيث يأبه لأمثال هذه الصغائر ، انما كان يعنى أبا الحزم بن جهور أن يثبت ملكه ولا يعنيه بعد ذلك أن يكون ابن زيدون ملاكا طاهرا أو شيطانا فاجرا .

واقعد سجن ابن زيدون وزير ابن جهور وكان معرضا للقتل وسجن ابن عمار وزير المعتمد وقتل وسجن غيرهما من الأدباء والشعراء الذين استوزرهم ملوك الطوائف ، فاذا شئت أن تبحث عن أسباب سجنهم وقتل أكثرهم ، فلن تجد لذلك الاسببا واحدا وتهمة لا يتعداها من شاء أن يدس أو يكيدهم وهي التهمة التى تعنى ملوك الطوائف وتقص مضاجعهم وتنسبهم كل يد أسلفت إليهم ، هذه التهمة هي التآمر على قلب الملك والطمع فيه .

ولقد كان ابن عمار أخلص صديق للمعتمد وكان المقرّب الأمين عنده وكان أعزّ عليه من نفسه على حد تعبير المعتمد ، ولكنه طمع فى الملك فنسى المعتمد كل شيء الا سجنه وقتله والانتقام منه .

ولم تأخذ المعتضد رجة بأحد أولاده حين عرف أنه يطمع فى ملكه ، فقتله حنقا عليه .

ولقد كان ابن زيدون شاباً في مقتبل عمره وكان قريب عهد بالثورة التي دعا إليها آل جهور . وكان أقرب شيء إلى هذه النفس الشابة الفتية المتوقدة عزماً وهمة ، والتي ظفرت بالوزارة في مستهل حياتها السياسية أن تطمح إلى ما هو أبعد من الوزارة .

وقد كان ابن زيدون كثير السفارات وكان موقفاً محبوباً من ملوك الطوائف ذائع الشهرة في عصره ، وكان قوياً شديداً النكاية والسخرية بخصوصه ، ولم يكن لهم طريق يسلكونها للانتقام منه إلا الكيد له - على أسلوب ذلك العصر - عند ابن جهور بأنه غير مخلص لعهد ولا أمين لأمره .

وما نرى ابن زيدون من تهمة التآمر فإنه هو نفسه لم يتصل منها اتصالاً واضحاً صريحاً ، بل نحن لانرى في تصديقها حرجاً فقد كانت الظواهر كلها تؤيدها ولا تنفيها .

ولقد فرّ ابن زيدون من سجن أبي الحزم ثم عاد بعد وفاته إلى ابنه أبي الوليد وبذل له النصيحة كما بذل لأبيه ، وطفّر عنده بأعلى مكانة ، ولكن تهمة ذلك العصر فرت به من جديد وكاد - لولا فراره - يسجن من جديد ويقضى بقية عمره في السجن .

وقد اتصل بالمتعصّد وحاول خصومه أن يدسوا له فلم يفلحوا ولمامات المتعصّد أعادوا الكرة وأرادوا أن يغيروا عليه قلب المتعصّد فأخفقوا ، وقرعهم المتعصّد أشدّ تقرّيع وما زال ابن زيدون الوفيّ الأمين المخلص للمتعمّد ، حتى قربت منيته وقرب نجاح أعدائه في تغيير قلب المتعمّد عليه ، ولوطال عمره قليلاً لأصابه من نكال المتعمّد وانتقامه ما أصابه من أبي الحزم وما كاد يصيبه من أبي الوليد بن جهور . ولكن المنية أنقذته من شرورهم وأحقادهم كما أسلفنا . على أن سجن ابن زيدون قد ترك في نفسه الفتية الوثابة أثراً لا يوصف . وألمه الحكمة والأناة والصبر وعلمه مداراة الناس ومجاملة الخصوم ، وأقنعه بأن معاداة الرجال غير مأمونة العواقب وأن السهام « قلما اعتورت غرضاً إلا كلته حتى يهي ما شدت من قوته » فلم يدخر جهداً فيما بعد في اكتساب رضی العامة والخاصة ، حتى أحوه - إلا القليل ممن دفعهم الحسد والغيرة وهؤلاء لا حيلة لأحد في اكتساب رضاهم وسل سخائمهم واحقادهم - وقد مات فسكاه أهل أشبيلية وجزعت لفقده جبهة معاصريه . ولا تزال أشعاره ورسائله التي نظمها في سجنه آيات فذة من البيان العالی والشعر الممجز . ولا زال قوله :

« لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة
أنى معنى الأمانى ضائع الخطر
أم الكسوف لغير الشمس والقمر »
وقوله :

« ولا يغبط الأعداء كوني في السجن
وما كنت إلا الصارم العضب في جفن
فانى رأيت الشمس تحصن بالدجن
أواليث في غاب أو الصقر في وكن
أو العلق يخفي في الصوار ويخبأ »

إلى آخر هذه القصائد الفذة التي كتب لها الخلود . مثلاً عالياً للشعر الرائع والبيان الساحر

حساد ابن زيدون

كان من الطبيعي أن يلقى أديب مثقف وشاعر مجيد وسياسي مدرّب كابن زيدون - وصل في مستقبل شبابه الى أرقى الدرجات - كثيرا من المنافسين والحساد ينقمون على أدبه وتقوّقه ويفارون من تقربّه الى الملوك الذين أكبّروا فضله وأدبه فقرّبوه منهم وحاطوه برعايتهم، وقد لقي ابن زيدون في قرطبة جماعة من المنافسين وعلى رأسهم الوزير الأديب أبو عامر بن عبدوس ، فكادوا له حتى أحفظوا عليه أبا الحزم جهور فسجنه كما أشرنا الى ذلك في فصل سابق . ثم فرّ من السجن وعاد فانصل بأبي الوليد بن أبي الحزم ، فلم ينقطع كيد المنافسين حتى غيروا عليه قلب الابن كما غيروا عليه قلب أبيه من قبل ، ففرّ ابن زيدون خوفا من السجن ومازال يتنقل بين ملوك الطوائف حتى استقرّ به السوى في اشبيلية فلقى من كيد الحساد وعنتهم مثل مالقي في قرطبة ، ولكن مدائح الخالدة التي مدح بها المعتضد والتي تعدّ من مفاخر الشعر العربي وروائعه ، وحسن سياسة ابن زيدون وبعدها نظر المعتضد تغلّت على كيد المنافسين وأرغمت أنوفهم وأحلتها في المكان الأوّل كما يقول من قصيدة رائعة :

« وأرغم في برى أنوف عصابة لقاؤهم جهم وأعينهم شزر »

« اذا ما اثنى في الدست عاقد حبوة وفام سباطا حفله فلى الصدر »

فلما مات المعتضد أعادوا الكرة وجعوا جوعهم للكيد له عند المعتمد ولكن المعتمد صدّهم أشنع صدّ وقربّه اليه ، فلم ينس له ابن زيدون هذه اليد وفي ذلك يقول :

« يطيل العدا فيّ التناجي خفية يقولون لا تستفت قد قضى الأمر »

ثم ما زالوا يكيدون له حتى أقصوه عن قرطبة الى اشبيلية منتهزين فرصة مرضه فسار اليها مرغما حيث لقي حتفه . وأفلح كيد ابن عمار وأصحابه في التخلص من منافسة ابن زيدون . ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده في أبي الحزم وأبي الوليد والمعتضد والمعتمد من الشكوى الصارخة من كيد الحساد الذين تطوّعوا لا يذائه وأرهقوه بدسائسهم المنوالية ، والحسد داء قديم وكم لقي الأدباء والشعراء الممتازون منه ما نعص عليهم حياتهم وأقض مضاجعهم .

وقد لقي المتنبي قبله في مجلس سيف الدولة من حسد أبي فراس وابن خالويه ، ثم لقي عند كافور الاخشيدى من حسد ابن حنزابه ، ثم لقي في بغداد من حسد الوزير المهلبى الذي أغرى به الشعراء والأدباء كالحاتمي وابن سكرة وغيرهما ، ما أقلق باله وفاده الى حتفه .

وقد كان يبلغ المتنبي بعد أن ترك سيف الدولة تشنيع حساده به عنده ، فيقول :

« رأيتم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللابن

جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل غريب عنكم ضغن . »

الى آخر ما قال .

وكان يبلغ ابن زيدون عن ابن جهور بعد اتصاله بالمتضد ما يسوءه في نفسه وقرابته بقرطبة فيقول :

« بنى جهور أحرقتم بجفائكم فؤادى فابال المدائح تعبق
تعدوتنى كالغبر الورد إنما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق »

وقوله :

« قل للوزير وقد قطعت بمدحه لا تخش في حقى بما أمضيته
لم تخط في أمرى الصواب موقفا هذا جزاء الشاعر الكذاب . »

وقوله :

« من مبلغ عنى البلاد اذا نبت أن لست للنفس الألوفا بياخع
أما الهوان فصنت عنه صفحة أغشى بها حدّ الزمان الشارع
فليرغم الحظ المولى أنه ولّى فلم أتبعه خطوة تابع
ان العنى هو القناعة لا الذى يشتف نطفة ماء وجه القانع »

الى آخر ما قال .

وقد كان لهذه المافاتات أثرها العظيم في اجادة الشعارين واطهار أروع ما افلاه من الشعر، وصدق القائل :

« لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود »

وما كاد المعتمد يتولى الأمر بعد أبيه المتضد حتى نشط الدساسون والمفسدون لمحاربة ابن زيدون فرموا اليه برقعة فيها قصيدة طويلة أولها :

« يأبها الملك العلى الأعظم اقطع ويريدى كل باغ ينثم

واقسم بسيفك داء كل منافق ييدى الجليل وضد ذلك يكتم »

فكان رد المعتمد على ذلك قوله :

« كذبت مناكم صرّحوا أو ججموا الدين أمتن والسجية أكرم

ختم وريتم أن نخون ، وربما حاوتم أن يستخف يامل (١) . »

(١) وفيها يقول

« وأردتم تضيق صدر لم يضق والسر في ثمر الحور تعظم
وزحقتكم - بمحالككم - لجرب مازال يثبت له حال فيهمزم
أنى رجوتم غدر من جربتم منه الوفا . وظلم من لا يظلم
أنا لكم لا الفى يشر غرسه عندى ولا مى الصيغة يهدم
كفوا . والافارقبوا لى بطشه يلقى السفية بمثلها ويحلم »

وقد عرف ابن زيدون كيف يشكر له هذه اليد في قصيدته الرائعة التي يقول فيها :
 « وأرى المساعي كالسيوف تبادرت وأرى المضاء ، فنثن ومصم
 ولكم تسامى بالرفيع نصابه خطر ، فناصبه الوضع الألام »
 وفيها يقول ويبدع :

« قل للبعاة المنبضين قسيهم سترون من تصميه تلك الأسهم
 أسررتهم ، فرأى نجي عيوبكم شيخان ، مدلول عليها ملهم
 وعبأتم - للفسق - ظفر سعاية لم يعدكم أن ردّ وهو مقلّم
 ونبذتم التقوى وراء ظهوركم فعدا ببيضكم التقيّ الأكرم
 ما كان حلم « محمد » ليحيله - عن عهد - دغل الضمير مذم «
 وفيها يقول بعد أن أغراء بأعدائه :

« فرق عوت ، فزأرت زأرة زاجر راع الكليب بها السبنتي الضيغم
 ياليت شعري هل يعود سفههم أم قد حماء النوح ذاك المكهم
 لي منك - فليذب الحسود تلظايا - لطف المكانة والمحلّ الأكرم
 وشفوف حظ ليس يفتأ يجتلي غض الشباب وكل حظ يهرم . »
 الى آخر هذه القصيدة الرائعة :

وقاما تخلو قصيدة من قصائده من مناسبة يخلقها خلقا ، ويتطرق منها الى الشكوى والألم
 من حساده ومنافسيه وما لقيه من كيدهم وعنتهم .
 ومن أروع ما قاله في ذلك ، قوله من قصيدة :
 « كان الوشاة وقد منيت بأفكهم أساط يعقوب وكنت الدنيا »
 الى أن قال :
 « أنا سيفك الصديء الذي مهما تشأ تعد الصقال اليه والتذريا »
 وقوله :

« ايه «أبا الحزم» اهتل غرّة ألسنة الشكر عليها فصاح
 لا طاربي حظ إلى غاية ان لم أكن مك سر يش الجناح
 عتباك - بعد العتب - أمنية مالي على الدهر سواها اقتراح
 لم يشنني عن أمل ماجرى قد يرقع الخرق وتؤسى الجراح »

وقوله :
 « ماجال بعدك لحظي في سنا القمر إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر »
 إلى أن قال :

« حسن أفانين لم تستوف أعيننا غايانه بأفانين من النظر . »

إلى أن قال :

«من يسأل الناس عن حالي ، فشاهدتها لم تطو برد شبابي ككبرة وأرى قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كتب ها انها لوعة في الصدر فادحة لا يهنئ الشامت المراتح خاطره هل الرياح بنجم الأرض عاصفة ؟ إن طال في السجن إيداعى فلا عجب وان يثبط - « أبا الحزم » الرضى - قدر ما للذنوب - التي جاني ككائرها من لم أزل من تأنيبه على ثقة إلى أن قال :

« لائله عنى فلم أسألك معذفا واستوفر الحظ من نصح وصاغية هبني أسأت فكان العلق سيئة ان السيادة بالأغضاء لابسة

وقال :

« ولو أننى أسطيع كى أرضى العدا شريت ببعض الحلم حظا من الجهل . » إلى أن قال :

« جواد إذا استنّ الجياد الى مدى توى صافنا فى مرىبط اهلون يشتكى إلى أن قال :

« أعدك للجلى وأمل أن أرى

ثم قال :

« أئن زعم الواشون ما ليس مزعما وأصدى إلى إسعافك السانغ الجنى * ولو أننى واقعت عمدا خطيئة فلم أسترحب « الفجار » ولم أطع وانظر إلى قوله :

« فديتك كم ألقى العواغر من عدا عفا عنهم قدرى الرفيع فأهجرؤا قراهم - لسيران الفساد - ثقاب وبانهم خلقى الجيمل فعابوا »

وقد تسمع الليث الجحاش نهيقها وتعلو إلى البدر النباح كلاب
 إذا راق حسن الروض أوفاح طيبه فما ضره أن ظن فيه ذباب . «
 إلى أن قال :

« فأنت الحسام العضب أصدى منته وعطل منه مضرب وذباب
 وما السيف مما يستبان مضاهه إذا حاز جفن حده وقراب . «
 وقوله :

« لا تستجز وضع قدرى بعد رفعه فإله لا يرفع القدر الذي تضع . «
 إلى أن قال :

« ظن العدا إذ أغبت - أنها انقطعت هيهات ليس لمد البحر منقطع
 لا بأس بالأمر - ان ساءت مبادئه نفس الشقيق - إذا ما سرت الرجوع . «
 إلى أن قال :

« ككم غرة لي تلقها قلوبهم كما تلقى شهاب الموقد الشمع
 إذا تأملت حبي عتب غشهم لم يخف من فلق الاصبح منصدع
 تلك العرايين لم يصلح لها شم فمكان أهون ما نلت به الجدع
 أودعت نعامك منهم شر مفترس لن يكرم الفرس حتى تكرم البقع
 لا زال جدك بالاعداء يصرعهم ان كان بين جدود الناس مصطرع»

وما أروع قوله معذرا عن هجره ابن جهور : « وهو يرى ويسمع أن بالحضرة قوما لا يحصرهم
 العدا ، تحتمل سقطاتهم وتعترف هفواتهم وتقال عثراتهم وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة الا ساركتهم
 فيها ولا يمنون بذريعة ينفردون دوني بها» الخ .

وقوله :

« أرى نبوة لم أدر سرّ اعتراضها وقد كان يجلو عارض الهم أن أدرى
 جفاء هو الليل ادلهم ظلامه فلا كوكب للغدر في أفقه يسرى
 هب العزل أضحى للولاية غاية فما غاية الموفى من الظلّ أن يكرى
 فتيم أرى ردّ السلام إشارة تسوغ بي ازراء من شاء أن يزرى
 أناس هم أضحى للذعة مقولى إذا لم يكن مما فعلت لهم مضر»

وقوله :

« ألا هل أتى القتيان أن فتاهم فريسة من يعدو ونهزة من يسطو
 وأن الجواد الفائت الشاؤ صافن تخونه شكل وأزرى به ربط
 وأن الحسام العضب ثاو بجفنه وماذم من غريبه قدّ ولا قط»

وقوله :

« مئون من الأيام خمس قطعها أسيرا ، وان لم يبد شد ولا قط . »

وقال :

« وما زال يدنيني ، ويثني قبوله هوى سرف منه وصاغية فرط . »

وقال :

« عدا سمعه عنى فأصغى الى عدا لهم في أدبى كلما استمكنوا عط
بلغت المنى إذ قصروا فقاوبهم مكان أحقاد أسودها رقط . »

وقوله :

« ومثلى قد تهفوه نشوة الصبا ومثلك قد يهفو ، ومالك من مثل
وانى لتهانى نهائى عن التى أشاد بها الواشى ويعقلنى عقلى . »

الى أن قال :

« وما كنت بالمهدى الى السودد الخنا ولا بالمسء القول فى الحسن الفعل . »

الى أن قال :

« هى النعل زلت بى ، فهل أنت مكذب لقليل الأعادى انها زلة الحسل . »

الى أن قال :

« ألا إن ظنى - بين فعليك - واقف وقوف الهوى بين القطيعة والوصل . »

الى أن قال :

« وأين جواب عنك ترضى به العلاء اذا سألتنى بعد السنة الحفل . »

إلى آخر ما أبدعته هذه العبقرية الجبارة ، من الافتتان البارع ، فى صورها الشعرية التى لاتسامى .

تمرت شتى الحوادث بالإنسان فینساها ولا تكاد تترك في نفسه أثرًا يذكر ، على أن لبعض الحوادث أثرًا لا يمحي ، حيث تمر الأيام والشهور والسنون وهو باق في ذهنه يؤثر فيه أعمق الأثر ، ويطبع نفسه بطابع خاص ، ومن الحوادث التي أثرت في نفس ابن زيدون وشعره ونثره أكبر الأثر ، حادثان : حب ولادة . وحبسه زهاء عامين .

فأما حب ولادة فقد ألط نفسه إلهاباً وأكسبها شاعرية خصبة ففاضت بأعذب الشعر وأبدعت في ضروب الغزل ماشاء لها أن تبعد ، وأخرجت لنا أروع قصائده الغزلية ، وألهمته أسمى ألوان الحيال العالی والغزل الرقيق . كقوله :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك »

وقوله :

«أما منى نفسى ، فأنت جيعها ياليتنى أصبحت بعض منك
يدنو بوصولك حين شط مزاره وهم أ كاد به أقبل فاك »

وقوله :

« كان التجارى بمحض الودّ مذ زمن ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعمهدكم سلوتم وبقينا نحن عشاقا »
وقوله في نفس القصيدة :

« لا سكن الله قلبا عن ذكركم فلم يطربجناح الشوق خفاقا »

وقوله من قصيدة أخرى :

« ياليل طل ، لأشتهى إلا بوصول قصرك »
« لو كان عندي قرى مابت أرعى قصرك »

وقوله :

« بينى وبينك ما لو شئت لم يضع سر اذا ذاعت الأمرار لم يدع »

وقوله :

« بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت ما قينا »
إلى أن يقول :

« ما حقنا أن تقرأوا عين ذى حسد بنا ولا أن تسروا كاشحا قينا »
« غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينا »
« فأنحل ما كان معقودا بأنفسنا وأنبت ما كان موصولا بأيدينا »

وقوله :

« لاستجدن - فى عشق لها - زمنا ينسى سواف أيامى وأزمانى »

حتى تكون لمن أحببت غائبة - في حجابها - كفرا بإيمان «
وقوله :

حسب المتيم انه قد أحسنا
أبديته - أخفى وعذرى أيننا
ودعوت - من حنق - عليك فأمننا
واقعد تغرّ المرء بارقة المنى «

« إن ساء فعلك بي ، فما ذنبي أنا ؟
لم أسئل حتى كان عذرك - في الذي
واقعد شكوتك - بالضمير - الى الهوى
منيت نفسي - من وفائك - ضالة

وقوله :

أناديك - لما عيل صبري - فاسمعي
حريقا بأنفاسي ، غريقا بأدمعي
جعلت الردى منه بمرأى ومسمع
حقيقة حالي ، ثم ماشئت فاصنعي «

« أغائبة - عني وحاضرة ممي
أفي الحق أن أشقى بحمك أو أرى
ألا عطفة تحيا بها نفس عاشق ؟
صليني - بعض الوصل - حتى تبيني

وقوله :

لو أتى أشكو إلى من يرحم

« قد كان - في شكوى الصابية - راحة

وقوله :

ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
- في صدر كل عدو - جرة الحسد
ولا يضع لك عهد آخر الأبد
غضضت طرفي فلم أنظر الى أحد «

« لما اتصلت اتصال الحب بالكبد
ساء الوشاة مكاني منك واتهدت
فليسخط الناس لأهدد الرضى لهم
لواستطعت - اذا ما كنت غائبة -

وقوله :

التذ عنه خير
فقال : « لا . بل عذرك »

« ياليل خير : اني
بالله قل لي : هل وفي ؟

وقوله :

لأكتفين بسماع الحسبر
ب فحسبي تسلية تختصر
ة ، وقد يستدام الهوى بالحذر
سيحظي - بنيل المنى - من صبر «

« لئن فاتني منك حظ النظر
وان عرضت غفلة للرقية
أحاذر أن تتظني الوشا
واصبر مستيقنا انه

وقوله :

وبلغت - من ظلمي - المدى
- من حبك القلب افتدى
- مذحلت - أيقن بالردى

« أشمت بي فيك العدا
لو كان يملك فدية
كنت الحياة لعاشق



لم يسئل عنك ولو سئلا لعذرتك ، فبك اقتدى «

وقوله :

أرسلتى - فى أحاديث الهوى - مثلا
الا خلعت عليها - بالضنى - حلالا
وليكف طرفك انى بعض من قتل
لا أقض ما عشت سلوانا ولا مللا
وجه السرور به جذلان مقبلا
يهدى الى - تفاريق المنى - جلا
بلغت يا أملى - من دهرى الأمل «

« أبديتلى - من أفانين القلى - عبرا
لم تبق جارحة بالهجر من جسدى
فليغن كفك انى بعض من ملكت
واقض ماشئت - من هجر ومن صلة -
سقى لعهدك والأيام تقبلنى
إذ الزمان بليغ فى مساء - سدتى
ان كان لى أمل الا رضاك فلا

وقوله :

فكما قيل فيه : « قد قضى » تابا
- يوم الزيارة - أن القلب قد ذابا
فان أكله عنكم سلوة يابى
لا عذب الله الا عاشقا تابا «

« انى لأعجب من شوق يطاولى
كم نظرة لك فى عينى علمت بها
قلب يطيل مقاماتى لطاعتكم -
ماتوبتى بنصوح - من محبتكم

وقوله :

تدار علينا - للجون - مدام
ترف وامواه السرور جام
يشب لها - بين الضلوع - غرام
دموع كما خان الفريد نظام
اذا هز للخطب الملم - حسام . «

« معاهد هو لم تزل فى ظلالها
زمان رياض العيش خضر نواضر
فان بان منى عهدا ، فلوعة
تذكرت أيامى بها فتادرت
وصحبة قوم كالمصايح كلهم

الى أن قال :

« محل غنينا بالتصاى خلاله فأسعدنا ، والحادثات نيام

فما لحقت تلك اللبائى ملامة ولا ذم - من ذاك الحبيب - ذمام «

وقوله : وهو بطليوس من قصيدة رائعة :

« إن قرت العين بأن أهوبا لم آل أن أسترضى الغضوبا

حسبى ان أحرم الغيبا قد يدفع المذنب أن يتوبا «

وقوله :

هيهات كيد الهوى يستهلك الحذرا
هل يستطيع فتى أن يدفع القدرا «

« لم ينجنى منك ما استشعرت من حذر
ما كان حبك الا فتة قدرت

وقوله :

« ما الذى ضرك لو سمر بمراك الحزين

وقوله :

ماضر لو أنك لى راحم
يهنيك يا سؤلى ويا بغيتى
تضحك فى الحب وأبكى أنا
أقول لما طار عنى الكرى
يانأما أيقظنى حــــه
وعلى أنت بها عالم
انك مما أشتكى سالم
الله - فيما بيننا - حاكم
قول معنى قلبه هائم
هب لى رقدا أيها اللائم «

وقوله :

« هلاجعلت - فدتك نفسى غاية
لا تفسدن ما قد تأكد بيننا
حاشاك من تضييع ألف وسيلة
ان أجنه خطأ فقد عاقبتنى
للعتب أباغها بجهد الجاهد
- من صالح - خطرات ظن فاسد
شجى العدو لها بذنب واحد
ظاهما بأبلغ من عقاب العامد «

وقوله :

« علام اطستك دواعى القلى ؟
ألم الزم الصبر كيا أحف ؟
ألم أرض منك بغير الرضى
ألم اغتقر موبقات الذنوب
وما ساء ظنى فى أن يسىء
على حين أصبحت حسب الضمير
وصانك منى وفى أبى
وفيم ثنتك نواهى العذل ؟
ألم أكثر الهجر كى لأمل ؟
وأبدى السرور بما لم أنل ؟
بعمدا أتيت بها أم زلل ؟
بى الفعل حسنك حتى فعل
ولم تنغ منك الأمانى بدل
لعلق العلاقة أن يبتذل «

وقوله :

« عليك السلام سلام الوداع
وما باختيار تسليت عنك
ولم يدر قلبى كيف النزوع
إلى آخر هذه القصيدة التى تحلق بك فى جو العباس بن الأحنف ، حتى ليخيل إليك أنها
من شعره قد ألحقها بديوانه الحافل بهذه الروح الحائرة القلقة .

« يامن غدوت به فى الناس مشتهرا
قلبي عليك يقاسى الهمم والفكرا
إن غبت لم ألقى إنسانا يؤنسنى
وان حضرت فكل الناس قد حضرا «

وانظر إلى قوله وقد هاجته الذكرى الى قرطبة :

« سقى الله أطلال الأجنة بالحلي وعماك عليها ثوب وثمي منمنما
وأطلع فيها للأزاهير أنجما فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى
إذ العيش غض والزمان غلام »

وما أروع قوله في تلك الموشحة الساحرة :

« أهيم بجبار يعز وأخضع شذا المسك من أردانه يتضوع
إذا جئت أشكوه الجوى ليس يسمع فما أنا في شيء من الوصل أطمع
ولا أن يزور المقتلين منام »

الى أن يقول :

« فقل لزمان قد تولى نعيمه ورتت - على مر الليالي - رسومه
وكم رق فيه - بالعشى - نسيمه ، ولاحت - لسارى الليل فيه نجومه
عليك من الصب المشوق سلام »

وقوله في ذكرى قرطبة وولادة ومجالس أنسه :

« أقربطه العراء ، هل فيك مطمع وهل ككبد حرى لبيتك تنقع
وهل للياليك الجميدة مرجع إذ الحسن مرأى فيك واللهم مسمع
وإذ كنف الدنيا لديك موطأ »

« أليس عجيباً أن تشط النوى بك فأحيا كأن لم أنس ففح جنابك
ولم يلتئم شعبي خلال شعابك ولم يك خلقي بدؤه من ترابك
ولم يكتفنى - من نواحيك - منشأ »

الى أن يقول :

« معاهد أبكها لعهد تصرما أغض من الورد الجي وألعمنا
لسا الصا فيها حبرا منمنما وقدنا إلى اللذات جيشا عرصرما
له الأمن رده والعداوة مرأباً »

وقوله :

« إخواننا للواردين مصادر ولا أول إلا سيتلوه آخر
وإني لاعتاب الزمان لناظر فقد يستقيل الجد ، والجد عاثر
وتحمد عقي الأمر مازال يشناً »

وما أبدع قوله :

« وان بلادا هنت فيها لأهون ومن رام منلى بالدنية أدناً . »

الى آخر هذه القصائد الفذة التي يفخر بها الأدب العربي والبيان العربي . والتي كان
الباعث الأول على نظمها العجيب وصوغها المعجز هو حب ولادة .

قأما يظفر الانسان بأديب عربى يحمل لواء الزعامتين فى النظم والثر؁ فان أغلب مانشاهده أن يبدع الأديب فى أحد النوعين إبداعا يغطى على إبداعه فى الآخر؁ أما ابن زيدون فانك تقرأ نثره فلا تكاد تصدق أن شعره يتسامى إلى مثل هذه المرتبة العالية؁ فاذا عدت الى شعره أنسأك إبداعه روعة ما قرأت من نثره؁ وهكذا لا تكاد تقرأ قطعة مختارة من شعره أو نثره حتى تملأ نفسك بهجة وسرورا وينسيك سحرها كل شىء آخر . وليس من الانصاف أن نقول إنه شاعر ممتاز فحسب أو نأثر ممتاز فقط؁ وما أجدرنا أن ننصفه فنقول إنه زعيم من زعماء البيان العربى .

لقد قضى ابن زيدون حياته بين الـدرس والتحصيل والتجارب والاختار والاتصال بكبار ساسة عصره ودهاتهم؁ وصهر قلبه حبّ ولادة كما أسلفنا؁ وحنينه الى وطنه؁ وأثر فى نفسه الشاعرة الحساسة مامتازت به الأندلس من جمال التربة وصفاء الجوّ؁ ولقى من السعادة والتمتع بالحسن أشهى وأعدب مالمقى محبّ؁ ثم لقى من لوعة الصّد والهجران أشقى وأمرّ مالمقى إنسان : « حسن أفانين لم تستوف أعينا غايانه بأفانين من النظر »

ولقد نعم بصولجان السلطة والقوة حينما من الدهر ثم شقى بالسجن بين الأشرار والمجرمين زمانا غير قليل؁ ولقى من كيد المنافسين والحساد كما أسلفنا مالم يلقه أحد . فلا غرو أن تتصافر كل هذه العوامل القوية على خلق الشاعر العظيم . وأنت إذا درست أدب ابن زيدون دراسة مستفيضة رأيتة خليقا بأن يقول كما قال فيلسوف المغرب :

« ماسر فى هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندى من أخبارهم طرف »

ولقد ترى فى أدبه أمثلة من ثقافة المعرى وسعة اطلاعه وتمكنه من اللغة؁ ومحافظته على أساليبها؁ كما ترى فيه أمثلة من صناعة أبى تمام ونظم البحترى واسترسال ابن الرومى وقوة أداء المتبنى .

وإنك لتقرأ أ كثر غزله فيخيل اليك لسهولته أنك تحلق فى أجواء العباس بن الأحنف والشريف الرضى والمجنون؁ ثم تقرأ اخوانياته فيخيل اليك لاسترساله وافتتانه فى ضروب القول؁ أنك تقرأ ابن الرومى وهو يخاطب أبا القاسم التوزى بهمزيته المشهورة؁ ثم تقرأ رسائله فيخيل إليك أنك تقرأ رسائل الجاحظ فى براعة الاستخفاف والنهكم أو رسائل المعرى فى سعة الاحاطة وكثرة الاستشهاد؁ والولوع بالأمثال .

وقد كان ابن زيدون زعيم شعراء عصره فى الأندلس فلا غرو أن يكون أدبه أصدق مرآة يتجلى فيها أدب هذا العصر الزاهى وثقافته .

وقد كان يجمع - إلى حسن رويته - قوة الذاكرة وسرعة البديهة ، ولما يتفق لأديب عمق التفكير مع ذلاقة اللسان ، فقد روى صاحب نفع الطيب محدثنا عن ذلاقة ابن زيدون : أن ابنته توفيت ، وبعد الفراغ من دفنها ، وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليشكر لهم ، فقيل ، إبه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، قال الصفدي : « وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية » إلى أن قال - بعد أن قارن بينه وبين واصل بن عطاء في تجنبه الراء ، وأما ابن زيدون فأقول في حقه : « أقل ما كان في تلك الجنازة - وهو وزير - ألف رئيس ممن يتعين له أن يتشكر له ويضطر إلى ذلك فيحتاج في ذلك إلى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده :

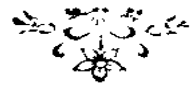
« ولكنه صوب العقول اذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحائب . »

ومهما كان في هذا الخبر من الاسراف ، فان بعضه كاف في الدلالة على فضله .

وكان ابن زيدون إلى ذلك إماما من أئمة عصره حتى قال بعض الأدباء فيه :

« من لبس البيضاء وتحنم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف » .

كامل كيلاني



في السجن .^(١)

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفيضة بالألم واللوعة والحزن ، وهو في السجن ، وبعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حفص بن برد »

مَا عَلَيَّ ظَنِّي بَاسٍ^(٢) يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَاسُو^(٣)
 رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرْءِ عَلَى الْأَمَالِ يَاسُ
 وَلَقَدْ يُنَجِّيكَ إِغْفَاءً لَوْ وَرُدَّ بِكَ^(٤) أَحْتِرَاسُ
 وَالْمَحَازِيرُ سِيَاهًا وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ^(٥)
 وَلَكُمْ أَجْدَى^(٦) قُعُودُ وَلَكُمْ أَكْدَى^(٧) التَّمَامُ
 وَكَذَا الدَّهْرُ^(٨) — إِذَا مَا عَزَّ نَاسٌ — ذَلَّ نَاسٌ
 وَبُنُو الْأَيَّامِ أَخِيَا فِ سِرَاةٍ وَخِسَاسُ^(٩)

(١) جاء في فرائد العقيان :

وله عند فقد الوفاء من ألافه ، يخاطب أبا حفص بن برد ، وقد حار ولم يجد هاديا ، وصار رهينا يرحو فاديا ، وعلم أن الناس متقلدون ، وعلى من انقلب الدهر متقلدون ، لا يديهم في الشدة إخاء ، ولا نعيمهم عن دوى الخطوة زهو ولا انتغاء .

ما على ظني باس يجرح الدهر ويأسو

قد ذكرت بترتيب يخالف هذا الترتيب الذي نقله عن نسختي الديوان .

(٢) ويروي : « ما على طي باس » . (٣) يداوى . (٤) وفي روايه : « وبؤذيك احتراس » (٥) جمع قوس : عن يعقوب وأبي عبيد فهو على فعال ، وأصله نواس نلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة ، يشاهده قول المائل :

« ووتر الأساور القياسا صفدية تنتزع الأنفاسا »

(٦) أغنى : أو أفاد . (٧) احقق ولم يفز — يقول : كثيرا ما يكون القعود عن المطلب سببا في نظير والفوز والسعي سببا في الاحفاق والحزمان ، وقد تهافت الشعراء على هذا المعنى كثيرا ، ومن أحسن اجاء فيه قول بن زريق :

والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت بي ألا إن بي المرء يصرعه

(٨) ورواية : « وكذا الحكم » .

(٩) الناس أخياف : أي مختلفون ، شريف وخسيس . قال أحد الأعراب : « الناس أخياف وشقي في الشيم »

١ — ابن زيدون

نَلْبَسُ الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ مُتَمَّةٌ ذَاكَ اللَّبَاسُ (١)
يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَأَ وَكَ فِي فَهَمِ إِيَّاسُ (٢)
مِنْ سَنَا (٣) رَأَيْكَ لِي فِي غَسَقِ (٤) الْخَطْبِ أَقْتِبَاسُ
وَوِدَادِي لَكَ نَصٌّ (٥) لَمْ يُخَالَفَهُ قِيَاسُ (٦)
أَنَا حَيْرَانُ وَإِلْمَرٍ وَضُوحٍ وَالتَّبَاسُ
مَا تَرَى فِي مَعْشَرِ حَا لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا (٧)
وَرَأُونِي سَامِرِيًّا (٨) يُتَّقَى مِنْهُ الْمَسَاسُ
أَذُوبٌ هَامَتْ بِلِحْمِي فَأَنْتِهَاسُ (٩) وَأَنْتِهَاسُ
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنِّ حَا لِي وَالذُّبُّ أَعْتِسَاسُ (١٠)

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .
(٢) هو القاضي إياس بن معاوية بن إياس المزني ولي القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يضرب به المثل في الألمية :

والألمى الذى يطن بك الظن كأن يد رأى وقد سماعا

ولياس هذا هو من عناء الحريري بقوله في المغامة السابعة « فاذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس ، وفراستي فراسة إياس » وعناه أبو تمام في قصيدته السينية نقوله :

اندمام عمر في سباحة حاتم في حلم أحنف في دكاء إياس

(٣) من سوء رأيك (٤) طلة (٥) النص : السند المقطوع صحته والتعيين على شيء ، وهو في عرف الفقهاء ، مقطوع صحته فلا يخالفه قياس ، وكأنه يقول : إن وداذى مسد إليك ، أو هو موقوف عليك ، أو متعين لك ، وقد استعمل الشاعر لفظي النص والقياس في السعير ، وهما من مصطلحات الفقهاء على عادته في ذلك ، وهو يشير بذلك إلى اصطلاح الفقهاء إذ يعتبرون النص والقياس من ما آخذ الأحكام الشرعية ، والأول صريح مط القرآن أو الحديث ، والثاني إلحاق فسيحة - لا نص فيها - بقضية أخرى منصوصة لاشتراكهما في علة حكم الأولى (٦) وفي رواية : القياس

(٧) حابوا (٨) السامري : عظيم من بني إسرائيل عبد العجل . قال الكشاف : عوقب في الدنيا بمقوبه لاشيء أظم منها وأوحش ، وذلك أنه منع من محالطة الناس منعاً كلياً ، وحرّم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواحهه وكل ما عايش الناس به بعضهم ، وإذا مسّ أحداً رجلاً أو امرأة حمّ الناس والمسوس ، فتعاضى الناس وتعاووه ، وكان يصيح في الناس « لا مساس » .

(٩) الانتهاس بالشين : الأحد بالأضراس ، وبالسين : الأخذ بمدم الأسنان ، وفي رواية : فانتهاش وانتهاش (١٠) طلب الصيد بالليل ، ومعنى الآيات أن أعداءه كالذئاب لا يتنون عن نهش لحمه ، متظاهرين بالتودد له والاشفاق عليه ، فهم يسألون عن حاله متجسسين ، كما يتجسس الذئب ليتعرف مواطن فريسته .

* *

إِنْ قَسَا الدَّهْرُ فَلَمَّا مِنْ الصَّخْرِ أَنْبِجَاسُ (١)
 وَأَنْ أَمْسَيْتُ مَجْبُوسًا فَلَلغَيْثِ أَحْتِبَاسُ
 يَلْبُدُ (٢) الْوَرْدُ السَّبْتِي وَلَهُ بَعْدُ أَفْتِرَاسُ

* *

فَتَأْمَلُ كَيْفَ يَنْشَى مُقَلَّةَ المَجْدِ النُّعَاسُ
 وَيُقْتُ الْمِسْكَ فِي التَّرْبِ بِ قِيُوطًا وَيُدَاسُ

* *

لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرْدًا إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ (٣)
 وَأَدِرْ ذِكْرِي كَأَسَا مَا أَمْتَطَتْ كَفَّكَ كَاسُ
 وَأَغْتَنِمُ صَفْوَ اللَّيَالِي إِنَّمَا العَيْشُ اخْتِلَاسُ
 وَعَسَى أَنْ يَسْمَحَ الدَّهْرُ رُ فَقَدْ طَالَ الشَّمَاسُ (٤)

(١) أى تشقق يفتح منه الماء ، وفى القرآن الكريم : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، » (٢) يلصق بالأرض ملازماً عريسه لا يبرحه . والورد من أسماء الأسد ، والسبتى الجرى ، ، ومنه فى صفة أبى لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قول الشاعر :
 حزى الله خيراً من إمام وبارك يد الله فى داك الأديم الممزق
 وما كب أحسى أن تكون وفاته بكفى سبتى أرق العين وطرق
 والسبتى النمر أيضاً ، وفى الدخيرة لابن بسام قوله : يلبد الورد السبتى البيت ، كقول النابغة :
 وقلت يا قوم ان الليث منقبص على برائنه لؤلؤة الغيارى
 وأخذته ابن الرومى فقال :

سكنت سكوناً كان وهناً لوثبة عماس كذاك الليث للوث يلبد

(٣) يقول : لا يكن عهدك كالورد فى سرعة الذبول ، فان عهدى دائم كالآس ، ويفسر هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

ولكننى شبهت بالورد عهدها وليس يدوم الورد والآس دائم

(٤) وفى رواية ثانية : « وقد طال التماس » ومعنى الرواية الأولى : أن عصيان الدهر وعمردة قد طالا .

ذكرى أيام الوصال^(١)

« كتب ابن زيدون هذه القصيدة الفذة ، يتحسر فيها على انقضاء أيام الوصال ويشكو فيها ما يحسه من الوجد المبرح والألم القاسي ، وقد بعث بها إلى حبيته «ولادة بنت المستكفي» أديبة الأندلس الفذة ، يسعظها ويتلف على أيام الوصال السابقة »

وَنَابَ ^(٢) عَن طَيْبٍ لَقِينَا بِجَافِينَا	أَضْحَى الثَّنَائِي بَدِيلًا مِّنْ تَدَانِينَا
حِينَ فَقَامَ بِنَا لِلْحَّيْنِ نَاعِينَا	أَلَا ^(٣) وَقَدْ حَانَ صَبِيحُ الْبَيْنِ صَبَحَنَا
حُزْنَا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْتَلِي وَيُبْلِينَا	مَنْ مُبْلَغُ الْمُلبِسِينَا بِاتِّزَاجِهِمْ
أُنْسًا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا	أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَا رَالَ يُضْحِكُنَا
بِأَنَّ نَقَصَ ^(٤) فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا	غِيظَ الْعِدَامِينَ تَسَاقِينَا الْهُوَى فَدَعَوْا
وَأُنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا	فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِينَا
فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا	وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا

(١) جاء في ولأند العتيان :

« ولم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ، ويباح دمه دونها ويهدر ، لسوء أثره في ملك قرطبة ووالها ، وقامح كان ينسبها إليه ووالها ، أحقدت بي جهور عليه ، وسددت أصدتهم إليه ، فلما يئس من لقاها ، وحجب عنه مجاها ، كتب إليها يستديم عهدا ، ويؤكد ودها ، ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه ، والامتحان الذي غشيه ، ويعلمها أنه ماسلا عنها بجمر ، ولا خبا ما بين صلوصه لها من ملتهب جمر ، وهي قصيدة ضربت في الابداع بهم ، وطلعت في كل خاطر ووهم ، ونزعت منزعا قصر عنه حيب وابن الجهم »

وقد عارض هذه القصيدة كثير من الشعراء - من قداما ، ومحدثين - وقد أثبتنا شيئا من ذلك في غير هذا المكان من الكتاب فليرجع إليه من شاء (٢) رواية الديوان « نان » .

(٣) لعة في هلا ، والحين الهلاك ، والمعنى هلا صبحنا الهلاك صبيحة يوم الفراق - كأن الهجر والموت في نظر الشاعر سيان مادام كلاهما بعده عمن يحبه ويهواه بل الموت أروح لأنه فراق اضطرار ، أما الهجر فانه عن اختيار (٤) غصّ بالما ، شرق به أو وقف في حلقه .

* *

يَالَيْتَ شِعْرِي وَلَمْ تُعْتَبِ^(١) أَعَادِيكُمْ
 لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ
 مَا حَقَّقْنَا أَنْ تُقْرُوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ
 هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَىٰ أَعَادِينَا
 رَأْيًا وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
 بِنَا وَلَا أَنْ تَسُرُّوا كَاشِحًا فِيْنَا

* *

كُنَّا نَرَىٰ الْيَأْسَ تُسَلِّبُنَا عَوَارِضُهُ
 بِنْتُمْ^(٢) وَبِنَا فَمَا أُبْتَلَتْ جَوَانِحُنَا
 نَكَادُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَامِرُنَا
 حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَغَدَّتْ
 إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا
 وَإِذْ هَصَرْنَا^(٦) فُنُونٌ^(٧) الْوَصْلِ دَانِيَةً
 لِيُسْقَى^(٨) عَهْدُكُمْ عَهْدُ السُّرُورِ فَمَا
 لَا تَحْسَبُوا تَأْيِيكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا
 وَقَدْ يَمْسِنَا فَمَا لِلْيَأْسِ يُغَيِّرُنَا^(٢)
 شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَا قِينَا
 يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَىٰ^(٤) لَوْلَا تَأْسَيْنَا^(٥)
 سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ يِيضًا لِيَالِينَا
 وَمَرَبِعُ اللَّهِ وَصَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
 قِطَافُهَا فَجَنِينَا مِنْهُ مَا شِينَا
 كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَا حِينَا
 إِنْ طَالَمَا غَيْرَ الثَّأْيِ الْمُحِبِّينَا

(١) أعتبه أعطاه العتي أي أراضه ، يقول : إننا لم نرض أعداءكم ، فهل أنتم كذلك لم ترضوا أعداءنا
 (٢) كنا نرى أن اليأس يسلب ، فما نال ، أسا منكم يزيدنا ولو طابكم ، وفي هذا المعنى يقول المجنون :

أليس وعدتي يا قلب اني إذا ماتبت عن ليلى تتوب
 بها أنا تائب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تذوب

(٣) بعدتم وبعدنا (٤) الحزن (٥) التعزى

(٦) هصر الفصن : إيمانه (٧) ضروبه وأنواعه أو الفنون جمع فنن ، وهو الفصن وما تشعب
 منه ، ففي اللسان (قال أبو الهيثم : الفنون تكون في الأغصان ، والأغصان تكون في الشب ، والشعب
 تكون في السوق) فكان الشاعر استعار للوصل أفنانا يهصرها أي يميلها إليه كلما أراد انتطاف زهرها ،
 واحتناء ثمرها (٨) أي سقياً لمهدكم عهد السرور أي بإبدال الثاني من الأول لتبيينه وتعريفه

وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ (١) أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

* * *

يَا سَارِي الْبَرْقِ غَادِ (٢) الْقَصْرَ وَأَسْقِ بِهِ
وَأَسْأَلُ هُنَالِكَ هَلْ عَنِّي (٣) تَذَكُّرُنَا
وَيَا نَسِيمِ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا
فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مُسَاعَفَةً (٤)

* * *

رَيْبُ مَلِكٍ كَانَ اللَّهُ أَنْشَأَهُ
أَوْ صَاغَهُ وَرِقًا (٦) مَحْضًا وَتَوَجَّهَهُ
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رِفَاهِيَةَ
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِلْرًا (٨) فِي أَكْلَتِهِ (٩)
كَأَنَّمَا أُثْبِتَتْ فِي صَحْنٍ وَجَنَّتِهِ
مِسْكًَا (٥) وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينًا
مِنْ نَاصِعِ التَّبْرِ إِبْدَاعًا وَتَحْسِينًا
تَوْمُ الْعُقُودِ وَأَدَمَتُهُ الْبَرَى لِينًا (٧)
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِينَا
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ تَعْمُودٌ أَوْ تَرِينًا (١٠)

(١) وفي رواية : « ما اطرت » اسجدت ، بدلا طريفا ، يقسم أنه ما استحدثت هوى حديدا بعد هوى أحببه ، (٢) باكره بالعمام أول النهار
(٣) هل شغل من بألفه مذكرنا كما شغلنا تذكره .
(٤) المآ في الزيارة أن تكون كل أسبوع ، والمقصود هنا القلة . يقول الشاعر :
لنا لم تنقاص الوصال من الدهر غنا ، ولكننا تقاضينا بالراح . فهل ترى الدهر — بعد هذا —
يسمعنا باللقاء ؟

(٥) ليس هذا المحبوب مخلوقا من طين أو تراب كسائر البشر كلا ، وإنما هو طينة من المسك ولا زال الشعراء المحبون يتغالون فيمن يحبون إلى الآن ، حتى قال بعضهم أخيرا لهوبته :
أنت روحانية لا تدعي أن هذا الحسن من طين وماه

(٦) فضه ، يريد أن الله أبدعه ناصع البياض وتوجهه بشعر ذهبي (٧) يقول إذا تلى آدته أي أمثله وشق حملها عليه (توم) أي لآلى العقود وجرحته (البرى) أي الخلاخيل ، وذلك لرفاهته
(٨) مرضعة (٩) جمع كلة : وهي ستر لرفيق يبقى من البعوض
(١٠) يعني أن جماله استعمار زهر الكواكب لتكون زينة له ، وتعموده من عيون حاسديه

مَا ضَرَّ أَنْ لَمْ نَكُنْ أَكْفَاءَهُ شَرَفًا وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَكَاثُفِنَا

* * *

يَا رَوْضَةَ طَالَمَا أَجْنَتُ لَوَاحِظُنَا وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَنَسْرِينَا
وَيَا حَيَاةَ تَمَلَّيْنَا ^(١) بِزَهْرَتَيْهَا مُنَى ضُرُوبًا وَلَدَاتٍ أَفَانِينَا
وَيَا نَعِيًّا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ ^(٢) فِي وَشِي ^(٣) نَعْمَى سَحْبِنَا ذَيْلُهُ حِينَا
لَسْنَا نُسَمِّيكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلِي عَنِ ذَاكَ يُغْنِينَا
إِذَا أَنْفَرَدْتَ وَمَا شُورِكْتَ فِي صِفَةٍ فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْدِينَا

* * *

يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبَدِنَا بِسِدْرَتَيْهَا وَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ زَقُومًا وَغَسَلِينَا
كَأَنَّكَ لَمْ نَبِتْ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ ^(٤) مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا
سِرَانٍ فِي خَاطِرِ الظَّالِمَاءِ يَكْنُمُنَا حَتَّى يَسْكَدَ لِسَانُ الصَّبِيحِ يُفْشِينَا ^(٥)
لَا غَرَوَ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ عَنْهُ النَّهْيَ وَتَرَكَنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا
إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

(١) تتما ونعمنا

(٢) نضرته وخفضه (٣) في نعمى كالثوب الصاق ذي الوشى أى النقش .

(٤) أنامه عما لم يش بنا

(٥) قال ابن بسام : وهو معنى مشهور وهو في الشعر كثير ، قال أبو الطيب :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنشى وبياض الصبح يفرى بي

على أن أبا الطيب أجاد وكرره في مواضع من شعره كقوله :

لأنلق إلا ليل من توأمله فالشمس نمامة والليل قواد

وكل من إلى هذا المعنى أشار ، فحوالى المثل دار ، وهو قولهم : « الليل أحق للويل »

قول : ولم تر في هذه المعاني التي ذكرها ابن بسام أدق وأظرف من قول ابن زيدون :

« سران في خاطر الظلماء » الخ

أَمَّا هَوَاكِ فَلَمْ تَعْدِي بِمَنْهَلِهِ
لَمْ تَجْفُ أَفْقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوْكَبُهُ
وَلَا اخْتِيَارًا تَجَبَّنَاهُ عَنْ كَثَبِ
نَأْسِي عَلَيْكَ إِذَا حُثَّتْ مُشَعْشَعَةً (١)
لَا كَوْسُ الرِّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا
دُومِي عَلَى الْعَهْدِ - مَا دُمْنَا - مُحَافِظَةً
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا
وَلَوْ صَبَاً (٥) نَحْوَنَا مِنْ عُلُومِ مَطْلَعِهِ
أَبِيكَ وَفَاءً - وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صَلَاةً -
وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَعْتِ بِهِ
عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامٌ اللَّهُ مَا بَقِيَتْ

شُرْبًا وَإِنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُظْمِينَا (١)
سَالِينَ عَنْهُ وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا
لَكِنْ عَدْتْنَا - عَلَى كُرْهِ - عَوَادِينَا (٢)
فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا
سِيمَا أَرْتِيَاحٍ وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِينَا
فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا (٤)
وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يَثْمِينَا
بَدْرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُضْبِينَا
فَالطَّيْفُ يُقْنِعُنَا وَالذِّكْرُ يَكْفِينَا
بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَا زِلْتِ تُولِينَا
صَبَابَةً بِكَ نُخْفِيهَا (٦) فَتَخْفِينَا

(١) قال ابن ساس : « وهذا معنى متداول من أشهره قول القائل :

ريق إذا ما ازددت من شربه ربا ثماك الريق ظمنا
كالحر - أروي ما يكون الفتي من شربها - أعطش ما كانا

ولابن الرومي فيما ياسبه من معنى الوحوه :

« يارب ريق بات بدر الدجى عجب بين ثناياك
يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاك »

(٢) لم تتجنبه عن كذب أي قرب اختياراً ، ولكن صرفتنا على كره منا شواغلنا .

(٣) ممزوجة : أي نحزون لفيابك من مجلسنا إذا حثت الشمول الممزوجة (٤) دومي معاهدة على

المهد مادما محاطين فالحر المصنف يجزى كما حوزي

(٥) مال (٦) أخفيت الشيء أخفيه سترته ، وخفيته أخفيه تأتي بمعنى سترته ، ومعنى أظهرته ،
وعلى ذلك فقوله « نخفيها » أي سترها « فتخفيها » بمع أوله أي تطهرنا ، وشاهد خفاء يخفيه بمعنى
أظهره . قوله :

فان تكلتموا السر لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا تقعد

وقوله تعالى في قراءة « أكاد أخفيها » بالصح أي أظهرها .

في مدح ابن جهور^(١)

مَا لِلْمُدَّامِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكَ فَيَمِيلُ فِي سُكْرِ الصَّبَا عِطْفَاكَ
هَلَّا مَزَجْتَ لِعَاشِقِيكَ سَلَا فَهَا يَبْرُودِ ظَلَمِكَ أَوْ يَعَذِبُ لِمَاكَ^(٢)
بَلْ مَاعَلَيْكَ وَقَدْ مَحَضْتُ^(٣) لَكَ الْهَوَى فِي أَنْ أَفُوزَ بِمَحْضُوتَةِ الْمِسْوَاكِ^(٤)
نَاهِيكَ ظَلَمًا أَنْ أَضْرَبَنَّ الصَّدَى^(٥) بَرَحًا^(٦) وَنَالَ الْبُرَى عُوْدُ أَرَاكَ

* * *

وَاهَا لِعِطْفِكَ وَالزَّمَانُ كَأَنَّ مَا صَبِغْتَ غَضَارَتُهُ^(٧) يَبْرُدُ صِبَاكَ
وَاللَّيْلُ مَهْمًا طَالَ قَصَرَ طَوْلُهُ هَاتِي وَقَدْ غَفَلَ الرَّقِيبُ وَهَاكَ
وَاطْلَمَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ فَخَلَّتُهُ شَكْوَايَ رَقَمْتُ فَاقْتَضَتْ شَكْوَاكَ
إِنْ تَأَلَّفِي سِنَةَ النَّوْمِ خَلِيَّةً فَلَطَامًا نَافَرْتِ فِي كَرَاكَ^(٨)
أَوْ تَحْتَبِي بِالْهَجْرِ فِي نَادِي الْقَلَى فَلَكُمْ حَلَلْتُ إِلَى الْوِصَالِ حُبَاكَ^(٩)

* * *

أَمَّا مَنَى نَفْسِي فَأَنْتِ جَمِيعُهُمَا يَا لَيْدِنِي أَصْبَحْتُ بَعْضَ مَنَاكَ
يَدْنُو بِوَصْلِكَ حِينَ شَطَّ مَرَارُهُ وَهَمُّهُ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالِكَ

(١) تصدى كثير من الشعراء المعاصرين لمعارضة هذه القصيدة وقد ذكرنا طرفا من ذلك في غير هذا المكان من السكتات فليرجع اليه من شاء .

(٢) الظلم : ماء الأسنان أو بريقها ، واللمى : سمرة و الشمة (٣) أخلصت

(٤) يقول : ماضرك - بعد أن أخلصت لك الهوى ، ومحضتك الحب أن أفوز منك بمحض المسواك .

(٥) العطش الشديد (٦) مشقة وشدة (٧) بهجته . يقول الشاعر : ما أحسن عطفك

فيها مضي والزمان كأنما صبغت بهجته بما كسيت أنت به من برد الشباب (٨) يقول أن تعتادي اليوم

الآن خالية غير مبالية بي ، فكثيراً ما أسهدك الهوى ، وعاديت في نومك (٩) احتبي بالثوب اشتمل

والحبي كهدي جمع حبوة مثلثة الحاء ، فكان الشاعر يقول : إن نجلسي في نادي البغض (القلبي) محتبية

أو مشتملة بحبوة الهجر ، فكثيراً ما فزعنت إلى الوصال ، وحللت لأحله حباك .

وَأَنْ تَجَنَّبْتَ الرَّشَادَ بِغَدْرَةٍ لَمْ يَهْوِ بِي فِي النَّعَى غَيْرُ هَوَاكِ (١)

* * *

لِلْجَهْوَرِيِّ أَبِي الْوَلِيدِ خَلَائِقُ كَالرَّوْضِ أَضْحَكُهُ النَّمَامُ الْبَاكِ
مَلِكٌ يَسُوسُ الدَّهْرَ مِنْهُ مَهْدَبُ تَذْبِيرُهُ لِلْمُلْكِ خَيْرٌ مِّلَاكِ (٢)
جَارِي أَبَاهُ بَعْدَ مَا فَاتَ الْمَدَى فَتَلَاهُ بَيْنَ الْفَوْتِ وَالْإِذْرَاكِ
شَمْسُ النَّهَارِ وَبَدْرُهُ وَنُجُومُهُ أَبْنَاؤُهُ مِنْ فَرْقَدٍ وَسِمَاكِ (٣)
يَسْتَوْضِعُ السَّارُونَ زُهْرًا كَوَاكِبِ مِنْهُمْ تُبِيرُ غِيَابَ الْأَحْلَاكِ (٤)
بُشْرَاكِ يَا دُنْيَا وَبُشْرَانَا مَعَا هَذَا الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ فَتَاكِ (٥)

* * *

تُلْفِي السِّيَادَةَ نَمَّ إِنْ أَضَلَّتْهَا (٦) وَمَتَى فَمَتَّتِ السَّرْوُ (٧) فَهَوَ هُنَاكِ
وَإِذَا سَمِعْتَ بَوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ فِرْقُ الْمَحَاسِنِ فِي الْأَنَامِ فَذَاكِ
صَمَّصَامُ بَادِرَةٍ وَطَوْدٌ سَكِينَةٌ وَجَوَادُ غَايَاتٍ وَجِدَلُ حَكَاكِ (٨)

(١) المعنى أئن وقتي في المعنى بسبب غدرك بي فاني أنا لم يوقعي في المعنى غير هواك .

(٢) ملك الأمر : بكر المم ، أي قوامه الذي يملك به .

(٣) الفرقد والسمك من النجوم البيرة (٤) هم المسترشدين برأيهم إذا دحت الحوادث أمثال

النجوم الزهر للسايرين في ظلمات الليل البهيم (٥) وجاء بعد هذا البيت مجز بيت ناقص هكذا : -
(وصف جوامك واستظلت حاك)

(٦) ذهبت عنك ونبت ، والخطاب للدنيا في قوله « بشارك يا دنيا » .

(٧) المروءة والشرف والوصف على فعيل يقال سرو يسرو وهو سرى (٨) البادرة الحدة ، والجدل أصل صخرة قطع رأسها أو عود ينصب في المعطن لتحتك به الابل الجربي يقال هو جدل حكاك ، ومجدال حكاك ، ومنه قول الحباب بن المندر الأصاري يوم سقيفة بني ساعدة « انا حديابها الحكاك ، وعديها المرجب » أي إنه يشتمني برأيه وعلمه وتجاربه في الأمور كما تشتمني الابل الجربي بهذا الجدل ، ومعنى البيت أنه مصمم كالسيف في العضب ثابت كالطود في الحلم سابق إلى الغايات مجرب يهتني برأيه صلب لا يلين مكسره .

طَلَقٌ يُفَنِّدُ فِي السَّمَاحِ ، وَجَاهِلٌ مَن يَسْتَشْفُ النَّارَ بِالْمُحْرَاكِ (١)

* * *

صَنَّ (٢) الضَّمِيرِ إِذَا أَجَالَ يَمْهَرِقِي (٣) يُمْنَاهُ فِي مَهَلٍ وَفِي إِيشَاكِ (٤)

نَظَمَ الْبَلَاغَةَ فِي خِلَالِ سَطُورِهِ نَظَمَ اللَّالِي الثُّومِ فِي الْأَسْلَاكِ

نَادَى مَسَاعِيَهُ الزَّمَانُ مُنَافِسًا أَحْرَزَتْ كُلَّ فَضِيلَةٍ فَكَفَاكِ

مَا الْوَرْدُ فِي مَجْنَاهُ سَاعَرَهُ النَّدَى مُتَحَلِّيًّا إِلَّا بِيَعْضِ حُضَاكِ

كَلًّا وَلَا الْمِسْكَ النَّوْمُ (٥) أَرِيحُهُ مُتَعَطِّرًا إِلَّا بِوَسْمِ (٦) ثَنَاكِ

اللَّهُوُ ذِكْرُكَ لَا غِنَاءَ مَرْجَعٍ يَفْتَنُ فِي الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْسَاكِ (٧)

طَارَتْ إِلَيْكَ بِأَوْلِيَايَاكِ هُزَّةٌ تَهْفُو لَهَا أَسْفًا قُلُوبُ عِدَاكِ (٨)

* * *

يَأْيُهَا الْقَعْرُ الَّذِي لِسَنَائِهِ (٩) وَسَنَاهُ تَعْنُو السَّبْعُ فِي الْأَفْلَاكِ

فَرَحُ الرِّيَاسَةِ إِذْ مَلَكَتْ عِنَانَهَا فَرَحُ الْعُرُوسِ بِصِحَّةِ الْإِمْلَاكِ (١٠)

(١) الخشبة التي تحرك بها النار ، والمعنى أنه باش الوحة سمح وأن الكرم طبيعة مبهه وليس يزيد

تفنيد الجاهلين لإلتاماديا في كرمه كالنار يزيدها المحرك اشتعالا

(٢) يقال لسان صنع ، وشاعر صنع ، وبلغ صنع ، إذا كان حاذفا ماهراً ، والمعنى أنه كاتب رائع البيان

سيان رويته وإسراعه (٣) صحيفة (٤) إسراع

(٥) صينه مبالغة من تم المسك سطم ، والأريج توهج ريح المسك

(٦) الوسم : العلامة والتناء والمدح - يخاطب على لسان الزمان في هذا البيت والذي قبله مساعي المدوح

مثبتا أن الورد في مجاه ليس متحلياً إلا بعض حلاها ، وأن المسك في سطوع أريجه لم يكن متعطراً إلا من

اتسامها بالتناء (٧) ما اللهو إلا ذكر تلك المساعي لاغناء مرجع يطلق في العناء صوتة ويمسك .

(٨) طارت : أسرع ، والحطاب للمساعي ، والهزة تحرك في نشاط وارتياح ، والمعنى أسرع إليك أيتها

المساعي مواكب بالأولياء ، وقد خفقت لها حزناً للوب الأعداء

(٩) السناء بالمد الرقة وبالقصر الضوء (١٠) عهد النكاح

مَنْ قَالَ إِنَّكَ لَسْتَ أَوْحَدَ فِي النَّهْيِ وَالصَّالِحَاتِ فَدَانَ ^(١) بِالْإِشْرَاقِ
قَلَّدَنِي الرَّأْيَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ حَسْبِي لِيَوْمِي زِينَةٌ وَعِرَاكُ
وَإِذَا تَحَدَّثْتَ الْحَوَادِثُ بِالرَّوَايَا شَزْرًا إِلَى قَقْلٍ لَهَا إِيَّاكَ ^(٢)
هُوَ فِي ضَمَانِ الْعَزْمِ يَعْبَسُ وَجْهَهُ لِلنَّخْبِ وَالخُلُقِ النَّدِيِّ الضَّحَّاكِ ^(٣)

* * *

وَأَحْمَ دَارِي تَضَاعَفَ عِزُّهُ لَمَّا أَهَيْنَ بِمَسْحَقٍ وَمَدَاكُ
وَالدَّجْنُ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ حَاجِبٌ وَالْجَفْنُ مَثْوَى الصَّارِمِ الْفَتَّاكِ
هَنَاتُكَ صَحَّتُكَ الَّتِي لَوْ أَنَّهَا شَخْصٌ أَحَاوِرُهُ لَقُلْتُ هُنَاكَ
دَامَتْ حَيَاتُكَ مَا اسْتُدْمَتَ فَلَمْ تَزَلْ تَحْيَا بِكَ الْأَخْطَارُ بَعْدَ هَلَاكَ

ذكري وولادة ^(٤)

وَدَعَّ الصَّبْرَ مُجِبٌ وَوَدَعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ
يَقْرَعُ السِّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطَا إِذْ شِيعَكَ
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءٌ وَسَنَا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ
إِنْ يَطْلُنْ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَتُّ أَشْكَو قِصْرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(١) أي عدلك الذي قال إنك لست أَوْحَدَ فيهما قد دان بالشرك
(٢) إذا الحوادث تحدَّثت بالظن إلى بمؤخر عينها ، فقل لها حذار (٣) هو أي ذلك الذي تهمّ
الحوادث أن تنظر إليه شزراً في ضمان عزم المدوح العابس في وحه الحوادث وفي ضمان خلقه الندي أي
السعي الضاحك عن ثبور الأمانى .

(٤) جاء في فلائد المقيان :

ولما رحل عنه من كان يهواه ، وفاجأه بينه ونواه ، فسأيره قليلاً وماشاه ، وهو يتوهم ألم الفراق حتى
غشاه ، فاستعجل الوداع ، وفي كبده ما فيها من الالصداع ، فأمام يومه بحالة المفجوع ، وبات ليلته نافر
المهجوع ، يردد الفكر ، ويحدد الذكر . فقال :

وقد عزا صاحب نفع الطيب هذه الأبيات الأربعة إلى ولادة .

بعد الفرار من السجن (١)

« بعد أن فرّ ابن زيدون من السجن أرسل يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أما بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحزم ابن جهور وكان ابن زيدون مخفياً بقرطبة . فقال : « وبلغني أنك أحد اللامعين لي ، ومن أمثالهم : « ويل للشجى من الخلى » ، وهان على الأملس (٢) ما لاقى الدبر (٣) وعلمت أن العاجز من لا يستبد (٤) ، فالمرء يجز لا محالة ، ولم أستجز أن أكون ثالث الأذلين - العير والوتد (٥) .

وتذكرت أن الفرار من الظلم ، والحرب مما لا يطاق من سنن المرسلين ، وقد قال تعالى على لسان موسى : « ففرت منكم لما خفتكم »

فنظرت في مفارقة الوطن ، فقديماً ضاع الفاضل في وطنه ، وكسد العلق في معدنه ، كما قال :

أضيع في معشري وكم بلد يكون عود الكباء (٦) من حطبه فاستخرت الله في إنفاذ العزم ، وأنا الآن حيث أمنت بعض الأمن إلا أن النوى لم يرتفع ، ومادة البنى لم تقطع :

شَحَطْنَا وَمَا بِالْأَدَارِ نَأَى وَلَا شَحَطُ وَشَطَطٌ بَيْنَ نَهْوَى الْمَزَارِ وَمَا شَطُوا (٧)

(١) جاء في قلائد العقيان :

وله عند مراره ، وخروجه من مراره ، وقد أقام بقرطبة متوارياً يحاط ولادة ويستنهض الأديب أما بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحزم بن جهور

(٢) المسحيج الطهر . (٣) الذي بطهره قرحه ، أى أن السلم الطهر لا يحس ألم أخيه

(٤) يشير إلى البتين المشهورين :

« ليت همدأ أنجزتا ماتمد وشمت أنفسنا مما تجد

واستندت مرّة واحدة إنما العاجز من لا يستبد »

(٥) يشير إلى قول القائل :

ولا يقوم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد

هذا على الحسف مربوط برمته وذا يشح فلا برئى له أحد

وابن زيدون يعنى أنه جدير ألا يقيم على الدل ، وأن يتخلص من الضيم بكل ما يوسع ، والله درّ الشفري

إذ يقول : « ولسكن تساحرة لا تقيم بي على الضيم إلا ربنا آتحوّل »

(٦) عود البخور أوضرب منه (٧) شحطت الدار : تشحط بفتح العين شحطاً وشحوطاً وشطت

تشط بالضم بسدت . يقول : قربت دار من أهوى ، ودنا مزارها . إلا أنه قرب في غاية البعد لاستحالة اللقاء .

أَخْبَابَنَا أَلُوتٌ بِمَحَادِيثِ عَهْدِنَا حَوَادِثُ لَاعَقَدْتُ عَلَيْهَا وَلَا شَرَطُ (١)
لَعَمْرُكُمْ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَضَى بِشَتَّ جَمِيعِ الشَّمْلِ مِنَّا لَمَشْتَطُ (٢)
وَأَمَّا الْكَرَى مُدُّ لَمْ أَزُرْكُمْ فَهَاجِرُ زِيَارَتُهُ غِيبٌ وَالْمَامَةُ فَرَطُ (٣)
وَمَا شَوْقٌ مَقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالصَّدَى إِلَى نُطْفَةٍ زَرْقَاءَ أَضْمَرَهَا وَقَطُ (٤)
بِأَبْرَحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَدُونَ مَا أُدِيرُ الْمُنَى عَنْهُ الْقَتَادَةُ وَالْخَرَطُ (٥)
وَفِي الرَّبْرِبِ الْإِنْسِيِّ أَحْوَى كِنَاسُهُ نَوَاحِي ضَمِيرِي لَا الْكَثِيبُ وَلَا السَّقَطُ (٦)

قال هذه القصيدة عند فراره من السجن واحتماؤه بقرطبة ، يخاطب بها ولادة عن كثر وهو لا يمكنه أن يدنو من دارها ، أو يخف لمزارها ، مشقاً أن يقع فريسة في يد من يمدو عليه أو يسطو ، ملازماً مخبأه لا يتحرك ولا يخطو ، جاعلاً الأديب « أبا بكر » عوضاً من أبيه والقربى ، مستطناً من أبي الزم ابن جهور العتي ، شاكياً إليه فرط لإصمائه ، إلى عصاة سوء من أعدائه ، راحياً أن يجره من شيمته ، على سابق عادته ، وأن يختصه بالشفاعة ، بعد طول البث والضراعة ، وأن يسعفنه بطلبته ، وتتمس كرتبه فان أي أن يفس عن نفسه ذلك الضمط ، فأمره إلى من يده القمض والبسط .

(١) أَلُوتٌ : ذهب ، والعقد أوكد المهود ، والمعنى ذهبت بجديد عهدنا حوادث تجرى صروفها على غير منهوي وزيد ليس بيننا وبينها عهد يؤكد ، ولا شرط نجدده (٢) الشت : التعريق ، والجميع : المجتمع ، والشمل : الاجتماع . يقال جمع الله شملك أي ماتشتت من أدرك ، وفرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره ، ومشتط : أي جأر فيما حكم به وقضى (٣) الكرى : اليوم ، وزيارته غيبٌ : أي يزور يوماً بعد انقطاعه أياماً ، ومسه « زرغماً » تردد جأً ، والمام مصدر ألم به راره غماً ، والفرط : بفتح فسكون الحين . يقال آتبه في المرط ، أي في الحين بعد الحين (٤) الجوايح : حنايا الصلوع المطلقة على القاب ، والنطفة : الماء الصافي وتجمع على نطفٍ ، والوقط : حفر في الصخر يجمع فيها ماء السماء .

(٥) بأبرح بأشد برحاً ومشقه وعذاباً من شوقي ، أدير المني عنه : أي ما أطلب المني بتركه والانصراف منه من قولهم ، أدار فلاناً عن الأمر إذا طلب منه تركه . قال الشاعر :

بديروني عن سالم وأديرم وحلقة بين المين والأنف سالم

والقتادة شجرة قصيرة ذات ثعبان مجتمعة كل قصب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكا كالابر ، وخرط القتادة اجتداب شوكتها من أعلى إلى أسفل ناسرار اليد مقبوضة على أعضائها ، وفي المثل « من دون ذلك خرط القتاد » (٦) الربرب : السرب من الغباء أو القطيع من بئر الوحش ، والانسى : مقابل الوحشى أحوى في شفته حمرة ضاربة إلى السواد ، والكناس : مستتر من الشجر للظباء كالبيت للانسان والبقر تستكن فيه من الحر ، والكثيب الرمل المحدود ، والسقط : مثل الفاء الرقيق من الرمل حيث اقتطع معظمه

غَرِيبٌ فُنُونِ الْحُسْنِ يَرْتَاخُ دِرْعُهُ (١)
كَأَنَّ فُوَادِي يَوْمَ أَهْوَى مُودَعًا
إِذَا مَا كِتَابُ الْوَجْدِ أَشْكَلَ سَطْرُهُ
أَلَا هَلْ أَتَى الْفَتْيَانَ أَنْ فَتَاهُمْ
وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِتَ الشَّوِ صَافِنُ
وَأَنَّ الْحَسَامَ الْعَضْبَ ثَاوٍ يَجْفَنِيهِ
مَتَى ضَاقَ ذَرْعًا بِالَّذِي حَازَهُ الْمُرْطُ (١)
هُوَ يَخَافِقًا مِنْهُ بِحَيْثُ هَوَى الْقُرْطُ (٢)
فَمِنْ زَفَرَتِي شَكْلٌ وَمِنْ عَبْرَتِي نَقْطُ (٣)
فَرِيْسَةٌ مَنْ يَمْدُو وَنَهْزَةٌ مَنْ يَسْطُو (٤)
تَخَوَّنَهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رَبْطُ (٥)
وَمَا ذَمُّ مِنْ غَرِيْبِهِ قَدُّ وَلَا قَطُّ (٦)

* * *

عَلَيْكَ (أَبَا بَكْرٍ) بَكَرْتُ بِهِيْمَةٍ
أَبِي بَعْدَ مَا هِيلَ التُّرَابُ عَلَى أَبِي
لَكَ النِّعْمَةُ الْخَضْرَاءُ تَنْدَى ظِلَالُهَا
لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي وَإِنْ نَالَهَا حَطُّ (٧)
وَرَهْطِي فَذَا حِينَ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ (٨)
عَلَى وَلَا جَحْدُ لَدَيَّ وَلَا غَمْطُ (٩)

(١) الدرع : الفبيص ، والمرط : كساء من خزّ ونحوه يؤتز به ، والقميص يحوز النهدين والخصر ، والمرط : يحوز الردف ، والردف ثقيل ، والخصر نحيل (٢) أهوى مال إليه حائبا يظهره في حال توديعه ، وهوى القرط ، وهو ما يعلق في شحمة الأذن ، سقط متديا فهو فؤاده معه خافقا (٣) أشكل سطره من أشكل عليه الأمر احتلط ولم يبين ، والشكل والنقط تمييز الكتاب بحركات الأعراب ، وإيجامه ليظهر معناه . يقول إذا أشكل على من أهوى كتاب الوجد أوضحته له بما أصمده من زورات ، واسمعه من عبرات (٤) الفتيان يريد بهم فتياك قرطبة ، والنهزة : الصيد المرص لمن يسطو عليه ويفتنمه (٥) الشأو : اللاية ، والصافن : الذي يقوم على ثلاث ويثى سنبك يده الرابع تخونه وتخوفه : تنقصه ، ومنه قوله تعالى : « أو يأخذكم على تخوف » ، وشاهد تخونه بمعنى تنقصه قول لبيد : عدافة تنقص بالرداي تخونها نزول وارتمالي أي تنقص لها وشحها وشكل الدابة : شد قوائمها بجبل ، وأررى به : أهانه وحقره (٦) الحسام العصب : السيف الفاطم ، وثاوم مقوم : يريد أنه كالسيف المسد في حمة ، وما عيب من غريبه : أي حديقه قد ، وهو القطع طولا ولاقط ، وهو القطع عرضا . (٧) بدأ يخاطب الأديب (أبا بكر) ويستنهض همه ، ويذكر يده عنده . يقول : إن لي همة عالية لها خطر ما بكرت بها عليك وتقوت لك قديما ، وإن نالها الآن انحطاط بعد علو . (٨) أنت أبي بعد فقد أبي وأنت وحدك رهطى حين لم يبق لي رهط . (٩) غمط النعمة غمطاً لم يشكرها أي لك عدى النعماء التي تظلى ، والتي مارلت أشكرها ولا أنكرها وأكبرها ولا أحقرها

وَلَوْلَاكَ لَمْ تَتَّقِبْ زِنَادُ قَرِيحَتِي
وَلَا أَلَّقْتَ أَيْدِي الرَّيِّعِ بَدَائِعِي
هَرَمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخَطُّ بِمَفْرِقِي
وَطَاوَلَ سُوهُ الْحَالِ نَفْسِي فَأَذْكَرْتُ
مِثُونَ مِنْ الْأَيَّامِ حَمْسٌ قَطَعْتَهَا
أَتَتْ بِي كَمَا مَيِّصَ الْإِنَاءِ مِنَ الْأَذَى
أَتَدُّو قُطُوفُ الْجَنَّتَيْنِ لِمَعَشَرِ

فَيَتَّهَبُ الظُّلْمَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقْطُ (١)
فَمِنْ خَاطِرِي نَظْمٌ وَمِنْ زَهْرِهِ لَقَطُ (٢)
وَكَأَنَّ لِشَيْبِ الْهَمِّ فِي كَبِدِي وَخَطُّ (٣)
مِنَ الرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ طَاوَلَهَا الْقَحْطُ (٤)
أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ شَدٌّ وَلَا قَطُّ (٥)
وَأَذْهَبَ مَا بِالثُّوبِ مِنْ دَرَنِ مَسْطُ (٦)
وَعَايَتِي السِّدْرُ الْقَلِيلُ أَوْ الْحَمْطُ (٧)

(١) لم تتقب: أي لولاك لم تطهرتار، قريحتي الشبيهة بالزناد في الأبرار، ويتهب الظلماء يأتي عليها ويلاشيها، والسقط: مثلث الغاء ساكن العين ما سقط من النار بين الزندين. يقول: لولاك لم تذق قريحتي فيطهر عند اقتداحها نار تنهب الظلماء. (٢) النظم: نظم الحب في السك، واللقط: اللقطة - أي ولولاك (أبا بكر) ما ألفت بدائي يسد الربيع، فهو يلقط من محاسن الزهر ما أظلمه في سلك الخاطر. (٣) الوحط: فشو الشيب، واختلاط بياضه بسواد الرأس، والمرق: وسط الرأس، وهو موضع فرق الشعر من الجبين إلى الدائرة، والمعنى لم أشب شيب الكبرة، ولكن شيب شيب الهمة. (٤) يقول أن مطاوله سوء الحال نفسه ذكرته بحال الروضة الغناء طال عليها أمد القحط. (٥) القحط: هنا قحط الأسير، وهو أن يجمع بين يديه ورحليه بجبل أو نحوه، والمعنى أنه قطع حسمائة يوم قحطه أسيراً، ولكن بلا قيد ولا غل لأنه كان مختمياً موارياً عن الأنظار. (٦) الموص: العسل، ومييص الثوب: غسل بالأصابع، ومسط الثوب: بله ثم تحريكه لاستخراج ماؤه والدرن: الوسخ، والمعنى حادت بي أيام الخوف والاعتقال عند نهايتها معسول الدنوب كما غسل الإناء من الأذى، والثوب من الدرن. (٧) السدر: السق، والحط: كل نبت أخذ من المرارة طعماً فلم يمكن أكله - يشير بهذا إلى قصة الجنتين في قوله تعالى - فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجناتهم جنتين ذواتي أكل حط وأنث وشيء، من سدر قليل - ووصف السدر بالقلة لكونه أحسن شيء فيما بدلوا، والعرم بفتح دكسر، والسكر: بكسر فسكون، والمسناة: بضم ففتح فتشديد النون كلها - كما يؤخذ من اللسان والكشاف - أسماء للسدر يبنى لحبس ماء العيون والأمطار ويترك فيه فتحات توضع عليها أبواب لاطلاق الماء على حسب ما يحتاجون إليه في سقيهم، وقد ورد ذكر المساء في بعض قصائد الديوان. يمثل في هذا البيت حاله بحال سبأ إذ أعرضوا عن الشكر، يُظرب الله جناتهم بسيل العرم وأبدلها عنهما الحط، والأنث والقليل من السدر، ومعنى البيت: أيموز غيري بالنعيم ولا أكاد أظفر بالنافع الحقيير.

وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَغْرِبَنِي الْمَنَى
أَمَّا وَأَرْتَنِي النَّجْمَ مَوْطِيَّ أَخْصِي
وَسُتَبْطِلُ الْعُتْبَى إِذَا قُلْتَ قَدْ أَنَى
وَمَا زَالَ يُدْنِينِي وَيُدْنِي قَبْوَاهُ
وَنَظْمُ ثَنَاءٍ فِي نِظَامٍ وَوَلَايَةٍ
عَلَى خَضْرَاهَا مِنْهُ وَشَاخٌ مُفْصَلٌ
عَدَا سَمْعَهُ عَنِّي وَأَصْنَعِي إِلَى عِدَى
بَلَغَتْ الْمَدَى إِذْ قَصَرُوا - فَقَلُّوهُمْ
وَاللِّغْرِ فِي الْعَشْوَاءِ مِنْ ظَنِّهِ خَبِطُ (١)
لَقَدْ أَوْطَأَتْ خَدَى لِأَخْمَصِ مَنْ يَخْطُو (٢)
رِصَاهُ تَمَادَى الْعُتْبَى وَأَتَّصَلَ السُّخْطُ (٣)
هُوَ سَرَفٌ مِنْهُ وَصَاحِيَةٌ فَرَطُ (٤)
تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَا لِأَلْتَهُ وَسَطُ (٥)
وَفِي رَأْسِهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِنَطُ (٦)
لَهُمْ فِي أَدِيمِي كَلِمًا أُسْتَمَكَّنُوا عَطُ (٧)
مَكَانٍ أُضْغَانٍ أَسَاوِدُهَا رُقَطُ (٨)

(١) المرء : الذي لم يعرب الأمور ، وفي النسل : « هو يحبط خط عشواء » يضرب للذي بركب رأسه ، ولاهتم لماقبة أمره ، كالباقية العشواء التي تحبط بيديها كل ما سمت به لسوء بصرها ، والعشواء : ها ظلمة الليل لا لانه ، يريد أن ظلمه حمله على الاغترار بالمنى ، نخط لمرارته في عشواء من طسه أى في ظلمة وليس . (٢) أما حرف للاستمتاع بمعنى ألا ، ولتحقيق الكلام الذي يتلوه بمعنى حقا ، والأخصى باطن الندم الذي لا يلدق بالأرض عند الوطء . يقول : حقا لقد أوطأت خدى لسكل واطى في حال أنها أرنتى فيما مضى النجم موطى أخصى (٣) العتبى : الرضا ، والعتب : السخط ، ورواية : « قد أتى » (٤) صاحبة الرجل من يلم به ويعشى مجلسه من أهله وحاشيته ، وفرط يريد بهذا أنهم يفرطون عليه في القول أى يسرفون ، والمعنى وما زال يقربى منه هوى ، تتجاوز حد الاعتدال ويعد قبوله حاشية مسرفة في القول . وقد جرى في هذا البيت على أسلوب اللب والذنر المرتب ، فهو يرى أن ممدوحه مسرف في هواه فهو يدنيه لذلك وان حاسديه مسرفون في الوشاية به فهو يثبه عنه لما يسمعه من وشاياتهم المتكررة (٥) أى وما زال يقربى منه نظم ثناء أحبه في نظام ولاية كأنه المقدم النيس تحلت به الدنيا كل لؤلؤة منه جديرة أن تكون واسطة المقدم لنفستها .

(٦) أى على حصر الولاية من نظمه وشاخ مفصل ، وفي رأسها تاج مرصع ، وفي جيدها سبط من لؤلؤ (٧) الأديم : الجلد ، والمط : شق الثوب طولاً أو عرضاً من غير إبانة ، والمعنى صرف ابن جهور سمعه عى وأصمى إلى أعداء كلما تمكنوا من عرضي قدوه كما يتد الأديم وشقوه كما يشق الثوب . (٨) المدى : العاية ، والأرسان : الأحقاد ، والأساود ، الحيات ، والرقت : جمع رقتاء ، وهى التي فى لونها سواد وبياض ، والمعنى بلغت العاية التي قصروا عنها فكمن فى قلوبهم من الأحقاد ما يشبه الحيات الرقت التي تنفت السموم القاتلة .

يُؤَلِّونِي عُرْضَ الْكَرَاهَةِ وَالْقَلِيَّ (١)
وَقَدْ وَسَّمُونِي بِأَتِي لَسْتُ أَهْلَهَا
فَرَزْتُ فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِرَابَةٌ
وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ تَعُودَ كَبَدُّهَا
وَحِلْمٌ أَمْرِي تَعْفُو الذُّنُوبُ لِعَفْوِهِ
فَمَا لَكَ لَا تَخْتَصُّنِي بِشَفَاعَةٍ
يَنِي بِنَسِيمِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ نَفْحُهَا
فَإِنْ يُسْعِفِ الْمَوْلَى فَنُعْمَى هَنِئْتَهُ
وَإِنْ يَأْبَ إِلَّا فَبُضَ مَنَسُوطٍ فَضْلِهِ

وَمَا دَهَرُهُمْ إِلَّا النَّفَاسَةُ وَالنَّمَطُ (١)
وَلَمْ يُعْنِ أُمَّتَالِي بِأُمَّتَالِهَا قَطُّ (٢)
فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبِيطُ (٣)
لِي الشِّيمَةُ الزَّهْرَاءُ وَالخَلْقُ السَّبْطُ (٤)
وَتَمْحَى الْخَطَايَا مِثْلَ مَا مَحَى الْخَطُّ
يَلُوحُ عَلَى دَهْرِي لِيَسْمَهَا عَلَطُ (٥)
إِذَا شَعِشَعَ الْمِسْكُ الْأَحْمَ بِهِ خَلَطُ (٦)
تُنْفَسُ عَنْ نَفْسِ الْظُّ بِهَا ضَغَطُ (٧)
فَنِي يَدِ مَوْلَى فَوَقَهُ الْقَبْضُ وَالنَّسْطُ

(١) وفي رواية: العسط والمعنى يعملونني أسمبل منهم ناحية الكراهة والدمس ، وليس منهم أبد الدهر (إلا الاماسة) من نفس عليه بالشيء ، سب به وكره أن يصل إليه ، و (العسط) : من غط الرجل بسطه غطاً من باب ضرب حسده ، ومن معانيه أيضاً تمي الوصول إلى نعمة غيرك من غير أن تروى عنه .
(٢) أي جعلوني معروفاً بالاسمة والصفة المعية التي لست متأهلاً لها ، والتي ما هي أي ابتلي بها أمثالي فما مضى .
(٣) إرابة : سب في الريبة والشك والاثام ، والمعنى مرتت من السحن ، فان هلوا إن في الفرار ما يعملها متهما ، فقد فرّ موسى من القبط حين اتدروا به وهجروا بقتله يشير إلى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « وسرت منكم لما خفتكم »

(٤) السبط : السهل . (٥) الميسم : المسكواة بوسمها البعير ، والعلط : الوسم عرصاً في العسق يقول : لماذا لا أرضى عي وتتمحى شفاعتك لأثقل بها على دهرى وأدله وأدممه في دعاه دمنفة بيذة الأثر يخط أو خطين أو خطوط . (٦) العنبر : الطيب الماروف ولونه أسود ، ويطلق العنبر أيضاً على الزعفران ، وهو المراد هنا ، والورد حمرة تضرب إلى صفرة حسنة ، وشعشع : مزج ، والأحم : الأسود من كل شيء ، أي يني نفع هذه الشفاعة برائحة الزعفران الورد إذا مزج بالمسك الأسود .

(٧) تنفس : تترج ، وألط بها - وفي رواية : ألط بها - لازمها . قال أبو العلاء :

ألطوا بالقيح وتابعوه ولو أمروا به لتجنبوه

أي لازم الناس القيح عاداً منهم حين نهام الله به ولو أمرهم به لدفعهم عنادهم إلى تنكبه، ضغط : أي ضيق

في مدينة بطليوس (١)

يَا دَمْعُ صُبْ مَا سَدَّتَ أَنْ تَصُوبَا (٢)

وَيَا فَوْادِي أَنْ تَذُوبَا

إِذِ الرَّزَايَا أَصْبَحَتْ ضُرُوبَا (٣)

لَمْ أَرِ لِي - فِي أَهْلِهَا - ضَرِيْبَا (٤)

قَدْ مَلَأَ الشَّوْقُ الْحَشَا نُدُوبَا (٥)

فِي الْغَرْبِ إِذْ رُحْتُ بِهِ غَرِيْبَا

عَلِيْلَ دَهْرٍ سَأَمَنِي تَعْدِيْبَا (٦)

أَذَى (٧) الضَّنَى إِذْ أَبْعَدَ الطَّيْبَا (٨)

✽ ✽

لَيْتَ الْقَبُولَ (٩) أَحَدَنْتَ هَبُوبَا

رِيْحُ يَرْوُحُ عَهْدَهَا قَرِيْبَا (١٠)

بِالْأَفْقِ الْمُهْدَى إِلَيْنَا طَيْبَا (١١)

(١) مدنته كبيرة من مدن الأندلس تقع غربي قرطبة. وهذه الأرحورة تذكرنا بالأرحورة المشهورة :
« دع المطايا تسم الجنوبا » الخ (٢) اسك يا دمي ما سدت أن تنسك ، والأصل في الصوب نزول المطر ، والعمل صاب يصوب والأمر صب . قالوا : وكلّ نارل من علو إلى أسفل فقد صاب ، ومنه قوله « كأنهم صابت عليهم سحابة » . (٣) أصنافا . وفي رواية : إن الرزايا (٤) نظيراً أو مثيلاً . نقول : اسك يادمع فقد صبت عنك ألوان من المصائب والآلام لم تصب على أحد من المرزئين . (٥) آثار الحروح إذا لم ترتفع عن الجلد ، ومنه قول الفرزدق :
ومكبل ترك الحديد بساقه ندبا من الرسفان في الأحجال

(٦) أمرضى دهر قد حشمى دلّ الاغتراب وسامى سوء العذاب . (٧) وفي روايه: أعني الضنى
(٨) قرب الدهر منى العقام في وقت أبعد فيه عى الطبيب . (٩) ما يستقبلك بين يديك من الرّيح إذا وقفت في القبلة . (١٠) أى يكون رواح ما تحمله الرّيح من المطر قريبا ، والعهد هنا معناه المطر الأوّل الذى يليه الوسمى . (١١) أى متصلا بالأفق الذى طالما أهدى إلينا من ناحية الحبيب طيبا .

تَعَطَّرَتْ مِنْهُ الصَّبَا جِيُوبًا
 يُبْرِدُ حَرَّ الْكَبِدِ الْمَشْبُوبَا (١)

* * *

يَا مُتَّبِعًا إِسْنَادَهُ (٢) التَّأْوِيَا
 مُشْرِقًا وَذَ سَسَمِ التَّغْرِيَا
 أَمَا سَمِعْتَ الْمَثَلَ الْمَضْرُوبَا
 أَرْسَلَ حَكِيمًا (٣) وَأَسْتَشِيرُ أَيُّبَا

* * *

إِذَا أَتَيْتَ الْوَطْنَ الْحَبِيْبَا
 وَالْجَانِبَ الْمُسْتَوْضِحَ (٤) الْعَجِيْبَا
 وَالْحَاضِرَ (٥) الْمُنْفَسِحَ الرَّحِيْبَا
 فَحَيَّ (٦) مِنْهُ مَا أَرَى الْجَنُوبَا

(١) يطوق ذلك الطيب الذي تعطرت منه جيوب الصبا كبداً مشوبة فيهايران الشوق. وفي الأصل «المشوبا»

(٢) الاسناد سير الليل كله لاتعريس فيه ، والتأويب : سير النهار كله لاتعريج فيه .

(٣) وفي رواية : أرسل حلما .

(٤) البحوث عنه أو الذي يستوضحه الراكب أي يستدركه ويستكفه بأن يصع كفه على عينيه في الشمس

لينظر هل يراه . (٥) الحاضر : ضدّ البادى . (٦) مرتبط بالأبيات قبله . يقول : أيها
 الموصل سير الليل كله بسير النهار كله مشرقاً قد ملّ السير إلى الجانب العربي أي مرسلتك في حاجة ،
 ومتبع المثل المشهور :

إذا كنت في حاجة مرسلاً فارسل حكيماً ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى فشاور ليلاً ولا تعصسه

ذلك أنك إذا أتيت ذلك الوطن المحبوب ، والجانب المأهول والحاضرة الفسيحة فحي مما قد ترى الجنوب
 حيث يقم الحبيب ، وقوله : ما رأى جملة معترضة وحدث هكذا وحرر .

مَصَانِعٌ (١) تَجْتَذِبُ (٢) الْقُلُوبَ
حَيْثُ أَلْفَتْ الرَّشَأَ الرَّيْبِيَّ (٣)
مُخَالَفًا (٤) فِي وَضْإِ الرَّقِيبِ
كَمْ بَاتَ يَدْرِي (٥) لَيْلَهُ الْغَرِيبِ
لَمَّا أَنْتَنَى فِي سُكْرِهِ قَضِيْبًا
تَشْدُو (٦) حَامٌ حَلِيْبٌ تَطْرِيْبًا
أَرْسُفٌ مِنْهُ الْمَبْسِمُ الشَّدِيْبِيَّ (٧)
حَتَّى إِذَا مَا أُعْتَنَ لِي مُرِيْبًا (٨)
سَبَابُ أَفْقٍ هَمٌّ أَنْ يَشِيْبًا
بَادَرْتُ سَعِيًّا ، هَلْ رَأَيْتَ الذَّبِيْبَا ؟ (٩)

(١) دير وأبيرة وقصور . قال ليد :

بلينا وما تلى النجوم الطوالع وتلقى الديار بمدنا والمصانع

(٢) تجذب . (٣) الرשא : التي إذا قوى وتحرك وحشي مع أمه ، والربيب : المرابي من قولهم

سعى مربيب وربيب . وفي رواية : اللببيا

(٤) من المخالفة بمعنى عدم الموازنة أو من قولهم جاء فلان خلاف صاحبه ومخالفته إذا أتى بعبه مخالفاً له .

(٥) يدري يحتمل من قولهم دريت الذي أي احتلت له وختلت حتى أصيده ، والمريبب : الشديد السواد

ومعنى الآيات تلك دور ومصانع تجذب القلوب إليها ألف فيها الرשא المتربي في حجر النعمة محالفاً أي آتيا في غفلة الرقيب ، فكثيراً ما بات يحتمل ليله الشديد السواد ليصيب منه غرة ويحتاس منه غفله .

(٦) تدعى ، استعمار شدو الحمام لوسوسة الحلي (٧) أرسف : كأنصر وأضرب مصارع رشف

الماء والريق ونحوهما رشفاً ، وهو المصّ والتقبيل وشرب الماء قليلاً قليلاً ، والمبسم ، القبل ، والشنيب : صفته مأخوذ من الشب وهو برد وعدوبة في الأسنان . قل ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لسب وفي اللثات وفي أنيابها شنب

(٨) اعتن : اعترض ، ومريبيا : ذاريب . (٩) يقول في هذا البيت والآيات قبله : بتّ ناعماً

ليلقى بالعناق والتقبيل حتى إذا اعترضني مارابي من سواد أفق وشك أن يفصحه ضوء الصبح بادرت الطريق أسمى ، هل رأيت الذئب ، يريد : هل رأيت الذئب في خفته وسرعة عدوه وفراره ومعنى : أنه قد فرّ فرار الذئب .

هَصْرَتُهُ (١) حُلُو الْجَنَى رَطِيبًا

* * *

أَهَاجِرِي أُمُّ مُوسَى تَأْنِيبًا
 مَن لَّمْ أُسِغْ مِنْ بَعْدِهِ مَشْرُوبًا (٢)
 مَا ضَرَّهُ لَوْ قَالَ لَا تَثْرِيبًا (٣)
 وَلَا مَلَامَ يَلْحَقُ الْقُلُوبَا
 فَذَ طَالَ مَا تَجَرَّمَ الذُّنُوبَا (٤)
 وَلَمْ يَدْعُ فِي الْعُذْرِ لِي نَصِيبًا

* * *

إِنْ قَرَّتِ الْعَيْنُ بِأَنْ أُؤَابَا (٥)
 لَمْ آلْ أَنْ أَسْتَرْضِي الْعَضُوبَا
 حَسْبِي أَنْ أُحْرَمَ الْمَنِيبَا
 قَدْ يَنْفَعُ الْمَذِيبَ أَنْ يَتُوبَا

يوم بوصول ساعة

بِاللَّهِ خُذْ مِنْ حَيَاتِي يَوْمًا وَصِلْنِي سَاعَةً
 كَيْنَمَا أَنَالَ بِقَرَضٍ مَا لَمْ أَنَلْ بِشَفَاعَةٍ

(١) أملته إلى وعظمته على وهو جواب لما .

(٢) هل هذا الحبيب الذي قصصت بهرائه ولم أحد بعده مساعا للشراب إلى حلقى هاجري أو موسى

لوما وتثريبا . (٣) أي ضرر عليه إذا هو قل العدر وبي الملام والعتاب .

(٤) كثيرا ما ادعي على ذنوبنا لم أفعلها (٥) يقوله في هذا البيت والذي بعده : إن قرأت العين

بالرحوم إلى الوطن بذات جهدي في استرضائه ، وكفاني أن أحرم على نفسي ترك هذا الوطن وأتوب

فقد تنفع توبة الذنب .

في عيد الأضحى (١)

« لما حلّ ابن زيدون من المعتضد بالمكان الذي حلّ ، واتكثت
عقد شدائده وانحلّ ، تسلت نفسه من شجونها ، وحتت إلى صفا
« ولادة » وحجونها ، وتذكرها وما تناساها ، وعاودته لوعتها
وأساها ، وحنّ إليها حنين من حيل بينه وبين ما يشتهي ، ووقع
باهداء تحية تبلغ إليها وتنتهي . فقال يتغزل فيها ويمدح المعتضد (١) :

أَمَا فِي نَسِيمِ الرِّيحِ عَرَفْتُ مُعْرِفُ
فَنَقَضِي أَوْطَارَ الْمُنَى مِنْ زِيَارَةِ
ضَمَانُ عَلَيْنَا أَنْ تُزَارَ وَدُونَهَا
وَقَوْمٌ عِدَى يُبْدُونَ عَنْ صَفَحَاتِهِمْ
غِيَارِي يَعُدُّونَ الْغَرَامَ جَرِيرَةَ
لَنَا هَلْ لِدَاتِ الْوَقْفِ بِالْجَزْعِ مَوْقِفُ (٣)
لَنَا كَلْفٌ مِنْهَا بِمَا نَتَكَلَّفُ (٤)
رِقَاقُ الظُّبَا وَالسَّمْهَرِيُّ الْمُتَقَفُ (٥)
وَأَزْهَرُهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْحِقْدِ أَكَلْفُ (٦)
بِهَا وَالْهَوَى ظَلَمًا يَغِيظُ وَيُؤْسِفُ (٧)

(١) هو أضحى سنة ٤٤٥ هـ . وهذه القصيدة من ضمن قصائده التي يمدح بها المعتضد ، وقد ذكر طرفاً منها ابن بسام في البحيرة ، وقد سمى أبياتها ، وذكر طائفة منها كذلك صاحب تلأذ المقيان في ضمن ما ذكره من طرف ابن زيدون وأحاده ، وقره وأشعاره . (٢) تلأذ المقيان .
(٣) أما استفهام فيه معنى التثنية ، والعرف : الریح الطيبة ، والجزع : منعطف الوادي ، ولوقف : السوار من العاج وغيره — قال حران المود الحميري :

كوفت العاج من ذكي مسك تحيء به من اليمن التحار

أو هو الخللخال من الفصة وغيرها . والمعنى : لب لنا في هبوب النسيم طيب رائحة يعرفنا هل المحوبة واقعة بمكان وقوفها من منعطف الوادي فنقضى الخ . وفي رواية : يعرف .

(٤) المعنى : هل لها وقفه بالمحى فنقضى حاجات النفس من زيارة لما ولع بما تتجشمه من مشقة التعرض لها .
(٥) الظبا : جمع ظبية ، وهي حد السيف ، والسهمري : الرمح ، والمتقف : المسوى بالثقاف ، وهي خشة فيها خرق توضع فيه الرماح لتسوية ما اعوج منها ، أي نحن ضامون على أنفسنا أن تزار ، ودون زيارتها ظا السيوف الرقيقة ، وأسنة الرماح الصلبة ، وفي بعض النسخ عزيز علينا أن تزار .
(٦) أي ودون الوصول إليها أمماً قوم معادون يظهر ما يخفونه من العداوة والشر على وحوهم .
والمشرق للمضى . من تلك الوجوه أكلف أي به كلف وسواد من ظلمة الحقد .

(٧) غياري وغياري — بمع الغين وضهما — كسكاري وسكاري جمع غيران من غار الرجل على امرأته يمار فيرة ، والجريرة : الذنب والجنابة يجنيها الرجل على نفسه أو يجرها على غيره ، ويؤسف : كيفضب وزناً ومعنى ، ومنه قوله تعالى « فلما آسفونا انتقمنا منهم » .

يَوَدُّونَ لَوْ يَدْنِي الْوَعِيدُ زَمَاعِنَا
يَسِيرٌ لَدَى الْمُشْتَاقِ فِي جَانِبِ الْهَوَى
هَلِ الرَّوْعُ إِلَّا غَمْرَةٌ تَنْجَلِي
وَفِي السَّيْرَاءِ الرَّقْمِ وَسَطَ قِبَابِهِمْ
تَبَايَنَ خَلْقَاهُ ، فَعَبَلٌ مِّنْهُمْ
فَلِلْمَانِكِ الْمُرْتَجِحِ مَا حَازَ مِزْرُ
حَبِيبٌ إِلَيْهِ أَنْ نُسَرَّ بِوَصْلِهِ
وَلَيْلَةٌ وَافِينَا الْكَثِيبَ لِمَرْعِدِ
وَهِيَهَاتَ رِيحُ الشَّوْقِ مِنْ ذَاكَ أَعْصَفُ (١)
نَوَى غُرْبَةً أَوْ مَجْهَلٌ مُتَعَسِّفُ (٢)
أَمِ الْهَوَلُ إِلَّا غَمْرَةٌ تُمْ تُكْشَفُ (٣)
بَعِيدٌ مَنَاطِ الْقُرْطِ أَحْوَرٌ أَوْطَفُ (٤)
تَأَوَّدَ فِي أَعْلَاهُ لَدَنْ مُهْفَهْفُ (٥)
وَلِلْفُصْنِ الْمُهْتَزِّ مَا ضَمَّ مِطْرَفُ (٦)
إِذَا مَحْنُ زُرْنَاهُ وَهَيْهَاتَا وَنُسْعَفُ
سُرَى الْأَيْنِ لَمْ يُعْلَمَ لِمَسْرَاهُ مَرْحَفُ (٧)

(١) الوعيد : التهديد والتخويف ، والرمال : بالفتح المضى في أمر الريارة والعزم عليه ، وأعصف : امم تعصيل من عصفت الريح تعصف بالكسر ، هي عاصف أى شديدة تعصف بما صرت عليه من تراب ونحوه ، أى يودون لو يصرفا تهديدهم مما أرمعناه من أسر ريارت تلك الحساء التي ما دون عليها ، وهيئات أن يصرنا عن ذلك صارف ، فك ربح الشوق أشد مصيا بنا إلى ناحتهم. من تهديدهم. ووعيدهم .

(٢) يقول يسير علينا في جانب الهوى الاغتراب وانديساف المخاضل .

(٣) الروع : الخوف ، والغمرة : الشدة .

(٤) السيراء : كسر معج نوع من البرود يحلظه حرر كالسبور ، ويقال ثوب رقم إذا رقم أى كتبت عليه ثمة ، أو اسم الناحر ، ومناطق القرط معلمة ، وأحور : وصف من حور العين . وهو شدة سواد لافلة في شدة بياضها ، وأوطف . طويل شعر أهداب العين ، وفي الأصل أوطف ، والمعنى أن حبيسه التي تلس تلك الحلة السيراء الثمينة تقيم وسط قبال الأعداء وهي بعيدة مهوى القرط أى طويلة العنق ، في عيذها حور ، وفي أهدابها وطف . (٥) عبل : أى ردف منختم تام ، وهنعم : من النعمة والراحة ، وعدم الامتهان في عمل البيت لتوفر الخدم ، ويلزم ذلك العبالة والامتلاء ، وتأود : تنى ، ولدن أى غصن لين ، ومهفهم أى خصر دقيق ناضل ، بقول : تبايذت خلفه أسفله وأعلاه ، مردف تليل وخصر نجيل .

(٦) العانك : من الرمال ما تمعد وارتفع ، وفي الأصل : العانك . والمترز : معروف وهو ما يشد على الوسط ، والمطرف - وهي مثلثة الميم - من ثياب الحزما جعل في طرفيه علمان ، ويجمع على مطارف ، أى فلاكتيب للرنج ما حواه المترز ، وللفصن المهتز ما سبه المطرف . (٧) وافينا الكتيب : أى توافينا على موعد في الكتيب ، والسرى : السير بالليل ، والأين : الأعياء والتعب ، والمزحف الغاية وهو من الزحف وهو المضى قليلا قليلا ، أو المراد به هنا أثر المضى وأنه مزحف الحية ، وهو أثر انسيابها في الرمل قال الشاعر :
كأن مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السباط

تَهَادَى أَنَاةَ الْخَطْوِ مُرْتَاعَةَ الْحَشَا (١)
 فَالشمس رَقَّ الْغَيْمُ دُونَ إِيَّاتِهَا
 قَدَيْتُكَ أَنَّى زُرْتِ نُورِكَ وَاصْبَحُ
 هَبِيكَ أَعْتَرَزْتِ الْحَىِّ وَاشِيكَ هَاجِعُ
 فَأَنَّى أَعْتَسَفْتِ الْهَوُولَ خَطْوُكَ مُدْمَجُ
 لَجَاجُ ، تَهَادَى الْحَبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِدَا
 وَأَنْ تَتَلَقَّى السُّخْطَ - عَازِينَ - بِالرَّضَى
 كَفَاءً مِنَ الْوَصْلِ التَّجِيَّةُ خُلْسَةً
 كَمَا رِيحَ يَعْفُورُ الْفَلَا الْمُتَشَوِّفُ (١)
 سَوَى مَا أَرَى ذَاكَ الْجَبِينُ الْمُنْصَفُ (٢)
 وَعِطْرُكَ نَمَامٌ وَحَدْلِيكَ مُرْجَفُ (٣)
 وَفَرَعُكَ غَرِيبٌ وَأَيْمُكَ أَغْضَفُ (٤)
 وَرِدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَخَصْرُكَ مُخْطَفُ (٥)
 وَأُمُّ الْهُوَى الْأَفْقَ الَّذِي فِيهِ نُشْنَفُ (٦)
 لِعَيْرَانٍ أَجْفَى مَا يُرَى حِينَ يَأْطَفُ (٧)
 فَيَوْمِي طَرْفُ أَوْ بَنَانُ مُطْرَفُ (٨)

- (١) تهادى أصله تهادى أى تشبى فى تمال وسكون ، وأناة الخطو : منثدة الخطو وصفها بالمصدر ، وهو الاناء بمعنى التؤدة المبالغة ، ومرتاعة الحشا : متزعجة القلب ، وريح : فزع واحيب ، واليعفور : الذي والمتشوف : المتطلع . وفى بعض النسخ المنسرف ، وهو الذى يرفع رأسه ويحد بصره لينظر إلى السرى .
- (٢) إناة الشمس - بالكسر والفتح - حسننها وسوءها ، وادة هى الشمس أما ، قال أبو العلاء :
 ومنس العالم من بعضه لولا إياه لم يكن سخت
 أى لولا الشمس لما كان العمر ، والمنصف : الذى عليه الصيب وهو الحمار ، أى لست الشمس يستر
 العيب الرقيق حسننها وسوءها إلا ما أراه ذلك الحين من حسن يبدو من خال الصيب .
- (٣) وفى بعض الروايات : قعيدك وهو مصدر منصوب لسابته عن العمل والتقدير سأأت الله حفذك من قوله تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد » أى حفيظ ، والمتعمل قعيدك الله . مثل عمرك الله ، وهو مصدر منصوب أيضاً ناب عن العمل تقدره عمرك الله بالانشديد ، ومعناه هنا : ملازمك ، ومرحب : من أرحب إذا تحرك واضطرب ، ويصح أن يكون من أرحف ذابنا للمجهول فهو مرحف ، وفى بعض النسخ بدل قعيدك قديتك .
- (٤) هيك : يقال هيك فعلت ، وهيك فعلت كذا ، ولا يقال هب أنك فعلت ، ولا هي أنك فعلت ، والمعنى احسى واعددى ، واعتزرت الحى : حشته وجزت به على غير علم ، وفردك غريب : شعرك شديد السواد ، وأغضف حالك السواد ، يقال ليل أعضف إذا ألبس ظلامه .
- (٥) مدمج : داخل بعينه فى بعض ، ومخطف : ضامر يقال فرس مخطف الحشا : أى ضامره .
- (٦) نشنف : ينعش ، والمعنى أصرى لجاج فقد تمادى بنى حب من أهواء بين المعشر العدا ، وقصد الهوى : المكان الذى فيه أمقت وأبفس .
- (٧) المعنى ولجاج أيضا أن تتحمل السخطة ، وقد عنانا ردا صاحب خيرة يشتد جفاؤه وغلظته ، حين يظن لطفه ورفقه
- (٨) البنان : الطرف الذى طرف بالحناء .

خَلِيلِي مَهَلًا لَا تَلُومًا فَإِنِّي
 فَأَعْنَفُ مَا يَلْقَى الْمُحِبُّ لِحَاجَةٍ
 وَإِنِّي لَيْسَتْهُوَ بِنِي الْبَرْقُ صَبُوتَةٌ
 وَمَا وَلَعِي بِالرَّاحِ إِلَّا تَوْهَمٌ
 وَتَذَكُّرِي الْمِقْدَ الْمُرِنَّ مَجَانَهُ
 فَمَا قَبِلَ مَنْ أَهْوَى طَوَى الْبَدْرَ هَوْدَجٌ
 وَلَا قَبَلَ «عَبَّادٍ» حَوَى الْبَحْرَ مَجْلِسٌ
 فَوَادِي أَيْفُ الْبَثِّ وَالْجِسْمُ مُدْنَفٌ
 عَلَى نَفْسِهِ فِي الْحُبِّ حِينَ يُعْنَفُ
 إِلَى بَرْقٍ تَغْرِي إِنْ بَدَا كَادَ يَخْطَفُ
 لِيُظْلَمَ بِهِ كَالرَّاحِ لَوْ مَيَّرَشَفُ (١)
 مَرِنَاتٌ وَرُزْقٌ فِي ذُرَا الْأَيْكِ تَهْتَفُ (٢)
 وَلَا صَانَ رِيْمَ الْقَمْرِ خِذْرٌ مُسَجَّفُ (٣)
 وَلَا حَمَلَ الطَّوْدَ الْمُعْظَمَ رَفْرَفُ (٤)

(١) اظلم به : أى بانشر في البيت قبله . قال في اللسان ، والظلم : الماء الذى يحمرى ويطهر على اللسان من صماء ، اللون لامن الريق كالتبرند حتى يتحول لك منه سواد من شدة البرق والصفاء ، قال كعب بن زهير :
 تخلو غوارب دى ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول
 لو يترشم : لو هنا للدمى ، وفى بعض النسخ إذا يترشم ، والترشم : من الماء قليلاً قليلاً . قال ابن بسام :
 « أراه بدت أبى الطيب : وما شرق بالماء إلا تذكر الماء به أهل الحبيب نزول
 (٢) المرين : اسم فاعل من الأرنان ، وهو الصوت المزير ، والجان : حب يتخذ من صغار اللؤلؤ ، أو من العصاة أمثال اللؤلؤ ، ولورق : جمع ورقاء وهى الجملة التى لونها بين السواد والغبرة وهى ما تسمى فى عرف أهل مصر باليمامة ، وفى مثل هذا يقول الشاعر المحسن حران العود النجوى :
 ثم هاجى حمام ورق بالمدينة هب

والأيك : جمع أيكة ، وهى الشجر الكثير اللدغ ، وتهتف : تنوح . (٣) الهودج : ما ترك فيه المرأة يكون مقبلاً وغير مقبب ، وفى بعض النسخ بدل صان ضم ، والريم : الطي الخالص البيضاء ، والتخدر المسحب : ما على كل مدخل أو نافذة من بوافده سحمان أى ستران بينهما مشقوق كالصراعين .
 (٤) (ولا قبل عاد) هو المعتمد بالله أبو عمر عاد بن الطاهر المؤيد بالله أبى القاسم محمد بن إسماعيل قاضى اشيلية ينهى سبه إلى السعمان بن المدر آخر ملوك الميرة ، وهو صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاها من جزيرة الأندلس ، ولى الملك بعد وفاة أبه الطاهر محمد بن إسماعيل القاضى سنة ٤٣٣ هـ وكان هو وابنه المعتمد أوسع ملوك الطوائف ملكاً ، وأشدهم بأساً ، وأكثرهم عبداً وعدداً ، وكان المعتضد فيما ذكره ابن بسام صاحب الدخيرة قطب رضى الفتنة ، ومنتهى عاية الحجة فى بلاد الأندلس ، وإلى سياسته يعزى السبب فى تلك الحروب الطاحنة التى نشبت بين ملوك الطوائف واستعان بعضهم على بعض فيها بالعدو الذى انتهز فرصة ضعفهم ، وتفرق كلمتهم فعمل على ازالة ملكهم ، وإخراج المسلمين من بلادهم - والررفرف - الفرفش والبسط ، وكل ما أعد للجلوس ، وفى التنازل العزيز « متكئين على رفراف خضر » وهو جمع رفرافه وررفارف جمع الجمع . قال ابن بسام : وهذا البيت للقسطلى بجملة حيث يقول فى ابن أبى طاهر :
 وكيف أسوى بالبر والبحر مجلس وقام بمعبء الراسيات سرر

هُوَ الْمَلِكُ الْجَعْدُ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ
 مُهَامٌ يَزِينُ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَهْلُهُ
 يَتِيهِ بِعِرْقَاهُ سَرِيرٌ وَمِنْ بَرِّهِ
 رَوِيَّتُهُ فِي الْحَادِثِ الْإِدِّ لِحَظَةٍ
 يَدِلُّ لَهُ الْجَبَّارُ خِيفَةً بِأَسِيهِ
 حِذَارِكُ - إِذْ تَبَغَّى عَلَيْهِ - مِنْ الرَّدَى
 سَتَعْتَامُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالتَّوَى
 أَعْرُ مَتَى نَدْرُسُ دَوَاوِينَ مَجْدِهِ
 إِذَا نَحْنُ قَرَّظْنَاهُ قَصَرَ مُطْنِبُ

تُكْفُ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ وَتُصْرَفُ^(١)
 مَلِيكَ قَقِيَهُ كَاتِبٌ مُتْفَلِّسٌ
 وَيَحْمَدُ مَسْعَاهُ حُسَامٌ وَمُصْحَفٌ
 وَتَوَقِيْعُهُ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَحْرَفُ^(٢)
 وَيَعْنُو إِلَيْهِ الْأَبْلَجُ الْمُتَطْرَفُ^(٣)
 وَدُونَكَ فَاسْتَوْفِ الْمَتَى حِينَ تُنْصِفُ
 كِتَابٌ تُرْجَى أَوْسَفَانٌ تُجْدَفُ^(٤)
 يَرْقَنَّا غَرِيْبٌ مُجْمَلٌ أَوْ مُصَنَّفُ^(٥)
 وَلَمْ يَتَجَاوَزْ غَايَةَ الْقَصْدِ مُسْرَفُ^(٦)

- (١) الحمد : قال في اللسان « والحمد إذا ذهب به مذهب المدح وله معنيان مستحيان ، أحدهما : أن يكون معصوب الجوارح ، شديد الأسر والخلق غير مسترح ولا مضطرب ، والثاني : أن يكون شعره حمداً غير سبط ، لأن سوطه الشعر هي الغالبة على سمور العجم من الروم والفرس ، وحمودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب ، فإدما مدح الرجل بالحمد لم يخرج عن هذين المعنيين » الخ مقال في الحمد على كلا الاعتبارين المدح أو الذم فادبره ، والمعنى هو الملك المجتمع الخلق الذي ليس رهلاً مسترخياً الاعضاء ، أو الجعد السمر ، أو الكرم الذي في ظله وكسبه تكف غير الحوادث وصروف الدهر وتردها عن أن تقصد المستظلين نطه بالسوء .
- (٢) الاد العظيم ، والوقيع : ما يكتنه الملك في الكتاب من حل قصيرة ، وأحرف بسيرة ، لانفاذ أوامره ، وإمضاء شؤون دواته ، والمعنى تمكيره في الحوادث العظيم القطع الداهم سريع لا يحتاج إلى تريث ، وعدم تعجل ، وتوقيعه الكاشف طلمة الخطوب كلمات قليلة حاملة لمصون ما يريد إنفاذه .
- (٣) الأبلج : الأبيس ، والمتطرف : السيد السرى الختال في مشيته .
- (٤) ستعتامهم : ستختارهم ، والتوى : الهلاك ، وترجى : تساق وتسير ، وتجدف تدع بالمجاديف .
- (٥) أعر كرم الأعمال واضمحها ، وندرس : أى متى نرض أنفسنا على قراءة ماسطرى دقائره مجده ، يرقنا : أى يعجبنا الخ ، وفى الأصل : « متى تدرس » ، والغريب : الغامض البعيد عن الفهم ، والمجمل : المحتاج إلى التفسير والبيان ، والمصنف : الميز بعصه من بعس ، واللبين خفاؤه وإحماله .
- (٦) قرظناه : من القرظ وهو المدح والثناء ، وأصله من تقرظ الجلد أى دبهه بالقرط ، والطيب : المسهب المتوسع في القول ، والقصد : التوسط والاعتدال .

وَأَرْوَعُ لَا الْبَاغِي أَخَاهُ مُبْلَغٌ
مُمرُّ الْقَوَى لَا يَمْلَأُ الْخَطْبُ صَدْرَهُ
لَهُ ظِلٌّ نَعْنَى يَذْكَرُ الْهَمُّ عِنْدَهُ
جَحِيمٌ لِعَاصِيهِ يُشَبُّ وَقُودُهُ
مَحَاسِنُ ، غَرَبُ الدَّمِّ عَنْهَا مُفْلَانٌ
تَنَاهَتْ فَعَقْدُ الْمَجْدِ مِنْهَا مُفَصَّلَانٌ
طَلَافَةٌ وَجْهِهِ فِي مَضَاءٍ كَثَلِ مَا
عَلَى السَّيْفِ مِنْ تِلْكَ الشَّهَامَةِ مَيْسَمٌ
سَجَايَا لِمَنْ وَالَاهُ كَالْأَرَى تُجْتَنَى
يُرَاقِبُ مِنْهُ اللَّهُ « مُعْتَصِدٌ » بِهِ

مُنَاهُ وَلَا الرَّاجِي نَدَاهُ مُسَوِّفٌ (١)
وَلَيْسَ لِأَمْرِ قَائِتٍ يَتَلَهَّفُ (٢)
ظِلَالُ الصَّبَا بَلْ ذَاكَ أُنْدَى وَأَوْرَفٌ (٣)
وَجَنَّةُ عَدْنٍ لِلْمُطِيعِينَ تَرْأَفٌ (٤)
كِهَامٌ ، وَشَمْلُ الْمَجْدِ فِيهَا مُوَلَّفٌ (٥)
سِنَاءٌ وَبُرْدُ الْفَخْرِ مِنْهَا مُفَوِّفٌ (٦)
يَرُوقُ فِرْنَدُ السَّيْفِ وَالْحَذُّ مُرْهَفٌ (٧)
وَفِي الرَّوْضِ مِنْ تِلْكَ الطَّلَافَةِ زُخْرُفٌ (٨)
تَعُودُ لِمَنْ عَادَاهُ كَالشَّرَى يُنْقَفُ (٩)
يَدَ الدَّهْرِ يَقْسُو فِي رِضَاهُ وَيَرَأَفُ (١٠)

- (١) الأروع : الذي يروعت حسبه ، ويحرك مرآه ، ومعنى سائر الدت ليس الذي معنى له مثيلا ببالغ مناه ، وليس الذي يرحو نداء مؤجرا عطاؤه . (٢) الأمر : الخجل الذي أحيده فله ، والقوى : طاقاته يريد أنه مستحكم تتوى وائس رحوا ضعفاً يملأ الهول صدره مرطاً وبأسى على ما فانه تاهلاً وتحميراً . (٣) الهم : الدبح الكبير الفاني ، يعنى أن الشيخ الهم يذكر عند استظلاله ظل نعام الوارف أنه في ظل الشاب الذي المعتدل إن ظل نعام أكثر ندوة ووروقاً وامتداداً . (٤) ترأف : تقرب ، وفي التنزيل العزيز « وأزوات الجنة لهن قلوب » أى قرب . (٥) الغرب : الحد ، معلل : فيه كسور ، وكهام . كليل ناب عن الضريبة لا يقطع . (٦) السناء : الرمة ، وبرد مهوف : رقيق من سح العن . (٧) فرند السيف : وهره وماؤه الذي يجرى فيه وطرائفه ، والمعنى : يعلو وجهه ماء كفرند السيف المتفرق ، مع مضاء عرم كده المرهب في التصميم والقطع ، وفي روايه : « طلامة بجر » (٨) ميسم أثر وعلا . . . وفي الأصل : « من تلك الطلامة مطرف » (٩) الأرى : العسل ، والشرى : الحنظل ، وينقف : أى يشق لأحذما في داخله قال امرؤ القيس :
كأني خداة البين يوم تحلوا لدى سمرات الحمى نانف حنظل
(١٠) يد الدهر : مدى الدهر ، قال أبو العلاء :

فيا ليتنا عشنا حياة بلا ردى — يد الدهر — أو متنا مما تابلنا نصر
ومعنى البيت أنه يرأف ويمف دائماً في سبيل مرضاة الله وحده ، ويقال أيضاً يد الحياة ، قال أبو العلاء :
لو كان لى أمر يطاوع لم يشن ظهر الطريق — يد الحياة — مجم

فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الْحَاسِدِيهِ مَتَى أَدْعَى
 أَلَيْسَ « بَنُو عَبَادٍ » الْقِبْلَةَ الَّتِي
 مُلُوكُهُ يَرَى أَحْيَاؤُهُمْ فَخَرَّ دَهْرِهِمْ
 بِهِمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءُ فَأَوَّجُهُ^(١)
 عَلَيْهِمَ لَأَمَالِ الْبَرِيَّةِ مَعَكْفُ^(٢)
 وَيَخْلَفُ مَوَاتَهُمْ ثَنَابًا مُخْلَفُ^(٣)
 شُمُوسٌ وَأَيْدِيهِمْ حَيَا الْمُزْنِ أَوْ كَفُ^(٤)

* * *

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مَعْمَسُ
 لَعَمْرُؤُ الْبِدَا الْمُسْتَدْرَجِيكَ بَرِزْمِهِمْ
 لَكَالُوكِ صَاعِ الْغَدْرِ لُؤْمِ سَجِيَّةِ
 لَقَدْ حَاوَلُوا الْعُظْمَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا^(٥)
 وَمُجْزِلَ حَظِّ الْحَمْدِ وَهُوَ مُسْفِسِفُ^(٦)
 إِلَى غِرَّةٍ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ تُكْسِفُ^(٧)
 وَكَيْلَ لَهُمْ صَاعُ الْجَزَاءِ الْمُطْفَفُ^(٨)
 فَأَعْجَبَهُمْ عَقْدٌ مِنْ أَلْهَمٍ مُخَصَّفُ^(٩)

- (١) العتيق : التجيب الكريم من الخيل ، والشأو : الأاية ، والمقرف : الهجين وهو الذي أمه بردونة وأبوه عربي أو بالعكس . (٢) معكف مصدر ميمي بمعنى المكوف أى إقامة وملازمة . (٣) أى بنو عباء ملوك يرى الناس أحياءهم مفخرة الزمان ، ويخلف من بعد موتهم ذكر حسن وثناء موروث يتحدث به الناس ، وثناؤه الخلف عن السلف . (٤) الحيا : المطر ، والرزن : السحاب ، وأوكف : أهطل وأعزر والمعنى : فاخرت بهم الأرض السماء فوجوههم أبهى طلعة من النيرات ، وآثار نفعهم ، ومزق أيديهم أفرز وأهطل من السحب الهاطلات . (٥) معمس : ملابس ملتوعن جهته مظلم لا يدرى من أين يؤتى له ، ومسفسف : نارل من أسف الطائر إذا دنا من الأرض ، والمعنى : يا من بفعالك المجيده أبنت معنى المجد فى حال كونه عامضا ملتبسا ، وأجزل بآثارك الحميدة حظ الحمد على حين حظ غيرك منه حقير ، وجواب النداء فى الآيات بعده . (٦) لعمرالدى : يقسم بيمينهم متكبها للإشارة إلى إحفاقهم فيما حاولوا ، المستدرجيك : أى الدين حاولوا فى زعمهم أن يتدرجوا بك قليلا قليلا على غرة ، ويأخذوك على غفلة إلى ما تكاد له الشمس تكسف لجرأتهم ، وهول ما أهدموا عليه . (٧) لسكالوك : أى لقد كالوك من لؤم سجيتهم صاع الغدر ، وكتنهم صاع الجزاء والمعقوبة على غددهم ، والمطفف : فى الأصل المقوص المبخوس من طفف الكيل تقصه وبخسه ، وقد يستعمل بمعنى الوافى وهو المراد هنا . (٨) لقد حاولوا العظمى : أى الفتك العظمى ، التى لا شوى لها : أى التى لا تصيب الأطراف ولكن تصيب المفاصل ، وأعجلهم عقد : أى رأى وتديبر من همك وعزمك ، محصف : محكم سديد لاخلل فيه .

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْعَنْدَرَ هَبَّ نَسِيمُهُ (١)
أُظِنُّ الْأَعَادِي أَنْ حَزَمَكَ نَأْمٌ (٢)
دَوَاعِي نِفَاقٍ أَنْذَرْتِكَ بِأَنَّهُ (٣)
تَحَمَّلْتَ عِبءَ الدَّهْرِ عَنْهُمْ وَكَلَّمَهُمْ (٤)
فَإِنْ يَكْفُرُوا النَّعْمَى فَلَمَّا دَيَارُهُمْ (٥)
وَطَىَّ الْأَثْرَى مَثْوَى يَكُونُ قُصَارَهُمْ (٥)
وَبِشْرَاكَ عَيْدٌ بِالسُّرُورِ مُظْلَلٌ (٦)
تَلَقَّاهُ إِعْصَارٌ لِبَطْشِكَ حَرْجَفٌ (١)
لَقَدْ تَعَدُّ الْفَسْلَ الظَّنُونُ فَتُخَلِّفُ (٢)
سَيَاشِرِي وَيَذْوِي الْعُضْوُ مِنْ حَيْثُ يُشَافُ (٣)
بِنُعْمَاكَ مَوْصُولُ التَّنْعَمِ مُتَرَفٌ (٤)
بِسَيْفِكَ قَاعٌ صَفَّصَفُ الرَّسْمِ تُنْسَفُ (٥)
وَإِنْ طَالَ مِنْهُمْ فِي الْأَدَاهِمِ مَرْسَفٌ (٥)
وَبِالْحَظِّ فِي نَيْلِ الْمَتَى مُتَكَنَّفٌ (٦)

(١) النسيم : الريح نهب هبوبا . هببا ، والأعصار : الريح الشديدة التي تهب من الأرض ، وتثير العمار فيرتفع كالعمود إلى نحو السماء ، وهي التي تسمى بالروامة ، وفي النزل « إن كنت ربحاً فقد لاقت إعصاراً » يضرب للرحل يأتي نده في الدسالة والقوة ، والمخرج : البارد وصف بها الأعصار . وفي الأصل « حرجب » (٢) العسل : الردل الذي الأحمق ، والمعنى لم يتحقق طي الأعداء أن تدبيرك تأثم عن كيدهم وغدرهم وكثيراً ما تعد الضنون الجني الأرفذال مغفلةهم .

(٣) شري العسو : أي يضرب عليه ورم وفروح تحلح إلى السكى ، ويدوي : يدل ويسر ، ويشاف أي تكوي شأوه أي قرحه اندهف بالسكى ، والذئ تشيل لطل طان ، ثم بها العناق والشرككات كالعسو الرئيس لح به الداء فلم يكن يد من معالجه السكى لاستئصال ساقه ، وفي رواية « يدوي العسو » (٤) أي كصيتهم مؤونه السعى ، وحملت عنهم العبد ، فكلمهم في ظل نعمائك دائم التنعيم والترؤف .

(٥) قصارهم : ينال نصرك وقصارك وقصارك أن تعمل كذا أي غايك ، والأداهم : القيود لسوادها جمع أدهم وتسمى بالأسود أيضاً ، والمرسف : مصدر مبيى من الرسفان وهو مشى القيد ، أي أن هؤلاء الأعداء سيكون ما لهم أن يموتوا في الحبس ، بعد إن تطول عليهم مدته .

(٦) انتقل إلى ذكر مطهر من مظاهر الدولة عند خروج الملك لصلاة العيد ، وترتبت المملكة في ذلك على ما يؤخذ من صحح الأعشى أن يبادى في طامة اللد ، وأهل الأسواى ليلة العيد فيخرج أهل كل صاعة بظاهر اللد ، ويسعى أهل كل سوق ناحية ، متجهلين بأحسن الثياب ، وكل منهم متنكب فوسا أو مقلد سيبا ، ومع أهل كل سوق علم يختص بهم ، عليه رنك أهل تلك الصاعة بما يناسبهم ، ويكر الملك بالركوب فيرك ومن يمينه ويساره فارسان ، وممسك بركائيه رحلان مقلدان سيفين ، ويركب المسكر معه ميمنة ومسرة ، ويصطف الناس صفوا يعسون قدامه ، والمولج خلفه ماتفون به ، والأعلام منشورة ورائه ، والطبول خلفه حتى يصل إلى العيد ، ثم يعود فينصرف طامه الشعب ويمد السباط فيحضر طمامه حوامه وأعيان مملكته ، ومعنى البيت أنه يبشره بالعيد : بالله السرور ، ويكتسه الحظ ببلوغ المي .

بَشِيرٌ بِأَعْيَادٍ تُؤَافِيكَ بَعْدَهُ كَمَا يَنْسُقُ النَّظْمَ الْمُوَالِيَّ وَيَرْصِفُ^(١)
تَجَرَّدَ فِيهِ سَيْفٌ دَوْلَتِكَ الَّذِي دِمَاهُ الْعِدَى دَأْبًا بِغَرَبِيَّةٍ تُظْلَفُ^(٢)
هُوَ الصَّارِمُ الْمَضْبُ الَّذِي الْعَزْمُ حَدُّهُ وَحَلِيَّتُهُ بَذَلُ النَّدَى وَالْتِعَافُ^(٣)
مُهَامٌ سَمَا لِلْمَلِكِ إِذْ هُوَ يَافِعُ وَتَمَّتْ لَهُ آيَاتُهُ وَهُوَ مُخْلَفُ^(٤)
كَرِيمٌ يَمُدُّ الْحَمْدَ أَنْفَسَ قَنِيَّةٍ فَيُولَعُ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَيُشَغَفُ^(٥)
غَدَاً بِجَمَيْسٍ يُقْسِمُ النَّعِيمُ إِنَّهُ لِأَحْفَلُ مِنْهَا مُكْفَهَرًا وَأَكْثَفُ^(٦)
هُوَ النَّعِيمُ مِنْ زُرْقِ الْأَسِنَّةِ بَرَقَهُ وَلِلطَّبْلِ رَعْدٌ فِي نَوَاحِيهِ يَقْصِفُ

* * *

فَلَمَّا قَضَيْنَا مَا عَنَّا أَدَاؤُهُ وَكُلُّ بِمَا يُرْضِيكَ دَاعٍ فَلَحِيفُ^(٥)
قَرْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ حَمْدَكَ إِنَّهُ لِأَوْكَدُ مَا يُحْظَى لَدَبُهُ وَيَزَافُ^(٦)

(١) ينسق النظر : أى يتابع بيته ويحمله على طريقة نظام واحد ، ويرصف : أى ينظم وينصد ، والمعنى هذا العبد شير باعداد تانى بعمده على اسمه وترتيبه .

(٢) بربيه : بخديه ، وتطام : تهذر من دوله ذهب دمه طلعاً أى هدرأ .

(٣) اللام اليابع الذى شارف الاحلام ، وانخلف : الذى احتل نظر الناس فيه بمصحه يقول قد احتلم وأدرك ، وبعض يقول غير مدرك ، والمعنى بما سمته إلى الملك وهو دون الاحلام ، وتمت له علاماته ورسومه ومميزاته ، وهو مشكوك فى احتلامه .

(٤) الخيس : الخيش الجرار التام العرق من المقدمة والليمة والاسرة والعب والساق وأراد به المسكر السائر فى موكب الملك عند خروجه لصلاة العيد ، واليم : السحاب ، وأحمل : أى أكثر منها احتشاداً واحتماها فى حال كونه (مكهراً) أى مظلماً أسود لما على الجمد من الدروع والسلاح ، وأكثر : أى أكثر كثافه وتراكماً من السحاب لشدة الزحام وكثرة العدد وأعاد الصبير فى قوله (منها) على الهم مؤشراً صراحة للمعنى . (٥) أى فلما أدينا ما أهمنا أداؤه من صلاة العيد : وكل الناس داعٍ فلح في الدعاء بما يرضيك ، وحواب لما يأتى بعمد .

(٦) يحظى : أى يوجب الحظوة والتفضيل ، وزلف : يقرب ، والمعنى : ولما انتهينا من صلاة العيد جمعنا بين حمد الله والثناء عليك لأنه أبلغ فى بلوغ الحظوة لديه ، والزلفى إليه .

وَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي هُوَ كَعْبَةٌ (١)
فَإِذْ نَحْنُ طَالِعُنَاهُ وَالْأَفُقُ لِأَبْسُ
رَأْيَانِكَ فِي أَعْلَى الْمُصَلَّى كَأَنَّمَا
وَلَمَّا حَضَرْنَا الْإِذْنَ وَالْدَّهْرُ خَادِمٌ
وَصَلَلْنَا فَقَبَّلْنَا النَّدَى مِنْكَ فِي يَدِ

يُعَادِيهِ مِنَّا نَاظِرُهُ أَوْ مُطَرَّفُهُ (١)
عَجَّاجَتَهُ وَالْأَرْضُ بِالْخَيْلِ تَرْجُفُ (٢)
تَطَلَّعَ مِنْ مِحْرَابِ دَاوُدَ يُوسُفُ (٣)
تُسِيرُ قَيْمُضِي وَالْقَضَاءُ مُصَرَّفُ (٤)
بِهَا يُتَلَفُ الْمَالُ الْجَبِيمُ وَيُخْلَفُ

* * *

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى مَا بِنَفْسٍ خِصَاعَةٌ
وَأَمَنْتَ حَتَّى مَا بِقَلْبٍ تَخَوُّفُ

(١) يعاديه : أى يباكره وبقدمو عليه في أول النهار ، والمطرف : الذى يديم النظر في النصر من حب وإعجاب ، وهو في الأصل الذى أصاب طرفه أى عينه عود يهود تآ يثبت طرفه في الشيء ، ولا يفهم طرفه أو هو اسم فعل من طرف الشيء احتاره ، قال الشاعر :

أطرف أبكارا كأن وحوهما وجوه عدارى حرت أن تقما

(٢) طالعه : أى القصر ، والمعجاجة : ما تديره سنايك الحيل من البوار ، وترحب : تصطرب .

(٣) المصلى : المكان المعد لصلاة العيد ، وتطلع : طلع وأشرف عليهم من محراب ، وروى عن الزجاج في قوله تعالى « وهل أتاك نأ الخضم إذ توزروا المحراب إذ دخلوا على داود » قال : المحراب ارفع بيت في الدار ، وارفع مكان في المسجد ، والمعنى : رأيتك حين عودتنا إلى القصر ومطالعنا إياه مشرفا بأعلى المصلى من غرفة قصرك كأنما أرق من محراب داود في يوم سكه وعبادته وجه يوسف رائعا في حسنه وجماله .

(٤) قال ابن بسام :

وقوله ولما حضرنا الاذن البيت مع الذى ندمه أرى أبا الوليد احتدى فيه حذو الوليد في آيات أشدها لحسنا وهي من أحسن ما قيل في الهيبة :

ولما حضرنا سدة الأذن أخرت
وأفضيت من قرب إلى دى مهابة
كما انتصب الرمح الرديى نفت
وكالبدر وافته لم سعوده
وسلمت فاعتافت حنانى هية
ولما تأملنا الطلاقة وانقى
دنوت فقبل اللمدى من يدا سرى
صفت مثل ما يصفو المدام خلاله

رجال عن الباب الذى أما داخله
أقابل بدر التم حين أقالبه
أنا يسه واهتر لاطمن عامه
وتم بناء واستهلت مبارله
تازهى القول الذى أنا قائله
إلى يبشر آسستى بحمايله
كريم بحياه سباط أمانله
ورقت كما رقى النسم شمائله

وقول ابن زيدون وصلنا قبلنا الندى من يد اسرى معنى ملبح ولفظ صحيح ، إلا أنه كما تراه لبط بيت البحرى ويقول بعض أدبائنا إن ابن زيدون بحترى زماننا وصدقوا لأنه حذا حدو الوليد في بمنى قصائده .

وَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْتَهْلِكْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ
لَكَ الْخَيْرُ ، أَنَّى لِي بِشُكْرِكَ نَهْضَةٌ ؟
أَفَدَّتْ بِهِمْ الْحَالِ مِنْ غُرَّةٍ
وَبَوَّأَتْهُ دُنْيَاكَ دَارَ مَقَامَةٍ

وَلَا ذَلَّ مُقْتَادٌ وَلَا لَانَ مَعْطِفٌ
وَكَيْفَ أَوْدَى فَرَضَ مَا أَنْتَ مُسَلِّفٌ ؟^(١)
يُقَابِلُهَا طَرْفُ الْجَمُوحِ فَيُطْرَفُ^(٢)
بِحَيْثُ دَنَا ظِلٌّ وَذُلَّلَ مَقْطِفٌ^(٣)

* * *

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَلْبِسْتَهَا سُنْدُوسِيَّةٍ
مَوَاهِبُ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا
فَإِنْ أَكُّ عَبْدًا قَدْ تَمَلَّكَتْ رِقَّةً

أَسْرَبَلُهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَأَلْحَفُ
مِنَ الْمَزْنِ تُتَمَرَى أَوْ مِنَ الْبَحْرِ تُعْرَفُ
فَأَرْقَعُ أَحْوَالِي وَأَسْنَى وَأَشْرَفُ^(٤)

(١) نهضة : أى نفاة وقدرة أى كيف يكون لى قدرة على القيام بشكرك ، ومسلم : امم فاعل من أسلفه أى أقرسه ، وفى رواية : « قرص ماأب مسلم »
(٢) المسمى اكتبت سواد الحال من غرة يداه نواحيها طرف الطموح الذى يد بصره إلى الشئ ، فيطرف أى يثبت فيها نظره من قولهم فلان مطروف العين بعلان إذا كان لا ينظر إلا إليه .
(٣) أى أزلتنى وأحلتنى من ديباك الشبهة بدار المقامة حدة دنا ظلها ودلت قطوعها .
(٤) فان أك بما أوليتى من نعم عبداً مرهوقاً لك فانى أعد اتمائى إليك باله وده والرق أسى أحوالى وأرغمها وأشرفها ، قال أبو الطيب المتنبى « ومن وجد الاحصان بيذا تميدا » .
وليدكر - بمناسبة هذه القصيدة العمد ، التى قالها ابن زيدون بخترى العرب فى المعتمد بالله بمناسبة عيد الأضحى - قصيدة بخترى الشرق التى قالها فى الموكل بمناسبة عيد العطر - ليرى القارى صورتيين قارب بينهما اتحاد العرض والشاعره وان احتلت القافية والبحر :

الله مكن للخليفة حمير ملكا يحسنه الخليفة جعفر
نعمى من الله اصطفاه فصلها والله بررق من يشاء ويقدر
عاسم أمير المؤمنين ، ولا تزل تعطى الريادة - فى البقاء - وتشكر
عنت فواضلك السرية ، فلقى فيها القل على الفى والمكث

* * *

بالرصم - وأنت أفضل صائم - وبسنه الله الرسمية تقدر
فانهم بيوم العطر عربا ، إنه يوم أعر - من الرمان - مشهر
أظهرت عز الملك فيه يحنل لجب ، يحاط الدين فيه وينصر

في طروشة (١)

غَرِيبٌ بِأَقْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا (٢)
تَحْمَلُهَا مِنْهُ السَّلَامَ إِلَى الْغَرْبِ
وَمَا ضَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي أَحْتِمَالِهَا
سَلَامٌ هَوَى يُهْدِيهِ جِسْمٌ إِلَى قَلْبِ (٣)

حلنا الجبال تسير فيه ، وقد غدت
فالحيل تصل ، وانموارس ندعى ،
والأرض حاتمة تتمد ثقلها ،
والشمس مامة تومد ناصحي
حتى طلعت بصوه وجهك ، فاشعلت
وافت بك الظرور ، فاصع
يجدون رؤيك التي فارواها
دكروا لطلعتك التي مهلوا
حتى انتهت إلى المسلى لا ساء
ومشيت مشية حاتم متوابع
فلو ان مشتاه تكلم فوق ما

أعدت من فصل الخطاب بحكمة
ووقفت في برد النبي مذكرا
ومواعظ شفت الصدور من الذي
حتى امد علم الجهول وأخلصت
صلوا وراءك آحين بمصمة
فاسلم بمفخرة الاله فلم يزل
الله أعطاك المحبة في الوري
ولأت أملا للعيون لديهم

(١) هي مدينة بأقصى الشرق من الأندلس على البحر الأبيض المتوسط ، وهي من أعمال بلنسية . قالوا :
وكانت متقنة العمارة ، وهي من العرص البحرية التي ينتابها التجار ويسافرون منها إلى سائر الأمصار ، وقد
استولى عليها الانرنج وعلى جميع حصونها في سنة ٥٤٣ هـ (٢) ربح الصا ، وهي التي ته من
الشرق ، وتقابلها الدبور (٣) ليت الصا تحتمل أماسها سلا من جسم في الشرق إلى فؤاده النائي
عنه في الغرب ، وقريب من هذا المعنى قول عبد الرحمن الداخل « صقر قريش » :

إن جسي كما علمت بأرض وفؤادي وساكنيه بأرض
فسدر الله بالفراق علينا فمسي ناجتماعنا سوف يفضي



إلى الوزير أبي عبد الله (١)

« لم ترل الأيام تدنى « ابن زيدون » وتعدده ، وتسوؤه وتسعده ،
وتقذف به إلى كل نازح ، وتطرف أمله بعين الللاعب المارح ، حتى
أحلت له « بلنسية » وهلال ذكائه كما أقر ، وغصن نباهته يانع قد أثمر ،
وبنو عبد العزيز غرر ملكها ، ودرر سلكها ، يفيضون بحور الدى ،
ويومعون في كل مستدى ، فحل منهم محلّ الجيا في الكؤوس ،
ووقع منهم موفع الشاء في النفوس ، وأفام بين مبرة تواصله ، وسرة
تغازله ، ومكارمة تفاديه ، ومجامة كرائح القطر وغاديه ، فاه انصبل ،
وحصل ما حصل ، تذكر بعد رهة ذلك العيش ودر عمره قد
صوح ، وغصن سه قد دوح ، فلم يجد إلا له طيبا ، ولم يهصر غير
فنه عصا رطيا ، فكتب إلى ابن عبد العزيز (٢) :

رَاحَتٌ فَصَحَّ^(٣) بِهَا السَّقِيمُ رِيحٌ مُعْطَرَةٌ النَّسِيمُ
مَقْبُولَةٌ هَبَّتْ قَبُولُ لَأَ^(٤) فَهِيَ تَعْبِقُ فِي الشَّمِيمِ^(٥)
أَفْضِيضُ مِسْكِ أُمَّ بَلَدٍ سَيِّئَةٌ لِرِيَّاهَا^(٦) نَعِيمٌ^(٧)
بَلَدٌ حَيِّبٌ أَفْقُهُ لِفَتَى يَحْمِلُ بِهِ كَرِيمٌ

- (١) هو الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز . (٢) فلانذ العقيان .
(٣) وفي رواية « راح لها السقيم » راحت أى بردت وطابت ، وراح لها السقيم من قولهم : « راح
للأمر يراح » إذا أخذته أريحية وخفة ونشاط ، أى فارتاح لطيبها السقيم .
(٤) القبول : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور أو لأن النفس تمبلها .
(٥) أى أن ريح الصبا تحمل معها عطرا تنفسمه طيب الشدى .
(٦) لريحها الطيبة . (٧) يقول لعل نسيم بلنسية الشدى الذى تستروح النفس لايه مدهبّ عليا .

أَيُّهَا أَبَا عَبِيدِ الْإِلَهِ دُعَاءَ مَغْلُوبِ الْعَرِيمِ (١)
 إِنَّ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِكَ فَالْعَذَابُ بِهِ أَلِيمٌ (٢)
 أَوْ أَتَّبَعْتُكَ حَتَّى نَهَى نَفْسِي فَأَنْتَ لَهَا قَسِيمٌ (٣)
 ذِكْرِي لِعَهْدِكَ كَالشَّهَادَةِ سَرَى فَبَرَّحَ بِالسَّلِيمِ (٤)
 مَهْمَا ذَمَّمْتُ فَمَا زَمَا نِي فِي ذِمَامِكَ بِالذَّمِيمِ (٥)
 زَمَنْ كَمَا لَوْفِ الرِّضَا عِشُوفٌ ذِكْرَاهُ الْفَطِيمِ (٦)
 أَيَّامٍ أَعْقَدُ نَاطِرِي بِذَلِكَ الْمُرَأَى الْوَسِيمِ (٧)
 فَارَى الْفُتُوَّةَ غَضَّةً فِي تَوْبِ أَوْاهِ حَلِيمِ (٨)
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّكَ مِنْ فُؤَادِي بِالْمَسِيمِ (٩)
 وَلَنْ تَحَوَّلَ عَنْكَ لِي جِسْمٌ فَعَنْ قَلْبٍ مَقِيمِ (١٠)

- (١) أيها : بكسر اعمزة بمعنى ردف من الحديث ، وفتحها تعني اكتمت واسكت ، أو للتبديد بمعنى هيات ، أي امد دعاء منبوع العريم ، والعريم : الأمر الداهي العظيم ، والمعن هيات يحدى دعائي وأنا من خاتمة المحدثات على امره . وفي الأصل : « مغلوب العريم »
- (٢) لي العذر إذ ضحرت بمراقبتك وعيل صبري فقد اشتد لي الألم لعادتك .
- (٣) القسيم : شطر الشيء المسموم ، أي أن شطر نفسي الثاني فلا عي لي عنك .
- (٤) وفي الأصل : « كالعداد »
- (٥) الدمام : الحق والحرمه ، والمعنى مهما سميت : من عهد الرمان العادر بلن آدم ذلك العهد الحميد الذي قضاه معك ومدت بيه بقربك ورحمتك .
- (٦) وهذا كان في ذلك العهد المحبوب سمعت ذكريات سارة أحس إليها كما يحسن التعامل المقطوم إلى عهد الرضا العريم . وفي الأصل « زمن كما لوف الرضا » (٧) أيام نعم ناظري برؤيتك بحياك البهي .
- (٨) الأواه : الكثير الأوه إشعاعاً وفرقاً ، قالوا : « وهو الكثير التضرع والدعاء أو الحزن والبكاء أو هو الرحيم الرقيق » والمعنى : أرى الفتوة - في عدوانها - معتزة بالخشية والتضرع والحلم ، وفي الكتاب الكريم : « إن إبراهيم لحلم أواه ميب » (٩) الصميم : المحس أو الحالم .
- (١٠) وإذا رحل عنك جسمي فان قلبي لم يرحل عنك ولم يخل عن حبك فهو ثابت مقيم عندك .



قُلْ لِي بِأَيِّ خِلَالٍ سَرَّ (١) قَبْلُ أَفْتَنُ أَوْ أَهِيْمُ (٢)
 أَيْمَجِدُكَ الْعَمَمَ (٣) الَّذِي نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيمِ (٤)
 أَمْ ظَرَفِكَ الْحُلُو الْجَنَى أَمْ عِرْضِكَ الصَّافِي الْأَدِيمِ
 أَمْ بَرِّكَ الْعَذْبُ الْجَمَا مِ، وَبِشْرِكَ الْغَضُّ الْجَمِيمِ (٥)
 أَمْ بِالْبَدَائِعِ كَاللَّا لِي مِنْ تَثِيرٍ أَوْ نَظِيمِ
 وَبِلَاغَةِ إِنْ غَدَّ أَهْلُهَا فَانْتِ لَهُمْ زَعِيمِ
 فِقْرَهُ تَسْوِغُ بِهَا الْمَدَا مٌ إِذَا تَكَرَّرَهَا النَّدِيمِ (٦)
 إِنْ أَشْمَسَتْ تِلْكَ الْطَلَّا قَةٌ قَالَتِي مِنْهَا مُقِيمِ

* * *

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْحُطُو ظَ حَبَاكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ
 لَا أَسْتَزِيدُ اللَّهَ نَعْمِي فَيْكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمِ
 فَلَقَدْ أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنَّكَ غُرَّةُ الزَّمَنِ الْبَهِيمِ
 حَسْبِي الثَّنَاءُ لِحُسْنِ بَرِّكَ مَا بَدَا بَرَقَ فَشِيمِ (٧)
 ثُمَّ الدُّعَاءُ بِأَنْ تَهَنَّأَ طُولَ عَيْشِكَ فِي نَعِيمِ
 ثُمَّ السَّلَامُ تُبَلِّغْنَاهُ فَعَيْبُ، مُهْدِيهِ سَلِيمِ (٨)

- (١) السرو : العسل والسحاء في الرواة . (٢) لاني لا أدري أي خلال مصلك جدير بالاشارة والتثويه ، وأي مزاك حدير بأن يهيم به عارفك ويمتد (٣) الشامل .
 (٤) انتظم المجد الحديث ، والمجد القديم . (٥) الجلم - جمع جمة بتشديد الميم - الماء الكثير المجتمع ، يقال : جت البئر جوما ، إذا اجتمع ماؤها وارتفع بمد ترح ما فيها ، قال زهير :
 « ولما وردن الماء زرقا جامه وسعن عصى الحاضر المتخيم »
 والجلم : النبات الكثير . (٦) كلمات تعذب بها الحر إذا ردها القديم .
 (٧) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين يطر ، وفي الأصل : « لحسن برقك » .
 (٨) وفي رواية : « ثم السلام تبلمنه بقاب مهديه السليم »



جَوَابُ كِتَابِ

« كتب إليه الوزير أبو بكر بن الطيبي :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار
 وقلّ منا ومك اليوم زوّار
 وبينا كل ما تدري به من ذم
 وللصا ورق حصر ونوّار
 وكل عيب وإعجاب جرى له
 .واقع حلوة عندي وآثار
 فادكر أحالك بخبر - كلما اعت
 به الليالي - فان الدهر دوّار
 بخار به بديها في ظهر رقعه : «

لَوْ أَنَّي لَكَ فِي الْأَهْوَاءِ مُخْتَارُ
 لَكِنَّهَا فِتْنٌ فِي مِثْلِ غِيَبِهَا
 فَأَحْسِنِ الظَّنَّ لَا تَرْتَبِ بِعَهْدِ فَتَى
 لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمَنَى فِي الْأَمْرِ يُمَكِّنُهُ
 لَمَّا جَرَّتْ بِاللَّيْلِ تَشْكُوهُ أَقْدَارُ
 تَعْنَى الْبَصَائِرُ إِنْ لَمْ تَعْمَ أَبْصَارُ (١)
 تَعَفُّو الْعُهُودُ وَتَبَقِيَ مِنْهُ آثَارُ
 لَمَّا أَغْبَيْتُكَ - يَوْمًا - مِنْهُ زَوَّارُ (٢)
 مَن لَيْسَ يَجْهَلُ أَنَّ الدَّهْرَ دَوَّارُ
 فَلَا يَرِيْبُنْكَ فِي ذِكْرِ الصَّدِيقِ بِهِ

(١) لو كان لي الخيار مما تهواه وتعه لما جرى القدر بما يسرك وبيعتك على الشكوى ، ولكنه قدر

لا سبيل إلى رده ، وقتنه تصل في غيابهها العمول وتمعى الأصار .

(٢) لو كان الأمر بيدي لما تعلمت عن زيارتك يوما واحداً .

في الغزل

وَضَحَّ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَتَفَى الشَّكَّ الْيَقِينُ
 وَرَأَى الْأَعْدَاءَ مَا غَرَّ تَهْتُمُ مِنْهُ الظُّنُونُ
 أَمَلُوا مَا لَيْسَ يُعْنَى وَرَجَّوْا مَا لَا يَكُونُ
 وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونَ الْأَمَهْدَ مَوْلَى لَا يَخُونُ (١)
 فَإِذَا الْغَيْبُ سَلِيمٌ وَإِذَا الْوُدُّ مَصُونٌ (٢)

* * *

قُلْ لِمَنْ دَانَ بِهِ جَرِي وَهَوَاهُ لِي دِينُ
 يَا جَوَادًا بِي إني بِكَ وَاللَّهِ صَنِينُ
 أَرْخَصَ الْحَبَّ قُوَادِي لَكَ وَالْعَلِقُ (٣) تَمِينُ

* * *

يَا هِلَالًا تَبْرًا ءَاهُ نُفُوسٌ لَا عِيُونُ
 حَجَبًا لِلْغَلْبِ يَقْسُو مِنْكَ وَالْقَدُّ يَلِينُ (٤)
 مَا الَّذِي ضَرَّكَ لَوْ سُورَ عِمْرَاكَ الْحَزِينُ
 وَتَلَطَّفْتَ لِصَبِّ حِينُهُ (٥) فِيكَ يَحِينُ
 قَوُّجُوهُ اللَّفْظِ شَتَّى وَالْمَعَاذِيرُ فُنُونُ (٦)

(١) وفي رواية: وتمنوا أن يخون ال عبد مولى لا يخون
 (٢) خطاب ظن الأعداء وظهر أنني لم أكن لمولاي عهداً، وأن إخلاصي ووفائي لها سليمان وودي له لا يتغير
 (٣) النيس، وفي رواية: « والعلق الثمين » .
 (٤) وفي رواية « والمطف يلى » . (٥) هلاكه . (٦) سقى .

في مدح ابن جهور

قال يمدح الوزير الأجل محمد بن جهور بن محمد بن جهور :

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّقِيعَ شَبَابٌ فَيَقْعُرُ عَنْ لَوْمِ الْمُحِبِّ عِتَابٌ ^(١)
عَلَامَ الصَّبَا غَضٌ يَرِفُ رِوَاؤُهُ إِذَاعَنَّ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ ذَهَابٌ ^(٢)
وَفِيمَ الْهُوَى مَحْضٌ يَشْفُ صَفَاؤُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَنْهُ تَوَابٌ ^(٣)
وَمُسْتَعْفَةً بِالْوَصْلِ إِذْ مَرَّ بِعِ الْحِمَى لَهَا كَلِمًا قِظْنَا الْجَنَابِ جَنَابٌ ^(٤)
تَظُنُّ الذَّوَى تَعْدُو الْهُوَى عَنْ مَرَارِهَا وَدَاعَى الْهُوَى نَحْوَ الْبَعِيدِ مُجَابٌ ^(٥)

- (١) ألم تعلم أن حير شامع المحب إذا حى دما هو غصارة شبابه ، وأن الشباب لحسه في الأعين ولما فيه من الترمه والخلة يعتبر شعيبا في تحميم العقوبة وتنزيلها من لوم عيب إلى عتاب حميف يلطف مدخله على القلب ، وإذا كان الشاب حير شامع للحسان فما أهدرهن الاقصار عن اللوم ، وما أبدع قول علقمة :
- فان تسألوني بالنساء ، فاني حير بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو حلّ ماله فليس له في ودعني نصيب
يردن تراء المال حت وحنده وشرخ الشباب عندهن عجيب
- (٢) غس : طرى ناعم ، يرف : رواؤه : يترفرق فيه ماء الحس ، والرواء الحسن ، ومعنى اليب : وما قيمة الشباب وغصاره الصا إذا احتمقا في ترغيب الحسان ومجزا عن اكتساب ودهن .
- (٣) محض : حاص لا شائبة فيه ، و شت من شحوف الماء أي يبدى ما وراءه أي وفيه جبا خالص لا يشوب صماء كدر إذا لم يكن من الحسان مشوبة عنه وحزاء عليه .
- (٤) المريع : الموسع الذي ينزلون به زمن الربيع ، والحمي : موضع فيه كلاً يحميه أهله من أن يراه غيرهم ، ونظما : من القبط وهو صميم الصيب يقال نطبا بمكان كذا أي أقفا فيه زمن الصيب والقبط والصيب بمعنى واحد ، والجناب الأول ما قرب من محلة القوم أي قننا في المسكن القريب من الحمي واتخذناه مصيفاً لنا ، والجناب الثاني الناحية ، أي رب حساء تسعفي بوصولها كلما اتخذنا جانب الحمي مصيفاً لنا وكانت لها ناحية الحمي سكناً في زمن الربيع ، وفي هذا البيت جناس متكاف كما ترى .
- (٥) تظن مسافة المديني وبنها تصرف تنسى عن زيارتها والحال إن داعي الهوى الذي ينادي من ناحيتها مجاب الدعوة .

وَقَلَّ لَهَا نِضْوٌ بَرَى مَحْضَةُ السَّرَى
إِذَا مَا أَحَبَّ الرَّكْبُ وَجْهًا مَضَوْا إِلَهُ
عَرُوبٌ الْأَحْتِ مِنْ أَعَارِبِ حِلَّةِ
غِيَارَى بْنِ الطَّيْفِ الْمَعَاوِدِ فِي الْكُرَى
وَمَاذَا عَلِيهَا أَنْ يُسْنَى وَصَلَهَا
أَلَمْ تَذَرِ أَنَا لَا نَرَاخُ لِرَيْبَةِ
وَلَا نَنْشُقُ الْعِطَرَ النَّمُومَ أُرِيحُهُ
وَبِهِمْ آءُ غُفْلُ الصَّخْصَحَانِ تَجَابُ (١)
فَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَخَبَّ رِكَابُ (٢)
تَجَاوَبُ فِيهَا بِالصَّهِيلِ عَرَابُ (٣)
مُشِيحُونَ مِنْ رَجْمِ الظَّنُونِ غِضَابُ (٤)
طِمَانٌ - فَإِنْ لَمْ يُغْنِنَا - فَضِرَابُ (٥)
إِذَا لَمْ يُبَلِّغْ بِالنَّجِيعِ خِضَابُ (٦)
إِذَا لَمْ يُشَعِّشْ بِالْمَجَاجِ مَلَابُ (٧)

(١) النسو : المهزول والمراد به البعير الذي أنساه السفر أى أهزله ، وبرى نحصه السرى : أى أذهب لحمه السير بالليل ، والبهاء : العلة لا يهتدى فيها ، وغفل : أى لا علامه سهاولا أثر يعرف ، والصحصحان : المستوية الجرداء ، أى وبل لهذه المحبوبة لماية بعير أنساه السفر ودلاة مجهولة لا أثر لها للمارة والطرق تحاب وتنطع سيرا لأحلمها . (٢) فى معنى هذا البيت قول الشاعر :

وكت إذا ما جئت يسلى أزورها أرى اليد تطوى لى وبدو عبيدها

(٣) العروب : المطعمة لروحها المتحة إليه ، والأاحت : طهرت أولوحت بطرف شىء من مكان بعيد والأعرب : الأعراب ، والحلة : مجتمع البيوت ، والعراب : الحيل العربية ، والمعنى : روعة من طاعة زوجها والتحب إليه بحيث لا تلتصق إلى غيره . قد لوحت بطرف منديل أو نحوه من ناحية الحلة التى ينزل بها أولئك الأعراب العيورون حيث ارتطوا خيولهم وركزوا رماحهم .

(٤) غيارى : جمع غيران من العيرة وهى الحميه والأقنه . يقال رحل غيورا على أهله وكذلك غيران والأنتى قيرى ، والمشيع : الحدز المجرع إليك لداعمة الموت أو الدفاع عن الحرم ، ودمه قوله .

أب لى همتى وأنى بلائى وأحدى الحمد بالئى الريح

وقدأى على المكروه مسمى وضربى هامة البطل المشيع

(٥) يسى : أى سهل ويسر ، ومه تسمى له كذا أى تسهل وتيسر ، وفك الشاعر :

وأعلم علما لس بالطن انه إذا الله سى عقد شىء تيسرا

والمعنى : وأى تبعة ولوم عليها فى أن يسهل الطريق إلى وصلها مطاعة بالرماح فان لم تمن فصارية بالسيوف (٦) نراح : كخفاف من قوهم فلا نراح المعروف إذا أحدثه له أريحية وحة ، ويلمع أى يلون بلون النجيع أى الدم ، يقول نحن لا نستريح لوصل الفانيات إذا لم تدفع نحه من دم الأعداء .

(٧) النموم : مبالغة فى التمسكى به عن سطوع الرائحة ، والأريج : ما يفوح من العطر ، ويشعشع : يختلط ، والمجاج : العبار ، والملاب : كسحاب العطر ، أى لا يستريح إلى امتشاق عطرهم الساطع الأريج إلا بعد امتشاق الحسام ، واختلاط ما تثيره سنابك الخليل من التراب ، بما يروح من رائحة الملاب ، والمعنى أنه لا يجب أن يظفر بتلك اللذائذ إلا إذا اغتصبها اعتصابا بحمد السيب . فهو لا يسلم الريبة إلا بالدم ولا يدشق العطر إلا مشوبا بفبار الهيجاء .

وَكَمْ رَاسَلَ الْغَيْرَانَ يُهْدِي وَعِيدَهُ
وَلَمْ يَدْنِنَا أَنَّ الرَّبَابَ عَقِيلَةٌ
وَأَنْ رُكِّزَتْ حَوْلَ الْخُدُورِ أُسَيْتَةٌ
وَلَوْ نَذَرَ الْحَيَّانِ غَيْبَ الشَّرَى بِنَا
وَلَيْلَةَ وَافَقْنَا تَهَادَى فَنَمْتَرِي
يُعَذِّبُهَا عَضُّ السَّوَارِ عِمَصِمِ
لَأَبْرَحْتُ مِنْ شَيْحَانَ حُطَّ لِثَامُهُ
تَوَى مِنْهُمَا تَنَّى النَّجَادِ مُشَمِّعِ
فَمَا رَاعَهُ إِلَّا الطَّرُوقَ جَوَابُ (١)
تَسَانَدُ سَعْمُدُ دُونَهَا وَرِبَابُ
وَحَفَّتْ بِقُبِّ السَّابِحَاتِ قِبَابُ (٢)
أَكْرَرْتُ عُظَالِي أَوْ أَعَادَ كُلابُ (٣)
أَيْسَمُو حَبَابُ أَوْ يَسِيدُ حُبَابُ (٤)
أَبَانَ لَهَا أَنَّ النَّعِيمَ عَذَابُ
إِلَى خَفِرٍ مَا حُطَّ عَنْهُ نِقَابُ (٥)
نَجِيدُ وَمَيْلَاهُ الْوُشَاحُ كَهَابُ (٦)

(١) العيران : وصف من العيرة ، والطروق : طروق الحى بالليل ، وى التمتع بلوصل رغم العبور يقول ابن الرومي .

ألا ربما سؤت العبور وساء في ويات كلانا من أحيسه على وحر
وملت أمواهاً عذاباً كأنها يبابع حمر حصبت لؤلؤ البحر

(٢) الف : جمع بناء وأنت والأف السامر ، من الخيل ، ومعنى هذا البيت والذى قلبه لم يهرقنا عن زيارة هذه المحبوبة التي كفى عنها بلرب أن تساد هامان القيلتان وتماوتنا دون لوصول إليها .

(٣) نذر به كمرح علمه فحذره وعطالي وكلاب ضم أولهما يومان من أيام العرب ، أى لو علم بسرانا إليها هذان الحيان لكان لنا معهما يومان كيومي عطالي وكلاب في الشهرة والمول .

(٤) يسمو : أي يرتفع للمناظر إليه من بعيد فيستدينه وحاب - مافتح - توج الماء وطرائقه التي كأنها الوشى أو الدسيج وبالضم الحمة ، وسمو الينا حباب بمافتح وهو الماء في تدافعه وتوجهه وإحداثه طرائق كطرائق النسيج وهو تمثيل لاحتلاس الخطا في المنى ، والمعنى : وادكر ليلة وادما محتمة فشك أقبل نحونا حبيب أو تذاب الينا حبة . يقول : لقد كما لا ندرى أتكون ليلتنا ليلة أس وافتشاط بقرب الحبة ، أم ليلة حرب وضراب بغزو أهدانا إيانا ، وسمو الحباب : فيه إشارة إلى قول امرئ القيس :

سموت إليها - بعد ما نام أهلها - سمو حباب الماء . حالا على حل

(٥) لأبرحت : لقد أفرط في الحذر وتوقع موافقة العدو ومشايخه ، والشيجان : العبور الحذر على الحرم ، والخمر : الحياء ، واللثام : للرجل ، والقاب : للمرأة ، يقول : لقد وضعت اللثام عن وجهي وتمتعت بحبيب لم يرفع عنه وجهه نتاب ليرط حائه . ولقد كنت - إلى ذلك - دائم الحذر والتوقع لموافقة العدو .

(٦) توى : أهدم ، وثى السجاد : بكسر أولهما أى طلى الفرش والوسائد ، والمشيع : كمعظم الشجاع ، والنجيد : الأسد - وهو يعنى بذلك نفسه - وميلاء الوشاح : يريد أن وشاحها به ميل وانحدار لتهود ثديها وضمور كشحها ، والسكباب : كسحاب التي كعب ثديها - وهو يعنى بها حبيته - وفي معنى هذا البيت يقول الطمراني :

وبنا على رغم العبور يسمنا جميعاً حواشي بردها وردائيا
وكانت إساءات الليالي كثيرة فما برحت حق شكرنا الليالي

يُمَلَّلُ مِنْ إِغْرِيسٍ تَعْرِ يَعْلُهُ (١)
إِلَى أَنْ بَدَتْ فِي دُفْهَةِ الْأَفْقِ غُرَّةٌ
وَقَدْ كَادَتْ الْجُوزَاءُ تَهْوِي فَخَلَّتْهَا
كَأَنَّ الثَّرْيَا رَايَةً مُشْرِعٌ لَهَا
كَأَنَّ سُهَيْلًا فِي رِبَاوَةِ أَفْقِهِ
كَأَنَّ الشَّمَا فَانِي الحُشَاشَةِ شَفَّةٌ
كَأَنَّ العَصْبَاحَ اسْتَقْبَسَ الشَّمْسِ نَارَهَا
كَأَنَّ إِيَاةَ الشَّمْسِ بِشْرُ ابْنِ «جَهْوَرِ»
هُوَ البِشْرُ شَمْنَا مِنْهُ بَرَقَ عَمَامَةٌ

غَرِيضٌ كَمَا المَزْنِ وَهُوَ رُضَابٌ (١)
وَتَفَّرَ مِنْ جُنْحِ الظَّلَامِ غُرَابٌ (٢)
ثَنَاهَا مِنَ الشَّعْرَى العَبُورِ جَنَابٌ (٣)
جَبَانٌ يُرِيدُ الطَّعْنَ ثُمَّ يَهَابُ
مُسِيمٌ نُجُومٍ حَانَ مِنْهُ إِيَابٌ (٤)
ضَنَى فَخُفَاتٌ مَرَّةٌ وَمَثَابٌ
فَجَاءَ لَهُ مِنْ مُشْتَرِيهِ شِهَابٌ
إِذَا بَدَلَ الآءِ وَاوَالَ وَهِيَ رِغَابٌ (٥)
لَهَا بِاللَّهَى فِي المُعْتَفِينَ مَصَابٌ (٦)

(١) مَلَّلُ : أى يكرر من التمليل وهو حى الثرة مرة بعد مرة ، ومنه قول امرئ القيس :

فملت لها سيري وأرخی زمانه ولا تمديني من حناك المملل

والأغريس : الطلع حمل ما ناله مكررا من نقيلها بمنزلة إغريس أبيض حلو تكرر جناه ، ويعمله أى يسقيه مكررا ، والغريس : ماء الأسنان ، والرصاب : الرق المرشوف ، ولوا : وهو الريق مادام في الدم .

(٢) الدهمة : سواد الليل ، والعره : باض الصبح ، سته الصبح في استعجاله الدسي بمن يطير غرابا ، ويطير هذا قول ابن المعتز :

كأنا وصوء الصبح يستحل الدسي نطير غرابا ذا قوادم حوت

(٣) الجوزاء : نجم يمتد في جور السماء أى وسطه ، والشعري : شعريان « إحداهما » الشعري العبور وهي كوكب يطلع بعد الجوزاء وسميت العمور لأنها - كما يقال - عبرت السماء عرضاً ولم يعبر السماء عرضاً غيرها وهي التي عبدها طائفة من العرب في الحاعلية ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى « وأنه هو رب الشعري » أى التي تعبدونها « والثانية » المبيضاء تقول العرب في أحاديثها لأنها غمضت من تكأنها على العمور ، وثناها : عطفها ، والجناب : الناحية والفتاء .

(٤) سهيل نجم ، وراوة أبيض ما ارتفع منه ، ومسيم : اسم فاعل من ألام الأبل أى أرطها ، شبه سهيلا في انحداره آخر الأبل وراء المحوم راع حان منه رجوع ورواح .

(٥) إياة الشمس : بكسر الهذزة وفتحها صوتها وحسنها .

(٦) اللها : بالضم العطايا ، والمعنى : كالماني خال العسل رالجود ، والمصاب : بالفتح نزول المطر مصدر ميمي من صاب المطر يصبوب إذا نزل .

جَوَادُ مَتَى اسْتَعَجَلْتَ أُولَى هِبَاتِهِ
غَنِي عَنِ الْإِبْسَاسِ دَرُّ نَوَالِهِ
إِذَا حَسَبَ النَّيْلَ الزَّهِيدَ مُنِيْلُهُ
عَطَايَا يُصِيبُ الْحَاسِدُونَ بِحَمْدِهِ
مَوْطَأٌ أَكْنَافِ السَّمَاحِ دَنَتْ بِهِ
فَزْرُهُ تَرَزُّ أَكْنَافَ غَنَاءِ طَلَّةِ
زَعِيمِ الْمَسَاعِي أَنْ تَلَيْنَ شَدَائِدُ
مَهِيْبٌ يُغَضُّ الطَّرْفُ مِنْهُ لِأَذِنِ
لِأَبْلَجِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ إِذَا أُحْتَبِي
وَذِي تُدْرَأِ يَعْدُو الْعِدَا عَنْ قِرَاعِهِ
إِذَا هُوَ أَمْضَى الْعَزْمَ لَمْ يَكُ هَفْوَةً

كَفَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ عُبَابُ
إِذَا اسْتَنْزَلَ الدَّرَّ الْبَكِيَّ عِصَابُ (١)
فَمَا لِعَطَايَاهُ الْحِسَابِ حِسَابُ (٢)
عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُحِبُّوا بِهَا فَيُحَابُوا
خَلَائِقُ زُهْرُهُ إِذْ أَنْفَ نِصَابُ (٣)
أَرَبَّتْ بِهَا لِلْمَكْرُمَاتِ رِبَابُ (٤)
يُمَارِسُهَا أَوْ أَنْ تَلَيْنَ صِعَابُ
مَهَابَتُهُ دُونَ الْحِجَابِ حِجَابُ (٥)
عَلَا نَظْرُهُ مِنْهُ وَعَزَّ خِطَابُ
غِلَابُ فَهَمَّا عَزَّةٌ فَخِالَابُ (٦)
يُورَثُ عَنْهَا فِي الْأَنَامِلِ نَابُ (٧)

(١) الناقة البسوس : هي التي لا تدر إلا على الإبساس بأن يقال لها « بس بس » تكبياً لها ،
والدر الابن ، والكي الناقة التي قل لبنها ، والمصاب : بالكسر شد نخدى الناقة لتدر . يقول : إن نواله
قريب ميسور لا يكحك مشقة ولا يحوكم إلى الحاف . (٢) حسب : عد ، والحساب : بالكسر
بمعنى الكثرة الكافية صفة لعطاياه ، ومنه قوله تعالى « عطاء حساباً » أي كافي ، والمعنى : إذا عد
العطاء القليل مئله ومعطيه ليحسبه فما لعطاياه الكثرة الكافية عد ولا إحصاء .
(٣) يقال رمل موطأ الأكشاف : كعظم أي سهل دمت الأحلاق سمح كريم ، والنصاب : كالمصب
الأصل ، والمعنى : أنه سهل حوانب السباح يقربه منك ويدنوه إليك دماؤه أخلاقه وإن علا منصبه وسما أصله
(٤) البناء : الكثرة الشجر ، والطللة : الروضة بلها الطل ، وأربت : من أرب بالمكان إذا لزمه
والرباب السحاب . (٥) يقول إن ابن جهور مهيب يعض من مهابه ومع هدا فهو يعض طرفه
حياء ، وهذا قريب من قول الفرزدق :

« يعضى حياء ، ويعضى من مهابته فلا يكلم إلا حيين ينتم »

(٦) دو تدرأ : بضم أوله أي صاحب عدة وقوة طي دمع أعدائه عن نفسه ، وغلاب : أي مغالبة ،
وعزه : قلبه ، وحلاب : من خلبه إذا خدعه ، وى المثل « إذا لم تطلب ماخبط » .
(٧) يقول إذا أمضى العزم لم يك هفوة يعض عليها أنامله ندماً وفيظا .

عَزَائِمٌ يَنْصَاعُ الْعِدَا عَنْ مُرَّهَا
صَوَائِبٌ ، رِيَشُ النَّصْرِ فِي جَنْبَاتِهَا
حَلِيمٌ تَلَا فِي الْجَاهِلِينَ أَنَاتُهُ
إِذَا عَثَرَ الْجَانِي عَفَا عَفْوَ حَافِظٍ
شَهَامَةٌ نَفْسٍ فِي سَلَامَةِ مَذْهَبٍ
« بَنِي جَهْوَرٍ » مَهْمًا فَخَرْتُمْ بِأَوَّلِ
حَطَاطَتُمْ بِحَيْثُ أَسَلْنَا نَطَحَتْ سَاحَةُ الْعَمَلِ
بِكُمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ فَأَوَّجَهُ

* * *

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسٌ
مِحْيَاكَ بَدْرٌ وَالْبَدْوُورُ أَهْلَةٌ
رَأَيْتُكَ جَارَاكَ الْوَرَى فَعَلَبْتَهُمْ
وَعَارٍ مَعْنَى الْحَمْدِ وَهُوَ خَرَابٌ
وَيُعْنَاكَ بَحْرٌ وَالْبُحُورُ ثِعَابٌ
لِلَّذَلِكَ « جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَابٌ »

- (١) الانصياع الرجوع أي رجع الأعداء عما أسره من العزائم حوا و رهبة كما رعت يوم الصال وهاب أي نصال رقيقة جمع رهب كحل . (٢) صوائب : صفة العزائم في البيت قوله يريد أنها عزائم صائبة كالسهام ، واللماط : ريش السهم إذا لم يتدل فإذا اعتدل فهو أوام . (٣) وهذا ريب من قول المتنبي : « ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالخاني عقاب »
- (٤) الدباب : بالسكر خيط يشد به ذب البعير لئلا يخطر به أي يحركه يمينا وشمالا فيبلا راكمه ، أي أنه بما يسديه إلى الحنأة من نعي يندهم من الوقوع في الدن كما يمنع لدباب ذب البعير عن تلويث راكمه بحطراته
- (٥) قطاب : بالسكر مزاج . (٦) معس : خي مشتقه ، ونقي : المنزل .
- (٧) ثعاب : بالسكر جمع ثوب وهو العدير . أو هو مسيل الوادي ، وجمعه ثعاب ، قال ابن دريد : « والناس ضمضاح ثعاب وأضى » ويجمع أيضا على ثعبان ، قال الحريري في أحاجيه إلى ذكرها في مقاماته : « أيجور الموضوع من ماء الثعبان » فقيل : « وهل أحسن منه ثعربان »
- (٨) والمدكيات - والمدكيات بالضعيف - الجبل التي بلغت تمام السن ونهاية الشباب وفي المثل : « جرى المدكيات غلاب » أي أن تغاب الجري غلابا .

فَقَرَّتْ بِهَا مِنْ أَوْلِيَاكَ أَعْيُنٌ وَذَلَّتْ لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ رِقَابُ

* * *

فَتَحَّتَ الْمُنَى مِنْ بَعْدِ الْهَامِنَا بِهَا
مَدَدَتْ ظِلَالَ الْأَمْنِ تَحْضُرُ تَحْتَهَا
حَمَى سَأَلَتْ فِيهِ الْبَغَاتِ جَوَارِحُ
فَلَا زِلْتَ تَسْمَعِي سَعَى مَنْ حَفِظَ سَعِيهِ
فَإِنَّكَ لِلدِّينِ الشَّعِيبِ لِمَلَامُ
إِذَا مَعَشَرَ الْهَاهُمْ جُلَسَاؤُهُمْ
نَعَزَّيْكَ عَنْ تَهْرِ الصِّيَامِ الَّذِي أَنْقَضَى
هُوَ الزُّورُ لَوْ تُعْطَى الْمُنَى وَضَعِ الْعَصَا
شَهِدَتْ لِأَدَى مِنْكَ وَاجِبَ فَرْجِهِ
وَجَاوَزَتْ بَيْتَ اللَّهِ أَنْسَاءَ مَعَشِرٍ
لَقَدْ جَدَّ إِخْبَاتٌ وَحَوَى تَبْتَلُ

وَقَدْ صَاعَ إِفْلِيدُهُ وَأَبْنُومَ بَابُ (١)
مِنَ الْعَيْشِ فِي أَعْدَى الْبِقَاعِ شِعَابُ (٢)
وَكَفَّتْ عَنِ الْبِهْمِ الرِّتَاجِ ذِتَابُ (٣)
نَجَاحُ وَحَظُّ الشَّانِدِيهِ تَبَابُ
وَإِنَّكَ لِلْمُلْكِ النَّثِيِّ لَرِتَابُ (٤)
فَلَهْوُكَ ذِكْرُ وَالْجَلْدِيسِ كِتَابُ (٥)
فَإِنَّكَ مَفْجُوعٌ بِهِ فُقُصَابُ
لِيَزْدَادَ مِنْ حُسْنِ التَّوَابِ مُنَابُ
عَلِيمٌ بِمَا يُرْضَى الْإِلَهِ نِقَابُ (٦)
خَشُوءُهُ فَخَرُّوا رُكَّامًا وَأَنَابُوا
وَبَالَغَ إِخْلَاصُ وَصَحَّ مَتَابُ (٧)

- (١) إهام : اللاب لإعلاقه ، وباب : مهمم أى مغلق ، والامليد : المفتح .
(٢) أهدى : أفضل تمصيل من عدية الأرض يقال أرض عداة وهى الطيبة التربة الخالصة من الررع البعيدة من ماء الأنهار والحداول ، والشعاب : جمع شعب بالكسر وهو الطرق فى الجبل ومسيل الماء ، يقول ، أنه مد طلال الأمن على اللاد النائية ، وحمل الخصب يمتد إلى الجهات البعيدة من مياه الأنهار .
(٣) البغات : صغاف الطير ، البهم : واحدها بهمة بالفتح وهى أولاد الصان والمز والبتير . وهذا البيت من أبداع ما قرأناه فى وصف استنبات الأمن .
(٤) الشعيب : المنزق ، والنثى : العاسد من نأى يتأى فهو نأ كدر إذا مسد ، ورتاب : جمع رؤبه وهى القطعة من الخشب يشعب بها الاناء ويسد بها ثلمة الجفنه
(٥) يشير إلى قول المتنبي :
« وخير جليس فى الزمان كتاب »
(٦) النقباب : بالكسر العالم بالأمور .
(٧) الاخبات : مصدر اخبت إلى ربه اطمأن إليه وتخشع وتواضع ، والتبتل : الاقطاع إلى الله تعالى .

سَيَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا بِهِ لَكَ مَفْخَرَةٌ
وَبُشْرَاكَ أَعْيَادُ سَيَنَمِي أَطْرَادُهَا
تَرَى مِنْكَ سَرَّوَالْمَلِكِ فِي قَشْفِ الثَّقَى
قَابِلٍ وَأَخْلِفَ إِعْمَا أَنْتَ لَابِسٌ
قَدَيْتُكَ كَمْ أَلْقَى الْفَوَاغِرَ مِنْ عِدَا
عَفَا عَنْهُمْ قَدْرِي الرَّفِيعُ فَأَهْجَرُوا
وَقَدْ تَسْمَعُ الْإِيْتِ الْحِجَاشُ نَهَيْقَهَا
إِذَا رَاقَ حُسْنُ الرِّوَضِ أَوْ فَاحَ طَيْمُهُ
فَلَا بَرِحَتْ تِلْكَ الضَّغَانُ نَهَا
يَقُولُونَ شَرِّقْ أَوْ فَغَرِّبْ صَرِيعةً
فَأَنْتَ الْحَسَامُ الْعَضْبُ أَصْدِي مَتْنُهُ
وَمَا السَّيْفُ مِمَّا يُسْتَبَانَ مَضَاوُهُ
وَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ كُدَّرَ صَفْوُهُ
وَقَدْ أَخْلَفَتْ مِمَّا ظَنَنْتُ مَحَايِلُ
فَنَنْ لِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ عَلَيْهِمْ
لِيُخْزِيهِمْ إِنْ لَمْ تَرِدْنِي نَبْوَةٌ

وَيَحْسُنُ فِي دَارِ الْخُلُودِ مَتَابُ
كَمَا أَطْرَدَتْ فِي السَّمْهَرِيِّ كِمَابُ
فَيَبْرُقُهَا مَرَأَى هُنَاكَ مُجَابُ
لِهَذَا اللَّيَالِي النَّوْرَ وَهِيَ ثِيَابُ
قِرَاهُمُ - لِنِيرَانِ الْفَسَادِ - ثِقَابُ (١)
وَبَيْنَهُمْ خُلِقَ الْجَمِيلُ فَعَابُوا
وَتَعَلَّى إِلَى الْبَدْرِ النَّبَاحِ كِلَابُ
فَمَا ضَرَّهُ أَنْ طَنَّ فِيهِ ذُبَابُ
أَفَاعَ لَهَا بَيْنَ الضَّلُوعِ لِحَابُ (٢)
إِلَى حَيْثُ آتَى النُّفُوسِ نَهَابُ (٣)
وَعَطَّلَ مِنْهُ مَضْرَبُ وَذَبَابُ (٤)
إِذَا حَازَ جَفْنَ حَدَّهُ وَقِرَابُ
فَأَضْحَى الرِّضَا بِالسُّخْطِ مِنْهُ يُشَابُ
وَقَدْ صَفَرَتْ مِمَّا رَجَوْتُ وَطَابُ
إِذَا لَجَّ بِالْخَصْمِ الْأَلَدِّ شِغَابُ
يُسَاءُ الْفَتَى مِنْ مِثْلِهَا وَيُرَابُ

(١) الفواغر : جمع فاغره من مرفاه إذا فتحه أراد بها الخاوف ، والثقاب : ما انقبت به النار واشعلتها به من صغار الميدان . يمول : نسي الدواؤك ، كم ألقى الكوارث من أعداء خبيثاء دوى مكر خفى في تدبير الفتن ، ودعاء في نصب الشراك . (٢) لصاب : بالكسر من لصب الجلد باللحم لرق به من شدة الهزال يريد ان ما يحملونه من ضعف له لتع في صدورهم كذبح الأفاعي سبب لهم الهزال . (٣) الصرعية : العزيمة وقطع الأمر ، والنهاب : بالكسر الغنائم جمع نهب . (٤) مضرب السيف : بالفتح والكسر ، وذبابه : بالضم حده .

فَقَدْ تَتَغَشَّى صَفْحَةَ الْمَاءِ كُدْرَةً
 سُرُورُ الْغِنَى مَا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ حَسْرَةً
 وَإِنْ يَكُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ مُؤْمِلٌ
 أَيْعُورٌ مِنْ جَارِ السَّمَاءِ كَيْنِ جَانِبِ
 فَأَيْنَ ثَنَاءٌ يَهْرَمُ الدَّهْرُ كَبْرَةً
 سَابِكِي عَلَى حَظِّي لَدَيْكَ كَمَا بَكِي
 وَأَشْكُو نُبُو الْجَنْبِ عَنِ كَلِّ مَضْجِعِ
 فَثِقْ بِهِ زُرَّ الشَّعْرُ وَأَصْفَحَ عَنِ الْوَرَى
 وَلَا تَعْدِلِ الْمُثْنِينَ بِي فَأَنَا الَّذِي
 يُتُوبُ عَنِ الْمَدَاحِ مِنِّي وَاحِدٌ
 وَرَدَّتْ مَعِينِ الطَّمْعُ إِذْ زِيدَ دُونَهُ
 وَتَحَدَّنِي عِلْمٌ تَوَالَتْ فُنُونُهُ
 فَعُدَّ بِنَاءً يَبْدَأُ يَبْسُدُ صِدْقُهَا
 وَحَاشَاكَ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرَّ مَرِيرَةٌ
 وَيَعْتَطُو عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ (١)
 وَأَرَى الْمُنَى مَا لَمْ تُنَلِّ بِكَ صَابٌ (٢)
 فَأَنْتَ الشَّرَابُ الْعَذْبُ وَهُوَ سَرَابٌ
 وَيُعْرُزُ فِي ظِلِّ الرَّيِّعِ جَنَابٌ (٣)
 وَجَلِيَّتُهُ فِي الْعَابِرِينَ شَبَابٌ
 رَيْعَةٌ لَمَّا ضَلَّ عَنْهُ ذُؤَابٌ
 كَمَا يَتَجَافَى بِالْأَسِيرِ ظَرَابٌ (٤)
 فَإِنَّهُمْ - إِلَّا الْأَقْلَ - ذُبَابٌ
 إِذَا حَضَرَ الْعَقْمُ الشَّوَارِدُ غَابُوا
 فَجَمِيعُ الْخِصَالِ لَيْسَ عَنْهُ مَنَابٌ
 أَنَسٌ لَهُمْ فِي حَجَرَتَيْهِ لُؤَابٌ (٥)
 كَمَا يَتَوَالَى فِي النِّظَامِ سِخَابٌ (٦)
 فَإِنْ أَرَا جَيْفَ الْمُسْدَاةِ كِذَابٌ
 لِمَهْدِكَ أَوْ يَخْفَى عَلَيْكَ صَوَابٌ (٧)

- (١) غطا، غطوا: ستر والاضراب سحاب رقيق يشبه الدخان .
 (٢) الأرى: المبل، والصاب: شجر من واحده صابه .
 (٣) يعور: من أعور المكان إذا بدت منه عورة، ويميز: أي يصاب ومنه المراء للأرض الصلبة .
 (٤) الطراب: ككذب ما ساء من الحجارة وخذ خضره والجمع طراب بالسكسر .
 (٥) ديد: بالنساء للجهول منع، والحجرة: نوح مسكون الناحية، ولواب: نالضم عطش، والمعنى: أنه طبع على الشعر وورد معين الطبع في حين أن غيره من الشعراء حبس عن وروده فله في حابيه لواب أي عطش .
 (٦) المسجد: كمنقله الذي حرب الأمور وقاسها عقله وعلمته التجارب ومثله المسجد بالذال المعجمة، والسخاب: بالسكسر المعمد .
 (٧) المرير: والمريرة الحمل، والاستمرار إحكام فله، يقول حاشاك أن أدعوك إلى إصلاح حادث من عهدك، أو يخفى عليك وجه الصواب .

بعد خمسمائة يوم في السجن

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة في مدح ابن جهور واستعطافه ،
وقد وردت في آخر رسالته الجديدة التي بعث بها إلى ابن جهور (١)
بعد أن مهد لتلك القصيدة بقوله مخاطبا ابن جهور :

وإنك إن سنيت عقد أمري تيسر (٢) ، ومتى أعدت (٣)
في فك أسرى لم يتعذر ، وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة ،
والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه تعود به صدقة (٤)

وإذا امرؤ أهدي إليك صنعة من جاهه ، فكأنها من ماله
لعل ألقى العصا بذراك (٥) ، وتستقر بي النوى في ظلك ، وأستأنف
التأدب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجد للحاسد مجال
لحظه (٦) ، ولا أدع لقادح مساغ لفظه ، والله ميسرك من إطلابي (٧)
بهذه الطلبة ، واشكائي من هذه الشكوى بصنعة تصيب منها
مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حسبما أنت خليق له ،
وأنا منك حري به ، وذلك بيده ، وهين عليه .

ولما توالى غرر هذا النثر واتسقت (٨) درره ، ففوز عطف
غلاوته ، وجر ذيل خيلائه (٩) ، عارضه النظم ماهيا ، بل كأيده
مداهيا ، حين أشفق من أن يعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك
الطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالعائدة له ، وما زال

- (١) وقد أبتنا هذه الرسالة في مكان آخر من السكتاب فليرجع إليها انقارى إذا شاء .
(٢) ان يسرت ما تمقد من أمري تيسر وسهل . (٣) قبلت العذر .
(٤) قال الشاعر :

قد نصب العمول أن الشفقة على الصديق والمدون صدقه
وأفصل العالم عند الله من ساعد الناس بهضل الجاه
ومن أعاك البائس الملهوما أعانه الله إذا أخيمما

- (٥) وكفك . (٦) فلا يجد الحاسد سبيلا إلى الشهامة في وعتمه بالقر إلى وأنا منكوب .
(٧) أسماقي وانا لاني ما أبخيه . (٨) انتظمت . (٩) كبره ورموه .

يستكد الذهن العليل ، وانخاطر الكليل حتى زف إليك عروسا
مجالوة في أنوابها ، منصوصه (١) بحليها وملابها (٢) وهامى القصيدة «

الهوى في طلوع تلك النجوم . والمنى في هبوب ذلك النسيم .
سرتنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم السرور للمستديم .
وطره ما انقضى إلى أن تقضى زمن ما ذمامه (٣) بالذميم (٤)
إذ ختام الرضا المسوغ منك ومزاج الوصال من تسنيم .
وغريض الدلال (٥) غرض (٦) جنى الصبوة (٧) نشوان من سلاف (٨) النعيم .
طالما نافر الهوى (٩) منه غر (١٠) لم يطان عهد جيده بالتميم (١١)

* * *

أيها المؤذني بظلم الليالي ليس يومي بواجد من ظلم (١٢)
قمر الأفق - إن تأملت - والشمس هما يكسفان دون النجوم

(١) مرفوعة .

(٢) اللاب : الرحرا . قال الشاعر : « كاللقة الصفراء صاك عسرها بلاها »

(٣) ذمامه : عهده . (٤) لم يقض لنا وطر من السرور بتلك الحياة الناعمة والعيش الرغد

حتى تولى ذلك الزمن غير مدموم المهد . (٥) وذلك الدلال اللطيف الحسن .

(٦) الغرض : الطرى ، الناعم : الناضر . (٧) الهوى : (٨) حمر .

(٩) نافر الهوى : خالجه . (١٠) لم يجرب الأمور .

(١١) التميم : جمع تميمه ، وهو العود : جمع عودة . أى الحمرزات ونحوها مما يعاق على الصبي ليس

عنه العين ، وقد أنكر الاسلام ذلك ، وفي هذا يقول القائل :

وإذا النية اشبت أظفارها الفيت كل تميمة لا تمنع

ومعنى ذلك اليت : أب حبيبه قد عاصى الهوى وجافاه لأنه غر حدث لا يزال قريب المهد بالتمام ، فهو

لا ينفك كما يزال النافر لمرارته وحدثه عهده .

(١٢) أيها المحبى بما تدخره لى الليالي من كيد ، رويدك لا تخفى بذلك طلت بحاق يوما على دهرى

لأننى الفت منه الظلم دائماً .

وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْمُكُ يَنْحُو بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوِ الْعَظِيمِ (١)

* * *

بَوَّأَ اللَّهُ « جَهْوَرًا » شَرَفَ السُّو
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْدُ
 قَلَدَ النُّمُرِ (٦) ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ
 خَطَرٌ يَفْتَضِي الْكَمَالَ بِنَوْعِي
 دَدٍ فِي السَّرْوِ (٢) وَاللَّبَابِ الصَّمِيمِ (٣)
 رَ، فَكَانَ الْخُصُوصُ (٤) وَفَقَّ الْعُمُومِ (٥)
 وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ (٧)
 خُلِقَ بَارِعٌ وَخُلِقَ وَسِيمِ (٨)

* * *

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْمَعَا بَدءَ قَرَعِهَا لِلْحَلِيمِ (٩)

(١) أكثر الشعراء من ذكر هذا المعنى في صور مختلفة ، وكادوا يذكرونه بمس هذه الألفاظ ، وقد ذكره أبو تمام بأسلوب آخر فقال :

لا تنكرى عطل الكريم من المعنى فالسبيل حرب المكائت العالى

ومنه قول أبي العلاء :

والخط يهباح الخليل وكم شكا نأ على ، ما شكاه قنبر

(٢) المروءة . (٣) المحسن : الخالص . (٤) الخصوص : الخاصة ، قال الشاعر :

ابن حليلى عند هند ولا رلت قريباً من سواد الخصوص

(٥) اتفق الخاصة والعامة على تسليمه مقاليد الأمور (٦) العنبر : ناضج والمعج ، الذى لم يجرب الأمور

(٧) سلم الجميع مقاليد أمورهم إليه ، واتفق علمهم وحاصتهم على الاعتراف له بالفضل وأولو العلم عرفوا بالعلم وصله ، ثم ولداهم في ذلك الجاهلون ، واكتفى العنبر الجاهل بعلم الخبير المجرب ، قالوا : وابن ريدون ينظر من طرف حتى إلى قول البحترى :

ودوو الفضل يجمعون على فضلك من بين سيد ومسود

عرف المالموت فضلك بالعلم وقال الجهمال بالتقليد

(٨) خطر : شرف وارتقاء قدر ، وعلو منزلة ، يمتضى الكمال : يستلزم الكمال وبلوغ العاية

لما أحرزه من جمال السجايا ، ووسامة الخلفة .

(٩) والمعصا بده قرعها للحليم : تصمين للمثل العربى المشهور : « إنَّ المعصا قرعت لدى الحليم » وهم

يضربون هنا المثل للذكي الذى إذا نهته انتبه .

مَا عَتَانَا أَنْ يَأْتِفَ السَّائِقُ الْمَرْءَ
 وَبَقَاءَ الْحُسَامِ فِي الْجَفْنِ يَثْنِي
 أَفْصَبَرُ مِثِينَ خَمْسًا مِنَ الْآيَا
 وَمَعْنَى مِنَ الضَّغْنِي بِهِنَاتِ
 سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ وَفِي الْعَا
 نَارُ بَعِي سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ أَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ

* * *

بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بَرْدًا وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ

(١) السابق : الفرس ، الربط : اسم مكان - بكسر العين وفتحها - والمعق في الخيل : الكرم ، والتطهيم : تمام الحس فيها يشبه نمه - وهو على هذه الحال من الاعتقال - بالصابن الذي - ثم مكانه الذي ربط فيه - لعتقه وكرمه ، وقد وحد هذا اليب في ديوانه على هذه الصورة :

..... يأت المر بط في العتق منه والتطهيم

ما كلفه مما ورد في الروايات الأخرى .

(٢) المعنى : المحبوس من التعية وهي الحبس الذوبل ، والصبي : المرض اللارم ، والهات : جمع همة وهي الشدائد أو كنى بها عن الأشياء ، وسكأت : أي قشرت المرح قل أن يبرأ فأدمته ، والكوم : الحراحت والمعنى : ومحبوس من المرض اللارم بسبب أشياء - أمم قرح حراحتة بخراحت أخرى ، يريد أن عاء السجن أسيب إليه عاء المرض فهو في محبين ، يعانى ألم شديد .

(٣) أي سرس لايمودنى ميه - وأنا في السجن - طأند وى عيادة من يرورنى ما يكى وىى شئانى لو أمكن ذلك

(٤) أي نار بى وظم استمر لطاها في حنة الدعة والراحة والأمن فأصبح كالصرم : أي كالليل في

السواد بعد الاحترق ، وفيه تلميح إلى قصة أصحاب الجنة المذكورة في قوله تعالى في سورة الفلم « إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصيبين » الآيات ١٧ : ٣٣ وهم قوم كانت لأبهم هذه الجنة فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي ، فلما مات رأى بوه أن يستأروا بما فيها لأبهم وعيالهم فخذوا ليصرمنها مصيبين ، أي ليقطعن ثمارها مبكرين في الصبح خفية عن أهين المساكين « مطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبح كالصريم » أي احترقت مصارت في السواد كعمحة الليل .

(٥) أهديك أب أيها الممدوح بأن ، إن تشأ تكن تلك النار التي صرت إلى حة الأمن برداً وسلاماً فلا تحترق كنار إبراهيم إذ قدوف فيها نمرود فكأت برداً وسلاماً عليه فلم يخترق ، وفيه تلميح إلى قوله تعالى « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » .

لِلشَّفِيعِ الشَّاهِ ، وَالْحَمْدُ فِي صَوِّ بِ الْحَيَا لِلرِّيَّاحِ ، لَا لِلْغَيُومِ (١)
 وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُذَلَّلَ لِي الصَّعْبَ مَثَابِي إِلَى الْهُمَامِ الرَّعِيمِ (٢)
 وَوِدَادٌ يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ ، وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ
 وَثَنَاءٌ أُرْسَلَتْهُ سَلْوَةَ الظَّا عَنِ عَن شَوْقِهِ وَهَوِّ الْمُقِيمِ (٣)
 فَهَوِّ رِيحَانَةِ الْجَلِيدِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِرَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ
 لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًّا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا نِي مُصِيخًا إِلَى أَعْتِدَارِ الْكَرِيمِ
 وَمَتَى يَبْدَأِ الْعَسَيْعَةَ يُؤَامِكُ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالشَّمِيمِ (٤)

(١) أى الشفيع الشاه والحمد لا للشفوع إليه ، كما ان الحمد في نزول المطر لرياح التي تؤلب بن السيوم فينزل المطر بسببها لالتمس الغيوم ، وهو كقول الحنزي :

حار حدى وللرياح اللواتي تحلب العيث مثل حمد العيوم

(٢) كهيل بتذليل ما استصعب تدليله رجوعى إلى الهمام الرئيس . وتد وردى بعض النسخ البيت التالي بعد هذا البيت :

أمل برغم الحفاء إليه وهو ثبت المقام ماضى العزم

(٣) أى مدح أرسلته فسار على السنة الناس مسير المثل إذا تلاه الذاعن تسلى به عن شوقه إلى وطنه وحنينه إلى أهله ، وإذا تلاه المقيم كان فيه هوه وأنسه .

(٤) أى متى يبتدئك بالحيل تفركك خصاله التامة ، وتحملك أخلاقه الكاملة على المطالبه بقتيم ما ابتدأك به من معروف ، وتكميل ما شرع فيه من صنيع يرد - بعبارة أوضح - أن ماله عليه من نعمة متدأة ، ويد سابقة يمت في نفسه أملا قويا في إتمام تلك النعمة بانجاز ما وعده به ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

هذا سحاب أنت سقت غمامه فمليك - بمد الله - فيس غمامه

إن ابتداء العرف مجد باسق والمجد - كل المجد - في استتمامه

وقرب منه قول المتنبي :

ولم أرى عيوب الناس عيباً كدعس القادرين على التمام

وقول الغائل :

إذا أسديت مكرمة فآتمم فان البدر يسطع بالتمام

من قصيدة صنعها ببطليوس (١)

« قال هذه القصيدة عند فراره من السجن والتجائه إلى بي عاد باستيالية سنة ٤٢١ هجرية ، وكان نداءه الفطر فالأضحي وهو على حاله من الذكرى والشوق إلى معاهد بقرطبة ، كان يخرج إليها في العيد ، ويتعرج بتمارها ، ويلهو بمحاسنها مع من يهوى ، وقد أذكي تذكرها في فؤاده لآعج الشوق ، وبه كامن الوجد ، فأخذ يذكرها مبهداً مبهداً ، ويصف ما حلفتة في نفسه من الأثر ، ويبين ما أثارته دواعي الذكرى في نلّه من العصابة والأسى والشوق ، وتقول صاحب ثلاثد العقيان في هذه الأماكن التي يذكرها بهد : « هذه معاهد لبي أمية سميت بها ليالي وأياما ، وظلت فيها الحوادث عنهم نياما ، فهاموا (بشرق العقاب) وشاموا به برقا يدوم من تقاب ، ونموا (بحوى الرصافة) ، وطعموا عيشا تولى الدهر حلاه وزفاه ، وأعدوا بصح الباصح ، وحدوا أمس (مجلس ناصح) ، وعموا (بالزهراء) ، وصموا عن نبأ صاحب (الرواء) حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم ، وعوضهم منها ما عوضهم » إلى آخر ما قال .

خَلِيٍّ لَا فِطْرُهُ يَسْرُّ وَلَا أَضْحَى
لَنْ شَاقِنِي (شَرِقُ الْعُقَابِ) فَلَمْ أَزَلْ
فَإَحَالٌ مِّنْ أَمْسِي مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى
دَوَاعِي ذِكْرِي تُعَقِّبُ الْأَسْفَ الْبَرَحًا (٣)
أَخْصُ مِمَّ حَوْضِ الْهُوَى ذَلِكَ السَّقْمَا (٢)

(١) بطليوس : بسحتين وسكون اللام ، وياء مضمومة ، وسين مهملة مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر « آنه » غربي قرطبة كما في معجم البلدان . (٢) العقاب : بالضم العلم الضخم والصخرة العظيمة في عرض الجبل اسم موضع بقرطبة ، ومحموض الهوى : خالسه .

(٣) (حوى الرصافة) : الجوى بضم الجيم الواسع الجوف . قال في اللسان وثىء حوى أى واسع الجوف ، ودلاء حوى : أى واسمه ، و (الرصافة) : بضم راء اسم لعدة مواضع منها بالأندلس موضعان أحدهما بليدة صهيرة عند المنسية ينسب إليها الرفاء الأندلسي الرصافي الشاعر المشهور والأخرى وهي التي ذكرها هنا عند قرطبة أنشأها عبد الرحمن الداخل أول ملوك الأندلس من بي أمية وسماها رصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان التي كانت بالشام كما يؤخذ من ابن خلكان نقلا عن كتاب لياض الحوى اسمه « المشترك ونما المحلب صحا » ، والبرج : بفتح فسكون العذاب والشدة وصف به الأسف بمبالغة والراد أنها تعقب أسفاً مبرحا شاقا شديدا .

وَيَهْتَاجُ (قَصْرُ الْفَارِسِيِّ) صَبَابَةً
لِقَلْبِي لَا تَأْلُو زِنَادَ الْأَمِيِّ قَدْحًا (١)
وَلَيْسَ ذَمِيمًا عَهْدُ (مَجْلِسِ نَاصِحِ)
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَيْ (عَيْنِ شَهَدَةِ)
وَقَائِعَ جَانِبَيْهَا التَّجَبُّتِي فَإِنْ مَشَى
فَأَقْبَلَ فِي فَرْطِ الْوُلُوعِ بِهِ نَضْحًا
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَيْ (عَيْنِ شَهَدَةِ)
سَفِيرُ خُضُوعٍ يَدِينُنَا أَكْذَابُ الصُّلْحَا (٢)
وَأَيَّامُ وَصَلٍ (بِالْعَقِيقِ) اِقْتَضَيْتُهُ
فَالْأَيَّامُ يَكُنْ مِيعَادُهُ الْعِيدَ فَالْفِصْحَا (٣)
وَأَصَالَ لَهْوٍ فِي مُسْنَأَةِ مَالِكٍ
مُعَاطَاةً نَدْمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْ سَبْحَا (٤)
لَدَى رَاكِدٍ يُسَبِّحُكَ مِنْ صَفْحَاتِهِ
قَوَارِيرُ خُضْرٍ خَلَّتْهَا مَرَدَّتْ صَرْحَا (٥)

- (١) يقول : تثير ذكرى قصر الفارسي قلبي مسابة لانفقر من قدح رناد الحزن، والرناد: ما يصدق به النار
(٢) يعني أنه عباً لمحبوبته في هذا المكان حبس عتاب أحرز به نصراً عليها وفتحاً .
(٣) التجبي ادطاؤها عليه دنبا لم يفعله ، والسفير المصلح بين القوم ، والمعنى أن هناك وقائع جابها ادطاؤها
الذنوب عليه كان خضوعه فيها رسول سلام لتوكيد الصلح بينهما . (٤) يقال اقتضيت الدين أي
قبضته وأخذته ، والفصح بالكسر عيد النصارى ، والمعنى أن أياما معلومة من السنة كنت أحصل فيها
(بالعقيق) على الوصل واقتضيه في ميعاده كما يقتضى أي يقرم الغريم دينه ، فان لم يكن ذلك الاقتضاء
موعهه العيد فالفصح . (٥) الأصال : جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب ، والمسناة : سدّ
يبني في وسط الوادي لاحتجاز الماء ورد ما لا يعلب منه ومنعه عن الجرى في طريقه المعتاد ، له أبواب
تفتح لإطلاق الماء بحسب الحاجة ، وهي العرم . قال في الصحاح ، « والمسناة العرم لا واحد له
من لفظه » ، والمعنى أنه يذكر تلك الأيام التي كان ياهو بها مع الأصيل في تلك السنة الملكية مرة بمعاطاة
الراح إذا شاء ، وأخرى بالسح والعموم في الماء ، وهذا مما يثبت أنهم كانوا يبنون (الحزانات) لاختصاب
الأرض وإمداد البرك بالماء بعد ثقلته . (٦) قال بعض المفسرين في قوله تعالى (قيل لها ادخلي
الصرح) . الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير ، ومن معاني الصرح الساحة أيضا ، فكانه أراد تشبيه
ماء السنة الراكد في خضرته واسوائه بزجاج أخضر مرد (بالشديد) أي ماس صرحا أي ساحة استوية
من زجاج .

مَعَاهِدُ لَذَاتٍ وَأَوْطَانُ صَسْبُوتَةٍ أَجَلْتُ الْمُعَلَى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحًا (١)
الْأَهْلَ إِلَى (الزَّهْرَاءِ) أَوْبَةً نَازِحٍ تَقَضَّى تَنَائِيهَا مَدَامِعَهُ نَزْحًا (٢)
مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَبَاتُهَا فَخَلْنَا الْمِشَاءَ الْجَوْنَ أَثْنَاءَهَا صَبْحًا (٣)
يُمَثِّلُ قُرْطَيْنَا لِي الْوَهْمُ جَهْرَةً فَقَبَّيْنَاهَا فَالْكَوْكَبَ الرَّحْبَ فَالْسَطْحًا (٤)
مَحَلُّ أَرْتِيَّاحٍ يُذَكِّرُ الْخُلْدَ طَيْبَةً إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى (٥)

(١) الفدح : نكسر فسكون واحد البهائم التي كانوا يستقسمون بها الحزور في الميسر ، وكانت فداح الميسر عشرة ثلاثة منها غمل ، وسبعة من دوات الاصاء ، وكان المعلى أوفرها حظا له سعة أجزاء من الحزور ، فاذا أجال مخرج الفدح يده في الخريطة ، وأخرج المعلى باسم أحد المتقارنين كان هو الفائز بأكبر الأقسام وأوفر الحظوظ . يقول : هذه معاهد لذات قضيت فيها من اللذات ، وبلغت فيها من الأمانى ما حمل قدمي منها المعلى . (٢) الزهراء من عجمت أمده الدنيا أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن صدائلك بن مروان بن الحكم الأموي الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس بالقرب من قرطبة في سنة ٣٢٥ هـ والمسافة بينها وبين قرطبة ستة أميال تقريبا ، وطول الزهراء من الشرق إلى الغرب ٢٧٠٠ ذراع ، وعرضها ١٥٠٠ ذراع ، وعدد السواري التي فيها ٣٠٠ : سارية ، وأبوابها نحو ١٥ بابا ، وكان الناصر يبعث على عمارتها ثلث حياجه بلاد الأندلس التي كانت تبلغ في ذلك الوقت نحو ستة ملايين من الدنانير ، وهي من أحسن مناره الدنيا وأبدعها ، وقد أكثر أهل قرطبة في وصفها وما قاله الشعراء فيها ، ولهم في ذلك تصانيف ، والأوبة : الرجوع ، والنازح : بعيد ، وتقضى أحد وتناول حقه من غريمه ، وهي المدامع هنا ، والنزح : من نزع الثر ، وهو استنزاف مائها ، ورأيت في بعض النسخ (تقصت مائيتها مدامعه صبوحا) (٣) المقصورة : ناحية من البناء على جبالها تقصر على الملك ، أو على صاحب الدار ، أو هي الدار الواسعة المحصنة ، وتجمع على معاصر ومقاصير ، والجنات : جمع جنه كسجدة وسعدات ، وفي اللسان ما يفيد اختلاف المعويين في إسكان النون وفتحها في المفرد ، ونقل عن ابن جني قوله : وقد غرئ الناس بقولهم ، أنا في ذراك وحببتك بفتح النون قال والصواب إسكان النون ، واستشهد على ذلك بقول أبي صعقره البولاني :

فما نظمة من حبّ مزن تقادفت بها حنبتنا الجودي والليل داس
بأطيب من فيها وما دقت طعمها ولكني فيما ترى العين فارس

والجور : هنا الأسود ، والمعنى أن تلك المقاصير أسيئت نواحيها بالمصاييح والسرجه ، فحسبنا المشاء في داخلها صبوحا (٤) يمثل له الوم هذه اللواضع من الزهراء كأنه يراها جهرة (٥) في بعض النسخ عن بدل من وفي بعضها بفتحة بدل يصدى ، ولعلها مصدرة عن يمرى ، والأشبهه بالصواب ما هنا ، ومعنى البيت أن

هُنَاكَ الْجِمَامُ الزَّرْقُ تَنْدَى حِفَافَهَا (١)
 تَعَوَّضْتُ مِنْ شَدْوِ الْقِيَانِ خِلَالَهَا
 وَمِنْ حَمَلِي الْكَأْسِ الْمَفْدَى مُدِيرُهَا
 أَجَلٌ إِنْ لَيْلِي فَوْقَ شَاطِي نَيْطَةَ (٢)
 ظِلَالٌ عَهَدْتُ الدَّهْرَ فِيهَا فَتَى سَمْحًا (٣)
 صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَطَارَ الْكَرَى ضَبْحًا (٤)
 تَقَحَّمْ أَهْوَالٍ حَمَلْتُ لَهَا الرِّثْمَا
 لِأَقْصَرُ مِنْ لَيْلِي بِآنَةَ فَالْبَطْحَا (٥)

في الغزل

عَلَامَ صَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ وَصُولِ (٤)
 وَقِيمَ أَنْفَتَ مِنْ تَعْلِيلِ صَبِّ
 فَهَلَّا عُدَّتِي إِذْ لَمْ تُعَوِّذْ
 بِشَخْصِكَ بِالْكِتَابِ أَوِ الرَّسُولِ (٥)
 قَدَيْتِكَ وَأَعْتَرَزْتَ عَلَى ذَلِيلِ (٦)
 وَهَلْ يُغْنِي أُحْتِيَالٌ فِي مَلُولِ (٧)
 لَقَدْ أَعْيَا تَلَوْنُكَ أُحْتِيَالِي

الزهراء محل ترناح النفس إليه يذكر طيبه حمة الخلد حيث يتمتع أن يصدى التي أى يعطش أو يصحى أى يبرز للشمس ، وميه الاشارة إلى قوله تعالى « إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَمَّا لَا تَطْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى » ولا شك أن الجوع ، والعمرى ، والظما ، وعدم السكن أركان الشقاء في هذه الحياة وبدونها يكون العم والراحة والسعادة ، وأن الشخص في الحياة الدنيا معنى بطلب هذه الأشياء بخلافه في دار العيم والخلد ، وقد تودرت له في الزهراء أسباب الراحة والعيم فادكره ذلك جنة الخلد .

(١) الحمام : جمع حمة ، وهي مكان احتماق الماء ، والزرق : صفة للجمام بمعنى المياه المحنمة ، وحفافها : حوانها وما يطيب بها من حولها ، والمعنى هناك في الزهراء البرك ذات الأمواه الزرق تطلنا حمانها وحولها ظلال بليلة ندية (٢) أي أندك من سماع صوت المعنيات خلال تلك النوادي الآهله بأواع الطرب سماع صدى هذه الفلوات المحنفة يتردد فيها ضحك العاديات من الحيل يطير النوم من العين (٣) نيطه وآه : نهران

(٤) يقول : لماذا قطعت حل محب دائم الوصال لك ولماذا تكبرت على عندك الخاضع الذليل .

(٥) هلاعدتي بالكتاب أو الرسول إذ لم يكن من عادتك أن تعودني بشخصك .

(٦) من أجل ما قرأناه في هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

لو كنت طائبة لسكن لوعتي أملى رضاك وزرت غير معاتب

لكن مللت فليس لي من حيلة صدّ الملول خلاف صدّ العاتب

وقريب منه قول ابن الرومي :

ولسكنكم كنتم تريدون علة فهاجكم أدنى عتاب إلى الصد

أردت صلاح القبل بالبعد فانبرى لنا ظالمكم فاستفسد القبل بالبعد



بين صديقين

« كتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر معاتما :
 تماعدنا على قرب الجوار
 كأنا صدنا شحط المزار
 تطلع لي هلال الهجر بدرا
 وصار هلال وصلك في سرار
 وشاع شنيع وصلك لي وهجري
 فهلا كان ذلك في استنار
 أيجمل أن ترى عنى صورا
 وأصبح مولعا دون اصطبار
 ولما أن هجرت وطال غفري
 عقرت هموم تنسى بالعقار
 وكنت أزيد سمعك من عتابي
 ولكن عافني قرب الخمار
 فراع مودتي واحفظ جوارى
 فان الله أوصى بالجوار
 وزرني منعما من غير أمر
 وآنس موحشا من عقردار
 فجأوه ابن زيدون : »

هَوَايَ - وَإِنْ تَنَاءتْ عَنْكَ دَارِي -
 مَقِيمٌ لَا تَغَيِّرُهُ عَوَادِي
 رَأَيْتُكَ قُلْتِ : إِنَّ الْوَصَلَ بَدْرٌ
 وَرَأَيْتُكَ أَنْتِي جَلْدٌ صَبُورٌ
 كَمَثَلِ هَوَايَ فِي حَالِ الْجَوَارِ
 تَبَاعِدُ بَيْنَ أَحْيَانِ الْمَزَارِ
 مَتَى خَلَّتِ الْبُدُورُ مِنَ السَّرَارِ (١)
 وَكَمْ صَبْرٌ يَكُونُ عَنِ اصْطِبَارِ (٢)

(١) متى أمررت أن الوصل بدر فأت حليق أن تعلم أن لا بدر - لان شتى هوو إذا اكتمل نموه في وسط الشهر لحقه الحاق في آخره .
 (٢) إن صبري ليس طبيعيا ولكني انكفاه اضطرارا إليه لأنني لا أجد مندوحة عنه .

وَلَمْ أَهْجُرْ لِمَتِّبٍ غَيْرِ أَنِّي أَضْرَّتْ بِي مُعَاوَرَةُ الْعُقَارِ
وَأَنَّ الْخَمْرَ لَيْسَ لَهَا خِمَارٌ (١) مُبْرَحٌ بِي ، فَكَيْفَ مَعَ الْخِمَارِ (٢)

* * *

وَهَلْ أَنَسَى لَدَيْكَ نَعِيمَ عَيْشٍ كَوَشِيِ الْخَدِّ طُرْزَ بِالْعِذَارِ
وَسَاعَاتٍ يَجُولُ اللَّهُوُ فِيهَا مَجَالَ الطَّلِّ فِي حَدَقِ الْبَهَارِ (٣)
وَإِنْ يَكُ قَرَّ عَنْكَ الْيَوْمَ جِسْمِي - فُؤِدِيَتَ - فَمَا لِقَلْبِي مِنْ قَرَارِ (٤)
وَكُنْتَ عَلَى الْبِعَادِ أَجَلٌ عَلِقِ (٥) لَدَى ، فَكَيْفَ إِذَا صَبَحْتَ جَارِي (٦)؟

دعوة

« كتبها إلى ذي الوزارتين أبي عامر يدعو إلى زيارته »

طَابَتْ لَنَا لَيْلَتُنَا الْخَالِيَةَ فَلَتُنْسِنَاهَا هَذِهِ التَّالِيَةَ (٧)
أَبَا الْمَعَالِي نَحْنُ فِي رَاحَةٍ فَأَنْقُلْ إِلَيْنَا الْقَدَمَ الْعَالِيَةَ
لَيْلَتُنَا عَاطِلَةٌ إِنْ تَغِيبُ عَنَّا ، فَزُرْنَا كَيْ تَرَى حَالِيَةَ
أَنْتَ الَّذِي لَوْ تَشْتَرِي سَاعَةً مِنْهُ بِدَهْرٍ لَمْ تَكُنْ قَالِيَةَ

(١) سورة . (٢) إذا كانت الحر التي لا سكر فيها تبرح بي فما بالك بها إذا أسكرت .

(٣) البهار : نبت طيب الريح . (٤) إذا كان جسمي قد قرَّ قراره بعيداً عنك فإن قلبي لا يزال

يهفو إليك . (٥) العلق : النفيس ، قال الشاعر :

« أبيت إلا أن سكاب علق هيس لا يعار ولا يباع »

(٦) إليك - مع البعاد الذي يندى الألاف - كنت أجل مخلوق لدي ، فكيف أنساك وقد زادني الجوارح بافك

(٧) لقد طابت ليلة أمس بقربك منا فلنذكرها ، ولننسنا ما نغمرنا من السرور في ليلتنا التالية ما نعمنا

به في ليلتنا المصيبة .

قال في الوزير الشيخ أبي الحزم

« بِنِي جَهْوَرٍ » أَحْرَقْتُمْ بِجَفَائِكُمْ جَنَانِي وَلَكِنَّ الْمَدَائِحَ تَعْبِقُ (١)
تَعْدُونََنِي كَالْعَثْبِرِ الْوَرْدِ (٢) إِنَّمَا تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ (٣) حِينَ يُحْرَقُ

* * *

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ زَمَنًا فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَابِي
لَا تَحْشَ فِي حَقِّي عَمَّا أَمْضَاتَهُ مِنْ ذَاكَ فِي وَلَا تَوَقَّ عِتَابِي (٤)
لَمْ تُنْخَطِ (٥) فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مُوَفَّقًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

وصال

وَشَادِنِ أَسْأَلُهُ قَهْوَةً (٦) فَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ (٧)
قَبْتُ أَسْقَى الرَّاحَ مِنْ رِيْقِهِ وَأَجْتَنِي الْوَرْدَ مِنْ الْخَدِّ

(١) عبق : الطيب يعبق من باب فرح بقيت رائحته زمانا ، يقول بالرغم من أنكم أحرقتهم فؤادي بنار الحفاء ، وقابلتم شكواي بعدم الاصفاء ، فان مديحي باق فيكم ملازم لكم ملازمة الطيب صاحبه .
(٢) العثبران لمرته . (٣) ما بدعت عنه عند الاحراق من الروائح الطيبة ، والمعنى : تحملوني في صداد ما يحرق من الطيب الذي ليس لكم من إحراقه إلا طيب أنفاسه . قال ابن اسام عند إيراده هذين البيتين ، وأراه توارد مع أني علي بن رشيقي القيرواني حيث يقول :
أراك اتهمت أحك الله وعنديك مقت وعندي مقه
وأني طيبك وقد سؤني كما طيب العود من أحرقة
وأخذه مما من قول أبي تمام :

لولا اشتعال النار فيما حاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

(٤) لا تحش في حق لوما بما أنذته في من حكم السجن ولا تتوق عتابي فاني أنا الحقيق باللوم والعتاب
(٥) أبدل الهمزة من الياء وحدثها للحارم كما يحدثها من المعتل وأصله لم تحطى ، يقول : لم تعد في أمرى الصواب وقد وقت في حكامك على بالسجن بعد أن انقطعت زمانا لمحكك ، وهذا جزاء من يكذب في شعره ويمدح من لا يستحق المدح ، وقريب من هذا المعجاء قول ابن الرومي :
إن كنت من جهل حق غير معتذر وكنت من ردمدحي غير منتب
فأعطى عن الطرسى الذي كتبت فيه القصيدة أو كفاة الكذب
(٦) حراً : يعنى حر ريقه . (٧) أى ورد وحثته .

وقال معاتباً من قصيدة أولها

بَنَيْتَ فَلَا تَهْدِيمَ وَرِشْتَ^(١) فَلَا تَبْرِي
أَرَى نَبْوَةَ لَمْ أَدْرِ سِرًّا أَعْتِرَاضِهَا
جَفَاءَ هُوَ اللَّيْلُ أَدْلَهُمْ ظَلَامُهُ
هَبِ الْعَزَلَ أَضْحَى لِلْوِلَايَةِ غَايَةَ
فَقِيمَ أَرَى رَدَّ السَّلَامِ إِشَارَةَ
أَنَاسٍ هُمْ أَخْشَى لِلذَّغَةِ مِقْوَلِي
فَإِنْ عَاقَتِ الْأَقْدَارُ فَالْنَفْسُ حُرَّةٌ
وَأَمْرَضْتَ حُسَادِي وَحَاشَاكَ أَنْ تُبْرِي^(٢)
وَقَدْ كَانَ يَجْلُو عَارِضَ الْهَمِّ أَنْ أَدْرِي^(٣)
فَلَا كَوَّكَبٌ لِلْعُذْرِ فِي أَفْقِهِ يَسْرِي^(٤)
فَمَا غَايَةَ الْمُوفِيِّ مِنَ الظِّلِّ أَنْ يُكْرِي^(٥)
تَسْوَعُ بِي إِزْرَاءَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُزْرِي^(٦)
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا فَعَلْتَ لَهُمْ مُضِرٌّ^(٧)
وَإِنْ تَكُنْ الْعَثْبِي فَآخِرِ بِهَا آخِرٌ

موقف وداع

وَلَمَّا التَّقِينَا لِلْوَدَاعِ غُدِيَّةً
وَقُرْنَتِ الْجُرْدُ الدِّمَاقُ^(٨) وَصَفَقَتْ^(٩)
بَكَيْنًا دَمَا حَسَى كَأَنَّ عِيُونَنَا
وَكُنَّا تُرَجَى الْأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ
وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ رَايَاتُ
طُبُولٍ وَوَلَّاحَتْ لِلْفِرَاقِ عِلَامَاتُ
لِجَرْمِي الذُّمُوعِ الْحُزْرِ فِيهَا جِرَاحَاتُ
فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهَا زِيَادَاتُ

- (١) من راح صديقه كساه وأصلح حاله . (٢) من البرء : وهو الشفاء من المرض .
(٣) أرى جمعة لم أدر صرّ اعتراضها أي منعهما الود من أن يسير في طريقه الأول ، وقد يكشف ما عرض لي من الهم والحزن بسبب ذلك أن أعرف سرّ تلك النبوة والخفوة .
(٤) جاء كالليل اشتدّ ظلامه فلم يسر في أفقه كوكب عذر واضح . وفي الأصل :
« حياء هو الليل ادلهم ظلامه »
(٥) أكرى : الطل بكرى نفس ، والمعنى : هب العزل أضحى حاتمة ما وليته من عمل ولا يبسبى أن تكون غاية ما أوفى عليّ من طلاك ورحايتك أن يكرى أي ينقص . (٦) معي البيت : في أي ذنب أراك تشير بالسلام إشارة تسبّح وتحوز لمن شاء أن يزري بي الارراء بي والتحقير لشأني .
(٧) اضراء : بالصيد ونحوه أعراه به فهو مضر أي مضر ، يقول : أولئك الزارون على المحمرون لشأني أناس هم أخوف الناس من لساني لو لم تكن مما فعلته معي قد اضربتهم بي وأعربتهم بالرراية على .
(٨) الجياد الكريمة . (٩) دقت الطبول إيذاناً بالمسير .

وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن جهور

هَلْ عَهْدَنَا الشَّمْسَ تَعْتَادُ الْكِلَانَ (١) أُمَّ عَهْدَنَا الْبَدْرَ يَجْتَابُ (٢) الْحُلْنَ
 أُمَّ قَضِيبُ الْبَابِ يَعْنِيهِ الْهُوَى أُمَّ غَزَالُ الْقَفْرِ يُصْبِيهِ الْغَزْلُ (٣)
 خَرَقَ الْعَادَاتِ مُبْدِي صُورَةٍ حَشْدَ (٤) الْحُسْنِ عَلَيْهَا فَأَحْتَقَلَ (٥)
 مُشْرَبُ الْعَصْفَجَةِ مِنْ مَاءِ الْعَصْبَا مُشْنَعُ الْوَجْنَةِ مِنْ صَبْغِ الْخَجَلِ
 مَنْ عَذِيرِي (٦) مِنْهُ إِنْ أُغْبِنْتُهُ (٧) نَسِيَ الْعَهْدَ وَإِنْ عَاوَدْتُ مَلًّا

(١) جمع كله بالكسر ، وهي ستر رقيق يحافظ كالتيت يتوقى فيه من العوس ونحوه ، وتقدم هذا المعنى عند قوله في القصيدة الونئية :

كأب له الشمس ظئرا في أكلته بل ما تحلى لها إلا ألعينا

(٢) يجتاب يلبس من قوهم : اجتاب الفيمس إذا لبسه ، وسأهده قول لبيد :

سلك إاد رقص اللوامع بالسحى واجتاب أردية السراب اكلمها

أى لبست الاكلم أردية السراب ، والحل بالضم جمع حلة أثرت أن من يهواه سمس وأنه بدر على الحقيقة ، وتمتد من اجتباب السمس في السكال ، واجتباب أى لبس الصدر الحلال ، وأنكر أن يكون ذلك معهودا في العادة . (٣) يعنيه : يهيمه ، وصبه : يشوئته ويدعوه إلى الصا والحين إلى من يحب ، والغزل : معاراة النساء ومحادثتهن ، أى ولم نعهد أيضا أن الهوى يهيم قسيب النان ، وأن المغازلة تدعو غزال اقمر إلى الصا فيحن إلى من يهوى . (٤) اجتمع .

(٥) احتشد واجتمع : أى أتى بالمعجزات ذلك الذى طلع علينا بصورته العائسة الجامعة امون الحسن ، الحاملة بأبواع الجمال .

(٦) يقال من عذيري من فلان أى من نصيري ، ويقال : عذير فلان النصب أى هات عدرا له ، ومنه قول ذى الاصع العدواني :

عذير الحى من عدوان كانوا حية الأرض

نقى بعض على بعض فلم يرعوا على بعض

أى هات عدرا فيما فعل بعضهم ببعض من البغى ، والقتل ، والتباعد ، والتناقض ، ولم يرع بعضهم على بعض بعد ما كانوا حية الأرض التى يحذرها كل أحد ، ويقال عذيري من فلان أى من يمدرنى ، ومنه قول الآخر :

عذيري من الانسان لا إن جموته صفالى ولا إن كست طوخ يديه

ولانى لمشتاق إلى ظلّ صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

(٧) من العب في الزيارة ، أى جئته زائرا يوما وتركته يوما أو أكثر يقال : « زرغبا تردد جبا » وفى

اللسان : « العب في الزيارة فال الحسن في كل أسبوع »



قَاتِلْ لِي بِالتَّجَنِّي ، مَا لَهُ لَيْتَ شِعْرِي أَحْلَاكُ مَا أُسْتَحَلُّ ؟

* * *

أَيُّهَا الْمُخْتَالُ (١) فِي زِينَتِهِ أَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْخَالِ (٢) فَخَلَّ (٣)
لَكَ إِنْ أَدَلَّتْ (٤) عُدْرُهُ وَاصْبِحْ كُلُّ مَنْ سَاعَفَهُ (٥) الْحُسْنُ أَدَلُّ
سَبَبُ السُّقْمِ الَّذِي بَرَّحَ بِي صِحَّةٌ كَالسُّقْمِ فِي تِلْكَ الْمُقَلِّ (٦)
إِنَّ مَنْ أَضْحَى أَبَاهُ « جَهْوَرٌ » قَالَتْ الْأَمَالُ عَنْهُ فَفَعَلَ (٧)
مَلِكٌ لَدَّ جَنِّي الْعَيْشِ بِهِ حَيْثُ وَزِدُ الْأَمْنِ لِلْعَصَادِي عِلَّانٌ (٨)

(١) ذو الخيلاء المعجب بنفسه المتباهي زينته وجماله .

(٢) الخال له معان كثيرة منها الخيلاء ، وهو المراد هنا ، وقد أورد صاحب اللسان عن ابن بري أبياتاً في معاني الخال ، والمناسب منها لما نحن فيه قوله :

وإذ أنا خدن للموى أحي الصبا وللعزل المريح ذى اللهو والخال

أى الخيلاء . (٣) أى كن ذا خيلاء وزهو وتكبر ، من خال يخال بمعنى اختال ، ومنه بت الحماة :
فإن كنت سيدنا سدتنا وإن كنت للخال فادهب نخل

معناه : إن فعلت ما يوجب لك السيادة علينا سدتنا ، وإن حاولت أن تسودنا لمجرد السكر والاختيال فادهب فاحتمل ما شئت أن تحتال ، فارك لن تستطيع أن تسودنا حينئذ ، ومعنى البيت الذى نحن بصدده :
أيها المختال الزهو سلنا وكبرا زينته وجماله كن ذا خيلاء ونظر وإعجاب فأنت أولى الناس بذلك لمرط جمالك .
(٤) يقال أدل عليه وتدل : انبسط واحترأ وتحى في غير موضع تحن .

(٥) ساعده وواتاه وأسفه واجتماع أسبابه لديه ، ومعنى البيت : إن أمرطت في الدالة على ثقة بمعجتي لك ، واعتدادا بمساعفة الحسن ومواقاته فلك في الإدلال عذر واضح .

(٦) يقول : أن سبب الصى والسقم الذى اشتد بى تبريجه وأذاه فتور فى لحط تلك العيون الصحيحة المرصنة ، وهذا معنى مطروق للشراء ، ومن أحسن ما جاء في مرض العيون قول ابن المعتز :

علم بماتحت الصدور من الهوى سريع بكر اللعظ والقلب حازع
وبمجرح أحشائي بين مريضة كمالان من السيف والسيف قاطع

(٧) يعنى أن « ابن جهور » : إذا قالت الأمال عنه قولاً صدق قولها فعله .

(٨) شرب بعد شرب .

أَحْسَنَ الْمُحْسِنِ مِنَّا فَجَزَى مِثْلُ مَا لَبِجٌ مُسِيءٌ فَاحْتَمَلَ (١)
سَعِيَهُ فِي كُلِّ بَرٍّ مِثْلَهُ (٢) إِذْ مَسَاعِي مَنْ يُنَاوِيهِ (٣) مِثْلُ (٤)
لَا يَزَلُ مِنْ حَاسِدِيهِ مُكْتَبِرٌ أَوْ مُقِلٌّ ، سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ (٥)

* * *

« يَا بَنِي جَهْوَرٍ » الدُّنْيَا بِكُمْ حَلَيْتِ أَيَّامَهَا بَعْدَ الْعَطَلِ (٦)
إِنَّمَا دَوَّلْتُكُمْ وَاسِطَةٌ (٧) أَهَدَتِ الْحُسْنَ إِلَى عِقْدِ الدُّوَلِ
نَحْنُ مِنْ نَعْمَائِكُمْ فِي زَهْرَةٍ جَدَّدَتِ عَهْدَ الرَّبِيعِ الْمُقْتَبِلِ (٨)
طَابَ كَانُونٌ (٩) لَنَا أَثْنَاءَهَا فَكَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ بِالْحَمَلِ (١٠)
زَهَرَتْ أَخْلَاقُكُمْ فَأَبْتَسَمَتْ كَأَبْتِسَامِ الْوَرْدِ عَنِ لَوْثِ لَوْ طَلَّ

- (١) أحسن المحسن ما جزاه وكافاه على إحسانه ، كما تكررت إساءة المسيء فاحتلمها عموا منه وكرما .
(٢) أي كمثل السائر يشيع في الناس ذكره ، ويحمد أثره .
(٣) يفاخره ويعاديه . (٤) جمع مثال ، أي أمثلة وصور يقول أن مساعي المدوح في صلة الناس بأنواع البر والاحسان أصبحت مضرب الأمثال ، في حين أن مساعي أعدائه المناوئين له صور جماعة أمالك - كاترى - لم يشع لها ذكر ولم يعرف عنها أثر . (٥) يدعو استمرار حاسديه على الاكثار أو الافلال من لومه على ما يصبه على رءوسهم من ويلات ، ويزله بهم من عقوبات ويقول « سبق السيف العدل » أي فلامع في يوم أكثر الأعداء منه أم أملاوا ، وهو مثل مشهور يضرب للأمر الذي طاف ولم يترك تداركه .
(٦) مصدر عطلت المرأة كفرح لم يكن عليها حلي ، وهو ضد « حليت » .
(٧) هي الدرّة التي في وسط العقد وتمد أفعس حويرة فيه .
(٨) يقول : نحن قد حللنا من نعمائكم في بهجة من الرمان ، ونضرة من الحياة ، جددت لنا عهد الربيع عهد استقبال أيامه ، وتجدد أوانه ، والربيع عند العرب ربيعان . الربيع الذي فيه النور والكلأ ، والربيع الذي تدرك فيه التمر . (٩) شهر ، وهو اثنان : كانون الأول ، وكانون الثاني .
(١٠) الحمل : برج من بروج السماء .



* * *

أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَهَّمَا تَفِضُ أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَهَّمَا تَفِضُ
 مَنْ لَنَا فِيكَ بَعِيبٍ وَاحِدٍ مَنْ لَنَا فِيكَ بَعِيبٍ وَاحِدٍ
 شَرَفٌ تَغْنِي عَنْ الْمَدْحِ بِهِ شَرَفٌ تَغْنِي عَنْ الْمَدْحِ بِهِ
 بِالنَّدَى (١) يُمْنَاهُ فَالْبَحْرُ وَشَلَّ (٢)
 تُحَذِّرُ الْعَيْنُ إِذَا الْفَضْلُ كَمَلَّ (٣)
 مِثْلَ مَا يَغْنِي عَنْ الْكُحْلِ الْكُحْلُ (٤)

* * *

أَنَا غَرَسٌ فِي ثَرَى الْعَلِيَاءِ لَوْ أَنَا غَرَسٌ فِي ثَرَى الْعَلِيَاءِ لَوْ
 لِي ذِكْرٌ بِاللَّيِّ أَسْدَيْتَهُ لِي ذِكْرٌ بِاللَّيِّ أَسْدَيْتَهُ
 فَلَيْمْتُ بِالْدَاءِ مِنْ حَالِ فَتَى فَلَيْمْتُ بِالْدَاءِ مِنْ حَالِ فَتَى
 فَوَعَى الْحِكْمَةَ عَنْ قَائِلِهِمْ : فَوَعَى الْحِكْمَةَ عَنْ قَائِلِهِمْ :
 « الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزَمَكَ الْعَمَلُ »
 أَنْبَطَاتٌ سُقِيَاكَ عَنْهُ لَدَّ بُلْ أَنْبَطَاتٌ سُقِيَاكَ عَنْهُ لَدَّ بُلْ
 نَابَهُ وَدَّ حَسُودٌ لَوْ خَنَ (٥) نَابَهُ وَدَّ حَسُودٌ لَوْ خَنَ (٥)
 أَدَبْتَهُ سِيرُ النَّاسِ الْأَوْلَى أَدَبْتَهُ سِيرُ النَّاسِ الْأَوْلَى

* * *

أَقْبَلْتِ نِعْمَكَ مُهْدِي نَفْسَهَا أَقْبَلْتِ نِعْمَكَ مُهْدِي نَفْسَهَا
 فَاقْبَلْتِ الْيَدَ (٧) مِنْ بَطْنِ يَدٍ فَاقْبَلْتِ الْيَدَ (٧) مِنْ بَطْنِ يَدٍ
 كَلْنَا بُلُغَ مَا أَمَلَهُ كَلْنَا بُلُغَ مَا أَمَلَهُ
 وَإِذَا مَا رَامَكَ الدَّهْرُ فَمُتْ وَإِذَا مَا رَامَكَ الدَّهْرُ فَمُتْ
 لَمْ أُرْغْ (٦) حَظَى مِنْهَا بِالْحَبِيلِ لَمْ أُرْغْ (٦) حَظَى مِنْهَا بِالْحَبِيلِ
 ظَهَرُهَا - الدَّهْرُ - مَحَلٌّ لِلْقَبْلِ ظَهَرُهَا - الدَّهْرُ - مَحَلٌّ لِلْقَبْلِ
 فَأَبْلُغِ النَّغَايَةَ مِنْ كُلِّ أَمَلٍ فَأَبْلُغِ النَّغَايَةَ مِنْ كُلِّ أَمَلٍ
 وَإِذَا رُمْتَ الْأَمَانِيَّ فَنَلْ وَإِذَا رُمْتَ الْأَمَانِيَّ فَنَلْ

(١) الكرم . (٢) ماء قليل يتحلب من حل أو صخرة .
 (٣) يقول من لنا بمن يعد فيك عيبا واحدا فانا نحن نحذر عليك وقد كنت فساتك عيون الحاسدين ،
 وهو نظير قول الآخر :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العيب

(٤) الكحل : محرقة أن تسود . واضع الكحل من العين خلقة ، أي شرف تستمى بسببه عن المدح كما
 تستمى العين المكحولة خلقة عن التكحل بالكحل صناعة . (٥) أسديته : أعطته ، والتذكر

النابيه : الشريف المشتهر ، وهو خلاف الحامل . (٦) لم أطلب وفي الأصل : « لم أدع » .
 (٧) الجليل .



مداعبة

« كتبها إلى أبي عبد الله بن القلاس البطليوس

يداعبه بها »

أَصِيخُ لِمَقَالَاتِي وَأَسْمَعُ وَخَذُ - فِيمَا تَرَى - أَوْ دَعُ
 وَأَقْصِرُ - بَعْدَهَا - أَوْ زِدُ وَطِرُ - فِي إِثْرِهَا - أَوْ قَعُ
 * * *

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَمْنَعُ
 وَأَنَّ السَّعْيَ قَدْ يُكْذِبُ (١) وَأَنَّ الظَّنَّ قَدْ يَخْدَعُ
 وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَمْرٌ تَوَهَّاهُمْ أَنَّهُ يَنْفَعُ
 * * *

فَإِنْ يُجْدِبُ مِنَ الدُّنْيَا جَنَابُ طَالَمَا أَمْرَعُ
 فَمَا إِنْ غَاضَ لِي صَبْرٌ وَمَا إِنْ فَاضَ لِي مَدْمَعُ
 وَكَأَنَّ رَامَتِ الْأَيَّامُ مُ تَرْوِيحِي فَلَمْ أَرْتَعْ (٢)
 إِذَا ضَاغَتْني الْجُلَى تَجَلَّتْ عَنِّي أَرْوَعُ (٣)
 عَلَى مَا قَاتَ لَا يَأْسِي وَمِمَّا نَابَ لَا يَجْزَعُ
 تَدِبُ إِلَى مَا تَأَلَوْ عَقَارِبُ مَا تَنِي تَلْسَعُ

(١) يخفق ، وقد كرر هذا المعنى في سنينته فقال :

« ولكم أجسدى قومود ولكم اكدي التماس »

(٢) حاولت الأيام أن تحيى فلم أخف .

(٣) أى أن المصائب لا تنال منه منالا ، ضاوت من صافه الهم لا انزل به ، والجلي : الأمر العظيم والحادث المروع ، والأروع : الدكي الحديد الفؤاد الحى النفس ، والمعنى : إذا نزلت بي جلى الحوادث تكشفت عن فتي حاضر العقل حديد الفؤاد ، وى الأصل « صابتي » من صاب السهم القرطاس بمعنى أصاب وهي لغة قليلة لا نظن أن ابن زيدون يلجأ إلى استعمالها مع غزارة مادته .

كَانَا لَمْ يُوَافِنَا زَمَانٌ لَيْنُ الْأَخْدَعِ (١)
 إِذِ الدُّنْيَا - مَتَى نَقْتَدُ أَبِي سُورِهِمَا - يَتَّبِعُ (٢)
 وَإِذْ لِلْحِطِّ إِقْبَالٌ وَإِذْ فِي الْعَيْشِ مُسْتَمْتَعٌ
 وَإِذْ أَوْتَارُنَا تَهْفُو وَإِذْ أَقْدَاخُنَا تُتْرَعُ (٣)
 وَأَوْطَارُ الْمُنَى تُقْضَى وَأَسْبَابُ الْهَوَى تَشْفَعُ
 فَمَنْ أَدْمَانَةٌ (٤) تَعْطُو (٥) وَمِنْ قُمْرِيَّةٍ تَسْجَعُ
 أَعْدُ نَظْرًا فَإِنَّ الْبَغْدَ حَى مِمَّا لَمْ يَزَلْ يَصْرَعُ
 وَلَا تُطِعِ اللَّتَى تُغْوِيكَ، فَهِيَ لَعَبَهُمْ أَطْوَعُ (٦)
 تَقَبَّلْ - إِنْ أَتَى - خَطْبًا وَأَنْفُ الْفَحْلِ لَا يُقْرَعُ (٧)

- (١) يقول : إلك مولع الآل بالكيد والاساءة إلى مناسيا تلك الأيام التي ألفت فيها ، منا الزمن المواتي ، حين كنا أخوين متآلفين ، وفي الأصل : « كأننا لم يولينا » .
 (٢) وفي الأصل : « إيد الدنيا مي » . (٣) تملأ .
 (٤) الأدمان - بالفتح - شجر الحبة ، وهي أكبر من البقول وأصغر من الشجر ، الأدمانه : بضم فسكون فالوا لأنه جمع إدماء كحمراء وهي الطبقة الخالصة البيضاء ، قال دو الرمة :
 من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى في منها يتوسح
 وصحح بعض اللغويين أن أدمانه مفرد تكمصانة وإذن فهي مرادها لأدماء ، وتمطوا : تتناول إلى الشجر لتناول مه . (٥) تميل .
 (٦) دع غواية هذه الماكرة فلها أطوع لغواية أعدائك ومما سيك ولن تستطيع أن تغلب على كيدهم وغوايتهم ، وفي الأصل : « هي لبغيتهم أطوع » .
 (٧) قرع الأنف رمز للهوان ، قالوا : وخس الألف بالضرب لأنه محل الأنمة والكبر والشم .
 والمرب تقول في امثالها : « أنف الفحل لا يقرع » وهي تقوله : للاخطاب الكفء .
 والأصل لغل الأبل إذا ضرب وجهه عن الناقة التي يريدون نتاجها منه .
 قالوا : وتمثل به أبو سفيان بن حرب حين ما به زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) ابنته أم حبيبة فقال :
 « ذاك الفحل لا يقرع أنفه » .
 وفي الأصل : « وأنف النمل لا يقرع » يقول : إن العظيم لا يهن عزمه أمام الخطوب والكوارث ، وليكن لك في هذا عزاء ولتقبل أي خطب إن أنك بصدر رحيب ، غير واحد على تلك المرأة الغادرة التي لا قيمة لها ولا خطر .



وَلَا تَكُ مِنْكَ تِلْكَ الدَّا رُ بِالرَّأْيِ وَلَا الْمَسْمُوعِ
فَإِنَّ قُصَارِكَ الدَّهْلِيَّ—زُ، حِينَ سَوَّكَ فِي الْمَضْجَعِ^(١)

جَرَّبِ النَّاسَ وَأَمْتَحِنِ

خُنْتُ عَهْدِي وَلَمْ أَخُنْ بَعْتَ وَدَى بِلَا ثَمَنِ
قَائِلًا : « هَلْ مُزَايِدٌ رَابِحًا؟ ثُمَّ مَنْ يَزِنُ^(٢) »
عُدَّتِي كُنْتُ لِلزَّمَانِ ، فَقَدْ حُلْتُ وَالزَّمَانِ^(٣)
أَرْخِصِ الْبَيْعَ كَيْفَ شِئْتَ وَذَرْنِي ، لَتَنْدَمَنَّ^(٤)
سَوْفَ تُبْتَلَى بِغَيْرِنَا ، جَرَّبِ النَّاسَ وَأَمْتَحِنِ

(١) وتاس تلك الدار التي كانت ذكرياتها . بعث آلامك وأحزائك ، فليس لك أمل في اكتساب ودعها ، وقصارى ما تصل إليه أن تكون في الدهليز حين ينعم فيرك بالمصجع .

(٢) بعث عهدي رحيصاً مع صدق ودادى لك ، وأخذت تدال عليه في السوق زاهداً فيه باحثاً عن يشتره بأجس الأمان . (٣) كنت عدتى التي أحاربها الزمن فأصحت حرباً على أنت والزمن .

وقريب من هذا المعنى وأدق منه وأروع قول ابن الرومي :

« تحدثكمو دروا طمياً ! لتنعوا سهام العدا على فكتم لهاها
وقد كنت أرحو منكم خير ناصر على حين حدلان المين شهاها »

إلى أن يقول :

« تقفوا وقفة المذور على بنجوة وحلوا نبالي للعدا ونباها »

وقول المائل :

« واخوان حبتهمو دروا فكانوها ، ولكن للأحادى
وحبتهمو سهاماً صائبات فكانوها ، ولكن في وادى
وقالوا : « قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ، ولكن عن ودادى »

(٤) ازهد في ودي كما شئت فوالله لتندمن على زهادتك في ، وما أجل قول ابن الرومي .

« واربا بودى أن يذال فاني في غير ذاك من الأمور أرخص
إياك لا تستمل ما أرخصته بطرا ، فأغلى منه ما لا أرخص
سترى . متى استنفرتنى وطلبتنى . أنى سأزهد عند ذاك . وتمحرس »

فی مدح ابن جهور

« قالها فی مدح أبی الخزم بن جهور
أحد ملوک الطوائف »

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيبَا فَصَلِي بِفِرْعَكِ لَيْلِكَ الْغَرِيبَا ^(١)
وَلَدَيْكَ - أَمْثَالَ النُّجُومِ - قَلَائِدُ أَلْفَتِ سَمَاءِكَ لَبَّةً وَتَرِيبَا ^(٢)
لِيَنْبُ عَنِ الْجَوْزَاءِ قُرْطُكَ كَلَّمَا جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَغْرِيبَا ^(٣)
وَإِذَا الْوَشَاحُ تَعَرَّضَتْ أَتْنَاوُهُ طَلَعَتْ ثُرَيَّا لَمْ تَكُنْ لِتَغْيِبَا ^(٤)

(١) سراك : سيرك ليلا ، العريب : الشديد السواد يقول كاد الصبح يفضحك فضلي سواد الليل بسواد شعرك ، أليس شعرك كالليل ، قال ابن بسام :
قوله : « فضلي بهررك ليلك الغريبيا » من قوله أبى الطيب :
« كسفت ثلاث دوائ من شعرها في ليلة فأرت ليالى أرها »
وينظر إلى قول المعري :

« يودّ أنّ طلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والعصر »

ولتهامى :

« وتودّ لو حملت سواد قلوبها وسواد أعينها سواد عذار »

وقال محمد بن هانئ :

قد أطلعوا بالدهم منها فجرهم فتكورت شمس النهار تعصبا
واستأفوا بشاتها بحرا ، فلو عقدوا نواصيها أعادوا العيبا

(٢) اللب بوزن الحبة المحر - والتريب : واحد ترائب الصدر ، وهي موضع القلادة منه - والمعنى لديك قلائد شبيهة بالنجوم تسكن سماء البحر والصدر ملك كما تسكن الدحوم السماء - وأمثال النجوم بالنصب حال من قلائد السكره متقدم عليه ، وهو الذي سوغ مجيء صاحب الحال نكره ، قال ابن مالك :

« ولم يتكر غالبا ذو الحال إن * لم يتأخر » ومن شواهد قوله : « وما لام عسى مثلها لي لام »
فثلها بالنصب حال من لأم السكره ، ويجوز أن يكون أمثال مبتدأ خبره لديك وقلائد بدلا منه .

(٣) الجوراء : نجم يعترض في جور السماء أي وسطه ، شبه قرطها بالجوراء وجنحت أي مالت معرفة كأنها طائر يمتد جناحه . يقول أبيبي عن الجوزاء قرطك إذا مالت مفرجة لتيب في الأفق .

(٤) الوشاح : أديم ينسج عريضا ويرصع بالجواهر وتشدّه المرأة بين طائفيها وكشحيها وتشه الثريا إذا تعرضت أي سارت معوجة بالوشاح المعوجة أمثاؤه - وأثناء الوشاح ما انتهى منه ، قال امرؤ القيس :
إذا ما التريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المعصل
أي أعوجت ولم تستقم في سيرها أعوجاج ما انتهى من الوشاح على جارية اتشحت به .

وَلَطَمًا أَبَدَيْتِ إِذْ حَيَّتِنَا كَفَاهِي الْكَفُّ الْخَضِيبُ خَضِيبًا

* * *

أَظْنَيْتَ ، دَعَوَى الْبَرَاءَةِ شَأْنَهَا
مَا بَالُ خَدِّكَ لَا يَزَالُ مُضْرَجًا
لَوْ شِئْتَ مَا عَذَّبْتَ مُهْجَةَ عَاشِقٍ
وَلَزُرْتَهُ - بَلَّ عُدَّتِهِ - إِنَّ الْهُوسَى
مَا الْهَجْرُ إِلَّا الْبَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ
أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلِمَ دُعِيتَ حَيِّبًا (١)
يَدَمٍ وَلَحْظُكَ لَا يَزَالُ مُرِيبًا (٢)
مُسْتَعَذِبٍ فِي حُبِّكَ التَّعْذِيبَا
مَرَضٌ يَكُونُ لَهُ الْوِصَالُ طَيِّبًا
لَمْ يَشْخُ فَاهُ بِهِ الْغُرَابُ نَعِيبًا (٣)

(١) يا متهمة بقتل الماشقين يا محضوبة الكعب بدمائهم أنت العدو فكيف دعوت نفسك حيا .
(٢) مثله قول الحميري :

« عيناك قد اعترفا بدمي وعلى خديك تورده »

(٣) شحا فاه بشجوه : متجه ، والعيب والنماب : صوت الغراب ، وانمى : ما الهجر إلا البين إلا أن الغراب في هذه المرة - لم يفتح فاه ليندردنا بذلك المهر المميت ، والعيب ندير المراو عند العرب ، ويسمون الغراب الأبقع غراب أبيض ، ول عنقرة :

« طعن المدين فراقهم أتوقع وحرى بينهم الغراب الأبقع »

وقال نابغة البدياني :

« زعم الأحة أن رحلتهم غدا
لا مرحبا بعمد ، ولا اهـلا به
وبذلك تنماب الغراب الأسود
إن كان تمريق الأحة في عد »

وقال قيس ابن ذريح :

« الا يغراب البين ، قد طرت بالدي
ولذلك لو أباعتها : قبلي اسلمى
وقد المرى : « نبي من الغراب ليس على شرع
أسدته في سريره ، وقد امترت
وقال في رثاء الشريف المرتضى :

« من شاعر لابن فاك قصيدة
رثى الشريف على ردى القاف »

لمنى آخر هذه الآيات التي لاحظنا بها إلى تفصيلها .

وقد شد أحد الشعراء ما نعى باللائمة على من يذهب هذا المذهب الخاطيء في ذم الغراب ، وبرأه من تهمة التفريق ، فقال :

والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وهل غراب البين إلا ناقة أو جل
وما على طهر غراب البين تطوى الرحل

وَلَقَدْ قَضَىٰ فِيكَ التَّجَلُّدُ نَجْبَهُ
وَأَرَىٰ دُمُوعَ الْعَيْنِ لَيْسَ لِفَيْضِهَا
فَتَوَىٰ وَأَعْقَبَ زَفْرَةً وَنَحِيًّا
غَيْضٌ إِذَا مَا الْقَلْبُ كَانَ قَلِيًّا

* * *

مَالِي وَوَلِلْأَيَّامِ لَبِجٌ مَعَ الصَّابَا
مَحَقَّتْ هِلَالَ السَّنِّ قَبْلَ تَمَامِهِ
لَا لَمْ بِي مَا لَوْ أَلَمْ بِشَاهِقٍ
فَلَنْ تَسْمَعَنِي الْحَادِثَاتُ فَقَدْ أَرَىٰ
وَلَنْ نَجِبْتُ لِأَنْ أُضَامَ «وَجَهْوَرٌ»
مَنْ لَا تُعَدِّي النَّائِبَاتُ لِجَارِهِ
مَلِكٌ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهُ مُوَفَّقٌ
يَأْتِي رِضَاهُ مُعَادِيًا وَمُوَالِيًا
مُتَمَرِّسٌ بِالذَّهْرِ يَقْعُدُ صَرْفُهُ
عُدْوَانُهَا فَكَسَا الْعِذَارَ مَشِيبًا
وَذَوَىٰ بِهَا غُصْنُ الشَّبَابِ رَطِيًّا
لَأَنْهَالَ جَانِبُهُ فَصَارَ كَثِيبًا (١)
لِلْجَفْنِ فِي الْعَضْبِ «الطَّرِيرِ نُذُوبًا» (٢)
نِعْمَ النَّصِيرُ لَقَدْ رَأَيْتُ عَجِيًّا
زَحْفًا وَلَا تَمَشِي الضَّرَاءَ دَيْبًا (٣)
مَا زَالَ أَوَّابًا إِلَيْهِ مُنِيبًا
وَيَكُونُ فِيهِ مُعَاقِبًا وَمُشِيبًا
إِنْ قَامَ فِي نَادِي الْخُطُوبِ خَطِيًّا

- (١) المعنى : لقد نزل بي مالو رزل بجبل شاهق لسقط جانبه فصار كشيئا مهيلا أى رملا قد هيل وانتثر - وهو مأخوذ من قوله تعالى « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا »
- (٢) تسمى : أى تجتمعي مكروها من قولهم سامه حسفا إذا أولاه إياه وأراده عليه - والجفن : النعمد - والعضب : السيف - والطرير : القاطع - والندوب : جمع ندب بفتحين وهو فى الأصل أثر الجرح فى الجسم إذا لم يرتفع عن الجلد - وأراد به هنا أثر الصدا الذى يملو فرند السيف لطول مكته فى النعمد - والمعنى فلتن يعيرنى طول المسكت فى السجى قال السيف يصدأ بطول المسكت فى الجفن .
- (٣) تعدى : بالتضعيف تمحضر وتسرع فى العدو - وزحفا من زحف الجيش - والضراء : من قولهم فلان يمشى الضراء إذا مشى مستخفيا فيما يوارى من الشجر - والديب : مصدر دب النمل والشيخ مثنى على هيئته والمعنى : نعم النصير جهور من لا تسرع النائبات إلى جاره رحما ولا تدب إليه مستخفيا .

لَا يُوسَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيرُ بِهِ وَلَا
تَأْبِي ضَرَائِبُهُ الضَّرُوبَ نَفَاسَةً
بَسَامُ تُغْرِ الْبَشْرَ إِنْ عَقَدَ الْحُبَا
مَلَأَ النَّوَاطِرَ صَامِتًا وَلَرُبَّمَا
عَقَدَهُ تَأَلَّفَ فِي نِظَامِ رِيَّاسَةٍ
يَغْشَى التَّجَارِبَ كَهَلْمُهُمْ مُسْتَغْنِيًا
وَإِذَا دَعَوْتَ وَلِيَدَهُمْ لِعَظِيمَةٍ
يَعْتَادُ إِزْسَالَ الْكَلَامِ قَضِيبًا^(١)
مِنْ أَنْ تَقْدِسَ بِهِ النَّفُوسُ ضَرِيبًا^(٢)
فَرَأَيْتَ وَصَاحًا هُنَاكَ مَهِيبًا^(٣)
مَلَأَ الْمَسَامِعَ سَامِعًا وَمُجِيبًا^(٤)
نَسَقَ اللَّالِيَّ مَنْجِبًا وَنَجِيبًا
بِقَرِيحَةٍ هِيَ حَسْبُهُ تَجْرِيبًا
لَبَّاكَ رَقْرَاقَ السَّمَاحِ أَدِيبًا^(٥)

(١) الرأى الفطير : ما يبه عجة وأصله من اختبار العجين قبل أن يحتمر - والقضيب : المقتضب من قولهم اقتضب الخطبة والكلام أى أرسلها من غير إعداد وتهيئة - والمعنى : أنه لا يتم بسمه العجلة فى الرأى ولا يرسل الكلام متضا من تخلا من غير إعداد له ورياسة عليه .

(٢) ضرائبه : سجاياه - والضروب : جمع ضرب وهو المثل والشبيه كالضرب ، أى تمنع سجاياه أن يكون له أمثال وأشباه نفاسة بتلك الللال الكريمة أى ضاها وأما من أن تقيس به النفوس ضريبا وشيها (٣) الحبوة : كدرة وسدرة تجمع على حبا كدرف وسدر ، والاحتيا ، أن يضم الجالس رجله إلى بطنه ويجمعهما مع ظهره بثوب وقد يحتبى بيديه ، وهو يوم مقام إسناد الظهر إلى حائط أو نحوه ، يعنى أنه كثير الابتسام فى طلاقة وبشر أن جلس محتبيا فنظرت منه وصاح الجين مشرق الطمة مهيبا .

(٤) المعنى : أنه ملأ النواظر - روعة وهيبة فى حال صمته والمسامع حكمة وبيان سامعا من الناس ومجيبا قال ابن سام :

قوله : « ملأ النواظر صامتا » من قول ابن زيدون أيضا :

اسألها واحمل بكك حوايا تحمد الشوق سائلا ومجيبا

وينظر أيضا إلى اعط هذا البيت دون معناه قول أبى الطيب :

فدعاك حاسدك الرئيس وامسكوا ودعاك خالفك الرئيس الأكبرا

خلقت صفاتك فى العيون كلامه كالخط يتلأ مسمى من أبصرا

ويلح أيضا هذا البيت قول أبى نواس - على ما فسره بعض الناس -

« ألا فاسقى حمرا وقل لى : هى الحمر » وهذا التفسير فيه أضعف الوجوه ، وبيت بن شرف أشبه من هذه

كلها بيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب القيروان :

سل عنه وأطلق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والامواه والقلل

(٥) لباك : أجابك - ورقراق السماح : يريد أن سهاحه يتفرق أى يجرى كالماء جريا مهلا - وأديبا :

لعلها أديبا بالراء المهملة أى طاقلا .

هَمَّهُ تُنَافِسُهَا النُّجُومُ وَقَدْ تَلَا فِي سُؤْدَدٍ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقِيبًا
وَمَحَاسِنُهُ تَنْدَى رِقَاقُ ذِكْرِهَا فَكَأَدُ تُوهُمِكَ الْمَدِيحَ نَسِيبًا (١)
كَالَاسِ أَخْضَرَ نَضْرَةً، وَالْوَرْدِ أَحْمَرَ بِهَجَّةً، وَالْمِسْكِ أَذْفَرَ (٢) طِيبًا
وَإِذَا تَفَنَّنَ فِي اللِّسَانِ ثَنَاؤُهُ فَافْتَنَّ لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ غَرِيبًا (٣)
غَالِيًا بِمَا فِيهِ فَغَيْرُ مُوَاقِعٍ سَرَفًا وَلَا مَتَوَقَّعٍ تَكْذِيبًا (٤)

* * *

كَانَ الْوُشَاةُ وَقَدْ مُنِيتُ بِإِفْكَهِمْ - أَسْبَاطَ يَعْقُوبِ وَكُنْتُ الذِّبَا (٥)
وَإِذَا الْمَنَى بِقَبُولِكَ الْغَضَّ الْجَنَى هُزَّتْ ذَوَابِهُهَا فَلَا تَهْرِيبًا
أُنَاسِيْفُكَ الصَّدَى الَّذِي - مَهْمَا تَشَأْ - تُعِدُّ الصَّقَالَ إِلَيْهِ وَالتَّذْرِيبَا (٦)
كَمْ ضَاقَ بِي مِنْ مَذْهَبٍ فِي مَطْلَبٍ فَثَنَيْتُهُ فُسُحَ الْمَجَالِ رَحِيبًا
«وَزَهَا» جَنَابُ الشُّكْرِ - حِينَ مَطَرَتْهُ بِسَحَابِ النُّعْمَى - فَرُدَّ خَصِيْبًا (٧)

(١) قال ابن بسام :

قوله : « فكأد توهمك المديح نسيباً » من قول أبي تمام :

(٢) أذفر : ذكى طيب الريح .

طاب فيك المديح والدحى فاق وصف الديار والنشيبا

(٣) إذا تفنن : أى أطرد مديحه فى اللسان - فافتن : أى أخذ فى فنون وضروب من المدح لم يكن

مراد المادح غريباً لأنه يستعمل من صفاته فيقول .

(٤) مواقع : مدان ، والمتوقع : المنتظر - والمعنى : بالغ مادحه بما فيه من الصفات فلم يكن مدانيا

إفراطاً ولا متخوفاً تكديباً .

(٥) منيت بليت - والافك الكذب والتحديث بالباطل ، يريد انه يرى مما ابلى به من إفكهم براءة

الذئب من دم ابن يعقوب .

(٦) التذريب : التحديد .

(٧) وجد هذا البيت فى الأصل وفى غيره من المطاوع ناقصاً ، والزيادة يعطيها السياق .

فَتَهَنَّا الْأَعْيَادَ عَادَةً لِأَبْسٍ يُنْبِي الدَّرِيسَ فَيَسْتَجِدُّ قَشِيبًا (١)
وَمَتَى سَعَيْتَ لِتَنَارِحَ مُتَعَدِّرٍ فَوَجَدْتَهُ سَهْلَ الْمَرَامِ قَرِيبًا (٢)
وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدْرُ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ لِحُكْمِهِ تَعْقِيْبًا

عتاب

أَحِينَ عَلِمْتَ حَظَكَ مِنْ وِدَادِي وَلَمْ تَجْهَلْ مَحَلَّكَ مِنْ فُؤَادِي
وَقَادَنِي الْهُوَى فَانْقَدْتُ طَوْقًا وَمَا مَكَّنْتُ غَيْرَكَ مِنْ قِيَادِي
رَضِيْتُ لِي السَّقَامَ لِإِبْسِ جِسْمِ كَحَلَّتْ الطَّرْفَ مِنْهُ بِالشُّهَادِ (٣)

أَجَلْ عَيْنِيكَ فِي أَسْطَارِ كُؤْبِي تَجِدْ دَمْعِي مِرَاحًا لِمَدَادِ (٤)
قَدَيْتِكَ إِنِّي قَدْ ذَابَ قَلْبِي مِنْ الشُّكُورَى إِلَى قَلْبِ جَمَادِ

(١) يقال تهنا الطعام ونهنا به كما يقال تعلق الشيء وتعلق به - أي تهأ بالأعياد غير محال فادتك فيها من إبلاء الثوب الدريس أي الخلق ، وإبس القشيب أي الحديد ، وهذا نظير قوله في البائية . فأبل وأخلف إنما أفت لاس لهدى اللبالي الغر وهي ثياب

(٢) ومتى سعيت لعل الأصل ولكم سعيت البت - والذي يظهر ان هذه الأبيات التي ختمت بها هذه القصيدة ومع فيها شيء من التعريب فليحذر .

(٣) يقول : « أحيى أيقنت اني لا أحل أحداً محلك من نبي وعلمت اني أسير هواك حزيتي على ذلك الاحلاس في الحب سقاماً وتسهيداً . وما أحل قول المجنون :

وأديتني حتى إذا ما فتنني بقول يحل المعصم سهل الأباطح

تاءيت عسي حين لالى حيلة وعادرت ما قادرت بين الجواح

(٤) تأمل في سطور الكتب التي أبعث بها إليك تجد دمي محتفظاً بمدادها .

رثاء فتاة

« قال يرثي ابنة المعتضد المتوفاة قبل وفاته بثلاث »

- سَرَكُ الدَّهْرُ وَسَاءَ فَاقِنَ شُكْرًا وَعَزَاءَ (١)
 كَمْ أَفَادَ الصَّبْرُ أَجْرًا وَأَقْتَضَى الشُّكْرُ نَمَاءَ (٢)
 أَنْتَ إِنْ تَأْسَ عَلَى الْمَقْقُودِ إِفَاءً وَأَجْتَبَاءَ (٣)
 فَاسْئَلْ عَنْهُ غَيْرَةَ وَأَخْتَمِلِ الرَّءْءَ إِبَاءَ
 أَيُّهَا « الْمُعْتَضِدُ » الْمَنصُورُ مَلَيْتَ الْبَقَاءَ (٤)
 وَتَزَيَّدْتَ مَعَ الْأَيَّامِ عِزًّا وَعِزًّا (٥)
 إِنَّمَا يُكْسِبُنَا الْحُزْنَ نُمْ عِنَاءَ لَا غِنَاءَ (٦)
 أَنْتَ طَبَّ أَنْ دَاءَ الْمَوْتِ قَدْ أَعْيَا الدَّوَاءَ (٧)
 فَتَأْسَ (٨) إِنْ ذَاكَ أَلْخَطَبَ غَالَ الْأَنْبِيَاءَ
 وَسَيِّفَنِي الْمَلَأُ الْأَعْلَى إِذَا مَا اللَّهُ شَاءَ

* * *

حَبْدًا هَدَى عَرُوسٌ دَفْنَهَا كَانَ الْهِدَاءَ
 عَمَّرَتْ حِينًا وَمَاءَ الْمُزْنِ شَكْلَيْنِ سَوَاءَ

- (١) افقن : الرم من موهم ميت حياتي أي لرمته ، فاله عنقرة :
 فأحببتها إن الليسة منهل لايد أن أسقى بذلك المنهل
 فاقى حياهك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ ساموت إن لم أقتل
 والمعنى : مراك الدهر وساءك فاشكره على أن مراك وتمز بذلك عما ساءك .
 (٢) زيادة . (٣) الاجتباء : الاصطماء .
 (٤) ملية البقاء : متعك الله بالبقاء . (٥) اللاء : الرمة .
 (٦) إنما يكسبها الحزن ألما لا فائدة فيه ولا -دوى مه .
 (٧) أنت عالم خبير بأن داء الموت لا دواء له . (٨) اصبر .

ثُمَّ وَلَّتْ فَوَجَدْنَا أَرْجَ (١) الْمِسْكِ تَنَاءً
 جَمَعَتْ تَقْوَى وَإِخْبَاءً تَأَ (٢) وَقَضَّاءَ وَذَكَاءَ
 سَتَوَفَّى مِنْ جِامِ الْكَوْثَرِ الْعَذْبِ رَوَاءَ (٣)
 حَيْثُ تَلَقَى الْأَتْقِيَاءُ الشُّعَدَاءَ الشُّهَدَاءَ

* * *

هَانَ مَلَاقَتِ عَلَيْهَا أَنْ غَدَّتْ مِنْكَ فِدَاءَ (٤)
 غُتْمُ أَحْبَابِكَ أَنْ تَبْقَى وَإِنْ عُمُوا فَنَاءَ (٥)
 فَالْبَسِ الصَّنْعَ مُلَاءً وَأَسْحَبِ السَّعْدَ رِدَاءَ (٦)
 وَرِثِ الْأَعْدَاءَ أَنْعَمَا رَهْمُ وَالْأَوْلِيَاءَ (٧)

في الغزل

مَا ضَرَّ لَوْ أَنَّكَ لِي رَاحِمٌ وَعَلَيْتِ أَنْتَ بِهَا عَالِمٌ
 يَهْنِيكَ يَا سَوْئِي وَيَا مُبْغِيَتِي أَنْكَ مِمَّا أَشْتَكِي سَالِمٌ (٨)
 تَضْحَكُ فِي الْحُبِّ وَأَبْكِي أَنَا اللَّهُ - فِيمَا يَبْنِنَا - حَاكِمٌ
 أَقُولُ لَمَّا طَارَ عَنِّي الْكَرَى قَوْلَ مَعْنَى قَلْبُهُ هَائِمٌ
 « يَا نَاعِمًا أَيْقَظَنِي حُبُّهُ هَبِّ لِي رُقَادًا أَيُّهَا النَّاسِمُ (٩) »

- (١) طيب . (٢) الاخبات : الخشوع . (٣) ستروى من ماء الكوثر .
 (٤) هون عليها حطب الموت أنها افتدتك بنفسها من الردى .
 (٥) إن أحبائك ليرون في بقاتك أكبر موز لهم ولو افتدوك بأنفسهم .
 (٦) الللاء والملاءة : الربطة ذات لعقبي ، والمعنى : ارمل في حلال المعروف والسعادة .
 (٧) وهبك الله أعمار أعدائك وأسعيانك .
 (٨) من أبدع ما قرأناه في هذا المعنى قول الشريف الرضي :
 « أهون عليك - إذا امتلأت من الكرى - أني أبيت بليسة اللس - وع »
 (٩) يقول : « ليس من العداله أن تنام وأسهر ، فانهم طي بالكرى بعد أن أيقظني هجرك » .

تهنئة

« وفال يهنى المعتضد وقد شرب دواء »

أَحَدَتْ عَاقِبَةَ الدَّوَاءِ وَنِلْتَ عَافِيَةَ الشِّفَاءِ
 وَخَرَجْتَ مِنْهُ مِثْلَمَا خَرَجَ الحُسَامُ مِنَ الجِلَاءِ
 وَبَقِيتَ لِلدُّنْيَا فَأَنْتَ دَوَاؤُهَا مِنْ كُلِّ دَاءِ
 وَوَرِثْتَ أَعْمَارَ المَدَى وَقَسَمْتَهَا فِي الأَوْلِيَاءِ (١)
 يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الجِيَاءِ دَسَارَ فِي ظِلِّ اللُّوَاءِ
 وَاجْتَالَ يَوْمَ الحَرْبِ قُدَّ مَا وَأُحْتَبِي يَوْمَ الحِبَاءِ (٢)
 بِشِرَاكِ عُقْبَى صِحَّةٍ تَجْرِي إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءِ
 فِي دَوْلَةٍ تَبْقَى بَقَاً ، الدَّهْرُ آمِنَةٌ الفَنَاءُ
 وَمَسْرَةٌ يُفْضَى بِهَا زَمَنٌ كَعَاشِيَةِ الرِّدَاءِ
 وَأَشْرَبُ فَقَدْتُ لَدَى النَّسِيمِ وَرَقَّ سِرْبَالُ الهَوَاءِ
 لِنَرَى بِكَ البُهْوِ المَطْلِ يَمِيسُ فِي حُلَلِ البِهَاءِ
 وَبَقِيتَ مَفْدِيًّا بِنَا إِنْ مَحْنُ جُزْنَانَا فِي الفِدَاءِ (٣)

(١) قوله : « وقسمتها في الأولياء » يذكرنا قول العباس الأحف :

لو كانت هذا الحب يندفذه حكي أو قضائي
 لطانتسه لجمعتسه من كل أرض أو سما
 فقسمته بيني وبين من حبيب نفسي بالسواء
 حتى إذا ما حمى ، والأموور إلى انتهاء
 مات الهوى - من عدنا - أو عاش في أهل الوفاء

(٢) أجال : من إجاله القдах في اليسر ويناسبه قدما أى فار بالظفر والبصر على الأعداد ، واجتال في الحرب وجال بمعنى واحد ويناسبها قدما بضمين - والتخفيف بالاسكان في مثله جائز - ومعناه جال في الحرب يعنى قدما أى إلى الامام ، والحباء : بالكسر العطاء .
 (٣) فدتك أعمارنا إن كان يقبل ما هذا العداء .

تهنئة بفصد

« وقال يهنيه بفصد »

لِيَهْنِكَ أَنْ أُمَحَّدْتَ عَاقِبَةَ الْفُصْدِ
 وَيَا عَجَبًا مِنْ أَنْ مَبْضَعٌ قَاصِدٍ
 وَمِنْ مُتَوَلَّى فَصْدٍ يُمْنَاكَ كَيْفَ لَمْ
 وَلَمْ تَغْشَهُ الشَّمْسُ الْمُنِيرُ شِعَاعَهَا
 فَلِلَّهِ مِنَّا أَجْمَلُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
 تَلَقَّيْتَهُ لَمْ يَنْصَرِفِ نَابِي الْحَدِّ
 يَهْلُهُ عُبَابُ الْبَحْرِ فِي مُعْظَمِ الْمَدِّ
 فَيُخْطِئُ فِيمَا رَامَهُ سَنَنَ الْقُصْدِ

مَرَى دَمَكَ الْمَهْرَاقُ فِي الْأَرْضِ فَاسْتَسْتِ
 فِصَادُ أَطَابِ الدَّهْرِ فَالْقَطْرُ فِي الثَّرَى
 لَقَدْ أَوْقَتِ الدُّنْيَا بِمَعِيدِكَ نُصْرَةَ
 لَدَى زَمَنِ غَضٍّ أُنِيقَ فِرْنَدُهُ (٢)
 تُسَوِّغُ مِنْهُ الْعَيْشُ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ
 أَفَانِينَ رَوْنِي مِثْلَ حَاشِيَةِ الْبُرْدِ
 كَمَا طَابَ مَاءُ الْوَرْدِ فِي الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
 كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهَا كَرَمَ الْعَهْدِ (١)
 كِمْلٍ فِرْنَدِ الْوَرْدِ فِي خَجَلَةِ الْحَدِّ
 مُقَابَلَةُ الْأَرْجَاءِ بِالْكَوْكَبِ السَّعْدِ

فَهَبَّ إِلَى الْأَذَاتِ مُرِيرَ رَاحَةٍ
 وَوَالِهَا فِي لَوْلُوٍ مِنْ جَنَابِهَا (٥)
 وَإِنْ تَدْعُنَا لِلْأَنْسِ - عَنِ أَرْبِحِيَّةِ -
 تُجْمُهَا (٣) النَّفْسَ الْفَيْسَةَ لِلْكَدِّ (٤)
 كَجِيدِ الْفَتَاةِ الرُّودِ فِي لَوْلُوٍ الْعِقْدِ
 فَتَنْدُ يَا نَسُّ الْمَوْلَى إِذَا أَرْتَاحَ بِالْعَبْدِ

(١) يقال وفي بالعهد أو في بالعهد وكلاهما تعني واحد قال تعالى « وأودع بهد الله » ومعنى البيت لقد طاهدتك الدنيا على الضررة وودت بالعهد ولم تنقضه فكأنك قد علمتها الوفاء وكرم العهد .

(٢) أبيق الوشي . (٣) ترتاح بها .

(٤) نعم : يقال حمت وأحما هو أي تركها تستجمع ما فقدته ، والمعنى : انشط إلى اللذات منصلا الراحة قليلا ، وارك نفسك تستجمع ما فقدته من قوتها انصابت الكد والعمل لمهام الدولة .

(٥) الجناب : الاحية وما قرب من محلة العوم .

في مدح ابن جهور

- مَا طَوَّلُ عَذْلِكَ الْمُحِبِّ بِنَافِعِ - ذَهَبَ الْفُؤَادُ فَلَيْسَ فِيهِ بِرَاجِعٍ (١)
فُنِدَّتِ حِينَ طَمَعْتِ فِي سُلوَانِهِ - هَيْهَاتَ لَا ظَفْرَ هُنَاكَ لِطَامِعٍ (٢)
فَدَعِيهِ حَيْثُ يَطْوُلُ مَيْدَانُ الصَّبَا - كَيْمَا يَجْرُ بِهِ عِنَانُ الْخَالِعِ (٣)
مَاذَا يَرِيكَ مِنْ فَتَى عَزِّ الْهُوَى - فَعَنَّا لِنُخْوَتِهِ بِدِلَّةٍ خَاضِعِ (٤)
هَلْ غَيْرَ أَنْ مَحْضَ الْوَفَاءِ لِنَاعِدِرِ - أَوْ غَيْرَ أَنْ صَدَقَ الْوَصَالَ لِقَاطِعِ (٥)
لَمْ يَهُوَ مَنْ لَمْ يُنْسِ قُرَّةَ عَيْنِهِ - سَهْرُ الصَّبَابَةِ فِي خَلِيٍّ هَاجِعِ (٦)
وَاهَا لِأَيَّامٍ خَلَّتْ مَا عَزَّ دُهَا - فِي حِينَ ضَيَّعْتَ الْعُهُودَ - بِضَائِعِ (٧)
زَمَنْ كَمَا رَاقَ السَّقِيظُ مِنَ النَّدَى - يَسْتَنُّ فِي صَفَحَاتٍ وَرْدٍ يَانِعِ (٨)
أَيَّامٍ إِنْ عَتَبَ الْحَبِيبُ - لِهَفْوَةٍ - شَفَعَ الشَّبَابُ فَكَانَ أَكْرَمَ شَافِعِ (٩)

- (١) العذل : اللوم ، والمعنى : لا تمدليه فليس العذل نافع محمدا ذهب فؤاده مع من يرواه فليس يرجعه كثرة الاوم والتميع . (٢) فندت : أى نسبت إلى الكذب وسدعت الرأى حين تطمعين في سلو محب يبعد كل البعد أن يظفر طامع في سلوانه بظائل .
(٣) الخالع : من خلع المرس عذاره ألقاه عن نفسه فعدا بشر ، وهو مثل يضرب لمن أطلق من قيده ، يقول : اتركه وشأنه في الهوى حيث يتسع له مجال الصبا ، وسراج الشاب ، كي يطلق لنفسه العنان في اللهو والمرح . (٤) ماذا يريك : ماذا تكرهينه ويسوءك من فتى ، أو أى شىء يجعلك منه في ريبه وشك ، وعما : خضع وأطاع ، والنخوة : العظمة والكبر ، وهذا البيت يذكرنا بتول الشريف الرضى : « لو حيث يستمع السرار وقفتما لعجتما من عزه وحضوعي »
(٥) معناه : هل يعرف غير محسن الوفاء لمن غدر ، وحسن الصلة لمن هجر .
(٦) لم يذق طعم الهوى من لم يكن سهر الصبابة في خلى نأتم حبيبا إلى نفسه ، وقره لعينه .
(٧) واهها : كلمة يتمحب بها من طيب الشىء وحسنه ، والمعنى : ما عهد تلك الأيام التي تروق بهجتها بضائع عندي في حين ضيعت أنت كل العهود .
(٨) راق : أبح ، والسقيظ : ماسقط من الندى على الزهر ، ويستن : ينصب كالدمع في صفحة الورد
(٩) قريب من هذا المعنى قوله في مطلع بائته :
أما علمت أن الشفيح شباب فيقصر عن لوم المحب عتاب
علام الصبا غنض يرف رواؤه إذا عن من وصل الحسان ذعاب
انظر « ص ٤٠ »

مَالِي وَلِدْتُ نِيًّا غُرِزْتُ مِنَ الْمَنَى فِيهَا بِيَارِقَةَ السَّرَابِ انْتَحَادِعِ
مَا إِنْ أَزَالَ أَرُومُ شُهْدَةَ عَاسِلِ أَنْحَى مُجَابَتَهَا بِإِبْرَةِ لَاسِعِ^(١)

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي الْبِلَادَ إِذَا نَبَتَ أَنْ لَسْتُ لِلنَّفْسِ الْأُلُوفِ بِيَاخِعِ^(٢)
أَمَّا الْهُوَانُ فَصُنْتُ عَنْهُ صَفْحَةً أَغْشَى بِهَا حَدَّ الزَّمَانِ الشَّارِعِ^(٣)
فَلْيُرْغِمِ الْخَطَّ الْمُوَلَّى أَنَّهُ وَلَّى فَلَمْ أَتْبِعْهُ خُطْوَةَ^(٤) تَابِعِ
إِنَّ الْغِنَى لَهُوَ الْقَنَاعَةُ لَا الَّذِي يَشْتَفُ نُظْفَةَ مَاءِ وَجْهِ الْقَانِعِ^(٥)

اللَّهُ جَارُ « الْجَهْوَرِيِّ » قَطَا لَمَّا مُنِبَتِ^(٦) صَفَاةُ^(٧) الدَّهْرِ مِنْهُ بِقَارِعِ

(١) شهدة : باعم والفتح واحدة الشهد وهو العسل مادام لم يمصر من شمعته ، والعاسل : الذي يشتار العسل أى يأخذه من الخلية ، والمجاجة : ما يجهج الحبل من العسل ، وبين « طاسل » و « لاسع » حاس القلب ، والمعنى : مارلت أطلب من الدنيا أملا يحكى مجاجة طاسل حتمها ليرة لاسع .

(٢) نبت : لم يوافق المقام بها قال : « وإذا نباك منزل فتحول » ، وباحع : مزهق نفسى وقائلها غما والمعنى : من يبلغ عى ساكى تلك البلاد التي نزلت عنها مع سدة تعلق بها أن لسب بقائل نفسى أسفا وغما على مفارقتها إذا نبت بى ولم توافق الإقامة فيها ، وفى معنى التحول عن منزل الصيم بقول شار : إذا أمكرتنى لدة أو نكرتها خرجت مع البازى على سواد

أى على بقية من سواد الليل .

(٣) الشارِع : من شرع نحوه حد السيف أو الرمح وأشرعه سدده له وهو نظير مول الآخر :
نعرض للطعام إذا التقيا وحوها لا تعرض للسباب

(٤) بالضم ما بين القدمين وتجمع على حطا وخطوات .

(٥) النظفة الماء : القليل ، ويشتمها : يشرها عن آخرها ، يقال اشتب فى شربه إذا أتى على آخر ما فى الإناء فلم يستر ، والمراد هنا أنه يريقها كلها عند السؤال ، والقانع : السائل ، وفى الكتاب العزيز « وأطعموا القانع والمعتر » وهو من قنع - بالفتح - قنونا إذا سأل ، لامن قنع - بالكسر - قناعة إذا رضى ولم يرق ماء وجهه بذلك السؤال ، يقول أن الغنى عى النفس بالقناعة لا عى المال الذى يستغزف فيه السائل ماء وجهه ، ويشتم آخر قطرة من حياته .

(٦) ابتليب .

(٧) الحجر العريض الأملس ويجمع على صفا .

مَلِكٌ دَرَىٰ اَنْ الْمَسَاعِي سُمْعَةٌ
 فَسَعَىٰ فَطَابَ حَدِيثُهُ لِلْسَّامِعِ -
 شِيمٌ هِيَ الزَّهْرُ الْجَنِيُّ تَبَسَّمَتْ
 عَنْهُ الْكَمَاثِمُ فِي الضَّحَاءِ^(١) الْمَاتِعِ^(٢)
 اَغْرَىٰ مُنَافِسَهُ اِيْذِرَكَ شَاوُهُ^(٣)
 فَبَتُّ السَّكِينَةَ فِي النَّدَىٰ كَأَنَّمَا
 تِلْكَ الْحَبَا لِيَبْتَ بِهَضْبٍ مَّتَالِعِ^(٤)
 عَذْبُ الْجَنِيِّ لِلْاَوْلِيَاءِ فَاِنْ يَهْبِجُ
 فَالَسَّمُ يَا بِي اَنْ يَسُوغَ لِجَارِعِ

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَاطَ الْهُدَىٰ
 لَوْلَاكَ كَانَتْ حَمَىٰ قَلِيلَ الْمَاتِعِ -
 اَنْسِ الْاَنَامُ اِلَيْكَ فِيهِ ، فَهَمُّ بِهِ
 مِنْ قَائِمٍ اَوْ سَاجِدٍ اَوْ رَاكِعِ -
 مَتَّبِعُونَ جَنَابَ عَيْشٍ مُّوْتِقِ
 مُتَّفِيئُونَ ظِلَالِ اَمْنٍ شَائِعِ -
 فَلْتَضْرِبَنَّ مَعَهُمْ بِاَوْفَرِ شِرْكَةِ
 فِي اَجْرِهِمْ مِنْ مُوْتِرٍ اَوْ شَافِعِ -
 خَيْرُ الشُّهُورِ - اُخْتَرَتْ عِنْدَ طُلُوعِهِ -
 خَيْرُ الْبِقَاعِ لَهُ بِاَسْعَدِ طَالِعِ^(٥)

(١) النهار قبل انتصافه بقليل وزمنه بعد زمن الضحى .

(٢) المرتفع .

(٣) الشأو : الطلق والشوط والماية ، وشأه : سبقه .

(٤) الندى : المجلس ، والحما : بالضم والسكر جمع حبوه وهي أن يجمع الجالس ساقيه إلى بطنه بيديه أو يجمع ظهره وساقيه بثوب ، والاحتباء من طادة العرب وهو يمنع الجالس من السقوط ويعنيه عن الجدار الذي يسد إليه ظهره ، وليت : لمت وطويت حوله كما تطوى العمامة ، والمعنى : أنه وقور في مجلده رانط الجأش كأنما شددت تلك الحبا منه على طود من الصخر تنحدر عنه مسابيل الماء .

(٥) يقول إن شهر الصيام وهو خير الشهور قد اخترت له خير البقاع عند طلوعه بأسمد طالع .

شكر

« وقال أيضا وقد أباح له المعتضد التنزه مع
حرمه في إحدى جناته . »

غَمَّرَتْ نِيَّ لَكَ الْأَيْدِي (١) الْبَيْضُ
كُلَّ يَوْمٍ يَجِدُ مِنْكَ أَهْتِبَالَ (٢) ،
بَوَّأْتَنِي (٣) نُعْمَاكَ جَنَّةَ عَدْنِ
مُجْتَنِّي مُدْنِ ، وَظِلِّ بَرُودِ ،
وَمِيَاهُ قَدْ أَخْجَلَ الْوَرْدَ أَنْ عَا
كُلَّمَا غَنَّتِ الْحَمَامُ قُلْنَا :
نَشَبُ (٤) وَافِرٌ وَجَاهُ عَرِيضُ
عَهْدِ سُكْرِي عَلَيْهِ غَضُّ عَرِيضُ (٥)
جَالَ فِي وَصْفِهَا فَضَلَ الْقَرِيضُ
وَنَسِيمٌ - يَشْفِي النَّفُوسَ - مَرِيضُ (٦)
رَضَ تَدْهِيَهُ لَهَا تَفْضِيضُ
« مَعْبِدٌ - إِذْ شَدَا - أَجَابَ الْغَرِيضُ (٧) »

- (١) النعم . (٢) الثوب : المال والمقار . (٣) غم .
(٤) المرض : ماء المطر ، وكل أبيض طرى ، والمعنى : إني أظفر بك كل يوم بنعم جديد أقاله منك
شكر حديد . (٥) أطلتني أو أزلتني أو أسكنتني .
(٦) يصب الحنة التي أحلها فيها ممدوحه بأن تقوفها دانية وطلها ظليل ونسيمها عليل يشق النفوس .

*
* *

(٧) معد والغريض

هناك من أعلام الموسيقى العربية ومدكنا، متعاصرين ، وقد ذاع صيتهما حتى أصبحا مضرب الأمثال في
إحادة البناء والافتتان فيه ، وقد كان مبيد يتدرغ الغريض ويشيد به ، كما تدل على ذلك قصة تعارفهما
التي ترك لمعد روايتها بأسلوبه المتع ، قل :

« خرجت إلى مكة في طلب لقاء العريض ، وقد بعى حسن غنائه في لحنه :

وما أس ملاً شياء لا أس شادنا بكة مكحولاً أسسبيلاً مداهمه

وقد كان ماغى أنه أول لحن سمعه ، وأن الحن نهته أن يعنيه لأنه متن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه
وفي هذا التمهيد ما يدل على تصوريهم واعتقادهم في ذلك العصر ، فقد سحرتهم ألحان الغريض فانسوا إليها
المعزات وأنشأوا حولها الأساطير .



قال معبد :

فلما قدمت مكة سألت عنه فدلت على منزله فأترتبه ، فقرع الباب ، فما كلمني أحد ، وسألت بهن الجيران فقلت : هل في الدار أحد ؟ فقال لي : نعم فيها الغريض ، فقلت : إني ود أكثر دق الباب فما أجابني أحد قالوا : إن الغريض هالك ، فرحمت فدقت الباب ، فلم يجبني أحد ، فقلت : إن نعي غنائى يوما نعي اليوم فاندفعت وسيت لحنى في سمر جيل ، فوالله ما سمعت حركة الباب ، فتأت : بطل سحرى ، وساع سحرى وحثت أطلب ما هو عسير على واحتقرت نسي ، وقلت : لم يتوهى لصعب غنائى عنده ، فما شعرت إلا صائح يصيح يا معبد المعنى ، اعلم وتلق عى ، سمر جيل الذى تنى فيه ياشق البخ ، وعى :

« وما أس مل اشياء لا أس قولها . . . »

(قال) فلقد سمعت شئاً لم اسمع احسن منه وقصر إلى نسي وعلمت فسيلته على بما احسن من نفسه ، وقلت : انه لحرى بالاستتار من الناس تنزيها لنفسه وقهطيا لغيره وان مثله لا يستحق الاتدال ، ولا ان تتداوله الرجال ، فاردت الانصراف إلى المدينة راجعا ، فلما كنت غسير بعيد إذا بصائح يصيح بى : يا معبد انظر أ تلك فرجت ، فقال : إن الغريض يدعوك ، فأمرع فرحاً فدنوت من الباب . فقال لي : آحب الدخول ، فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ، فقرع الباب ففتح ، فقال لي : ادخل ولا تطل الخلوس فدخلت فاذا شمس طالعة في بيت ، فسلمت فرد السلام ثم قال : اجلس فجلست ، فاذا أنزل الناس وأحسنهم وجهاً وخلقا وخلقا ، فقال : يا معبد كيف طرأت إلى مكة ، فقلت : حملت فداءك وكيف عرفني ؟ فقال : بصوتك فقلت : وكيف وأنت لم تسمعه نط ؟ قال : لما غنيت عرفتك به وقلت : إن كان معبد في الدنيا فهذا ، فقلت : جعلت فداك فكيف أجتى بقولك : « وما أس مل اشياء لا أس قولها » ، فقال :

« وما أس مل اشياء لا أس شادنا بكة مكحولاً أسىلا مداومه »

ولم يكن إلى ذلك سبيل لأنه صوت قد نهيت أن أغنيه فغنيتك هذا الصوت جواباً لما سألت وغنيت ، فقلت : والله ما عدوت ما أردت بهل لك حاجة ، فقال لي : نيا أبا عباد لولا ملامة الحديث وتعل إطالة الجلوس لا ستكثرت منك فاعذر ، نظرت من عنده وإنه لأجل الناس عندي ورجعت إلى المدينة ، فتحدثت بحديثه ومجبت من فطته وقيافته ، فما رأيت انساناً إلا وهو أجل منه في عيى .

*
* *

ومما تختاره من أخبار معبد الطريفة ما حدث له في السفينة ، فقد رووا عنه أنه كان قد علم الغناء حارية من جوارى الحجاز تدعى ظبية وهى بتخريجها ، فاشتراها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلت عليه ، ثم ماتت - بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان - وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبتة

اياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ويظهر التعمص له والميل إليه والقديم لعنائه على سائر أعاني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ معبداً خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردها صادف الرجل وقد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة ، وجاء معبد يلتبس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرف أحد منهما صاحبه ، فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا ، فلما صاروا في فم نهر الأبله تمدوا وشربوا وأمر جواريه فغزبن ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فروة وخفان غليظان وزى جاف من زى أهل الحجاز إلى أن غنت إحدى الجوارى :

بانت سعاد وأسمى حبليها انصرما واحتلت العور فالاجراع من إضما

(والغناء لمعبد) فلم تجد أداءه فصاح بها معبد : يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم (قال) فقال له مولاها - وقد غضب - أنت ما يدريك الغناء؟ ما هو إلا أن تمسك وتلزم شامك فأمسك ، ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت « يا بنة الأزدي فلي كئيب . . . » (والغناء لمعبد) فأخلت ببعضه ، فقال لها معبد : يا جارية لقد أخلقت بهذا الصوت إحلالاً شديداً . فغضب الرجل وقال له : ويحك ما أنت والغناء ، ألا تكف عن هذا الفضول . فأمسك ، وغنى الجوارى ملياً ثم غنت إحداهن :

خليل عوجا منكما ساعة ممي على الربيع نقضى حاجة ونودع

(والغناء لمعبد) فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها معبد : يا هذه أما تقوين على أداء صوت واحد ؟ فعمص الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة ، وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة فأمسك معبد حتى إذا سكنت الجوارى سكتة اندفع بعنى الصوت الأول حتى مرغ منه ، فصاح الجوارى : أحسن يا رجل فأعده ، فقال : لا والله ولا كرامة ، ثم اندمع بعنى الثاني ، فقالن لسيدهن : ويحك هذا والله أحسن الناس غناء فسله أن يميده علينا ولو مرة واحدة لعلمنا نأخذنه عنه فانه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً فقال : قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه وقد أسلفناه الاساءة فاصبرن حتى نداريه ، ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض ، فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه ، وقال : ياسيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك ، فقال له : فهبك لم تعرف موسى قد كان ينبغى لك أن تتنب ولا تسرع إلى بسوء العشرة وجفاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إلى وتختلط بي ، فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه ، فقال له الرجل : ممن أخذت هذا الغناء . قال : من بعض أهل الحجاز ، فن أين أخذته حواريك ، فقال : أخذته عن جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكان قد أخذت عن أنى عباد معبد وعنى بتخريجها فكان تحل منى محل الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عز وجل بها وبقي هؤلاء الجوارى وهن من تعليمها فأنا إلى الآن اتعصب لمعبد وأفضله على المعنين جميعا وأفضل صنفته على كل صنعة . فقال له معبد : أو إنك لأن هو افتعرتني ؟ قال : لا (قال) فضحك معبد بيده صلته ، ثم قال : فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزل السفينة لأفصرك بالأهواز ووالله لا قصرت في جواريك هؤلاء ولأجملن لك في كل واحدة منهن خلفاً من الماضية ، فأكب

الرجل والجواري على بديه ورحليه يقبلونها ويقولون : كتمتنا نمسك طول هذا حتى جفوناك في المخاطبة
وأسانا تشترتك وأن سيدنا ومن تمنى على الله أن تلقاه . ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع
وأعطاه فوقته ثلثائة دينار وطيبا وهدايا بملهاه وانحدر معه إلى الأهواز فأمام عنده حتى رضى حذق حواريه
وما أخذنه ، ثم ودعه واصرف إلى الحجاز .

*
* *

وقد روى أبو الفرج قصة قدوم معبد إلى مكة وسماعه من المعنين وغناؤه لهم فقال :

قال معبد : غيب وأعجبى ضائي وأعجب اللاس وذهب لي به صيب وذكر ، فملك : لأبين مكة فلا سمعن
من المعنين بها ولأعنيهم ولأتمرفن إليهم ، فابتعت حمارا ففرحت عليه إلى مكة ، فلما قدمتها بع حماري
وسأل عن المدين ابن بتمعون ، فقيل : بقميتمان في بيب ملان فحفت إلى منزله بالملس فقرع الباب ، فقال
من هذا ، فملك : انظر طافك الله ، فمدنا وهو يسبح ويستعبد - كأنه يخاف - ففتح ، فقال : من أنت طافك ،
الله ؟ قل : رحل من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قل : أنا رحل أشتهى الغناء وأرعم أي أعرف
مه شيئا وقد بامى أن القوم يجتمعون عندك وقد أحبب أن تنزلي في جانب منزلك وتخلطى بهم فانه لا مؤونة
عليك ولا عليهم مبي ، فلوى شيئا ثم قال : انزل على بركة الله (قال) فملك : فنامي فنزل في جانب حجرته
ثم جاء القوم حين أسبحوا واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا فأنكروني ودلوا : من هذا الرجل . قل : رحل
من أهل المدينة حبيب يشهى الغناء ويطرب عليه ليس عليكم منه عناء ولا مكروه . فرحوا بي وكلمتهم
ثم ابسطوا وشربوا وعنوا ، فحفت أعج بسائهم وأطهر ذلك لهم وبمعجبهم منى حتى أقنا أياما وأخذت من
غنائهم وهم لا يدرون أصواتا وأصواتا وأصواتا ، ثم دل لان صريح : مديتك امسك على صوتك :

قل لهسد وتربها قبل شحط النوى غدا

قال : أو تحسن شيئا ، نك : تنظر وصي أن أصنع شيئا . واندمت فيه ومنيته فصاح وصاحوا ودلوا :
أحسن فأتلك الله . قل : فأمسك على صوت كذا فامسكوه على ومنيته فازدادوا عجباً وصياحا . فاسترك
أحداً منهم إلا غننه من غنائه أصواتاً قد تغيرتها (قال) فصاحوا حتى غلب أصواتهم وهربوا بي ، وقالوا :
لأن أحسن بأداء غنائنا عنا منا ، قل : فامسكوا على ولا تصحكوا بي حتى تسمعوا من غنائى ، فامسكوا
على فعبت صوتنا من غنائى فصاحوا بي ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلى وقالوا : نلحظ بالله إن لك لصيتنا
وامساوذكراً وان لك ميا هاعنا لسهماً عظيماً فن أن ؟ قل أنا معبد فقبلوا رأسي وقالوا : ابعث علينا وكنا
نتهاون بك ولا نعدك شيئا وانت أنت . فأقت عندهم شهرا آخذ منهم وبأخذون منى ثم انصرفت إلى المدينة .

*
* *

ومن الطرف النادرة ما حدث لمعبد والأسود .

قال معبد : بعث إلى بعض أسراء الحجاز وقد كان جمع له الحرمان إن اشخص إلى مكة فشخصت ، قال :
فتقدمت غلامى في بعض تلك الأيام واشتدت على الحر والمطش فانهبت إلى خباء فيه أسود ، وإذا حباب

جَاوَرَتْ حَمَّةٌ (١) مُشَيِّدَةً الْمَبْنَى لِبَرْقِ الرَّخَامِ فِيهِ وَمِيضٌ
مَرْمَرٌ أَوْقَدَ الْفِرْنَدَ (٢) عَلَيْهِ سَمْسَلٌ بِحَرْهُ الزُّلَالُ يَفِيضُ
وَسَطَهَا دُمِيَّةٌ يَرُوقُ أَجْتِلَاهُ الْكُلُّ مِنْهَا وَيَفْتِنُ التَّبَعِيضُ (٣)

ماء قد بردت قلت إليه فقلت : يا هذا اسقى من هذا الماء ، فقال لا ، فقلت : فأذن لي في الكفن ساعة
قال : لا ، دأبت ناتي ولحأت إلى طلبها فاستترت به ، وقلت : لو احدث لهذا الأمير شيئا من العناء أقدم
به عليه ولعلني إن حررت لسانى ان يبل حاقى ريقى فيحف عى بعس ما أجده من العطش. فترنمت بصوتى :
« القصر والجل والجماء بينهما » فلما سمعنى الأود ما سعرت به إلا وقد احتملى حتى ادخلنى خساءه ثم قال
اى نأبى أنت وأبى ، هل لك فى سويق السلت بهذا الماء البارد ، فقلت : قد منمتى أبل من ذلك وشربة ماء
تجزئى (قال) فسقانى حتى رويب وحء العلام فأثقت عنده إلى وقت الرواح ، فلما أردت الرحلة قال : اى
نأبى أنت وأبى الحر شديد ولا آمن عليك منل الذى أصابك فأذن لى أن أحمل معك قربة من ماء على عنقى
وأسمى بها معك كلما عطشت سميتك وغيبتى صوتا (قال) قلت : ذلك لك ، فوالله ما فارقتى
سقىي واعيه حتى بلغت المنزل .

وأخبار معدد والعريص طويلة متفرقة فى كتاب الأغانى وليرجع إليها من شاء .

(١) الحمه - بالفتح - العين الحارة الماء يستشفى بها الأعداء ومنه الحديث : « مثل العالم كمثل الحمه
يأتيها العمداء ويتركها التمراء ، فمتما هي كذلك إدار ماؤها وقد اسمع بها قوم وبقى أروام يتكفون أى
يتدمون » والحمه مدينة ذات ينابيع معدنة حارة وارده بانقرب من مدينة « لوشة » ومد زارها « ابن بطوطة »
ودخل مسجدها ووصف ما فيها من صيد البر والبحر ، والحمه - أيضا - اسم لمداين أخرى ذات ينابيع
معدنية حارة فى إقليم « غرناطة » وإقليم مرسية وغير ذلك ، وحة غرناطة ، وتسمى مدينة الحمه عند
أهل غرناطة .

(٢) الفرند : السيم ووشيه وحوهره ، وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نعل ، والفرند : الورد
الأحر أيضا .

(٣) أحد هذا المعنى من قول ابن الرومى فى وحيد المعية :

وغرير بحسبها قال : « سمها » قلت : « أمران ، هين وشديد .

يسهل القول : إنها احسن الأشياء طرا ويصعب الحديد »

وفى هذه التفسيره يقول :

عاده زانها - بن العس - قد ومن الطي مقلتان وحييد

ورهاها من فرعها ومن الحدن داك السواد والوربد

هى برد - بعدها - وسلام وهي للعاشقين جهد - هيد

مانما معظليه - من وحنتها - غير ترشاف ريقها تبريد

مثل داك الرصاب أضعأ داك الوجود ، لولا الالباء والتصريد

وفىها يقول : تتحلى للناظرين إليها فشق بحسبها وسعيد

طلبه - تسكن القلوب وترهاها - وقرية لها تعريد



بَشْرٌ نَاصِعٌ وَخَدٌّ أَسِيلٌ وَحُيًّا طَلْقٌ وَطَرْفٌ غَضِيضٌ
وَقَوَامٌ كَمَا اسْتَقَامَ قَضِيبُ الْبَانَ إِذْ عَلَهُ (١) تَرَاهُ الْأَرِيضُ (٢)
وَأَبْتِسَامٌ لَوْ أَنَّهَا اسْتَعْرَبَتْ فِيهِ أَرَاكَ اتُّسَافَهُ الْإِغْرِيسُ (٣)
وَالْتِفَاتٌ كَأَنَّهَا هُوَ بِالْإِيحَاءِ - مِنْ فَرَطٍ لُطْفِهِ - تَعْرِيسُ

* * *

لَمَعُ طَلَّةٌ مِنَ الْعَيْشِ مَا إِنْ لِلْهَوَى عَنْ مَحَلِّهَا تَعْوِيضُ
سَوَّغْتَنِي نَعِيمَهَا نَفَحَاتٌ لِلْمُنَى - مِنْ سَحَابِهَا - تَزْوِيضُ
تَابَعْتَهَا يَدُ الْهُمَامِ أَبِي عَمْرٍو فَمَا غَمَرُهَا لَدَيْ مَغِيضُ (٤)

تعمى كأنها لا تعسى - من سكون الأوصال - وهي تعيد
لا تراها هناك تحفظ عيني - لك منها - ولا يدور ويد
من هدوء وليس فيه اضطراب ، - وسجوت وما به تبليد
مدى في سأو صوتها نفس كا - كأساس عاشقها - مديد
وأروى الدلال والمنح منه - وراه الشجا ، فكاد يبسد
استراه يدوت طورا ويغيا - مستلد سيطه والنشيد
فيه وثى وديه حل من النذ - م مصوع يحال فيه القصيد
طاب فوها وما ترجع فيه - كل شيء ها بذاك شهيد
نعم يقع الصدى ، وعاء - عنده يوجد السرور العميد
فلها - الدهر - لائم مستزيد - وها - الدهر - سامع مستعيد
في هوى منها يحف حلیم - راحح حلمه - ويعوى رشيد
ما تماضى الفسلوب إلا أصابت - بهواها منهن حيث تريد

إلى آخر هذه القصيدة للمدة التي تحتوى منها بهذا القدر اليسير فليرجع إليها من شاء في ديوانه ليقرأ بين
هذه القصيدة وقصيدة ابن ريدون .

(١) عله : سقاء ، والأريس : الركي التربة الخليق للبت . (٢) المعجب .

(٣) استعربت : بالعت في الصحك ، والاعريس : الطلم وكل أبيض طرى .

(٤) اليد : العمة ، والعمر : الماء الكثير ، ومغيض : اسم معول من عيس الماء فهو مغيض إذا طار
ويست ، أي تابعت تلك اللع من رغد العيش يد معافة إلى « أبي عمرو » لا تزال تعمنا بمغيبها الذي
الذي لا يبيس ماؤه فليس مغيبها العزيز الماء ناصيا عندي .

مَلِكٌ ذَادَ عَنِّ حَمِي الدِّينِ مِنْهُ مَنْ إِلَيْهِ فِي نَصْرِهِ التَّفْوِيضُ
وَسَمَا نَاطِرُهُ مِنَ المَجْدِ فِي دُنْيَاهُ قَدْ كَانَ كَفَّهُ التَّغْمِيضُ^(١)
إِنْ أَسَاءَ الزَّمَانُ أَحْسَنَ دَأْبًا مِثْلَمَا بَيَّنَّ النَّقِيضَ النَّقِيضُ^(٢)

* * *

يَا مُعِزُّ الهُدَى الَّذِي مَا لَمَسْنَا هُ إِلَى غَيْرِ سَمْتِهِ تَغْرِيبُ
يَا مُجَلِّي يَفَاعَ حَالٍ ، مَكَانُ النَّجْمِ - مَهْمَا يُقَسِّسْ إِلَيْهِ - حَضِيضُ^(٣)
إِنْ أَنْزَلَ أَيْسَرَ الرِّغَائِبِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ القِدَاحِ مِنِّي مُفِيضُ^(٤)
لَوْ يَفَاعُ المَجْرَةَ أَعْتَضَتْ مِنْهُ رَاحَ يَدْعُو ثُبُورَهُ المُسْتَعِيضُ
حَظًّا سِنَّ أُمْرِي نَأَى مِنْكَ قَرَعُ وَقُصَارَى بَنَانِهِ تَعْمِيزُ

* * *

حَسْبِي النُّصْحُ وَالْوِدَادُ وَشُكْرُ عَطَرَ الدَّهْرِ مِنْهُ مِسْكٌ فَضِيضُ
دُمٌ مُوقَى وَإِيكَ - الدَّهْرَ - تَجَبُّو رُ مَسَاعِيكَ ، وَالْعَدُوُّ مَهِيضُ
فَاعْتَرَفُ المُلُوكِ أَنَّكَ مَوْلَا هُمْ حَدِيثُ مَا يَبْنِيهِمْ مُسْتَفِيضُ

(١) وتطلع إليك ناظر المجد بعد أن كتب ناظره كثرة الدنيس . يريد أنه بعد أن ذاد عن حيرة الدين
سما بنظره في شؤون دينا كما قد صرفه عنها كثرة التعميس والاعراس .

(٢) وقريب من هذا قول الشاعر :

نشدان لما استجمعا حسا والصدء يظهر حسنه الضد .

(٣) اليفاع : ما ارتفع من الأرس . يقول : يامن أحللتني حالا رديما ، إذا قيس إليه النجم - على رفعته -

عد حضيضا . (٤) المبيض : من أفاض الرجل بقداح اليسر إذا ضرب بها فووقت مبيحة متفرقة .

شفاعة

قال هذه القصيدة يمدح أبا الحزم بن جهور ويتحرم بجنابه ويطلب
 شفاعته ، قال ابن بسام :
 « كان أبو الوليد ممن أنشأته دولة الجهاورة واصطفته اصطفاة الفرس
 للأساورة ، وقد اختص بأبي الوليد اختصاص الفرع بالنور وارتبطهم
 ارتباط الافاضة بالفور ، وأبو الحزم بن جهور - إذ ذاك - رأس الجماعة
 وأصل تلك الأسرة المطاعة من رجل أدهى من عمان وأجراً من ليت
 خفان وأدهى من عمرو بن الحفان . وكان ابن زيدون متصلاً بانه
 أبي الوليد أطول حقه اتصال أبي زيد بلوليد بن عمبة وبينهما
 تآلف أحراماً بكميته وطافا وسقيا من تصابيهما نطافا وابن زيدون
 يمتد ذلك حساماً مسلولا ويرى أنه يرد به صعب الخطوب دلولا ، إلى
 أن طلب عند أبيه أبي الحزم وتوسل فاستدفع به تلك الأسنه والأسل
 فماتى إليه عنان عطفه ولا كعب عنه سنان صرفه مع استعطفاه له
 بكل مقال يحل سقائم الاحقاد واستلطاه إياه بما يرد الصعب
 سلس القيادة ، فن بديع ذلك وأحسه قوله :

ايه أبا الحزم اهتبل غرة ألسة الشكر عليها فصاح «

أَمَا وَالْحَاطِظِ مِرَاضٍ صِحَاحٍ تُصْبِي وَأَعْطَافٍ نَشَاوِي صَوَاحٍ
 لِبَائِنٍ بِالْحُسْنِ فِي خَدِّهِ وَرَدُّ وَأَثْنَاءُ ثَنَائِيَاهُ رَاحٍ
 لَمْ أَنْسَ إِذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً وَشَاخَهُ اللَّاصِقَ دُونَ الْوِشَاحِ (١)
 أَلَمْتُ بِالْأَلْطَفِ مِنْهُ وَلَمْ أَجْتَنِّحْ إِلَى مَا فِيهِ بَعْضُ الْجُنَاحِ
 لِأَصْفِيَنِ الْمُصْطَفَى (٢) « جَهْوَرًا » عَهْدًا لِرَوْضِ الْحَزَنِ عَنْهُ أَنْتِضَاحِ

(١) قال ابن بسام : قوله : « وشاخه اللاصق دون الوشاح » معنى متداول ، ومن أمره عصرأ
 قوله العجل من أهل وقتنا :

« إن العزيز على حقوك انه بالردف حل منك ملا يحمل

تغدى له حسمى مكان وشاخه إن الليل بشكله يتمل «

وقريب من هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

« يا ليت عباس سربال على جسدى أو ليني كنت سربالا لعباس »

(٢) وفي رواية ابن بسام : « لأصفين المرتضى جهورا »

جَزَاءَ مَا رَفَعَهُ شُرْبَ الْمُنَى
يَسْرَتْ أَمَالِي بِتَأْمِيلِهِ
لَمْ أَشِمِ الْبَرْقَ جَهَامًا وَلَمْ
مَنْ مِثْلُهُ - لَا مِثْلَ يُلْفِي لَهُ -
يَا مُرْشِدِي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ
رَكِينٌ مَا تُثْنِي عَلَيْهِ الْحَبَا
ذُو بَاطِنٍ أَقْبَسَ نُورَ الثَّقَى
أَنْظُرُ تَرَ الْبَدْرَ سَنَا وَأَخْتَبِرُ

وَأَذَنَ السَّعْيُ بَوْشَكَ النَّجَاحِ (١)
فَمَا عَدَانِي مِنْهُ فَوْزُ الْقِدَاحِ (٢)
أَقْتَدِحِ الصَّمَّ بِيضِ الصَّفَاحِ (٣)
إِنْ فَسَدَتْ حَالٌ فَمَرَّ الصَّلَاحُ
أَغْنَى عَنِ الْمِصْبَاحِ ضَوْؤُهُ الصَّبَاحُ
يَهْفُو بِهِ نَحْوَ النَّشَاءِ أَرْتِيَاخُ (٤)
وَوَظَاهِرٍ أَشْرَبَ مَاءَ السَّمَاخِ
تَجِدُهُ كَالْمِسْكَ إِذَا مِثَّ فَاحُ (٥)

* * *

إِيهِ « أَبَا الْحَزْمِ » أَهْتَبِلُ غِرَّةً
لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةِ
أَلْسِنَةُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فِصَاحُ (٦)
إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ مَرِيشَ الْجَنَاحِ

- (١) ربه : من ورود الابل ردها ، وهي أن ترد الماء في كل يوم متى شاءت .
(٢) يسرت يجور أن يكون بالتحديد بمعنى سهلت وبالتحفيف من يسر يسر إذا ضرب بقداح الميسر -
والمعنى على الثاني ضربت بقداح آمالي ياسراً فلم أعدنى أن فزت بأوفر القداح -طوطا ، وفي رواية ابن بسام :
« نسرت آمالي بتأميله »
(٣) أى لم انظر البرق ليس فيه مطر ، ولم اقتدح صلدا لم يور ناراً .
(٤) ركين من الركائز أى الرزاة - والمعنى : أنه وقور الحوة رزينا يهوى به ويحركه نحو المدح أريحي
فيهتر بعد سكون في مجلسه ووقار .
(٥) مات الشيء يميته إذا مرسه يده في الماء فداب من مسك ونحوه - يقول انظر تره كالبدر سا وبهاء
وأختبره نحهه كالمسك فاح شذاه وقد ميث أى مرس ناليد ، والمسك - لما سحق - فاح شذاه ، وقد قال
للمرى في هذا المعنى وأجاد ما شاء أن يجيد .
« حل البلى سيفيد المرء فائدة فالمسك يزداد من طيب إذا سحقا »
(٦) اهبل : اغتم يقال اهتبلت غمته - والمره : بالكسر العملة ، وفي المثل « الغرة تحلب البره »
أى العملة تحلب الرزق - والمعنى : أسكت أنا الحزم في غلة أعدائك من المعام والأموال تنطلق الألسا
معصعة بشكرك ، وفي رواية ابن بسام : « ألسنة الدر عليها فصاح »

عُتْبَاكَ - بَعْدَ الْعُتْبِ - أُمْنِيَّةٌ
لَمْ يَشْنِي عَنِّ أَمَلٌ مَا جَرَى
فَأَشْحَذُ بِمُحْسِنِ الرَّأْيِ - عَزَمِي يُرْعِ
وَأَشْفَعُ فَلِلشَّافِعِ نَعْمَى بِمَا
إِنَّ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا
وَقَاكَ مَا تَخْشَى مِنَ الدَّهْرِ مَنْ
مَا لِي عَلَى الدَّهْرِ سِوَاهَا أَقْتِرَاحٌ^(١)
قَدْ يُرْقَعُ الْخَرْقُ وَتَوْسِي الْجِرَاحُ
مِنِّي الْعِدَاءُ، أَلَيْسَ شَاكِي السَّلَاحِ؟^(٢)
سَنَاهُ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ النَّوَاحِ^(٣)
وَالْحَمْدُ فِي تَأْلِيفِهَا لِلرِّيَّاحِ^(٤)
تَعَبْتِ فِي تَأْمِينِهِ وَأَسْتِرَاحُ

هدية تفاح

« وهل في تفاح أهدها إلى المعضد بالله

أبي عمرو عباد بن محمد بن عباد »

يَا مَنْ تَزَيَّنْتَ الرِّيَا
وَلَهُ يَدٌ يَدِسُ النَّمَا
جَاءَ تَكَ جَامِدَةٌ الْمَدَا
سَةُ حِينَ أَلْبَسَ تَوْبَهَا
مُ مِنْ أَنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا^(٥)
مَ فَخُذْ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا^(٦)

- (١) العتبي : الرجوع إلى ما يرضى العاتب أي رجوعك بعد العتاب إلى ما يرضى أمسه لا اقتراح على الدهر سواها . (٢) فوّ بحسن الرأي عزمي يحب مني العدا ، أليس عزمي شاكي السلاح ؟ (٣) سناه : سهله وبسره - من عقد : أي من حبل عقد - وثيق النواح : أي عسر الحل من أي نواحيه أتيته ، وقرأت شاهدا على هدا في أمالي أبي القاسم الزجاجي ، إن معاوية بن أبي سفيان صرف روح ابن زبناج عن عمله لحياطة بلفظه عنه ، وأمره بالدوم عليه ففعل ، فأمر ضربه فلما أخذته الشياطين قال : « نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدم مني ركنا أنت بنيت ، أو تضع مني حسنة أنت رفعتها » الخ ما قال ، فقال معاوية . « إذا الله سى حل عقد تنسر ، حياضه » - ومعنى البيت أنه اطلب شعاعته ، وبين أن للشاع على المشفوع له يد وجمعة بسبب ما سهله وبسره من حل عقد تنسر حد أن تعقدت أواخيه وتوثقت نواحيه . (٤) الحيا : المطر - برمد أن الحمد للشاع لا للذي قبله منه الشاعنة ، كما أن الحمد ليس للسحب التي منها المطر بل للرياح التي تزيحها ثم تؤلف منها فتطر ، وقد كرر هذا المعنى في بعض قصائده فقال :
للشامع النساء - والحمدى صوب الحيا للرياح لا لعموم
انظر (ص) من هذا الديوان . وقد سبقه البحرى إلى هذا المعنى فقال وأبدع :
« حارحمدي ، وللرياح - اللواتي تجلب العيث - مثل حمد الغيوم »
(٥) نزول المطر . (٦) جعل المدام وهي الخمر نوعين جامدة وهي التماح ودائبة وهي الراح وطلب إلى الممدوح أن يشرب عليها ذوبها وهي الراح الحقيقية .

لا يهنا الشامت

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور وقد كتبها إليه من السجن . »

مَا جَالَ بَعْدَكَ لِحْطِي فِي سَنَا الْقَمَرِ
 وَلَا اسْتَطَلْتُ ذَمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ
 نَاهِيكَ مِنْ سَهَرٍ بَرَحَ تَأَلَّفَهُ
 فَلَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلُ
 إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ (١)
 إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقِصْرِ (٢)
 شَوْقِي إِلَى مَا أَنْقَضَى مِنْ ذَلِكَ السَّعْرِ
 لَوْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ (٣)

* * *

أَمَّا الضَّنِّي فَجَبَّتُهُ لِحْظَةٌ عَنِّي
 فَهَمْتُ مَعْنَى الْهَبْوَى مِنْ وَحْيِ طَرْفِكَ لِي
 وَالصَّدْرُ مُذْ وَرَدَتْ رِفْهًا تَوَاحِيَهُ
 كَأَنَّهُمَا وَالرَّوْدَى جَاءَا عَلَى قَدَرٍ (٤)
 إِنَّ الْخِوَارَ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْخَوْرِ
 تَوْمُ الْقَلَائِدِ لَمْ تَجْنَحْ إِلَى صَدْرٍ (٥)

(١) أي لم أحل بلحطي في نور القمر بعد غيبتك هي إلا ذكرتك كما يذكر الرائي عين الشيء وداته بما يراه من آثاره . (٢) الدعاء : بالفتح البقية الناقية من الليل - أي ما تميت أن يطول ما بقي من عمر الليل إلا أسعا على ليلة اشتملت على ما يسر مع قصرها والشعراء كثيرا ما يسمون ليلة الوصال بالعر ، ومن أبدع ما قرأناه في ذلك قول الشريف الرضي :

« أشكو الليالي غير معتبة إما من الطول أو من القصر
 تطول في هجرهم وتقص في الوصال ، فلا يلتقي على القدر
 يا ليلة كاد من تقاصرها بعثر فيها العشاء بالسر »

(٣) يتنبأ أن يسيل طلام الليل بما يسديه من سواد القلب والعر ، ولو لاحت أي وايته استعار ، ولا خفاء أن سويداء القلب وواد العين من أغس الأشياء وأعزها ، واسكنه يبدلها طاربه في سبيل اسدامة الليل وطوله ، وجاء لابن ساسم في الدخيرة في نقد هذا البيت . قوله : « لو استعار سواد القلب والبصر » لفظ المعرى حيث يقول :

يود أن طلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

(٤) العن : بفتح العين من عن الشيء إذا طهر أمالك واعتس .

(٥) ريفها : هو أن ترد الابل الماء كل يوم - توم القلائد : جمع تومه بالضم وهي الاؤلؤة ، استعار ورود الابل ريفها للازمة الحلي صدرها من غير أن تجنح بعد الورد إلى الصدر .

حُسْنُ أَفَانِينَ لَمْ تَسْتَوْفِ أَعْيُنُنَا
وَأَهَا لِنَشْرِكِ تَعْرًا بَاتَ يَكْلُوهُ
يَقْظَانُ لَمْ يَكْتَحِلْ غَمَضًا مُرَاقِبَةً
لَا لَهُوَ أَيَّامِهِ الْخَالِي مُرْتَجِعٍ
إِذْ لَا التَّحِيَّةُ إِيمَاءُ مُخَالَسَةً
مَنْ كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرَهَا

* * *

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهَا
لَمْ تَطْوِ بُرْدَ شَبَابِي كَبْرَةً وَأَرَى
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَشَبٌ
مَحْضُ الْعِيَانِ الَّذِي يُعْنِي عَنِ الْخَبْرِ
بَرَقَ الْمَشِيبِ أُعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّعْرِ^(٣)
وَاللِّسْبِيَّةِ غُضْنُ غَيْرٍ مُهْتَصِرٍ

(١) يكلؤه : يحفظه ويقار عليه - وغيران : وصف من الغيرة - والعوالى صدور الرماح - الشعر : جمع ثغره بالضم وهي الطرق والمنافذ المسلوكة أو أراد بها جمع الثغرة وهي النقرة في النحر .
(٢) المرر : جمع غرة بالكسر وهي العفلة ، والمعنى : أنه ينتهز غرات الرقيب الساهر طول ليله غيرة وحفاظا ومراقبة ، فيقدم رابط الجأش بالرغم من يقظته وتنبيه ومراقبته إياه ، ولا يحجم عما اعتزمه من موافاة حبيبه .
(٣) الكبرة : بفتح فسكون كبر السن - والعارض : الحد يقال أخذ الشعر من عارضيه - والمعنى : أن يياض المشيب وخط عارضيه قبل أن يخلع برد الشباب وقبل أن يمد من سنه ثلاثين ربيعا ، وأبدع أبو نواس في هذا المعنى أيما إبداع إذ يقول في سينيته :

« وإذا عددت سني ، كم هي لم أحد
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي
وقال ابن الرومي : « قد شيب الفتي وليس عجبا
وقال الآخر : « ياعز هل لك في شيخ فتى أبدا
وقال أبو العلاء : ارجع إلى السن فاطر ما تقادمها
فكم ثلاثين حولا شيبت ، ومصت
وليس ذلك إلا صبغة جعلت
للشيب عذرا في النزول براسي
عن أن تسير إلى في بالكاس »
أن يرى النور في القضيبي الرطيب»
وقد يكون شباب غير فتيان »
فاحكم عليه ولا تحكم على الشعر
ستون ، والشيب فيها غير مستمر
طبعاء ، وإن قيل : شاب الرأس للدعر .

هَا إِنَّهَا لَوَعَةٌ فِي الصَّدْرِ قَادِحَةٌ نَارَ الْأَسَى وَمَشِيبِي طَائِرُ الشَّرِّ (١)

* * *

لَا يَهْنِي الشَّامِتَ الْمُرْتَاخَ خَاطِرُهُ أَنِّي مُعَنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ (٢)
 هَلِ الرِّيَّاحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ؟ أَمْ الْكُسُوفُ الْغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (٣)
 إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِيدَاعِي، فَلَا عَجَبُ قَدْ يُودَعُ الْجَفْنُ حَدَّ الصَّارِمِ الَّذِي كَرِهَ
 وَإِنْ يُثَبِّطُ - «أَبَا حَزْمٍ» الرَّضَى - فِدْرٌ عَنِ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبُ عَلَى الْقَدْرِ

* * *

مَا لِلذُّنُوبِ - الَّتِي جَانِي كَبَائِرِهَا غَيْرِي - يُحَمِّلُنِي أَوْزَارَهَا وَزِرِي (٤)

(١) أي أنها لوعة تقدح نار الأسى والحزن في صدره ، ومشيب رأسه ما تطاير من شر تلك النار الموقدة فيه ، وحاء في الدحيرة لأن يسام قبل هذا الت توله :
 يا للرزايا لقد شامت منهلها عمرا فما اشرب المكروه بالعمر
 والعمر القدح الصغير ، وهو يمي انه لا يشرب من المصائب بالمدح الصغير .
 وحاء بعدة في سحتي الديوان المخطوطتين هذا الت ناقصا هكذا :
 حوادث استعرضتني ما نذرت لها غرارها
 ونحن شامتها كما وحدناهما .

(٢) لا يهنا : يقال حناه الأمر أي تهنا به - معني الأمانى : اسم مفعول من العناء وهو التعب - والخطر الشرف والمنزلة - والمعنى : لا يتهأ الشامت المتلوح النواد بكوتى في هاء وهب سب الأمانى وبكوتى ضائع القدر والمنزلة .

(٣) أراد شحم الأرض ما شحم على وجهها من النبات ولم يقم على ساق ومنه قوله تعالى « والنجم والشجر يسجدان » وهذا البيت تلميح للرب فله أي لا تفرح أيها الشامت هاربخ لا تعصف إلا بما له ساق من الشجر ، والكسوف : لا يكون امير الشمس والقمر - وهو معني طرقة الشعراء كثيرا ، ومنه قول أبي تمام
 إن الرياح إذا ما أعصف قصف هيدان نجد ولم يعبان بالرم
 سات نمش ونمش لا كسوف لها والشمس والبدر منها الدهرى رقم
 وقريب منه قوله أيضا :

لانكرى عطل الكريم من الاذى فالسبيل حرب للسكان للعالي

(٤) الوزر : بالكسر الدب والوزر بمنحيتين الامين والملجأ - والمعنى : لأى سبب يحملنى ملجئى ومعتصمى
 تبعه ما جناه غيرى من كباير الذنوب ، وهو نظير قول المعرى :
 وحرم حره سبهاء قوم وحل بفسير جاره العقاب

مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْنِيهِ عَلَى ثِقَةٍ
 ذُو الشِّيمَةِ الرَّسْلِ - إِنْ هِجَتْ حَفِيزَتُهُ -
 مَنْ فِيهِ لِلْمَجْتَلِيِّ وَالْمُبْتَلِيِّ نَسَقًا
 مُدَلَّلٌ لِلْمَسَاعِي حُكْمَهَا شَطَطًا
 وَزَيْرٌ سَلِمَ كَفَاهُ يُمْنٌ طَائِرُهُ
 أَغْنَتْ قَرِيحَتُهُ مَنِّي تَجَارِيهِ
 كَمْ أَشْتَرَى - بَكَرَى عَيْنِيهِ - مِنْ سَهْرٍ ،
 فِي حَضْرَةِ غَابَ صَرْفُ الدَّهْرِ - خَشْبَتَهُ -
 مُتَمَعَّ بِالرَّبِيعِ الطَّلَقِ نَازِلُهَا
 مَا إِنْ يَرَاكَ يَبْتُ النَّبْتُ فِي جَلْدِ

* * *

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي وَالنَّجْمَ فِي قَرْنٍ
 فَفِيمَ أَصْبَحْتُ مُنْحَطًا إِلَى الْعَفْرِ (٨)

- (١) التَّانِي : التَّهْمَلُ ، وَالنَّحْيُ : ادْتِئَابُ ذَنْبٍ لَمْ يَقْعَلْهُ - أَيُّ أَنَا عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْحَصُولِ عَلَى أَمْنِي ، وَإِنْ تَأْنَى ، وَلَا أَحْذَرُ أَنْ يَسْبَ إِلَى ذَنْبٍ لَمْ أَفْعَلْهُ .
 (٢) الشِّيمَةُ الرَّسْلِ : الْحَلْقُ السَّهْلُ السَّمْعُ - وَالْمُجْتَلِيُّ : الْغَضَبُ - وَالْمُسْتَعْتَبُ : مَصْدَرٌ مِمَّا يَعْصِي
 الْإِسْتِعْتَابَ أَيُّ الْإِسْتِرْسَاءِ يُقَالُ اسْتَعْتَبَهُ أَيُّ اسْتَرَاهُ فَأَعْتَبَهُ أَيُّ أَرْضَاهُ - وَالْيَسْرُ : الْمَيْسِرُ .
 (٣) الْمَجْتَلِيُّ : الْبَاطِلُ ، وَالْمُبْتَلِيُّ : الْمُحْتَمِلُ ، وَالسَّرُّ : الشَّرْفُ أَيُّ مُحْتَبَرٌ سَرِيٌّ شَرِيفٌ .
 (٤) الْمَسَاعِي الْمَآثِرُ أَيُّ مَدَلُّ لِمَسَامَاهِ أَنْ تَشْتَبَ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَسِ الْمُنْبَعِ الْجَانِبِ .
 (٥) مَحْصَدُ الْمَرْرِ : مَقْتُولُ الْقَوَى .
 (٦) يَقُولُ أَنَّهُ لِأَمْعِيَّتِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحَارُبٍ وَإِنْ بَدَأَتْهُ تَعْمَى عَنْ رُوَيْتِهِ وَنَظَرَتْهُ السَّرِيْعَةُ تَبْنِي عَنْ إِطَالَةِ الْفِكْرِ وَقَدِيمًا قَالُوا :

الْأَلْمَى الَّذِي يَنْظُرُ بِكَ الطَّيْسَ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

- (٧) الْجَلْدُ : الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ ، أَيُّ أَنَّهُ مَدَسَّاسٌ لِلْمَلِكَةِ وَهُوَ دَائِبٌ عَلَى مَثِّ النَّبَاتِ وَالزَّرْعِ فِي أَرْضٍ لَا تَنْبِتُ لَصَلَابَتِهَا وَإِفَاضَةِ الْمَاءِ إِلَيْهَا مِنْ عِيُونٍ تَتَجَرَّرُ مِنَ الصَّخْرِ .
 (٨) يَقُولُ : مَا نَالَكَ أَخْلَمْتَ آمَالِي وَبَدَاتُ مَكَانَتِي الْعَالِيَةَ عِنْدَكَ الْقَى كَسْتُ تَحْلِي سَهَا فَوْقَ ذُرْوَةِ النُّجْمِ فَأَنْزَلْتَنِي إِلَى حَضِيضِ الْهَوَانِ .

أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدْبِي غَرَسَ لَهُ مِنْ جَنَاهُ يَانِعُ الثَّمَرِ (١)
 وَسِيْلَةً مَبِيْبًا - إِلَّا تَكُنْ نَسْبًا - فَهَوَّ الْوِدَادُ صَفَاً مِنْ غَيْرِ مَا كَدَّرِ

* * *

وَبَاتٍ مِنْ ثَنَاءِ حُسْنُهُ مَثَلٌ وَشَى الْمَحَاسِنِ مِنْهُ مُعَلِّمُ الطَّرْرِ
 يُسْتَوْدَعُ الصُّحُفَ لَا تَخْفَى نَوَافِحُهُ إِلَّا خَفَاءَ نَسِيمِ الْمِسْكِ فِي الصَّرْرِ (٢)
 مِنْ كُلِّ مُخْتَالَةٍ بِالْحَبْرِ رَافِلَةٌ فِيهِ اخْتِيَالُ الْكِعَابِ الرُّودِ بِالْحَبْرِ (٣)
 تُجْنَى لَهَا الرُّوْضَةُ الْفَنَاءُ أَضْحَكَمَا تَجَالُ دَمْعِ النَّدَى فِي أَعْيُنِ الزَّهْرِ (٤)

(١) رف النبات اهتز - بقول : هل حين انتشرت آدابي ومدائمي في الأفاق فاجنت يانع الثمر ، ولم يذكر جواب الاستفهام في البيت بعده لأنه مفهوم من السياق ، وهي طاعة مألوقة كما قال الشاعر :

«الآن لما كنت أكل من مشي واقترب نابتك عن شباة الفارح
 وتكاملت فيك المروءة والتقى وأعنت ذلك بالفعال الصالح»

وقول القائل :

«أبت لي همتي وأبي بلاني وأخسدي الحمد بالشم الربيع
 وإجشامي على المسكروه نفسي وضربني هامة البطل المشيح
 وقولي - كلما حشأت وجاشت - مكانك تحمدي أو تستريحي»

وربما ذكر الجواب كما ترى في قول ابن الرومي :

«الآن حين زأرت واستمع الوري زأري وأنذر كلب شر ديبه
 الآن حين سفت كل مسابقي فتركت اسرع حربه تقريبه
 يتكلم المتكلمون رياستي ليطل بذلك معجب تعجيبه»

(٢) أي يستودع ذلك الثناء - المضروب بحسنه المثل - بطون الصحف ولا يمكن أن يخفى ما يدوح من

أرضه إلا إذا حوى ربح المسك في الصرر .

(٣) أي من كل صحيفة تختال بما فيها من المداد الذي سطرت به آيات بيانه وسحر بلاغته اختيال الجارية

التي كعب ثديها بما تلمسه من وشى منير وبرد غير .

(٤) أي أنه يصطحب المهبرة التي يكتب بمدادها آيات بلاغته ويجهو لأجلها الروضة الفناء أضحكها الحيا ،

وجالت في أعين أرهاها دموع الندى .

يَا بَهْجَةَ الدَّهْرِ حَيًّا وَهُوَ - إِنْ فَنَيْتَ
لِي فِي أَعْتِمَادِكَ - بِالثَّأْمِيلِ - سَابِقَةٌ
فَقِيمَ غَضَّتْ تَهْمُومِي مِنْ غَلَا هَمَمِي
هَلْ مِنْ سَبِيلِ فَنَاءِ الْعَتَبِ لِي أَسِنَّةٌ
نَذَرْتُ شُكْرَكَ لَا أُنْسَى الْوَفَاءَ بِهِ

حَيَاتُهُ - زِينَةُ الْآثَارِ وَالسَّيْرِ (١)
وَهَجْرَةٌ - فِي الْهَوَى - أَوْلَى مِنَ الْهَجْرِ
وَحَاصَ بِي مَطْلَبِي عَنْ وَجْهِ الظَّفَرِ؟ (٢)
إِلَى الْمُدُوبَةِ مِنْ عَتَبِكَ وَالْحَصْرِ؟ (٣)
إِنْ أَسْفَرْتِ لِي عَنْهَا أَوْجُهُ الْبَشْرِ (٤)

* * *

لَا تَلُّهُ عَنِّي فَلَمْ أَسْأَلْكَ مُعْتَسِفًا
وَأَسْتَوْفِرِ الْخَطَّ مِنْ نُصْحٍ وَصَاحِيَةٍ
هَبْنِي جَهْلَتُ فَكَانَ الْعَلِقُ سَيِّئَةً
إِنَّ السِّيَادَةَ بِالْإِغْضَاءِ لَا بِسَةِ

رَدَّ الصَّبَا بَمَدِّ إِيفَاءٍ عَلَى الْكَبْرِ (٥)
كِلَاهُمَا الْعَلِقُ لَمْ يُوهَبْ وَلَمْ يُعْرَ (٦)
لَا عُذْرَ مِنْهَا سِوَى أَنِّي مِنَ الْبَشْرِ
بِهَاءِهَا وَبِهَاءِ الْحُسْنِ فِي الْخَفْرِ

(١) نبي في هذا التمدوحه وهو لا يزال حيا يرزق ، وقد أخذ هذا المعنى - ولم يحسن الأخذ - من قول أبي الملاء :

« جمال ذى الأرض كانوا فى الحياة وهم بعد الممات جمال الكعب والسير . »

(٢) حاس : حاد ومال .

(٣) العتب : السخط وإطهار الوحدة لمخافة ارتكاب ، والعتي : الرضا والرموح إلى المبررة بعد السخط ، والحصر : البرودة ، والمعنى : هل من سبيل بعد العتب الشبيه بالماء الآسن أى التخير الذى لا يستسيفه شارب به إلى العتي الشبيه بالماء العذب النارد الساتغ شرابه - وقد أحسن أبو الملاء فى جعل برد الماء الذى يصير به أطيب لشاربه سببا فى هجره لا فراطه فى الحصر والبرودة وذلك حيث يقول :

« لو اختصرتم من الأحسان زرتكم والعدب يهجر للافراط فى الحصر . »

(٤) الضمير فى « عنها » طأند إلى العتي ، والبشر : جمع بشرى .

(٥) أى لم أعتسف فى السؤال ولم أطلب مستحيلا .

(٦) استوفر : استكثر ، وصاحية : الاسان خاصته لادن يميلون إليه ويمشون مجلسه ويطلقون ما عنده والعلق : الشيء العيس الذى يمس به لفاسته فلا يوهب ولا يمار ، وقد ورد فى ديوان الحماسة قول الشاعر :

« أبيت الأمن إن سكاب عاق نفيس لا يمار ولا يباع

مفداة مكرمة علينا بجاع لها العيال ولا تباع

سلية سابقين تاجلاها إذا نسا يصهما الكراع . »

لَكَ الشَّفَاعَةُ لَا تُدْنِي أَعِنَّهَا
وَالْبَسَ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضْرَاءَ أَيْكَتْهَا
نَعِيمَ جَنَّةٍ دُنْيَا - إِنَّ هِيَ أَنْصَرَمَتْ -
دُونَ الْقَبُولِ بِمَقْبُولٍ مِنَ الْعَذْرِ (١)
ظِلًّا حَرَامًا عَلَى « الْآفَاتِ وَالْغَيْرِ » (٢)
نَعِمْتَ بِالْخَلْدِ فِي الْجَنَّاتِ وَالنَّهْرِ

أترع الكأس

أَدْرِهَا فَقَدْ حَسُنَ الْمَجْلِسُ
وَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ وَتَى الرَّبِيعُ (٣)
فَإِنَّ خِلَالَ أَبِي عَامِرٍ
بِهَا يَحْضُرُ الْوَرْدُ وَالرَّجِسُ (٤)
وَقَدْ آتَى أَنْ تُتْرَعَ الْأَكْوَسُ

لا حيلة في الحب

يَا مُخْجِلَ الْغُضَنِ الْفَيْنَانِ إِنْ خَطَرَا
يَفْدِيكَ مِنِّي مُحِبٌّ شَأْنُهُ عَجَبٌ
لَمْ يُنْجِنِي مِنْكَ مَا أَسْتَشْعِرْتُ مِنْ حَذَرٍ
مَا كَانَ حُبِّكَ إِلَّا فِتْنَةً قُدِرَتْ
وَفَاصِحَ الرَّشَاءِ الْوَسْنَانِ إِنْ نَظَرَا (٥)
مَا جِئْتَ بِالذَّنْبِ إِلَّا جَاءَ مُعْتَدِرَا (٦)
هَيْهَاتَ كَيْدُ الْهَوَى يَسْتَهْمِلُكَ الْحَذَرَا
هَلْ يَسْتَطِيعُ الْفَتَى أَنْ يَدْفَعَ الْقَدَرَا (٧)

(١) العذر : جمع عذره كسدره مصدر كالعذر . (٢) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :

وَأَبَسَ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضْرَاءَ أَيْكَتْهَا ظِلًّا حَرَامًا عَلَى الْآفَاتِ

ووجد في هامش بعض النسخ بكلمة لهذا البيت كلمة (والغير) وهذه الكلمة ياسبها الآفات لا الآفات

فصلت كلمة البيت بكلمتين كما ترى لإحداهما من هاشم ببعض الأصول ، والأخرى يعطها السياق .

(٣) أدر الكأس فقد صفا المجلس واغناه حسنه عن حسن الربيع فلم يعد نحس للربيع فقدا .

(٤) فان خلا، أبي عامر تذكرنا بالورد والرجس وبيينا عليها عنهما .

(٥) يقول : « إنك ترى بالعصن المورق إن مشيت وتررى بالظلي الغرير الطرف إن نظرت .

(٦) يقدم لك الفداء محب أسره عجيب ، فإلك كلما أتيت ذنباً أنى إلا أن يتلسك الأعدار ويخلفها لك خلفاً

(٧) كنت أقدر أنك تهجرني بعد الوصال وكنت انلافي كل سبب يؤدي إلى ذلك وأحاذر جهدي ألا يقع

ما حفته ولكن القدر لا بد أن يمدح حكمه وليس يدفعه حذر . وما أجل قول الشاعر البايع محمود أبي الوفا :

« يَا لَأَمْنِي فِي الْهَوَى دَعَى وَمَا حَلَقَ رَوْحِي لَهُ ، لَيْسَ أَمْرِي فِي الْهَوَى يَدِي »

وقول العباس بن الأحنف :

« أَسَدٌ وَلَعَنَتْ حَوَاءُ . كَ بَلِيَّةٍ عَلَى أُنَاسِيهَا ، وَغِبْلَانِ مِنَ الْخَبْلِ . »

في مدح ابن جهور

مَرَادُهُمْ حَيْثُ السَّلَاحُ حَمَائِلُ وَمَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدَّمَاءُ مَنَاهِلُ (١)
وَدُونَ الْمَنَى فِيهِمْ جِيَادٌ صَوَافِنُ وَمَأْثُورَةٌ بِيضٌ وَسُمْرٌ عَوَامِلُ (٢)
لِكُلِّ نَجِيدٍ فِي النَّجَادِ كَأَنَّمَا تُنَاطُ بِمَتْنِ الرَّمْحِ مِنْهُ الحَمَائِلُ (٣)
طَوِيلٌ عَلَيْنَا لَيْلُهُ مِنْ حَفِيظَةٍ دَانَ صَبَابَاتِ النُّفُوسِ طَوَائِلُ (٤)
كِنَاسٌ دَنَا مِنْهُ الشَّرَى فِي مَحَلَّةٍ بِهَا الْأَيْثُ يَعْدُو وَالغَزَالُ يُغَازِلُ (٥)

(١) المراد : اسم مكان من راد يرود أى ارتاد- طلبا للنخلة والسكّاء ، والحمايل : جمع حملة وهي الشجر الكثير المجتمع اللثب الذى يستر ما في داخله ، والمناهل - جمع منهل - وهو موضع النهل وهو الشرب أولا يقال شرب عللا بعد نهل يريد أنهم يسهلون من دم واردهم ، والمعنى : الذى يرود حمى أولئك العرب الانحداد حيث تسكن الحبيبة برود هناك حمائل يكثر فيها السلاح وتنتجر الرماح، ومن يرد مستجمعهم يتخذ مناهل تهمل فيها الدماء ويتمرض واردها لاسباب الدماء .

(٢) الصوافن : من الخيل جمع صافى وهو الذى يقوم على ثلاث ويثي سذك الرابعة ، ومأثورة صفة السيوف ، يقال سيف مأثور أى في مسه أثر بمتع فكون وهو مرند السيف وحوهره وديباجه ، والسمر الرماح ، والعوامل : صدورها جمع طائل ، يقول دون ما تتمناه حمى منبع بالصاوات الجياد حمى ببس السيوف وسمر الرماح .

(٣) نجيد : شجاع ذو نخدة وبأس ، والنجاد : حمائل السيب ، وتناط : تملق ، بتن الرمح : أى بقامة كالرمح فى الطول ، والعرب تمدح بالطول وتدم الدمامة والقصر ، قال رجل من طيء :

«ولما التقى الصمان واختلفا فلما نهلا وأسباب المايا نهالها

تين لى أنت القمامة ذلة وأن أعزاء الرجال طولها

دعوا يا لسعد واستمينا لطيء أسود الشرى إندامها ونزالها.»

وقد أجاد أبو الملاء فى مدح القصر ، فقال :

«عجب الأنام لطول همه ماحد أوفى به قصر على أضرابه

سهم الفقى أصهى مدى من سيمه والرمح ، يوم طمانه وضرابه.»

(٤) الحفيظة : العضب ، والصبابات : جمع صبابه وهي المشق ، والطوائل : جمع طائفة وهي الترة والنار يقول يطول على كل طوبل النجاد ليله من حفيظة وغضب علينا ، وكان المشق وصبابات النفوس أوجبت له صدنا طوائل وترات فهو كمن يطلبنا ليثار منا .

(٥) الكناس : مأوى الظباء والبقر الذى تستكن فيه من الحر ، والشرى : موضع تنسب إليه الأسود .

أَمَمَرُ الْقِيَابِ الْحُمْرِ وَسَطَ عَرَبِيْنِهِمْ
 لَقَدْ قَصِرَتْ فِيهَا السَّرُوبُ الْعَقَائِلُ (١)
 أَحْجُوبَةٌ لَيْسَى وَلَمْ تُخْضَبِ الْقَنَا
 وَلَا حَجَبَتْ شَمْسَ الضَّحَاءِ الْقَسَاطِلُ؟ (٢)
 وَأَنَاُ عَلَيْنَا مِنْ سَنَا الْبَدْرِ بِسَمِّ
 وَفِيهَا مِنْ الْغُصْنِ النَّضِيرِ شَمَائِلُ (٣)
 يَجُولُ وَيَشَاحَهَا عَلَى خَيْرَانَةٍ
 وَتُشْرِقُ فِي «مَوْشِيَتَيْنِ» الْخَلَائِلُ (٤)
 وَلَيْلَةٌ وَافْتَنَّا الْكَثِيبَ لِمَوْعِدِ
 كَمَا رِيْعَ وَسَنَانُ الْعَشِيَّاتِ خَاذِلُ (٥)
 مِنْ الْوَشْيِ مَرْقُومُ الْعِطَافَيْنِ ذَائِلُ (٦)
 تَهَادَى - أَنْسِيَابَ الْأَيْمِ - يَعْفُو إِنْ آثَرَهَا

(١) العرين : مأوى الأسد ، وقصرت : حبست فال تعالى « حور مقصورات في الخيام » أي محوسات في الخيام محذرات على أزواجهن في الخنات ، والسروب : جمع سرب بالكسر وهو الفطيم من الطباء والنساء والظير ، والمقصود في كتب اللغة أنه يجمع على أسراب وسراب ، وقد جمعه هنا على سروب ، والقياس لا يأتيه كما في حمل وحول وضرس وضررس ، والمعائل : جمع عقيلة وهي من النساء الكريمة المحسرة ، والمعنى أقسم بحياة القباب الحمر وسط عرين حمانها والداين عنها من أولئك الأسود انه قد حبست فيها أسراب المعائل ومنعت من السروب إلينا والخروج للملاقاة .

(٢) الضحاء : ارتفاع النهار ووقته عقب الضحى بل انتصاف النهار ، والقسائل : جمع قسطل وهو العبار الساطع
 (٣) الأناة : المرأة التي فيها مور عن القيام وتأن ، قال الشاعر :

أناة تزين اللات إما تلتس وإن فعدت هلا فأحس بها مالا

أي ترين البيت لاسة حلها ومتفصلة بثوب واحد ، والسنا : الصوء ، والماسم : ما عليها من أثر الوسامة واخسن ، والشمائل : الطباع .

(٤) وفي الأصل « وتشرق في بردتين الخلائل » وهذه الرواية يحتمل ورن البيت ، وقد أبدلناها بلفظة « موشيتين » الموضوعية بين قوسين لأنها بمعنى بردتين منقوشتين ولأنها قريبة منها في رسم الحروف ، إلى أن يظهر خلاف ما أثبتناه هنا .

(٥) ريع : فرع لأمر مفاسح ، واللوسان : الدائر الطرف شبه بالمرأة الوسى من اللوم ، والعشيات : جمع عشية وهي آخر النهار ، والخادل : من حذات الظبية فهي حادل تخلفت عن صواحبها وانفردت ، يقول ما أس لا أنس ليلة وادنا في الكثيب لومت حددناه موعدا للقاء مكانت كما ريع ظي فاطر اللحظ انفرد عن سائر سرب الطباء ، وقد مرّ الشطر الأول من هذا البيت في قصيدته الفاتحة ص (٢٤) من هذا الكتاب إذ قال :

وليلة وادنا الكثيب لموعد سري الأين لم يعلم لسراه مزحف

تهادى أناة الخطو مرتاعة الحشا كما ريع يعفور الفلا المتشرف

(٦) تهادى : أصله تهادى ، وهو مشى في تناقل وتمايل وسكون ، والأيم : والأين الحية ، ويعفو : يعجو والآثار : جمع أثر جمه على فعل بالكسر حمما قياسيا كما في جبل وحبال وجيل وجمال ، قال ابن مالك :
 « وفعل أيضا له فعال ما لم يكن في لامة اعتلال . »

قَعِيدِكَ ، أَنَّى زُرْتِ ضَوْءِكَ سَاطِعُ
 وَطِيبِكَ تَفَاحُ وَحَلِيكَ هَادِلُ (١)
 وَفَرَعُكَ غَرِيبُ وَلَيْلُكَ لَائِلُ (٢)
 وَرِدْفُكَ رَجْرَاجُ وَعِطْفُكَ مَائِلُ
 تَعَرَّضَ شَوْقُ دُونَ ذَلِكَ حَائِلُ
 كَأَنَّ شَمُولًا مَا تُدِيرُ الشَّمَائِلُ (٣)
 وَبَجَّ الهَمْوَى فِي حَيْثُ تُخَشَى الْغَوَائِلُ (٤)

ولم نعتز فيما راحناه من كتب الامة على هذا الجمع ، والعطف : بالسكر والمعطف كل ثوب كالرداء والطيلسان تعطت أى تردت به ، وسمى عطافاً لوعوه ، على عطى اللابس وهما ناعياً عنه ، والريوم : ذو الوشى والوشى أو المكروب عليه رتم البحر ، والدائل ذو الدبل ، وهو أيضاً من الدالان وهو مشى مقارب الخطو ميسه دمى وعجلة شديه بمشية الدثب أو المنهل من حمل ، أو هو وشى سريع خفيف فى ميس وسرعة وبه سمي الدثب . وألة ، والمى الأول هو المقصود هنا ، يقول وانما الدوعدى تلك الالة تهادى ومشيها كاسيات الحية والرمل نحو ماركه من آثار المشى ، دبل ثوبها الموشى ، وهو مريب من دول امرى النيس : « حرحت بها أشى نجر وراءنا على أنربا ديل صرط مرحل . »

(١) ميعدك : مصدره مصوب لنيابته عن الفعل والتقدير سألت الله حفظك ، وهادل : مرسل مسترخ إلى أهمل (٢ و٣) مكرران مع قوله فيما تقدم فى العائيه :

« هيك اعتررت الحى واشيك هاجع وورعك غريب وليلك اغصف
 فأنى اعتمست الهول خطوك مدمج وردفك رجراج ونصرك محطف »

ولكن بتغيير القافية كما ترى ، واعتررت : بالغين المعجمة أنت منهم غرة وغفة فزرتنا ، وقد ضمنا معنى خدعت بعداه إلى المفعول بنفسه ، وتقدم تفسيره بالعين للهملة بمعنى حبب الحى وضفت به سائلة على غير علم من أهله ، إلا أن هذا يستعمل غالباً فى المترأى طالب المعروف . قال حاتم الغنائى :
 « أوقد فان الليل ليل قرّ والريح يا غلام ربح صرّ
 لعلّ أن يبصرها المعتر إن حلب صيماً فأنت حر . »

(٣) أراح : كأحاف من الارتياح ، وراح : من الرواح ، والشمول : من أسماء الحر ، والشمائيل : جمع العمال بالفتح وهم ريح تهب من قبل الشام عن يسار القبلة ، وفى الشمال والشمول يقول الشاعر :
 « ألت سليمان والذسيم عليل تخيل لى أن الشمال شمولى
 كأن الحزامى صمعت منه فرققا فليسكر أعناق المطى تطول . »

(٤) معنى مكرر بلغظه واسكن بتغيير القافية مع قوله فى المائة المتقدمة :
 « لجاج تمادى الحب فى المعشر المدا وأم الهوى الأفق الذى فيه شنف . »

كَأَنَّ أَيَسَ فِي تُعْنَى الْهُمَامِ « مُحَمَّدٍ »
 أَغْرُهُ إِذَا شَمْنَا سَحَابَ جُودِهِ
 يَبْشُرُنَا بِالنَّائِلِ الْغَمْرِ « جُودُهُ »
 لَدَيْهِ رِيَاضٌ لِلسَّجَايَا أَيْقَةُ
 أَتَى فَمَا تِلْكَ السَّمَاحَةُ بِهِزَةَ
 زَعِيمُ الدَّهَاءِ أَنْ تُصِيبَ مِنَ الْعَدَا
 فَمَا سَيْفُ ذَلِكَ الْعَزْمِ فِيهِمْ عِمْعَضِدِ
 بَنِي « جَهْوَرِ » عَشْتُمْ بِأَوْفَرِ غَبِطَةِ
 تَفَاضَلَ فِي السَّرْوِ الْمُلُوكِ، فَخَلَّتْهُمْ

مُسَلِّ وَفِي مَثْنَى أَيَادِيهِ شَاغِلٌ (١)
 تَهَلَّلَ وَجْهَهُ وَأَسْتَهَلَّتْ أَنَائِلُ (٢)
 وَقَبَّلَ الْحَيَا مَا تَسْتَطِيرُ الْمَخَائِلُ (٣)
 تَغْلَغُلُ فِيهَا لِلْعَطَايَا جَدَاوِلُ
 وَفِي فَمَا تِلْكَ الْجِبَالُ حَبَائِلُ (٤)
 مَكَابِدُهُ مَا لَا تُصِيبُ الْجَحَافِلُ
 وَلَا سَهْمُ ذَلِكَ الرَّأْيِ أَفُوقُ نَاصِلُ (٥)
 فَلَوْلَا كُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ طَائِلُ
 أَنَا يَيْبَ رُمُحِ أَهْتُمْ فِيهِ عَامِلُ

- (١) -ل: أى صارف عن الهوى لدى تحدث عنه فيما سبق من أبيات القصيدة ، ومثى الأنادى : إعادة للمعروف مرتين فأكثر ، والانصباء : من حزور اليسر يشربها الجواد يطعمها الأبرام ، قال الباقية :
 « يبيك دو عرضهم على واصلهم وليس حامل أسر مثل من علما
 أنى أتمم أسارى وأوجههم مثى الأنادى وأكروالجمعة الأدماء .
 واللات من أحسن أبيات التخلص من الدبيب إلى المدح .
- (٢) تهلل : أشرق وظهرت عليه أمارات السرور ، واستهلت : من استهلل المطر وهو انصبابه بشدة حتى يسمع له صوت ، شه أنامله فى الجود بالسحاب المنهل .
- (٣) الحيا : المطر ، ما تستطير : مارائدة أو مصدرية ، وتستطير : تنتشر وتعم الأمتى ، والمخايل : جمع محيلة وهى أن ترجو وتؤمن أن السماء حلقة بالمطر ، وفى الأصل « يبشرونا بالنائل العذر » وسده بياض وقد أكننا الشطر بلفظ « جوده » الموضوعه بن هلاين أهدا من السياق ، ومعنى التت يبشرونا بالهطاء الكثير حوده وقبل استهلال المطر تنضم محايله وعلاماته فى السماء .
- (٤) الأتى : التامد الذى يتأتى للأمور ، ونهزة : يريد أنه لا يهل السماحة اتهاراً وافتراساً إذا سنحت له الفرصة بل يتأتى لها وينضى عليها فى كل وقت غير متحين لها المرض ، والحل : العهد والذمة والتواصل وعدم التناطح ، والحائل : جمع حالة وهى المصيدة وفى الحديث « النساء حبايل الشيطان » أى مصايده .
- (٥) المعصد والمعضد : سيف متمم على شكل المحل يتخذ القصابون لقطع العظام ، والرعاة لقطع فروج السحر ليعلموا بما يسقط من ورقها غنمهم وإلهم ، وأفوق : مكسور الفوق بالضم وهو حرف السهم وإذا كان فى إحدى رمحتى السهم أى حرفيه انكسار بذلك السهم أفوق ، والواصل : الداط النصل وهو حديدة السهم ، والمعنى : أنه ماضى العزيمة صائب الرأى ، وفى الأصل : « أفوف نائل » .

لَتَنْ قَلَّ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ عَدِيدُكُمْ
فِدَاؤُكُمْ مَنْ إِنْ تَعِدُهُ ظَنُونُهُ
مَنَا كِيدُ^(١) فِعْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ تَكَلَّفُ
فَإِنْ سُرِّتْ أَخْلَافُهُمْ بِتَخَلُّقِ
لَكَ الْخَيْرِ، إِنْ قَاتِلٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ
لَعَمْرُ سَرَاةِ الشَّعْرِ وَافَاكَ وَفَدُهُمْ
لَأَعْذَرْتَ لَمَّا لَمْ يُمَلِّكَ مُكْتَمُهُمْ
نَضَدْتَ رِيَاحِينَ الطَّلَاقَةَ غَضَّةً
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا سَدِيدُهُ نِزَاغُهُ
صَمَانٌ عَلَيْهِمْ أَنْ سَيُؤْتَرُ عَنْهُمْ

فَإِنْ دَرَارِيَّ النَّجُومِ قَلَّائِلُ^(١)
لِحَاقِكُمْ فِي الْمَجِيدِ فَالذَّهْرُ مَا طِلُّ
إِذِ الشَّرُّ طَبَعَ مَا لَهُمْ عَنْهُ نَاقِلُ
فَكُلُّ خَضِيبٍ لَا مَحَالَةَ نَاصِلُ^(٢)
فَرَنْ لِي بِأَسْتِيفَاءِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ ؟
لَمَّا ذَمَّ مِنْهُمْ ذَلِكَ النَّزْلَ نَازِلُ
إِذَا عَذَرَ الْمُسْتَنْقِلَ الْمُتَنَاقِلُ^(٤)
وَرَقْرَقْتَ مَاءَ الْبِرِّ وَهُوَ سَلَّاسِلُ
إِلَيْكَ مُقِيمُ الْقَلْبِ وَالْجِسْمِ رَاجِلُ
عَلَيْكَ ثَنَاءٌ فِي الْمَحَافِلِ حَافِلُ^(٥)

(١) ألم كثير من الشعراء بهذا المعنى في صور مختلفة تختار منها قول السموأل في لاميته المشهورة :

« تعبرنا أنا قليل عديدا فقلت لها : إن الكرام قليل

وما قل من كاب بقاياها مثلا شباب تسامى للعلا وكهول. »

وقول العباس بن مرداس :

« بعث الطير أكثرها فراحا وأم الصقر مقلدة نزور . »

(٢) جمع منكود من تكدر لرجل بالبناء المجهول هو منكود إذا كثرت سؤاله وقل خيره .

(٣) خضيب : محضوب ، وناصل : وصف من أصل الشعر ينصل بالضم زال عنه الحضاب ، وهو معنى

كثير الورد في كلام الشعراء ، قال زهير .

« ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم . »

وقال الآخر : « ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه يدعه ويغلبه على الفس خيماها . »

وقال ذو الأشع المديوني .

« كل امرئ صائر يوما لشيمته وإن تخفى أخلافا إلى حين . »

(٤) لأعذرت : لقد بدا عذرك واتضح ، والمستنقل : المستبطى لكثرت مما تستلزمه ، ووجبات

الضيافة ، والمتناقل : المتباطى الذي أثقل على مضيفه فأله وأصغره ، يقول أثبت عذرا لنفسك واضحا حين

لم تمل ولم تسأم طول مكث سراة الشعر الوافدين عليك في وقت يعرف فيه المتناقل عذرا مضيفه إذا مل مكانه

وحده ثقلا .

(٥) صمان على هؤلاء الوافدين أنه سيؤثر ويروى عنهم ثناء عليك في المحافل حافل بأنواع المحامد والمدائح .



تَحْمَلِي بِهَا جِيدٌ مِّنَ الدَّهْرِ حَاطِلٌ
وَتَخْصِبُ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ مَاحِلٌ

مَسَاجٍ هِيَ الْعِمْدُ أَنْتِظَامٌ مَّحَاسِنِ
تُنِيرُ بِهَا الْأَمَالُ وَاللَّيْلُ وَقَبُ (١)

تُرُوقُ الضُّجَا مِنْهُ وَتَتَدَى الْأَصَائِلُ
فَبُشْرَاكَ أَلْفٌ بَعْدَ عَامِكَ قَابِلُ
نَبَا صَالِحِ الْأَعْمَالِ مَا أَنْتَ عَامِلُ
فَلَمْ تَرْضَ حَتَّى شَيَعْتَهُ النَّوَافِلُ
لَكَ اللَّهُ بِالْأَجْرِ الْمُضَاعَفِ كَافِلُ
لِيَعْتَادَهُ مَحْضُ الْهَوَى مِنْكَ وَاصِلُ
تَنَاقَلَتِ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ الْمَنَازِلُ
وَكَأَنَّ مَدِيحٍ - لَمْ يَكُنْ فِيكَ - بَاطِلُ
وَلَا لِلْوَاءِ الْمَلِكِ - غَيْرُكَ - حَامِلُ

هَتِيئًا لَكَ الْعَيْدُ الَّذِي بِكَ أَصْبَحْتَ
تَلْقَاكَ بِالْبُشْرَى وَحَيَاكَ بِالْمُنَى
لَنْ يَنْصَرِمَ شَهْرُ الصَّيَامِ لِبَعْدِهِ
رَأَيْتَ أَذَاءَ الْفَرَضِ ضَرْبَةً لَازِمًا
سَدَنْتَ (٢) بَيْتَ اللَّهِ حُبَّ جِوَارِهِ،
هَجَرْتَ لَهُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتَ آفِلُ
فَإِنْ تَتَنَاقَلَكِ الدِّيَارُ فَطَالَمَا
أَلَا كُلُّ - رَجْوَى فِي سِوَاكَ - عُلاَةٌ
فَمَا لِعِمَادِ الدِّينِ - حَاشَاكَ - رَافِعُ

وَبَلَّغْتَنِي الْحَطَّ الَّذِي أَنَا آمِلُ (٣)
لَهُ شَاحِدٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صَاقِلُ
تَزِينُ ، وَلَكِنْ أَنْطَقْتَنِي الْفَوَاصِلُ
خَوَالِدٌ حِينَ الْعَيْشِ كَالظَّلِّ زَائِلُ
لِنَفْسِكَ غَيْرَ الْخُلْدِ إِذْ أَنْتَ كَامِلُ (٤)

لَأَمْتَنَنِي الْخَطْبَ الَّذِي أَنَا خَائِفُ
أَرَى خَاطِرِي كَالصَّارِمِ الْعَضْبِ لَمْ يَزَلْ
وَمَا الشَّعْرُ مِمَّا أَدْعِيهِ فَضِيلَةٌ
بَقِيَتْ كَمَا تَبَقِيَ مَعَالِيكَ إِنَّهَا
فَمَا نَسْتَزِيدُ اللَّهَ بَعْدَ نِهَائِيَّةِ

(١) في الأصل «رائد» (٢) وفي الأصل «سدك» (٣) وقد ورد بعد هذا البيت قوله :

« أَلَمْ هِيَ فَمَا أَنَا لَا خُفْلَ وَلَا أَنْتَ غَاطِلٌ . »

وقد أثبتناه نالسا كما ورد بالأصل .

(٤) قريب من هذا المعنى قوله من قصيدة سابقة :

« لَا أَسْتَزِيدُ اللَّهَ لَمْ مَعِي بِكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ »

إلى ابن جهور

« وقال أيضا مع تفاح أهدها إلى ابن جهور . »

أَتَيْتُكَ بِلَوْنِ الْمُحِبِّ الْحَجِيانِ تُخَالِطُ لَوْنَ الْمُحِبِّ الْوَجِيانِ^(١)
تَمَارٌ تَضْمَنَ^(٢) إِذْرَاكَهَا هَوَاءٌ أَحَاطَ بِهَا مُعْتَدِلٌ
تَأْتِي^(٣) لِإِلْطَافِ تَدْرِيجِهَا فَمِنْ حَرِّ شَمْسٍ إِلَى بَرْدِ ظِلِّهَا
إِلَى أَنْ تَنَاهَتْ شِفَاءَ الْعَدِيلِ وَأُنْسَ الْمَشُوقِ وَلَهْوِ الْغَزِيلِ
فَلَوْ تَجَمَّدُ الرَّاحُ لَمْ تَعُدْهَا وَإِنْ هِيَ ذَابَتْ فَخَمَرٌ تَحِلُّ^(٤)
لَهَا مَنَظَرٌ حَسَنٌ فِي الثَّقُوسِ كَدُنْيَاكَ لَكِنَّهُ مُنْتَقِلٌ^(٥)
وَطَعْمٌ يَلِدُّ لِمَنْ ذَافَهُ كَلْدَةَ ذِكْرِكَ لَوْ لَمْ يُعَلِّ^(٦)
وَرِيًّا إِذَا نَفَحَتْ خِلْتَهَا تُعَمِّلُ ثَنَاءَكَ أَوْ تَسْتَهِّلُ^(٧)
مُعَمِّلٌ مَلَسُهَا لِلْأَكْفِ لَيْنَ زَمَانِكَ أَوْ يَمْتَثِلُ^(٨)

- (١) معى البيت: أتيتك هذه التماحات بحمرة كحمره حدود الملاح عند الخجل، تخالطها صمرة كصمره حدود العاشقين عند الوحل . (٢) أى تكفل بانصاج هذه الثمار هواء معدل متوسط بين الحرارة والبرودة (٣) تأتى للاسرترفق له وأناه من وجهه ، والمعنى : تلطف ذلك الهواء فى تدريج نموها وصبغها بتلك الألوان الراهية فنقل معها من حر شمس إلى برد طل حتى فضجت وأبنت . (٤) يقول لو أن ذوب الراح نحول إلى جد لم يعد أن يكون ذلك التفاح ، ولو أن جامد التفاح تحول إلى ذوب أحر لم يعد أن يكون خرا حلالا لا إثم على شاربها . (٥) يعنى : أن منظرها حسن ينظم ما فى دنياك من محاسن إلا أنه حسن منتقل حائل ، وحسن دنياك لا يحول ولا ينتقل . (٦) ولها طعم حلو اللذيق لذيذ كلدته ذكراك فى الأسماع إلا أنه يعل وترديد ذكراك لا يعل . (٧) ولها ريا : أى ربح طيبة ، تمل : أى تملى مدحك ، أو تستهل : أى ترفع صوتها بالثناء عليك . (٨) بصور ملس التفاح الناعم للأكف لين زمانك حتى كأنها تحسه ، أو يمتثل أى يضرب نفسه مثلا لين زمانك .

صَفَوْتُ فَأَذَلَّتْ^(١) فِي عَرَضِهَا وَمَنْ يَصِفُ مِنْهُ الْهُوَى فَلْيُدِلْ^٢
قَبُولِكَمَا نِعْمَةٌ غَضَّةٌ وَفَضْلٌ - بِمَا قَبْلَهُ - مُتَّصِلٌ
وَلَوْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ نَفْسِي أَخْتَصِرُ^(٣) عَلَى أَنَّهَا غَايَةُ الْمُحْتَفِلِ^(٤)

مجلس أبي علي

« لما ورد ابن زيدون إشبيلية نزل في دار
ذي الوزارتين الكاتب أبي علي بن جبلة وهو
بيني فيها مجلساً ، فصنع أبياتا فكتبت فيه : »

عُمَرَ مَنْ يَعْمُرُ ذَا الْمَجْلِسَا أَطْوَلَ عُمَرَ يُنْهَجُ الْأَنْفُسَا
وَبَعْدَ ذَا عُوْضَ عَنْ دَارِهِ عَدْنَا وَمَنْ دِيْبَا جِهَ السُّنْدُسَا
وَوُفَى الْفَوْزَ بِهَا وَالرَّضَى وَوُقَى الْأَسْوَاءَ وَالْأَبْوَسَا^(٣)
وَدَامَ عِبَادُ لِعَهْدِ الْهُدَى يَحْرُسُ حَتَّى يُفْنِيَ الْأَحْرُسَا^(٤)

* * *

مُعْتَضِدٌ بِاللَّهِ إِحْسَانُهُ جَمٌّ إِذَا مَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَسَا
الْمَلِكُ الْغَمْرُ النَّدَى الْمُقْتَنَى مِنْ كُلِّ حَمْدٍ عِلْقَةُ الْأَنْفُسَا^(٥)
إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلِيَّائِهِ مِقْوَةٌ مُقْتَدِرَةٌ أُخْرِسَا^(٦)
لَا زَالَ بَدْرًا طَالِمًا نَيْرًا يَكْشِفُ مِنْ آمَانِنَا الْخُنْدِسَا^(٧)

- (١) الأدلال التدلل والانبساط والجرأة على من تحب باظهار الدالة عليه ، أى وثقت بما بيننا من الصفاء والود فأفرطت في الدالة عليك بعرض هذا التفاح الذى يتهادى بتله الأصفياء المحاصون ، ومن وصف في الهوى فليظهر الدلال على من يحبه .
- (٢) المحتفل المبالغ في الاهداء ، والمعنى : لو كنت حين أردت الاهداء أهديت نفسى لاختصرت ، على أنها غاية ما أحتمل وأبالغ في تقديمه إليك هدية .
- (٣) الأسواء : جمع سوء والأبوس جمع نؤس .
- (٤) الأخرس : الدهور ، جمع حرس بهنح مسكون وهو الدهر .
- (٥) الملك العظيم الاحسان الذى طهر من الشناء بما لم يظن به غيره من آيات الحمد .
- (٦) إذا رام اللسن البين أن يصف مجده أعياه الخرس لأنه يحاول بذلك أن يظن بالمستحيل .
- (٧) الطلام .

جواب

« كتب الوزير الفقيه صاحب الأحكام والأجاس

« أبو طالب بن مكي » بيتين وهما :

« يا بعيد الدار موصو

لا بقلبي ولساني

ربما باعدك الده

رفأدنتك الأمانى .

فكتب إليه الأبيات التالية :

لَا أَفْتِنَانِ كَافْتِنَانِي فِي حُلِيِّ الظَّرْفِ الحِسَانِ^(١)

خَصَّصَنِي بِالْأَدَبِ اللهُ فَأَعْلَى فِيهِ شَانِي

خَاطِرِي أَنْفَدُ - مَهْمَا قَيْسَ - مِنْ حَدِّ السَّنَانِ

* * *

أَيْهَا الرُّسَيْلُ أَطْيَا رَ المَعْنَى لِامْتِحَانِي

هَآكِ كَى تَزْدَادَ فِي الْآدَابِ عِلْمًا بِمَكَانِي

قَدْ أَتَتْنَا الطَّيْرُ تَشْدُو بَعْضَ أَيْآتِ الْأَغَانِي

بِرِطَانَاتٍ قَضَتْنَا مَا أَقْتَضَتْنَا مِنْ بَيَانِ

* * *

إِنْ تَغْنَى البُلْبُلُ أَهْتَا جَ غِنَاءَ الْوَرَشَانِ^(٢)

(١) قال في اللسان : الظرف البراعة ودكاء القلب بوصف به اللسان الأروال والهنات الزولات ولا يوصف به الشيخ ولا السيد، وقد وصف الحسان بالظرف مبالغة ، ويجوز أن يكون بالضم جمع ظريف، فانه يجمع على ظرف بضمين ، والاسكان في مثل جائر ، والمعنى : ليس يجيد أحد - كما أجيد - الا فتنان في صوغ تلك الحلى الحسان التي يملها الطرف واللباقة .

(٢) الورشان : طائر لجه - فيما يقولون - أخف من الحمام ، والمعنى : أن غناء البلبل يحتاج غناء الورشان يشير بذلك إلى أن شعر صديقه الوزير احتاجه فحرك فيه بواحد الشعر كما احتاج غناء البلبل غناء الورشان .



فَتَأْدَى مِنْهُ يَدَنَا غَزَلٍ مُنْفَرِدَانِ
لِمُجِبِّ فِي حَبِيبٍ عَنْهُ نَاءٌ مِنْهُ دَائِبٌ :
« يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَّا بِقَلْبِي وَلِسَانِي
رُبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ فَأَذْنُوكَ الْأَمَانِي »

كن كيف شئت

بَاغَزَالًا أَصَارَنِي مُوْتَقًا فِي يَدِ الْمِحْنِ
إِنِّي - مَذْهَجَرْتَنِي - لَمْ أَذُقْ لَذَّةَ الْوَسَنِ
لَيْتَ حَظِّي إِشَارَةٌ مِنْكَ، أَوْ حَظَّةٌ عَنِّي^(١)
شَافِعِي يَا مُعَذِّبِي فِي الْهُوَى - وَجْهَكَ الْحَسَنِ
كُنْتُ خِلْوًا مِنَ الْهُوَى فَأَنَا الْيَوْمَ مُرْتَهِنٌ^(٢)
كَانَ سَرَى مَكْتَمًا وَهُوَ الْآنَ قَدْ عَلَنَ^(٣)
لَبَسَ لِي عَنكَ مَذْهَبٌ فَكَمَا شِئْتُ لِي فَكُنْ^(٤)

(١) يقول : لاني اقمع منك بالشيء العليل النافه وأكتفي بأن يكون حظي من حرك إشارة أو افنة سريعة وقد دار الشعراء حول هذا المعنى ، واملّ أبدأ ما قيل فيه قول جميل تشبیهة :

« وإني لأرضى من بئسة بالدي لو أصبره لوأشى افرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمى ، وبالأمل المرحو قد خاب آله
وبالظرة العجلى ، وبالحوول تنفضى أواخره - لانتقى - وأواتله . »

(٢) الخلو : الخالي . يقول « كنت طابقاً حالياً من إيسار الهوى فصرت اليوم أسيراً مرتهناً . »

(٣) يقول : « كان سرى حافياً لا يعلمه أحد وأصبح معلناً ، وما أجل قول صرود في شبيه هذا المعنى

« وقد كشف الغطاء فما نبألى أصرحاً بذكرك أم كنيئنا

سائل عن ثمامات مجزوى وبات الرمل يعلم من عنينا

ولو أنا فنادى « ياسليمى » اقالوا : ما عنيت سوى لبيى »

(٤) يقول : « لافكاك لى من إيسار حبك فاصنع بى ما أنت صانع . »

حنين

هَلْ رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُحْيِي
قَدْ مِتُّ إِلَّا ذَمَاءٌ فِي مِيسِكَةٍ
مَا سَرَّحَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي وَأَطْلَقَهُ
صَبْرًا لَعَلَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَمْرَضَنِي ،
كَيْفَ أَصْطَلِبَارِي وَفِي كَانُونٍ (١) فَارَقَنِي
شَخْصٌ يُذَكِّرُنِي قَاهُ وَغُرَّتَهُ
لَنْ عَطِشْتُ إِلَى ذَاكَ الرُّضَابِ لَكُمْ
وَإِنْ أَفَاضَ دُمُوعِي نَوْحٌ بَاكِيَةٌ
وَإِنْ بَعُدْتُ وَأَصْنَبْتَنِي الْهُمُومُ لَقَدْ
أَوْ حَلَّ عَقْدَ عَزَائِي نَأْيُهُ فَلَكُمْ

إِذْ لَا كِتَابَ يُوَفِّيَنِي فَيُحْيِي (١)
أَنَّ الْفُؤَادَ بِلُقْيَاهُمْ يُرَجِّي (٢)
إِلَّا أَعْتِيَادًا سَيِّ فِي الْقَلْبِ مَسْجُونٍ (٣)
بِالْقُرْبِ يَوْمًا يُدَاوِينِي فَيَشْفِينِي
قَلْبِي وَهَاتِحُنَّ فِي أَعْقَابِ تَشْرِينٍ (٤)
شَمْسُ النَّهَارِ وَأَنْفَاسُ الرِّيَاحِينَ
قَدْ بَاتَ مِنْهُ يُسَقِّينِي فَيُرْوِينِي
فَكَمْ أَرَاهُ يُغْنِينِي فَيُشْجِينِي (٥)
عَهْدَتُهُ وَهُوَ يُذْنِبُنِي فَيُسَلِّينِي
حَلَلْتُ عَنْ خَصْرِهِ عَقْدَ الثَّمَانِينَ (٦)

(١) هل يوافيني رسول من قل من أحبه ويحمل إلى تحييتهم بعد أن حرمت كتبهم التي كانت تميد إلى الحياة.
(٢) لقد كدت أحسب في عداد المهلكي لولا بقية قليلة من الروح يبعثها في الرجاء والامل في لقاءهم .
قال ابن الرومي في رثاء ابنه :

« ولقد نعى القلب سلوته أنى بأن ألقاك مرتين . »

(٣) لم يفض دمي إلا دكريات مؤلمة مسجونة في قلمي تمتداني حيناً بعد حين وتطيف بعمى فتطلق
الدمع وتسرجه . (٤) شهر من شهور الشتاء وهو ديسمبر ، قال أبو الملاء :

مضى كانون ما استعملت فيه حميم الماء ، فأقدم يا سباط
تشابه أنفاس الحشرات نفسى يكون لمن بالصيف ارتباط

(٥) شهر من شهور السنة الرومية وهو يوافق ١٤ أكتوبر ، وهما تشرينان أحدهما في ١٤ أكتوبر
والثاني في ١٤ نوفمبر ، ولعل المراد تشرين الثاني . (٦) في الأصل : هيروبي .

(٧) عهد عزائي : المقعد ضد الحل ، والعزاء : الصبر ، والبأى : البعد وعقد الثمانين : أحد عقد
الأصابع التي يفهم بها عدد الثمانين والاشارة إلى عهد الثمانين تكون بيسط الابهام والسبابة معا متلاصقتين
بلا درجة ظاهرة بينهما ، والمعنى : لئن حل نأى الحبيب وبمده عقد عزائي وسلوانى عنه ، فكثيراً ما حلت
عن خصره نطاقاً تشبهه في الضيق عهد الثمانين ، وهذا الحصر الذي وصفه ابن زيدون يدق في الوهم ،
ويلطف في الحيال والحس إلى حسد أنا لا يثمر له على شبيهه ومثيل حق ولا في خصور الناحلات الرشيقات

يَا حُسَيْنَ إِشْرَاقِ سَاعَاتِ الدُّنُوبِ بَدَتِ كَوَاكِبًا فِي لَيَالِي بُعْدِهِ الْجُونِ (١)

من بنات أوروبا وباريس في العصر الحاضر عصر العفن و الرشاقة ، ودقة الحضور ، والامراط في تصيق
 عقد النطاق .

عقد الأصابع

لما كانت كلمة « عقد الثمانين » الواردة في بيت « ابن زيدون » هدا لايبين فيها وجه التعقيد
 والمعاطلة التي عند لايها ابن زيدون أحيانا ، إلا عند بيان ما تدلّ عليه عقد الأصابع من الأعداد العريضة
 للحساب ، وهو اصطلاح قديم استعمله العرب ، وحاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد ثلاثة
 وخمسين في التشهد ، أي بقبس الحصر والبصر والوسطى على هيئة خاصة تدلّ على العدد المذكور ، فنحن
 نستطرد بلخمس ما هو مبسوط في بعض كتب الامة والحو متعلقاً بهذا الموضوع فنقول :
 حصلوا للدلالة على الآحاد من أصابع اليد اليمنى الحصر والنصر والوسطى ، والعشرات إلى التسعين
 الوسطى والسبابة .

فالعقد الدالّ على الواحد يكون بالصاق الحصر باطن الكف مع بسط سائر الأصابع ، وعلى الاثنین
 بالصاق البصر معها كذلك ، وعلى اثنتاثة بضم الوسطى ليهما كذلك ، وعلى الأربعة بالصاق النصر والوسطى
 وحدهما كذلك ، وعلى الخمسة بالصاق الوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الستة بالصاق البصر وحدهما
 كذلك ، وعلى التسمة بالصاق الحصر وحدهما ممدودة إلى أسفل الكف على شكل يحال شكل الواحد .
 وعلى العشرة بوضع ظفر السبابة في وسط باطن أملة الابهام بحيث يحصل شكل حلقة ، ولكن مع نشوز
 رأس الابهام بقدر نصف الأملة ، وعلى العشرين بحمل المفصل الأول من السبابة على ظفر الابهام بحيث
 تكون السبابة على شكل الدال ، وعلى الثلاثين بضم رأس باطن السبابة إلى باطن رأس الابهام على هيئة لاقط
 الابرّة ، وعلى الأربعين بوضع باطن أملة الابهام على ظاهر أصل السبابة مما يلي الكف ، وعلى الخمسين
 بوضع الطرف الأيمن للابهام على محز المقعدة السعلى للسبابة بحيث تكون قائمه ، والجانب الأهل للابهام معنياً
 عليها ، وعلى الستين بوضع باطن أعلى أملة الابهام على باطن أعلى أملة السبابة ، بحيث تكون السبابة على
 شكل قوس وتره الابهام ، وعلى السبعين بوضع حرف ظفر الابهام على المقعدة الوسطى لاطل السبابة على
 هيئة رامي الحصاة بالهدف « وهو رمى سمار الحصا بعد أحدها بين طرفي السبابة والابهام » ، وعلى
 الثمانين بسطها مع لاصقتين بلافرحة بينهما كما أسلفناه في شرح البيت الذي نحن بصدده ، وعلى التسعين
 بطن السبابة إلى أصلها ووضع الابهام على ظهر المقعدة الوسطى للسبابة كما تتحوى الحية .

وجعلوا للدلالة على المئات من أصابع اليد اليسرى السبابة والابهام طبق ما في اليد اليمنى .
 فالمائة في اليسرى كالعشرة في اليمنى ، والمئتان كالعشرين ، وهكذا إلى التسعمائة ، والألف في اليسرى
 كلواحد في اليمنى ، والألفان كالانين ، وهكذا إلى تسمة آلاف ، والعشرة آلاف بضم أعلى السبابة
 والابهام بطناً لبطن ، وتستعمل عند أصابع اليدين معاً للدلالة على الأعداد المركبة من الآحاد والعشرات
 والمئات والآلاف بضم الهيئات المتقدمة .

(١) أي أن ليالي الوصال تبدو مصيقات لامعات في ليالي البعاد السود .

وَاللَّهِ مَا قَارَقُونِي بِاخْتِيَارِهِمْ - وَإِنَّمَا الدَّهْرُ بِالْمَكْرُوهِ يَزْمِينِي
وَمَا تَبَدَّلْتُ حُبًّا غَيْرَ حُبِّهِمْ - إِذَا تَبَدَّلْتُ دِينَ الْكُفْرِ مِنْ دِينِي^(١)
أَفْدَى الْحَبِيبِ الَّذِي لَوْ كَانَ مُقْتَدِرًا - لَكَانَ بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ يَفْدِينِي
يَا رَبِّ قَرِّبْ - عَلَى خَيْرٍ - تَلَاوِينَا - بِالطَّالِعِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمَيَامِينِ .

في الغزل

أَيُوحِشُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسِي - وَيُظْلِمُ لِي النَّهَارُ وَأَنْتَ تَسْمِي
وَأَغْرِسُ فِي مَحَبَّتِكَ الْأَمَانِي - فَأَجْنِي الْمَوْتَ مِنْ نَمْرَاتِ غَرَمِي^(٢)
لَقَدْ جَازَيْتَ غَدْرًا عَنْ وَفَائِي - وَبِعْتَ مَوَدَّتِي ظَلَمًا بِيَخْسِي
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حُكْمِي - قَدَيْتُكَ - مِنْ مَكَارِهِهِ - بِنَفْسِي^(٣)

في بعض مجالس الأناجس

يَأَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ بِكُلِّ أُنْسِنَا جَلَالُكَ
انظُرْ إِلَى مُحْتَلِنَا^(٤) قَدْ زَانَ سَاحَتَهُ أُحْتِلَالُكَ
نَهْرٌ وَرَوْضٌ نَحْنُ بَيْنَهُمَا تُفَيْدُنَا ظِلَالُكَ^(٥)
قَدْ فَاضَ فِي هَذَا نَدَاكَ وَنَعَمْتَ هَذَا خِلَالُكَ .

- (١) إن إيماني بحبهم كإيماني بديني سواء بسواء وليس في مقدور أحد أن يدلي بمن أحب إلا إذا استطاع أن يتغلب من ديني إلى الكفر .
(٢) يقول : « هل من العدل أن أكثر من الآمال والأمانى فلا أجنى من ذلك كله إلا الاحفاق :
(٣) ليت الزمان يقبل حكمي ، ادن لعديتك بنفسي ، وإن كنت لا تجاربي بحبي إلا بالفدر .
(٤) المكان الذي حللنا فيه .
(٥) وفي الأصل : « تؤافنا طلالك . » والطلال : ما أظلك من سحب ونحوه ، وظلال البحر : أمواجه ، والمقصود هنا النعيم والراحة ، ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة وكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة جعلوه كناية عن الراحة .

شكوى وألم !

« قال في مدح ابن جهور »

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ النِّعَمَ عَلَى مِثْلِي وَيَطْلُبَ تَارِيَّ الْبَرَقِ مُنْصَلِتِ النَّصْلِ^(١)
وَهَلَّا أَقَامْتَ أَجْمُمُ اللَّيْلِ مَا تَمَّا لِتَتَدَبَّ فِي الْآفَاقِ مَا ضَاعَ مِنْ نَشْلِي^(٢)
وَلَوْ أَنْصَفْتَنِي - وَهِيَ أَشْكَالُ هَمِّي - لَأَلَقْتَ بِأَيْدِي الذَّلِّ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي
وَلَا فُتِرَتْ سَبْعُ الثُّرَيَّا وَغَاضَهَا^(٣) بِمَطْلَعَهَا مَا فَرَّقَ الدَّهْرُ مِنْ شَمْلِي

* * *

لَعَمْرُ اللَّيَالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ تَرَعُهَا لَقَدْ قَرَّطَسْتَ بِالنَّبْلِ فِي مَوْضِعِ النَّبْلِ^(٤)
تَحَلَّتْ بِأَدَائِي وَإِنَّ مَارِي لَسَانِحَةٌ فِي عَرَضِ أُمْنِيَّةِ عَطْلِي
أَخَصُّ لِفَهْمِي بِأَقْلِي وَكَأَنَّمَا يَبِيْتُ لِدِي الْفَهْمِ الزَّمَانُ عَلَى ذَخْلِي^(٥)
وَأَجْنِي عَلَى نَظْمِي لِكُلِّ قِلَادَةٍ مُفَصَّلَةِ السَّمَطَيْنِ بِالْمَنْطِقِ الْفَصْلِي
وَلَوْ أَنَّي أَسْتَطِيعُ كَيْ أَرْضِي الْعِدَا شَرَيْتُ بِيَعْضِ الْحِلْمِ حَظًّا مِنَ الْجَهْلِ^(٦)

- (١) الذي في الأصل المقول « ألم يأن أن يبكي الحمام على قتلي » والذي أبتناه هنا هو ما نقلناه عن الدخيرة لابن بسام وهو أصب مما ذكر في الأصل لأنه يريد من الطبيعة أن تنكي لبكائه ، وتأثر من أعدائه .
(٢) ثلج : أي ما انتزله واستخرجه في حياتي من جاه ومنصب ومال .
(٣) غاضها : غيضا أي أخفاها .
(٤) ترعها : حذبها وتر القوس مصوِّبة نحوى سهام المصائب ، وقرطس : أي أصاب القرتاس ، وهو غرض من أديم يتخذ للنضال وتسييد الرماية .
(٥) اقلى - بالكسر - البعس ، والاحل النار ، يريد أن غيره من أهل الجهل نالوا الحظوة والقربى ، وهو لعمري خص بالثقل والبعد وكأنه قد جى على الزمان فبات يطالبه بشأره .
(٦) الحلم : العقل ، والحظ : النصيب . يقول : لو أستطيع لإرضاء العدا وشفاء ما في نفوسهم من الحقد لاستبداد بشيء يسير من الجهل ، حظا عظيما من العقل .

أَمَقْتُولَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالِهَامَا
أَقَلِّي بُكَاءَ لَسْتِ أَوْلَ حُورَةٍ
وَفِي « أُمِّ مُوسَى » عِبْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ
لَعَلَّ الْمَلِيكَ الْمُجْمِلَ الصَّنْعِ - قَادِرَا
وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا
أَلَمْ تُرِكَ الْأَيَّامُ مَجْمَعًا هَوَى قَبِيلِي (١)
طَوَتْ بِالْأَسَى كَشْحًا عَلَى مَضَضِ الشُّكْلِ (٢)
إِلَى الْيَمِّ فِي التَّابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأُسْلِي (٣)
أَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ سَوْفَ يُجْعَلُ صُنْعًا لِي (٤)
بِهِ - عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ - مِنْ حَكْمِ عَدَلِي (٥)

مُهَامٌ عَرِيقٌ فِي الْكِرَامِ ، وَفَلَمَّا
نَهَضُ بِأَعْبَاءِ الْمُرُوءَةِ وَالشُّقَى
إِذَا أَشْكَلَ الْخَطْبُ الْمِلْمَ فَإِنَّهُ
تَرَى الْفَرْعَ إِلَّا مُسْتَمَدًّا مِنْ الْأَصْلِ
سَحُوبٌ لِأَذْيَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ
وَأَرَاءُهُ كَالْخَطِّ يُوضَحُ بِالشُّكْلِ

وَذُو تُدْرٍ لِلْعَزْمِ - تَحْتَ أَنْاتِهِ - كَمُونُ الرَّدَى فِي فِتْرَةِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ (٦)

(١) أمه دولة الأسمان ، الهزة فيه للنداء أي يامن في أعمالها نور وتكبر ، ولواله : الشديدة الحزن على حد ولدعا شهها في شدة حرثها على محبة الهاوى في غيابة السجن بالمرأة التكلية التي لا تنتر أعمالها العاترة المقرحة عن الكاء لعقد الحبيب .

(٢) الكشح : الخاصرة ، وطوى كشحه على كذا استدر عليه ، والمضض : ألم المصيبة ، والشكل -

بالضم - فقدان الولد والحبيب : أي لا تكي باستمرار فلتست أول حرمة لارمها وجع مصيبة التكل .

(٣) يشير بهذا إلى قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا حفت عليه فآلئيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك » أي اعبري بهذه القصة واصبري .

(٤) امل الملك المعتاد صنع الجليل - قادرا اصنعه قدره - سوف يعمل على خلاصى بعد يأس .

(٥) بلى هذا البب يب وحدى الأصل ناصبا هكذا :

..... آل جهور لمستحکم الأسباب مستحصد الجبل

(٦) ذو تدرا - بالضم - أي - وعدة وقوة على مداومة أعدائه إذا وجه عزيمته لعمل أمر كمن الردى

تحب تأبيه كونه تحب مور الأعين الجبل أي الواسعة جمع نجلاء ، واستعمل الفترة بمعنى انكسار جهون العين وضعمها ليمقد بنها وبين الأناة مناسبة وموافقة .

يَرِفَ عَلَى - التَّامِيلِ - لَأَلَاءِ بَشْرِهِ
تَحَاسِنُ مَا لِلْحُسْنِ فِي الْبَدْرِ عِلَّةٌ
تُغِصُّ ثَنَائِي مِثْلَمَا غَصَّ جَاهِدًا
وَتَغْنَى عَنِ الْمَدْحِ - اِكْتِفَاءً بِمَرْوِيهَا -

كَمَازَفَ لَأَلَاءِ الْحُسَامِ عَلَى الصَّقْلِ (١)
سِوَى أَنهَا بَاتَتْ مُمِلٌ فَيَسْتَمِلِي (٢)
سِوَارُ الْفَتَاةِ الرَّادِ بِالْمَعْصَمِ الْخُذْلِ (٣)
غَنَى الْمُقَلَّةِ الْكُخْلَاءِ عَنْ زِينَةِ الْكُخْلِ

* * *

« أبا الحزم » إني في عتابك - مائلٌ
تَحَامُّمٌ شَكْوَى صَبَّحْتِكَ هَوَادِلًا
جَوَادُ إِذَا أُسْتَنَّ الْجِيَادُ إِلَى مَدَى
ثَوَى صَافِنًا فِي مَرْبَطِ الْهُونِ يَشْتَكِي

عَلَى جَانِبٍ - تَأْوِي إِلَيْهِ الْعُلَا - سَهْلٍ
تُنَادِيكَ مِنْ أَفْنَانِ آدَانِ الْهُدْلِ (٤)
تَمَطَّرَ فَاسْتَوَلَى عَلَى أَمْدِ الْخَصْلِ (٥)
بِتَصْهَالِهِ مَا نَالَهُ مِنْ أَدَى الشُّكْلِ (٦)

(١) يرف - بالكسر - يبرق ويتلأأ ، أى يلوح لألاء بشره مع التأميل كما يبدو بريق السيف ولعانه حين تصقله وتجلوه .

(٢) تميل مصارع أمل : يقال أملاه العول وأمله ألقاه عليه ليكتبه ، ومنه قوله تعالى : « وقلوا أساطير الأولين اكتبها فهي تملى عليه » وقوله تعالى : « فليمل وليه بالمدل » واستمليت السكتاب طلب أن يمليه على ، أى هذه محاسن المدوح الشبيه بالدر لاجب فيها - سوى أنها بان - تملى على الشاعر وهو يكتب ، ويستكتبها فتمليه .

(٣) تمس ثنائي : أى تجمله يمس كما يمس الشارب بالماء ولا يمكنه أن يستوى هذه المحاسن كلها أو يسيعها ، وكما يمس سوارا لفتاة الراد أى التي ترود بيوت حاراتها بالمعصم الخذل - بالعدل المهملة - أى المدلى فلا يتحرك (٤) الهوادل : جمع هادلة ، والهديل : صوت الحمام ، والهدل : جمع أهدل ، وهو صفة الأفنان ، يقال : تهدأ أغصان الشجرة أى تدأ - ينزل شكوى رفعها إليه بالحمام الهوادل تاديه بهديلها من أعلى - شجرة الأدب وتد تدأ أفنانها ، وتهدأ أفصانها .

(٥) استنبت الحداد : مصت على وجهها في الساق ، والمدى : الغاية تمطر : جاء إلى العاية مسرعا ، فاستولى على الخصل : غلب على الرهان - يصب الشاعر نفسه بالسق على غيره .

(٦) ثوى : أقام ، والصايب : من الجياد الذى قام على ثلاثة قوائم وقلب حابر الراحة ، والشكل - بفتح سكون - شد قوائم الدابة بالشكل - يصف حاله في محبسه وما يبثه من الشكوى بحال الحواد المقيم على افون يشكو بتصهاله ، أدى شكاله ، قال ابن بسام في الذخيرة : « وقوله ثوى صامنا » كقول المتنبي :

« وإن تكن محكمات الشكل تسمى ظهور جرى على يمين تصهال . »

أَفِي الْعَدْلِ أَنْ وَافْتِكَ تَتْرَى رَسَائِلِي
أَعِدُّكَ لِلْجَلِّيِّ وَأَمَلُ أَنْ أَرَى
فَلَمْ تَتْرُكْنِ وَضَعًا لَهَا فِي يَدَيَّ عَدْلٍ
بِنِعْمَتِكَ مَوْسُومًا وَمَا أَنَا بِالْمُعْقِلِ
وَمَا ذَاكَ وَعَدُّ النَّفْسِ لِي مِنْكَ بِالْمُنَى
كَأَنِّي بِهِ قَدْ شِمْتُ بَارِقَةَ الْمَحَلِّ (١)

أَنْ زَعَمَ الْوَأَشُونَ مَا لَيْسَ مَزْعَمًا
وَأَصْدَى إِلَى إِسْعَافِكَ السَّائِعِ الْجَنَى
تُمَدِّرُ فِي نَصْرِي وَتُعَدِّرُ فِي خَذَلِي
وَأَضْحَى إِلَى إِنْصَافِكَ السَّابِغِ الظَّلِّ (٢)
وَلَوْ أَنِّي وَاقَعْتُ عَمْدًا خَطِيئَةً
لَمَا كَانَ بَدْعًا مِنْ سَجَايَاكَ أَنْ تُمَلِّي (٣)
فَلَمْ أَسْتَبِرْ حَرْبَ « الْفِجَارِ » وَلَمْ أَطِيعِ
« سُيَمِيمَةَ » إِذْ قَالَ: إِنِّي مِنَ الرُّسُلِ (٤)

(١) في معنى هذه الأبيات يقول ابن الرومي معاني :

« إذا أب أرمم الصنيفة مرة فلا تمنهر ماء الصنيفة بالمطل
ولا عطلط الحصى بسو، فانه يجشمنا أن نخط الشكر بالمدن
أرضى بأن تكى سهل وأن ترى وما مطلب الحاحد عندك بالسهل
أنف لعشاق المكارم أن يرى مواعيدهم مثل البوارق في المحل . »

(٢) أصدى : مصارع صدى - بالكسر - أي أعطش ، وأضحى مضارع كل من ضحا وضحي - بالفتح
والكسر - أي أبرز للشمس ، ومعناه قوله تعالى : « وأنتك لا تطمأئنها ولا تسبحي » واستعمله هنا
في البروز إلى إصافه الساع الظل ، لا في البروز إلى الشمس ، ومعناه هذا البيت وجد في الأصل بعين بيت
على هذه الصورة :

وحاشاك رام العمدب إبلاغ سمعه

(٣) واقمت دانيت ، وتعلى تمهل ولا تمنجل العقوبة ، أي لوأبى دانيت متممدا لوموع في الخطيئة لم يكن
من سجايك غير المعو والامهال .

(٤) يقول : إن هفتي صغيرة لا ينبغي أن تجسم إلى حد أن أكون كثير حرب الفجار أو كقطع مسيلة
في دعواه الرسالة ، والفجار : بالكسر بمعنى المهاجرة كالقتال والقتال ، وسميت حرب الفجار لأن العرب
فجروا فيها إذ فاتلوا في الأشهر الحرم ، وكان للعرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربع فجارات
آخرها حرب المحار التي دكرت في كتب السير ، وكان بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان
وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم أيامها وسنة عشرون سنة ولم يقاتن ولكنه كان يبيل على
أعمامه أي يرد عليهم نبيل عدوهم إذا رموهم ، وأما « مسيلة » فكان من حبره أن وفد مع قومه

وَمِثْلِي قَدْ تَهَفُّو بِهِ نَشْوَةَ الصَّبَا
وَمِثْلِكَ قَدْ يَمْعَفُو، وَمَا لَكَ مِنْ مِثْلٍ
وَأَبِي لَتَنْهَانِي مِنْهَا عَنِ الْآسِي

* * *

أَأَنْكُتُ فِيكَ الْمَدْحَ - مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ -
وَلَا أَقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِضَةِ الْغَزْلِ! (٢)
ذَمَّمْتُ إِذَا عَهَّدَ الْحَيَاةَ وَلَا يَزَلُ
مُحْرًا عَلَى الْأَيَّامِ طَعْمُهُمَا الْمَحْطَى (٣)
وَمَا كُنْتُ بِالْمُهْدَى إِلَى السُّودِ الْخَنَاءِ
وَمَا لِي لَا أَتْنِي بِالْآءِ مُنْعَمٍ
هِيَ النَّعْلُ زَلَّتْ بِي، فَهَلْ أَنْتَ مُكْذِبٌ
وَهَلْ لَكَ فِي أَنْ تَشْفَعَ الطُّوْلَ شَافِعًا
وَلَا بِالْمَسِيءِ الْقَوْلُ فِي الْحَسَنِ الْفِعْلِ
إِذَا الرَّوْضُ أَتْنِي بِالنَّسِيمِ عَلَى الطَّلِّ
لِقِيلِ الْأَعَادِي إِنَّهَا زَلَّةُ الْحُسْلِ (٤)
فَتَنْجِحَ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةَ أَوْ تُتْلَى (٥)

«سبي حبيبة» على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما رجع ومن معه من قومه إلى «البراءة» ادعى السيرة ، وأنه أشرك مع محمد بالأمر ، واجتمع عليه «بنو حبيبة» وكانوا أربعين ألف مقاتل ، وفي عهد الخليفة «أبي بكر» رضى الله عنه أرسل إلى «عبد بن الوليد» على رأس جيش ، وحررت حرب بين ألفي ألف قتيل «سيلة» وتعمرو أصحابه .

(١) نهاية أى عقلى فاسم - تعمله مفردا ، قال فى اللسان : «واللهى العقل يكون واحدا وجمعا ، وفى التنزيل العزيز : إن فى ذلك لآيات لأولى النهى» اه ، وكان عليه حيث اعتبره فردا وأباه إلى نفسه أن نرد العمل من علامة التأكيد إلا أن يكون قد أراد جمع نهييه ، وأن عقله انقوته بتنابه هى متعددة ، عن التى : أى مهمة التى ، أشاد بها : أساءها وندد بها ، ويعقلى يحبسى ويعنى .

(٢) ناقصة الغزل ، فى الكشاف عند قوله تعالى : «ولا تكونوا كالتى مصت غزلها من بعد قوَّة أوكأنا» قيل هى ربطة بات سعد بن تميم وكانت خرقاء اتحدت مغزلا قدر دراع ، وصارة مثل أصعب ، وقد نكته عظيمة على قدرها ، فكانت تغزل هى وحوارها من العداة إلى الظهر ، ثم تأمرهن فينفس ماغزلن .

(٣) ميماء من أمر الطعام صيره مرا ، والمحلى اسم مفعول من حليت العيش أحلاه أى استحلته .

(٤) الخسة والبناءة ، والحسل - الكسر - ولد الضب ، ويكى الصب : «أبا الحسل» .

(٥) تشفع : من قولهم شفع الوتر من العدد شعما صيره روجا ، والطول : القدرة الفصل ، وتلى : تتبع مصارع أتليه بإياه أتبعه ، والامى هل لك أن تضم إلى طولك وإحسانك شاعما مك يشمع لى فى الخلاص من السحر فتسهمى نادراك حاجق فى حال كوكب ميمون النقية أو تلى أى تتبع الاحسان والشفاعة بأمانها : هذا مبلغ مايعهم من البيت ، ومد وجد فى الأصل «تلى» بالباء الموحدة ، ومد فهمها من السياق أنها تلى لاتبلى ليناسب قوله «تشفع» أى تضم .



أَجْرٌ أَعْدِ مِنْ أَحْسَنِ أَبْدَأُ كَفِ حُطِّ تَحَفَّ أَبْسُطِ اسْتَأْلِفِ صُنِّ أَحْمِ اصْطَنِعِ أَعْلِ (١)
مَنِي - لَوْ تَسَنَّى عَقْدُهَا يَدِ الرِّضَا - تَبَسَّرَ مِنْهَا كُلُّ مُسْتَصْعَبِ الْحَلِّ (٢)

أَلَا إِنْ ظَنَى - بَيْنَ فِعْلَيْكَ - وَاقِفٌ *
فَإِنْ تُمَنَّ لِي مِنْكَ الْأَمَانِي فَشِيمَةٌ
وَالْأَجْنِيْتُ الْأَنْسَ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى
وُقُوفَ الْهُوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصْلِ

سَيِّغَنِي عَمَّا ضَيَّعْتَ مَنِي حَافِظٌ *
وَإِنْ جَوَّابُ عَنْكَ تَرْضَى بِهِ الْعَمَلَا
وَيُلْفِي لِمَا أَرَخَصْتَ مِنْ خَطَرِي مُغْلِي
إِذَا سَأَلْتَنِي بَعْدُ أَلْسَنَةُ الْحَقْلِ (٥)

(١) في هذا البيت كما يرى العاريء محاكاة لقول المتنبي ، وقد سئل بيتاً يتضمن أكثر ما يمكن من الحروف ، فقال :

« عش ، اق ، اسم ، سد ، حد ، قد ، مر ، انه ، اسر ، هه ، تسل

غظ ، ارم ، صب ، احم ، اخر ، اسب ، رع ، زع ، دل ، اثن ، بل

وهـ — دعا لو سـك كـيته لأن سأل الله فيـك ، وقد همـسل . «
وحير من هذه المعاطلة قول ابن الرومي :

« أظني ، ورهبي ، وأحزل مثوبي وثابر على إدرار برى وواظ

لأتأني جدواك - وهي سليمة من الدم - ما فيها اعتلال لمائب . «

(٢) لو تسي : أي تسهل وتاثر لإحكام أمر تلك التي بيد المدوح لتسهل منها ما استصعب حله .

(٣) تم : تقدر من مناه الله يمينه قدره ومنه قول الشاعر :

« لا تأمن الدهر في حل وفي حرم إن الدنيا توافي كل إسان

واسلك طريقك فيها - غير محتشم - حتى تلاقى ما يمي لك الماني »

أي يقدر لك القادر ، والفعال - بالفتح اسم جامع لكل فعل حسن ، والقصد التوسط بين طرق الافراط

والعربط ، والرسل - بالكسر - الرقيق والنزودة ، قال افعال كذا على رسلك أي على هينتك وليس مراداً

هنا بل المراد الرسل - بالفتح - أي السهل يقال سبر رسل أي سهل .

(٤) وإن لم يقدر الله حصول تلك الأمانى على يدك ولم تحر على حادثك وخائفك في إسعافى بجاحتى فأطلق

سراحي لأضرب في العياضى وأحى من وحشة السوى وهول السرى أسا .

(٥) وأين جواب عنك أي بماذا يكون جوابى عنك إذا سئلت عما أسديت من معروف أو قدمت من

معونة . قال ابن بسام في باب المواربة والقدر : « وأين جواب فيك ترضى به العملا » . أحـوف من

قول الآخر :

« فاختر لنفسك ما أقول فاني لا بدت أخبرهم وإن لم أسأل . «

جواب

« كتب اليه الوزير الكاتب أبو بكر بن القصيرة
 في يوم أحد فيه دواء :

مولاي نفسي إلى مطالعة ال
 بحسنى بعقبى الدواء مطالعه
 وكيف ذاك الحس الدكي وقد
 باشر تلك المداقة الشعه
 وددت لو أنى حصصت بما اس
 تشعت منه وحزت منتفعه
 أعنتك الله من فظاعته
 أسوع صنع في مثله صنعه
 نصيحة تصحب الزمان فتد
 ليه وتبنى جديدة نصعه
 فأت روح العلاء ساء ال
 له وسمل الوفاء لا صدعه
 فإوده ابن ريدون : «

قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الذِّى صَنَعَهُ عَارِضُ كَرْبٍ بِلُطْفِهِ رَقْمَةٌ
 تَبَارَكَ اللَّهُ إِنَّ عَادَةَ حُسْنَانَهُ - مَعَ الشُّكْرِ - غَيْرُ مُنْتَزَعَةٍ

يَا سَيِّدِي الْمُسْتَجِدَّ^(١) مِنْ مِيقَتِي^(٢) بِمُحْطَةِ قَاتِ الْحِسَابِ سَعَةٌ
 وَأَفَانِي الْعِقْدُ - زَيْنَ نَاظِمُهُ - وَالْوَشْيُ لِأَرَاغِ حَادِثِ صَنَعَةٍ^(٣)
 بَشْتَتَ فِيهِ الْبَدِيعَ مُنْتَقِيًا كَالرَّوْضِ إِذْ بَثَّ فِي الرَّبَابِ قِطْعَةً

(١) في الأصل : المنبذ . (٢) من حبي . (٣) سانه .

أَزَاحَ كَرَبَ الدَّوَاءِ مَطْلَعُهُ (١)
كَمْ دَعْوَةٍ - قَدْ حَوَاهُ - صَالِحَةٍ ،
مِنْ أَمَلِي أَنْ تَكُونَ مُسْتَمَعَةً (٢)
لِي إِلَى عِلْمِ كُنْهِهِ طُلْعَةٌ
أَنَّ الدَّوَاءَ التَّدَّتْ عَوَاقِبُهُ (٣)
فَلْحَمْدُ لِلَّهِ - لَا شَرِيكَ لَهُ -
لَمَّا بَدَأَ طَالِعُ الشَّرُورِ مَعَهُ (١)
مِنْ أَمَلِي أَنْ تَكُونَ مُسْتَمَعَةً (٢)
لِي إِلَى عِلْمِ كُنْهِهِ طُلْعَةٌ
مِنِّي نَفْسٌ تَبَشَّعَتْ جُرْعَةً (٣)
إِنْ بَدَأَ الطَّوَلُ مِنْعِمًا شَفَعَةً

حبيب

وَرَامِشَةٌ (٤) يَشْفِي الْعَلِيلَ نَسِيمَهَا
أَشَارَ بِهَا تَحْوِي بَنَانٌ مُنْعَمٌ
سَرَتْ نَضْرَةٌ - مِنْ عَهْدِهَا - فِي غُصُونِهَا
إِذَا هُوَ أَهْدَى الْيَاسِينَ بِكَمِّهِ
لَهُ خَلْقٌ عَذْبٌ وَخَلْقٌ مُحْسَنٌ (٨)
يُعَلِّلُ نَفْسِي مِنْ حَدِيثِ تَلْدُهُ
مُضْمَخَةٌ (٥) الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةُ النَّشْرِ (٦)
لِأَغْيَدِ مَكْحُولِ الْمَدَامِعِ بِالسَّحْرِ (٧)
وَعَلَّمْتُ بِمِسْكِ مِنْ شَمَائِلِهِ الزُّهْرِ
أَخَذْتُ النُّجُومَ الزُّهْرَ مِنْ رَاحَةِ الْبَدْرِ
وَوَظَرَ فُ كَعَرَفِ الطَّيِّبِ أَوْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ (٩)
كَهَيْلِ الْمُنَى وَالْوَصْلِ فِي عُقْبِ الْهَجْرِ (١٠)

- (١) لما بدأ شرك الجليل ومعه طالع السرور أنساني حرارة الدواء .
(٢) كم دعوة حواها سرك ادعو الله أن تكون مستجاب .
(٣) كانت طاقبة الدواء حميدة وإن حزمت نفسى من شره .
(٤) في القاموس الرمش : الطائفة من الرياح ونحوه . وفي شفاء العليل ، رامشه : قال الصولي هي ورقة آس لها رأسان . قال أبو نواس :
« لها روامش ينتعين لنا نفل آذانا مطاياها . »
(٥) معطرة . (٦) طيبة : الرائحة .
(٧) رب طاقة من الزهر معطرة الشذى طيبة الأنفاس قدمها إلى من أهواه .
(٨) خفقة حسنة . (٩) يعنى أن سحر عينيه يفعل في النفس ما يفعله الطيب أو الخمر .
(١٠) العقب : بضمين ، والعقب بضم يسكون العاقبة مثل عمرو وعمر . قال تعالى : « هو خير ثوابا وخير عقبا . »

في مدح ابن جهور

• قال يمدح ابن جهور ويذكر جوارالم يرهه ، وأملا ضيعه ، ويتمنى إنجاحه في طلبته ، وإسماعفه بأسميته .

« جَنَاحِي » فِي جِوَارِكُمْ أُنْدَالِي ۱
 وَحَدَى فِي رَبَائِكُمْ الْكَائِلِ ۱
 نَصِيبٌ مِنْ وَلَايَتِكُمْ كَثِيرٌ ۲
 وَحِظٌّ مِنْ عِنَايَتِكُمْ قَلِيلٌ ۲
 لِمُخْتَلِفَاتٍ مِنْ حَالِي مَهْمَا ۳
 أُنْجِيَا أَنْفُسُ الْأَمَالِ فِيكُمْ ۳
 وَأَعْجَبُ حَادِثِ نَظَرِي لَدَيْكُمْ ۴
 وَإِلَى غَدَلِ النَّجَاحِ وَبِي غَلِيلِ ۴
 وَقِدْحِي فِي وِدَادِكُمْ مَعْلَى ۵
 وَبَاعِي فِي أَعْتَادِكُمْ طَوِيلِ ۵
 وَكَأَنَّ لِي ثَنَاءَهُ رَاحَ يَثْنِي ۶
 وَإِلَيْهِ الْمُصْطَفِ جِدُّكُمْ الْأَيْلِ ۶

(١) وجد هذا البيت في نسخة الديوان على هذه الصورة .

..... في جواركم الدليل وحدي في رحائبكم الكليل

والتكلمة من عدنا كما يعطها السياق .

(٢) يقول : إن حال المختلجان عند إجابة الديار ، منسبي من ولايتكم ونصرتكم وحي لکم كثير، وحظي من عبايكم ونعمتكم قليل .

(٣) يكر عليهم أن تكون آمال الناس حية سديهم وأمله بينها كالتفيل بين الأحياء .

(٤) العال : السيل الضعيف الذي يجري في أصول الشجر فيرويها قبل أن تضعف ، والليل : العطش أي وأعجب ما حدث لي أن أنظر إلى مسيل ماء من ناحيتكم فيه نجاجي وانتعاش آمالي ، وبي طأاً شديد في حال يني وبين ما يبرد علي ويشي غليل .

(٥) المعلى من فداح الميسر العثرة ، والفدح : بالكسر اسم للسهم ، وكانت فداح الميسر عندهم معروفة بعلامات حاسة ، وضومنها في خريطة على يدي عدل يجليها ويخرج باسم كل واحد من اليامرين فدحا ، فان كان غزلاً أي لا يصيب له عرم صاحبه ، وإن كان من دوات الاصباء ، أحسد نصيبه بحسبه ، والذي يخرج له المدح المعلى يمدّ أكبر فائر بأوهر نصيب لأن له سبعة أسماء ، وانوا بتعامرون على جزور يقدسومونها والذي يخرج لهم من الاصباء ، بوزعونه على الفقراء .

(٦) وك من ثناء ومدح راح يثني إليه بمدكم المتأصل عطفه .

تَنَفِسُهُ الرِّيَاضُ مُنَوَّرَاتٍ تَنْفَسَ عَنْ نَوَافِحِهَا الْأَصِيلُ (١)
«أَبَا الْحَزْمِ» الزَّمَانُ - بِأَنْ تُتَنَّى إِذَا عُدَّتْ قَوَاضِيكُمْ - بِخَيْلٍ (٢)
عَلَوْتَ النَّجْمَ إِذْ مَلَ الْمَسَامِي رَأَيْتُ النَّاسَ - مَا أَصْبَحْتَ فِيهِمْ -
وَمَاءَ الْعَيْشِ يَدْنَهُمْ فَضِيضٌ وَظِلُّ الْأَمْنِ فَوْقَهُمْ ظَلِيلٌ (٤)
وَلَوْ فَقَدُواكَ - لَافْقَدُوا - حَوَاهِمُ مَرَادٌ مِنْ زَمَانِهِمْ وَبِئْسَ
وَشَاقَ نُفُوسَهُمْ رَسْمٌ مُجِيلٌ - مِنَ الدُّنْيَا - وَعَهْدٌ مُسْتَحِيلٌ (٦)
فَخَاصِرٌ دَوْلَةٌ تَفْنَى لِلْيَالِي وَلَا زَالَتْ نِبَالُ الدَّهْرِ تُضْمِي
وَأَيْدُسٌ مِنْ مُسَاعَفَةِ اللَّيَالِي وَلَمْ يُيَاْمَمْ بِسَاحَتِهَا مُدِيلٌ (٧)
عُدَاتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّبِيلُ وَأَنْتَ - إِلَى نِهَائِتِهَا - سَبِيلٌ ؟

- (١) الوامح : جمع نالفة وأراد بها أماس الرياس التي تحملها سمات الأصيل فسوح منها نفعات طيبة ، يقول إن ذلك النماء الطيب تمامه الرياس وهي ، ورات قد تفس الأصيل عن نوافحها أي ما يفرح من طيب روائحها ، ويحور أن يكون عن نوافحها جمع نالفة المسك . (٢) ثناء يديه حمل له ثانيا ، أي يا أبا الحزم الزمان بخيل بأن بعدت لك ثانيا في العصل إذا عدت قواضلكم .
- (٣) حزت الخصل : أي أحررت العلية في الزمان أو أدرك المايه في السق ، والرسيل الماضل ، أو السابق ، وقد جاء في الأصل «المسامي» فوحما في مكانها «المسامي» كما يرشد إليه المعنى .
- (٤) العسيس : الماء العذب الكثير المتدفق ، أو ماء السحاب الغزير المنفرق ، وطل طليل : أي دائم لا يفسخه الصبح . (٥) مراد - بالفتح - اسم مكان من رادت الابل ترود ، أي اختلف ذهابها وحيثها في المرعى ، والوبيل الوحيم الذي لا يستمرأ ، والمعنى : لو فقدوك - لا قدر الله - ولم يستطلوا بطل دولتك لاحتواهم من زمامهم مرعى وبيل فلم يهنا لهم عيش ولم ينعم لهم بال .
- (٦) الرسم ما بقي من آثار الدار بعد ارتحال ساكنيها ، والمجيل : المتقادم العهد الذي مرت عليه أحوال ، والمستحيل : التعير ، أي لو فقدوك لاس توحوا العاقبة ، ولبارعتهم نفوسهم - إذا استمرعوا فقدك ولم يقوموا بنصرتك - إلى دنيا تحوت حديثها إلى بلى ، وسبابها إلى هرم ، وتير عهدها من سعادة وهناء إلى عنة وشقاء . (٧) المحاصرة أخذ الرجل بيد صاحبه إذا ماشاه ، ومنه قوله : ثم خاصرتها إلى القبة الخضره راء تمشى في مرمر مسنون معناه ماشيتها إلى القبة الخضراء تمشى على مرمر ملس ، والمديل المتقلب الذي تنتقل إليه الدولة ، يدعو للدوح بقاء الدولة له من غير تحول ولا انتقال .

إلى المظفر

« كتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر محمد بن
عبد الله بن محمد بن مسلم صاحب بطليوس . »

لَبِيضِ الطَّلِيِّ وَلِسُودِ اللَّمَمِ بِعَقْلِي - مُذْنِ عَنِّي - لَمَمٌ (١)
فَنِي نَاطِرِي - عَن رَشَادِي - عَمِي وَفِي أُذُنِي - عَن مَلَامِي - صَمَمٌ (٢)
قَضْتُ بِشِمَاسِي عَلَى الْعَاذِلِينَ شُمُوسٌ مُكَلَّمَةٌ بِالظَّلَمِ (٣)
فَاسْتَقَمَّتْ لِحَظَاتُ الْعِيُو نِ إِلَّا لِتُغْرِيَنِي بِالسَّقَمِ
يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أُجَنَّ وَقَدَمَزَجَ الشَّوْقُ دَمْعِي بِدَمٍ (٤)
وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ يَمُنُّ يَلَامُ وَلَا كَرَمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُدَمُّ (٥)
وَإِنِّي أَرَاخُ إِذَا مَا الْجَنُوبُ بُ رَاحَتِ بَرِيًّا جَنُوبِ الْعَلَمِ (٦)

- (١) اللطاة : ضم الطاء هي العمق والجمع طلى مثل نقاة وتقى ، واللمم : كسر اللام جمع لمه - الشعر الجاور شحمة الأذن - لم بفتح اللام - الجون .
- (٢) في هذا البيت والذي قبله يقول الشاعر أنه عمى عن الرشاد وصم عن الملام وصار في حل حنون مد بان وبعد عنه الحسان بيس الأعماق سود اللمم .
- (٣) شمس الفرس شموسا وشماسا مع طهره - العرب تقول روية مكلمة ، يعنى محفوفة بالور ، فقول الشاعر : شموس مكلمة : أى مجللة بليل الشعر الأسود - وهذا البيت بمثابة التكملة لوصف حالته في البيتين السابقين فكأنه يقول وكما عميت عن الرشاد وصدمت عن الملام كذلك فقد قضى على هذا الجمال أن أشمس على العاذلين . (٤) الخلى : كعبى الفارغ ، وفي المثل العربى القديم « ويل لاشجى من الخلى » .
- (٥) انتقل الشاعر لتبرير حنونه في غرامه وفي دموعه التي مزحت بالدم فألزم لونه بالحجة وقذف في وجوههم بالبرهان الذى ليس وراءه برهان ، فقال : إن بكأني وحنوني ولو عني كل أوائلك لا لوم فيه ولا بأس منه في سبيل الذكري والحفاظ بالعهد فليس كرم العهد مما يذم ، وفي القرآن الكريم : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا »
- (٦) أراح - استريح - ريح الجنوب هي المقابلة لريح الشمال - « راحت » - من الرواح ، وهو ضد القدو يقول : إنى لكثرة تذكري الأحبة ولكثرة حفاظى بهودهم أستريح إذا ريح الجنوب طادت إلى برائحة أمكنهم المندهسة المحموة .

وَأَصْبُو لِعِرْفَانَ عَرَفِ الصَّبَا وَأَهْدِي السَّلَامَ إِلَى «ذِي سَلَمٍ»^(١)
 وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوَ «الْبُرُو قِي» أَجْهَشْتُ الْبَرْقِ حِينَ أَبْتَسِمَ^(٢)
 أَمَا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ حَمِيدًا - لَقَدْ جَارَ لَمَّا حَكَمَ
 قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ أَنْقَضَى وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى أَنْصَرَمَ^(٣)
 لِيَالِي نَامَتِ عَيُونُ الْوَشَاةِ عَنَّا ، وَعَيْنُ الرَّضِيِّ لَمْ تَنَمْ^(٤)
 وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهُوَى فَأَجْنَتِ ثَمَارَ الْمُنَى مِنْ أُمَّمٍ^(٥)
 وَأَيَّامُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ رِقَاقُ الْحَوَاشِي صَوَافِي الْأَدَمِ^(٦)

(١) أصبو - أميل - وعرفان - معرفة ، والعرف هو الشدى . يقول : أنى أيضا أميل صبوة وحباً إذا هبت الصبا - ريح الشمال - لأنها ممطرة بشدى من يحبها . وبهواهم يهدى السلام إلى ذى سلم الموضع الذى حملت منه الصبا لك الشدى المحبوب .

(٢) أجھشت : ارتفع صوتى باكياً ، يقول : كما أنى أستترج للحبوب إذا طادت برياً ريح العلم وأصبو إلى شدى الصبا كذلك أنكى من طرب يماودنى إذا ابتسم البرق ولمع ، والمعنى فى هذه الأبيات أنه يستترج لكل فادم من جهات أحسه لأن فى ذلك نوماً من الذكرى . ولا تظن شاعراً لم يك لا بتسام البروق ولم ينتش من ربا الصبا والحبوب .

(٣) الصرم : هو القطع ، والمعنى أن الزمان الذى مضى حميداً حاد عن التمدل حين حكم وهل أقل من وسم هذا الزمن بمساحة التمدل ، وهو الذى ما كاد يقضى لنا بالصباة والاستمتاع حتى انقضى ونشيكاً ، وما كادت تتصل أوقات الأوس حتى صرمة عما وحال بيننا وسمه .

(٤) الوشاة : فى الأصل هم الذين يمشون بالسر والسمايه فيذبون الأسرار ، والاراد بهم هنا الخصوم على الاطلاق والمراد بعين الرضى حالة السعادة التى ينعم بها المحبوب فى ساعات الوصال ، وكأنك بالشاعر فى هذا البيت شرع يفصل الصباة التى انصبت والانس الذى انصرم ، فقال : ليالى نامت عيون الوشاة إلى آخر هذا الوصف الذى يتخلص به إلى المديح فى أبى بكر .

(٥) أحنث ثمار المي : أى أعطى ، والألم هو القرب ، تقول : رأيت من أمم ، أى من مرب ، يقول أيضا فى تفصيل الأوس الذى انصرم : ومالت علينا غصون الهوى أى وليالى طلائنا هذه المصود - فجئنا منها ماشئنا -

(٦) مدهبات البرود : أى مموهة البرود - جمع برد - بالذهب ، وقوله « رفاق الحواشى » كناية عن رقة وحضرة العيش فى تلك الأيام ورغده ، وكذلك قوله صوافى الأدم ، والأدم هو الخلد . ول المتن : « فبأيما قدم سميت إلى الملا أدم الهلال لأحبيك حذاء . »

كَأَنَّ «أَبَا بَكْرٍ» الْأَسْلَمِيَّ أُجْرِيَ عَلَيْهَا فِرْنِدَ الْكَرْمِ (١)
 وَوَشَّحَ زَهْرَةَ ذَاكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرٍ تِلْكَ الشَّيْمِ (٢)
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُعْتَلِي لِلْعُلَا شَمَائِيحَ كُلِّ مُنَيِّفٍ أَشْمِ (٣)
 مَلِيكَ إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ حَوَى الْخِصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُ سَهْمِ (٤)
 فَاطَوْهُمْ - بِالْأَيْدِي - يَدًا ، وَأَثْبَتَهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمِ (٥)
 وَأَرْوَعَ لَا مُعْتَنِي رِفْدِهِ يَخِيْبُ وَلَا جَارُهُ يَهْتَضَمُ (٦)

(١) كأن أما بكر الأسلمي أحري محاسن حوده وديباجة كرمه على تلك الأيام والأيام التي نامت عنها هيون الواساة وطلابه غصون الهوى فيها ، وعدا مما يعمل التمره كثيرا نخلصا من المنزل والديب إلى المدح وهو مايسميه علماء الدين : حسن التخلص .

(٢) وكان أ. بكر بما أحرز من شمائل بين كآسها زهر الحرم قد وشح تلك الأيام بما وشحها به من نضرة وحسن .

(٣) شمائيح : جمع شراح أو شمروح - أعلى الحال - كل ميبف أنم : أي كل كان مرتفع . يقول : إن أبا بكر هذا لايقف في الملا عند حد فهو في سبيلها قد تسنم فزا كل ميبف ، وعلا هو كل طان .

(٤) حوى الخصل : أحرز الشيء المعلوم الذي تراها عليه في السباق ، يعنى أحرز قصب السبق ، وساهمه : أي فزعه الملوك وناضله منهمهم أي عليهم ، والمعنى : أن هذا الملك سابقه الملوك في المجد فأحرز دونهم قصب السبق ، وفازعوه في مضمار الصال فمرعهم وغلبهم .

(٥) فالأيدى : العلم ، ويدا : يريد ناعاً ، وهذا البيت توصيح أو تأكيد لسابقه أو هو بيان للميزات التي بها يفت هذا الملك أقدار الملوك من أمثاله ويسبقهم .

(٦) الأروع : من يمدك نفسه وجمهارة مطره أو شمامته كالزئج ، ودلوا في الأروع : لأنه الرجل الكريم الحى النفس الحكيم الذى يروعك حسنه ، ويمدك إذا رأيه ، والمعنى : كما عافى كل من جاء يطلب رهداً وعطاءً وهصلاً ، قال الأعشى :

« تطوف المساماة بأبوابه طواف النصارى بيت الوثن . »

وقال مسلم بن الوليد :

« ترى العماة عكوماً حول حجرته برجون أروع رحب الباع ساما . »

وقال أبو تمام :

« كم أعطب راحتاه من نشب سلامة المعتنين في عطيه . »

والرغد : العطاء - وقوله لا معتنى - في الفاموس اعتنت الابل اليبس واستعت أحدته بلسانها فوق التراب مستصنيه له ، والرغد هو العطاء ولا حاره يهضم هضم الجار وتهضبه بمعنى طلمه يقول إن هذا الملك احسم له حسن الخلق فهو مجب الناظر إليه بحسه وجمال هيئه ، كما احتتم له حسن الخلق ، لأنه لا يخيب طالب رفته ولا يظلم جاره .

ذَلُولُ الدَّمَائِ صَعْبُ الإِبَاءِ تَقِيفُ العَزِيمِ إِذَا مَا اعْتَزَمَ^(١)
 سَمَا المَجْرَةَ فِي أَفْقِهَا فَجَرَ عَلَيْنَا ذُيُولَ الهِمَمِ^(٢)
 وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدِّيمِ^(٣)
 نَهَيْكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُ العَجَاجِ سَرَى مِنْهُ فِي جَنَجِهِ بَدْرُتَمِ^(٤)

(١) الدمائنه سهولة الخلق - وقوله تقيف العزيم - ثقف إذا صار حذفاً حصيفاً فظناً، وتقيف إذا عظمت فيه هذه الصفات ، والعزم - والعزيمة والعزم واحد ، هي أن المدح مع ما تقدم من صفات رجوله وسمو دروسته واطوانته ليس يتمكبر ولا متعجرف ، وإنما هو سهل الخلق دمث الطبع ولكن في إباء ، كما أنه كثير الحدق والمطمة منتقف العزيم إذا ما اعتزم الأمور أو طلب القدائس والرغاب .

(٢) المجرة : إحدى كواكب السماء فهذا المدح قد سما للمجرة أي علا إليها وزاد عليها سمو الهمم التي فصلها قوله في الآيات السابقة لامتنى رنده يجب ولا حاره يهتضم وأنه إذا ساق الملوك غلبهم ، وأنه أطولهم بدا ، وأثبتهم ندما ، وليس المجرة من المآثر في الناس ما يعادل ما آثرهم هذا المدح .

(٣) ناصت مساعيه زهر النجوم : أي أن مساعيه ارتفعت حتى ساوت النجوم الزاهية كالمجرة والنثرة والأكابل ، وقوله وطف الديم ، وطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية من المطر ، والديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ، يقول : إن عطاياه تبارى السحب الماطره الدائمة بلا حلبة ولا ضوضاء . فكأن هذا الدب برهان لسابقه ، وكأنه يقول : لم لاتصل على المجرة من هذه صفات مساعيه وسحب مبراته وعطاياه .

(٤) النهيك : الشجاع العمى المانع في الشجاعة لأنه ينهك عدوه فيبلغ منه ما يريد ، من ايل العجاج : كل ما ستر عنك فقد حن عنك ، والمعاج : العار المثار واحده معجابه ، وجمع الليل - بكسر الحيم ويضم - الطائفة من الليل ، وبدرتم : هو القمر إذا أبدر في ليلة تمامه أربع عشرة ، يقول : حسبك من هذا المدح أنه إذا جن ليل الحرب سرى منه وجه مشرق أو سيف لامع يشبه البدر في ليلة التمام يكشف ظلام هذا العجاج ، ويبين عن جبهة النصر والنور ، فهو بعد أن فرغ من إثبات كرم مدوحه ، وحسن خلفه بما يملو به على مكانة النجوم وزهو بقدره فوق هام الكواكب شرع يثبت له أنه فارس خيل ، وكاشف ويل ، وأنه لا يسطع بدر كلما ثارت معجابه الهيجاء ، وادطمت الحرب الهوجاء .

فَشَامَ السُّيُوفَ بِهَامِ الْكُمَاةِ وَرَوَى الْقَنَا فِي نُحُورِ الْبِهِمِ (١)
جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْعَفَاةِ وَيَمْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ (٢)
يَهِيحُ النَّزَالُ بِهِ وَالسُّوَا لَيْشَاهُ صُورًا وَبَحْرًا خُضَمِ (٣)
شَهْدَانَا ، لِأَوْتَى فَضْلَ الْخِطَابِ وَخُصَّ بِفَضْلِ النَّهْيِ وَالْحِكْمِ (٤)
وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنْ الْمَكْرُمَاتِ جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ (٥)

(١) شام السيف : معناه أحمدها أو سلها فهو من الاتعداد ، ولكن يتعين هنا أن يكون معناه أحمدها في هام الكمأة ، يقال شام الشيء في الشيء . أدخله فيه أي حمل من رهوس الكمأة أحمادا للسيف . هام : جمع هامة ، وهي الرأس ، والكمأة : جمع كمي ، وهو العارس المدجج في السلاح والقنا : جمع قناه ، وهي الرمح ، والبهيم : جمع بهيمة تضم البهائم وسكون الهاء الشجاع الذي لا يهتدي من أين يؤتى . أو هو الحيش ، فهو يقول : إداجن ايل العجاج وسرى من ذلك المددوح في تلك العاجية . بدرتم . هالك رأيت كيف يمد السيف في رؤس العرسان المدججين في السلاح ، ورأيت كيف تسقى الرماح من دم نحور الشجعان الذين لا تعرف ما تبيهم في الحروب .

(٢) يقول : إن ممدوحه جواد وإن في داره مطافا ومثابه لعفاة من طلاب الرغد والمعطاء وإن يده اليمنى كأنها لكثرة ما تقبل من سماء المرقودين أسحت كالبحر الأسود المستلم الذي يقبله حجاج بيت الله الحرام .

(٣) الخضم : السيد الجول المعطاء . قال في القاموس : هو خاص بالرحال ومن معانيه البحر أيضا . النزال : بالسكر أن ينزل المرقان المحاربان عن إبلهما إلى حيلهما فيساروا ، ويقال : نزال : كعظام ، أي انزل . لاواحد والجمع والمؤنث ، والثالث من أسماء الأسماء : الأسد ، والمصور . كالمهصار . والمهصير . أمها . للأسد أيضا ، وقوله « ومحرا خضم » ، وكذلك بوله في بيت سبق في هدة القصيدة نفسها : « فأطولهم بالأيدى يدا وأبنتهم في المعالي قدم »

أجرى فيه المنصوب المنون في الوقف مجرى الرفوع والمجرور ، موقف عليه بالسكون ولم يقف عليه بالألف . وذكر النحاة أن الالة الناشئة من لسان العرب قلب التوين ألما في المنصوب المنون عند الوقف نحو رأي زيدا ، وبحرا خضما ، وربيعة يحيزون لإحراءه في لومع مجرى الرفوع والمجرور ، قال الشاعر : « ألا حسدا غتم وحسن حديثها فقد ترك نلبي بها هاتما دنف . » « وابن زيدون » على فوائده ما كان يبدي له أن يضطر إلى استعمال هذه الالة القليلة في شعره . ومعنى البيت أن دعوى الحرب تهيج من هذا المددوح ليشاه مصورا كما أن سؤال رده وعطائه يهيج منه سيدها حولا لما يكلف معناه . لما يسأل كالجبر .

(٤) في هذا البيت الجاس بين فصل الخطاب وفصل النهي ، ومعنى البيت أن المددوح حكيم لا في غبا وبكم وذرب اللسان والمنطق ولكن لا في طيش وخفة ، وهذا فلما يتاح لإلامس هياهم الله لنصرة الحق والدفاع عن حوزة الدين ، وجدير بمن يؤتى فصل الخطاب وفصل النهي أن يشهد له زمه ويعترف له بالزامة . والرياسة والفصل . (٥) . تؤكد ما قاله في البيت السابق ، فيقول : هل ترك المددوح أو فات شيئا من المكرمات يمكن السيف والقلم إحرازه من غير أن يحرزه ؟



* * *

وَمُسْتَحَمِدٍ بِكَرِيمِ الْفَعَا
لٍ - عَفْوًا - إِذَا مَا اللَّيْمُ أُسْتَدَمَّ (١)
شَمَائِلُ تُهَجَّرُ عَنْهَا الشَّمُولُ
وَتُجْنَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ (٢)
عَلَى الرَّوْضِ مِنْهَا رُؤَاةٌ يَرُوقُ
وَفِي الْمِسْكِ طَيْبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ (٣)

* * *

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ
وَلَا مَ شَعْبَ الْهُدَى فَالْتَأَمَّ (٤)
وَلَاذٍ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعَصِبًا
بِذِمَّةِ أْبْلَجٍ وَافِي الدَّمَمِ (٥)
وَجَاهَدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجِهَامَا
دِمْنٌ دَانَ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّنَمِ (٦)

(١) مستحمد : أى منسوب إلى الحمد ، ويقال فعل الذى . عفواً أى من غير تعمل ولا طلب ، واستدتم : فعل ما يذم عليه ، والمعنى فى هذا البيت أنه من طبيعته الاستحمام - عفواً - لأنه كريم العمال التى من شأنها أن تعود على صاحبها بالحمد ، وذلك فى الوقت الذى يصدر فيه لؤم الأثماء عفواً أيضاً . يقول إن ممدوحه فى الوقت الذى يدنو فيه لؤم الأثماء رغم لؤمهم وريائهم يظهر كرمه العطرى وموله الحفية التى ترغمه أيضاً على إحراز الحمد .

(٢) الشمول : من أساء الحمر - تحوى : تهجر ، والمعنى أن شمائل ممدوحه تقى عن الحمر والماء الشجى لأنها يتمى بها فتطرب ويتحدث عنها فتسكر .

(٣) الرواء الحسن - الأريح : الرائحة الطيبة ، يقول : إن هذه الشمائل تلى فى رواء الحسن الذى يروق الناظر فى الروس ، وكذلك تلى فيما يلد المعاطس فى الأريح الطيب المشموم من المسك .

(٤) فلَّ غرب الضلال : أى تلم حده الذى يشبه حدَّ السيم فى المضاء ، وقوله - ولا مَ شعب الهدى فاللتأم معناه أصلح شعب الهدى فاصلح ، والمعنى أن أباه وأب صدع الهدى وفرق حزب الضلال وخصد شوكرته .

(٥) الأبلج : هو كل واسع ، ويقال : أبلج الصبح وضع يقول بابى الممدوح . احتفى الدين منه واحتصم بواصح المسكاة وافى الدمم .

(٦) يقول : وإن أباه هذا الممدوح أبلى البلاء الحسن فى الجهاد لله وفى مجاهدة من دان من دون الله بالصنم ، يعنى أنه عاش لله ولياً لأولياته عدواً لدوداً لأعدائه .

فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَدَلَّ (١) وَلَا شَامِيخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَعَمَ (١)
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ حَمِيرٍ - مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأُمَمِ (٢)
هُمْ نَعَشُوا الْمُلْكَ حَتَّى أُسْتَقَلَّ وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ
نُجُومٌ هُدَى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ - وَأَسْدٌ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمٌ (٣)

* * *

«أَبَا بَكْرٍ» أَسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ وَلَا زِلْتَ مِنْ رَبِيهَا فِي حَرَمٍ (٤)
أُنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدَهَا كَمَا وَشَتِ الرَّوْضَ أَيْدِي الرَّهْمِ (٥)
وَإِنْ يَعُدُّنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى فَحَظِّي أَخْسَ وَنَفْسِي ظَلَمَ (٦)

(١) رغم : رغم يزول : إنه لم يترك من أعدائه ، سامى الطرف إلا أدله ، ولا أشم الأنف إلا أرغمه ، ويقال رغم أمه يمي أدله عن كرهه بمعنى أرغمه .

(٢) تقيل أناه أشبهه - مَقَاوِلَ مَقَاوِلَةٌ وَأَقْوَالٌ جَمْعُ مَعْوَلٍ كَبِيرٌ أَوْ جَمْعُ تَيْلٍ - الْمُلْكُ مِنْ مَلُوكٍ حَمِيرٌ - أَوْ هُوَ مَا دُونَ الْمُلْكِ الْأَعْلَى ، وَهِيَ بَيْلٌ لِأَنَّهُ يَقُولُ مَا شَاءَ فَيُعَدُّ ، وَحَيْثُ دُمِيَ الْبَيْتُ أَنَّهُ فِي عِزِّهِ وَبِحَدِّهِ وَمَنَاعَتِهِ أَشْبَهَ أُمَّهُ وَأَحْدَادَهُ مِنْ مَلُوكٍ وَأَبْيَالٍ حَمِيرٌ الدِّينُ سَادُوا وَغَلَبُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ .

(٣) بروح السماء مبروكة - الوعى : غمار الحرب أو الحرب - العوَالِي صُدُورُ الرِّمَاحِ - وَالْأَجَمُ بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ وَالْحَمِيرُ جَمْعُ أَحْمَرَ مَحْرُكَةً الشَّجَرُ الْكَبِيرُ الْمُنْتَفِ ، وَالْمَعَى أَنَّ الْمَقَاوِلَةَ الْإِقْبَالَ أَبَاهُ هَذَا الْمَدْحُوحُ كَانُوا فِي الْمَعَالِي يَشْهَرُونَ النُّجُومَ فِي بُرُوجِهَا فِي السَّمَاءِ كَمَا كَانُوا فِي الْحُرُوبِ يَشْهَرُونَ الْأَسْدَ تَطْلُبُهُمْ رِمَاحٌ كَأَنَّهَا أَحْمَرُ الْأَسْدِ .
(٤) ندعو له أن يزل في دأمن من أحداث الدهر ومصائبه ، وأن يظل في موضع لا تتهتك الحادثات ولا تصل إليه ريبها .

(٥) اللقمة : المحبة ، والرهم : كعب جمع رهمه تكبير الراد وسكون الهاء ، وهي المطر الصعيف الدائم ويقال روضة مرهومة ، يقول الشاعر : أناديك نداء صادراً عن مقة ومحبسة عهدها في الحدة والشباب كما نقش أيدى المسحاب المدخر ، أديم الروض الناضر ، بألوان الربيع الزاهر .

(٦) عداه عن الأمر صرفه وشمله ، ويمدني عنك : صرفني ويشلمني عنك ، والشحط : البعد ، والنوى الاعتراب . يقول : إذا كان الاعتراب يشلمني وبصرني عنك فإنه لم يرخص إلا حظي ولم يظلم إلا نفسي فضرر هذا البعد واقع بي وحدي وليس يقع منه شيء عليك .

وَإِنِّي لأُصْفِيكَ مَحْضَ الْهَوَىٰ
وَغَيْرِكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الذَّمَامِ
وَإِخْفِي لِبُعْدِكَ بَرَحَ الْأَلَمِ (١)
إِذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَمَّ (٢)
مُسْتَشْفِعَ بِي بِشَرَّتِهِ
وَقَدِمَا أَوْلَتَ الْمَسِيءَ الدِّمَارَ
وَعِنْدِي لِشُكْرِكَ - نَظْمُ الْعُقُودِ
تُجِدُّ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ
نَمِشُ مَعْصَمًا بِيَفَاعِ السَّعُودِ
وَلَا يَزَلُ الدَّهْرُ أَيَّامَهُ
عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْأَثَمِ (٣)
وَأَحْسَنْتَ بِالصَّفْحِ عَمَّا أَجْتَرَمَ (٤)
تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومُ (٥)
إِذَا لَبِسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ (٦)
وَدُمُ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النَّعْمِ (٧)
لَكُمْ حَشَمٌ وَاللَّيَالِي خَدَمٌ (٨)

- (١) نفس الهوى : حاله - وانبرج : أشدته بدعم بهذا البت معنى سابقه بقول إني لأصفيك وأحصك الهوى سابقا لاسابغة فيه وإني في نفسك لأسمر في معنى بالألم المبرح والادوعة المرة ولكي أحيى ذلك في حيايا السوء وفي موضع الأسرار من المطلوب .
- (٢) أذم به : نفس عهده وعذره - الذمام : الحرمة ويجمع على أذمة ويقال - أذم له عليه أي أخذ له ذمة أي حرمة أو اجارة . يقول : إن غيرك ، أما نكر هو الذي يحمر عهد الذمام ويسمي به ويمدر به إذا جعل حسن ظني وطيب بلي له حرمة عندي و أذماني عليه ذمة .
- (٣) يقول : أنا مسرت المستشفع في لديك بالنجاح إلا تم له مطلبه ويل له ثق ببجاحك فقد تشمت بالذي لا ترد شعاعه عند أي نكر ولا يحيب له رجاء لديه .
- (٤) تدما أي تدبنا وأولت ولانا من كذا يعنى أعيتته منه واحترم أي أتى الذمب أو الجريمة والصفح هو المنفوق يقول وأما نمرتك فمثل العاثر من عثرته وتعرض عن النسخي في حريمته .
- (٥) التناسق هو التناغم حبات العقود ولآئها واللآلي الثوم أي المتشابهة وتسمى الأؤؤة الثؤامية ونوام الأؤم والأؤؤة ما تشابهت منها يعمد الشعر على تشويق المدحوح لاضفاء مدائحهم وشعره الذي يشبه العقود المددومة المتناسقة بنوام اللآلي .
- (٦) أحد الثوب سيره جديدا يعنى أن نظم هذه العقود المقسمة يجد ويميد اراد الشاب من انصرف بها حديثه في الوقت الذي يلبس فيه الرمن ثوب - الهرم ، أو أن حر المدحوح نفسه هو الذي يطل بلك المدائح جديدا .
- (٧) يعاق : كسحاب التل والنقصود به هنا المرتفع يدعو للمدحوح أن يعيش معتصما بمرتعات السعود وان يدوم مطللا بالنعم الظليلة لوارفة .
- (٨) حشم الرجل وحشمة الدين يعصبون له من أعده وعبيده وجيرانه ، والحشم ثلواحد والجمع والحدم جمع حادم . يقول : لارال الدهر حادما لك .

في نكبة بني ذكوان

«قال عند نكبة بني ذكوان وابن حذام
 في سنة ٤٤٤ هـ أربعين وأربعمائة.»

هَلِ النَّدَاءُ - الَّذِي أَعْلَنْتُ - مُسْتَمَعٌ أَمْ فِي الْمَثَاتِ الَّتِي قَدَّمْتُ مُنْتَفِعٌ (١)
 إِنْ لَأَعْجَبُ مِنْ حَظِّ يُسُوفُ بِنِي كَأَيَّاسٍ مَنْ نَيْلِهِ أَنْ يَجْذِبَ الطَّمَعُ (٢)
 تَأْتِي الشُّكُونُ إِلَى تَعْلِيلِ دَهْرِي لِي نَفْسٌ - إِذَا خُودِعَتْ - لَمْ تُرْضِهَا الْخُدَعُ (٣)
 لَيْسَ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا دَلِيلَ حَجًّا فَإِنَّهَا ذَوْلُ أَيَّامِهَا مُتَعٌ (٤)
 تَأْتِي الرَّزَايَا نِظَامًا مِنْ حَوَادِثِهَا إِذِ الْفَوَائِدُ فِي أَثْنَائِهَا لَمَعُ (٥)
 أَهْلُ النَّبَاهَةِ أَمْثَالِي لِدهْرِهِمْ بِقَصْرِهِمْ دُونَ غَايَاتِ الْمُنَى وَلَمَعُ (٦)

(١) يقول : هل وصل إلى سمعكم ذلك النداء الذي أعلنت فيه شكواي ، أم هل هما قدمه من ماثات الفصائد والرسائل غناء ونفع ، وهو بهذا الاستفهام يكرر أن تكون - كواها قد سمعت ، وأن تكون فصائده قد سمعت .

(٢) الطمع : ضد الأياس ، والمعنى : إني لأعجب من حظ امتدني في بيته تسويج - المدوح ومطله ، حتى لعد أصبح شديدا . لياس منه طمع يحدبني إليه يريد أن الطمع فيه أحو الأياس منه .

(٣) يقول : إن دهري يعلني بفيل تلك الأمانى العبيدة ، ولكن نسي لا تمكن إلى هذا التعليل لأنها لا تنخدع إذا حودعت .

(٤) الحما : العقل والعطش ، معناه أن الركون إلى الدنيا ليس به دليل على ذكاء وفطنة من يركن إليها لأنها زائلة متحولة ، والمنعج بها مرور مفتون .

(٥) يقول : إن الررايا في هذه الدنيا تأتي على نسق تتابع من الحوادث التي يخلل سوادها بصيص من لمع الفوائد .

(٦) القصر : الحبس والمنع ، والولع : مصدر ولع فلان بكذا إذا لج فيه وحرص عليه ، يعنى أن الدهر مولع بالخيولة بين النابه الشريف وبين بلوغ أمانيه .

لَوْلَا بَنُو «جَهْوَرٍ» مَا أَشْرَقَتْ هَمِيمِي كَمِثْلِ بَيْضِ اللَّيَالِي دُونَهَا الدَّرْعُ (١)
هُمْ الْمُلُوكُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَهُمْ غَيْدُ السَّوَالِفِ فِي أَجْيَادِهَا تَلَعُ (٢)
مِنَ الْوَرَى إِنْ يَفُوقُوهُمْ فَلَا تَجِبُ لِذَلِكَ الشَّهْرُ مِنْ أَيَّامِهِ الْجُمُعُ (٣)
قَوْمٌ مَتَى تَحْتَفِلُ فِي وَصْفِ سَوَدَدِهِمْ لَا يَأْخُذُ الْوَصْفُ إِلَّا بَعْضَ مَا يَدْعُ (٤)
تَجْهَمُ أَدْهَرُ فَأَنْصَاتِ لَهُمْ غَرْرُ مَاءِ الطَّلَاقَةِ فِي أَسْرَارِهَا دُفَعُ (٥)
بَاهَتِ وُجُوهُهُمْ الْأَعْرَاضَ مِنْ كَرَمِ فَكَلَّمَا رَاقَ مَرَأَى طَابَ مُسْتَمَعُ
سَرُودِ تَزَاحَمٍ فِي وَصْفِ الْمَدِيحِ لَهُ مَحَاسِنِ الشَّعْرِ حَتَّى يَنْهَى قُرْعُ (٦)

(١) الدرع : الليالى التى اسودت أوائلها واييض سائرها ، والليالى اليبس هى التى يطالع فيها القمر من أولها إلى آخرها ، أى لولا الجهاورة ما أشرفت همى لإشراق الليالى اليبس دونها فى الياس الدرع أى الليالى التى أطلت أوائلها .

(٢) غيد جمع أعيد : أى مائل ، والسوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق مما يلى الأذن ، والطلع : طول العنق وامتداده ، يقول : سو جهور هم ملوك الأرض لايدايهم فى المنزلة أولك الملوك الذى أمالوا سوالهم ، ومدوا أعنانهم خيلاء وكبرا .

(٣) أى هم من الورى وليس عجيبا أن يفوقوهم ، كما أن الجمع من أيام النهر ولكنها تنوق سائر .

(٤) تحتفل : تبالع يريد ألك مهما تبالغ فى وصف سوددهم فلا يكفك أن تثبت من صفاتهم فى السيادة والمجد إلا جزءا صغيرا مما تدعه لكثرة ، وعجزك عن الاطاعة به .

(٥) تجهم : عيب وتكرت أيامه ، وانصات : اشتهرت ، والأسرار : جمع سر ، ويجمع أيضا على أسارير ، وهى خطوط فى العرة والجبين ، والدفع : جمع دفعة ، وهى الدفقة من المطر ونحوه ، والمعنى عيب وجه الزمان واسودت جوانب العيش فاشتهرت لهم فى أثناء تجهمه غرر بيض يجرى فى غسونها ماء الطلابة والبشر مترقرا متسلسلا .

(٦) جمع قرعه ، وهى السهبة ، أى حتى يساهم ويقرع بين جيد الأشعار أيها أدق وأحسن وأجدر بسنى الجوائز .

« أَبُو الْوَلِيدِ » فَدِ اسْتَوْفَى مَنَاقِبَهُمْ فَلِلتَّفَارِيْقِ مِنْهَا فِيْهِ مُجْتَمَعٌ (١)
هُوَ الْكَرِيْمُ الَّذِي سَنَّ الْكَرَامَ لَهُ زُهْرَ الْمَسَاعِي فَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعُ
مِنْ عِنْرَةِ اَوْهَمَّتُهُ فِي تَعَاقِبِهَا اَنْ الْمَكَارِمَ اِيْصَاءَ بِهَا شَرَعُ (٢)
مُهَيَّبُ اَخْلَصَتْ اَوْلِيَّتُهُ كَالسَّيْفِ بَاغٍ فِي اِخْلَاصِهِ الصَّنْعُ (٣)

(١) يعني أن (أبو الوليد) استوفى مناسب الملوك حتى اجتمع فيه ما تفرق في غيره منها وعبر التفرقة بالإشارة إلى نظم في النثر « هو خير من تماريق المعصا » يريد أن منابته كالمصاحم جمع كثيرا من المنافع ، وأن مناسب غيره من الملوك كتماريق المعصا اجتمعت كل واحدة منها مائدة وممصا ، وجاء في كتاب المعصا من البيان والتبيين للجاحظ مدسحته : « ومن حمل الذول في المعصا » وما يوز فيها من المنافع والمراق ، تفسير شعر « عنية » الأعرابية في شأن اسها ، وذلك أسها كان لها ابن سيد العرامة كثير السيف إلى الناس مع سمع أمر ، ودنة عظم ، وواهب مرة حتى من الأشراب ، تقطع التي أعه وأخذت رغبته « ده أنه ، فحسات حلقها مدسح مدمع ، ثم وائب آخر تقطع أدنه فأحدثت له فزادت دية أدنه في المال وحسن الخاء ، ثم وائب بعد ذلك آخر تقطع سمعه ، فلما رأته مافد صار سدها من الابل والام والمناج والكسب شوارح ابها ، حسن رأبها فيه فذكرته في أرجورة لها تقول فيها :

« أحلف للمروة يوما والصبا إنك خير من تماريق المعصا . »

مثل ابن لاعرابي ، ما تماريق المعصا ؟ قال : المعصا تعطف ساحورا وتقطع عصا الساور مصير أوتادا ، وينشق الموتد مصير كل طعة شطاطا ، فان كان رأس الشطاط كالمسكة صار للشخني بهارا ، وهو العود الذي يدخل في أنف الحق ، وإذا فرغ المهار حامت منه التوادى ، والسواهير تكون للكلاب والأسراء من الناس - وقد ألى صلى الله عليه وسلم ، « وثاني بناس من هاهنا يقادون إلى حدنوطهم بالسواهير » - وإذا كانت قناة وكل شقة منها قوس بندق ، نال فان مرقت الشقة صارت سهاما ، فان فرقت السهام صارت حطاء ، وهي سهام صفار ، ولو ا واحدة حظوة وسروه ، فان فرقت الحطاء صارت مغارل ، فان فرق المغزل شعب به أشمات أودامه المصدوعة المشقوقة على أنه لا يحد لها أصلح منها . وقال الشاعر :

« نوافد أطرف الفقا قد شككته كشكك بالشعب الائمة اللما . »

فادا كانت المعصا صحيحة سالمة فبها من المنافع الكبار ، والمراق الأوساط والصار ، ملا يحصيه أحد ، فادا مرقت فبها مثل الذي ذكرنا وأكثره إلى آخر ما أورده الجاحظ في هذا الباب .

(٢) جمع شرعة بكسر أوله أي شريع ومناهج يجري فيها على سنة الملوك من آتائه . يريد أن آباءه من الملوك لتعاقبهم على سنن المكارم يمين يحلهم من أبنائهم أو هموه لكثرة ما أوصوا بها أنها شرائع منزلة .

(٣) الحادق في صنفته .

إِنَّ السُّيُوفَ إِذَا مَا طَابَ جَوْهَرُهَا فِي أَوَّلِ الطَّبَعِ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا طَبَعٌ (١)
جَذْلَانُ يَسْتَضْحِكُ الْأَيَّامَ عَنْ شِيمٍ كَالرَّوْضِ تَضْحَكُ مِنْهُ فِي الرَّثْبَا قِطْعُ
كَالْبَارِدِ الْمَذْبِ لَدَّتْ مِنْ مَوَارِدِهِ - لِشَارِبِ غَيْبٍ تَزِيحِ الصَّدَى - جُرْعٌ (٢)

* * *

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي تَأْمِيْلُهُ وَزَرِي إِنَّ صَاقَ مُضْطَرَبٍ أَوْ هَالٍ مُطْلَعٌ (٣)
أَصِيخٌ لِهَمْسِ عِتَابٍ تَحْتَهُ مَقَةٌ وَكَلْفِ النَّفْسِ مِنْهَا فَوْقَ مَا أَسْعُ (٤)
مَا لِمَتَّابٍ - الَّذِي أَحْصَفَتْ عَقْدَتَهُ - قَدْ خَافَ الْقَلْبَ مِنْ تَضْيِيعِهِ جَزَعٌ (٥)
لِي فِي الْمُوَالَاةِ أَنْبَاءٌ يَسْرُهُمْ أَنِّي لَهُمْ فِي الَّذِي تُجْزَى بِهِ تَبِعٌ (٦)
أَلَسْتُ أَهْلَ اخْتِصَاصٍ مِنْكَ يُلْدِسُنِي جَمَالَ سِيْمَاءٍ؟ أَمْ مَا فِي مُسْطَنَعٍ؟ (٧)

(١) الطبع : الصدا ، يقول : إنه السيوف في مبدأ طبيعتها إذا طاب جوهرها لم يعلق بها شين الصدا ،
يعني أن المدوح طابت أوليته فخلص جوهره ولم يشنه عيب .

(٢) فيسه تشبيه المدوح بمورد الماء البارد العذب لد لشاربه منه جرعة أضفاته غلة صدره بعد ضماً
مبجح شديد .

(٣) وررى : ملجئ ومعتصم ، وضطرب اسم مكان من الضرب وهو السر في الأرض ، ومطلع :
مكان الاطلاع من مشرف حال ، أو مكان الصعود من أسفل إلى أعلى ، وفي حديث صر رضي الله عنه أنه
قال عند موته ، « لو أن لي ما في الأرض جميعاً لافتديت به من هول المظلم » وهو بالشديد مكان الاطلاع
أراد به ما يشرف عليه من أمر الآخرة ويطلع عليه عقيب الموت .

(٤) اقبل رقيق عتاب كالهمس في الأذن ينطوي على معة ومحة وكلم بمسك من تحقيق أسيتي
فوق طانتها .

(٥) أحصفت : أحكمت ، والعقدة : المراد بها هنا الرأي والتدبير ، والمعنى : قد كان من العذل وحصافة
الرأي أن أبادر إلى التوبة وهأنذا تائب مما نسب إلي ، فما لتوبتي قد صيحت ولم تقبل مما حمل قاي يحاطه
الجزع وعدم الصبر ، ويمازجه اليأس والحزن .

(٦) يقول : أنا أول الناس في الولاء لكم وغيري تبع ، وأتباعي في الموالاته يسرهم أن أكون في
الجزء تبعاً وتاليا لهم ، فهم دائماً يسمون لاسقاط منزلي وإحباط مسعاه .

(٧) يقول : أتتكر اختصاصي منك بما يحللي محلياً بجماله هذا الاختصاص ، فلا يتقدم على من هم تبع
لي في الولاء والاختصاص ؟ أم هل تنكر أني قبل غيري أهل لرب الصنيمة وإسداء الجليل ؟

لَمْ أَوْتِ فِي الْحَالِ مِنْ سَمِي لَدَيْكَ - وَتَى
لَا تَسْجِرُ وَضَعُ قَدْرِي بَعْدَ رَفْعِكَ
تَقَدَّمَتْ لَكَ نِعْمِي رَادَهَا أَمَلِي
مَا زَالَ يُونِقُ شُكْرِي فِي مَوَاقِعِهَا
شُكْرُهُ يَرُوقُ وَيُرْضِي طِيبُ طُعْمَتِهِ
ظَنَّ الْعِدَا - إِذْ أُغْبِتْ - أَنَّهَا انْقَطَعَتْ ،
لَا بَأْسَ بِالْأَمْرِ - إِنْ سَاءَتْ مَبَادِئُهُ
بَلْ بِالْجُدُودِ تَطِيرُ الْحَالُ أَوْ تَقَعُ (١)
فَاللَّهُ لَا يَرْفَعُ الْقَدْرَ الَّذِي تَضَعُ
فِي جَانِبِ هُوَ لِلْإِنْسَانِ مُنْتَجِعُ (٢)
كَالْمُزْنِ تُونِقُ فِي آثَارِهِ التَّرْعُ (٣)
فِي طَيْهِ نَفَحَاتٌ يَبْنِيهَا خَلْعُ (٤)
هَيْهَاتَ آيَسَ لِمَدِّ الْبَحْرِ مُنْقَطَعُ (٥)
نَفْسَ الشَّقِيقِ - إِذَا مَا سَرَّتِ الرَّجْعُ

**
**

إِنِّ الْأَلَى كُنْتُ مِنْ قَبْلِ افْتِنَا حِهِمْ - مِثْلَ الشَّجِي فِي لَهَا هُمْ لَيْسَ يُنْتَزَعُ (٦)

(١) وتى : أى فترة وتوان فى السعى ، والجودود : جمع جد ، لفتح وهو الحظ والحث والمعنى : لم أوتى ولم يذهب سعي عندك فتور ولا تنصير فى المطالبة والسعى ، ولكن الذى قد بدى عن درك أمنيتى عندك إنما هو حظى الذى به يملو الحال ويرتفع ، كما يطير الطائر أو يقع .

(٢) رادها : أى تقدمى أذل أرسلته فى طلب النعمة ، وارتباد النعمة ، فصادف جانباً مبرحاً ، ومراداً لعمالك ومنتجماً .

(٣) الترع : جمع ترعة ، وهى الروضة على المكان المرتفع من الأرض ، يعول : ما زال روس شكري مما عا عا سما عا ، كالذين أى السحاب يعجك على أثر نزول المطر منه اليراس والرې قد أترعت بألوان الزهر ، وأيبت بأنواع الثمر .

(٤) طيب طعمته : أى مكسه الطيب الحلال ، والخلع : جمع خلعه بالكسر ، وهى ما تحلعه من الثياب وتطرحة على آخر ، أى شكر يرون السامع حسه . ويرضى الشاكر ما يثمره من طيبات المكاسب ، فى طيه مثل نفحات الروس يبنيها وفى أثنائها تحلج غليماً حلع ثمنه ، وحلل فاخرة .

(٥) طل العدا أن هذه العطايا والفائس مد أعبت وتأخرت أياماً أنها انقطعت عى ، هيهات أن ينقطع سطاء يشبه البحر الذى ليس لمدته انقطاع .

(٦) يقول فى هذا البيت والذى أمده : -

أن الدين كنت - من قبل اتضاح أمرهم وظهور صريح العداوة منهم كالشجبا معترضا فى حلوقهم لا يمكن ارتعاه ، لم أحط منهم وهم أعداء مافقون ، إلا بما كنت أحظى به منهم وهم شيعة مسالمون ، يريد أن يصيبه منهم فى الحالين لم يكن سوى الشر والأذى والوقية .

لَمْ أَحْظَ - إِذْ هُمْ عَدَا بَادٍ نِفَاقُهُمْ -
مَا غَظَّهُمْ غَيْرُ مَا سَيَّرْتُ مِنْ مِدْحِ
كَمْ غُرَّةٌ لِي تَلَقَّتْهَا قُلُوبُهُمْ
إِذَا تَأَمَّلْتَ خُسْبِي غِيبَ غَشْمِهِمْ
تِلْكَ الْعَرَائِينُ لَمْ يَصُاحْ لَهَا شَمُّهُ
أَوْ دَعَتْ نِعْمَاكَ مِنْهُمْ شَرَّ مُغْتَرَسٍ
لَقَدْ جَزَّتْهُمْ جَوَازِي الدَّهْرِ عَنْ مَنِي
لَا زَالَ جَدُّكَ بِالْأَعْدَاءِ يَصْرَعُهُمْ

إِلَّا كَمَا كُنْتُ أَحْظَى إِذْ هُمْ شِيَعُ
فِي صَائِكَ الْمِسْكِ مِنْ أَنْفَاسِهَا فَنَعُ (١)
كَمَا تَلَقَّى شِهَابَ الْمُوقَدِ الشَّمْعُ (٢)
لَمْ يَخْفَ مِنْ فَلَقِ الإِصْبَاحِ مُنْصَدِعُ (٣)
فَكَانَ أَهْوَنَ مَا نِيلَتْ بِهِ الْجَدْعُ (٤)
لَنْ يَسْكُرُمُ الْعَرَسُ حَتَّى تَسْكُرُمُ الْبِقَعُ (٥)
عَفَّتْ فَلَمْ يَذْنِبِهِمْ عَنْ غَمْطِهَا وَرَعُ (٦)
إِنْ كَانَ بَيْنَ جُدُودِ النَّاسِ مُصْطَرَعُ

(١) صائك : اسم فاعل من صاك به المسك يصيك أى لصق به ، قال الأعشى :

« ومثلك معجزة بالشبا ب صاك العير بأحلامها . »

وسياتى لصاحب الديوان قوله فى « ص ١٣٩ » :

« بناءً على كأن بناءً مسك بأردان المحامل صاك . »

والفنع : نعمة المسك ، ومسك دومع ذكرى الرائحة طيب الأنفاس . قال الشاعر :

ومرور ساغ أطرافها علاها ريح مسك ذى فنع

وجاء بالأصل « صايك » بالياء ، و « كعب » بالكاف ولا معنى لهما .

(٢) كم غرّة لى واضحة منيرة تطلع عليهم فتلقاها قلوبهم وهى متأججة مستمرة ، كما يتلقى الشمع عند

الانارة حر الشهاب من موقده ومشعله .

(٣) يقول حى وادح كفاق الصبح ، وجههم مغشوش كاذب .

(٤) العرائين : جمع عرين ، وهو أعلى الأنف عند ملقى الحاجبين ، أو هو ما صلب من عظم الأنف ،

قال ذو الرمة :

« نثى القاب على عرين أربة شام . مارنها بالمسك مرثوم . »

والشمع : ارتفاع قصبه الأنف وحسنها مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبة ، وإذا وصف الرجل بالشمع

فانما يعنون أنه سيد شريف النفس ذو أمة وشموخ وحمية ، ويقال هم شم العرائين كناية عن ذلك ، قال

كعب بن زهير :

« شم العرائين أبطال لوسهم سن سج داود فى الهيجا سرايل . »

والجدع : القطع البائن فى الأنف والأذن ونحوهما وهو مصدر جدع كمرح فهو أجدع .

(٥) يقول : لقد استنبت نعامك فى بقعة خبيثة من نفوس عرف بغمط النعمة ونكران الجميل .

(٦) يقول : إن الدهر جازاهم عن من أسديتموها إليهم ، فغفوا على آثارها ولم يتوردوا فى غمطها

والامتناع عن شكرها .

تهنئة بقران

« وقال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله
أبا عمرو عبد الله ويهنيه بالبناء على السيدة
بنت الموفق مجاهد رجهما الله . »

أَخْطَبُ فَلُكُكَ يَفْقِدُ الْإِمْلَاءَ كَأ
وَأَطْلَبُ فَسَعْدُكَ يَضْمَنُ الْإِذْرَاءَ كَأ^(١)
وَصَلَ النُّجُومَ بِحِطِّ مَنْ لَوْ رَامَهَا
هَجَرَتْ إِلَيْهِ زُهْرُهَا الْأَفْلَاكَ كَأ^(٢)
وَأَسْتَهْدُ مِنْ أَمْحَى مَرَاتِعِهَا الْمَهَا
فَالصَّعْبُ يَسْمَعُ فِي عِنَانٍ هَوَا كَأ^(٣)
يَأْيَأُ الْمَلِكُ الَّذِي تَدْبِيرُهُ
أَضْحَى لِمَمْلَكَةِ الزَّمَانِ مِلَاكَ كَأ^(٤)
هَذِي اللَّيَالِي بِالْأَمَانِي سَمَحَّةٌ
فَاعْقِلْ شَوَارِدَهَا إِزَاءَ عَقِيْلَةٍ
فَمَتَى تَقُلْ: «هَاتِي» تَقُلْ لَكَ: «هَآ كَأ»
أَهْدَى الزَّمَانُ إِلَيْكَ مِنْهَا تُحْفَةٌ
وَأَفْتِ مُبَشِّرَةً بِنَيْلِ مُنَاكَ
لَمْ تَعُدْ أَنْ قَرَّتْ بِهَا عَيْنَاكَ
شَمْسٌ تَوَارَتْ - فِي ظَلَامٍ مَضِيْعَةٍ -
مُمْ أُسْتَطَارَ لَهَا السَّنَا بِسَنَاكَ كَأ^(٥)

(١) الاملاك : عقد الزواج ، يقول : اخطب فملكك يعوزها الصهر والذنب ، واطلب فسعدك
يضمن إدراك ما تطلب .

(٢) وصل النجوم بحط ملك لو رام زهر النجوم لهجرت إليه أفلاكها ، يريد أنه لو رام مصاهرة من ارتفع
نسبهم من الملوك إلى مستوى زهر السكواك في أفلاكها ، لساءوا إليه من زهر عرائسها ما يرومه ،
وتسمو إليه نفسه ، ويختاره نسا وصهرا .

(٣) استهد : أطلب الهداء من هدى المروس يهديها إليه هداء زفها إليه ، وفي الأصل (استهو) وهو
من استهواء الشياطين ، ولا معنى له هنا ، أي اطلب من أمنع أحياء العرب وأشدها حماية وحفيظة أن
يهدوا إليك من بناتهم الشبهات بالها أي بقر الوحش في البياض وسواد العيون من تريد وتهوى فان الصعب
يسلس ويتقاد في ضانه مرادك وهوالك .

(٤) أي أضحي تدبيره قوام المملكة ونظامها الذي يعتمد عليه في أمورها .

(٥) مضيعة : يقال هو يدار مضيعة كميشة أي يدار ترك واطراح وإضاعة ، واستطار : إنتشر ،
والسنا : بالضم الضياء ، أي كانت قبل هذا الاملاك شمسا محتجبة وراء حجب الالهال والترك ، فاستطار
إليها شعاع من سنا وجهك ، فأشرقت وأنارت .

قُرِنْتَ بِبَدْرِ السَّمِّ كَافِلَةٌ لَهُ
 هِيَ وَالْفَقِيدَةُ كَالْأَدِيمِ اخْتَرْتَهُ
 فَاصْفَحْ عَنِ الرِّزْوِ الْمَعَاوِدِ ذِكْرُهُ
 أَنْ سَوْفَ تُتْبِعُ فَرَقَدَيْنِ سِمَاكَ (١)
 فَقَدَدْتَ إِذْ خَلَقَ الشَّرَاكَ شِرَاكَ (٢)
 وَأَسْتَأْنِفِ النُّعْمَى فَتِلْكَ بِذَاكَ (٣)

لَمْ يَبْقَ عُدْرٌ فِي تَقْسَمِ خَاطِرِ
 كُفَّارُ أَنْعَمِكَ الْآلَى حَلَّتِيهِمْ
 أَعْرِضْ عَنِ الْخَطَرَاتِ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ
 هُصِرَ النَّعِيمُ بِعِطْفِ دَهْرِكَ فَانْتَهَى
 وَبَدَا زَمَانُكَ لِأَبْسَا دِيْبَاجَةٍ
 دُنْيَا لِرُزْهَرَتِهَا شَمَاعٌ مُذْهَبٌ
 إِلَّا الصُّبَابَةُ مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَ
 أَطَوَّافِهِمْ ، سَيُطَوَّقُونَ ظُبَاكَ (٤)
 تَكُنِ النُّجُومُ أَسِنَّةً لِقَنَاكَ (٥)
 وَجَرَى الْفَرِيدُ بِصَفْحَتِي دُنْيَاكَ (٦)
 تَجَلُّوْا لِعَيْنِ الْمُجْتَلِي سِيْمَاكَ
 لَوْ كَانَ وَصْفًا كَانَ بَعْضَ حُلَاكَ

- (١) يقول : قرب هذه العقيلة ببدر السَّمِّ ضامنة له أن ستتع ورقدين نحما يريد أنها ستعجب أمثال السكواك البيرة من الذكور .
- (٢) الأديم : الجلد ، وخلق : بلى ، والشراك : أحد سيور النمل التي على ظهرها ، يقول : هذه العقيلة وزوجتك العقيلة كالأديم قطعت منه بدل الشراك الذي بلى شراكا جديدا ، أي اخترت بدل الفقيدة ، زوجا أخرى جديدة ، وقد ألب العرب أن يشبهوا المرأة بالنمل ، وجاراهم ابن زيدون في ذلك ، وقد قال الحريري في مقاماته من حوار طويل : « فان لمس ظهر نمله ، فقد انتقص وضوءه بعمله » أي إن لمس امرأته .
- (٣) أي فلك النعمى بالجديدة ، عوض من ذلك الرزء بالعقيدة ، فاضرب صفحا عما يماودك من ذكريات تؤلم نفسك وتبعتك على الحزن .
- (٤) جمع طة بالضم ، وهي حد السيف ، يقول : إن الذين طوتهم بأنعمك فوجدوا بها ، ستجعل لهم خدا من سيوفك في أعناقهم أطواقا يطوقونها .
- (٥) أعرض عن كل خطرة تخطر بقلبك ، وتقع في بالك من حجة تدبير الملكة ، فالك منصور على أعدائك ، ولو شئت لتناوت نجوم السماء بجملائها أسنة لرمحك .
- (٦) حمل للنعم عظاما كعطف الحساء تهصره أي تميته إليك فينتي كما تهصر الفصن وتميله نحوك لقطع عماره ، وجعل لدنيا الممدوح التي احتوت النعم فرندا يجرى في صفحتها ماؤه وترقرق ديباجته ، فأعطاك صورة ساحرة فانة لما يتصل بالممدوح من دنيا يحفها النعم .

فَتَمَلَّ فِي فُرْشِ الْكَرَامَةِ نَاعِمًا وَأَعْقِدْ بِمَرْتَبَةِ الشُّرُورِ حُبًّا كَا (١)
 وَأُطِّلْ - إِلَى شَدْوِ الْقِيَانِ - إِصَاخَةً وَتَلَقَّ مُتْرَعَةً الْكُؤُوسِ دِرَاكًا
 تَحْتَمُّهَا مَثْنِي مَنَانِي غَادَةً شَفَعَتْ بِحَثِّ غِنَاهَا الْإِمْنَسَا كَا (٢)
 مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الصَّبُوحِ بِسُحْرَةٍ قَدْ جَاسَدَتْ أَنْوَارَهَا الْأَخْلَا كَا (٣)
 لَكَ أَرْيَحِيَّةٌ مَاجِدٍ - إِنْ تَعْتَرِضُ فِي لَهْوِ رَاحِكٍ - تَسْتَهْلُ لَهَا كَا (٤)
 مَنْ كَانَ يَمَلِّقُ فِي خِلَالِ نِدَامِهِ ذَمٌّ يَبْعُضُ خِلَالِهِ فَخَلَا كَا (٥)
 أُسْبُوعُ أَنْسٍ مُحَدِّثٌ لِي وَحَشَّةٌ عَلِمًا بِأَنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَا كَا (٦)
 فَأَنَا الْمُعَذِّبُ غَيْرَ أَنِّي مُشْعَرٌ نِقَّةً بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فَهَنَا كَا
 إِنِّي أَقُومُ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَ مَا مَلَأْتَ مِنِ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَدَا كَا
 بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ ، وَأَخْلَوَلِي جَنِّي نُعْمَاكَ لِي ، وَصَفَّتْ جِجَامُ نَدَا كَا
 وَأَمِنْتُ غَادِيَةَ الْعِدَا الْأَقْتَالِ مُدً أَعْصَمْتُ فِي أَعْلَى يَفَاعٍ حِمَا كَا (٧)

- (١) تمل : تمتع ، يقال ملاك الله حبيبك أى متمك وأطاعتك معه طويلاً ، والحبيا : جمع حبة وهو أن يجمع الخالس طهره وساقيه بثوب أو نحوه .
 (٢) تحتّمها : أى الكؤوس أصوات تهادى من رنات مثاني عود في يد فاذة ، سم إلى حت الغناء لمسك الصوت بعد إطلانه .
 (٣) جاسدت : حاطت بياض أنوارها سواد ظلماتها .
 (٤) هو راحك : أى في إبان هوك شرب الراح : وتستهل تخطر واللها : جمع لهوة بالضم ، وهى المطايا الجزلة الكثيرة .
 (٥) من كان في أثناء الندامة على الشراب يعاقب ببعض حاله وخصاله ما يعاب ويذم عليه ، فخلاك ذم وحشاك عيب .
 (٦) هو الأسبوع الذى يأس فيه بروسه ، ولا يخرج إلى خاصته الذرا : بالفتح كل ما استدرت به ، يقال أنا في ذرا فلان أى في كعبه ، والجمام : جمع جمة بالضم وهى معظم الماء ، والسدى : العطاء أى صفا صطاؤك الشبه بالماء فى الصفاء فلم يكدر بمن .
 (٧) الأقتال : الأمران الساووزله والشجاعة من أعدائه ، وأعصمت : مثل اعتصمت أى استمسكت وامنعت ولجأت ، واليفاع : المكان المرتفع .

جَهْدَ الْمَقْلِ نَصِيحَةً تَمَحُّوْصَةً أَفْرَدْتَ مُهْدِيَهَا فَلَا إِشْرَاكََا (١)
وَتَنَاءً مُخْتَفِلٍ كَانَ تَنَاءَهُ مِسْكٌ بِأَرْذَانِ الْمَحَافِلِ صَاكََا
وَلْتَدْعُنِي وَعَدُوْكَ الشَّانِي ، فَإِنْ يَرْمِ الْقِرَاعَ يَجِدُ سِلَاحِي شَاكََا (٢)

لَا تَعْدَمَنَّ الْحَظَّ غَرَسًا مُطْلِعًا تَمَرَ الْفَوَائِدِ دَانِيًا لِحَنَاكََا
وَالنَّضْرَ جَارًا لَا يُحَاوِلُ ثِقْلَةَ وَالصَّنْعَ رَهْنًا لَا يُرِيدُ فِكَكََا
وَإِذَا غَمَامُ السَّعْدِ أَصْبَحَ صَوْبُهُ دَرَكَ الْمَطَالِبِ فَلْيَصِلْ سُقْيَاكََا
فَالدَّهْرُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَا لَمْ نَكُنْ لِنَسْرَمِنَهُ بِسَاعَةٍ - لَوْلَاكََا

عهد

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُنْتَقِلًا لَا تَخْشَ مِنِّي نِسْيَانًا وَلَا بَدَلًا (٣)
وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَدْرِ بَعْدَكَ مَا طَعَمُ الْحَيَاةِ وَلَا بِالْبُعْدِ عَنْكَ سَلَا
أَتَلَفْتَنِي كَلْفًا ، أَبْلَيْتَنِي أَسْفَا قَطَّعْتَنِي شَعْفًا ، أَوْرَثْتَنِي عِلَلًا

إِنْ كُنْتُ خُنْتُ وَأَضْمَرْتُ السُّلُوْ فَلَآ بَلَغْتُ يَا أَمَلِي مِنْ قُرْبِكَ الْأَمَلَا (٤)
وَاللَّهِ لَا عَلِقَتْ نَفْسِي بِغَيْرِكُمْ وَلَا اتَّخَذْتُ سِوَاكُمْ مِنْكُمْ بَدَلًا

(١) أهدى إليك نهاية ما يستطيع إهدائه عقل مثلي ، نصيحة خالصة أهدرت مهديتها واختصصته بما لم تشرك

معه فيه غيره .

(٢) الشاني : المبعص ، والقراع المقارعة بالسيوف ، وشاك : السلاح شاك شوكا ظهرت شوكته وحدته ،

أى ادعى لمنازلة ومجالدة عدوك الشاني المبعص فانه متى يرم ذلك يخذني شاكى السلاح مستعدا لمقارعته .

(٣) يقول : إني احتمل منك كل شيء وليس ذلك بمحولي عن حبك ولا هو بداعي إلى نسيانك أو

الانتقال عن حبك إلى حب سواك .

(٤) يقول : « حاقبى الله بيأمرى ملك وحرمنى عطهك وودادك إن كنت فكرت لحظة فى السلو عنك .

مدح ورثاء (١)

« قال يمدح المعتمد ، ويرى المعتضد بالله . »

هُوَ الدَّهْرُ فَأَصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَمَنْ شِيمَ الأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ
 سَتَصْبِرُ صَبْرَ اليَاسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةِ (٢) فَلَا تُؤَثِّرُ الوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الوِزْرُ (٣)
 حِذَارِكَ مِنْ أَنْ يُعَقِبَ الرِّزْقَ فِتْنَةً يَضِيقُ لَهَا - عَنِ مِثْلِ إِيمَانِكَ - العُذْرُ
 إِذَا أَسِفَ الثُّكْلَ اللَّيْبُ فَشَفَّهُ رَأَى أَفْدَحَ الثُّكْلَيْنِ أَنْ يَهْلِكَ الأَجْرُ (٤)
 مُصَابُ الَّذِي يَأْمَى بِمَيِّتِ ثَوَابِهِ هُوَ البَرْخُ لِأَمِيَّتِ الَّذِي أَحْرَزَ القَبْرُ (٥)

* * *

حَيَاةُ الوَرَى نَهْجٌ إِلَى المَوْتِ مَهِجٌ (٦) لَهْمُ فِيهِ إِضَاعٌ (٧) كَمَا يُوضَعُ السَّفَرُ (٨)

(١) جاء في ص ٤٧٩ من نفع الطيب ما نصه :

« ولما مات والد المعتمد واسقل بالملك ، قال ذوالوزارتين ابن زيدون يرثي المعتضد بقصيدة طويلة أولها :

« هو الدهر ، فاصبر للذي أحدث الدهر فمن شيم الأحرار في مثلها الصبر . »

وقد ذكر صاحب نفع الطيب أكثر أبيات هذه القصيدة وإن اختلفت في قليل من الألفاظ في بعض أبيات القصيدة عن رواية الديوان .

وسرى القارىء تشابها كثيرا بين هذه القصيدة وبين القصيدة الرائية التي قالها ابن زيدون في رثاء الوزر أبي الحزم .

(٢) حسبة : احتساب الأجر ، وفي رواية نفع الطيب : « أو صبر وحشة »

(٣) وفي رواية نفع الطيب : « فلا تؤثر الوجه الذي معه العذر »

(٤) وفي رواية نفع الطيب : « أن يذهب الأجر »

(٥) وفي رواية نفع الطيب : « يأس بموت ثوابه » (٦) طريق .

(٧) الايضاع : السير السريع . قال أبو العلاء :

« لا وضع للرجل إلا بعد الايضاع فكيف شاهدت إمصاع وإمصاعى . »

(٨) السفر : السامرون .

فِيَاهَادِي الْمَنَهَاجِ جُحْرَتْ ، فَإِنَّمَا
إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ^(٢) كُلُّ مُعَمَّرٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ ضِيمٌ ذِمَارُهُ
بِحَيْثُ اسْتَمْتَلَّ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ
هُوَ الضِّيمُ لَوْ غَيْرُ الْقَضَاءِ يَرُومُهُ
إِذَا عَثَرَتْ جُرْدُ الْعَنَاجِيحِ^(٤) فِي الْقَنَا
هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ أَوْ الْبَجْرُ^(١)
فَإِنْ سَوَاءٌ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ
فَلَمْ يُغْنِ أَنْصَارُهُ عَدِيدُهُمْ دَثْرُ^(٣)
وَجَرَّرَ مِنْ أَدْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
ثَنَاهُ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسَلَكُ الْوَعْرُ
بِدَلِيلِ عَجَاجٍ لَيْسَ يَصْدَعُهُ فَجْرُ

* * *

أَنْفَسَ نَفْسٍ فِي لُورِي - أَقْضَدَ الرَّدَى
أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ ، لَقَدْ عَدَا
وَهَلَا عَدَاةً أَنْ عَلَيْكَ حَلِيَّةٌ .
وَأَخْطَرَ عِلْقِي - لِلْهَدَى - أَفْقَدَ الدَّهْرُ
عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْغَدْرُ
وَذِكْرِكَ - فِي أُرْدَانِ أَيَّامِهِ - عِطْرُ

* * *

غُشِيَتْ فَلَمْ تَغْشَ الطَّرَادَ سَوَاحِجٌ ،
وَلَا جُرْدَتِ بِيضٌ ، وَلَا أَشْرَعَتِ سُمُرٌ^(٥)

(١) الجر لفتح والضم : المكروه والأمر العذاب ، وتد روى البريد صاحب الكامل أن الخليفة أبا بكر رضى الله عنه حين حضرته الوفاة . قال في آخر كلمة له : ياهادى الطريق حرت ، إنما هو والله المجر أو البجر وبوله « إنما هو والله المجر أو البجر » يقول : « إن انتظرت حتى يضيء لك فجر الطريق أضررت نفسك وإن حبط الغمام وركبت المشواء هجما بك على المكروه » وضرب ذلك مثلا لعمرات الدنيا وتجييرها أهلها (الكامل : ج ١ ص ٥ و ٦ و ٧)

وجاء في اللسان قوله : وفي حديث أنى بكر رضى الله عنه : إنما هو الفجر أو البحر قال : البحر - بالفتح والضم - الداهية والأمر العظيم . أى أن انتظرت حتى يضيء الفجر أبصرت الطرق ، وإن حبطت الغمام أضرت بك إلى المكروه . قال : ويروى البحر بالخاء يريد عمرات الدنيا شبهها بالبحر لتجير أهلها فيها .

(٢) قصر : قصارى أو غاية . (٣) دثر : كثير .

(٤) العنا-يج : جياذ الحبل والأبل . (٥) بيض وسمر : سيوف ورماح .

وَلَا تَنْتِ الْمَحْذُورَ عَنْكَ جَلَالَةً وَلَا غُرْرًا تَبْتَ وَلَا نَائِلَ غَمْرٍ (١)

لَنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هَيَّ أَنْسُهُ
 لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبِيضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى
 عَلَيْكَ - مِنْ اللَّهِ - السَّلَامُ تَحِيَّةً
 بِأَنَّكَ تَأْوِيهِ لَقَدْ أَوْحَشَ الظَّهْرُ
 لَقَدْ أُدْرِجَتْ أَثْنَاءَهَا النَّعْمُ الْخَضْرُ
 يُنَسِّمُكَ الْغُفْرَانَ رِيحَانَهَا النَّضْرُ

وَعَاهِدَ ذَاكَ اللَّحْدَ عَهْدُ سَحَابٍ
 فَفِيهِ عَلَاءٌ لَا يُسَامَى يَفَاعُهُ (٢)
 إِذَا أُسْتَعْبِرَتْ فِي تَرْبِهِ - أَبْتَسَمَ الزَّهْرُ (٣)
 وَقَدَرُ شَبَابٍ لَيْسَ يَعْدِلُهُ قَدْرُ

وَأَيُّضَ فِي طَى الصَّفِيحِ كَأَنَّهُ
 كَأَنَّ لَمْ تَسِرْ مُخْرُ الْمَنَائِي تَظْلِيماً
 وَلَمْ يَحْمِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَى الْهُدَى
 وَلَمْ يَنْتَجِعْهُ الْمُعْتَفُونَ (٦) ، فَأَقْبَلَتْ
 صَفِيحَةٌ مَأْتُورٍ طَلَّاقَتُهُ الْأَثْرُ (٤)
 إِلَى مُهَجِ الْأَقْيَالِ (٥) رَأَاتُهُ الْحُمْرُ
 فَلَمْ بُرْضِهِ إِلَّا أَنْ أُرْتَجِحَ الْغُرُ
 عَطَايَا كَمَا وَالَى شَأْيِبَةُ (٧) الْقَطْرُ

(١) النائل العمر : العطاء الجزيل الكبير .

(٢) يدعو الله أن يطر حذته سحابت تدرف ماءها على الأرض فتروى أرهاها منتضرها .

(٣) اليماع : المرتفع من الأرض .

(٤) الأثر : فريد السيف ، ورواقه ، وهو واحد ليس بجمع ، قال الشاعر :

« حلاها الصيقلون فأخلصوها حماما ، كلها يبقى بأثر . »

أى كلها يستقلك بفردته . ويتقى بحفف من يلقى .

وقال إعرابية :

« فادا رعدت فأنت منقبه وإذا انتهب فمزك الأثر . »

وقالوا : سيف مأثور ، أى فى منته أثر . وأخذ من الأثر كأن وشبه أثر فيه ، أو منته حديد أنيث

وشفرته حديد دكر ، ومد رعموا أنه السيف الذى يعمله الجن .

(٥) الأقيال - جمع قيل - وهو الشجاع .

(٦) ينتجعه المعتفون : يطلب معروفه طالبو الاحسان والدى .

(٧) شأيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

وَلَمْ تَكْتَفِ آرَاءَهُ الْمَعِيَّةَ كَأَنَّ نَجْمَ الْغَيْبِ فِي رَأْيِهَا - جَهْرٌ^(١)
 وَلَمْ يَتَشَذَّرْ لِلْأُمُورِ^(٢) مُجَلِّيًا إِلَيْهَا كَمَا جَلَّى مِنَ الْمَرْقَبِ الصَّقْرُ

* * *

كِلَا لَقَبَيْ سُلْطَانِهِ صَحَّ فَالَهُ قَبَا كَرَهُ عَضُدٌ وَرَاوَحَهُ نَصْرٌ^(٣)
 إِلَى أَنْ دَعَاهُ يَوْمُهُ فَأَجَابَهُ وَقَدْ قَدَّمَ الْمَعْرُوفَ وَأَسْتَمَجَدَ الذُّخْرُ
 فَأَمْسَى ثَبِيرٌ قَدْ تَصَدَّى لِحِمْلِهِ سَرِيرٌ فَلَمْ يَبْهَضْهُ^(٤) مِنْ هَضْبِهِ إِضْرٌ

* * *

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَصُولُ عَيْبُهُ لَقَدْ رَابْنَا أَنْ يَتْلُو الصَّلَاةَ الْهَجْرُ
 تُعَادِيكَ - دَاعِينَا السَّلَامَ - كَعَهْدِنَا فَمَا يُسْمَعُ الدَّاعِيَ وَلَا يُرْفَعُ السُّتْرُ
 أَعْتَبُ عَلَيْنَا ذَادَ عَنِ ذَلِكَ الرَّضَى فَنُعْتَبُ أَمْ بِالْمَسْمَعِ الْمُعْتَلِيِّ وَقُرٌ^(٥)
 أَمَا إِنَّهُ شُغْلٌ فَرَاغَكَ بَعْدَهُ سَيَنْصَاتُ إِلَّا أَنْ مَوْعِدَهُ الْحَشْرُ^(٦)
 أُنْسَاكَ - لَمَّا يَنَّا عَهْدٌ - وَلَوْ نَأَى سَحَابِيسَ الْأَيَّالِي لَمْ يَرَمْ نَفْسِي الذِّكْرُ^(٧)
 وَكَيْفَ بِنِسْيَانٍ وَقَدْ مَلَأَتْ يَدِي جِسَامٌ أَيَادٍ مِنْكَ أَيْمَرُهَا الْوَقْرُ

- (١) كان لم تتكشف فطنته والمعيته . مستور الغيب الذي يتبدى لها رغم حفاؤه واضحا حليا .
 (٢) تشذر الأمور : نشط إليها وتسرع ، وتشذر الرجل تهباً للقتال والحلّة .
 (٣) يشير إلى تلقيه بالمتضد والنصور . (٤) يهضه : يهظه ، أي ينقل عليه حمله .
 (٥) في رواية نفع الطيب :

« أعتب علينا ذاون ذلك الرضى فسمع أم الخ . . . »

- (٦) يقول : إنك في شغل لن ينقضى إلا إذا جاء يوم الحشر .
 (٧) رام برم : فارق يفارق ، يقول : كيف أنساك ولم يطل عهدى بك ولو طال أبد الدهر لم أسك
 ولم تفارق نسي ذكراك .

لَئِنْ كُنْتَ لَمْ أَشْكُرْ لَكَ الْمِنَّةَ أَنْتِي تَمَلَّيْتُمَهَا تَتْرَى لَأَوْ بَقَيْتَنِي ^(١) الْكُفْرُ
فَهَلْ عَلِمَ الشَّلُو الْمُقَدَّسُ أَنْتِي مُسَوِّغٌ خَالٍ ضَلَّ فِي كُنْهَهَا الْبِكْرُ ^(٢)
وَأَنْ مَتَابِي لَمْ يُضِغْهُ « مُحَمَّدٌ » خَلِيفَتِكَ الْمَدْلُ لِرَضِي وَأَبْنُكَ الْبَرُّ
هُوَ الظَّافِرُ الْأَعْلَى الْمُؤَيَّدُ بِالذِي لَهُ فِي الذِي وَلَاهٌ مِنْ صُنْعِهِ سِرُّ
رَأَى فِي اخْتِصَاصِي مَا زَأَيْتَ وَزَادَنِي مَرِيَّةَ زُنْفِي ^(٣) مِنْ تَتَأَجَّجِي الْفَخْرُ
وَأَزْغَمَ فِي رِي أَنْوَفَ عِصَابَةٍ لِقَاؤُهُمْ جَهْمٌ وَلِحَظُهُمْ شَزْرُ
إِذَا مَا أَسْتَوَى فِي الدَّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ وَقَامَ سِمَاطًا حَفْلِهِ فَلِي الصَّدْرُ ^(٤)

(١) لأهلكي (٢) الشلو : المصروع منه أتلاء . بقول : هل علم الخلد الميت الظاهر
أبي أحاول أن أستبيع ما لا سبيل لي استساقته أي أنه يحاول أن يرغم نفسه على الرضى بما حدث
ولا يجد إلى ذلك سبيلا . (٣) مربي .

(٤) استوى : جلس ، ولدت : معرب دشت ومعناها بالممارسة اليد - كما وُجد من شفاء العليل
وترك هذه المادة في اللسان ، وفي التماس : « الدسب لدشت ومن الثياب والورق وصدر البيت
ممرات . » واستعملها المولودون لمعان منها المجلس كما في اليد الذي نحن بصدده ، قال أبو العلاء المعري :
« من آلة الدست ماعد الوزير سوى تحريك الحيتية في حال إيماء
هو الوزر ولا أرر يشهد به مثل العروض له بحر بلا ماء . »
وورد في النفاة الحادية عشرة من مقامات الحريري عند قوله :

« تبصر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم

فستى لا يقمر انقوم إذا مادسته ثم . »

وهو هنا بمعنى الحيلة والخذاع ، والمعنى تب حيله ، ويقال ملان تم عليه الدست في القمار أي لم يمز وورد
في آخر النفاة الثامنة عشرة عند قوله :

« فمادرتنا بمد أن وخذت عنسه ، ورايلنا أنسه ، كدست عاب صدره ، أو ايل أهل بدره . »

وهو هنا بمعنى المجلس وورد في أوله النفاة الثالثة والعشرين عند قوله :

« مركنت في إثر النظاره ، حتى وابتنا باب الاماره ، وهناك صاحب المهومة متربما في دسسته ،
ومروعا بسمته . »

وَفِي نَفْسِهِ الْعَلِيَاءَ لِي مُتَبَوِّأً يُتَابِسُنِي فِيهِ السَّمَاءُ كَانٍ وَالنَّسْرُ
 يُطِيلُ الْعِدَا فِي التَّنَاجِي خُضِيَّةً يَقُولُونَ: «لَا تَسْتَفْتِ، قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ»
 مَضَى نَفْسُهُمْ - فِي عُقْدَةِ السَّعْيِ - ضَلَّةً فَعَادَ عَلَيْهِمْ غُمَّةٌ ذَلِكَ السَّحَرُ
 يَسِيبُ مَكَانِي عَن تَوَقِّي مَكَانِهِمْ كَمَا شَبَّ - قَبْلَ الْيَوْمِ - عَن طَوْقِهِ عَمْرُو^(١)

وهو ما يعنى المجلس أيضا وورد في آخر هذه المقامة عند قوله :

« فلما حضرت الولى وقد خلا مجلسه ، وانجلى تعبه ، أخذ يصف أبا زيد وفضله ، ويذم الدهر له ، ثم قال : نشدتك الله - ألسنت الذى أطاره الدست ؟ قلت : لا والذى أحلك فى هذا الدست ، ما أنا بصاحب هذا الدست ، بل أنت الذى تم عليه الدست . » فالدست الأول هو التوب ، والثانى المجلس ، والثالث هو التوب أيضا ، والرابع الحيلة .

والحبوة : بضم وكسر أوله وتجمع على حبا هي أن يجمع الجالس ظهره وساقيه بتوب أو يديه ، ويقال حل ملان حبوته ، وهذا الأمر مما تحمل له الحبا ، والحبوة - بالفتح - المصدر ، والسماط : الصف من الناس ، يقال قام اليوم حوله سماطين أي صفين ، ومعنى بين السماطين أي بين الصفين ، يقول إنه يفسح لى الجلوس فى الصدر إذا استوى فى مجلسه ومثل حوله صفان من حفله .

(١) أصل المثل : « شب عمرو عن الطوق » وفى رواية أساس البلاغة : « جل عمرو عن الطوق » ، وفى رواية يجمع الأمثال الميقاتى « كبر عمرو عن الطوق » ومعنى البيت :
 « لقد جل مكانى عن أن أحاذرهم ، كما حل عمرو عن الطوق . »

قال ابن قتيبة فى كتاب المعارف : وعمرو هذا هو عمرو بن عبدى بن نصر ، ابن أخت جذيمة الأبرش ، وهو الذى كان يقول - إداحنى الكمأة بين يدى خاله وهو صبي - :

« هذا جنائى ، وخياره ييه - إذكل جان يده إلى فيه . »

وقد زعموا أن الجن استهوته حيناً ، ثم طهر فوجده مالك وعقيل ، قالوا : « فانتسب لهما . فأثيا به جذيمة فسر به سرورا شديدا وحكهما مسألاه منادمته . »

وقد ضربت الأمثال ندمانى جذيمة ، فقال متم التورى حين رثى أحاه :

« وكنا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن تصدقا

وعشنا بخير - فى الحياة - وقبلنا - أصاب النايا رهط كسرى وتبعا

فلما تمرقنا كأتى ومالكا - لطول افتراق - لم نبت ليلة ماما . »

وقال أبو خراش الهذلى :

« ألم تعلمى أن قد تفرق - قبلنا - خيلا صفاء مالك وعقيل . »

وقد أشار أبو العلاء الممرى إلى ندمانى جذيمة إشارة نافعة فى رسالة العفران (ج ١ ص ١٣٢) فليرجع إليها من شاء ، قالوا : وأصل هذا المثل أن أم عمرو نظفته وألبسته ثياب الملوك وطوقته بطوق فى عنقه وأمرته بزيارة خاله ، قالوا : فلما رأى خاله لحيته والطوق فى عنقه ، قال : « شب عمرو عن الطوق » فدهبت مثلا . قالوا : « وكانت الزباء قتلت خاله فأدرك عمرو وقصير نأره فقتلها . »

* * *

لَكَ الْخَيْرُ ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غِيَابَةً
فَقَرَّتْ عِيُونَُ كَانَ أَسْخَنَهَا الْبُكَاءُ
وَلَوْلَاكَ أَعْيَا رَأْبُنَا ذَلِكَ النَّأْيُ (١)
وَلَمَّا قَدَمْتَ الْجَيْشَ بِالْأَمْسِ أَشْرَقَتْ
فَقَضَيْتَ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ لِبَابَةِ
وَمِنْ قَبْلُ مَا قَدَمْتَ مَثْنَى نَوَافِلِ
وَرُحْتَ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي غَضَّ طَرْفَهُ
فَدَامَا مَعًا فِي خَيْرِ دَهْرٍ ، صُرُوفُهُ
وَأَجْمَلُ - عَنِ النَّوَوِيِّ - الْعَزَاءُ فَإِنْ تَوَى
طَلَعْتَ لَنَا فِيهَا كَمَا طَلَعَ الْبَدْرُ
وَقَرَّتْ قُلُوبُ كَانَ زَلْزَلَهَا الدُّعْرُ
وَعَزَّ قَلَمًا يَنْتَعِشُ ذَلِكَ الْعَمْرُ
إِلَيْكَ - مِنَ الْأَمَالِ - آفَاقَهَا الْعُمْرُ (٢)
مُشِيعَهَا نُسْكَ وَفَارِطَهَا طُهُرُ (٣)
يَلَاقِي بِهَا مَنْ صَامَ مِنْ عِيدِهِ فِطْرُ
بُعَيْدِ التَّسَامِي أَنْ غَدَا غَيْرُهُ الْقَصْرُ (٤)
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ يَطُورَهُمَا هَجْرُ (٥)
فَإِنَّكَ لَا الْوَانِي ، وَلَا الضَّرْعُ الْعُمْرُ (٦)

(١) النَّأْيُ : المساد ورأبه إصلاحه ، قال الشاعر :

« يرأب الصدع والنأي برصين من سجايا آرائه ويمير . »

(٢) قدمت : يقال قدم فلان فلانا يقدمه من باب نصر إذا تقدمه ، قال تعالى : « يقدم يومه يوم القيامة فأوردتهم النار » والمعنى : ولما تقدم الجيش صبيحة يوم الفطر أشرق إليك شمس الآمال من آفاقها العبر يريد أن الآمال ابتدأت له مشرفة ، وقد اغبرت الآفاق حزنا على فقد والده .

(٣) اللبابة : الحاجة يقال قضى فلان لبابته أى حاجته ، والفارط : المتقدم أى قضيت حاجة و نفسك من صلاة الفرض التي شيعها وتلاها نك العيد وسبقها وتقدمها الطهر المسنون والطيب ، وفي رواية نفع الطيب : « فشيعها نك وفارطها طهر »

(٤) أى بعد أن عدت من مصلى العيد - درحت إلى القصر الذي غض طرفه حياء - بعد أن سما يبصره إليك - لأنك تبدأت به قصرا غيره . (٥) لا بطورها : لا قربهما والصغير طأد على القصرين .

(٦) الواني : الضعيف ، والضرع : الخاضع الدليل ، والنمر : الذي لم يحرب الأمور ، يقول : تدرع بالصبر وأجل عزاء عن الراحل النأوى في قبره ، فأنك لست - إذ ألم بك خطب - بالضعيف ولا الغر الجاهل الذي لم يحرب الأمور ولم يعتبر بصروف الدهر ، وفي الأصل « فأنك لا الفاني » وقد أثبتنا هنا رواية نفع الطيب ، قال الشاعر :

أناة وحلمًا وانتظارًا بهم غدا فما أنا بالواني ولا الضرع النمر

وَمَا أَعْطَتِ السَّبْعُونَ قَبْلُ - أُولَى الْحِجَابِ - مِنَ الْإِزْبِ مَا أَعْطَتِكَ عِشْرُونَ وَالْعِشْرُ (١)

* * *

أَلَسْتَ الَّذِي إِنْ ضَاقَ ذَرْعُ مِجَادِثٍ فَلَا تَهَيِّضِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهُ وَلَا زِلْتَ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقُرَّةٍ فَإِنَّكَ شَمْسٌ - فِي سَمَاءِ رِيَاسَةٍ - تَبْلَجُ مِنْهُ الْوَجْهَ وَاتَّسَعَ الصَّدْرُ (٢)
فِنَّكَ - لِمَنْ هَاضَتْ نَوَائِبُهَا - جَبْرُ لِعَيْنَيْكَ مَشْدُودًا بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ تَطَّلَعَ مِنْهُمْ حَوْلَهَا أَنْجُمٌ زَهْرُ

* * *

شَكَكْنَا فَلَمْ نُثَبِّتْ (٣) أَيَّامَ دَهْرِنَا وَمَا إِنْ تَغَشَّتْهَا مُغَازِلَةُ الْكِرَى سِوَى نَشَوَاتٍ - مِنْ سَجَايَا مُمْلَكٍ - بِهَا وَسَنٌ أَمْ هَزَّ أَعْطَافَهَا سُكْرٌ؟ وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ - فِي مَفَاصِلِهَا (٤) - حَمْرٌ يُصَدِّقُ فِي عَلَيَّهَا الْخَبَرَ الْخَبْرُ

* * *

أَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَأَنْتَ يَمِينُهُ وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنكَ - أَجَبْتُهُ : هُنَاكَ الْأَيْدِي الشَّفَعُ وَالسُّودَدُ الْوَتْرُ (٥) وَبَذَلُ اللَّهِ وَالْبَأْسُ وَالنَّظْمُ وَالنَّمْرُ هُنَاكَ التَّقَى وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّهَى

(١) أُولَى الْحِجَابِ : أرباب العقول ، والارب : العقل والدهاء والبصر بالأمور ، يقال أرب ككرم أرابة هو أريب أى حائل وجاء فى نفع الطيب « اللب » بدل « الارب » ، وعشرون : بالاضافة ، وعشرون إذا أضيف سقطت منه الون لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، يقال : « هذه عشرون وعشرون » بنشيد الياء كسلى ، أى أن ثلاثين حبة أعادتكم من الحجا والمثل ما لم تعطه غيرك السبعون .

(٢) ألسن الذى إن ضاق الناس ذرعا بمجادث تهمل له وجهك بشرا ، واتسع له صدرك احتمالا وصبرا ، ثقة منك بأنك ستكشف النازلة ، وتدفع السكارثة .

(٣) وفى نفع الطيب : « فلم ندرك » (٤) وفى نفع الطيب : « معاطفها » .

(٥) أى : هناك الايدى أى النعم المزدوجة المتكررة والمجد الغد .

مُهَامٌ - إِذَا لَاقَى الْمُنَاجِزَ رَدَّهُ - وَإِقْبَالُهُ خَطْوُهُ ، وَإِذْ بَارُهُ حُضْرُهُ (١)
 مَحَاسِنٌ ، مَا لِلرَّوَضِ - خَامَرَهُ النَّدَى - رُؤْيَاهُ إِذَا نُصِّتَ حُلَاهَا وَلَا نَشْرُهُ (٢)
 مَتَى أَنْتُشِقَّتْ لَمْ تُطَرِّ دَارَيْنِ مِسْكَهَا حَيَاءٌ ، وَلَمْ يَفْخَرْ بِعَبْبَرِهِ الشَّحْرُ (٣)
 عَطَاءٌ وَلَا مَنٌّ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرٌ
 قَدِ اسْتَوْفَتِ النِّعْمَاءُ فِيكَ تَمَامَهَا عَلَيْنَا ، فِنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

إلى ابن ذكوان

« كتب إلى الوزير أبي العباس بن حاتم بن ذكوان »

لَسْتُ مِنْ بَابَةِ الْمُلُوكِ (٤) أَبَا الْعَبَّاسِ ، دَعَهُمْ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِكَ
 مَا جَزَاءُ الْوَزِيرِ مِنْكَ - إِذَا اخْتَصَّكَ - أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي إِذْمَانِكَ
 أَتْرَاهُ لَا يَسْتَرِيبُ لِإِمْسَا كِكِ سَرْدِ الْعِرَاقِ تَحْتِ لِسَانِكَ (٥)
 مَذْنَهَانَا - عَنِ الْمُدَامِ - أَنْتَهَيْنَا مَعَ أَنَا نَعْدُ مِنْ صِدْيَانِكَ .

(١) المناجز : من المناجزة وهي المبارزة في القتال والمقاتلة ، قال هيب :

كالهندواني المهنيـــــــــــــــد هزمه القرن المناجز

والحضر : إحضار الفرس وعدوه ، يقول هو ملك همام إذا لاقى عدوه المناجز في الحرب والقتال رده منهزما في حال كون إقباله بطيئا وإدباره سريعا .

(٢) نصت : وضعت على المنصة بكسر الميم وهي سرير المروس الذي تنص وتجلس عليه ليلة الزفاف ، والشر : الرائحة الطيبة ، وفي الأصل « ولا بشر » والذي أثبتناه هنا رواية نفع الطيب .

(٣) لم تطر : لم تدمح ، ودارين : ثمر على الخليج الفارسي يجلب إليه الطيب من بلاد الهند ، والذي في هج الطيب « لم بدر » والشحر : ساحل البحر - بين « عمان » و « عدن » - أو هو صقع على ساحل الخليج الفارسي وإلى هذا الصقع ينسب العبر الشحري ، وهناك عدة مدن بهذا الاسم كما يؤخذ من حجم البلدان ، والمعنى : متى فاح غير تلك المحاسن لم تنن دارين على مسكها ولم يفخر الشحر بعنبره .

(٤) من بابة الملوك : من الشروط والوجوه التي تصلح لهم ، ويقال : « هذا شيء من بابتك » أي يصلح لك . يقول : « لست من بيتهم . »

(٥) العراق : بالكسر الحلة المخروز على فم السقاء والزق ونحوها تشبه بخروزه الأسنان في السرد ، والاستواء ، وجاء في الأصل « سعد العراق » يقول : أترى الوزير لا يقع في الريبة لوضعك مسرودة العراق تحت لسانك ، يريد أنه يحتمس الحمر من فم زق معرق أي على فمه عراق .



إلى المعتمد

« كتب ابن زيدون إلى المعتمد يشوقه إلى تعاطي

الحيا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا (١) . »

فُزْ بِالنَّجَاحِ وَأُخْرِزِ الْإِقْبَالَآ
 وَأَيْهِنِكَ التَّأْيِيدُ وَالظَّفْرُ الْلَذَا
 وَحُزِّ الْمُنَى وَتَنْجِزِ الْآمَالَآ
 صَدَقَاكَ فِي السَّمَةِ الْعَلِيَّةِ - فَلَا
 تَجِدُ الْعُقُولُ النَّاشِدَاتُ كَمَا لآ
 يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَوَاهُ لَمْ

* * *

أَمَا « الثَّرِيَا » (٢) فَالْثَّرِيَا نَصْبَةٌ
 قَدْ شَاقَهَا الْإِغْبَابُ حَتَّى أَنهَا
 وَإِفَادَةٌ وَإِنَافَةٌ وَجَمَالًا
 لَوْ تَسْتَطِيعُ سَرَتْ إِلَيْكَ خِيَالَآ
 وَأَطْلُ مَزَارِكَهَا لِتَنْعَمَ بِبَلَا
 رَفَهُ (٣) وَرُودُكَهَا لِتَنْعَمَ رَاحَةً

* * *

وَتَمَثَلِ الْقَصْرَ « الْمُبَارَكَ » وَجَنَّةً
 وَأَدِرْ هُنَاكَ مِنْ الْمُدَامِ أَتَمَّهَا
 قَدْ وَسَّطْتَ فِيهَا « الثَّرِيَا » خَالًا
 أَرْجَا زَكَ وَأَشْفَهَا جِرْ يَالَآ (٤)
 بِهَيْجِ الْجَوَانِبِ، لَوْ مَشَى لِأَخْتَالَآ
 لَازَتْ تَفْتَرِشُ السُّرُورِ حَدَاتِقًا
 فِيهِ ، وَتَلْتَحِفُ النِّعِيمِ ظِلَالًا .

(١) وردت هذه القصيدة في الديوان ولم يكتب لها عنوان ، وقد نقلنا هذه السكامة من «مع الطيب .

(٢) يعني قصره المسمى « الثريا » .

(٣) أى اجعل ورودك اياها ريفها أى كل يوم ، يقال وردت الابل ريفها إذا كانت ترد الماء كلها

شاعت الورد . (٤) الجريال : الجر ، أو حرثها وسيأتى تفسيرها في ص «١٥٥»



مدح ورثاء وتهنئة (١)

« وقال أيضا بمدحه ويرثي الوزير الكاتب الأعلى
أبا الحزم أباه رجهما الله . »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ ضَمَّتْهَا الْقَبْرُ
وَأَنَّ الْحَيَا (٢) - إِنْ كَانَ أَقْلَعَ صَوْبُهُ -
إِسَاءَةٌ دَهْرٍ أَحْسَنَ الْفِعْلَ بَعْدَهَا ،
فَلَا يَتَهَنَّأُ الْكَاشِحُونَ فَمَا دَجَا
وَإِنْ يَكُ وَلِيٌّ « جَهْوَرٌ » ، « فُحَمَّدٌ »
وَأَنْ قَدْ كَفَانَا - فَقَدْنَا الْقَمَرَ - الْبَدْرُ
فَقَدْ فَاضَ الْأَمَالِ فِي إِثْرِهِ الْبَحْرُ
وَذَنِبُ زَمَانٍ جَاءَ يَتْبَعُهُ الْعُذْرُ
لَنَا اللَّيْلُ إِلَّا رَيْبًا طَلَعَ الْفَجْرُ
خَلِيفَتُهُ الْعَدْلُ الرَّضَى وَأَبْنَةُ الْبَرِّ

* * *

لَعَمْرِي لَنِعَمَ الْعَلِيقُ (٣) أَتَلَفَهُ الرَّدَى
هَزَزْنَا بِهِ الصَّمَّصَامَ (٤) فَأَلْعَزَمُ حَدَهُ
فَتَى يَجْمَعُ الْمَجْدَ الْمَفْرَقَ هَمُّهُ
أَهَابَتْ إِلَيْهِ بِالْقُلُوبِ مَحَبَّةٌ
سَرَتْ - حَيْثُ لَا تَسْرَى مِنَ الْأَنْفُسِ الْمَنَى -
لَبِسْنَا لَدَيْهِ الْأَمْنَ تَنْدَى ظِلَالُهُ
وَعَادَتْ لَنَا عَادَاتُ دُنْيَا كَأَنَّهَا
فَبَانَ ، وَنِعَمَ الْعَلِيقُ أَخْلَفَهُ الدَّهْرُ
وَحَلِيقَتُهُ الْعَلِيَا وَإِفْرِنْدُهُ الْبِشْرُ
وَيُنْظَمُ - فِي أَخْلَاقِهِ - السُّودُدُ الثَّمَرُ
هِيَ السَّحْرُ لِلْأَهْوَاءِ ، بَلْ دُونَهَا السَّحْرُ
وَدَبَّتْ دَيْبًا لَيْسَ يُحْسِنُهُ الْخَمْرُ
وَزَهْرَةٌ عَائِشٍ مِثْلَ مَا أَيْنَعَ الزَّهْرُ
بِهَا وَسَنُ أَوْ هَزَّ أَعْطَافَهَا سُكْرُ

* * *

مَلِيكَ لَهُ مِنَّا النَّصِيحَةُ وَالْهَوَى وَمِنْهُ الْأَيْدِي الْبَيْضُ وَالنِّعَمُ الْخَضْرُ

(١) ارجع إلى ص ١٤٠ و ص « ١٧٤ » من هذا الديوان .

(٢) المطر . (٣) النفيس . (٤) الحسام .

نَسِرُهُ وَقَاءَ - حِينَ نَعْمَلِنُ طَاعَةَ - فَا خَانَهُ سِرًّا وَلَا رَابَةَ جَهْرًا
 فَقُلْ لِلْحَيَارَى: « قَدْ بَدَأَ عِلْمُ الْهُدَى » وَالطَّامِعِ الْمَغْرُورِ: « قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ ^(١) »

* * *

« أبا الحزَمِ » قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ - مِنَ الْأَسَى - قُلُوبٌ مِنْهَا الصَّبْرُ ، لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ
 دَعِ الدَّهْرَ يَفْجَعُ بِالذَّخَائِرِ أَهْلَهُ - فَمَا لِنَفِيسٍ - مُذْ طَوَاكَ الرَّدَى - قَدْرُ
 تَهْوُنُ الرِّزَايَا بَعْدُ - وَهِيَ جَلِيلَةٌ - وَيُعْرِفُ - مُذْفَارَقَتِنَا - الْحَادِثُ النُّكْرُ
 فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ السَّحَابَةِ لَمْ يَزَلْ - لَهَا أَمْرٌ يُبْنِي بِهِ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ
 مَسَاعِيكَ حَلِيٌّ لِلْيَالِي مَرْصَعٌ - وَذِكْرُكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَامِهَا - عِطْرُ
 فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَايَةٌ - إِلَيْهَا التَّنَاهِي طَالَ أَوْ قَصُرَ الْعُمُرُ

* * *

عَزَاءٌ - فَدَتِكَ النَّفْسُ عَنْهُ - فَإِنْ تَوَى - فَإِنَّكَ لَا الْوَانِي وَلَا الضَّرْعُ الْعُمُرُ
 وَمَا الرُّزْءُ فِي أَنْ يُودَعَ التُّرْبَ هَالِكٌ - بَلِ الرُّزْءُ كُلُّ الرُّزْءِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ
 أَمَامَكَ - مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ - طَلِيْعَةٌ - وَحَوْلَكَ - مِنْ آيَاتِهِ - عَسْكَرُهُ مَجْرُ
 وَمَا بِكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى نَصْرِ نَاصِرٍ - كَفَتِكَ - مِنْ اللَّهِ - الْكَلَاءَةُ ^(٢) وَالنَّصْرُ

* * *

لَكَ الْخَيْرُ ، إِنِّي وَاثِقٌ بِكَ شَاكِرٌ - لِمَشْنَى أَيْدِيكَ الَّتِي كُفِّرُهَا الْكُفْرُ
 تَحَامِي الْعِدَا - لَمَّا أَعْتَلَقْتُكَ - جَانِبِي - وَقَالَ الْمَنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو ^(٣)

(١) قريب من هذا قول ابن هاني الأندلسي :

تمول بنو العباس : « هل فتحت مصر ؟ » فقل لبني العباس : « قد قضى الأمر »

(٢) الرطاية والحفظ . (٣) ارجع إلى تفسير هذا المثل في (ص ١٤٥) من هذا الكتاب .

يَلِينُ كَلَامٌ كَانَ يَخْشَنُ مِنْهُمْ وَيَفْتَرُ نَحْوِي ذَلِكَ النَّظْرُ الشَّرُّ

* * *

فَصَدَّقَ ظُنُونًا لِي وَفِي ، فَإِنِّي لِأَهْلِ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ مِنْكَ وَلَا فَخْرُ
 وَمَنْ يَكُ - لِلدُّنْيَا وَالْوَفْرِ - سَعِيهِ فَتَقَرِّبُكَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَكَ الْوَفْرِ (١)

هدية عنب

« وأهدى إلى الوزير الفقيه صاحب الأحكام أبي بكر
 محمد بن محمد بن إبراهيم جده لأمه عنبا عذارى
 وكتب معه . »

أَتَاكَ مُحْيِيًّا عَنِّي أَعْتَذَارَا عَذَارَى دُونَهُ رِيْقُ الْعَذَارَى (٢)
 تَحَالُ الشَّهْدَ مِنْهُ مَسْتَمَدًّا وَتَفْحَ الْمِسْكَ مِنْهُ مُسْتَعَارَا
 يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاءٍ غَدَا تَوْبُ الْمَوَاءِ لَهُ شِعَارَا
 وَلَوْ لَا أَنِّي قَدْ نِلْتُ مِنْهُ - وَلَمْ أَسْكُرْ - نَخَلْتُ بِهِ عُقَارَا
 بَعَثْتُ بِهِ وَلَوْ أُهُدَيْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، لَكَانَ مِنْ بَرِّي أُقْبَسَارَا
 فَأَنْعِمَ بِالْقَبُولِ قَرُبَ نَعْمِي أَعَدْتُ بِهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارَا

(١) يقول : إن من كات عاينه من الدنيا أ تقبل عليه وأن ينال الغنى فإنه يطعم بهما جيما حين تدنيه منك وتقبل عليه .

(٢) العذارى : صنف من العنب يشبه بأصابع العذارى لطوله ، يقول : أنك يحمل تحبتي ممتدراً إليك « عنب عذارى » حاو دونه في الحلاوة ريق العذارى .



رثاء ابن ذكوان

« قال يرثي القاضي أبا بكر بن ذكوان . »

انجَبَ لِحَالِ السَّرْوِ كَيْفَ تَحَالُ وَلِدَوْلَةِ الْعَلِيَاءِ كَيْفَ تُدَالُ (١)
لَا تَفْسَحَنَّ لِلنَّفْسِ فِي شَأْوِ الْمُنَى إِنَّ أَعْتِرَارَكَ - بِالْمُنَى - لَضَلَالُ
مَا أُمْتَعَ الْآمَالَ لَوْلَا أَنَّهَا تَعْتَاقُ - دُونَ مَبْلُوغِهَا - الْآجَالَ (٢)
مَنْ سُرَّ - لِمَا عَاشَ - قَلَّ مَتَاعُهُ فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالسَّرُورُ خِيَالُ (٣)

* * *

فِي كُلِّ يَوْمٍ نُتَّحَى بِرِزِيَّةٍ لِلْأَرْضِ - مِنْ بُرْحَانِهَا - زَلْزَالُ (٤)
إِنْ يَنْكَدِرَتْ بِالْأَمْسِ - نَجْمٌ مُتَأَقِبُ فَالْيَوْمَ أَقْلَعَ عَارِضٌ هَطَّالُ (٥)
إِنَّ النَّعْيَ « لِحُجُورٍ » وَ « مُحَمَّدٍ » أَبْكَى الْعَمَامَ ، فَدَمَعُهُ مُنْثَالُ (٦)
شَكْلَانِ - إِنْ حُمَّ الْحِمَامُ - تَجَاذَبَا لِأَعْرَوْ أَنْ تَتَجَاذَبَ الْأَشْكَالُ (٧)

(١) السرو : الشرف والسيادة ، يقول : أجب لهذا المجد كيف حال عن عهده وتحول ، واجب لدولة

العلياء كيف دالت وتبدلت . (٢) يقول : إن أحسن شيء تتمتع به النفس الآمال ، لولا أن الآجال ، تعوق دون بلوغ الآمال .

(٣) من سره العيش في هذه الحياة الدنيا فليعلم أن متاعها قليل ، وأن الناس فيها نيام لا اقتباه لهم ولا يقظة إلا بعد الموت إذن سرورها خيال ، وغرورها باطل .

(٤) نتحى : تقصد ، يقال اتتحاه إذا قصد ناحيته ، والبرحاء : الشدة .

(٥) ينكدر : يتقش ويستقط ، قال تعالى « وإذا النجوم انكدرت » أي تناثرت ، والعارض : السحاب ،

يقول : إن موت أبي بكر القاضي جاء عقب موت اثنين من آل جهور سيذكركهما في البيت التالي لهذا البيت .

(٦) النعي : كمنى الناعي ، من نعى الميب ينعاه إذا أخبر بموته ، ومثال : من نثل الدمع وغيره استخرجه .

(٧) حم : قدر ، والحمام : الموت ، يقول : « جهور » و « محمد » شكلان متجانسان حم الموت على

أحدهما فانهذب إليه شكله ، وكذلك الأشكال تتجاذب .



* * *

وَلِيَّ «أَبُو بَكْرٍ» فَرَاعَ لَهُ الْوَرَى
 قَمَرٌ هَوَى فِي التُّرْبِ - تُحْمَى فَوْقَهُ -
 قَدْ قُلْتُ - إِذْ قِيلَ السَّرِيرُ يُقِيلُهُ -
 الْآنَ بَيْنَ لِلْعُقُولِ زَوَالُهُ
 هَوْلٌ تَقَاصَرُ - دُونَهُ - الْأَهْوَالُ
 لِيهِ مَا حَازَ الثَّرَى الْمُنْهَالُ (١)
 هَلْ لِلسَّرِيرِ بِقَدْرِهِ أَسْتِقْلَالُ؟
 أَنْ الْجِبَالَ قُصَارُهُنَّ زَوَالُ
 غَنِيَّتِ بِهِ فِي حُسْنِهَا تَحْتَالُ (٢)

* * *

يَا قَبْرَهُ الْعَطْرِ الثَّرَى لَا يَبْعَدُنْ
 مَا أَنْتَ إِلَّا الْجَفْنُ أَصْبَحَ طِيَّةً
 فَهَنَّاكَ نَفَاحُ الشَّمَائِلِ مِثْلَ مَا
 حُلُوٌّ مِنَ الْفَتِيَانِ فِيكَ حَلَالُ (٣)
 نَصَلٌ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ صِقَالُ (٤)
 طَرَقَتْ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ شِمَالُ (٥)

(١) تحمى : تهاهل فوقه ، والثرى : التراب الندى .

(٢) خلاف مودع : أى بعده ، يقال جاء فلان خلاف فلان أى بعده ، قال تعالى « وإذن لا يلبثون خلاصك إلا قليلا » أى خلعتك كما فى القراءة الثانية ، والمعنى : ما أنتح الدنيا بعد هذا الراحل المودع الذى كانت الدنيا به تحتال كالمرور المستغنية بحمالها عن الزينة ثم أصبحت بعده قبيحة دميمة .

(٣) الحلو الحلال : من الفتيان هو الفتى الذى لاربية فيه الموثوق به ، قال الشاعر :
 « ألا ذهب الحلو الحلال الحلال ومن دوله حكم وعدل ونائل . »

وقال الآخر :

« رأيت رباطا حين تم شـبابه وولى شـبابى ليس فى بره عتب

إذا كان أولاد الرحل حـزازة فأنت الحلل الحلو والبـارد العذب . »

والمعنى : يا قبره الشدى العطر ثراه لا سعدن بك من الفتيان ذلك الفتى الحلو الحلال أى الذى لاشك ولا ربية فى رجولته وفنوته .

(٤) ما أب أيها القبر إلا حفن طوى فيه فتى كـنصل السيف صقل بصقال الشباب .

(٥) هناك أى فى ذلك القبر وورى فتى شمائله وطباعه تنفع بأنواع العطر . نل ما هب بأنفاس الرياض ربح الشمال .

دَانٍ مِنَ الْخَلْقِ الْمَزِينِ ، نَارِحُ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْهِ مَقَالٌ (١)
 شِيمٌ يُنَافِسُ حُسْنَهَا إِحْسَانَهَا كَالرَّاحِ نَافَسَ طَمَعُهَا الْجُرْيَالُ (٢)

* * *

يَا مَنْ شَأَى الْأَمْثَالِ ، مِنْهُ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ بِهِ فِي السُّودِ الْأَمْثَالُ (٣)
 نَقَصَتْ حَيَاتِكَ حِينَ فَضْلِكَ كَامِلٌ هَلَّا اسْتُضِيفَ إِلَى الْكَمَالِ كَمَالٌ (٤)
 وَدُعْتُ عَنْ عُمَرَ عَمَرْتُ قَصِيرَهُ بِمَكَارِمِ أَعْمَارُهُنَّ طَوَالُ
 مَنْ لِلنَّدَى إِذَا تَنَازَعَ أَهْلُهُ فَاسْتَجْهَلْتَ حَمَاءَهُ الْجُهَالُ (٥)
 لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ لَقَلَّ مِرَاؤُهُمْ لِأَعْرَفِيهِ - مَعَ الْفَتَاءِ - جَلَالُ (٦)

(١) دال : قريب من كل خالق حميد يزيه ، نارح : بعيد عن كل فعل فيه عليه لوموه واحدة وعيب ، ولغظه كلفظ قول الشاعر :

« إذا أنت لم تمس الهوى فادك الهوى إلى امس ما فيسه عليك . مقال . »

(٢) جريال النحر : حمرتها الشديدة ، قال الأعشى :

« وسديئة مما تمنق بابل كدم الديح سلتها جريالها . »

ومعنى سلتها جريالها - أى لونها وحمرتها - أن لونها ظهر على وجهه حين شربها ولكنها حين خرجت منه عند البول خرج بيضاء ، ونطاق الجريال والحريالة على النحر نهما ، قال ذو الرمة :

« كَأَنِّي أَحْوُ حَرِيَالَةً بِأَلْيَةِ كَمِيتٍ تَمَشَّتْ فِي الْعِظَامِ شَمُولَهَا . »

وفالوا في السلاف - وهو أول ما يجري من ماء العنب من غير عصر ولونه أصفر - إنه أحود من الجريال . قال المتنبي :

« وافتد خبأت من الكلام سلامة وسقيت من نادمت من جريانه . »

ومعنى البيت الذي نحن بصدده : ناس إحسان شديك وخلالك حسنها كما ناس لون الراح طمعها ، حين جمعت إلى لذة الطعم حسن اللون .

(٣) وفي الأصل : « يامن شاء . »

(٤) طاحتك المية في الوقت الذي كل فيه فضلك ، فهلا نسي في عمرك حتى تستصيف كمالا إلى كمالك .

(٥) الندى : المجلس ، واستجهلت نسبتهم إلى الجهل ، والحماء : أصحاب الأحلام أى العقول .

(٦) لو كنت حاضر مجلسهم لاحتهم فلم يماروك ويمجادوك إذعانا لأعرف فيه مع فناء السن وقار وهيبة .

* * *

مَنْ لِلْعُلُومِ؟ فَقَدْ هَوَى الْعِلْمُ الَّذِي
مَنْ لِلْقَضَاءِ يَعِزُّ (٢) - فِي أَثْنَائِهِ -
مَنْ لِلْيَتِيمِ تَتَابَعَتْ أَرْزَاؤُهُ؟
أَعَزَّزَ بَانَ يَنْعَاكَ نَعَى شِمَاتِهِ
جُمِعَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِقُطْبِهَا
وُسِّمَتْ بِهِ أَنْوَاعُهَا الْأَغْفَالُ (١)
إِيضًا حُ مَظْلَمَةٌ لَهَا إِشْكَالُ؟
هَلَكَ الْأَبُ الْحَانِي وَضَاعَ الْمَالُ!
لِلْأَوْلِيَاءِ الْمَعَشَرُ الْأَقْتَالُ (٣)
لَيْتَ الْحُسُودَ فِدَاكَ فَهَوَ ثِقَالُ (٤)

* * *

زُرْنَاكَ كَمْ تَأَذَّنَ كَأَنَّكَ غَافِلٌ
أَيْنَ الْحَفَاوَةُ رَوْضُهَا غَضُّ الْجَنَى
أَيَّامَ مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْكَ وَدَادَهُ
مَهْمَا نُبَيْكَ لَا نُرْبِكَ وَإِنْ نَزُرُ
هَيْهَاتَ لَا عَهْدُ - كَعَهْدِكَ - عَائِدُ
مَا كَانَ مِنْكَ لِوَاجِبِ إِغْفَالُ
أَيْنَ الطَّلَاقَةُ بِشْرُهَا سَلْسَالُ
يَكُنِ الْقَبُولُ بِشِيرُهُ الْإِقْبَالُ
رِفْهًا فَمَا لِزِيَارَةِ إِمْلَالُ (٥)
إِذْ أَنْتَ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ جَمَالُ

(١) العلوم المتروكة لصعوبة الحوض فيها لاهل أمثاله من الباحثين .

(٢) يقل ويمتنع ولا يوجد لاشتغالها حل .

(٣) أعزز : أعظم على نفسى منعاك نعى شماته أى يمز على ويشق على نفسى أن ينعاك الأقتال أى

الأعداء نعى شماته لأوليائك وأصفيائك .

(٤) قطب الرحى : الحديدية القائمة في وسط الرحى السفلى ، وهو الذى يدور عليه طبق الرحى العليا ،

جعل للإسلام رحى هو قطبها الذى تدور عليه ، يعنى أن عليه نظام الاسلام ، ومدار الأحكام ، والنفال

ما يوضع تح الرحى من جلد ونحوه ليقى ما يسقط عند الطحن من التراب ، وهذا لا يكون إلا فى رحى

اليد ، قال زهير . « فتمرككم عرك الرحى بفالها » ، والمعنى بجمع الاسلام نقطب العلماء ورئيسهم ،

وليت الحسود كان فداء لك دمرك الموت عرك الرحى فوق نفالها أى ليت رحى الموت دارت على حاسدك وشانك .

(٥) نعبك : الاغياب أن تزوره يوما وتقبه أى تنقطع عنه يوما أو أياما ، وردها : هو من ورود الابل

ردها وهو أن ترد الماء كلما شامت الورود ، والمعنى : مهما انقطعنا عن زيارتك لم ترتب فى ودما ، وإن

زرتناك ردها وفى كل وقت لم تسأم ولم تمل الزيارة .

فَازْهَبْ ذَهَابَ الْبُرِّ أَعْقَبَهُ الضَّنَى
لَكَ صَالِحُ الْأَعْمَالِ إِذْ شَيَّعْتَهَا

وَالْأَمْنِ وَاقْتِ بَعْدَهُ الْآجَالَ (١)
بِالْبُرِّ سَاعَةً تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ

حَيًّا الْحَيَا مَثْوَاكَ، وَأَمْتَدَّتْ عَلَى
وَإِذَا النَّسِيمُ أَعْتَلَّ فَأَعْتَمَتْ بِهِ
وَلَنْ أُوْذَاكَ - بَعْدَ طُولِ صِيَانَةٍ -

صَاحِي ثَرَاكَ - مِنَ النَّعِيمِ - ظِلَالُ (٢)
سَاحَاتِكَ الْغَدَوَاتُ وَالْأَصَالُ (٣)
قَدْرٌ، فَكُلُّ مَصُونِهِ سِيدَالُ (٤)

سَيَّحُوطٌ مَنْ خَلَقْتَهُ مُسْتَبْصِرٌ
كَفَلَ الْوَزِيرُ «أَبُو الْوَلِيدِ» بِجَبْرِهِمْ
مَلِكٌ سَجِيئُهُ الْوَفَاءُ فَالَهُ

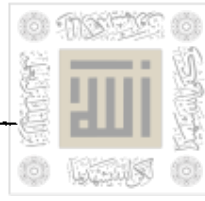
فِي حِفْظِ مَا أَسْتَحْفَظْتَهُ لَا يَأَلُو
إِنَّ الْوَزِيرَ - لِثَلْمِهَا - فَعَالُ
بِالْعَهْدِ - فِي ذِي خُلَّةٍ - إِخْلَالُ
قَدْ تَعَثَّرُ الْحَالَاتُ ثُمَّ تُقَالُ

حَتْمٌ عَلَيْهِ لَعَا (٥) لِعَثْرَةِ حَالِهِمْ
إِيهَا: بَنِي ذَكْوَانَ - إِنْ غَلَبَ الْأَسَى -

فَلَكُمْ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَالُ
إِنْ كَانَ غَابَ الْبَدْرُ عَنْ سَاهُورِهِ

مِنْكُمْ وَفَارَقَ غَابَهُ الرَّثْبَالُ (٦)

(١) اذهب على رغم منا ذهاب العافية جاء عقبها المرض ، والأمن وافي بعده الأهل .
(٢) الحيا : المطر ، والمثوى ، القبر ، وضاحي ثراك : أى ثراك الضاحي أى البارر للشمس .
(٣) اعتامت : اختارت ، ومنه قول طرفه :
« أرى الموت يمتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الغامش المتشدد . »
والمعنى : اعتامت أى اختارت العدوات والأصال ساحات القبر وآثرتها بمرور النسيم العليل .
(٤) أذاك : أهالك ، أى لئن امتهنك القدر بعد طول صيانته ، فكل مصون لم تمتد إليه يد القدر سيدال وبهان يوما من الأيام .
(٥) دواء للعائر أن يقببه الله من عثرته ، وإذا قيل « لالعا للعائر » فعناه لأفاله الله من عثرته .
قال ابن دريد :
« فان عثرت بعدها - إن وأت - نفسى من هاتا - فقولا : « لالعا »
وإن تكن مدتها موصولة بالحنف ، سلطت الأسى على الأسى . »
وقال الأخطل :
« فلا هدى الله قيسا - من ضلالتهم - ولا لما لبي ذكوان إذ عثروا . »
(٦) الساهور : دائرة القمر ، والرثبال : الأسد .



في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله
 أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

أَعْرَفُكَ رَاحٍ فِي عُرْفِ الرِّيَّاحِ ؟ فَهَزَّ مِنَ الهَوَى عِطْفَ أَرْتِيَّاحِي ^(١)
 وَذِكْرُكَ مَا تَعَرَّضَ أَمْ عَذَابٌ ؟ غَصِصْتُ عَلَيْهِ بِالْمَذْبِ الْقَرَّاحِ ^(٢)
 وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشَوَاتِ شَوْقِي - هَفَّتْ بِالْعَقْلِ - أَوْ نَشَوَاتِ رَاحِ ^(٣)
 لَعَمْرُ هَوَاكَ مَا وَرَيْتَ زِنَادٌ لَوْصِلَ مِنْكَ طَالَ لَهَا أُقْتِدَاحِي ^(٤)
 وَكَمْ أَسْقَمْتِ - مِنْ قَلْبِ صَحِيحِ - بِسُقْمِ جُفُونِكَ الْمَرْضَى الصَّحَّاحِ

* * *

مَتَى أَخْفِيفِ الْغَرَامَ يَصِيفُهُ جِسْمِي بِالْأَسِنَّةِ الضَّنَى الْخُرْمِ الْفِصَّاحِ ^(٥)
 فَلَوْ أَنَّ النِّيَابَ فُحِصْنَ عَنِّي خَفَيْتُ خَفَاءَ خَصْرِكَ فِي الْوِشَاحِ

(١) العرف : بالفتح الرائحة الطيبة ، والعرف : بالضم واحد أعراف الرياح وهي أوائلها وأطالها ،
 والعطف : الجانب وما تليه إذا عطفت على شيء - ذوا وإشماما ، وتحركه إذا هزتك أريحية ، والمعنى :
 أمرتك وطيبك سرى إلى أوائل الرياح التي هبت مائجة من ناحيتك ، فذقتي نحوك بماذمة الهوى والارتياح .
 (٢) غصصت : كشرقت بالماء وزنا ومعنى ، أو وتفت في حلقه فلم يسهه ، والقراح : الماء الذي لم يخالطه
 غيره ، يقول : وهل ما تعرض ذكرك أم عذاب شرقت لأحله بالماء العذب الذي لم تشبه شائمة فلم أسغه ، وفي
 الأصل « وذكرك ما تعرض أم عداد »

(٣) نشوات : واحدها نشوة ، والنشوة تكون من الريح ومن السكر وهي من السكر أوائله ومقدماته ،
 وهفت بالعقل : ذهبت به ، يقال : هفت الريح بالشئ تهفو أي ذهبت به ، والمعنى . هل أنا من أجل هواك ،
 وبسبب ذكرك ، في نشوات من ريع الشوق أو نشوات من سكر الراح أطارت عقلي وأذهبت لي .

(٤) أقسم بهواك إن طول اقتداحي لزناد الوصل لم يور ناراً .

(٥) في الوقت الذي أخفى فيه غرامي عن العادلين يتم على تحول جسمي بالسنة المرض الخرساء المنصحة .

لَلْقَيْنَا مِنَ الْوَاشِينَ حَتَّى رَضِينَا الرُّشُلَ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ (١)
وَرُبَّ ظَلَامٍ لَيْلٍ جَنِّ فَوْقِي فَنَبْتُ عَنِ الصَّبَاحِ إِلَى الصَّبَاحِ (٢)
فَهَلْ عَدَّتِ الْعَفَافَ هُنَاكَ نَفْسِي - فَدَيْتُكَ - أَوْ جَنَحْتُ إِلَى الْجِنَاحِ (٣)

* * *

وَكَيفَ أَلِجُ لَا يَثْنِي عِنَانِي رَشَادُ الْعَزْمِ عَنِّي غَيَّ الْجِمَاحِ (٤)
وَمِنْ سِرِّ ابْنِ « عَبَّادٍ » دَلِيلٌ بِهِ بَانَ الْفَسَادُ مِنَ الصَّلَاحِ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي بَرَّتْ فَسَّرَتْ خِلَالَ مِنْهُ طَاهِرَةُ النَّوَاحِي مُهَامٌ خَطٌّ - بِالْهَمِّ السَّوَامِي - مِنْ الْعَلْيَاءِ فِي الْخُطَطِ الْفِسَاحِ (٥)
أَغْرًا إِذَا تَجَهَّمَ وَجْهَهُ دَهْرٌ تَبَلَّجَ فِيهِ كَالْقَمَرِ اللَّيَّاحِ (٦)

(١) لقد تعلمنا من الواشين جيلهم في الوقوف على مكتوم أسرارنا ، حتى أصبحنا نقنع بأن تكون أنفاس الرياح بربداً يحمل عنا رسائل الحب والغرام ، وقد أبدع ابن الرومي حيث يقول :
« أحببى كم لي نحوكم من تحية أحملها هبات كل حبوب
فلا تتركوا رد السلام إذا حرت شمال على نأى المحل قريب . »
(٢) كثيراً ما أرخى الليل علينا سدوله ، فنبت في ظلامه عن الصباح إلى أن أسفر الصباح وقريب من هذا قول أبي تمام :

« رحن والليل قد أقام رواقاً فأقن الصباح فيه عموداً . »

(٣) لم تعد نفسى في تلك الليلة التي نعمت فيها بالحبيب حدود العفاف ، ولم تملى ارتكاب ما يخالف طبيعة الحب البريء مما فيه إثم علينا وحناح ، وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :
« كم قد خلوت بها وثالثنا التي يحمى على العطشان برد المورده . »

(٤) في هذا البيت والذي بعده تخلمس من الذئب إلى المدح حيث يقول : كيف ألج في الهوى ، وآتمادى في الهوى ، ولا يثنى عنان جماعى اعتزامى الرشد ، في حال أن لي من سر « ابن عباد » وقوة نفسه دليل عرفت به الرشد من الهوى ، والصلاح من الفساد .

(٥) خط : اختط الأرض وهو أن يصلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها لبيها ، والخطط : جمع خطة بكسر أولهما ، وهى الأرض التي يختطها لنفسه لبيها .

(٦) اللياح : بكسر وفتح أوله الأبيض المتلألئ .

سَمِعُ النَّصْرَ لِأَسْتَعْدَاءِ جَارٍ
ضَرَائِبُ جَهْمَةٌ - فِي الْعَتَبِ - تُثَلَّى
إِذَا أَرَجَ الشَّنَاءَ الرَّوْعُ مِنْهَا
هُوَ الْمُتَبَقِيُّ مُلُوكَ الْأَرْضِ تَدْمَى
رَأَهُ اللَّهُ أَجْوَدَ بِالْعَطَايَا
وَأَفْرَسَ لِلْمَنَابِرِ وَالْمَذَاكِي
وَأَمْتَعَهُمْ جَمِي عَرْضِ مَضُونٍ
فَرَّضَ لَهُ الْوَرَى حَتَّى تَأَدَّتْ
« لِمُعْتَصِدٍ » بِهِ أَرْضَاهُ سَعْمِيًّا
فَمَنْ قَاسَ الْمُلُوكَ إِلَيْهِ جَهْلًا
أَصَمُّ الْجُودِ عَن تَفْنِيدِ لَاحٍ (١)
بِأَخْلَاقِي لَدَى الْعَتَبِيِّ مِلَاحٍ (٢)
فَكَمَّ لِلْمِسْكِ عَنْهُ مِنْ أِفْتِضَاحٍ
قُدُوبُهُمْ كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ
وَأَطْمَنَ بِالْمَكَايِدِ وَالرَّمَاحِ
وَأَبْهَى فِي الْبُرُودِ وَفِي السَّلَاحِ (٣)
وَأَوْسَعَهُمْ ذُرًّا مَالٍ مُبَاحٍ
إِلَيْهِ إِتَاوَةٌ الْحَى اللَّاقِحِ (٤)
فَأَقْبَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ الْفَلَاحِ (٥)
كَمَنْ قَاسَ النُّجُومَ إِلَى بَرَاحٍ (٦)

(١) الاستعداد : الاستعانة وطلب الصرة ، والتفئيد : اللوم وتصنيف الرأي ، ولاح : اسم فاعل من لجاه يلجاه إذا لامه وعذله .

(٢) صرائب : سجايا وطبائع جمع ضريبة ، وجهمة : طابسة من جهمة إذا استقبله بوجه كريمة ، والعتبي : الرجوع إلى ما يرضى العاتب . وفي المثل « لك العتي ولا أعود » أى لك منى أن أعتبك أى أرسبك ولا أعود إلى ما يسخطك .

(٣) أفرس : أعمل تفصيل من الفراسة بالفتح والفروسة والفروسمية وهى الحذق بركوب الخيل ، وفى المثل : أفرس من ملاعب الأسة ، وأفرس من طامر ، وأفرس من بسطام ، والمذاكي : الخيل التى أتى عليها بعد تمام السن أى - بلوغها النهاية فى الشباب - سنة أو سنتان ، والمعنى أنه أحنق الملوك باعتلاء المنابر وركوب الخيل وأبهاهم لباسا ولبوسا فى السلم والحرب .

(٤) الاتاوة : الحراج وكل ما أخذ بكره أو فرض من أموال الجباية ، والحى اللقاح : فى اللسان قوم لقاح وحى لقاح لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصيبهم فى الجاهلية سباء أنشد ابن الأعرابي :

« امر أيبك والأناء تنمى لنعم الحى فى الحسلى رباح
أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا . »

(٥) أقبل وجهه : من قولهم أقبلته الشيء أى جعلته بلى قبائله ووجهته والمعنى أن سكان الحواضر والبادى دانوا بالطاعة « لمعتصد » بالله أرضت مولاة مساعيه فأقبل الله وجهه وجه الفلاح أى جعل وجهه يستقبل جهة الفلاح : (٦) إلى أرض ظاهرة .

وَمُعْتَقِدِ الرِّيَاسَةِ فِي سِوَاهُ كَمُعْتَقِدِ النُّبُوَّةِ فِي سَجَّاحٍ (١)

(١) هي « سجاج » بنت الحرث بن سويد بن عقمان التميمية ، وكانت تسكن الجزيرة في أخوالها من بني تلعب ، فادعت النوة وخرحت تريد فزو المدينة في عهد « أبي بكر » رضي الله عنه ، وحررت بينها وبين مسلمي قومها - من بني تميم - حروب انتهت بجزها مما اعتزمته من الذهاب إلى المدينة لنزوها ، فاقبلت إلى اليمامة وتقاتلت مع مسيلمة ، ثم رجعت إلى موطنها من بلاد الجزيرة وبقيت في أخوالها - من بني تلعب - إلى أن قتلهم « معاوية » عام المجاعة : وجاءت معهم فأسلموا وأسلمت وحسن إسلامهم .

حروب الردة وقصة سجاج ومسيلمة

وقد كتب المؤرخ « دوزي » كلمة منتهى « سجاج » - « مسيلمة » وعن حروب الردة في كتابه القيم : « تاريخ الاسلام » وقد نشرنا بعض أصوله في كتاب « مختارات كامل كيلاني » ، ونحن نحترق منه بما نرى : كان الوقت عصيباً ، وكانت الظروف عابئة في الحرج ، فقد كان موت النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كانت تقرنيه العرب منذ زمن طويل بفارغ الصبر مؤذناً بالثورة في كل مكان ، ولقد كنت ترى الثائرين - في حثما ذهبت - راضين تلم الثورة والتمرد ، وقد رجحت كفتهم أيما رجحان حتى لقد طردوا رلاتهم من بلادهم ، فلم يجد هؤلاء أمامهم ملجأ إلا المدينة ، فتقاطروا عليها من كل فج يحتمون فيها من أذامهم . وكان لا يمر يوم حتى يفد على المدينة بعض الولاة والسعال المطرودين ، وأعدت القاتل الخبيرة للمدينة عدتها لحصارها .

ككيف يعادهم « أبو بكر » وليس لديه حش بجارهم به بعد أن أرسل جيشه إلى سوريا ليفتحها تنفيذاً لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - برغم صيحة المسلمين الذين رأوا حظورة الحال ، فقد ألحوا عليه أن يعدل عن تنفيذ فكرة المتح حيثئذ ، فقال لهم - : « ان أخالف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولو أصعبت المدينة نفسها نهياً للثائرين والتمردين ولا بد لي من تحقيق مشيئته ! »

ومن ثم ترى الخطر العظيم نادياً . على أنه - على الحقيقة - خطر اقل مما تدل عليه ظواهره ، فان قوة الحضم الحقيقية لانقاس بما لديه من عتاة ورحال بل بما عسده من «وة معنوية ، وبما يصبو إلى تحقيقه من غاية سامية يتطلع إليها ويخوض غمار الحرب من أجلها باذلاً في سبيلها النفس والنفس .

فأهي العاية التي يسمي إليها الثائرون ؟ وأي حائر يدعهم إلى إضرام هذه الحرب ؟ أهو إيمان وثيق متوشح في أعماق قلوبهم كما يسميهم اقديم الذي كانوا عليه قل العتة ؟ لو كان ذلك لما كان ثمة شك في انتصارهم الحاسم !

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فانهم لا يجارون الآن لينصروا دينهم اقديم ويؤيدوه ، بل هم يشورون على دينهم الجديد لأنهم لا يطيقون احتماله .

وليس هذا بالسبب القوي الذي يلهب حماسهم ويحفزهم إلى الاتيان بمجلائل الأعمال ، ولا هو بالسبب الذي يخلق البطولة والأبدال ، فقد كان رؤساء القبائل المتردة أنفسهم شاعرين كل الشمور اصصف قوتهم المنوية ، ملجأ بعضهم إلى فكرة سخيفة حسوا أنها تعيد إليهم تلك القوة ، فادعوا النبوة ! وخيل إليهم أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يتبع إلا بهذه الفكرة فأرادوا تقليده .

ولكنهم نسوا أمراً واحداً - هو سر نجاحه في بث دعوته - ذلك أنه كان مؤمناً بما يدع إليه إيمان المستيقن الجازم . وهذا هو الذي يعوزهم وينيره لا يتم نجاح .

أُبْحَرَ الْجُودِ - فِي يَوْمِ الْعَطَايَا - وَلَيْتَ الْبَأْسِ فِي يَوْمِ الْكَفَاحِ

وكانت تلك اثورة الهائلة وتلك الحرب الشعواء - على ما أريق فيها من دماء غريرة إذا قورفت بما أتاه المسلمون في غزواتهم التي عز بها الاسلام - ظاهرة سجيمة مصعكة ، يتمثل فيها الانسان - غير قصد - كيف قبلوا تمثيل هذه الرواية الجدية - التي مثلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - مهزلة وعبثاً ؟ ألا ترى إلى مسيامة لدى مثل دور النبي صلى الله عليه وسلم في اليمامة ؟

ألا ترى إلى ذلك الدجال السوق التعس ، ذلك المشعوذ السمج الذي لا يصلح لعير التدجيل وإدخال بيضة في زجاجة ضيقة الفوهة ؟ ألا ترى إليه ينشئ قرآناً سحيفاً يقلد به محمداً - صلى الله عليه وسلم - ثم يرخص لأتباعه في شرب الخمر أنى شاءوا ، ولا يكاد يبشر دعوته حتى يصادفه سوء الحظ فتحاصره « سجاح » وتنازعه الدعوة ؟

أما « سجاح » هذه فقد كانت مسيحية نشأت في « بلاد النهرين » وجاءت تبث الدعوة لفسها - على رأس جيش عظيم فمادا يصنع مسيامة ؟

ليس أمامه إلا أن يلجأ إلى طريق المسالمة - وقد فعل - فأرسل إليها هدايا فاخرة ودناها إلى شادنته ، وطال بينهما الحوار .

ولما عادت « سجاح » إلى قومها سألوها عن رأيها في « مسيامة » فقال لهم - :

« لقد رأيته نبياً حقاً فتزوجت منه . »

سألتها التميميون - : « هل أهدي إينا شيئاً من مهر الزواج ؟ » فقالت : « لا » فقالوا لها - :

« طار علينا أن نزوج بيتنا بلا مهر ! ولن تقبل ذلك بحال ما ! »

فأرسلت إليه بذلك - وكان « مسيامة » حائماً متحصناً - فلما جاءه الرسول لم يأذن له حتى عرف العرض

الذي جاء من أحله فاضماً إليه وقال له :

« عد إلى قومك فأخبرهم أن « مسيامة بن حبيب » رسول الله قد رفع عن التميميين - من الصلوات الخمس -

صلاة الصبح والعشاء »

واقعد فرح التميميون بذلك وطلوا يتبعونه حتى بعد أن طادوا إلى الاسلام من حديد .

ومن ثم ترى أن هؤلاء النافرين ليس لهم عقيدة جدية يدافعون عنها ، فلاغرو إذا قهرهم رجل كأبي بكر

وثيق الايمان قوى الارادة صلب العزيمة لايعرف هوادة في إرعام أنوبهم ولا رحمة !

ولو شاء أبو بكر أن يبادم لتنازل لهم عن قليل من مطالبه فكسب بذلك مساعدة كثير من القبائل

- أو سدن حياتهم على الأقل - فقد وتدوه بالمواظبة على إقامة الصلاة المفروضة عليهم على شريفة أن

يعفيم من إيتاء الزكاة ، ونصحه أعيان المسلمين أن يقبل ذلك منهم فرفض رأيهم بإباء شديد ، وقال لهم :

« إن الاسلام فانون واحد لايتجرأ ، وليس لأحد أن يأخذ بيعه ويرفض البعض الآخر . »

وبدكان هذا الاصرار الحازم وذلك الحقد الشديد - على أهل الردة - سبباً في منحه قوّة أكثر مما تتصور .

ولم يكد ينتهي من إخضاع القبائل المجاورة له حتى بدأ يهاجم « طليجة » الذي كان بطلام قبل وقد جاء

يدعى الخبوة كبيره ثم جبن عن دخول المعركة فظل يرقب الحرب - وهو بعيد عن الميدان - مدثراً في عبائه ته

لَقَدْ سَفَرْتَ بِعَلَّتِكَ الْإِيَالِي لَنَا عَنْ وَجْهِ حَادِثَةِ وَقَاحٍ (١)

كأما يؤمل أن يزل وحى من السماء أو تحدث معجزة خارقة ، وقد لبث زمناً طويلاً ثم وقعت المعجزة — إذ بدأت تنهرم قبيلته أشع انهزام — وحينئذ صاح في جنده « احتذوا حذوى إن استطعتم . » ثم امتلأ جواده وأطلق له العنان وأمن في مراره .

وكانت تلك المعركة التي اصطلاها المسلمون معركة مروعة ماثلة ، وفي الحق أن الدماء التي أريقت في هذه الحرب كانت أكثر مما أريق في تلك الحروب الفاحشة التي نشبت — فيما بعد — بين المسلمين والفرس ، ثم بين المسلمين والامبراطورية الرومانية ، وقد اقترب العرب من المطامع في هذه الحرب « حرب الردة » شعناً لم يعرفها الاسلام قط . فكانوا إذا انهزم العدو تقبوه ونكلوا به . لأن الردة حراؤها القتل ، لا هودة في ذلك ولا رحمة ، وقد بعت أبو بكر إلى خالد يأمره بقوله — :
 « عليك بآبادة الكفر بالحديد والنار ، ولا تأخذك رحمة بهم قط »

ولقد انهرم أصحاب « مسيلة » — وكان عددهم زهاء عشرة آلاف مقاتل — ومرّتهم المسلمون شرّ مرّ ق ، وغرقت بلاد العرب كلها في الدماء !
 ولكن الاسلام قد خرج من تلك المعارك — الناصبة في كل مكان — مؤيداً منصوراً ، ودان به العرب سد ذلك . — طوما أكرما — فقد أقنعهم خذلانهم بوجود الاعتراف بالدين الاسلامي ، إن لم يكن اعتراف المستيقن للمؤمن فاعتراف الحائب الذي يعرف قوة هذا الدين العظيمة التي لا تحدى معها أية مقاومة .
 بعد النصر

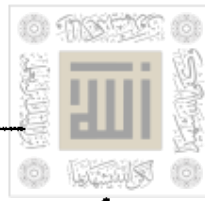
ولم يكديتم انتصار أبي بكر حتى وجه هؤلاء البدو الداءيين إلى الدماء ، إلى مهاجمة فارس : الامبراطورية الرومانية ، وهذا العمل — عند من ينظر إلى ظواهر الأمور وحدها — حراة وتبور ، ولكنه — على الحقيقة — رزاة وتغل .

ولانما سار أبو بكر في هذا على خطة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يتبعها ، وهي أن يشل العرب عن التفكير في خصومهم ولا يدع لهم وقتاً كافياً لذلك ، وقد رأى أن خير ما يربطهم بالاسلام لا يكون إلا عن طريق الفتح والانتصارات الحربية وما يجره ذلك من العنائم .

وهكذا انتهت حروب الردة ولم تقم للمرتدين بعدد ما قامة ، فقد كان عقاب الردة اقتل ، ومن هنا تظاهر الناس بالاسلام ووقفوا عند هذا الحد .

وعن — إذا استنابنا صفوة المسلمين ونواتهم المؤلفة من المهاجرين والأنصار وبعض من يمتون إليهم بسبب — لم نجد بعد ذلك من يعرف القرآن وتعاليمه إلا عدداً غايه في القلة . أما العرب الذين استوطنوا أفريقيا فقد ظلوا — حتى بعد مضي قرن من الهجرة — لا يعرفون من الاسلام أكثر من أنه دين أنى بتحريم الخمر . أما أولئك الذين استوطنوا مصر فانهم ما تحدثوا عن الاسلام أو شعلوا به أنفسهم قط . وكانوا لا يدكرون إلا أيام الوثنية وعهودها الطيبة بالشاء والحنين .

(١) وقاح : صلبة الوجه لاجياء فيها ، يقال رجل وقيح الوجه ووقاح الوجه صلبه لاجياء فيه ، والأثني وقاح بغير هاء .



أَلَسْتَ مُصِحِّهَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ ؟ وَمُبْدِي حُسْنِ أَوْجُهِهَا الصَّبَاحِ
 وَلَوْ كَشَفْتَ - عَنِ الصَّفَحَاتِ - شَامَتُ بُرُوقَ الْمَوْتِ مِنْ بِيضِ الصَّفَاحِ (١)

* * *

وَقَالَ اللَّهُ مَا تَخْشَى وَوَالِي عَالِيكَ بِصُنْعِهِ الْمَغْدَى الْمَرَّاحِ (٢)
 فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ سَوَّغَتْنا تَجَارَتَهَا الْمِلْثَةَ بِالرَّوَّاحِ
 تَجَافَيْنَا عبيدَكَ عَنْ نَفُوسِ - عَالِيكَ مِنَ الضَّنَى - حَرَى شِحَاحِ (٣)
 شَهْنَأُ فِيكَ بِالْبُرءِ الْمُؤَفَّى وَتُبْهِجُ مِنْكَ بِالْأَلَمِ الْمَزَاحِ

* * *

فَدَيْتُكَ كَمْ لِعَيْنِي مِنْ سُمُورٍ - لَدَيْكَ - وَكَمْ لِنَفْسِي مِنْ طَمَاحِ
 أَلَا هَلْ جَاءَ مَنْ فَارَقْتُ أَنِي بِسَاحَاتِ الْمُنَى رَفْلُ الْمَرَّاحِ (٤)
 وَأَنِي - مِنْ ظِلَالِكَ - فِي زَمَانِ نَدَى الْأَصَالِ رَقْرَاقِ الضَّوَّاحِي
 تُحَيِّبُنِي بِرِيْحَانِ التَّحْفِي وَتُصْبِحُنِي مُعْتَقَةُ السَّمَاحِ (٥)
 فَهَذَا أَنَا قَدْ تَمَلْتُ مِنَ الْأَيَادِي إِذِ اتَّصَلَ اغْتِيَابِي فِي أَصْطَبَاحِي

(١) لو كشف هذه الليالي ، وأبدت عن صفحة الشر والعداء لثام سيف بأس المدوح تلمع يبروق موت وهلاك تلك الليالي التي فاحأنا بمرضه ، بعد أن أصحها من كل داء وخلع عليها من الرواء والحسن أبهى رداء .

(٢) وقال الله ما تخشى من عارض المرض وعصمك من كل محذور ومخوف ، وتمهدك بجميل صنعه المغدى المراح أى الذى يجعله يسد عليك فى أوله النهار ، ويروح فى آخره ، فلا يفتك صديقه ، ولا يتغلف عنك لإحسانه .

(٣) الضنى : السقم ، وحرى : عطشى ، وشحاح : جمع شحيحة من الشح وهو البخل .

(٤) الرفل : جر الدليل وركضه بالرجل ، يقول : ألا هل أنى من فارقت من فتیان « قرطبة » أنى أجر ذيل مرح وأرفل فى ثياب النعمة وفضارة العيش .

(٥) التحفى : الحفاوة ، والسماح : الجود .



فَإِنْ أَعْجِزْ فَإِنَّ النُّصْحَ تَقَفُّ
وَمَا لَقَيْتَ سَعْيِي مِنْ نَجَاحِ

* * *

لَقَدْ أَنْفَذْتَ - فِي الْأَمَالِ - حُكْمِي
وَهَلْ أَخْشَى وَقُوعًا - دُونَ حَظِّ -
فَمَا أَسْتَسْقِيْتُ مِنْ غَيْمِ جَهَامِ -
وَوَاصَ - لَنِي جَمِيلِكَ - فِي مَغِيْبِي -
وَلَمْ أَنْفَكْ - إِذْ عَدَّتِ الْعَوَادِي -
فَحَسْبِي أَنْتَ - مِنْ مُسَدِّ لِنُعْمِي -
وَأَجْرِيَتَ الزَّمَانَ عَلَى اقْتِرَاحِي
إِذَا مَا أَثَّ رِيْشُكَ مِنْ جَنَاحِي
وَلَا أَسْتَرَوَيْتُ مِنْ زَنْدِ شِحَاحِ -
وَطَالَعَنِي نَدَاكَ مَعَ اتِّزَاحِي
إِلَيْكَ رَهِيْنِ شَوْقِ وَالتِّيَاحِ
وَحَسْبُكَ بِي بِشُكْرِ وَامْتِدَاحِ

هدية تفاح

« وأهدى إليه تفاحا وأراد أن يكتب معه قطعة ،
فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها . »

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِدَةً وَفَدْتَ خَيْرَ وَافِدَةٍ
وَجَدْتَ سُوقَ ذَوْبِهَا - عِنْدَ تَقْوَاكَ - كَاسِدَةٍ
فَاسْتَحَالَتْ إِلَى الْجُمُودِ دِ وَجَاءَتْ مُكَابِدَةً

والقطعة التي بعثت هي هذه

جَاءَتْكَ وَافِدَةُ الشَّمُولِ فِي الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ
لَمْ تَحْظَ ذَائِبَةً لَدَيْكَ وَلَمْ تَنْلِ حَظَّ الْقَبُولِ



فَتَجَامَدَتْ مُحْتَمَالَةً وَالْمَرْءُ يَعْجَزُ لِأَلْحَوِيلِ (١)
لَوْلَا أَنْقِلَابُ الْعَيْنِ سُدَّتْ دُونَ بُغْيَتِهَا السَّبِيلِ (٢)
لَهَجَرَتْهَا صَفْرَاءٌ فِي بَيْضَاءٍ هَاجِرُهَا قَلِيلٌ
الْكَأْسُ مِنْ رَأْدِ الضَّحَى وَالرَّاحُ مِنْ طَفَلِ الْأَصِيلِ
آثَرَتْ عَائِدَةَ الثُّقَى وَرَغِبْتَ فِي الْأَجْرِ الْجَزِيلِ
يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي مَا فِي الْمُلُوكِ لَهُ عَدِيلٌ
يَأْمَأُ مَزْنٌ ، يَأْشَاهَا بَدُوجِنَّةٍ (٣) ، يَأَلَيْتَ غَيْلِ
يَأْمَنْ عَجِبْنَا أَنْ يَجُوءَ دَ عِثْلِهِ الزَّمَنْ الْبَحِيلِ
بُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٌ فِي ظِلِّ إِقْبَالِ ظَلِيلِ
رَقَّتْ كَمَا سَأَلَ الْعِدَا رُبِّ بِيحَانِيبِ الْخَدِّ الْأَسِيلِ
وَتَأَوَّدَتْ كَالْعُصْنِ قَا بَلَّ عِطْفَهُ نَفْسُ الْقَبُولِ (٤)
يُضِي مَقْبَلُهَا الشَّهِي وَلَحْظُهَا السَّاجِي الْعَلِيلِ
فَتَمَلَّهَا (٥) فِي الْعِزَّةِ الْقَمْعَمَاءِ وَالْعُمُرِ الطَّوِيلِ

(١) الحويل : الحيلة ، يقال : احتال احتيالا وحولا وحيلة وحويلا ومخاللة ، قال دؤاد يمانب زوجه :

« حازلت - حين صرمتي - والمرء به - بحر لا أخاله
والدهر يلمب نالف - حتى والدهر أروغ من ثماله
والمرء يكسب ماله بالشح ، يورثه الكلاله . »

وفي المثل المشهور : « المرء يعجز لا المخاللة » أو « لا المخاللة » في رواية أخرى ، أي لانتصيق مخارج الأمور
إلا على العاثر الذي لا يعرف وجوه الخيل . ويقال : احتال وتحيل وتحول ، قال أبو الملاء :
« لا يعجبك خياط - فام في ملا بخطبة - ذات معناها وطولها
فما المظان - وإن راع - سوى حيل من ذي مقال على ناس تحولها . »

(٢) يقول : لولا انقلاب عينها من ذاتية إلى جامدة اسدت دون ما تنبيه من إهداء نفسها إليك السبيل
لأنك لا تبيح لها أن تزور مجلسك وهي دائبة . (٣) يقال يوم دجنة ، والدجنة : الظلمة والقيم المطبق
الريان المعظم لا مطربه . يقول : إنك نور تندد الدياسي والظلمات .
(٤) القبول : ربح العبا ، قالوا وذلك بأنها تقابل الدبور . (٥) إنعم بها .

شكر على زيارة

« قال يشكر المعتمد على الله أبا القاسم محمد
 ابن المعتض بالله عباد بن محمد بن عباد ، وقد
 شرفه بالعبادة في بعض عله . »

لَسْتُ بِالْجَاهِدِ آلاءَ الْعِلْمِ كَمَ لَهَا مِنْ أَلْمٍ يُدْنِي الْأَمَلَ
 أَجْتَلِي - مِنْ أَجْلِهَا - بَدْرَ الْعَلَا مُشْرِقًا فِي مَنزِلِي حِينَ كَمَلَ
 حُلَّةُ الْبَسِّ عَيْنِي فَخَرَهَا فَأَعْتَدْتُ تَرْفُلًا فِي أَبْهَى الْحُلَلِ
 رَفَّ بِشْرِ الْأُفُقِ فِي عَيْنِي لَهَا لَا لِأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ (١)
 مَا أَبَالِي مِنْ زَمَانِي بَعْدَهَا - إِذَا صَحَّ النَّفْسَ - إِنْ جَسَمِي أَعْلَ (٢)

أَيُّهَا الْمَوْلَى لَقَدْ حُمِلْتُ مَا لَمْ يَدْعُ فِي وَسْعِ عَبْدٍ مُحْتَمَلٍ
 وَضَحَّ الطُّوقُ الَّذِي حَلَيْتَنِي قَتْرَاءُ تَهْ نَفُوسٌ لَا مُقَلَّ (٣)
 أَنَا لَوْ طَوَّقْتُ مِنْهُ بَدَلًا أَنْجُمَ الْجَوَازِءِ لَمْ أَرْضَ الْبَدَلِ
 كَمْ مَرَادِي - مِنْ نَعْمَائِكُمْ - وَارِفِ الظِّلِّ وَكَمْ وَرِدِ عِلَلٍ (٤)
 لَا تَزَلْ دَوْلَتُكُمْ مَبْسُوطَةً بَسْطَةً فِي طَيْهَا قَبْضُ الدُّوَلِ
 وَرَأَى الْمُتَضِيدُ الْمَنْصُورُ مَا أَنْبَأْتَهُ فِيكَ لَيْتَ أَوْ لَعَلَّ
 فَسَلِّقَاهُ اللَّيَالِي طَلَمَةً بِتَفَارِيْقِ أَمَانِيهِ جَمَلٍ (٥)

- (١) الحمل : برج في السماء من البروج الربيعية ، يقول إن الأذى أشرق بنوره وازدان بيهاه لا يباه الشمس التي حلت في برج الحمل .
 (٢) يقول : لا أبالي بعد أن صحت نفسي بزيارته وتشريفه منزلي إن أرض الدهر حسمى .
 (٣) يقول : إن إحسانك الذي طوَّقت به عني قد وضع للبهوس لا للعيون . وفي الأصل : تماءته من ماى في الشيء يعاى مايا بالغ وتمأى الحنء إذا مددته، وقد سبق له هذا المعنى في قوله :
 « يا هلالا تترءا . نفوس لا عيرن . » انظر صفحة ٣٩ .
 (٤) العلل : الشرب الثاني ويقال علل بعد نهل أى شرب ثمان بعد شرب أول أى أنه ورد حياض كرمه مرة بعد أخرى . (٥) أى سينيله الدهر جملة أمانيه المنفرقة فلا يدع منها شيئا إلا حققه له .

« وقال يهيه أيداه الله بقدم وإبلال » .

أَقْدَمَ كَمَا قَدِمَ الرَّيِّسُ الْبَاكِرُ
قَسَمًا لَقَدْ وَفَى الْمُنَى وَتَفَى الْأَسَى
لَيْسَرَ مُكْتَتِبٌ وَيُنْفَى سَاهِرٌ
قَفَلٌ وَإِبْلَالٌ - عَقِيبٌ مُطِيفَةٌ -
إِنْ أَعْنَتَ الْجِسْمَ الْمَكْرَمَ وَغَسَّكَهَا
مَا كَانَ إِلَّا كَأَنْجِلَاءِ غِيَابَةٍ
فَلْتَمَعْدُ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ وَدَأْبُهَا
إِنْ كَانَ أَسْعَدَ - مِنْ وَصُولِكَ - طَالَعُ
أَضْحَى الزَّمَانِ نَهَارُهُ كَافُورَةٌ
قَدْ كَانَ هَجْرِي الشَّعْرَ - قَبْلُ - صَرِيعةً (٥)
حَتَّى إِذَا آنَسْتُ أَوْبِكَ بَارِتًا
عَى قَلْبَتَ إِلَى الْبَلَاغَةِ عِيَّةُ
لَقَّحْتَ ذَهْنِي ، فَأَجْنُ غَضَّ عِمَارِهِ

وَأَطْلَعُ كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الزَّاهِرُ
مَنْ أَقْدَمَ الْبُشْرَى بِأَنَّكَ صَادِرُ
وَيَرَّاحُ مَرْتَقِبٌ وَيُوفِي نَاذِرُ
غَشِيَتَ كَمَا غَشِيَ السَّبِيلَ الْعَابِرُ (١)
فَلَرُبَّمَا وَعِكَ الْهَزْبُ الْخَادِرُ (٢)
لَيْسَ الْفِرْدُ نَدَبُهَا الْحُسَامُ الْبَاتِرُ (٣)
شُكْرٌ يُجَاذِبُهُ الْخَطِيبَ الشَّاعِرُ
فَكَذَلِكَ أَيْمَنَ مِنْ قُفُولِكَ (٤) طَارُ
وَاللَّيْلُ مِسْكٌ - مِنْ خِلَالِكَ - عَاطِرُ
حَذَرِي لِدَاكَ النَّقْدِ فِيهَا عَاذِرُ
صَفَتِ الْقَرِيحَةَ وَأَسْتَنَارَ الْخَاطِرُ (٦)
لَوْ لَا تُقَاكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ سَاحِرُ (٧)
فَالنَّخْلُ يُحْرِزُ مُجْتَنَاهُ الْآبِرُ (٨)

(١) يقول : قدوم من السر ، وإبلال من المرض عقيب علة أطام بك وغشيتك غشيان طار سائل .
(٢) الوعك : الحمى أو ألمها والموعوك الموعوم ، والخادر : الفاتر الكسلان ، والأسد الخادر : المقيم في خدره أي الذي لزم عربته . (٣) يقول : لم يكن المرض إلا فترة طاد بعدها الحسام إلى حلأته ورووقه .
(٤) رجوعك . (٥) الصريعة : المزعة ، يقال : « هو رجل ذو صريعة وصرائم » أي ذو عزيمة ، يقول : إنى هجرت قبل قدومك الشعر هجرا صارما فاطعاً ، وعذري في ذلك واضح وهو ما كنت أحذره من ذلك النقد الذي يتعرض له شعري ، أما الآن فقد صفت القريحة لأوبتك بارئاً . (٦) يقول كنت اعترمت هجراً بشعر حتى إذ آنس خاطري لإياك من سمرك صفت قريحتي وشحد فكري ففتحت أمامي طرق الشعر .
(٧) يقول إنك ألهمت العبي بالبيان فعاد بليعا ولولا أنك تقي لانهمتك بالسحر في ذلك . وفي الأصل : « عي رددت إلى البلاغة عينه . »

(٨) يقال لفتح النخلة وألحقها وألحق الفحل الناقه أحبلها ، وألقت الرمح الشجر والسحاب أحلتها ، والواقع من الرياح : التي تحمل الندى ثم تمجبه في السحاب فاذ اجتمع في السحاب صار مطراً ، يقول إنك : لفتت ذهني - كما يفتح الزارع النخلة - فأني بأحسن الثمر وأشبهاء ، فأنت أحق باجتناء الثمر لأنك غارسه وتمعده .

كَمْ قَدْ شَكَرْتُكَ - غِيبٌ ذَكَرَكَ - فَأَنْتَشَى مُتَدَكِّرٌ مِنِّي وَغَرَدَ شَاكِرٌ (١)

يَأَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَدِيَاؤُهُ * * * مَثَلٌ - تَنَاقَلُهُ اللَّيَالِي - سَائِرٌ
يَا مَنْ لِبَرَقِ الْبَشْرِ مِنْهُ تَهَلُّلٌ مَا شِيمَ إِلَّا أَنْهَلَ جُودٌ هَامِرٌ
أَنْتَ ابْنُ مَنْ مَجَّدَ الْمُلُوكَ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْمَجْدِ عَيْنٌ فَهَوَ مِنْهَا نَاطِرٌ
مَلِكٌ أَعْرَأُ أَزْدَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَأَعَزَّ دِينَ اللَّهِ مِنْهُ نَاصِرٌ
أَبْنَاكَ فِي ثَبَجِ الْمَجْرَةِ قُبَّةٌ فَهَنَّاكَ أَنْكَ لِلنُّجُومِ مُخَاصِرٌ (٢)
وَتَلَقَّ - مِنْ سِمَتِيكَ - صِدْقَ تَفَاوُلِي فَهَمَّا « الْمُوَيْدُ » بِالْإِلَهِ « الظَّافِرُ » (٣)

ابتداء قصيد

« وقال ابتداء قصيد اعتقد إنفاذه إليه وقد طالت
غيبته في بعض أسفاره ولم يكلمه . »

سَأَهْدِي النَّفْسَ فِي نَفْسِ الشَّمَالِ فَقَدْ لَقِحَ التَّشْوِيقُ عَنْ خِيَالِ
إِلَى الشَّيْنِ الْعَزَائِمِ - إِنْ أُثِيرَتْ حَفِيظَتُهُ - إِلَى اللَّذَنِ الْخِلَالِ (٤)
إِلَى الْوَصَّاحِ آثَارَ الْمَسَاعِي ، إِلَى النَّفَّاحِ أَخْبَارَ الْمَعَالِي ،
إِلَى مَلِكٍ هُوَ الْمَعْنَى الْمَجَلِيَّ بِهِ الْإِشْكَالُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ
إِلَى مَنْ لَا مَثِيلَ لَهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي السَّرْجِ أَوْ فَوْقَ الْمِثَالِ
هَدِيَّةٌ مَنْ - لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ سَنَى مُنَاهُ - هَدَى إِلَيْكَ سُرَى الْخِيَالِ
فَكَمْ بَوَّأْتَنِي سَاحَاتِ نَعْمِي عَذَابِ الْوَرْدِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ

(١) يقول ما شكرتك عقب ذكراك لإلا تمك من نشوة المرح وغردت بالثناء عليك . وفي الأصل :
« وعربد شاكر . » (٢) تيج الحجر وسطها أو أعلا مكان فيها ، وتخاصر : أي تمشي إلى جنبها ،
يقول : « لقد بنى لك أبوك قبة في ذروة الحجر فهيننا لك هذا المقام الرفيع الذي تخاصر فيه النجوم في عليانها . »
(٣) يقول : ثق بتفاؤلي فيك فسيحقق الله صدق لفيك وهما المؤيد والنصور فيؤيدك وينصرك على أعدائك .
(٤) إلى ذي العزيمة القوية إن هاجه مثير والحلال المرضية السمعة إذا لاينه سالم ، وفريب من هذا
قول ابن دريد :

« سهل إذا لونت لذن معطني أوى - إذا خوشفت - مرهوب الشذا . »

إلى أبي القاسم

« كتب إلى أبي القاسم بن رفق »

عِذْرِي^(١) - إِنْ عَذَلْتِ فِي خَلْعِ عِذْرِي^(٢) - غُصْنٌ أَثْمَرَتْ ذُرَاهُ بِيَدْرِ^(٣)
هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَقَوْمٌ شَطْرًا - وَتَجَافَى - عَنِ الْوِشَاحِ - بِشَطْرِ
رَشَاءٍ أَقْصَدَ^(٤) الْجَوَانِحَ قَصْدًا - عَنْ جُفُونِ كَحْلِنَ - عَمْدًا - بِسِحْرِ
كُسَى الْحُسْنِ فَهَوَّ يَفْتَنُ فِيهِ - سَاحِبًا ذَيْلَ بُرْدِهِ الْمُسْبِكِ^(٥)
تَحْتَ ظَلِي - مِنَ الْعَرَارَةِ - فِينَا - نَ وَوُزْقِ^(٦) مِنَ الشَّبِيبَةِ نُضْرٍ
أَبْرَزَ الْجَيْدَ فِي غَلَائِلِ بِيضٍ - وَجَلَا الْخَدَّ فِي مَجَاسِدِ حُمْرٍ^(٧)
وَتَشَدَّتْ بِعِطْفِهِ - إِذْ تَهَادَى - خَطْرَةٌ تَمْرُجُ الدَّلَالِ بِكِبْرِ
زَارِنِي - بَعْدَ هَجْمَةٍ - وَالْثَرِيَا - رَاحَةٌ تَقْدِرُ^(٨) الظَّلَامَ بِشِبْرِ
وَالدُّجَا - مِنْ نُجُومِهِ - فِي عُقُودِ - يَتَلَّانَ مِنْ سِمَاكِ وَنَسْرِ
تَحْسَبُ الْأَفْقَ يَبْنَاهَا لِأَزُورِدَا - مُثْرَتَ - فَوْقَهُ - دَنَانِيرُ تَبْرِ
فَرَشَفْتُ الرُّضَابَ أَعْدَبَ رَشْفٍ - وَهَصَرْتُ الْقَضِيبَ الْطَفَّ هَصْرِ

(١) عذر - جمع عذرة بالكسر - أى معاذير . (٢) عذر : بضم أوله وثانيه جمع عذار وهو

الحياء ، وخلق العذار أى ترك الحياء .

(٣) يقول لاني إذا خلعت عذارى فى الهوى فان معاذيرى واضحه فقد فنتى قوامه المياد الذى يشبه الفصن

ووجهه الضىء كالدر . (٤) يقال أقصد فلانا : طعنه فلم يخطئه .

(٥) المسبكر : المسترسل ، والمسبكر كل شىء امتد وطال .

(٦) الورق الحائم الذى يضرب لونها إلى خضرة ، قال جرير العود :

« وكان فؤادى قد صحاء ثم هاجنى حاتم ورق بالمدينة هتف . »

(٧) المجاسد - جمع مجسد - وهو الفميص الذى يلى البدن ، قال ابن الأعرابى : « ولا تخرجن إلى

(٨) تقيس .

« المساجد بالمجاسد »

وَنَعِمْنَا بِلَفِّ جِسْمٍ بِجِسْمٍ - لِلتَّصَافِي - وَقَرَعِ تَغْرِ بِشَغْرِ
يَالهَا ! لَيْسَلَةَ تَجَلَّى دُجَاهَا - مِنْ سَنَا وَجَنَّتِيهِ - عَنْ ضَوْءِ نَجْرِ
قَصَرَ الوَصْلُ نُمْرَهَا، وَبِوَدِّي أَنْ يَطُولَ الْقَصِيرُ مِنْهَا بِعُمْرِي

* * *

مَنْ عَدِيرِي مِنْ رَبِّبِ دَهْرٍ خَثُونِ - كُلَّ يَوْمٍ - أُرَاعُ مِنْهُ بِغَدْرِ
كُلَّمَا قُلْتُ : « حَاكَ فِيهِ مَلَامِي » نَهَسْتَنِي مِنْهُ عَقَارِبُ تَسْرِي (١)
وَتَرْتَنِي خُطُوبُهُ فِي صَفِيٍّ - فَاضِلٍ نَابِهِ - مِنْ الدَّهْرِ - وَتَرِ (٢)
بَانَ عَنِّي - وَكَانَ رَوْضَةً عَيْنِي - فَعَدَا الْيَوْمَ وَهُوَ رَوْضَةٌ فِكْرِي (٣)
فَكَهْ يُبْهِجُ الْخَلِيلَ بِوَجْهِهِ - تَرِدُ الْعَيْنُ مِنْهُ يَنْبُوعَ بَشْرِ
لَوْذَعِي - إِنْ يَبْلُهُ الْخُبْرُ يَوْمًا - أَخْجَلَ الْوَرْدَ عَنْ خَلَائِقَ زُهْرِ
وَإِذَا غَازَلْتَهُ مُقْلَةً طَرَفِ كَادَ - مِنْ رِقَّةٍ يَدُوبُ - فَيَجْرِي (٤)

* * *

يَا «أَبَا الْقَاسِمِ» الَّذِي كَانَ رِدْثِي وَظَهِيرِي - عَلَى الزَّمَانِ - وَذُخْرِي

(١) حاك : رشح أو أثر فيه ، ونهستى : عصتني ، يقول : « كلما قلت إن زمانى قد ارعوى وأثر فيه عتابى ظهر لى خطئى فى ظى وعصتني عقارب لوم تدب إلى وتسرى فى الظلام من عقارب دهرى » ولله درّ أبوالملاء إذ يقول فى الزمن :

« وغيظ بنوه هم ، وغيظ منهم فعدب ساكنيه وهدبوه
وما يخشى الوعيد فبوعدوه ولا يرعى العتاب يعببوه
أساء - بجهله - أدبا عليهم فهل من حيلة فيؤدبوه . »

(٢) وتر : فذ . (٣) كنت أراه ألامى فننعم به عيناي واليوم لا أراه - بعد نأيه - فأصبح

ينعم خاطرى بذكراه .

(٤) يقول إنه كاد من رقته يسيل . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

« أبيضمى غنث الشماثل - لوفضا عنه غلاته - حساه الحامى . »

يَا أَحَقَّ الْوَرَى بِمَمْحُوضِ إِخْلَا صِي وَأَوْلَاهُمْ بِنَايَةِ شُكْرِي
طَرَقَ الدَّهْرُ سَاحَتِي - مِنْ تَنَائِيكَ - بِجَهْمٍ مِنَ الْحَوَادِثِ نُكْرِي

* * *

لَيْتَ شِعْرِي ! وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ بِمُجْدٍ عَلَى الْفَتَى : «لَيْتَ شِعْرِي» (١)
هَلْ نِلَّحَالِي زَمَانِنَا مِنْ رُجُوعٍ ؟ أَمْ لِمَاضِي زَمَانِنَا مِنْ مَكْرٍ ؟

* * *

أَيْنَ أَيَّامُنَا وَأَيْنَ لَيَالِي كَرِيَاضِ لَيْسَنَ أَفْوَافِ زَهْرِي
وَزَمَانُ كَأَنَّمَا دَبَّ فِيهِ وَسَنُ أَوْ هَفَا بِهِ فَرَطُ سُكْرِي
حِينَ نَعْدُو إِلَى جَدَاوِلِ زُرْقِي يَتَغَلَّغَلْنَ فِي حَادِثِ خُضْرِي
فِي هِضَابٍ - مَجْلُوءَةِ الْحُسْنِ - مُحْرِي وَبَوَادِي - مَصْقُولَةِ النَّبْتِ - عَفْرِي
تَتَعَاطَى الشَّمُولِ - مُذْهَبَةَ السَّرِّ بَالٍ - وَالْجَوْ فِي مَطَارِفِ (٢) غُبْرِي
فِي فُتُو (٣) تَوَشَّحُوا بِالْمَعَالِي وَتَرَدُّوا بِكُلِّ مُجْدٍ وَفَخْرِي
وُضِّحَ تَنَجَّلِي الْغِيَاهِبِ مِنْهُمْ عَنَ وَجُوهِ - مِثْلَ الْمَصَائِيحِ - غُرِّي
كُلُّ خِرْقٍ يَكَادُ يَنْهَلُ ظَرْفًا زَانَ مَرَأَى بِهِ بِأَكْرَمِ خُبْرِي (٤)

(١) يقول «ليت شعري» ، وإن كنت أعلم أنها غير مجدية ، قال ابن الرومي :

« يا ليت شعري وليت غير مجدية إلا استراحة قلب وهو اسوان . »

وقال الشاعر :

« ليت وهل ينفع شيئا « ليت » ليت شبابا بيع فاشترى . »

(٢) مطارف - جمع مطرف بضم الميم وكسرهما - مع فتح الراء في كليهما - : رداء سريع من خز

ذو أعلام . (٣) فتو - جمع فتى وهو يجمع على فتيان وفتو وفتى بتشديد الواو والياء .

(٤) الحرق : من الفتيان الطريف في ساحة ونجدة ، وينهل : يريد يكاد يسيل رقة وظرفا ، وقد جاء

بعد هذا البيت قوله :

« محس حالي نفع المسك عرفها طيب بشر . »

وقد أبتناه كما ورد ناقصاً بالأصل .

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ كُفُوسٌ
أَوْ رِيَاضٌ قَدْ جَادَهَا صَوْبُ قَطْرِ
يَتَلَقَّى الْقَبُولَ مِنِّي قُبُولٌ
كُلَّمَا رَاحَ نَفْحُهَا أَرْتَاحَ صَدْرِي
فَهُوَ يَسْرِي مُحْمَلًا - مِنْ سَجَايَا
كَ - نَسِيمًا يُرْهِى بِأَفْوَحِ عِطْرِ

* * *

يَا خَلِيلِي وَوَاحِدِي وَالْمُعَلِّي
لَا يَضَعُ وَدِّي الصَّرِيحُ الَّذِي أَرُ
وَتَوَالِي أَدِمَّةٍ نَظَمْتَنَا
لَا يَكُنْ قَصْرُكَ الْجَفَاءَ ، فَإِنَّ الْوُدَّ
وَأَعِدْ - بِالْجَوَابِ - دَوْلَةَ أَنَسٍ
وَأَكْسُ مَتْنِ الْقِرْطَاسِ دِيْبَاجَ لَفْظٍ
غُرَّرُ مِنْ بَدَائِعٍ لَا يَشُكُّ
تَتَوَالِي عَلَى النُّفُوسِ دِرَاكًا
شَدَّ فِي حَلْبَةِ الْبَلَاغَةِ حَاسِي
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْجَلْ جَوَابِي
فَأَبْقَ - فِي ذِمَّةِ السَّلَامَةِ - مَا أَنْجَا
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا غَنَّتِ الْوُزُ
مِنْ قِدَاحِي ^(١) وَالْمُسْتَبَدِّ بِرِي
صَاكَ مِنْهُ أَسْتَوَاهُ سِرِّي وَجَهْرِي
نَظْمَ عِقْدِ الْجُمَانِ فِي نَحْرِ بَكْرِ
وَدَّ - إِنْ سَاعَدَتْ حَيَاتِي - قَصْرِي ^(٢)
قَدْ تَقَضَّتْ إِلَّا غُلَّالَةَ ذِكْرٍ ^(٣)
يَبْهَرُ الْفِكْرَ مِنْ نَظِيمٍ وَشَرِّ
الْدَّهْرُ فِي أَنَّهَا قَلَائِدُ دُرٍّ
عَنْ فَتَى مُوسِرٍ - مِنَ الطَّبَعِ - مُثْرٍ
بَانَ فِيهَا عَنْ شَأْوِ سَهْلٍ وَعَمْرٍو
كَانَ هَذَا الْكِتَابُ بَيْضَةً عَقْرٍ ^(٤)
بَ عَنِ الْأَفْقِ عَارِضٌ مُتَسَرِّ
قُ وَمَالَتْ بِهَا ذَوَائِبُ سِدْرِ ^(٥)

(١) أي القدح المعلى . (٢) يقول : لا يكن قصارك الجفاء فان قصارى الوداد أى لا تكن ظابتك قطيعتي فان غابتي وصلك .

(٣) يقول : أعد عهد الأنا الذي مضى ولم يترك لنا إلا ذكريات تتعلل بها .

(٤) إذا لم تعجل بالرد على كتابي كان هذا آخر كتاب أبعث به إليك .

(٥) السدر : شجر البق يقول : « تحبني إليك كلما غنت الحمام ومالت بها أغصان الشجر . »



مدح ابن جهور ورثاء أمه

« كرّر ابن زيدون في هذه القصيدة أكثر
 الايات السابقة التي ذكرناها في ص « ١٤٠ »
 من هذا الديوان . »

هُوَ الدَّهْرُ فَأَصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ
 سَتَّصِبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةِ
 حِذَارِكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرُّزْءَ فِتْنَةً
 إِذَا أُسِفَ الشُّكْلَ اللَّيْبُ فَشَفَهُ
 مُصَابُ الَّذِي يَأْسَى بِمَيْتِ ثَوَابِهِ
 فَمَنْ شِيمِ الأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَآ - الصَّبْرُ
 فَلَا تَرْضَ بِالصَّبْرِ الَّذِي مَعَهُ وِزْرُ
 يَضِيقُ لَهَا - عَنِ مِثْلِ أَخْلَاقِكَ - العُدْرُ
 رَأَى أْبْرَحَ الشُّكْلَيْنِ أَنْ يَحْبِطَ الأَجْرُ
 هُوَ البَرْحُ لِآلِ المَيْتِ الَّذِي أَحْرَزَ القَبْرُ

* * *

حَيَاةَ الوَرَى نَهْجٌ إِلَى المَوْتِ مَهِجٌ
 فَيَاهَادِي المِنْهَاجِ جُـرَّتْ فَإِنَّمَا
 كُنَّا - فِي سِوَانَا - عِبْرَةٌ غَيْرَ أَنَّنَا
 إِذَا المَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ كُلُّ مُعَمَّرٍ
 لَهُمْ فِيهِ إِضَاعٌ كَمَا يُوضِعُ السَّفْرُ
 هُوَ الفَجْرُ يَهْدِيكَ الصَّرَاطَ أَوْ البَجْرُ
 تُعْرَى بِأَطْمَاعِ الأَمَانِي فَفَعَّرَتْ
 فَإِنَّ سِوَاهُ طَالَ أَوْ قَصَرَ العُمُرُ

* * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ رِيحَ ذِمَارِهِ
 بِحَيْثُ أُسْتَقَلَّ المَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ
 هُوَ الضَّيْمُ لَوْ غَيْرَ القَضَاءِ يَرُومُهُ
 فَلَمْ يُغْنِ أَنْصَارُهُ عَدِيدُهُ وَلَا وَفْرُهُ
 وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ العَسْكَرُ المَجْرُ
 شَاءَ المَرَامُ الصَّعْبُ وَالمَسَلِكُ الوَعْرُ



إِذَا عَثَرْتَ جُرْدُ السَّوَاخِ فِي الْقَنَا
لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي عَلَيْنَا بِدَعْوَةٍ
بَدِيلِ عَجَاجٍ لَيْسَ يَصْدَعُهُ فَجْرُ
عَوَانٍ أَمْضَتْنَا لَهَا لَوْعَةٌ بِكْرُ

* * *

أَنْفَسُ نَفْسٍ - فِي الْوَرَى - أَفْصَدَ الرَّدَى؟
هَنِيئًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدِّدُ
بَطَاهِرَةِ الْأَثْوَابِ ، قَاتَةِ الضُّحَى
قَانَ أَنْثِيَتْ فَالْنَفْسُ أَنْأَى نَفِيسَةٍ
حَصَانُ - إِنْ النُّقْوَى أُسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا -
يُطَاطَأُ سِتْرُ الصَّوْنِ دُونَ حِجَابِهَا
وَأَخْطَرُ عِلْقٍ - لِلْهُدَى - أَهْلَكَ الدَّهْرُ؟
بِشَاوِيَةٍ حَلَّتْهُ فَاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ
مُسَبِّحَةِ الْآنَاءِ ، مِحْرَابِهَا الْخِذْرُ
إِذِ الْجِسْمُ لَا يَسْمُو لِتَذْكِيرِهِ ذِكْرُ
فَمَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسْتَوْضَحُ الْجَهْرُ
فَيَرْفَعُ - عَنْ مَثْنَى نَوَافِلِهَا - السِّتْرُ

* * *

لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ تَتْرَى تَحِيَّةً
وَعَاهِدَ تِلْكَ الْأَرْضَ عَهْدُ غَمَامَةٍ
لَقَدْ أُدْرِجَتْ - أَثْنَاءَ هَا - النِّعَمُ الْخَضْرُ
يُنَسَّمُهَا الْغُفْرَانُ رِيحَانِهَا النَّضْرُ
إِذَا أُسْتَعْبِرَتْ فِي ثُرْبِهَا أُبْتَسَمَ الزَّهْرُ

* * *

فَدَيْنَاكَ ، إِنْ الرُّزْءُ كَانَ غَمَامَةً
أَلَسْتَ الَّذِي - إِنْ ضَاقَ ذَرْعُ بِحَادِثٍ -
تَعَزَّ بِحَوَاءٍ - الَّتِي الْخَلْقُ نَسَلُهَا -
نِسَاءَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أُمَّهَاتِنَا
وَجَازَيْتَهَا الْحُسْنَى ، فَأُمَّ شَفِيقَةٍ
طَلَعَتْ لَنَا فِيهَا كَمَا يَطْلُعُ الْبَدْرُ
تَبْلُجٍ مِنْهُ الْوَجْهُ وَأَتَّسَعَ الصَّدْرُ
فَمَنْ دُونَهَا فِي الْعَصْرِ يَتَّبِعُهُ الْعَصْرُ
ثَوِيْنٌ فَعَنَّا هُنَّ - مُذْ حُقْبٍ - قَفْرُ
تَحَنَّنِي بِهَا ابْنُ كُلِّ أَعْمَالِهِ بَرُّ



تَوَالَتْ - كَنَظْمِ الْعِقْدِ - آمَالَهَا النَّوْمُ
فَإِنْ أَسْعَفَتْ بِالْحَظِّ فِيكَ وَفَى النَّذْرُ
نَفَائِسَ ذُخْرِ مَا يُقَاسُ بِهِ ذُخْرُ
وَتُسْتَدْفَعُ الْبَلْوَى ، وَيُسْتَقْبَلُ الصَّبْرُ
فِنَّكَ - لِمَنْ هَاضَتْ نَوَائِبُهَا - جَبْرُ
لَعِينِكَ مَشْدُودٍ بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ

تَمَنَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا
كَانَ الرَّدَى نَذْرُ عَلَيَّهَا مُؤَكَّدُ
تَوَلَّتْ فَأَبَقَتْ - مِنْ مَجَابِ دُعَاهَا -
تَمُّ بِهِ النُّعْمَى ، وَتَنَسَّقُ الْمُسْنَى ،
فَلَا تَهْرِضِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهَا
وَلَا زِلْتَ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقُرَّةِ

* * *

لِمَافِيكُمْ - فِي أَفْقِهَا - أَنْجُمُ زُهْرُ
وَإِنْ تَضَحَكَ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا نَعْرُ
حُسَامٌ عَلَيْهِ - مِنْ طَلَاقَتِهِ - أَثْرُ
فَصَيَّبَهَا الْجَدْوَى ، وَبَارِقُهَا الْبِشْرُ
تَضَوَّعَتِ الْأَخْبَارُ ، وَأُسْتَمَجَدَ الْخَبْرُ
وَنَائِلُكُمْ ثَمْرُ ، وَمَذْهَبُكُمْ قَصْرُ
هُنَاكَ الْأَيْدِي الشَّفَعُ وَالسُّودَدُ الْوِثْرُ
وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبْرُ
عَلَيْنَا ، فِنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

بَنِي « جَهْوَرِ » أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَّاسَةِ
تَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَنَكْمُ يَمِينُهُ
لَكُمْ كُلُّ رَقْرَاقِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ
سَحَابٌ نَعْمَى أَبْرَقَتْ وَتَدَقَّقَتْ
إِذَا مَاذُ كَرْتُمْ ، وَأُسْتَشِفَّتْ خِلَالُكُمْ
طَرِيقُكُمْ مُثَلَى ، وَهَدْيُكُمْ رِضَى
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكُمْ - أَجَبْتُهُ
عَطَاءً وَلَا مَنْ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى
قَدِ اسْتَوْفَتْ النُّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَامَهَا

*

في مدح ابن جهور

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور . »

أَجَلٌ ، إِنْ لَيْلِي حَيْثُ أَحْيَاوْهَا الْأَسْدُ
يَمَانِيَّةٌ تَذْنُو وَيَنَأَى مَزَارُهَا
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ « مَارِدٌ »
تَحْمُولُ رِمَاحِ الْخَطِّ دُونَ أَعْتِيَادِهَا
لِحَى لِقَاحٍ تَأْتَفُ الضَّمِيمِ مِنْهُمْ
أَبٌ ذُو أَعْتِرَامٍ ، أَوْ أَخٌ ذُو تَسْرِعٍ
فَأَشِيمَ مِنْ ذِي الْهَبَّةِ الصَّارِمِ الشَّبَا

* * *

وَفِي الْكِلَّةِ الْحَمْرَاءِ وَسَطَ قِيَابِهِمْ
فَتَاةٌ كَمَثَلِ الْبَدْرِ قَابَلَهُ السَّعْدُ

(١) الأسد : لغة في الأزدي ، والأسد : الأسود ، يقول : نعم إن إيلي من قبيلة الأزدي وهي ظبية تحميا
الأسود وتذود عنها .

(٢) يقول إن قريها وبمدها سينان لان وصلها - على القرب ، والبعد - بعيد المنال ، وما أجل
قول المعري :

« فيادارها بالحيف ، إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أموال . »

(٣) الأبلق الفرد : حسن السمور بن حاديا بنام أبوه . فلوا بل بنام سليمان - عليه السلام - بأرض
تيما ، وتصدته الزباء فمجزت عنه وعن مارد ، فقالوا : « تمرّد مارد ، وعز الأبلق . » وفي هذا الحصن
يقول السمور - من لاميته الرائعة المشهورة :

« لنا جبل يحتله من نجيره منبع ، يرد الطرف وهو كليل

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يمز - على من راعه - ويطول . »

(٤) الحى اللقاح : هم الذين لا يدينون الملوك ولا يؤدون لهم الاتاة ، والجماحجة : جمع ججاج ، وهو
السيد السمح أو هو الكريم وهو وصف حاسم بالرجال ، قال الشاعر : « بيض قطارته غلب جماحجة . »
ويجمع أيضاً على ججاج ، قال ابن الزبير :

« ماذا يسدر فالعقنقل من مرازية ججاج . »

صياغة القوم وصوابهم : لباهم .

عَقِيْلَةٌ سِرْبٍ لَا الْأَرَاكُ مَرَادُهُ (١)
تَهَادَى فَيُضْنِيهَا الْوِشَاخُ غَرِيْرَةٌ
إِذَا اسْتَحْفِظْتَ سِرَّ الشَّرَى جُنْحَ لَيْلِيهَا
لَهَا عِدَةٌ بِالْوَصْلِ ، يُوعِدُ غِيْبَهَا
عَزِيْرٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعُوْدَ خِيَالَهَا
كَفَى لَوْعَةً أَنْ الْوِصَالَ نَسِيْبَةٌ
سَتُبْلِغُهَا عَنَّا الشَّمَالُ تَحِيَّةٌ
فَمَا نَسِيَ الْإِلْفُ الَّذِي كَانَ يَبْنِنَا

وَلَا قِنَّ مِنْهُ الْبَرِيْرُ وَلَا الْمَرْدُ (١)
تَأَوُّهُ مَهْمَا نَاسٌ (٢) فِي جِيْدِيهَا الْعِقْدُ
تَنَاسَى النَّمُوْمَانِ : الْأَلُوَّةُ ، وَالنَّدُّ (٣)
مَصَالِيْتُ، يُنْسَى - فِي وَعِيْدِهِمْ - الْوَعْدُ
فَيُسْعِفُ مِنْهَا نَائِلٌ فِي الْكُرَى تَمْدٌ (٤)
يُطِيلُ غَنَاءَ الْمُقْتَضَى وَالْهُوَى تَقْدُ (٥)
نَوَافِحُ أَنْفَاسِ الْجَنُوبِ لَهَا رَدُّ (٦)
- لِطَوْلِ تَنَائِيْدِنَا - وَلَا ضِيْعَ الْعَهْدِ

* * *

لَنْ قِيْلَ : « فِي الْجِدِّ النَّجَاحُ لِطَالِبٍ » لَقَلَّ غَنَاءُ الْجِدِّ مَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ (٧)

(١) المرء : النمن من عمر الأراك أو ضيجه . (٢) ناس : الشيء يتوس نوساً ونوساناً تحرك وتذبذب واضطرب متدياً ، وسبى ذر نواس - وهو من ملوك - العين بذلك لذوا بين كانا تنوسان على ظهره . (٣) الألوة : عود هندي يتبحر به ، وقال أعرابي حين مرّ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يدفن :

« ألامتم رسول الله في سفظ . من الألوة أحوى ملبساً ذهباً . »

والند : ضرب من الطيب .

(٤) تمّد : قليل ، يقول وهم يستكثرون علينا أن يزورنا خيالها فيسمعنا بالوصال في فترات الكرى المتقطعة القليلة . (٥) يقول : كفانا ألماً أبا لا تمن علينا بالوصال إلا وعوداً . ووجهه يعيننا اقتضاؤها وأداؤها في واعيدها مع أننا نصفها الهوى طابلا غير متمحلين ولا مؤجلين . (٦) الشمال : ربح الشمال ، والجوب : ربح الجنوب ، وفي الأصل نوافج ، والنوافج : السحب الكثيرة المطر ، ويقال نفج الندى القيمس أي رقبه ونفجت الريح أي جاءت بقوة ، والنوافج - جمع نالفة وهي النسيم . (٧) يقول ابن دريد في هذا المعنى :

« لا ينفج الجد بلا جد ولا يحفك الجهل إذا الجد علا . »

« عش بجد ولا يضرك نوك »

ويقول الشاعر :

وقد أكرت الشعراء من الكلام في الجدود ، ومن أبدع ما قرأناه في ذلك قول ابن الرومي :

« إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلباً أحاله إنساناً . »

يَنَالُ الْأَمَانِي بِالْحَظِيرَةِ وَادِعٌ كَمَا أَنَّهُ يُكْدِي الَّذِي شَأْنُهُ الْكَدُّ^(١)

* * *

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أَحْسَنَ الْفِعْلَ مَرَّةً
 حِذَارِكَ أَنْ تَفْتَرَّ مِنْهُ بِجَانِبٍ
 وَلَوْلَا السَّرَاةُ الصَّيِّدُ مِنْ آلِ «جَهْوَرٍ»
 مُلُوكٌ لَبَسْنَا الدَّهْرَ فِي جَنَابَاتِهِمْ
 بِحَيْثُ مَقِيلُ الْأَمْنِ ضَافٍ ظِلَالُهُ
 هُمُ النَّفَرُ الْبَيْضُ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ
 كِرَامٌ يَمُدُّ الرَّاغِبُونَ أَكْفَهُمْ
 فَمَنْ خَطَا ، لَكِنَّ إِسَاءَتُهُ عَمْدُ
 فَنِي كُلِّ وَادٍ مِنْ نَوَائِبِهِ «سَعْدُ»^(٢)
 لَأَعُوْزَ مَنْ يُعْدِي عَلَيْهِ مَتَى يَعْدُو
 رَقِيقَ الْحَوَاشِي مِثْلَ مَا قُوفَ الْبُرْدُ
 وَفِي مَنْهَلِ الْعَيْشِ الْمُدُوبَةُ وَالْبُرْدُ
 تَرُوقُ فَتَسْتَشْفِي بِهَا الْأَعْيُنُ الرَّمْدُ
 إِلَى الْبَحْرِ مِنْهُمْ لَهَا بِاللَّهِ^(٣) مَدُّ

وقول المتنبي :

« هو الجد حتى تفضل العين أختها وحتى يصير اليوم لليوم سيديا . »

وقول الممرى :

« والجد يدرك أقواما فيرفعهم وقد ينال الى أن يعبد الحجرأ

وعشرفت ذات أنواط قبائلها ولم تباين على علائها الشجرا . »

وقد ذكرنا طرفا من أقوال الشعراء في هذا المعنى في رسالة النفران « ج ٢ ص ٩٨ » فيرجع إليها من شاء .

(١) الحظيرة : عى بها هنا الأموال المحظورة يقال : احتظر الرجل وحظر اتخذ حظيرة حبس فيها أمواله

من تضيق ، ويقال للرجل الذليل الحير « إنه لنكد الحظيرة » وسببت أمواله حظيرة لأنه حظرها ومنعها

عنده ، والوادع : الذى ينال حظه من العيش من غير كفاة ولا مشقة ، يقول : « كثيرا ما ينال الوادع الذى

هو فى خفض ودعة من العيش أمانيه بأمواله المحظورة عنده كما أنه كثيرا ما يخفق ذو السمي والكدة فلا

يحصل من تعب وكده على طائل » ، ولعل أبرع ما قرأناه فى هذا المعنى قول ابن الرومى :

« إذا كان مجرى كوكب سمت هالة علاها وإلا اعتاص ذلك مطلبيا . »

وقول الآخر :

« سبحانه ربي يعطى ذا ويحرم ذا هذا يصيد ، وهذا يأكل السمكة . »

(٢) يقال « بكل واد سعد » أو « بكل واد بنو سعد » يريدون بذلك أن فى كل جهة كفاءها من الشر

والأذى . قالوا وأصل المثل أن الأضبط بن قريظ بن عوف بن كعب بن -عد بن زيد مائة - رأى من أهله وتومه

أمورا كرمها ففارتهم . تنالا فى القبائل فرأى من غيرهم مثل ما رأى منهم فقال : « فى كل أرض سعد بن زيد . »

(٣) الأعطيات والهبات .

فَلَا يُنْعَ مِنْهُمْ هَالِكٌ فَهَوَ خَالِدٌ
«أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَأَبَا لَأَبِيكُمْ
أُولَئِكَ إِنْ نَعْنَا سَرَى فِي صَلَاحِنَا
بِأَثَارِهِ ، إِنْ الثَّمَاءُ هُوَ الْخَالِدُ
مِنَ اللَّوْمِ ، أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا^(١)»
سَجَّاحٌ عَلَيْنَا كَحُلِّ أَجْفَانِهِمْ مُهْدُ

* * *

أَلَيْسَ «أَبُو الْحَزْمِ» الَّذِي غِيبَ سَمْعِيهِ
أَغْرُهُ تَمَهَّدْنَا بِهِ الْخَفْضَ^(٢) بَعْدَ مَا
لَشَمَّرَ حَتَّى أَنْجَابَ عَارِضُ فِتْنَةٍ
فَسَالَمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ الْحَرْبُ عَادَةً
هُوَ الْأَثَرُ الْمَحْمُودُ إِنْ عَادَ ذِكْرُهُ
تَوَلَّى قَوْلًا أَنْ تَلَاهُ «مُحَمَّدٌ»
تَبَصَّرَ غَاوِينَا فَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ
أَقْضَى عَلَيْنَا مَضْجَعٌ وَنَبَا مَهْدُ^(٣)
تَأَلَّقَ مِنْهَا الْبَرْقُ وَأَصْطَخَبَ الرَّعْدُ
وَوَافَقَ مَنْ لَاشَكَ فِي أَنَّهُ ضِدُّ^(٤)
تَطَلَّعَتِ الْعَلْيَاءُ وَأَسْتَشْرَفَ الْمَجْدُ
لَأَوْطَأَ خَدَّ الْحُرِّ أَخْمَصَهُ الْعَبْدُ^(٥)

* * *

مَلِيكَ يُسُوسُ الْمَلِكَ مِنْهُ مُقَالِدٌ
سَجِيَّتُهُ الْحُسْنَى ، وَشِيْمَتُهُ الرَّضَى ،
رَوَى عَنْ أَبِيهِ فِيهِ مَا سَنَّهُ الْجَدُّ
وَسِيرَتُهُ الْمُثَلَّى ، وَمَذْهَبُهُ الْقَصْدُ

(١) ورد هذا البيت في الأصل :

« عليهم ، لا أبا لأبيكم من اللوم ، أوسدوا المكان الذي سدوا . »

وليس هذا البيت لابن زيدون بل هو انتباس ، وأصل البيت كما أبتناه ، وهو من الفصيحة المشهورة
التي يقول فيها الشاعر :

« وتعدلى أبناء سعد عليهم ومافلت إلا بالذي علمت سعد . »

(٢) الخفض : الدعاء . (٣) يقول إنه بدلنا من خوف أمتنا ومن سهاد رقادنا .

(٤) يقول : وقد ساله أشد الأعداء ولو عا بالهروب ووافقه من لاشك في حصومته ولدهه بعد ما رأوا
من شدة بأسه وقوته .

(٥) يقول : لولا أن محمدا قد حلف أبا الحزم لساءت العاقبة ولسادت دولة العبيد على دولة الأحرار
مأد لوم أدللا وداسو خدودهم بأرحلهم .

مُهَامٌ إِذَا زَانَ النَّدِيَّ بِحَبْوَةٍ تَرَجَّحَ فِي أَثْنَائِهَا الْحَسْبُ الْعَدُوُّ
زَعِيمٌ لِأَبْنَاءِ السِّيَادَةِ بَارِعٌ فَلَيْهِمْ بِهِ تُثَنَّى الْخَنَاصِرُ إِنْ عُدُّوا
بَعِيدٌ مَنَالِ الْحَالِ ، دَانِي جَنَى النَّدَى إِذَا ذُكِرَتْ أَخْلَاقُهُ خَجَلِ الْوَرْدُ
تَهَلَّلَ فَأَتَهَلَّلَتْ سَمَاءُ يَمِينِهِ عَطَا يَا تَرَى الْأَمَالَ مِنْ صَوْبِهَا - جَعَدُ (١)
مُحَرَّرٌ لِمَنْ عَادَاهُ إِذْ أَوْلِيَاؤُهُ يَلِدُ لَهُمْ كَأَلْمَاءِ شَيْبَ بِهِ الشُّهُدُ
إِذَا أُعْتَرِفَ الْجَانِي عَفَا عَفْوَ قَادِرٍ عَلَا قَدْرُهُ عَنْ أَنْ يَلِجَ بِهِ حَقْدُ (٢)
وَمُسْتَدُّ لَوْ زَا حَمَّ الطَّوْدَ حِلْمُهُ لِحَاجَزِهِ رُكْنٌ مِنَ الطَّوْدِ مُنْهَدُ
لَهُ عَزْمَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي سَكِينَةٍ كَمَا لَانَ مَتْنُ السَّيْفِ وَأَخْشَوْشَنَ الْحَدُ (٣)
يُوكَلُّ بِالتَّدْبِيرِ خَاطِرَ فِكْرَةٍ إِنْ أُقْتَدِحَتْ فِي خَاطِرِ أَنْقَبِ الزَّنْدِ (٤)
ذِرَاعٌ - لِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ - وَاسِعٌ وَبَاعٌ - إِلَى مَا يُحْرِزُ الْفَخْرَ - مُمْتَدُّ
إِذَا أَسْهَبَ الْمُنُونُ فِيهِ شَأْنُهُمْ (٥) مَرَاتِبُ عُلْيَا كُلِّ عَنَافِئِهَا الْجَهْدُ
هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْفُوعُ بِالنَّسِكِ مُلْكُهُ فَيَا فَضْلَ مَا يَخْفَى وَيَاسِرَ وَمَا يَبْدُو (٦)
إِلَى اللَّهِ أَوَّابٌ ، وَلِلَّهِ خَافٍ

(١) حمد : ندى .

(٢) قريب من هذا قول عنقرة :

« لا يحجل الحمد من تملو به الرتب ولا ينال الملا من طمه الرضب . »

(٣) في هذا المعنى يقول الشاعر :

« وكالسيف - إن لا ينته - لان حده - وحدها - إن خاشنه - حسان . »

(٤) أنقب الزند : أورى . (٥) شأنتهم : فاتتهم وقصروا فيها عن الدايه .

(٦) يقول هو الملك الذي يجمع إلى سطوة الملك نسك ازرعين فما أبدل ما يجره في نفسه وما أنبل وأشرف ما يمله ، يعني أن سره وإعلانه غاية في النبل والفضل .

نَحْتَمَّ غَرَضَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ فَلَمْ تَعُدْ
حَتَّى الدِّينِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ لَهُ حَدُّ
يَكَادُ يُودَى شُكْرَهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
شَهِيرُ الْأَيْدِي مَا لِآلَائِهِ جَعْدُ
يُقَصِّرُ عَنِّ أَدْنَى مَعَايِبِهَا الْعَدُّ
إِذِ الْعَوْضُ الْمَرْضِيُّ إِلَّا يَرِيحُ يَغْدُو

لَقَدْ أَوْسَعَ الْإِسْلَامَ بِالْأَمْسِ حِسْبَةَ
أَبَاحِ حَتَّى الْحَمْرِ الْخَيْثَةِ ، حَائِطًا
فَطَوَّقَ بِأَسْنَنِصَالِهَا الْمِصْرَ مِنَّةً
هِيَ الرَّجْسُ إِنْ يَذْهَبُ عَنْهُ فَمُحْسِنٌ
مُظَنَّئَةً آثَامٍ ، وَأُمُّ كَبَائِرٍ
رَأَى تَقْصَ مَا يَجْبِيهِ مِنْهَا زِيَادَةً

عَزِيرٌ ، فَصْنَعُ اللَّهِ مِنْ حَوْلِهِ جُنْدُ
تَبَّتْ نَقَاهُ حَيْثُ لَا تَوْضِعُ الْبُرْدُ (١)
لَهُ صُورَةٌ لَمْ يَعْمَ - عَن حُسْنِهَا - الْخُلْدُ
لَا لِي تُثْرُ ، وَالثَّرَى عَن بَرٍّ وَرْدُ
وَفِي نَفْحَاتِ الْمِسْكِ - مِنْ طِيبِهَا - وَقْدُ

عَمَّنِي ، فَحَسُنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ مَا لَهُ
نِعْمَ حَدِيثُ الْبَرِّ تُوْدِعُهُ الصَّبَا
تَعَلَّمَلْ فِي سَمْعِ الرَّبَابِ وَطَالَعَتْ
سَاعِ أَجَدَّتْ زِينَةَ الْأَرْضِ ، فَالْحَصَى
لِي زَهْرَاتِ الرَّوْضِ - عَنْهَا - بِشَارَةٌ

بِأَوْطَارِ نَفْسٍ مِنْكَ لَمْ تَقْضِهَا بَعْدُ
فَلَمْ يَكُ الْمَصْدُورِ - مِنْ نَفْسِهَا - بُدُّ

أَدَيْتِكَ ، إِنْ قَائِلٌ فَمِرَّضٌ
نِي كَالشَّجَا دُونَ اللَّهَاءِ (٢) تَعَرَّضَتْ

(١) يقول : لعم حديث البر أردعته ربح الصبا فحملته وبتت خبره في الجهات النائية حيث لا توضع البرد
ي حيث لا تعدو خيل البريد اليها ولا تصلها الأخبار لبعدها ، وفي الأصل : « توضع »
(٢) اللهاء : اللحمة المشرقة على الحلق ، أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع اللب من أعلى الفم ،
وجمها لهوات ولهيات ولهى . قال ابن دريد :

« والناس كالبيت ، فنه رائق ، فني نضير هوده من الجسى
ومنه ما تفتح العين ، فان سنت جناه لإنساع عذبا في اللهمى .»



أَمْثَلِي غُفْلٌ خَامِلٌ الذِّكْرِ ضَائِعٌ ضَيَّاعَ الْحُسَامِ الْعَضْبِ أَسْدَاهُ الْغِمْدُ
أَبِي ذَاكَ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ ذَلَّ صَعْبُهُ فَسُنِّي مِنْهُ - بِالَّذِي نَشْتَهِي - الْعَقْدُ (١)

* * *

أَنَا السَّيْفُ لَا يَنْبُو مَعَ الْهَزِّ غَرْبُهُ إِذَا مَا نَبَا السَّيْفُ الَّذِي تَطْبَعُ الْهِنْدُ
بَدَأَتْ بِنُعْمَى غَضَّةٍ إِنْ تُوَاهَا فَحَسُنُ الْأَلَى (٢) فِي أَنْ يُوَالِيهَا سَرْدُ
لَعَمْرُكَ مَا الْمَالِ أَسْمَى فَإِنَّمَا يَرَى الْمَالَ أَسْنَى حَفْظَهُ الطَّبِيعُ الْوَعْدُ (٣)
وَلَكِنْ لِحَالٍ - إِنْ لَبِستُ جَمَاهَا - كَسَوْتُكَ ثَوْبَ النَّصْحِ أَغْلَامُهُ الْحَمْدُ

* * *

أَتَتِكَ الْقَوَافِي شَاهِدَاتٍ بِمَا صَفَا مِنَ الْغَيْبِ فَأَقْبَتَاهَا فَا غَرَكَ الشَّهْدُ
لِيَحْظِي وَلِي - سِرُّهُ وَفُقُ جَهْرِهِ - فَظَاهِرُهُ شُكْرُهُ ، وَبَاطِنُهُ وَدُّهُ
يُمَيِّزُهُ - بِمَنْ سِوَاهُ - وَفَاؤُهُ وَإِخْلَاصُهُ ، إِذْ كُلُّ غَايَةٍ هِنْدُ (٤)

(١) سنى منه العقد ، أى تيسر الصعب وسهل . قال الشاعر :

« وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا الله سنى عقد أمر تيسرا . »

(٢) الألى : النعمة جمعها آلاء .

(٣) الطبع : يقال رجل طبع طبع (بكسر ثانياً) متسدس العرض ذو خاق ذنى لا يستحي من

سوءه ، والوعد : الخفيف الأحق الضعيف العقل والبدن الذنى الخسيس النذل .

(٤) كل غاية هند : مثل يضرب هند تساوى القوم فى فساد الباطن .

رثاء أم المعتضد

« قال يرثي السيدة الكبرى والدته . »

أَلَا هَلْ دَرَى الدَّاعِي المَثُوبُ - إِذْ دَعَا
 وَأَنَّ التُّسُقَى قَدْ آذَنَتْنَا بِفِرْقَةٍ
 لِرُزْنِكَ تَنْهَلُ الدُّمُوعُ ، فِئْسَلُهُ
 لَقَدْ أَجْهَشَ الإِخْلَاصُ بِالأَمْسِ بِأَكْيَا
 بِنَعْيِكَ - أَنْ الدِّينَ مِنْ بَعْضِ مَا نَعَى ؟
 وَأَنَّ الهُدَى قَدْ بَانَ مِنْكَ فَوَدَّعَا ؟
 - إِذَا حَلَّ - وَدَّ القَلْبُ لَوْ كَانَ مَدْمَعَا
 عَلَيْكَ ، كَمَا حَنَّ اليَقِينُ فَرَجَّمَا

* * *

وَدُنْيَا وَجَدْنَا العَيْشَ فِي غَمَلَاتِهَا
 نُعَلِّلُ فِيهَا بِالمُنَى وَنَعْرُثُنَا
 طَرِيقًا - إِلَى وَرْدِ المَنِيَةِ - مَهِيَعَا (١)
 بَوَارِقُ لَيْسَ الآلُ مِنْهَا بِأَخْدَعَا (٢)

* * *

أَصَبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ هَضْبَ مَتَالِيعِ
 مَنَارٍ - مِنَ الإِيمَانِ - لَمْ يَعْدُ أَنْ هَوَى ،
 وَشَمْسُ هُدَى أَمْسَى لَهَا الأَثْرُ بِمَنْزِلِهَا
 أُصِيبَ بِهِ لِأَنَّهُدَّ أَوْ لَتَضَعُضَعَا
 وَحَبْلٌ - مِنَ التَّقْوَى - وَهِيَ فَتَقَطَّعَا
 وَكَانَ لَهَا المِجْرَابُ - فِي الخِذْرِ - مَطْلَعَا (٣)

* * *

لَنْ أَتْبَعَتْ مِنَّا غَمَامَةٌ رَحْمَةً
 لَقَدْ ظَلَلَتْ ذَاكَ السَّرِيرَ المُرْفَعَا

(١) المهين : الطريق الواسع الواضح البين .

(٢) الآل : السراب ، يقول إن الأمانى تمرنا وتخدرنا كما يخدع السراب . والله ذو مهيار إذ يقول :

« شد مامى غرورا نفسه تاجر الآمال فى أن يربحا . »

وقوله : « ربما يقرر بالظن الكدوب . » ، وفى هذا المعنى يقول ابن نباه السعدى :

« وأقسم ما الدنيا بدار إفاة ولاهى إلامثل بعض المنازل

نسير إلى الآجال حول وجائها ونطوى بها الأيام طلى المراحل . »

(٣) يقول : أنها شمس أشرقت فى خدرها ثم غربت فى قبرها .



سَرِيرٌ بِأَمْلَاكِ وَزُهْرٍ مَلَائِكِ
لَتَبِكَ الْآيَاتِي وَالْيَتَامَى فَقِيْدَةَ
أَضْلَهُمْ فِقْدَانِهَا ، فَكَأَنَّمَا
مُسَبَّحَةَ الْآنَاءِ ، قَانِتَةُ الضُّحَى
تَبَيْتُ مَعَ الْإِخْبَاتِ ^(١) مُسْمَرَةَ الْحَشَا
إِذَا مَا هِيَ أُسْتَوْفَتْ مِنَ الْبِرِّ غَايَةَ
كَأَنَّ قَضَاءَ الْوَأَجِبَاتِ مُحْرَجٌ
أَصْرَفَ الرَّدَى ! لَوْ أَنَّ لِّلسَيْفِ مَضْرِبًا
فَلَوْ كُنْتُ - إِذْ سَا تَرْتُ - رَامٌ مُّجَاهِرٌ
إِذَا لِنَاهُ الْجَيْشُ مِنْ كُلِّ أَلَيْسٍ ^(٢)
« وَمُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ » يَحْمِي ذِمَارَهُ
وَلَكِنْ عَرَزَتْ الْمَلِكِ - مِنْ حَيْثُ لَا يَرَى -
- إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ - رَاحَ مُشِيْعًا
هِيَ الْمِزْنَ أَحْيَا صَوْبُهُ ثُمَّ أَقْشَعَا
أَصْلَتْ سَوَامُ الْوَحْشِ فِي الْجَدْبِ مَرْتَعَا
تَوَتْ فَتَوَى مَعْنَى التَّأْوُهُ بَلْقَمَا
تَقِيَّةً مَنْ يَحْشَى إِلَى اللَّهِ مَرْجِعَا
تَأْتَتْ لِأُخْرَى لَا تَرَى تِلْكَ مَقْنَعَا
تَقَبَّلُهُ إِلَّا بِأَنْ تَتَطَوَّعَا ^(٣)
لَمَّا رُعْتَنَا ، أَوْ أَنْ فِي الْقَوْسِ مَنَزَعَا
ذِمَارَ الْهُدَى كَانَ الْمَحْوِطَ الْمُنْعَمَا
يُشَايِعُ قَلْبًا فِي الْحِفَاظِ مُشِيْعًا
فَلَا سِرْبَ يُلْفِي - فِي حِمَاهُ - مُرْوَعَا
فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِلْحَادِثِ الْحَتْمِ مَدْفَعَا ^(٤)

(١) الاخبات : القوي والحشوع والقنوت ، يقول : هي البقية الباقية من النساء الصالحات تبتت من خشية الله مصلية داعية مسعرة الحشا خوفاً من لقاء الله ، وخرقا من هول يوم المرح والمآب .
(٢) يقول : أنها لحرصها على النظر وعزم النوازل إلى الفرائض كأنها تعتقد أن في أداء الفرائض وحدها غير مشغولة بالتلوع حرجاً وإنما لا يجعل عبادتها متقبلة وعملها مثاباً عليه إلا بأن تتطوع ، نهى لذلك تبتت ليلها قائمة متهجدة .
(٣) الأليس : الشعاع الذي لا يبالى الحرب ولا يروعه القتال والجمع ليس ، قال الشاعر :
« تخال نديهم مرضى حياء وتلقاهم غداة الروع ليسا . »
(٤) حررت : وطئت ونزلت ، عن غير هدى وعلم وبلا تمييز ، وهو من قول الله عز وجل : « ولولا رجال مؤمنون . نساء مؤمنات لم تلمسوهم أن تطؤوهم وتصيبكم منهم معرفة بغير علم . » ، وقال عمر رضي الله عنه : « اللهم إني أعوذ بك من معرفة الجيش » تبرأ رضي الله عنه من وطأة جيش المسلمين من سررا به بلا تمييز بين مسلم ومعاهد وكافر وإصابتهم إباهم في حريمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه من قبل الشرع . يقول : لو كان صرف الدهر شخصاً يواجه مجاهرة ليجر عن غرضه ولثناه المعتصد الشجاع وجيشه الناسل ولكن صرف الدهر يأتي على غرة بلا يستطيع أحد أن يواجهه ، ويدفع عائنته ، والله در القائل :

يَغِيظُ الْعِتَاقَ الْجُرَدَ أَلَا تَرَى لَهَا
 وَتَأْسُفُ بِيضِ الْهِنْدِ أَنْ لَيْسَ تُنْتَضَى،
 وَتَسْمُرُ الْقَنَا أَلَا تُهَزُّ وَتُشْرَعَا

* * *

لَنْ سَاءَ كَ الدَّهْرُ الْمُسِيءُ فَلَمْ يَكُنْ
 شَهِدْنَا : لَقَدْ طَرَزْتَ بُرْدَ جَمَالِهِ
 وَمَا فَخْرُهُ إِلَّا بِأَنْ كَانَ مُصْغِيًا
 أَتَى الْعَثْرَةَ الْمُعْظَمَى ، فَهَلْ أَنْتَ قَائِلٌ
 وَهَاهُوَ مُنْقَادٌ لِحُكْمِكَ ، فَأَحْتَكِمْ
 لَعَمْرُ اللَّهِ الَّتِي وَدَّعْتَ أَمْسٍ - مُفَارِقًا -
 تَمُنَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا
 قَوَّيْتَهَا مَا لَمْ يَدْعُ لِضَمِيرِهَا
 خَفَضَتْ جَنَاحَ الذَّلِّ فِي الْعِزِّ رَحْمَةً
 تَرُوحُ أَمِيرًا فِي الْبِلَادِ مُحْكَمًا
 عَزَاهُ فَدَتِكَ النَّفْسُ ، عَزَمَ مُسَلِّمٌ
 بِأَوَّلِ عَهْدٍ وَاجِبِ الْحِفْظِ ضَمِيمًا
 وَقَلَّدَتْهُ عِقْدَ الْبَهَاءِ مُرْصَمًا
 لِأَمْرِكَ ، إِنْ نَادَيْتَ لِي فَأُسْرَعَا
 لَهُ حِينَ أَشْفَى مِنْ كَأَبْتِهِ : «أَمَّا»؟^(١)
 لِتَبْلُغَ مَا تَهْوَى ، وَمُرَّةً لِيَصْنَدَا
 لَقَدْ وَرَدَتْ حَوْضَ السَّعَادَةِ مَشْرَعًا^(٢)
 حَشَدَتْ لَهَا الْأَمَالَ : مَرَأَى ، وَهَسَمَمَا
 إِلَى غَايَةِ مِنْ بَعْدِهِ مُتَطَلَمًا
 لَهَا ، وَعَزِيرٌ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا^(٣)
 وَتَمْدُو شَفِيمًا فِي الذُّنُوبِ مُشْفَعًا
 لِمَوْقِعِ أَمْرٍ لَمْ يَزَلْ مُتَوَقِّعًا

« اليوم بيني لدويد بينته يارب وجه حسن رأيته
 ومعمصم - ذى برة - لويته لو كان للدمر بلى أبليته
 أو كان قرني واحدا كفيته . »

(١) أشو : من تولهم أشسو على الهلاك وأشقى على الموت إذا أشرف عليه ، والكأبة : الحزن ،
 ولما : كلمة تقال للعائر وهي في الالباب دعاء له ، وإذا قيل : لا امل للعائر ، فمعناه لا أقال الله عثرته ،
 يقول : لقد أساء إليك الدمر في هذا الخراب فهل أنت صانع عنه ومقبله من عثرته .

(٢) المشرع : كالشريعة والشريعة المكان الذي ينحدر منه الاسباب والدواب إلى الماء لوروده .

(٣) يشير إلى قوله تعالى في بر الوالدين :

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

مَتَى ظَنَنْتِ الْأَيَّامُ أَنَّكَ جَارِعٌ
فَمَا أَرْبَدَّ وَجْهُ الْخَطْبِ إِلَّا لَقِيْتَهُ
وَمَا كُنْتَ أَهْلًا أَنْ يُصِيبَكَ حَدِيثٌ
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ
فَأَنْتَ الَّذِي لَمْ يَنْتَقِمِ غِيبٌ قُدْرَةً
مَتَى تُسَدِّ نَعْمَى - قِيلَ أَنْعَمَ مِثْلَهَا -
وَإِنْ يَسَلِ الْمَافُونَ جَدْوَاكَ يُعْطِيهِمْ
وَيُغْرَى بِتَوْكِيدِ الْإِسَاءَةِ مُذْنِبٌ
خَلَائِقُ مُمَهَّأَةُ الْفَرِيدِ كَأَنَّهَا
تُنَافِحُهَا مِنْهَا أَحَادِيثُ سُودِدِ
تَغْلُغُلُ فِي الْآفَاقِ أُسْرَى مِنَ الصَّبَا
فَلَوْ صَرَفَتْ صَرْفَ الْمُنُونِ جَلَالَةً
فَلَا زِلْتِ بِمُنُوعِ الْحِمَى مُسْتَعْفَ الْمُنَى
وَدُمْتَ مُلَقَى أَنْجُمِ السَّعْدِ بَاقِيًا
أَوْ اسْتَشَعَرْتَ فِي قَلِّ صَبْرِكَ مَطْمَعًا
بِصَفْحَةٍ طَلَقِ الْوَجْهِ أَبْلَجَ أَرْوَعًا
فَتُصْبِحُ عَنْهُ مُقْصَدَ الْقَلْبِ مُوجِعًا
وَلَا أَهْتَزُّ أَعْطَافًا، وَلَا لَانَ أَخْدَعًا
وَلَمْ يُؤْثِرِ الْمَعْرُوفِ إِلَّا لِيَشْفَعَا
يُقَلِّ جَلَلٌ حَتَّى إِذَا قِيلَ أْبَدَعًا (١)
جَوَادٌ إِذَا لَمْ يَسْأَلُوهُ تَبَرَّعًا
فَيَلْتَقَاكَ بِالْإِحْسَانِ أَعْرَى وَأَوْأَمًا (٢)
حَدَائِقُ رَوْضِ الْحَزَنِ جِيدَ فَأَيْنَعَا
تَخَاكُ قَتَيْتَ الْمِسْكَ عَنْهَا تَضَوَّعَا
وَأَشْهَرَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ وَأَسْرَعَا
لَكُنْتَ مُحْيَا مِنْ تَوَدُّ مُمْتَعَا
إِذَا كَانَ شَانِيكَ الْمُصَابَ الْمُفْجَعَا (٣)
لِدِينٍ وَدُنْيَا أَنْتَ فَخْرُهُمَا مَعَا

(١) يقول كلما أسديت جيلا فال الناس : كم لهذا الجليل من أشباه ونظائر وهو - على عظمة - تابه عندهم
لكثرة ما ألفوه من صنائكك ، ولو أبدعت لم يسترع انظارهم لبداعتك لطول ما ألفوا من روايتك وبدائتك .
(٢) يقول : ان المسمى يطعمه تفوك عن زلته فهو إذا أولع بتوكيد إساءته وجدك أشد ولو طابتوكيد
إحسانك ودفوك عنه . (٣) يقول : لا زال الزمن يمر من حاك وبسيفك بأمايك على حين يصيب
عدوك ويفجعه فيها يجب .

قل للبغاة

« وقال ذو الوزارتين رحمه الله »

أَلْدَهْرُ - إِنْ أَمَلَى - فَصِيحٌ أَعْجَمُ
إِنَّ الَّذِي قَدَرَ الْحَوَادِثَ قَدَرَهَا
وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أُغْتَرَابُ يَفْتَضِي
كَمْ قَاعِدٍ يَحْظِي فَتُعْجِبُ حَالُهُ
وَأَرَى الْمَسَاعِي كَالسُّيُوفِ تَبَادَرَتْ
وَلَكُمْ تَسَامِي بِالرَّفِيعِ نِصَابُهُ
وَأَشَدُّ فَاجِعَةَ الدَّوَاهِي مُحْسِنٌ
تَلْقَى الْحَسُودَ أَصَمًّا عَنِ جَرَسِ الْوَفَا

يُعْطِي أَعْتِبَارِي مَا جَهَلْتُ فَأَعْلَمُ (١)
سَاوَى لَدَيْهِ الشَّهَدَ مِنْهَا الْعَلَقَمُ (٢)
كَدَرَ الْمَالِ وَلَا تَوَقَّ يَعْصِمُ
مِنْ جَاهِدٍ يَصِلُ الدُّهُوبَ فَيُحْرَمُ
شَأْوُ الْمَضَاءِ فُنْثَنٌ وَمُصَمَّمُ
خَطَرُهُ فَنَاصِبُهُ الْوَضِيعُ الْأَلَامُ (٣)
يَسْمَى لِيُعْلِقَهُ الْجَرِيمَةَ مُجْرِمُ (٤)
وَلَقَدْ يُصِيحُ - إِلَى الرُّقَاةِ - الْأَرْقَمُ (٥)

قُلْ لِلْبَغَاةِ الْمُنْبِضِينَ قِسِيَهُمْ
أَسْرَرْتُمْ فَرَأَى نَجِيَّ عِيُوبِكُمْ
سَرَرُونَ مِنْ تَصْمِيهِ تِلْكَ الْأَسْهُمُ
شَيْحَانُ مَدْلُولٌ عَلَيْهَا مُلْهُمُ

- (١) يقول إن الدهر إن أملى بلسان الحوادث الفصيح الأعجم يكسب اعتباري وقباصي الحوادث والمر بمعضها بعض علم ما جهلت . (٢) إن الذي فاس الحوادث بمقياس صحيح استوى لديه حلول الحيات ومرها . (٣) وكثيرا ما ينسأى بالذي ارتفع منصبه خطره وشرفه فيناصبه العناء وينبع لثيم حسدا منه ودنيا . (٤) وأشد ما يذبح الانسان من الدواهي محسن يسمى مجرم ليلصق به إساءة وحرمة . (٥) يصيح مضارع أصاخ له استمع ، والرقاة جمع راق من الرقية وهي ما ينفث فيه من العوذ ، والأرقم ذكر الحيات وهو أخشها وأظلمها للناس ، أو هو ما يه بيض وسواد ، يقول : إن الحسود أصم عن سماع صوت الوفاء في حين أن الأرقم وهو أخبث الحيات وأشد ما عداوة للناس يصيح بسدومه للراق الذي يتلو وينفث في العوذ ، وفي الأصل « ولقد يصيح إلى الرقاة الأرقم » .



وَعِبَائِكُمْ لِلْفِسْقِ ظَفَرَ سِيعَايَةٍ
وَنَبَذْتُمْ التَّقْوَىٰ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ
مَا كَانَ حِلْمٌ « مُحَمَّدٍ » لِيُحْيِلَهُ
مَلِكٌ تَطَّلَعَ لِلنَّوَاطِرِ غُرَّةً
يَغْشَى النَّوَاطِرَ مِنْ جَهْرِ رُؤَايِهِ
وَسَنَا جَبِينٍ يَسْتَطِيرُ شُعَاعُهُ
صَلَتْ تَوَدُّ الشَّمْسُ لَوْ صِيغَتْ لَهُ
فَضَحَتْ مَحَاسِنُهُ الرِّيَاضَ بَكِي الْحَيَا
بِالْقَدْرِ يَبْعُدُ وَالتَّوَاضُّعَ يَدِينُ
جَذْلَانُ - فِي يَوْمِ الْوَعْيِ - مُتَطَلِّقٌ
بِأَسْمٍ - كَمَا صَالَ الْهَزْبُ بَرٌّ - إِزَاءَهُ
لَمْ يَعْدُكُمْ أَنْ رُدَّ وَهُوَ مُقَلَّمٌ
فَقَدَا بِنَيْضِكُمْ التَّقِي الْأَكْرَمُ
عَنْ عَهْدِهِ دَغِلُّ الضَّمِيرِ (١) مُدْمَمٌ
زَهْرَاءُ يُبْدِيهَا الرِّمَانُ الْأَدْهَمُ
خَلَقٌ - يُرَى مِلَّ الصَّدُورِ - مُطَهَّمٌ (٢)
يُغْنِي - عَنِ الْقَمَرَيْنِ - مَنْ يَتَوَسَّمُ (٣)
تَاجًا تَرْصَعُ جَانِبَيْهِ الْأَنْجُمُ (٤)
- وَهَنَا عَلَيْنَا - فَأَغْتَدَّتْ تَبَسَّمُ
وَالشَّرُّ يَشْمُسُ وَالنَّدَى يَتَغِيمُ (٥)
وَجَهًا إِلَيْهَا وَالرَّدَى مُتَجَهَّمُ (٦)
جُودٌ كَمَا جَاشَ الْخِضَمُّ الْخِضْرِمُ (٧)

- (١) بصيره حقد مكتم . (٢) الرواء : الحسن ، وخلق مطهم : تام بارع الجمال .
(٣) يستطير : ينتشر ، من القمرين : الشمس والقمر ، والدى أجاز النبية مع اختلاف لفظ المراد
العليب كما هو معروف في كتب النحو ، ويتوسم : ينظر إلى وسامة ذلك الجبين المضيء وحسنه .
(٤) الصلت : صفة الجبين ومعناه الواضح البارز المستوي ، أي تود الشمس لو أنها صيغت تاجاً مرصعاً
بلائي النجوم ، ووضع فوق جبين المدوح : (٥) في الأصل :
« بالقدر يبعد والتواضع يدني والبشر شمس والندى يتغيم . »
والندى أثبتناه هنا هو ما عطيه المعنى .
(٦) يقول : أنه يرى يوم الحرب جذلان فرحاطلق الوجهه باشاً إلى الحرب والردى متجهم عابس
الوجه كربه النظر ، وفي الأصل : « والروا متجهم »
(٧) البحر العظمم العظيم .



كُلُّ الْمُلُوكِ لَهُ الْعَلَاءُ تُسَلِّمُ
أَنْ صِرْتَ فَذَهُمُ الَّذِي لَا يُنَامُ (١)
مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيْكَ صِنُوءٌ - أَعْقَمُ (٢)
فَالدَّاءُ يَسْرِي إِنْ عَدَا لَا يُحْسَمُ
بُرْكَانَ نَارٍ كُلِّ شَيْءٍ تَحْطِمُ
أَوْلَاهُ طَلٌّ ثُمَّ وَبَلٌ يَشْجُمُ (٣)
وَأَفْهَمُ فَإِنَّكَ بِالْبَوَاطِنِ أَفْهَمُ
فِي كُلِّ مَثَلٍ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ
فَصَافَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَدَّ الْمَطْعَمِ
وَلَأَنْتَ أَمْضَى فِي الْخُطُوبِ وَأَشْهَمُ
وَحُسَامُكَ الْعَضْبُ الَّذِي لَا يَكْتَمُ
وَالْمَجْدُ أَشْمَخُ وَالصَّرِيعةُ أَضْرَمُ (٤)

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي
سُدَّتَ الْجَمِيعَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ
لَا غَرْوٌ أُمَّ الْمَجْدِ - فِي بَكْرِ الْحِجَابِ
فَاحْسِمِ دَوَاعِي كُلِّ شَرٍّ دُونَهُ
كَمْ سَقِطُ زِنْدٍ قَدْ نَمَّا حَتَّى غَدَا
وَكَذَلِكَ السَّيْلُ الْجُحَافِ فَإِنَّمَا
وَالْمَالُ يُخْرِجُ أَهْلَهُ عَنِ حَدِّهِمْ
وَإِذْ كَرُّ صَنِيعِ أَيْبِكَ أَوْلَ أَمْرِهِ
لَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّعَ شَرَّهُ
فَعَلَامَ تَنْكُلُ عَنِ صَنِيعِ مِثْلِهِ
وَجَنَابُكَ الثَّبْتُ الَّذِي لَا يَنْدَنِي
وَالْحَالُ أَوْسَعُ وَالْعَوَالِي جَمَّةٌ



وَأَحْزَمُ ، فَمِثْلُكَ فِي الْعِظَامِ أَحْزَمُ
يَيْتَا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُعْلَمُ :

لَا تَتْرُكُنِ النَّاسَ مَوْضِعَ شُبُهَةٍ
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةَ فِيمَا مَضَى

(١) الذي لا يكون له توهم ونظير من الملوك .

(٢) لاغرو فان أم المجد عقيم في بكرها الموسوم بالحجا والعقل قد يئست من أن تضيف إليه صنوا .

(٣) الجحاف : كغراب الذي يذهب بكل شيء .

(٤) الصريعة : الصريمة وأصرم أي أقطع ، وفي الأصل : « والصريعة ضيعم . »

« لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ ^(١) »

* * *

فِرْقٌ عَوْتُ ، فَزَارَتْ زَارَةَ زَاجِرٍ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُ سَفِيهِمْ
 لِي مِنْكَ فَلْيَذِبِ الْحَسُودُ تَلْظِيًا
 وَشَفُوفٌ حَظٌّ لَيْسَ يَفْتَأُ يُجْتَلَى
 لَمْ تُلَفْ صَاغِبِي ^(٣) لَدَيْكَ مُضَاعَةً
 بَلْ أَوْسَعَتْ حِفْظًا وَصِدْقَ رِعَايَةٍ
 فَلْيَخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرٌ مُنْجِدٌ
 عَطِرٌ - هُوَ الْمِسْكُ السَّطُوعُ - يَطِيبُ فِي
 وَإِذَا غُصُونُ الْمَكْرُمَاتِ تَهَدَّتْ
 الْفَخْرُ تَغْرٌ - عَنِ حِفَاظِكَ - بِاسِمٍ
 فَاسْلَمْ مَدَى الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا
 رَاعِ الْكَلْبِ بِهَا السَّبْتَى الضَّيِّغُ ^(٢)
 أَمْ قَدْ سَمَاهُ النَّبِجُ ذَاكَ الْمَكْرَمُ ؟
 لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلِّ الْأَكْرَمُ
 غَضَّ الشَّبَابِ وَكُلُّ حَظٍّ يَهْرَمُ
 كَلًّا وَلَا خَفِيَ أُصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
 ذِمَّةٌ مُوثِقَةٌ الْعُرَا لَا تُفْصَمُ
 مَنِي تَنَاقُلُهُ الْمَحَافِلُ مُتْهِمُ
 شَمُّ الْعَقُولِ أَرِيحُهُ الْمُتَنَسِّمُ
 كَانَ الشَّمَاءُ هَدِيلُهَا الْمُرْتَمِّمُ
 وَالْمَجْدُ بُرْدٌ - مِنْ وَفَائِكَ - مُعَلِّمُ
 وَتَسْوَعُ النُّعْمَى فَإِنَّكَ مُنْعِمُ

(١) هذا البيت للدلتلي وقد انتبسه ابن زيدون في هذه التصيدة .

(٢) السبنتي والضيغم من أسماء الأسد .

(٣) صاغية الرجل خاصته : الذين يشون مجلسه .



ذكري قرطبة

سَقَى اللهُ أَطْلَالَ الْأَحْبَةِ بِالْحَمِي
 وَحَاكَ عَلَيْهَا ثَوْبَ وَشِي مُنْمَمًا
 وَأَطْلَعَ فِيهَا لِلْأَزَاهِيرِ أَنْجُمًا
 فَكَمْ رَفَلَتْ فِيهَا الْخِرَائِدُ كَالدَّمِي^(١) إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غُلَامٌ

* * *

أَهِيمٌ بِجَبَّارٍ يَمِزُّ وَأَخْضَعُ^(٢)
 شَدَا الْمِسْكِ - مِنْ أَرْذَانِهِ - يَتَضَوِّعُ
 إِذَا جِئْتُ - أَشْكُوهُ الْجَوَى - أَيْسَ يَسْمَعُ
 فَا أَنَا - فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ - أَطْمَعُ وَلَا أَنْ يَزُورَ الْمُقْلَتَيْنِ مَنَامُ

* * *

قَضِيبٌ - مِنَ الرَّيْحَانِ - أَمْرٌ بِالْبَدْرِ
 لَوَاحِظٌ عَيْنِيهِ مُلْتَمِسٌ مِنَ السَّحْرِ
 وَدِيْبَاجٌ خَدَّيْهِ حَكِي رَوْنَقِ الْخَمْرِ
 وَالْفَاظَةُ - فِي النُّطْقِ - كَاللَّوْلُوِّ النَّمْرِ وَرَيْقَتُهُ - فِي الْأَرْتِشَافِ - مُدَامُ

(١) رطل : حر ذيله وتمجده ، قال الشاعر : « يرطلن في سرق الحرير وقرمه » الخرائد - جمع خريدة - وهي المرأة الحية ، وهي أيضاً الأواؤة التي لم تنقب ، فالوا : وكل عذراء خريدة ، والدمي - جمع دمية - وهي الصورة المنقشة المرينه فيها حمرة كالدَّم ، وقيل : هي من الرغام ، وقيل : هي من العاج ، وهي تضرب مثلاً في الحسن ، يقال « أحسن من الدمية »

(٢) قال الشريف :

« لو حيث يستمع السرار وقفنا . لعجبنا من عرته وخفوصي . »

سَتَى جَنَبَاتِ الْقَصْرِ صَوْبُ النَّمَامِ -
 وَغَنَى عَلَى الْأَغْصَانِ وَرَقُ الْحَمَامِ -
 « بَقْرُطْبَةَ » النَّرَاءِ دَارِ الْأَكَارِمِ -
 بِلَادِهَا شَقَى الشَّبَابُ تَمَامِي ^(١) وَأُنْجَبَنِي قَوْمٌ - هُنَاكَ - كِرَامُ

فَكَمَ لِي فِيهَا مِنْ مَسَاءٍ وَإِصْبَاحِ -
 بِكُلِّ غَزَالٍ مُشْرِقِ الْوَجْهِ وَضَاحِ -
 يُفَدِّمُ ^(٢) أَفْوَاهَ الْكُؤُسِ بِتُفَّاحِ -
 إِذَا طَلَمْتَ فِي رَاحِهِ أَنْجُمُ الرَّاحِ - فَإِنَّا - لِإِعْظَامِ الْمَدَامِ - قِيَامُ

وَيَوْمٍ لَدَى « النَّبْتِيَّ » فِي شَاطِئِ النَّهْرِ -
 تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي قِتِيَّةِ زُهْرٍ ^(٣) -
 وَلَيْسَ لَنَا فَرَشٌ سِوَى يَانِعِ الزَّهْرِ -
 يَدُورُ بِهَا عَذْبُ اللَّمَأِ أَهْيَفُ الْخَصْرِ - بِيهِ - مِنَ النَّعْرِ الشَّنِيبِ - نِظَامٌ ^(٤)

(١) التمام - جمع تيممة - وهي عوذة تعلق على الأطفال بحافة العين ، ومنه قول القائل : « من علق تيممة فلا أتم الله له » وقول الشاعر :

« وإذا النية أنشبت أطفارها ألفت كل تيممة لا تنفع . »

(٢) فدّم فم الآنية وأقدمها جعل عليها القدم أي الغطاء .
 (٣) زهر : مشرق الوجوه ، وقرب من هذا - في باب الخريبات - قول أبي نواس :

« ودار ندأى عطلوها وأدلجوا بها أثر منهم جي ودارس
 مساح من حر الزقاق على الترى وأضغاث ريحان حتى وياس
 حبست بها صهي بجددت عهدهم وإنى على أمثال تلك لحابس
 ولم أدر منهم غسير ماشهدت به - بشرق ساباط - الديار البسابس
 أقبا بها يوما ويوما وثالثنا ريوما له يوم الترحل خامس
 تدار علينا الراح في عسجدية حننا بأنواع التصاير فارس
 قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدرها بالقسي الفوارس
 فلاخمر ما زرت عليه جيوبها وللما ما دارت عليه القلائس »

(٤) الشنيب - من الشنب - وهو رقة أو هو عذوبة في الأسنان ، وقبله نقط بيض فيها .

وَيَوْمٍ « بِجُوفِي الرُّصَافَةَ » مُبْهِجٍ
 مَرَزَنَا بِرَوْضِ الْأَفْحْوَانِ الْمُدْبِجِ
 وَقَابَلْنَا فِيهِ نَسِيمُ الْبَنْفَسِجِ
 وَلَاخَ لَنَا وَرَدٌ^(١) كَخَدِّ مُضْرَجٍ - تَرَاهُ أَمَامَ النُّورِ وَهُوَ إِمَامٌ

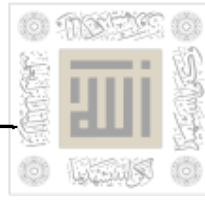
وَأَكْرَمٌ بِأَيَّامِ « الْعُقَابِ » السَّوَالِفِ^(٢)
 وَلَهُوَ أَثَرُ نَاهُ بِتِلْكَ الْمَعَاطِفِ
 بِسُودِ أَثِيثِ الشَّعْرِ بِيضِ السَّوَالِفِ
 إِذَا رَقَلُوا فِي وَشِي تِلْكَ الْمَطَارِفِ^(٣) - فَلَيْسَ - عَلَى خَلْعِ الْعِدَارِ - مَلَامٌ

وَكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ « الْعَقِيقِ » وَجِسْرِهِ
 قَعَدْنَا عَلَى حُمْرِ النَّبَاتِ وَصُفْرِهِ
 وَظَنِّي يُسْقِينَا سُـلَافَةَ خَمْرِهِ
 حَكِي جَسَدِي فِي السَّقْمِ - رِقَّةَ خَضْرِهِ - لَوَاحِظُهُ - عِنْدَ الرُّنُوءِ - سِهَامٌ

فَقُلْ لِي زَمَانٍ قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهُ
 وَرَثَتْ - عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي - رُسُومُهُ
 وَكَمْ رَقٌ فِيهِ - بِالْعَشِيِّ - نَسِيمُهُ
 وَلَا حَتَّ لِسَارِي اللَّيْلِ فِيهِ نُجُومُهُ : « عَلَيْكَ مِنَ الصَّبِّ الْمَشُوقِ سَلَامٌ »

(١) في الأصل : « نجد »

(٢) السوالف - جمع سالفه - وهي صفحة العنق ، وقيل : ناحية مقدمها من لدن معاق الفرط إلى الترتوة . وقد تقدم في ص (٥٤) وما يليها شرح أمكنة و معاهد بقرطة منها (جوف الرصافة) و (العقاب) فارجع إليها إن شئت . (٣) المطارف - جمع مطرف - وهو رداء من خز مربع ذو أعلام .



سلوى المضطر

لَنْ قَصَرَ الْيَأْسُ مِنْكَ الْأَمَلُ وَحَالَ تَجَنُّيكَ دُونَ الْحَيْلِ
وَنَاجَاكَ - بِالْإِفْكَ - فِي الْحَسُودِ فَأَعْطَيْتِهِ - جَهْرَةً - مَا سَأَلَ
وَرَأَقَكَ سِحْرُ الْعِدَا الْمُفْتَرَى وَغَرَّكَ زُورُهُمْ الْمُفْتَعَلِ
وَأَقْبَلْتِهِمْ فِي وَجْهِ الْقَبُولِ وَقَابَلَهُمْ بِشْرِكَ الْمُقْتَبَلِ
فَإِنَّ ذِمَامَ الْهَوَى لَمْ أَزَلْ أَبْقِيهِ ^(١) حِفْظًا كَمَا لَمْ أَزَلْ

* * *

فَدَيْتِكَ - إِنْ تَعَجَّلِي - بِالْجَفَا فَقَدَّيْتَهُبُ الرِّيثِ بَعْضُ الْعَجَلِ ^(٢)
عَلَامَ أَطْبَتِكَ ^(٣) دَوَاعِي الْقَلِي؟ وَفِيمَ ثَنَّتِكَ نَوَاهِي الْعَدَلِ؟
أَلَمْ أَلْزِمِ الصَّبْرَ كَيْمَا أَخَفَّ؟ أَلَمْ أَكْثِرِ الْهَجْرَ كَيْ لَا أَمَلُ
أَلَمْ أَرْضَ مِنْكَ بِغَيْرِ الرِّضَى وَأَبْدَى السُّرُورَ بِمَا لَمْ أَنْلِ؟
أَلَمْ أَغْتَفِرْ مُوْبِقَاتِ الذُّنُوقِ بِ عَمْدًا أَتَيْتِ بِهَا أَمْ زَلَلِ؟

(١) في الأصل : « أبقيه »

(٢) في هذا نصيبين للمثل المشهور : « رب عجلة تهب ريثاً » ، قالوا : وأصل المثل فيما حكاه المفضل الضبي أن مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم شام غيباً فأراد أن يرحل بإمرأته خاعمة بنت عوف بن أبي عمرو ، فقال له مالك : أين تظمن يا أخي ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة ، قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت وليس فيها قطر ، وأما أخاف عليك ، قال : لكنني لست أخاف فضي ، وعرض له عيسى وأعجله عن امرأته وجعلها بين لسانه ولم يكشف لها سترها ، فقال مالك بن سنان : ما فعلت أحمق ، قال : نفتى عنها الرماح فقال مالك : رب عجلة تهب ريثاً ، وفروقة يدعي لينا ، ورب غيث لم يكن غيثاً .

(٣) اطبتك : أعجبتك وراقتك . قال ابن دريد :

« ولا اطبي عيني - مذ فارقتهم - شيء يروق العين من هذا الورد . »

وَمَا سَاءَ ظَنِّي فِي أَنْ يُسِيءَ
عَلَى حِينٍ أَصْبَحْتَ حَسْبَ الضَّمِيرِ
بِي الْفِعْلَ حُسْنُكَ حَتَّى فَعَلَنْ
وَلَمْ تَبْغِ مِنْكَ الْأَمَانِي بَدَلَنْ
وَصَانَكَ مِنِّي وَفِي أَبِي
لِعَلِّقِ الْعَلَاقَةَ أَنْ يُتَدَلَنْ

* * *

سَمِعْتِ لِتَكْدِيرِ عَهْدِ صَفَا ،
فَمَا عُوْفِيَتْ مِقْتِي (١) مِنْ أَدَى
وَمَهْمَا هَزَزْتُ إِلَيْكَ الْعِتَا
كَأَنَّكَ نَاطَرْتُ أَهْلَ الْكَلَامِ
وَلَوْ شِدَّتِ رَاجَعْتِ حُرَّ الْفَعَالِ
فَلَمْ يَكُ حَظِّي مِنْكَ الْأَخْسَّ
وَحَاوَلْتِ نَقْصَ وَدَادِ كَمَلَنْ
وَلَا أُعْفِيَتْ ثِقَتِي مِنْ خَجَلَنْ
بَ ظَاهَرَتْ بَيْنَ ضُرُوبِ الْعِلَلِ
وَأُوْتِيَتْ فَهَمًا بِعِلْمِ الْجَدَلِ
وَعُدَّتِ لَتَلِكِ السَّجَايَا الْأَوْلِ
وَلَا عُدَّ سَهْمِي فِيكَ الْأَقْلَّ

* * *

عَلَيْكَ السَّلَامُ سَلَامَ الْوَدَاعِ
وَمَا بِأَخْتِيَارٍ تَسَلَيْتُ عَنْكَ ،
وَلَمْ يَدْرِ قَلْبِي كَيْفَ التُّرُوعِ
وَلَيْتَ الَّذِي قَادَ عَفْوًا إِلَيْكَ
يُحِيلُ عُدُوبَةَ ذَاكَ الْمَا
وَدَاعَ هَوَى مَاتَ قَبْلَ الْأَجَلِ
وَلَسَكِنْتِي : مُكْرَهُ لَا بَطْلَانِ (٢)
إِلَى أَنْ رَأَى سِيرَةَ فَاُمْتَثَلَنْ
أَبِيَّ الْهَوَى فِي عِنَانِ الْغَزَلِ
وَيَسْنِي مِنْ السُّقْمِ تَلِكِ الْمُقْلِ .

(١) مقيت : حبي .

(٢) يقول : لاني مرغم على السلو وليس لي فيه اختيار وفي المثل « مكره أخوك لا بطلان » يضرب لمن يحمل على ما ليس من شأنه ، ولا هو داخل في حدود استطاعته .

في مدح المعتضد

« وقال أيضا يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل
الله أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

لِلْحُبِّ - فِي تِلْكَ الْقِبَابِ - مَرَادُ^(١) لَوْ سَاعَفَ الْكَلِيفَ الْمَشُوقَ مُرَادُ
لِيَغْرَهُ هَوَاكَ فَقَدْ أَجَدَّ حِمَايَةَ^(٢) لِفِتَاةٍ نَجْدٍ فِتْيَةٍ أَنْجَادُ^(٣)
كَمْ ذَا التَّجَلُّدُ؟ لَنْ يُسَاعِفَكَ الْهَوَى بِالْوَصْلِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ نِجَادُ^(٤)
أَعْقِيلَةَ السَّرْبِ! الْمُبَاحُ لَوِزْدِهَا^(٥) صَفْوُ الْهَوَى إِذْ حُلَى الْوَرَادُ^(٥)
مَا لِلْمَصَايِدِ لَمْ تَنْلِكِ بِحِيْلَةٍ؟ إِنَّ الطَّبَاءَ أَنْتَدَرِي^(٥) فَتُصَادُ
إِنْ يَعْدُ عَنْ سَمَرَاتٍ جِزْعِكَ - سَامِرُ^(٦) فِي كُلِّ مُطْلَعٍ لَهُمْ إِرْعَادُ^(٦)

(١) مكان ارتياد . (٢) ليغر : لينحدر إلى العور ، والاعجاد : جمع محيد وهو الشجاع ذو النجدة والبأس . (٣) يقول : ما هذا التجلد والصبر / لأنه إن يسعك الهوى بالوصل ما لم تكن شجاعاً طويل النجاد بحيث يبابك الأعداء ، وتستطيع زيارة هذه الحبيبة في حى قومها رغم رثيم ووعيدهم . (٤) العقيلة : الكريمة من النساء المخدرة ، وحلى الوراد : منعوا من ورود الهوى صفوا ، أى يا عقيلة بين سرب من النساء مباح لها ورد الهوى صافيا ممنوع غيرها من ورده ، وجواب النداء في البيت بعده . (٥) المصايد : بلاهز جمع مصيده كعيشه ومعايش ، وتدرى : تفعل من ادري الصائد الصيد إذا ختل واحتال له ليصيده ، قال الشاعر :

« وماذا يدري الشعراء مني وقد جاوزت حدَّ الأربعمين . »

وقال أبو نواس في وصف كأس :

« قرارتها « كسرى » وفي جنباتها مها تدرىها - بالقسي - الفوارس . »

(٦) سمرة : جمع سمرة (بفتح فضم) ضرب من الشجر . قال امرؤ القيس :

« كاني غداة البين - يوم ترحلوا - لدى سمرة الحى نائف حنظل . »

وجزعاك : أراد به جزع الوادى أى منقطعه الذى يقطعه عرضا إذا أراد زيارتها ، والسامر : مجلس السرير يقول : إن يعدنى ويعنى عن سمرة جزع واديك سمار من قومك لهم في كل ثنية ومطلع لإرصاد وإبراق وزجر وتخويف ، وجواب الشرط في البيت بعده .



فَبِمَا تَرْتَرِقَ لِلمُتِّيمِ بَيْنَهَا
أَنَا حِينَ أُطْرِقُ لَيْسَ يَفْتَأُ طَارِقِي
يَتَهَى جَفَاؤُكَ عَن زِيَارَتِي الْكَرَى
لَا تَقْطَعِي صِلَةَ الْخِيَالِ تَجَنُّبًا
مَا ضَرَّ أَنْكَ بِالسَّلَامِ ضَدِينَةً
هَلَّا سَمَّتِ السَّقَمَ عَن جِسْمِ لَهُ
أَوْ عُدْتِ مِنْ سَقَمِ الْهَوَى، إِنْ الْهَوَى
إِيهَا ! فَلَوْلَا أَنْ أُرْوَعَكَ بِالسَّرَى
غَلَّلَ شَفَى حَرَّ الْغَلِيلِ بُرَادُ (١)
شَوْقٌ كَمَا طَرَقَ السَّلِيمِ عِدَادُ (٢)
كَيْلًا يَزُورَ خِيَالُكَ الْمُعْتَادُ
إِذْ فِيهِ مِنْ عَوَزِ الْوِصَالِ سِدَادُ (٣)
أَيَّامَ طَيْفِكَ بِالْعِنَاقِ جَوَادُ
فِي كِلَّةٍ زُرَّتْ عَلَيْكَ فُؤَادُ
مِمَّا يُطِيلُ ضَنْنِي الْفَتَى فَيُعَادُ
لَدَنَا وَسَادُ أَوْ لَطَالَ سِوَادُ (٤)

(١) تترق: تحرك وجاء وذهب كما يرى في تترقق السراب والماء ودرند السيف ، والصغير في « بينها »
حائذ نلى السمرات ، والعلل : الماء الذي يتدل بين الشجر ، والغليل : العطش ، والبراد : البارد ، يقول :
إن يمنعى قومك من الوصول إليك فبمسيل الوادى الذى يتغلل ماؤه بين سمرات الحمى ما يشقى غليلي ويبرد
غلقى ، يريد أن الوصول إلى هذا المكان يدبى حرارة الشوق عنده ، وقد ورد هذا البيت والذى قبله في
الأصل على هذه الصورة :

« إن يمدعن ثمرات جردك ساسر في كل مطلع لهم إرهاد

فبما تترقق للمتيم بينها غلل تو جر الدليل براد . »

(٢) السليم : المدوغ ، وعداد السليم : احتياج الوجود عنده ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ حاج
به الألم ، أو عداده أن تمت له سبعة أيام فإن ممت رجوا له البرء ، يقول : أنا حين أطرق برأسى مفكرا
يطرقنى من ألم الشوق ما يطرق اللدغ حاج به الألم المعاد .

(٣) سداد : بالكسر هو كل شيء سدوت به خلا ، ومنه سداد القارورة وهو صمامها الذى يسد به
رأسها ، ويقال : سداد من عوز وسداد من عيش وهو ما تسد به الحاجة .

(٤) الوساد : الخدة والسواد : السرار مصدر ساودها مساودة وسوادا أى سارها مسارة وسرارا فأدنى
سواده من سوادها ، وقيل لابنة الحس : « لم زنت وأنت سيدة قومك » ؟ فقالت : « قرب الوساد ،
وطول السواد . » وأرادت بطول السواد كثرة المسارة عند النوم لأن المسارة يلزمها قرب السواد من السواد ،
أى ذنوب شخصها من شخصه ، وهو مثل يضرب الأمر يلقى صاحبه فيما يكره .

لَفَشَيْتُ سَجْفَكَ فِي مُلَاءَةٍ نَثْرَةٍ (١) فَضِيلِ سِوَى أَنْ الْعِطَافَ نِحَادُ (١)
 لِأَمِيلٍ فِي سُكْرِ اللَّمَّا فَيَبِيَّتَ لِي - مِمَّا حَوَى ذَاكَ السَّوَارُ - وَسَادُ
 فَعَدِي الْمُنَى، فَوَعِيدُ قَوْمِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَعُوقَ عَنْ أَنْ يُقْتَضَى الْمِيْعَادُ

* * *

أَصْبُو إِلَى وَرْدِ الْخُدُودِ إِذَا عَدَتْ جُرْدُ - تُبَلِّغُنِي جَنَاهُ - وَرَادُ
 وَأَرَاخُ لِلْعِطْرِ السَّطُوعِ أَرِيحُهُ أَنْ شَيْبَ بِالْجَسَدِ الْعَطِيرِ جَسَادُ (٢)
 عَزَمُ إِذَا قَصَدَ الْحِمَى لَمْ يَثْنِهِ أَنْ الْقَنَا - مِنْ دُونِهَا - أَقْصَادُ (٣)
 مَنْ كَانَ يَجْهَلُ مَا الْبَلِيدُ، فَإِنَّهُ مَنْ تَطْبِيهِ - عَنِ الْخُطُوطِ - بِلَادُ (٤)
 وَفَتَى الشَّهَامَةِ مَنْ - إِذَا أَمَلَ سَمَا - نَفَدَتْ بِهِ شُورَى أَوْ اسْتَبْدَادُ (٥)

* * *

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْأَجْبَةَ إِذَا بَتَ ذِكْرَاهُمْ أَنْ يَطْمئنَّ مِهَادُ
 لَا يَأْسَ ، رَبِّ دُنُو دَارٍ جَامِعٍ لِلشَّمْلِ قَدْ أَدَّى إِلَيْهِ بِعَادُ (٦)

(١) السجف : الستر ، قالوا : أو هو الستران المقرونان بينهما فرجة ، أو هو كل باب ستر بسترين مقرونين ، فكل شق سجف وسجاف ، ويقال : اسجف الستر أي أرسله ، والملاءة : الربطة ، والنثرة الدرع السلسلة اللبس أو الواسعة ، وفضل - كالفصلة - : الثياب التي تبتذل للنوم ، وثوب فضل أي واحد أو هو أن يخالف بين طرفيه فيجعلهما على طاقه ويتوشع به ، والنجاد : حائل السيف وضعها على طاقه فكانت بدل العطف ، يقول : لغشيت سجفك ، ودخلت عليك سترك في درع واسعة كالملاءة ، فضل أي خالفت بين طرفيها فجعلتهما على طاقتي حين توشعت بها ، أو فضل أي واحدة ليس على غيرها سوى ما وضعت على طاقتي كالعطف من نجاد السيف أي حائله .

(٢) الجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران أو العنبر ، والجساد : الزعفران ، قالوا : « والجسد والجساد : الزعفران » ويقال : أجسد ثوب فلان إجاداً فهو مجسد . يقول : لاني أرتاح وأنعم بعطرك الساطع إذا امتزج طيب الزعفران بثوبك الأحمر المصبوغ بالزعفران أو الأصفر المصبوغ بالعنبر .

(٣) أقصاد : يقال تقصدت الرماح تكسرت ورمح أقصاد متكسر ، ورمح أقصاد متكسرة يوصف به الواحد والجمع ، يقول : إذا اعتزمت زيارتها ، وقصدت حماها لم يصرفني عن عزمي أن الرماح تتكسر دون الوصول إليها ، وفي الأصل : « القنى . » (٤) اطباء : ازدهاء ، وشآء : وأعجبه .

(٥) وفي الأصل : « نفدت به شوري أو استبداد »

(٦) وفي الأصل : « لا بأس »

انْ اَعْتَرِبَ فَمَوَاقِعَ الْكَرَمِ - الَّذِي
 اَوْ اَنَا - عَنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي -
 الْمَجْدُ عُدْرَتُهُ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ نَأَى
 يَا هَلْ اَتَى مَنْ ظَنَّ بِي - فَظَنُّوْنَهُ
 اَنِّي رَأَيْتُ « الْمُنْذِرَيْنِ » كَلَيْهِمَا
 وَبَصُرْتُ بِالْبُرْدَيْنِ اِرْثٍ « مُحْرَقٍ » (٣)

فِي الْعَرَبِ شِمْتُ بُرُوقَهُ - اُرْتَادُ
 فَهُمُ الْعَبِيدُ مَلِيكُهُمْ « عَبَادٌ » (١)
 اِرَى الْمَصَانِعَ مِنْهُ كَيْفَ تُسَادُ (٢)
 شَيْتِي تَرْجِحُ يَتْنَهَا الْأَضْدَادُ -
 فِي كَوْنِ مُلَاكٍ لَمْ يُحِلَّهُ فَسَادُ
 - لَمْ تَخْلُقْنَا - اِذْ تَخْلُقُ الْأَبْرَادُ

(١) وفي الأصل :

« أو أمان عن صيد الملوك بجانبني فهم العبيد ملوكهم عباد . »

(٢) وفي الاصل : « الجد عذر في العراق لمن نأى »

(٣) محرق

هو - كما في شرح العيون - « عمرو بن المنذر بن ماء - الماء » وهو « عمرو بن هند » وكان يعرف بأمه هند بنت الحرث بن حجر آكل المرار الكندي ، وكان يقال لعمرو مضطرب الحجارة لشدة بأسه ، وسعى محرقاً لقصة استوفى أبو العرج شرحها في كتاب الأغانى ، فقال : كان قد طاقه حياطي على ألا ينازعوا ، ولا يفاخروا ، ولا يفرأوا ، ثم أنه غرا اليمامة ورجع معتبطاً ومربطى ، يقال له زرارة بن عدس التميمي ، وكان من خواصه أبيت اللعن أصب من هذا الحمى شيئاً ، فقال ويلاك إن لهم عدداً . قال وإن كان لهم ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأدواداً ، فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي :

« أراك ابن هند لم تفك أمانة وما المرء إلا عهده ومواقفه

فأقسمت جهدي بالأباطح من مبي وما خب في بطائن درادته

لئن لم تعير بعض ما قد فعلته لانتهين للعظيم ذوات طارقه . »

سمى طارفا بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند ، فقال له زرارة بن عدس أبيت اللعن أتوعدك ؟ فقال عمرو لرميلة بن شعار الطائي أبهجوني ابن عمك وتوعدني . قال لا والله ما هجاك ، ولكنه قال :

« والله لو كان ابن جفنة جاركم ما إن كساكم نبيعة وهوانا . »

وأراد رميلة أن يسلم سجيته ، فقال والله لأقتلنه ، فبلغ ذلك طارفا ، فقال لمشدأ :

« أيوعدني والرمل بيني وبينه تبين رويداً ما امامة من هند

عدرت بمهد كنت أنت أخذتنا عليه وشر الشيمة المدر بالعهد

وقد يترك المدر الفتى وطعامه إذا هو أمسى جلده من دم الفصد . »

فبلغ عمرو بن هند قوله ففرطاً فأسراً سرى من بني عدى بن أحزم رهط حاتم ، فوفد حاتم عليه وسأله في الأسرى فأطلقهم له ، وكان المنذر بن ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابناً له صغيراً يقال له مالك عند زرارة

ابن عدس ، وأن مالكا خرج وما يتصيد فأخفق ولم يجد شيئاً ، فرجع فرآبيل لرحل من بني عبد الله بن دارم يقال له سويد ، وكان عند سويد ابنة زرارة ، فولدت له سبعة غلدة ، فأمر مالك بن المنذر بناقاة سبيبة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسويد تأم ، فلما انتبه شدت على مالك بعدما فضربه فأتمته ، فمات وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة ، وكانت طى تطلب عنزة بن زرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، فقال ثعلبة بن عمرو الطائي :

« من مبلغ عمروأ بأن المرء لم يخنق صباره
وهـ سوادن الأيام لا تنق لها إلا الحجارة
أن ابن عمرو أمته بالسفح أسهل من أواره
تسقى الرياح خلا كسحبه وقد سلوا اراره
فاقتل زرارة لا أرى في القوم أوفى من زراره.»

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى وفاضت عيناه ، وبلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهي حبلى ، فقال أذكر في بطنك أم أبي ؟ قالت لا أعلم لي بذلك دبقر بطنها ، فقال قوم زرارة لزرارة والله ما تلب أحأ الملك بأنه فأصدته الخبر ، فأناه فنصل إليه ، فقال على بسويد ، فقال إنه لحق بمكة ، قال دعلى ببنيه ، فأناه ببنيه السبيبة وأمهم بت زرارة غلدة بعضهم دوى بعس ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلوا بزرارة الآخرون ، فقال زرارة: يا بعضى، ودهبت مثلاً وقتلوا وآلى عمرو بن هند ألية ليحرقن من بى حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدنم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد القوم قد أئذروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بأحوية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هند فضربت قبلته وأسرهم بأحدود ثم أضرم بيه نارا ، فلما احتدم وتلظت قدف بهم دبسه فاحترقوا فأقبل راكب من البراجم وهم بطن من بى حنظلة لا يدري بشىء مما كان يصنع بيده فأحد وأقى فى النار وأمام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فتبيل له لو تحللت بأمرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلا ، فدعا بأمرأة من بى حنظلة ، فقال لها من أنت ؟ قال الحمراء بنت صمرة ، فقال إني لأطك أعجبية ؟ فمات : ما أنا بأعجبية ولا ولدتنى العجم :

« إني لبنت صمرة بن جابر سادا ممدأ كابرأ عن كابر.»

فقال عمرو: أما والله لولا مخافتى أب تلد مثلك لصرفتك عن النار ، فقالت : «أما والذى أسأته أن يضع وسادك ويغصص عمادك، ما تنتل إلا نساء أطالها ندى ، وأسادلها دمي.» قال أقدفوها فى النار فالفتت وقالت : ألا نقى يكون مكان مجوز ، فلما أبطئوا عليها قالت : هيهات صار الفيان حما وسبى من ذلك اليوم محرقاً ، ومن ملوك جفنة أيضا المحرق لكنه غير صاحب البردين - فأما أمر البردين فحكى أن الوفود اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه يابو الوفود وقال ليقيم أعز العرب قبيلة فليأخذها ، فقام طامر بن أحيمر فأخذها فأترز بالواحد وارتنى بالآخر ، فقال له أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال المزكاه فى معد والمعد فى معد ، ثم فى نزار ، ثم فى مضر ، ثم فى خندف ، ثم فى تميم ، ثم فى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى بهدلة فن أنكر هذا فلينا فرنى فسكت الناس ، فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت فى نفسك وأدل بيتك ؟ قال أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وهم عشرة ، وخال عشرة ، وها أنا فى نفسى وشاهد العز شامدى ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها فله عشرة من الابل فم يقم إليه أحداً ، وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل وبيرديه .

وَعَرَفْتُ مِنْ ذِي الطُّوقِ عَمْرٍو^(١) تَارَهُ^(٢) لَجْدِيمةَ الوَضَّاحِ^(٣) حِينَ يُكَادُ

(١) عمرو « ذو الطوق »

انظر ص « ١٤٥ » من هذا الديوان .

(٢) جديمة الوضاح أو الأبرص

هو جديمة بن مالك بن طامر النونخي ، وقيل الأردى أول من قاد العرب وملك على قضاة ، وكانت مازله الحيرة والانباء وولايته من قبل اردشير بن بابك ، وكان أبرص فعدل عن هذا الاسم ، فقيل الأبرص والوضاح ، وزعم بعضهم أنه كان يأنف من اسم الأبرص ، ولذلك كنى عنه بالأبرص ، وفي العرب من يفتخر بذلك . قال الراجز يمدح أبرص :

« أبرص يباس اليبدين أكلف والأبرص أدري باللهما وأعرف . »

وهو أول من صنع له الشمع وأدجج من الملوك ، وكان ذا رأى وهمة وتيه مفرط ، ويقال له ندم الفرقدين كان إذا شرب قدحاً صب لها قدحين ولا ينادم غسيريها ، وكان سبب ذلك فيما رعموا أنه كان تكهن واتخذ صنميق يقال لها العريبان يستقي بهما وينتصر على أعدائه ، وكانت اياد قد خرج قوم منهم من الحجار وانتشروا فيما بين البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلي الحيرة وكثروا بعين أباغ ، فخرج جديمة غارياً ، وكان في اياد رحل يقال له عدى بن نصر ، وكان له ظرف وجمال ، وإليه تنسب الملوك من آل نصر ، فنزل جديمة بساحتهم ، فبعثت اياد قوماً منهم إلى صنميق حذيمة فسقوا مسدنتهم الحجر وسرتوها فأصبحوا بهما في اياد فبعثت اياد إلى جديمة تقول : إن صميك قد أصبحا عندنا زهداً فيك ورغبة فينا ، فان شاهدتنا على أن لاأرونا رددناهما إليك ، فقال جديمة وتعطوني أيضاً عدى بن نصر يكون عندي ففعلوا وانصرف عنهم ، وضم عدياً إلى نفسه وولاه شرايه وأمر مجلسه ، وكان لجديمة أخت تسمى رفاش وهي بكر ، فأجبت هدياً وأحبها ، فسألته أن يخطبها من جديمة إذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأشهد عليه من حضر ، فلما أصبح دخل عليه بثياب العرس ، وكان قد دخل بها تلك الليلة ، فقال جديمة ما هذه الآثار يا عدى ؟ فقال آثار عرس رفاش ، فقال من زوجكها ويحك ؟ قال الملك ، فأكب على الأرض مفكراً وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر ، وأرسل جديمة إلى أخته يقول :

« خبري رفاش لا تكذبي أبحر زنت أم بجين

أم بسد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أدل لدين . »

فالت بل أنت زوجتي اسراً غريباً ولم تشاورني في نفسي ، فكف عنها وآلى أن لاينادم إلا الفرقدين وحلت رفاش غلاماً وسحنته عمراً ، فلما ترعرع ألبسته وطرته ودخلت به على خاله ، فلما رآه أحبه وجهه مع ولده وخرج جديمة متدياً بأهله في سنة خصبة ، فأقام في روضة ذات زهر ونهر ، فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكأمة ، فكانوا إذا أصابوا كجاة جيدة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها وانصرفوا إلى جديمة يتعادون وعمرو يقول : هذا حنأ وخياره فيه ، إذ كلت جانته يده إلى فيه ، فصه جديمة إلى صدره ورس بقوله وحلاه بطوق من ذهب ، فكان أول عربي لبس الطوق ، ثم إن الجن استطارته فطلبه جديمة في الآفاق زماناً فلم يقدر عليه ، ثم أقبل رجلان من قضاة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارح من الشام يريدان جديمة وأهديا له طرفاً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى تريان فد تلبس شمره فعرفهما نفسه فنهضا وغسلا

وَأَتَى بِي النُّعْمَانُ ^(١) - يَوْمَ نَعِيمِهِ -
 تَجَمُّمٌ تَلَقَّى سَعْدَهُ الْمِيلَادُ
 قَدْ أَلْفَتْ أَشْتَاتُهُمْ فِي وَاحِدٍ إِلَّا يَكُنُّهُمْ أُمَّةً فَيَكَادُ ^(٢)

رأسه وأصلها أمره وألبسها ثياباً ، وقالا ما كنا نهدى جذية أنس من ابن أخته ، وخرجا به إلى جذية فسرى به ورأى الطوق ، فقال شب عمرو عن الطوق ذهبت مثلاً ، وقال لذلك وعقيل حككما قالا منادمتك ما بقينا وبقيت فكنتهما من ذلك وهما نديما جذية اللذان يضرب بهما المثل وإياهما عن متم بن نوبة بقوله في رثاء أخيه :

« وكنا كندمان جذية حقة من الدهر حتى قيل ان يتصدنا . »

وقيل إنما عنى الفرقدين ، ويحكى أن جذية سكر مرة أخرى فقتلها ، فلما أصبح ندم ، وبني عليهما النريين ونادم الفرقدين وقيل إن صاحب النريين المنذر الأكبر ، ثم إن جذية أرسل يخطب الزباء ملكة الحضرمي الحاجز بين الفرس والروم ، وكاذها وترعده فأجابته واستدعته إليها ، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالضيغافهم تصير ابن سعد ، وكان لبيباً ، وقال : إن النساء يهدين إلى الأزواج فصاه وسار حتى إذا كان بمكان يدعى بقة استشارهم فأشاروا عليه لما يمامون من رأيه فيها ، فقال قصير انصرف ودمك في وجهك فأبى ، وظن جذية حتى إذا طاب السكتائب قد استقبلته . قال قصير ما الرأي ؟ قال تركت الرأي بقة ، ثم ركب تصير فرساً لجذية تسمى العصا فنجأ وأخذ جذية ، فلما أدخل على الزباء أمرت برواهشته فقطعت والرواهش عروق اليد واستنزفته حتى مات في خبر طويل مشهور ، وكان مدة ملكه ستين سنة ، وله أشمار حسنة مشهورة فيها :

« أضحى جذية في يبرين منزله قد حاز ما جمعت من قبله طاد

مستعمل الخير لا تفي زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد . »

(١) النعمان

قالوا إن النعمان كان له نديمان فغضب عليهما فقتلها ، فلما أصبح ندم على ذلك أشد الندم ، فبني على تربيها ضريحين ، وجعل لنفسه يومين في كل عام يجاس فيها بجوار القبرين أحدهما يوم نعيم ، والآخر يوم يؤس . فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مائة من الأبل ، وأول من يطلع عليه في يوم يؤسه يقتله ويطلق بدمه ضريحى نديمه .

وقد ذكروا مثل ذلك عن المنذر بن ماء السماء ، وقالوا إنه أتى «عبيد بن الأبرص» في يوم يؤسه فقتله . فقال له جلته التي صارت مثلاً فيما بعد وهي قوله : « حال الجريش دون القريض » .

(٢) يقول : قد اجتمع هؤلاء الأعلام الذين أزدانت بهم السير في شخص واحد هو المدوح ، فإذا لم يكن أمة مجتمعة فيه صفاتهم ومزاياهم فهو يكاد أن يكون .

وقديماً قال الغائل :

« ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد . »

فَكَأَنِّي طَالَمْتُهُمْ بِوِفَادَةٍ لَمْ يَسْتَطِعْهَا «عُرْوَةُ» الْوَفَادُ (١)

(١) عروة الوفاد

نلخص هنا طرفاً من أخباره عن كتاب الأغانى فنقول :
 هو عروة بن الورد بن زيد ، وقيل : ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم بن عوذ بن
 ظالم بن قطيعة بن عيس بن شيبان بن الريث بن غطفان بن سعد بن ويس بن عيلان بن مضر بن نزار ،
 شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وجواد من أحوادها المقدمين ، وكان يجمع الصعاليك
 ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يصيبوا معاشاً ، ولذلك سمي عروة الصعاليك
 ورووا عن عبد الملك بن مروان أنه قال : ما يسرنى أن أحداً من العرب ولدنى ممن لم يلدنى إلا عروة
 ابن الورد لقوله :

« إني امرؤ طاق لئاني شركة وأنت امرؤ طاق لئائك واحد
 أتبرأ مني أن سنب وأن ترى بجسدي من الحق والحق جاهد
 أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسو مراح الماء والماء بارد . »

ويقال أيضاً : إن عبد الملك قال : من رعم أن حائماً أسبح الناس فقد ظلم عروة بن الورد . قالوا : وكان
 إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريس والكبير والضعيف ، وكان عروة يجمع هؤلاء
 وأشباهم ثم يخفر لهم الأسراب ، وتتعد لهم حظائر يكفهمها عليهم وؤويهم إليها ، ومن قوى منهم بأن يرى
 من مرسه أو ثابت إليه قوته خرج به معه فأغار ، وجعل لأهل العصب من أصحابه النابض نصيباً ، وعن
 ابن الأعرابي قال : أجذب ناس من بني عيس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد
 وبؤس ، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا ودلوا : يا أبا الصعاليك ، أغثنا ،
 فرق لهم وخرج ليؤويهم ويصيب معاشاً فنهته امرأته عن ذلك لحدوها عليه من الهلاك ، فعصاها وخرج عارياً ،
 فر بمالك بن حمار الفراري فنجر له جرورا فأكل منها هو وأصحابه ، وأشار عليه مالك أن يرجع فعصاه ،
 ومضى حتى انتهى إلى بلاد اليمن فأغار عليهم فأصاب هجعة طابها على نفسه وأصحابه
 وقال في ذلك :

« أرى أم حسان المداء تلومي تحومى الأعداء والفسس أحوف
 تقول سايبي لو أقب لسرنا ولم تدر أنى لل مقام أطرف
 لعل الذي خوتتنا من أماننا يصادفه في أهله المحلف . »

وقال في ذلك أيضاً :

« أليس ورائي أن أدب على العصا فيشت أعدائي ويسأمني أهلي
 رهينة قمر البيت كل عشية يائف في الولدان أهدج كالرأل
 أقيموا بني أمي صدور ركابكم فكل مايا النفس خير من الهزل
 فأنكدوا لن تلدوا كل همتي ولا أربي حتى تروا منبت الأثل
 لعل ارتيادي في البلاد وحيلتي وشدى حيازيم المطية بالرحل
 سـيدغمي يوماً إلى رب هجعة يداع منها بالعقوق وبالبلبل . »

في قصر ملك كالسدير^(١) أو الذي ناطت به شرفاتها سنداد^(٢)

(١) السدير

« السدير » قصر - وهو معرب - قالوا « وأصله بالفارسية « سه دل » أي قبة فيها ثلاث قباب متداخلة » فعربه العرب ، وقالوا : « سدير » قالوا : « وهو موضع معروف بالحيرة » وقالوا : « هو قصر قريب من « الخورتق » كان النعمان الأكبر اتخذ له بعض ملوك العجم . وسيأتي ذكره في شعر الأسود بن يعفر عند الكلام على « سنداد » في شرح هذه القصيدة . وقد ذكره « عبد المسيح بن عمرو » عند ثلثة « خالد بن الوليد » والمسلمين على « الحيرة » في خلافة أبي بكر فقال :

« أبعد المنذرين أرى سواما تروح بالخورتق والسدير
تحماه فوارس كل حي مخافة أغلب على الزئير
دصرنا بعد ملك « أبي قبيس » كمثل الشاء في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من « معد » كأننا بعض أعضاء الجزور »

وقال الخليل في قصيدته المشهورة :

« فإذا سكرت ، فاني رب الخورتق والسدير
وإذا صوت ، فاني رب الشوية والبعير . »

(٢) سنداد

« سنداد » قصر بالمذيب وهو المقصود هنا ، وسنداد - في رواية أبي الحسين الأديبي : نهر ، وقد استدل على ذلك بقول أبي دؤاد الأيادي :

« أقفر الدير فالأجارع من قو مي ، فروق ، فرامح ، تخفيه
فتلاع الملا إلى جرف سنداد د ، فقو ، إلى نعان طيه
موحشات من الأيس - بها الوح ش خناطيل موطن أو بنيه . »

قالوا : وسئل عنه « أبو عمرو » أهو بفتح السين أو كسرهما ، فقال : « بفتح السين » وعن صاحب التكملة : بفتح السين وسامى بالكسر .

وفي رواية « السكوني » : « سنداد منازل لا ياد نزلتها لما قاربت الريف ، بعد لصاب وشرح وناظرة ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة . »

قال حمزة في تاريخه : « وكان قد تملك في القديم من الفرس على مواضع متفرقة من أرض العرب ستة عشر مرزبانا ، وقد ذكرهم صاحب معجم البلدان « ج ٥ ص ١٥٠ » إلى أن قال : « ثم تملك سنداد على عمل سخت ، وطال مكثه في الريف حتى بنى فيه أبنية : وهو صاحب اقصر ذي الشرفات من « سنداد » الذي يقول فيه « الأسود بن يعفر » « والقصر ذي الشرفات من سنداد »

تَتَوَهَّمُ الشَّهْبَاءُ فِيهِ كَسْتِيبَةً يَفْنَاءُ ، الِيَحْمُومُ فِيهِ جَوَادُ
 يَخْتَالُ مِنْ سَيْرِ الْأَشَاهِبِ وَسَطُهُ يِيضُ كَمُرْهَفَةِ السِّيُوفِ جِمَادُ (١)

* * *

فِي «آلِ عَبَّادٍ» حَطَّطْتُ فَأَعَصَمَتِ هَمِي بِحَيْثُ أَنْفَتِ الْأَطْوَادُ
 أَهْلُ الْمَنَازِرَةِ الَّذِينَ هُمُ الرُّبَا فَوْقَ الْمُلُوكِ إِذِ الْمُلُوكُ وَهَادُ (٢)
 قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَعَدُّ عَقِيلَةَ مَاءَ السَّمَاءِ ، فَهَمُّ لَهَا أَوْلَادُ
 يَبْتُ تَوَدُّ الشَّهْبُ فِي أَفْلَاكِهَا لَوْ أَنَّهَا - لِيَبْنَاهِ - أَوْلَادُ

قال ابن السكيت :

وكانت « إباد » تنزل سنداد - وهو نهر فيما بين « الحيرة » إلى « الابله » وكان عليه قصر تبح
 العرب إليه ، وهو القصر الذي ذكره الأسردي بن يعفر .
 قالوا : ومرة « صر بن عبد العريز » بقصر آل حفنة فتثقل « مزاحم » مولاه بقول « الأسود
 ابن يعفر النهشلي :

« ومن الحوادث - لأبالك - أني ضربت على الأرض بالأسداد
 لا أهدى فيها المدفع تلمعة بين العراق وبين أرض مراد
 ماذا أوهل - بعد آل محرق - تركوا منازلهم وبعث إباد
 أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر - ذى الشرفات - من سنداد
 حلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء المرات يحيى من أطواد
 أرض تخيرها - لطيب مقلها - كعب بن مامة وابن أم دؤاد
 جرت الرياح على عراس ديارهم فكأنما كانوا على ميماد
 وانعد غنوا فيها بأفضل عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
 فاذا النعيم وكل ما يلهى به يوماً يسير إلى بلى ونقاد . »

فقال له عمر : ألا قرأت : « كم تركوا من جنات وعبود وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين
 كذلك وأورثناها قوماً آخرين »

(١) يقول يخال القصر من سير الجداول وسطه متعده كبيض السيوف المرهفة ، وفي الأصل :

« يخال من سر الأشاهب وسطه ييض كرهفه السيوف جماد . »

(٢) قريب من هذا المعنى قول ابن دريد :

« هم العماريح المنيغات الدرى وأناس ضحاح ثباب وأضى . »

مَرَّ فُوعَةً - بِالْبَيْضِ - مِنْهُ عِمَادُ
لِدَّةٌ لَهُ ، فَتُجُومَهَا أَزَادُ (٢)
فَتَلَّالَاتٌ - فِي تَوْمِهَا (٣) - الْأَفْرَادُ
فَتَقَاصَرَتْ عَنْ بَعْضِهَا الْأَعْدَادُ
نَسِيَتْ زَيْدًا (٤) عَمْرَهَا بَلْ أَعْرَضَتْ

(١) اللهم : العطايا :

(٢) أرَاد - جمع رَاد - يقال رَاد الضحى : أى ارتفاعه ورَاد الأرض : خلاؤها ، قال الطبرانى :

« مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع والشمس رادالضحى كالشمس في الطفل. »

(٣) التوم : جمع تومة وهى اللؤلؤة ، وسميت تومة لأنها تومة نظيرتها في المقد أو في الأذن ، والافراد : جمع فرد وهو ما لانظيره في المقد يقال : فرد وفريد ، ويقال : تام أخاه أى ولد معه ، وهو تشمة ، وتومه .

(٤) عمرو بن معديكرب الزبيدي

ويضرب المثل باقدامه وشجاعته .

اقدم عمر في ساحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس. »

هو - كما في سرح العميون - عمرو بن معديكرب بن عبد الله الزبيدي ، وكنيته « أبو ثور » الفارس المشهور صاحب الفارات والوفائع المذكورة في الجاهلية والاسلام ، ولد على رسول - صلى الله عليه وسلم - في السنة العاشرة من الهجرة .

قال عمرو :

قدمت المدينة ، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فافلا من « تبوك » فأردت أن أدنو إليه ، فنعني من حوله .

فقال : « دهوه » فدنوت منه ، فقلت :

« أنعم صباحا أبيت اللعن »

فقال : « يا عمرو أسلم تسلم ويؤمك الله من الفزع الأكبر » فأسلت

وحاش « عمرو » إلى أيام عثمان ، وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية ، وهو الذى ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانزمت الأعاجم ، وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها ، قال الحمصى ما رأيت أشرف من رجل يوم اليرموك خرج له حلج فقتله ، ثم آخر فقتله ثم انهزموا فنبههم وتبعته ، ثم انصرف إلى خباء له أسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله ، قلت من هذا ؟ قالوا عمرو بن معديكرب ، وحدث بن أبى حاتم . قال سررنا يوم القادسية بعمرو بن معديكرب وهو يحض اللاس بين الصهين ويقول : أيا اللاس كونوا أشد مناشأ إن هذا الرجل من الأعاجم إذا لقي مزارا فانما هو تس ، فبينما هو كذلك يمرضنا إذ خرج رجل من الأعاجم فوقف بين الصهين فرماه بنشابة ، فما أخطأت سية قوس كان متنكبها فالتفت ، ثم حل عليه فاعتنقه ، ثم أخذ بمنطقته فاحتله فوضعه بين يديه وجاء حتى إذا دنا منا كسر عنقه ،

ثم أمر الصمصامة على حلقة فذبحه ونزع سواريه ومنذقته وألقاه، وقال : « هكذا فاصنعوا بهم » فقلنا : « من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع ؟ » وحكى أبو عبيدة قال : لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالاً عظيمة فنزل سعد بن أبي وقاص الجلس ثم قسم البقية فأصاب العارس ستة آلاف وبقي مال دثر ، فكتب إلى عمر بما فعل فكتب إليه أن رد على المسلمين الجلس وأنظ من لحق بك ممن لم يشهد لوقمة ففعل ذلك ، ثم كتب إليه أن أعط ما بقي حجة القرآن ، وأناه عمرو بن معديكرب ، فقال ما معك من حفظ القرآن ؟ قال : لاني أسلمت ، ثم شعلت بالرو عن حفظ القرآن ، وقيل أناه بشر بن ربيعة ، فقال له ما معك من حفظ القرآن ؟ قال معي اسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ، فقال سعد مالك في هذا المال من شيء ولا من نصيب ؟ فقال عمرو مشدداً :

« إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد فالت قريش ألا تلك المقادير
 أعطى السوية من طمن له نغذ ولاسوية إذ تعطى الدنانير . »

وقال بشر أبياتاً، وكتب سعد إلى عمر بما قال ، فكتب إليه : « أعطهما على بلائهما » فأعطاها أربعة آلاف درهم ، وحكى المدائني قال : كان عمرو بن معديكرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة فمرض الخليل ، فمرّ عمرو على فرس له ، فقال هذا هجين ، فقال عمرو عتيق . قال فأمر به بمطاش ، ثم دعا بقرس ، فقلب فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشربت بقاء فرس عمرو ، ففى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين ، فقال له ألا ترى ؟ فقال عمرو أحل الهجين يعرف الهجين ، يبلغ عمر ، فكتب إليه قد بلاني ما قات لأميرك ، وبلاني أن لك سيفاً تسميه الصمصامة وعندى سيف مصعوم بالله ممن رصعته على هامك لا أنلج حتى أبلغ به شراسيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أتول فمد ، ويروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوماً ، فقال ما تقول في الحرب ؟ قال مرّة المذاق إذا كدفت من ساق ، فر صبر عرف ، ومن ضمف تاف . قال فما تقول في الرمح ؟ قال خيلك وربما خاك . قال فاذل ؟ قال منايا تخلى وتصيب . قال فالترس ؟ قال عليه تدور الدوائر . قال فالسيف ؟ قال عبدك تكلك أمك . قال عمر بل أمك ، فقال الهى أصرعتنى ، فأناظ له عمر في الكلام ، فقال :

« أنوعدى كالك ذو رعين بأقم عيشة أو ذر نواس
 فلا تغدر بملكك كل ملك يصير لدلة بعد الشمس . »

فقال عمر صدقت فافتس منى قال يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها لك لملكك بالسيف أخذ منك أم ترك ، قال وما هى ؟ قال سمعتك تقرأ أنه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، والله لو علمت انى إذا دخلتها مت لعمت ، وحكى أن عبيدة بن حصن لما قدم الكوفة أمام أياماً ، ثم قال : والله مالى بأبي ثور عهد ، ثم ركب فرساً وسأل عن حلة بنى زبيد فأرشد إليها وسأل عن عمرو موقف يبابه ، ثم قال : يا أبا ثور اخرج إلينا فخرج مؤزرراً كأنما كسر وجبر ، فقال له انعم صباحاً أبا مالك ؟ فقال أو ليس قد بدلنا الله تعالى يبدأ السلام عليكم ، فقال دعنا مما لانعرف انزل فان عندى كبتاً سيدنا فنزل فعصد إلى الكيش فذبحه ثم ألقاه فى قدر وطبخه ، وجلس يتحدث إلى أن أدرك فترد فى جفنة عظيمة وألقى الفدر عليها وقعداً فأكل منها ثم قال : أى الشراب أحب إليك اللب أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية ، فقال أو ليس حرمها الله تعالى فى

الاسلام ، فقال: أنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟ قال: أنت ، قال: فإني قد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا أنه قال : هل أنتم منتهون. قلت: «لا» ثم جاء بنيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ويذكران أيام الجمالية حتى أسيا ، فلما أراد عينته الانصراف . قال عمرو إن انصرف أبو مالك بدير حياء إنها لو صمة فأمره بناقاة أرحية وحمله عليها ثم أتى بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه ، فقال أما المال فوالله لا آخذه ولا ألمسه ، فانصرف وهو يقول :

« جريت أبا ثور جزاء كرامة فنعمة الفتى أنت المزور المضيف . »

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة إلا الكذب ، حكى أبو عمرو بن الملاء ، قال: وقف عمرو يوماً بالمريد يتحدث - على عادتهم - فقال : « غزوت في الجاهلية على بني مالك فخرجوا مستدعين بمخالد بن الصقب فعملت عليه بالصلصاصة فأخذت رأسه » وكان خالد بن الصقب حاضراً ، فقال بعض الجماعة : « مهلاً أبا ثور قتيلك يسمع كلامك » وأشار إليه ، فقال اسكت إنما أنت محدث فاسمع أرقم ، ثم التفت إلى خالد وقال : « إنما نرهب هذه المدينة بهذه الأخبار » وهضى في حديثه فلم يقطعه ، فقال له رجل : « انك لشجاع في الحرب والكذب » فقال : « إني كذلك » وحكى أبو عمرو بن الملاء قال : جاء رجل إلى عمرو وهو واقف بالمريد على فرس له وقد أسن فقال لا تظن ما بقي من قوّة أبي ثور فأدخل يده بين سانه وجنب الفرس ففطن عمرو لذلك فضم رجليه وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن يتزع يده حتى إذا بلغ منه صاح به فقال : « يا ابن أخي مالك ؟ » قال : « يدي تحت سارك » تخلى عنه وقال : « إن في عمك بقية بعد » ومن كلامه حكى أنه أتى مجاشع بن مسمود فقال : أسألك حملان مثلي وسلاح مثلي فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فربى ببني حنظلة فقالوا: « يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ » فقال: « والله بنو مجاشع ما أشدّ في المروب لقاءها ، وأجرل في الارباب عطاءها ، وأحسن في المكرمات بناءها ، والله لقد قاتلتها فما أجبتهما وسألتها فما أبجّلتها ، وهاجبتها فما أحمّتها » ومن حيد شعره :

« ولما رأيت الحيل زوراً كأنها حداول ماء أرسلت فأسبّطرت
بجاشت إلى النفس أوّل مرة ردت على مكروهاها فاستقرت
ظلت كأنى للرماح دريئة أقاتل عن أحساب جرم ومرت
ولو أن قومي أنطقني ومأخهم نطقت ولكن الرماح أجرت . »

قوله أقاتل عن أحساب حرم من الهجاء المص ، وذلك أنه ذكر أن قوماً درّوا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غصباً لهم وعصبية ، وقوله ولو أن قومي أنطقني ، يعني لو قاتلوا وطاعنوا نطقت بمدحهم ، ولكنهم درّوا ، فأسكتوني عن المدح ، والأصل في الاجرار أن الفصل إذا أرادوا نظامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضام وقى القصيدة التي أولها : « أمن ربحانة الداعي السبيع »
يقول :

« وقد عجبت أمانة أن رأيتني تفرع لمتى شيب طبيع
أشاب الرأس أيام طوال وهم ما تبلغه الصلوع
وزحف كتيبة لقاء أخرى كأن زهاءها رأس صليح

ولاساد الأسنة نحو نحري وهم المشرفية والوقوع
 فان تنب النوائ آل نهم تجد حكاهم فيها رفوع
 اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع
 وصله بالنزوع فكل شيء سمالك أو سموت له نزوع .
 وقوله أيضاً :

« يا أيها الغنابتا - جهلا بنا وولدت عبدا
 ليس الجمل بمسئور - فاعلم - وإن رديت بردا
 إن الجمل معادت ومناقب أورثن مجا
 أعددت للحدثات سا نفة وعداء علدني
 نهدا وذا شطب يقدر اليبس والأبدان قدا
 كل امرئ يجرى إلى يوم الهياج بما استعدا

لما رأيت نساءنا يفصحن - بالمزاء - شدا
 وبدت محاسنها التي تحي ، وطاد الأمر حدا
 فاركت كبشهم ، ولم أر - من نزال الكش - بدا
 هم يندرون دمي وان - نذر إن لقيت بأن أشدا
 كم من أخ لي صالح بوأنه بيدي لحدا
 ذهب الذين أحببهم وبميت - مثل السيف - دردا .

قلت : « لو لم يكن له إلا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على بشر كثير » وأما الحمصامة فهي سيفه المشهور . قال عبد الملك بن عمير أهدت بلقيس إلى سليمان حمسة أسياف ، وهي : ذو الفقار ، وذو النون ، ومجدوب ، ورسوب ، والحمصامة . وأما ذو الفقار : فكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ، ومجدوب ورسوب : للحارث بن حجلة السائي ، وذو النون والحمصامة : لعمر بن معديكرب ، وحكى أن عمر بن الخطاب قال لعمر بن عبد المطلب : ابعث لي الحمصامة ، فبعث به إليه فلم يره كما يلقيه ، فقال له في ذلك ؟ فقال لاني بعثت إليك الحمصامة ولم أبعث لك باليد التي قضر به ، وحكى أبو عبيدة أن الحمصامة انتقلت إلى سعيد بن العاص ، وذلك أن خالد بن الوليد لما غزا بني زيد ، وكان خالد بن سعيد من جلة أسرائه أوقع بهم وأسر رجحانة أخت عمرو بن معديكرب فداها خالد وأتابه عمرو الحمصامة ، ثم فقد يوم الدار في مقتل عثمان ووجد ، ولم يزل إلى أن صعد المهدي البصرة ، فلما كان بواسطة أرسل إلى بني العاص يطلب الحمصامة ، فقالوا إنه في السبيل محبسا ، فقال حمسون سيفاً فاطعاً في السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سبيها وأخذها ، فلما صار إلى الهادي أحضره وأسر الشمران بوصفه ، فقال بعضهم من أبيات :

« حاز حمصامة الزبيدي عمرو من جميع الأمام موسى الأمين
 ما يبالي من انتضاء اضرب أشمال سقطت به أم زين . »

ثم وصل إلى التوكل فدفعه إلى غلامه « باغزا » التركي فقتله به ، ومن عند « باغزا » تقطع خبره .

عَنْ وَصِيفٍ « كَعْبٍ » ^(١) بِالسَّمَّاحِ إِيَادُ
فَضَحَ الدُّهَاءَةَ فَلَوْ تَقَدَّمَ عَهْدُهُ
لَعَنَّا « الْمُغِيرَةَ » أَوْ أَقْرَّ « زِيَادُ » ^(٢)

(١) كعب بن مامة

هو كعب بن مامة الايادي ، وكان أحد أجواد العرب يضرب به المثل في الوفاء ، آثر على نفسه وكان مسافراً مع رفيقه فقل عليها الماء فتصافناه ، والتصافن أن يوضع في الماء مقلة أي حجر صدير يغمر بالماء لئلا يتغابنوا في القسمة ، فجعل رفيقه يشرب نصيبه ، فاذا جاء دور كعب . ول له رفيقه وقد جهده الم ش : « أسق أخاك » فيؤثره على نفسه حتى جهد كعب من العطش وأشرف على الهلاك ، ورمعت له أعلام الماء ، وقيل له رد كعب ولا ورود به فبات عطشاً ، وفي ذلك يقول أبو دواد الايادي :
« أرفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وراذ فما وردا . »
ارجع إلى الكامل للمبرد « ص ١٣٦ »

(٢) زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة

كانا من أممذاه العرب وساستهم ودهاتهم وأخبارهما مستفيضة في كتب التاريخ ، ولكننا نجتزئ القول اجزاء فيما يلي :
قالوا :
وسمى « زياد ابن أبيه » أو « زياد بن سمية » لأن أمه كانت جارية للبحارث بن كلدة الثقفي ، فزوجها بمبد له روى يقال له : « عبيد » نولدت « سمية » زيادا على فراشه ، فهو ولد « عبيد » شرعا . قالوا : وكان « أبو سفيان » قد سار في الجاهلية إلى « الطائف » فنزل على بائع خر يقال له : « أبو صريم » - وقد أسلمت ذمها بعد - فقال له « أبو سفيان » : « قد اشتميت النساء » فقال أبو صريم : « هل لك في سميه ؟ » فقال أبو سفيان :
« هاتها على طول ثديها وذفر بطنها »
فأتاه بها ، فوقع عليها ، فيقال إنها علقت منه زياد ، ثم وضعت في السنة التي هاجر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونشأ « زياد » فصيحاً .
وحضر « زياد » يوماً بمحضر جنازة من الصحابة في خلافة « عمر » فقال « عمرو بن العاص » : لو كان أبو هذا البلام من قريش ، لساق العرب بعصاه .
فقال أبو سفيان لعلي بن أبي طالب :
« إني لأعرف من وضعه في رحم أمه »
فقال عليّ :
« فما يمنعك من استلحاقه »
قال :
« أخاف الأصابع (يعني عمر) أن يقطع إهابي بالدررة »

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ رَجْمَ ظُنُونِهِ
 إِذَا مَا أَخْتَالَ - غُرَّةٌ فَيَلْقَى
 أَسَدٌ، فَرَأَيْتُمْهَا الْفَوَارِسُ فِي الْوَعْيِ،
 إِنَّ الْغُيُوبَ وَرَاءَهَا إِمْدَادُ
 قَدْ أَمْطَيْتَ عِقْبَانَهُ الْآسَادُ (١)
 لَكِنَّ بَرَاتِنَهَا - هُنَاكَ - صِعَادُ (٢)

لما كانت قصة شهادة الشهود على المعيرة بالرنا وجلدهم لعدم ثبوت الزنا عليه - ومنهم أبو بكره أخو زياد لأمه - وامتناع « زياد » حين كان يؤدى الشهادة عن التصريح ، وكان أحد الأربعة الذين شهدوا عليه - اتخذ المعيرة لذلك لرياد بدا .

ثم لما ولى « على بن أبي طالب » الخلافة ، استعمل « زيادا » على فارس ، فقام بولايتها أحسن قيام ، ولما سلم « الحسن » الأمر إلى « معاوية » امتنع « زياد » بفارس ، ولم يدخل في طاعة « معاوية » واهتم معاوية بالأمر ، وحاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم ويعيد الحرب ، وكان معاوية قد ولى « المعيرة بن شعبة » الكوفة ، فقدم « المعيرة » على « معاوية » سنة ٤٢ هـ فشكا إليه « معاوية » امتناع « زياد » بفارس ، فقال « المعيرة » :

« أتأذن لي في السير إليه ؟ »

فأذن له ، وكتب « معاوية » لرياد أماناً ، فتوجه « المعيرة » إليه - لما بينهما من المودة - وما زال به حتى أحضره إلى « معاوية » وبايعه .

وفي سنة ٤٤ هـ استلحق « معاوية » « زياداً » فأحضر الناس ، وحضر من يشهد زياد بالنسب ، وكان ممن حضر لذلك « أبو مریم » نائج الحمر الذي أسلفنا ذكره - وهو الذي أحضر « سمية » أم « زياد » إلى « أبي سفيان » بالطائف - فشهد بنسب « زياد » من « أبي سفيان » .

قالوا : « فاستلحقه معاوية » وقد أعظم الناس ذلك وأكروه لاسيما بو أمية لأن زيادا ابن عبيد الرومي قد ألحق نسبه ببني أمية بن عبد شمس ، وقد قال « عبد الرحمن الحكيم » أخو « مروان » في ذلك :

« ألا ببلغ « معاوية بن صحر » : « لقد ضاقت بما تأتي اليدان »

أتعصب أن يقال : « أبوك عم ؟ » وترضى أن يقال : « أبوك زاني ؟ »

وأشهد أن رحلك - من زياد - كرحم الغيل من ولد الأنان . »

ثم ولى « معاوية » « زياداً » البصرة ، وأضاف إليه « حراسان » و « سحستان » ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

(١) غفان - جمع عقاب - وهو من سماع الطير التي تصيد . قال المتنبي :

« شكوى الحريخ إلى العقبان والرخم »

وقال العتري :

« صاقت بسعد أرضها لما رمى ساحاتها بالخيصل والفرسان »

بفوارس - مثل الصقور - وضمير مجذولة ، ككواسر العقبان . »

(٢) صعاد - جمع صعدة - وهي القناة التي تبت مستقيمة لا تحتاج إلى التثيف ، والصعدة - من

النساء - المنقبة القائمة - على النشبية - قال « كعب بن حميل » يصف امرأة شبه قدمها بالقناة :

« فاذا قامت إلى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل »

صعدة نابتة في حائر أبنها الريح تميلها تمل . »

خَلَّتِ اللّوَاءُ نَحْمَامَةً فِي ظِلِّهَا قَرْمٌ ، بِغُرَّتِهِ السَّنَا الوَقَادُ

* * *

شَيْحَانُ مُنْعَمِسُ السَّنَانِ مِنَ العِدَا
تَشْكُو إِلَيْهِ الشَّمْسُ نَقْعَ كَتِيبَةٍ
جَبَّشٌ - إِذَا مَا الأَفُقُ سَافَرَ طَيْرُهُ
مُسْتَطْرِفٌ لِلْمَجْدِ لَمْ يَكُ حَسْبُهُ
مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى رِفَاهَةِ رَاحَةِ
أَرِجُ النَّدِيِّ ، مَتَى تَفْرُجُ بِجِوَارِهِ
لَوْ أَنَّ خَاطِرَهُ الجَمِيعَ مَفْرَقٌ
- فِي النَّقْعِ - حَيْثُ تَفْلَعَلُ الأَحْقَادُ
مَا زَالَ مِنْهُ لِعَيْنِهَا إِزْمَادٌ (١)
مَعَهُ - فِي ذِمَمِ الصَّوَارِمِ زَادٌ (٢)
مَجْدٌ - يَدُورُ مَعَ الزَّمَانِ - تِلَادٌ (٣)
حَتَّى يُخَلِّدَ مِثْلَهُ إِخْلَادُ
يَطِيبُ الحَدِيثُ وَيَعْبِقُ «الإِنْشَادُ» (٤)
فِي الخَلْقِ أَوْشَكَ أَنْ يُحْسَ جَمَادُ

* * *

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي
تَبْدُو عَلَيْكَ - مِنَ الوَسَامَةِ - حُلَّةٌ
لَمْ يَشْفِ مِنْكَ العَيْنَ أَوْلُ نَظْرَةٍ
زُهْرُ النُّجُومِ - لَوَجْهِهِ - حُسَادُ
يَهْفُو إِلَيْهَا - بِالنَّفُوسِ - وَدَادُ
لَوْلَا المَهَابَةُ رَاجَعَتُ تَرْدَادُ

- (١) النقع : العبار ، والكتيبة : الجيش ، يقول : « تشكو إليه الشمس سطوع الببار ، والنقع النار لأنه أرمدها فأنعمضتها ولم تبصر . »
(٢) يقول : إن هذا الجيش إذا سارته في الأفق عقبان الجوّ وحوارح الطير ، في ذمة الصوارم من السيوف أن تضمن لها الزاد من قتلى الأعداء .
(٣) مستطرف : أي مستحدث لنفسه مجدا طريقا أي حديدا مكسوبا غير موروث ، والخب : محرّكة وقد يسكن كما هنا ما يعده الانسان من مآخره ، والتلاد : القديم الموروث عن الآباء .
(٤) الندى : الجباس ، يقول : هو أريج الندى أي عطر ما ينبعث عن مجلسه من طيب انقول واطر الثناء ، إذا فزت بقربه ودنوت من مجلسه ، يطيب الحديث ، ويعبق في أرحاء المجلس عبير الاشاد ، وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :
« أريج الندى ، متى تفرج بجواره يطب الحديث ويعبق . . . »
والتكلمة يعطيها السياق .

مَا كَانَ مِنْ خَلَلٍ فَأَنْتَ سِدَادُهُ
 الدِّينِ وَجْهُهُ أَنْتَ فِيهِ غُرَّةٌ
 لِلَّهِ مِنْكَ يَدٌ عَلَّتْ ، تُوَلِّي بِهَا
 لَوْ أَنَّ أَقْوَامَ الْمُلُوكِ تَوَافَقَتْ
 نَفَعَ الْعُدَاةَ الْيَأْسُ (١) مِنْكَ ، لِأَنَّهُ
 يَنْصَاعُ مَنْ جَارَكَ مَقْبُوضَ الْخَطَا

قَدْ قُلْتُ لِلتَّالِي ثَنَاءَكَ سُورَةٌ
 « أَعِيدِ الْحَدِيثَ عَنِ السِّيَادَةِ ، إِنَّهُ
 كَرَّمَ كَمَاءَ الْمُزْنِ رَاقٍ خِلَالَهُ
 وَمَحَاسِنُ زَهَرَ الزَّمَانُ زُهُرَهَا
 مَا لِلوَرَى فِي نَصِّهَا إِحْسَادُ :
 لَيْسَ الْحَدِيثُ يُمَلُّ حِينَ يُعَادُ .
 أَدَبٌ كَرَّوَضَ الْحَزْنَ بَاتَ يُجَادُ (٥)
 فَكَأَنَّمَا أَيَّامُهُ أَعْيَادُ (٦)

- (١) يقول : ما كان من خال في الرمان فأنت سداده الذي يسد به ، أو كان من أود بيه واهوجاج مات سداد ، أي بك سداده وصلاحه وتقويته .
- (٢) الصفد العطاء ، والصفاد : ما يوثق به المقيد من قيد ونحوه ، يقول : لله ملك يد تولى الجليل وتهب العطاء ، لانزال نحمدها ونشكرها لك إلى أن يفك ما قيدتنا به من أصفاد العم ، وقد جانس بين الصفد بمعنى العطاء ، والصفاد بمعنى القيد ، وحمل الاحسان صفادا وقيدا مستفيض في كلام الشعراء ، قال الشاعر :
 « ومن وجد الاحسان قيد تقيدا . » ، وقال ابن الرومي :
 « ما على الأحرار من رق إذا نقدوا شكرهم مولى أيادي
 إنما النعمى صـ صفاد فاذا لقيت شكرا فليست بصفاد . »
 يقول ابن حيوس :
- « عقلتهم بالجميل فالتقلوا رب عناة أصفادها الصفد . »
- أي قيودها العطاء ، وفي الأصل : « تولى بها * صفد . »
- (٣) في الأصل : « البأس »
- (٤) يقول : ينصاع ويرجع عن مجارته في المجد كل من جراه ، ويقف حيث ابتداء مقبوض الخطا كأنما عشت بسيفانه القيود فمنته من المضي .
- (٥) المرن : السحاب ويجاد يعطر بالحدود (بفتح فكون) وهو المطر المنير .
- (٦) يقول : ويضاف إلى هذا الكرم الذي وصفه في البيت السابق محاسن أضاء الزمان بزهر نجومها ، فكأنما كل يوم من أيامها عيد .

يَأْيَاهَا الْمَلِكُ الَّذِي - فِي ظِلِّهِ -
يَا خَيْرَ « مُعْتَصِدٍ » بِمَنْ أَقْدَارُهُ
لَمَّا وَرَدْتُ - بِوَرْدِ حَضْرَتِكَ - الْمُنَى
فَأَسْتَقْبَلْتَنِي الشَّمْسُ تَبْسُطُ رَاحَةً
فَلَنْ فَخَرْتُ - بِمَا بَلَغْتُ - لِقَلِّ لِي
مَهْمَا أَمْتَدَحْتُ سِوَاكَ - قَبْلُ - فَإِنَّمَا
يَغْشَى الْمَيَادِينَ الْفَوَارِسُ - حِقْبَةً -
فَلَأَسْحَبُنْ ذَيْلَ الْمُنَى فِي سَاحَةِ
وَلَيْسْتَ تَفِيدُنَّ السَّنَاءَ مَعَ الْغِنَى
وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ شَيْمَةٍ مِنْ أَنْ يُرَى
هَيْهَاتَ قَدْ ضَمِنَ الصَّبَاحُ لِمَنْ سَرَى
لَا تَعْدَمَنَّ - مِنَ الْحُظُوظِ - ذَخِيرَةٌ

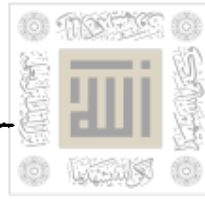
رِيضَ الزَّمَانُ فَذَلَّ مِنْهُ قِيَادُ
- فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ - لَهُ أَعْضَادُ
فَهَمَّتْ لَدَى جِامِهَا الْأَعْدَادُ (١)
لِلْبَحْرِ - مِنْ نَفَحَاتِهَا - أَسْتِمْدَادُ
أَلَّا يَكُونَ مِنَ النُّجُومِ عِتَادُ
مَدْحِي - إِلَى مَدْحِي - لَكَ أَسْتِطْرَادُ
كَيْمَا يُعَامَهَا النَّزَالُ طِرَادُ (٢)
- إِلَّا أَوْفَ بِهَا الْمُنَى - فَأَزَادُ (٣)
عَبْدٌ يُفِيدُ النَّصْحَ حِينَ يُفَادُ
- لَنْفِيسِ أَعْلَاقِي لَدَيْكَ - كَسَادُ
أَنْ يَسْتَتِبَّ لِسَعْيِهِ الْإِحْمَادُ (٤)
تَبْقَى فَلَا يَشْلُو الْبَقَاءَ نَفَادُ

(١) فهتت : جواب لما أى سال ، وجامها : جمع جم (بالفتح) وجمة (بالضم) وهو الماء الكثير والأعداد : جمع عد (بالكسر) ، وهو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها كماء العيون ، يقول : حين وردت فى حضرتك ورد المنى ، همت جامها ، وسالت مياها الأعداد ، يريد أنه رأى فىض المنى ينبثق من راحته ، وفى الأصل :

« لما وردت بورد حضرتك المنا فهتت لدى جامها الأعداد . »

(٢) هو مطاردة الفرسان بعضهم بعضاً للمران على الحرب .
(٣) فلأسحبن من المنى ذيلها فى ساحة جواد إن لم أوف بها ما تطمح لايه نفسى من الأمانى فأما سآزاد عليها ، يقول : إن أمره دائر بين أن يبقى له بما تسو إليه نفسه من الأمانى ، أو يزيده عليها فوق ما يريد ويتخى .

(٤) يشير إلى اللؤلؤ المشهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى . » وسيمر بك شرحه فى ص (٢١٧) من هذا الديوان .



في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله
 أبو عمرو عباد بن محمد بن عباد ، ويذكر
 بعض مواقف له مع خاصته من أصفائه ،
 والمناوئين له من أعدائه . »

لِيَهِنِ الْهُدَىٰ إِنْجَاحُ سَمْعِكَ فِي الْعِدَا
 وَتَهْجُكَ سُبُلَ الرُّشْدِ فِي قَمْعِ مَنْ غَوَىٰ
 وَأَنْ بَاتَ مَنْ وَالَاكَ فِي نَشْوَةِ الْغِنَىٰ
 وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةِ الْعَهْدِ طَلْقَةُ
 وَدَوَاةِ سَعْمٍ لَا أَتْبَهَاءَ لِحَدِّهِ
 دَعْوَتَ ، فَقَالَ النَّصْرُ : لَبَّيْكَ مَاثِلًا
 وَأَنْ رَاحَ صُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكَ وَأَغْتَدَىٰ^(١)
 وَعَدْلُكَ فِي اسْتِئْصَالِ مَنْ جَارَ وَأَعْتَدَىٰ^(٢)
 وَأَصْبَحَ مَنْ عَادَاكَ فِي غَمْرَةِ الرَّدَىٰ^(٣)
 كَمَا أُبْتَسِمَ النُّوَارُ عَنْ أَدْمَعِ النَّدَىٰ^(٤)
 إِذَا قِيلَ فِيهِ قَدْ تَنَاهَىٰ تَوْلَدًا
 وَلَمْ تَكُ كَالدَّاعِي يُجَاوِبُهُ الصَّدَىٰ

(١) السعى : التصرف في كل عمل من خير أو شر ، أي أن سبيل الهدى وسبيل المؤمنين جديران بكل تهينة وبشرى حيث أنجح الله سعيك في مناجرة أعدائك ولم يزل يتعهدك بحبيل صنمه ولطيف إحسانه في الرواح والندو ، والصباح والعشى .

(٢) وليهن الهدى أيضا سلوكك مناهج الرشد ، وإجراؤك سنة العدل في قمع العابدين المفسدين ، واستئصال شأفة الجائرين المتدين ، واقتلاعهم من أصولهم ، وإذهاب الملكة من مفاسدهم وشرورهم .

(٣) والى : الموالاتة ضد المعاداة ، وقد طابق في البيت بين «بات» و «أصبح» و «والى» و «عادى» و «نشوة الغنى» و «غمرة الردى»

(٤) النوار : بضم أوله وتشديد ثانيه النور ، واحدته نواره وقد نور الشجر والنبات أي أزهر ، وفي البيت تشبيه النوار بالنور الباسم عن لؤلؤ العزل .

وَأَمَحَدَتَ عَقْبِي الصَّبْرِ فِي دَرَكِ الْمُنَى كَمَا بَلَغَ السَّارِي الصَّبَاحَ فَأَمَحَدًا (١)

« أَعْبَادُ » يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ بِذِمَّةِ
وَأَرْعَاهُمْ عَهْدًا وَأَطَوْهُمْ يَدًا
لِتَسْتَوِيَ الْعَلَمِيَا، وَأَنْجَدَتَ سُودًا (٢)

(١) الدرك : محركا اللعاق والوصول إلى الشيء ، يقال أدركته إدراكا ودركا ومثله الدرك بالسكون . قال
حيدر بنطاط الأمد :

« لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَكَانٍ ضَنْكٌ كَلَامُهُمَا ذُو أَنْفٍ وَحَكٌ
وَبَطْشَةٌ وَصَوْلَةٌ وَفَنَكٌ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قَنَاعَ الشَّكِّ
يُظْفَرُ مِنْ حَاجَتِي وَدَرَكٌ فَلَمَّا أَحَقَّ مَنْزِلَ بَرَكٌ
الذئب يموي والغراب يبكي »

والساري : اسم فاعل من السرى وهو سير الليل وأصل المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » وأول من
قال ذلك كما في مجمع الأمثال عن « المفصل » الصبي هو « خالد بن الوليد » لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنهما
وهو « بالجماعة » أن سر إلى « العراق » فأراد سلوك المقارة ، فقال له « رافع » الطائي : قد سلكتها في
الجاهلية ، هي خسر للابل الواردة ، ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء . فاشترى مائة شارب
سقطها ، ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كتبها وكم أفواهما ، ثم سلك المقارة حتى إذا مضى يومان وخاف
المعش على الناس والخليل وخشى أن يذهب ما في بطون الابل ، نحر الابل ، واستخرج ما في بطونها من الماء
وسقى الناس والخليل ومضى فلما كان في الليلة الرابعة ، قال « رافع » : انظروا هل ترون سهدرا عظاما ؟ فان
رأيتوها وإلا فهو الهلاك . فظفر الناس فرأوا السدر فأخبروه مسكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء ،
قال خالد :

« لَّهُ دَرِ رَافِعٍ أَنِّي أَمْتَسِدِي هُوَ مِنْ قَرَارِقِ إِلَى سَوِي
حَسَا إِذَا سَارَ بِهِ الْجَيْشُ بَكِي مَاسَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ لِمَنْ يَرِي
عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرِي وَتَنْحَلِي عَنْهُمْ غِيَابَاتِ الْكَرِي .»

يضرب للرجل يحمّل المشقة رجاء الراحة .

(٢) غرت : من غار غوراً فهو غائر إذا أتى النور وهو ما انحدر مسيله ، ويقابله النجد : يقال : غار
وأنجد وأغار وأنجد ، قال جرير .

« يَا أُمَّ حِزْرَةَ مَا رَأَيْتُنَا مِثْلَكُم فِي الْمُنْجِدِينَ وَلَا بِنُورِ الدَّائِرِ . »

وقال الأعشى :

« نَبِيٌّ يَرِي مَا لَا تَرُونَ وَذَكَرَهُ أَغَارُ لِعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجِدَا . »

وأنكر الجوهري أعار ، وقاله الأصمعي : أغار وأنجد في بيت الأعشى بمعنى أسرع وارتفع ، على أن النصف
الثاني من البيت روي مخزوما هكذا : « غار لعمرى في البلاد وأنجدنا » ، يقول : بين حالك من التواضع
والسوء إلى مراتب السيادة بون شامع ، فقد انحدرت إلى غور التواضع فكانت عاقبة ذلك أن استوفيت حظك
من العلباء وبلنت أسمى مراتب السوء والرفعة .

وَلَمَّا اعْتَصَدْتَ اللَّهَ كُنْتَ مُوهَبًا
 وَجَدْنَاكَ إِنِ الْقَحْتَ سَمِيًّا نَتَجَّتْهُ
 وَكَمْ سَاعَدَ الْأَعْدَاءُ أَوَّلَ مُطْمَعٍ
 فَلَا ظَافِرٌ إِلَّا - إِلَى سَعْدِكَ - اعْتَرَى
 لَدَيْهِ لِأَن تَحْمِي وَتُسْكِنِي وَتُعْضِدَا
 وَغَيْرُكَ شَاوٍ حِينَ أَنْضَجَ رَمْدًا (١)
 رَأُوكَ بِعُقْبَاهُ أَحَقُّ وَأَسْمَدَا
 وَلَا سَائِسٌ إِلَّا بِتَدْبِيرِكَ اقْتَدَى

* * *

ضَلَالًا لِمَفْتُونٍ سَمَوْتَ بِحَالِهِ
 رَأَى حَطَّهَا أَوْلَى بِهِ ، فَأَحْلَمَهَا
 وَمَا زَادَ - لَمَّا لَجَّ فِي الْبَغْيِ - أَنَّهُ
 فَزَلَ وَقَدْ أَمْطَيْتَهُ ثَبَجَ الشَّهَاءُ
 طَوِيلٌ عِثَارِ الْجُرْمِ قُلْتَ لَهُ: «لَعْمًا» (٤)
 إِلَى أَنْ بَدَتْ - بَيْنَ الْفِرَاقِدِ - فَرَقْدَا
 حَضِيضًا بِكُفْرَانِ الصَّنِيعَةِ أَوْهَدَا (٢)
 سَعَى لِلَّذِي أَصْلَحْتَ مِنْهَا فَأَفْسَدَا
 وَصَلَّ وَقَدْ لَقِيْتَهُ قَبَسَ الْهُدَى (٣)
 بِحِلْمٍ تَلَقَّى جَهْلَهُ فَتَغَمَّدَا (٥)

(١) ألقحت من ألقح الفعل اللاقحة ، ولقحت هي ، قال الحرث بن عباد :

« قريبا مريبط النعمامة مي لقتت حرب وائل من حبال . »

والسبي : التصرف في الأمور ، ونتجته : من قولهم نتج دنان اللقحة إذا ولي نتاحها وهي ماخض حتى تضع ، وفي المثل : « هل تنتج اللقحة إلا لمن لقتت له » ، وكتب عليه صاحب مجمع الأمثال ما نسخته : يقال نتجت اللقحة على ما لم يسم فإله ، وأنتجتها إذا أنسها على ذلك ، والناجح للوق كالتقابلة للاسار ، ولقحت تلتج لقاها ولقاعا واللقحة لاتبج وانفوح ، ومعنى المثل : هل يكون الولد إلا لمن يكون له الماء ؟ يضرب في التشبيه ، ويروى « لما لقتت له » أي لقاها أي لقبول رحمة ماء الفعل ، يشير إلى صدق الشبه ، و « ماء » مع « لقتت » للمصدر ، وغيرك شاو : أصل المثل « شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد » والترديد القاء الشواء في الرماد ، يضرب - كما في مجمع الأمثال للبيداني - لمن يفسد اصطباعه باليمن ، ويردف صلاحه بما يورث سوء الطل ، ويروى عن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه : أنه سرَّ بدار رجل عرف بالصلاح فسح من داره صوت بعض الملامى فقال : شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد .

(٢) الحضيض : الفرار من الأرض المنخفض عن سفح الجبل ، وأوهد : أفضل تفضيل من الوهدة وهي الهوة ، يقول : رأى ذلك المفتون انحطاط حاله أولى به وأنزله المدوح من مستوى الفراقيد إلى أحط قرار من الأرض بسبب كفران النعمة ونكران الجليل .

(٣) ثبج السها : أهلاه ، والسها : نجم صغير في بنات نعش الكبرى يتحننون به أبصارهم خلفائه ، وفي المثل « أريها السها وتريني القمر »

(٤) دعوت له بأن يقيه الله من سقطته . (٥) غطى على جهله وستره .

تَجَنَّى فَأَهْدَيْتَ النَّصِيحَةَ مَحْضَةً ، وَلَمْ تَأَلُهُ بُقِيًّا عَلَيْهِ تَنْظَرًا
فَمَا آثَرَ الْأُولَى ، وَلَا قَلَدَ الْحِجْبِي ،
كَأَنَّكَ أَهْدَيْتَ السَّوَابِحَ ضُرًّا
وَأَجْرَزْتَهُ ذَيْلَ الْحَبِيرِ (٣) تَأَلَّفَا
سَلَّ الْحَائِنَ الْمُعْتَرَّ : كَيْفَ اخْتِقَابُهُ
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَزْبًا مُصَمَّمًا ،
دَهَاهُ - إِذَا مَا جَنَّتَهُ اللَّيْلُ - أَنَّهُ
وَلَجَّ فَوَالَيْتَ الْعِقَابُ مُرَدَّدًا (١)
لِفَيْئَةٍ مِّنْ أَكْرَمَتِهِ فَتَمَرَّدَا
وَلَا شَكَرَ النُّعْمَى ، وَلَا حَفِظَ الْيَدَا
لِيَرَكُضَهَا - فِيمَا كَرِهْتَ - فَيَجْهَدَا (٢)
لِيَخْلُقَ - فِيمَا جَرَّ - حِقْدًا مُجَدَّدًا (٤)
- مَعَ الدَّهْرِ - عَارًا بِالْعِرَارِ مُخَلَّدًا (٥)
فَلَمْ يَعُدْ أَنْ أَمْسَى ظَلِيمًا مُشْرَدًا (٦)
أَقَامَ عَلَيْهِ - آخِرَ الدَّهْرِ - سَرْمَدًا (٧)

- (١) يقول بدأ يتجنى عليك الذنوب ويحققها خلفا ، وكان جراؤه ملك أن تحمضه الصبح خالصا بريئا ،
ولما لج في غروره وعصيانه صبت عليه عقابك المتوالي لتزجره - على أسأته وتؤدبه .
(٢) كأنما أهديته الجياد الضمر ليجار بك بها ويجهد نفسه في توخي أعدائك وتلب ما تكره .
كأن هذا الحائن ظن أنك أهديته الجياد الضمر السوايح ليجهدا ركضا فيما تكره من مناصرة أعدائك .
(٣) أحررته ذيل الحبير : جعلته يجر ذيل العمة .
وكأنه ظن أنك تتألمه بما تلحق عليه من حبير أجررته ديله ليلحق لك مشاكل ويجدد أحقادا بسبب
ما حره من حرائر وجرائم . (٤) وفي الأصل : « للحدق مجددا »
(٥) الحائن : الأحمق ، والمتر الفقير المعترض المعروف من غير أن يسأل ، والاحتقاب الادخار ، يقال :
احتقب الشيء : ادخره ، واحتقب خيرا أو شرا واحتقبه : احتمله وجعله خلفه ، واحتقب الاثم : جمعه ،
والعرار - جمع عرة وهي الحلة القبيحة .
(٦) المصمم : الماضي في الأمر معتزما ، والظلم : الذكر من النعام ، قال تأبط شرا :
« أنا الذي نكح العيلان في بلد ما طلّ فيه سماكي ولا جادا
في حيث لا يعمت العادي عمائته ولا الظلم به يبني تبيادا
وقد لهوت - بمصقول عوارضها - بكر تنازعتي ككأسا وعنقادا
ثم اتقضى عصرها عني ، وأعقبه عصر المشيب ، قتل في صالح نادا . »
أي نكح العيلان في بلد لم يظفر بالطل وهو الرذاذ « المطر الحفيف » ولم يظفر فيه الظلم - « فرخ النعام » -
بالهيبد - وهو الخنظل - ليأكله ، وقد لها بنتاة من الأبقار مصقولة العارضين تنازعت ككشوس الحمر وعناقيد
الغنب ، ثم اتقضى ذلك العصر الصالح وأعقبه عصر المشيب .
(٧) يقول : وقد أصبح يتربح جزا أن يكون حينه مرتبعا بيومه وصار يتوجس الشر خوفا من أن
يكون ليله سمردا إذا قتله .

يُحَازِرُ أَنْ يُلْقَى قَتِيلًا مُعَقَّرًا - إِذَا الصَّبِيحُ وَافَى - أَوْ أُسِيرًا مُقَيَّدًا

* * *

لَبِئْسَ الْوَفَاءَ أُسْتَنَّ فِي «أَبْنِ عَقِيدَةَ»
 قَرِينٌ لَهُ أُغْوَاهُ حَتَّى - إِذَا هَوَى -
 فَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ ،
 فِدَاهُ لِإِسْمَاعِيلَ كُلُّ مُرْشِحٍ - إِذَا جُشِمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ تَبَلَّدًا (١)

* * *

أَفَادَ مِنْ - الْأَمْلاكَ حِدَثَانِ فَشَلِهِمْ
 أَعَادَ الصَّبَّاحَ الطَّلُقَ لَيْلًا عَلَيْهِمْ
 فَحَلَّ هِلَالًا - فِي ظَلَامٍ مَعْجَابَةَ -
 يُرَاجِمُ مِنْ «صِنْهَاجَةَ» وَ «زَنَاتَةَ»
 مَوَالِي ، لَمْ يَشْكُ الصَّدِي مِنْهُمْ الصَّدَا (٢)
 فَجَاءَ وَأَثْنِي نَاطَرَ الشَّمْسِ أَرْمَدَا
 تَلَا حِظَّةُ الْأَقَارُ - فِي الْأَفْقِ - حُسْدَا
 - بِمِثْلِ بُجُومِ الْقَذْفِ - مِثْنِي وَمَوْحَدًا (٣)

(١) يقول : أن قرينه زين له الصلال حتى إذا تردى في سوء عمله تبرأ قرينه من عمله ورأى و التحلى عنه وسيلة إلى نجاته .

(٢) المرشح : المؤهل .

(٣) يقول : إن توالى الأحداث والحوادث التي أنزلها حبسه بالملوك قد أفادته موالى غاية و البسالة لا يشكو العطشان منهم عطشاً لشدة ما أوتيه من صبر و حلد .

(٤) راحم عنه : ناضل ، و راحم في الكلام و الحرب بالغ بأشد مساحلة ، و نجوم القذف ، أو شهب القذف هي الرحوم ، قال الشاعر :

« كسهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار . »

يقول : لأنه يسأل بنصرة أهل زناته و صنهاجة و يقذف بهم الأعداء كما يقذف بالشهب و يرحم بها شائثيه ، وقد اشتهرت صنهاجة بتلك المذبحة الكبرى التي حدثت في القرن الخامس من الهجرة سنة ٤٥٩ هـ و قد ثارت صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة و ذبهم الوزير يوسف بن نغزلة اليهودي ، وكان سبب هذه المذبحة أن ذلك الوزير - وكان قد استوزره باديس صاحب غرناطة - قد وثى بأبي إسحاق الفقيه زاهد البيرة فأقصاه السلطان عن بلاده .

قالوا : « وكان ذلك الوزير قد تعرض لتسفيه بعض الآراء الدينية الاسلامية ، وكان عظيم الخطر واسع

هُمُ الْأَوْلِيَاءُ الْمَانْحُوكِ صَفَاءَهُمْ إِذَا أُمْتَاَزَ مُصْنِفِي الْوُدِّ مِمَّنْ تَوَدَّدَا

النفوذ - فوجد أبو إسحق من ذلك حافرا إلى إنشاء قصيدته البليغة التي دفعه إلى قولها غيظه من عدوه - ذلك الوزير الخطير - فلأما تحريضها وأفعمها حجباً وبراهاين، أفلح في التأثير بها على العامة وحلهم على إنفاذ رغباته - وما زال يتمنن في ضروب الاحتثات والنهييج حتى اشتمل الجمهور حماسة وهجم على ذلك الوزير قتله - في قصر السلطان نفسه - وليس من شك في أن أبا إسحق بدل كل مواهبه في الضرب على النعمة الدينية وإظهار الفجع الشديد على ما انتاب الدين من التهاون به وعرف كيف يوالى فيها اطراد الأدلة واتساقها وتدق المعاني وغرارتها مع دقة عجيبة في التعبير عن أغراضه وخوالجه بكلام نظم ، يتظاير حماسة ويتأجج ناراً ، وسمر صارخ

« خارج من قلب فائله مثلما يزدر بركان . »

وبهذا استطاع أن يوهم سامعيها أن قتل أولئك اليهود - أخصاهه - درض لا مناص من أدائه وواجب حتم لا يصح السكوت عنه وأنهم - إن كانوا غلبوا عن القيام به فيما مضى - فهم حليقون أن يتداركوه في الحال ، حتى لا تصيب عليهم لعنة الله ، أو يخيق بهم غضبه ، فيحسف بهم الأرض ، أو ينزل عليهم الساء ، وكذلك لم يترك ناظماً وسبيلة من الوسائل التي تستمر أحق العواطف الدينية الكامنة إلا استتخدمها ، ولا نعمة من نعمات متعصب للعقيدة الدينية إلا ضرب على وتيراتها . كل ذلك بأسلوب سهل رشيق كاد يصل - لسهولته - إلى حدّ الركافة في بعض الآيات مع أنه من أجل الشعر وأبدعه ، وإن شئت نقل وأروعه ، وإليك هذه القصيدة العريضة في بابها :

« ألا قل لصنّاعة أجمين بدور الزمان وأسد العرب
مقالة ذي مفة مشفق يعد الصيعة زلي ودين
لقد دلّ سيديكم ذلة تقرّ بها أعين الشامتين
تحجير كتابه كافرا ولو شاء كان من المؤمنين
فعر اليهود به وانتحوا وتاهوا، وكانوا من الأردنين
ومنها :

« فكلم مسلم راغب راهب لأردل فرد من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم وامكن منا يقوم المعين
فهلا اقتسدى فهم بالألى من القادة الحيرة المنقين
في هذا البيت شيء كثير من الركافة في قوله « بالألى من القادة الحيرة المنقين » ولكننا ستفرها لما في
إليه من تعة تلك السورة الشعرية المنطقية البديعة .

« وأنزلهم حيث يسألون ورددهم أسهل السافلين
فلم يستمعوا بأعلامنا ولم يستطيعوا على الصالحين »
ومنها يخاطب السلطان باديس :

« أبا ديس أنت امرؤ حاذق تصيب بطك نفس اليقين
فكيف خي منك ما يعشون وفي الأرض تضرب منها القرون
وكيف تحب فراخ الزنا وقد بغضوك إلى العالمين

لَهُمْ كُلُّ مَيْمُونِ النَّقِيبَةِ بَازِلٍ (١) كَفِيلٍ بَانَ يَسْتَهْزِمَ الْجَمْعَ مُفْرَدًا
يَسْرُكٌ فِي الْهَيْجَا إِذَا جَرَّ لَامَةً وَيُرْضِيكَ فِي النَّادِي إِذَا أَعْتَمَّ وَأُرْتَدَى (٢)

* * *

كَرِهْتَ - لِسَيْفِ الْمَلِكِ - أَلْفَةً عَمِدِهِ
وَلَمْ تَرَ لِلشَّيْبِ الْإِقَامَةَ فِي الشَّرَى
مُهَامٌ - إِذَا حَارَبْتَ - فَأَرْفَعِ لَوَاءَهُ ،
وَيَأْتِي مِنْ بَيْنِ الْمِهَادِ تَعَوُّضًا
وَقَدَمَا شَكَا حَبْلَ التَّمَامِ يَأْفِعًا
وَلَمْ تَرَ سَيْفًا - بَاتِكَ (٣) الْحَدَّ قَبْلَهُ -
وَقَلَّ غَنَاهُ السَّيْفِ مَا كَانَ مَغْمَدًا
فَجَدَّ أَفْتِرَاسًا حِينَ أَصْحَرَ لِلْعِدَا
فَمَا زَالَ مَنصُورَ اللُّوَاءِ مُؤَيَّدًا
بِصَهْوَةِ طَيَّارٍ - إِلَى الرَّوْعِ - أَجْرَدًا
لِيَجْمَلَ رَقْرَاقَ الْفَرِيدِ مُهَيَّدًا
تَنَاولَ سَيْفًا - دُونَهُ - فَتَقَلَّدَا

وكيف يتم لك المرتقى
وكيف استنست إلى فاسق
ومنها :

« واني حلت نغراطة
وقد نسسوها وأعمالها
ومنها :

« وهم أماكم على سرتم
ويأكل عـبرهم درهما
وقد نهضوكم إلى ربكم
ومنها :

« ورخم قردهم داره
وصارت حوائجنا عنده
ويضحك منا ومن دينا
البارل : الرجل السكامل ، والبازل أيضا الناقة في طامها التاسع ، قال الشاعر :
«عذرت البزل إن هي قابليني فما بال وبال ابني لبون»

(٢) أي تعجب بشجاعته إذا لبس لامة الحرب كما تعجب بسجاحته التحف رماه ولبس عمامته في السلم .
(٣) باتك الحد : فاطمة مرهفة .



لَبْنُ أَنْجَزَتْ مِنْهُ الشَّمَائِلُ آخِرًا لَقَدْ قَدَّمَتْ مِنْهُ الْمَخَائِلُ^(١) مَوْعِدًا
 قَرَرْتَ بِهِ عَيْنَا، فَكَمْ سَادَ عِثْرَةٌ وَكَمْ سَاسَ سُلْطَانَا، وَكَمْ زَانَ مَشْهَدًا
 وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِهِ^(٢) - الرَّضَى، وَبَلَّغْتُمَا - مِمَّا تُرِيدَانِهِ - الْمَدَى

دولة عباد

كَمْ لِرِيحِ الْعَرْبِ مِنْ عَرَفِ نَدِيٍّ كَالشَّرَابِ الْعَذْبِ فِي نَفْسِ الصَّدِيِّ^(٣)
 حَيْثُ «عَبَادٌ» فَتَى الْمَجْدِ الَّذِي نَصَّتِ الدُّنْيَا بِهِ نَصَّ الْهَدْيِ
 مَلِكٌ رَاحَتُهُ بِحَزِّ النَّدَى مِثْلَمَا غُرَّتُهُ بِدُرِّ النَّدَى
 أَضْبَحَتْ دَوْلَتُهُ فِي عَصْرِنَا كَفَرِنْدِ عَادَ فِي سَيْفِ صَدِيِّ^(٤)

إلى حبيب

يَا ظَبِيَّةَ لَطْفَتِ مَنِي مَنْزِلِهَا فَالْقَلْبُ مِنْهُنَّ وَالْأَحْدَاقُ وَالْكَبِيدُ
 حُبِّي لَكَ النَّاسُ طُرًا يَشْهَدُونَ بِهِ وَأَنْتِ شَاهِدَةٌ إِنْ يَثْنِيهِمْ حَسَدُ
 لَمْ يَعْرُبِ الْوَضْلُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدًا لَوْ كُنْتِ وَاجِدَةً مِثْلَ الَّذِي أَجْدُ

(١) الخايل من السحب : المندرة بالمطر . قال مروان ابن أبي حفصية :

« إن أظلم النيت لم تخلف محايله »

وهي هنا بمعنى الدلائل التي تتوسم بها الشيء ، والشمايل : الصفات ، قال أبو تمام يرثي ظنين :

« لطف على تلك الخايل منهما لو أمهك حتى تكون شمايلا

لعدا سكونهما حبا ، وصباهما عزما ، وتلك الأريحية نائلا . »

(٢) تريفانه : تطلبانه ، تقول : أراغ الشيء أى أراده وطلبه ، وقد جاء في الأصل :

« وأعطيتما - فيما تريفانه - الرضى »

(٣) الصدى : الضمان .

(٤) أعادت دولته إلى زماننا روثقه وبهائه فصار كالسيف عارده الصقل والروثق بعد أن علاه الصدا .

في مدح أبي المظفر

« وقال يمدح أبا المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد

ابن مسلم صاحب بطليوس . »

هِيَ الشَّمْسُ مَغْرِبُهَا فِي الْكِلَلِ (١) وَمَطْلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الْحُلَلِ (١)
 وَغُصْنٌ تَرَشَّفَ مَاءَ الشَّبَابِ (٢) تَرَاهُ الْهَوَى وَجَنَاهُ الْأَمَلِ (٢)
 تَهَادَى لَطِيفَةً طَى الْوِشَاحِ (٣) وَتَرَنُو ضَعِيفَةً كَرَّ الْمُقَلِّ (٣)
 وَتَبْرُزُ خَلْفَ حِجَابِ الْعَفَافِ (٤) وَتَسْفِرُ تَحْتَ نِقَابِ الْحَجَلِ (٤)
 بَدَتْ فِي لِدَاتِ - كَزُهِرِ النُّجُومِ - حِسَانِ التَّحَلَّى مِلَاحِ الْعَطَلِ
 مَشَيْنَ يَهَادِينَ رَوْضَ الرُّثْبَا يَبَانِعِ رَوْضِ الصَّبَا الْمُقْتَبَلِ
 فَرْنَ قُضْبٍ تَتَنَّى بَرِيحِ وَمِنْ قُضْبٍ تَتَنَّى بِدَلْ
 وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِمِسْكِ وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِبَطَلْ
 تَعَاهَدَ صَوْبُ الْعِهَادِ الْحَمِي وَلَا زَالَ مَرَبُعُهَا فِي مَلَلْ (٥)

- (١) الكلال : جمع كلة ، وهي ستر رقيق صريح يتوق به من البعوض ونحوه ، والجيوب : جمع جيب ، وهو من القميص طوقه ، والحلل : جمع حلة بالصم وهي إزار وراية (برد أو غيره) ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة ، والمعنى أن هذه الحساء شمس تعرب في الكلال كما تقيب الشمس في مربيها ، وتشرق من جيوب الحلال كما تطلع الشمس من مشرقها .
- (٢) وهي غصن غرس في أرض الهوى وارتوى بماء الشباب لاماء السحاب فأجنانا ثمرة الأدل .
- (٣) تهادى : تمشى مشية في مهل وتناقل ، وترنو : تنظر بمؤخر عينها ، يعنى أنها تتهادى بين أترابها يكاد ينعدم ما انطوى عليه الوشاح من الحصر ، وتكر بسيف لحظها من جفون فائرة مريضة .
- (٤) تسفر : مضارع سفرت المرأة سفورا كشفت النقاب عن وجهها ، يقول : إذا برزت للرجال برزت وراء حجاب يصونها من عفتها وإذا بدت لهم سافرة ستر وجهها نقاب من الحياء والحجل .
- (٥) العهد : المطر ، وصوبه نزوله ، والربيع : الموضع الذي ينزلون فيه أيام الربيع ، ولا زال مريعبها في ملل : أى ولا زال المطر يصوب في مريعبها حتى يميل لكثرة نزوله ، وفي الأصل : « ولا مل مريعبها في ملل » وجاء في ابن الأثير : في حديث الاستسقاء فألف الله السحاب وملتنا ، كذا في رواية مسلم ، قبل هي من الملل أى كثر مطرها حتى مللناها . انظر ج ٤ ص ١٠٩ من النهاية لابن الأثير .

مَرَادٌ - مِنْ الْحُبِّ - غَضُّ الْجَنَى ،
 لِيَالِي مَا أَنْفَكَ يَهْدِي الشُّرُورَ
 زَمَانٌ كَانَ الْفَتَى الْمَسْلَمِيَّ
 تَدَارَكَ (١) مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُعِيدَ
 وَيُوضِحَ رَسْمَ الثَّقَى - إِذْ عَفَا -
 لَدَيْهِ - مِنْ الْوَصْلِ - وَرِذُّ عِلَّنْ
 حَيِّبٌ سَرَى ، وَرَقِيبٌ غَفَلَنْ
 تَكْنَفُهُ عَدْلُهُ فَأَعْتَدَلَنْ
 بِهِ عِزَّةَ الدِّينِ أَيَّامَ ذَلِّ
 وَيُطْلِعَ بَجْمَ الْهُدَى إِذْ أَقَلَنْ

حَمِدْنَا « الْمُظْفَرَ » لَمَّا رَأَى
 مَلِيكَ تَجَلَّى لَهُ غُرَّةً
 أَشْفَى الْوَرَى - فِي الثُّهَى - رُتْبَةً ،
 وَأَحْرَى الْأَنَامِ بِأَمْرِ وَنَهَى
 يَمَانٍ لَهُ التَّاجُ مِنْ بَيْنِهِمْ
 سَنَامٌ - مِنَ الْمَجْدِ - عَلِي الدُّرَا
 تَقِيلٌ - فِي الْمَهْدِ - ظِلُّ اللَّوَاءِ
 وَنِيَطَتْ حَمَائِلُهُ الْوَافِيَاتُ
 وَمَا بَلَّتِ الْبُرْدُ تِلْكَ الدُّمُورُ
 * * *
 « لِنَصُورِنَا » سِيرَةٌ فَاْمَثَلَنْ
 تَأْمَلَهَا غِرَّةً شُهْبَلَنْ
 وَأَشْهَرُهُمْ - فِي الْمَعَالِي - مَثَلَنْ (٢)
 وَأَذْرَى الْمُلُوكِ بِمَعْقِدِ وَحَلِّ
 بِمَا أَوْرَثَ التَّبْعُونَ الْأَوْلَى
 يَظَلُّ الْعِدَامِنُهُ تَحْتِ الْأَظَلِّ (٣)
 وَسِيمِ النَّهْوِضِ بِهِ فَاسْتَقَلُّ (٤)
 - مَكَانَ تَمَائِمِهِ - فَاْحْتَمَلَنْ
 عِ الْإِوْفِ الْبُرْدِ لَيْثُ أَيْلُ (٥)

(١) في الأصل : « تبارك »

(٢) وقف على « مثل » بالسكون مع أنه منصوب لوقوعه تمييزاً ، وريبعة يجرون المنسوب في الوقف
 مجرى المرفوع والمجرر فيقفون عليه بالسكون ، وقد اسطرته التافية - في غير ما موضع - أن يترك
 الاستعمال الماشي من لغة العرب ويلجأ إلى هذه اللغة القليلة .

(٣) باطن منم البعير .

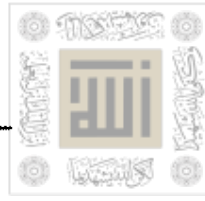
(٤) تقيل : استظل ، وسيم : كلف ، بالغ إلى حد الأغرراق لجعل المدوح وهو في المهدي يتفرد الجيوش
 ويتقيل ظل اللواء ويكاف النهوض بهذا العبء يستدل بحمل اللواء وحده .

(٥) الليث الأبل : الألد الشديد الحصومة .

عَهْدَنَا الْمَكَارِمَ فِيهِ مَعَانٍ تَبَشَّرْنَا فِيهِ مِنْهَا الْجَمَلَنَ
تَرَى بَعْدَ بَشِيرِ يُرِيكَ الْغَمَامَ تَهَلَّلَ بَارِقُهُ فَاْمَسْتَهَلَّ
يُصَدِّقُ مَا حَدَّثْنَا « عَسَى » بِهِ عَنَّهُ ، أَوْ أَنْبَأْنَا « لَعَلَّ »
فَمَا وَعَدَ الظَّنُّ إِلَّا وَفَى وَلَا قَالَتِ النَّفْسُ إِلَّا فَعَلَنَ
فَلَقِي مُنَاوِئَهُ مَا اتَّقَى وَأَعْطَى مُؤَمَّلَهُ مَا سَأَلَ

كَمْ اسْتَوَقَّتِ الشُّكْرَ نَعْمَاوُهُ فَأَقْبَلَ يُنْعِمُ مِنْ ذِي قَبَلَنَ (١)
غَمَامٌ يُظِلُّ ، وَشَمْسٌ تُنِيرُ ، وَبَحْرٌ يَفِيضُ ، وَسَيْفٌ يُسَلُّ
قَسِيمُ الْمُحْيَا ، صُحُوكُ السَّمَاحِ ، لَطِيفُ الْحَوَارِ ، أَدِيبُ الْجَدَلَنَ
تَوْشَى الْبَلَاغَةَ أَقْلَامُهُ إِذَا مَا الضَّمِيرُ عَلَيْهَا أَمَلُ (٢)
يَبَانٌ يُبَيِّنُ - لِلسَّامِعِينَ - أَنْ مِنَ السَّحْرِ مَا يُسْتَحَلُّ (٣)
الْأَهْلَ سَبِيلٌ إِلَى الْعَيْبِ فِيهِ فَكَمْ عَيْنٍ مِنْ قَبْلِهِ مَنْ كَمَلَنَ (٤)

- (١) يقال : لقيته من ذى قبل (بفتحين وبكسر وفتح) أى فيها يستقبل .
(٢) يقال أمل عليه الكتاب أى أملاه ليكتبه ، وفي الكتاب العزيز: (فليكتب وليملل الذى عليه الحق) وفيه أيضا : (وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي تملى عليه)
(٣) السحر الذى يستحل هو سحر البيان ، وفيه الاشارة إلى المثل المشهور : إن من البيان لسحرا ، قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وفد عليه ، عمرو بن الأهم ، والزبرقان بن بدر ، وقيس ابن عاصم ، فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الاهم عن الزبرقان . فقال عمرو : « مطاع فى أدنيه ، شديد المارضة ، مانع لما وراء ظهره » . فقال الزبرقان : « يا رسول الله ! إنه ليعلم منى أكثر من هذا ، ولكنه حدى » . فقال عمرو : « أما والله ! إنه لمن المروءة ، ذيق العطن ، أحق الوالد ، لئيم الحال ، والله يا رسول الله ما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى ، ولكى رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وسحطت فقلت أتبح ما وجدت » . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا » ، وإنما سعى البيان سحرا لتأثيره فى سامعه ، وسرعة قبول القلب له .
(٤) عين : أصيب بالعين ، من طان المحسود بعينه فهو طان والمحسود ممين أصابه بالعين ، يقول : هل من سبيل إلى وجود عيب واحد فيه يقبه شر أعين الحاسدين ، فكثيرا ما أصيب بالعين الكامل الذى لا نقص فيه ولا عيب . وهذا قريب من قول القائل :
« ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين . »



* * *

لَنْ لَيْسَ الْمَلِكَ رَحَبَ الْمَلَا ه فَاخْتَالَ مِنْهُ بِذَيْلٍ رَفَلَنْ
 فَإِنَّ تَزَوُّدَهُ لِلْمَعَالِي وَإِنَّ تَأَهُبَهُ لِلْجَلِّ
 فَأَخْبِرُ سُوَاسِ هَذِي الْأُمُورِ وَنَاسِكُ أَرْبَابِ هَذِي السُّوَلِ

* * *

وَلَيْتَ الشُّغُورَ فَلَمْ تَعُدْ أَنْ رَأَيْتَ النَّأْيَ (١) وَسَدَدْتَ الْخَلَلَانَ
 سِوَاكَ - إِذَا قُلِدَّ الْأَمْرَ - جَارَ، وَغَيْرُكَ - إِنْ مُلِكَ النَّيْءُ - غَلَّ (٢)
 حَتَّى لَا يَزَالَ لِمَنْ حَلَّهُ أَمَانَانَ : مِنْ عَدَمٍ ، أَوْ وَجَلَّ (٣)
 فَأَنْجِمُ دَهْرِهِمْ سَمْعَةً وَشَمْسُ زَمَانِهِمْ فِي الْحَمَلِ (٤)

* * *

« أَبَا بَكْرٍ » اسْمَعْ أَحَادِيثَ لَوْ تَبَّتْ بِسَمْعِ عَلِيلِ أَبْلٍ (٥)
 سَأَشْكُرُ أَنْكَ أَعْلَيْتَنِي بِأَحْظَى مَكَانٍ وَأَذَنْ تَحَلَّ
 وَأَنْتَى إِنْ زُرْتُ لَمْ تَحْتَجِبْ وَإِنْ طَالَ بِي مَجْلِسٌ لَمْ تَمَلْ

(١) النَّأْيُ : الْفَسَادُ ، وَرَأَيْتَهُ أَصْلَحْتَهُ .

(٢) الْوَيْءُ : مَا حَصَلَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ عَفَوْا بِهَا قِتَالَ ، وَتَقْسِيمُهُ فَيْرَ تَقْسِيمِ الْفَتَانِمْ ، وَغَلَّ : خَانَ ، وَخَصَّهُ بِمَضْمُونِ الْغُلُولِ (أَى الْحَيَاةِ) فِي الْوَيْءِ وَالْمَغْنَمِ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَمَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَفْلَ . »

(٣) عَدَمٌ أَوْ وَجَلَّ : أَى فَقْرًا وَخَوْفًا .

(٤) سَمْعَةٌ : صِفَةٌ لِلْأَنْجِيمِ ، يُقَالُ : يَوْمَ سَمْعِدِ لَيْلَةَ سَمْعِدَةَ ، وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَنْجِمٌ دَرَاهِمُ أَسْعِدُ » وَأَسْعِدُ وَصِفٌ لِلْمَذْكَرِ ، وَلَا يَصِحُّ وَصْفُ الْأَنْجِيمِ بِهِ ، وَفِي السَّمَاءِ كَوَاكِبٌ يُقَالُ لِكُلِّ مَنَاهَا : « سَمْعِدٌ » وَسَمْعِدُ النُّجُومِ عَشْرَةٌ وَهِيَ : « سَمْعِدُ الذَّابِحِ ، وَسَمْعِدُ بَلْعِ ، وَسَمْعِدُ السَّمُودِ ، وَسَمْعِدُ الْأَحْيَاءِ ، وَسَمْعِدُ نَاقِرِهِ ، وَسَمْعِدُ الْمَلِكِ ، وَسَمْعِدُ الْبِهَامِ ، وَسَمْعِدُ الْهَمَامِ ، وَسَمْعِدُ الْبَارِعِ ، وَسَمْعِدُ مَطَرٍ . »

(٥) صَحَّ مِنْ مَرَضِهِ .

تَبَسَّمتَ ثمَّ ثَنَيْتَ الوِسادَ فَحَسْبِي مِنَ خَطَرٍ مَا أَجَلٌ (١)
 فَلَوْ صَافَحَ الثَّبْرَ خَدَى لَهُانَ وَلَوْ كَأَثَرِ القَطْرِ شُكْرِي لَقَلُّ
 بِأَمْثالِها يُسْتَرَقُّ الكَرِيمُ إِذا مَطْمَعٌ بِسِواهُ أَخَلُّ

* * *

فَلَا تَعْدَمَنَّكَ المَساعِي التي لِأَمِّ المِناوِيكَ فيها الهَبَلُ (٢)
 فَأَنْتَ الجَرِيءُ - إِذا الشَّبَلُ هَابَ - وَأَنْتَ الدَّلِيلُ، إِذا النَجْمُ ضَلُّ
 وَمَا أُبْنُكَ إِلَّا جِلاءُ العُيُونِ إِذا نَظَرُ - بِسِواهُ - اُكْتَحَلَّ
 رَيْبُ السَّيادَةِ - في حَجْرِها - تُدِرُّ لَهُ تُدِيها إِذْ حَفَلَّ (٣)
 تَمَكَّنَ يَتَلوَكُ - في الصَّالِحَاتِ - فَلَمَّا تَفْتَهُ ، وَلَمَّا يَنْلُ

(١) ثنيت الوساد : الوساد المتكأ ، وثنيته أي رددت بعده على بعض ، وذلك للينه ، أو ثنيه جعلت له ثابيا وسمته عليه ليحصل الارتفاق ، والاتكاء عليه عند الجلوس ، وهذه الحفاوة إما أن تكون حصلت بفعل مباشر من الملك تواضعا منه ومبالغة في إكرام دي الوراثنين (ابن زيدون) ، وإما أن تكون حصلت من الخدم والاتباع بناء على أمر الملك ، يقول في هذا البيت والبيتين قبله : سأشكر لك إلك أعليت مكاني ، وأدريت علي ، وإني إن ردتك لم تحتجب وإن طال بي الجلوس في مجلسك لم تسأم ولم تل ، وأني إن جئتك زائرا تبسمت وثنيت الوساد احتفاء بي ، لحسبي هذا من خطر عظيم وشرف ما أجله وما أعظمه .

(٢) يقال : هلته أمه ثكلته ، ولأمه الهبل أي الثكل . قال الشاعر :

« والناس من يلق خيرا ، قائلون له مايشتهى ، ولأم المخطى الهبل . »

وقال البحتري :

« ولاكم البغي ، ثم انساب نحوكم بالمشربة فيها الثكل والهبل . »

وقال المعري :

« دع آدماء - لاشغاه الله من هبل - بيكي على ولده المقتول هايبلا . »

(٣) حفل : امتلأ ، حفل الابن في الضرع يحفل حفلا وحفولا ، وتحفل واحتفل : اجتمع وهذا ضرع

حفيل أي مملوه لنا .

ذكري قرطبة وايام الصبا

تَنَشَّقُ - مِنْ عَرَفِ الصَّبَا^(١) - مَا تَنَشَّقَا

وَعَاوَدَهُ ذِكْرُ الصَّبَا فَتَشَوَّقَا

وَمَا زَالَ لَمْعُ الْبَرْقِ - لَمَّا تَأَلَّقَا -

يُهَيِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ حَتَّى تَدَفَّقَا ، وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ الْمَشُوقُ الْمَصْبَا^(٢)؟

* *
 * *

خَلِيلِيَّ - إِنْ أَجْزَعُ - فَقَدْ وَضَحَ الْعُذْرُ

وَإِنْ أَسْتَطِيعُ صَبْرًا فَمِنْ شِيَعَتِي الصَّبْرُ

وَإِنْ يَكُ رُزْؤًا مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ

فِي يَوْمِنَا خَيْرٌ ، وَفِي غَدِهِ أَمْرٌ^(٣) وَلَا عَجَبٌ ، إِنْ الْكَرِيمُ مُرَرًا

(١) الصبا : ريح الصبا أى ريح الشمال . والعرف : الطيب .

(٢) يهيب : مضارع أهاب بصاحبه دناه ، أى يدعو الدمع ليتدفق ، والمصبا : دو الصبوبة ، والصبوبة جهلة الفتوة يقال صبا صبوا وصا وصباء . وصبي إليها - كرضى - حن ، وأصبته المرأة وتصبته : شاقته ودعته إلى الصبا حن إليها .

(٣) فى المثل : « اليوم خير وغدا أمر » وقد قاله امرؤ القيس - بن بلخه قتل أبيه ، ومعناه : اليوم ناهو وتنعم تاركين إلى المدأداء ما علينا من الواجبات والفروض . ويروى ، وهو أيضاً لامرئ القيس : « اليوم فحاف ، وغدا تقاف » والفحاف جمع تحف ، وهو إناء يشرب فيه ، والتقاف : المداقفة من تقف الهامة شقها عن الدماغ .

* * *

رَمَتْنِي اللَّيَالِي عَنْ قِسِي النَّوَابِ
 فَمَا أَخْطَأْتُ نِي مُرْسَلَاتُ الْمَصَائِبِ
 أَقْضَى نَهَارِي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ
 وَأَوَى إِلَى لَيْلٍ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ^(١) وَأَبْطَأُ سَارِ كَوَاكِبُ بَاتٍ يُكْثَلُ

* * *

أَقْرُطِبَةَ الْغُرَاءِ أَهْلَ فَيْكِ مَطْمَعُ ؟
 وَهَلْ كَبِدُ حَرِّي لِبَيْنِكَ تَنْقَعُ ؟
 وَهَلْ لِلْيَالِيكِ الْحَمِيدَةِ مَرْجِعُ ؟
 إِذِ الْحُسْنُ مَرَأَى-فَيْكِ- وَاللَّهِ وَمَسْمَعُ وَإِذْ كَنْفُ الدُّنْيَا-لَدَيْكِ- مُوَطَّأً^(٢)

(١) إشارة إلى البيت المشهور في قصيدة النابغة الذبياني :

« كايئني لهم يا أمية ناصب وليل أفاسيه بطوى الكواكب
 تطاول حتى قلت ليس ينقض وليس الذي يرعي النجوم بأثب
 وصدر أراح الليل طازب همه تضائف فيه الحرف من كل جانب . »

حمل صدره مألفاً للهموم وجعل الهموم كالليل العازبة بالنهار حتى إذا أتى الليل أراحها الرطاة في أماكنها
 والناطقة أول من حمل الهموم تعرب بالنهار وتزايد بالليل ، وتبعه الشعراء في ذلك ، فقال مجنون ليلى :
 « يضم إلى الليل أطفال حبكم كما ضم أزرار القيس البناتي . »
 وقال ابن الدميني :

« نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هرتني إليك المضاجع
 أقضى نهاري بالحديث وبالملى ويجمعني والهم بالليل جامع . »
 ولهذا السبب تهرم الشعراء بطول الليل فقال :

« كواكب ليلة طات ونمت فهذا الصبح راحة فحوري »

وقال امرؤ القيس :

« ذياك من ليل كأن نجومه بكل منار الفتل شدت يذبيل »

وقد أكثر الشعراء من أمثال هذه المعاني فلننجزى* بهذه الأبيات .

(٢) موطأً : ميسر مدلل .

أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَشُطَّ النَّوَى بِكَ
فَأَحْيَا كَأَنْ لَمْ أُنْسَ نَفْحَ جَنَابِكَ
وَلَمْ يَلْتَمَّ شِعْبِي خِلَالَ شِعَابِكَ
وَلَمْ يَكُ خَلْقِي بَدْوُهُ مِنْ تُرَابِكَ وَلَمْ يَكْتَنِفْنِي مِنْ نَوَاحِيكَ مَنَشَأُ

نَهَارُكَ وَصَاحُ ، وَلَيْلُكَ صَخِيَانُ
وَتُرْبُكَ مَضْبُوحُ ، وَغُضْنُكَ نَشْوَانُ
وَأَرْضُكَ تُكْسِي ، حِينَ جَوْكَ عُرِيَانُ
وَرِيَاكَ رَوْحُ - لِلنَّفُوسِ - وَرِيحَانُ وَحَسْبُ الْأَمَانِي ظِلُّكَ الْمُتَفَيِّئُ (١)

أَلَيْسَى زَمَانًا « بِالْعُقَابِ » مُرْفَلًا
وَعَيْشًا بِأَكْنَافِ « الرُّصَافَةِ » دَعْفَلًا (٢)
وَمَنْفَى - إِزَاءَ « الْجَعْفَرِيَّةِ » - أَقْبَلًا
لَنِعْمَ مَرَادُ النَّفْسِ رَوْضًا وَجَدَوْلًا وَنِعْمَ مَحَلُّ الصَّابِوَةِ الْمُتَبَوِّأُ

وَيَارِبُّ مَلْهَى « بِالْعَقِيقِ » وَمَجْلِسِ
لَدَى تُرْعَةٍ ، تَرْنُو بِأَحْدَاقِ تَرْجِسِ
بِطَاحِ هَوَاءِ مُطْمِعِ الْحَالِ مُوَيْسِ
مَعْمِمْ وَلَكِنْ مِنْ سَنَا الرَّاحِ - مُشْمِسِ إِذَا مَا بَدَتْ - فِي كَأْسِيهَا - تَتَلَأَأُ

(١) ضحيان : أى بارز ظاهر لا يستتره ظلام ، وذلك لكثرة ما يضاء في قرطبة من المصابيح والسررج بالليل ، وعريان : محو يريد أن أرضها مكسوة بالنبات وجوها محو صافي الأديم ، المتفياً : الذى يستظل به ويستريح فيه المقييل . (٢) الدعفل : العيش الواسع الخصب .

وَقَدْ ضَعْنَا مِنْ «عَيْنِ شُهْدَةٍ» - مَشْهَدٌ
 بَدَأْنَا وَعُدْنَا فِيهِ ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ
 يَرْفُ عَرُوسَ اللّٰهِوِ أَحْوَرُ أَغْيَدُ
 لَهُ مَبْسِمٌ عَذْبٌ ، وَخَدُّ مُورَدٌ ، وَكَفٌّ - بِحِثِّ المَدَامِ - مُقْنَأٌ (١)

* * *

وَكَأَنَّ عَدَوْنَا - مُصْعِدِينَ - عَلَى الْجِسْرِ (٢)
 إِلَى الْجَوْسِقِ (٣) النَّصْرِيِّ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعُقْرِ
 وَرُخْنَا إِلَى الْوَعْسَاءِ (٤) مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ
 بِحَيْثُ هُبُوبُ الرِّيحِ عَاطِرَةٌ النَّشْرِ عِلَا قُضْبِ النُّوَارِ ، فَهِيَ تُكْفَأُ

* * *

وَأَحْسِنِ بِأَيَّامٍ - خَلَوْنَ - صَوَائِحِ
 بِمَضِيْعَةِ الدُّوَلَابِ ، أَوْ قَصْرِ نَاصِحِ
 تَهْرُ الصَّبَا - أَثْنَاءَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ -
 صَفِيْحَةً سَلْسَالِ المَوَارِدِ سَائِحِ تَرَى الشَّمْسَ تَجْلُو وَنَصْلَهَا حِينَ يَصْدَأُ (٥)

(١) تقناً : تصنع باللون الأحمر القاني ، وذلك حين تمسك بالكأس وينعكس عليها من لون الراح ما يشبه الحضاب بالحناء . (٢) وكم حربنا صاعدين على الجسر .
 (٣) الجوسق : القصر ، والربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض والعفر جمع عفراء - وهي أرض بيضاء لم توطأ .
 (٤) الوعاء : رابية من رمل لينة تبت أحرار البقول .
 (٥) يقول : إن ربح الصبا تهز خلال تلك الأباطح صفيحة جدول سلسال الموارد سائح و الأباطح ، والشمس تجلو نصل هذا الجدول الشبيه بصفيحة السيف حين يصدأ من الطل .

* * *

وَيَا حَبَّذَا « الزَّهْرَاءِ » بَهْجَةً مَنْظَرٍ
وَرِقَّةَ أَنْفَاسٍ ، وَصِحَّةَ جَوْهَرٍ
وَنَاهِيكَ مِنْ مَبْدَأِ جَمَالٍ وَمُخَضَّرٍ
وَجَنَّةِ عَدْنٍ تَطْيِيبِكَ وَكَوْثَرٍ بِمَرَأَى يَزِيدُ الْعُمْرَ - طَيْبًا - وَيَنْسَأُ^(١)

* * *

مَعَاهِدُ - أَبْكَيَهَا - لِعَهْدٍ تَصَرَّمَا^(٢)
أَغَضَّ - مِنْ - الْوَرْدِ الْجَنِيِّ - وَأَنْعَمَا
لَبَسْنَا الصَّبَا فِيهَا حَبِيرًا مُنْتَمِنَا^(٣)
وَقَدْنَا - إِلَى اللَّذَاتِ - جَيْشًا عَرَمَرَمَا لَهُ الْأَمْنُ رِذْوًا^(٤) وَالغَدَاوَةُ مَرْبَأُ

* * *

كَسَاهَا الرَّيْبُ الطَّلُقُ وَشَى الْخَمَائِلِ^(٥)
وَرَأَحَتْ لَهَا مَرْضَى الرِّيَّاحِ الْبَلَائِلِ
وَعَادَى بَنُوهَا الْعَيْشَ حُلُوَ الشَّمَائِلِ
وَلَا زَالَ مِنَّا بِالضُّخَا وَالْأَصَائِلِ سَلَامٌ - عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ - يُقْرَأُ

- (١) تطيبك : تعجبك وتزدهيك ، ينسأ : يؤخر ، أى يطيل العمر ، وقد مرّ التعريف بازهراء وغيرها من آثار « قرطبة » فى الحاشية ص (٥٤ - ٥٦) فارجع إليها إن شئت .
- (٢) تصرم : انتضى وفات :
- (٣) الحبير : الناعم الجديد ، وضرب من برود اليمن والمشم : المنفوش الموشى .
- (٤) رده : ظهير أو معين .
- (٥) الخمايل - جمع خيلة - وهى الموضع الكثير الشجر .



أَخْوَانَنَا ! لِلْوَارِدِينَ مَصَادِرُ
وَلَا أَوْلَىٰ إِلَّا سَبَّتُلُوهُ آخِرُ
وَإِنِّي - لِإِعْتَابٍ ^(١) الزَّمانِ - لَنَاظِرُ
فَقَدْ يَسْتَقْبِلُ الْجَدُّ - وَالْجَدُّ قَائِرُ - وَتَحْمَدُ عُقْبَى الْأَمْرِ مَا زَالَ يُشْنَأُ ^(٢)

* * *

ظَمَنْتُ ، فَكَانَ الْحَرْ يُخْفِي فَيَظْمَنُ ^(٣)
وَأَصْبَحْتُ أَسْلُو بِالْأَسَى ^(٤) حِينَ أَحْزَنُ
وَقَرَّ - عَلَى الْيَأْسِ - الْفُؤَادُ الْمُوَطَّنُ
وَإِنَّ بِلَادًا - هُنْتُ فِيهَا - لَأَهْوَنُ وَمَنْ رَامَ مِثْلِي بِالْذَّنِيَّةِ أَدْنَأُ

* * *

وَلَا يُغْبِطُ الْأَعْدَاءَ كَوْنِي فِي السَّجْنِ
فَإِنَّ رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَحْصَنُ بِالْذَّجْنِ ^(٥)
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ الْمَضْبِ فِي جَفْنِ ^(٦)
أَوِ اللَّيْثِ فِي غَابٍ ، أَوِ الْعَقْرِ فِي وَكْنٍ ^(٧) أَوِ الْعَلِقِ يُخْفِي - فِي الصَّوَارِ - وَيُحْبَأُ ^(٨)

(١) الاعتاب : لإرضاء العاتب .

(٢) يستقبل : ينهض ، والجد : الحظ . ويشنأ : يعض .

(٣) أي رحلت فكان رحبلي هذا لأني اقيمت جماء فترحلت عن مكان الجفوة والحر إذا ثبت به أرضه

هاجر إلى غيرها . (٤) الأسى : جمع أسوة ، وهي التأسى والتجمل ، قال ابن دريد :

« فان عثرت بمدتها - إن وألت نفسى من هاتما - فقولاً : لالعا .»

وإن تكن مدتها - موصولة بالختف سلطت الأسى على الأسى .»

أي سلطت الصبر والتجمل على الحرن .

(٥) الذجن : الفيم . (٦) جفن : غمد

(٧) الوكن : عش الطائر ، لوكنة مثاة .

(٨) الصوار : وطاء المسك .

* * *

يَضِيقُ - بِأَنْوَاعِ الصَّبَابَةِ - مَذْهَبِي
إِلَى كُلِّ رَحْبِ الصَّدْرِ - مِنْكُمْ - مُهَذَّبِ
مَفْضُضٍ لِأَلَاءِ الْأَسَارِيرِ مُذْهَبٍ (١)
يُنَافِسُ - مِنْهُ الْبَدْرُ - غُرَّةَ كَوْكَبِ دَرَى أَنْهَا أَبْغَى سَنَاءً وَأَضْوَأُ

* * *

أَسِفْتُ ، فَمَا أَرْتَاحُ - وَالرَّاحُ تُشْمِلُ -
وَلَا أُسْعِفُ الْأَوْتَارَ - وَهِيَ تَرَسَّلُ -
وَلَا أَرْعَوِي عَنْ زَفْرَةٍ - حِينَ أُعْذَلُ -
وَلَا لِي - مُذْ فَارَقْتُكُمْ - مُتَعَلِّلُ سِوَى خَبَرٍ مِنْكُمْ - عَلَى النَّأْيِ - يَطْرَأُ

* * *

حَمِدْتُمْ - مِنْ الْأَيَّامِ - لَيْنَ خِالِهَا
وَسَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا بِحُسْنِ دَلَالِهَا
مُؤَمَّنَةً مِنْ عَثْبِهَا وَمَلَالِهَا
وَلَا زَالَ مِنْكُمْ لَابِسٌ مِنْ ظِلَالِهَا يُسَوِّغُ أَبْكَارَ الْمُنَى وَيُهِنَّا

(١) أسارير الوجه : محاسنه ، والأسارير - جمع أسرار والأمرار جمع سرار وهي خطوط الكف .

إلى ابن عبدوس (١)

« وكتب إلى الوزير الكاتب أبي عليّ

ابن عبدوس معاتباً . »

(١) كان بين ابن زيدون وابن عبدوس صداقة أصيلة - بعد صداقة أكيدة - وكان من أكبر أسباب تلك الصداقة تنازعهما على «ولادة بنت المستكفي» وقد كانت هذبة العداوة حازوا له على إنشاء رسالته الهزلية المشهورة التي ستمر بك في هذا الكتاب . وقد كتب ابن نباتة في مقدمة الرسالة كلمة تمهيدية علل بها أسباب هذه العداوة كما كتب صاحب نفح الطيب وغيره ونحن نجتزئ بما يلي :

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء العرب الأمويين المنسويين إلى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالخال - من بني عبد الملك بن مروان تسمى : «ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن» ابتذل حجابها - بعد نكبة أبيها وقتله وتملك ملوك الطوائف - في خبر طويل - ثم صارت تجلس للشعراء والكتاب وتماثرهم وتمأثرهم وتمشقها الكبراء منهم ، وكانت ذات خلق جميل وأدب غرض ونوادير عجيبة ، ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول :

«ترقب - إذا جى السلام - زيارتي فاني رأيت الليل أكرم للسر

وإني منك ما لو كان بالبدلم يزمر ، وبالليل لم يظلم ، وبالجم لم يسر . »

وقولها فيه وهي عليه غصبي :

«إن ابن زيدون - على فضله - يلحج بي شتما ولا ذنب لي

يلحطي شزرا إذا حننه كأنما جئت لأحصى علي . »

تعني غلاما له يسمى عليا . وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير «أبي طاهر بن عبدوس» وكان يلقب بالفار ، فقال فيه وفيها :

« غيرتمونا بأن قد صار يخلفنا - فين محب - وما في ذلك من طار

أكل شهى ، أصبا من أطايبه بعضاء ، ونمضا صفحا عنه للفار . »

ومن شعرها ما كتبت به على كنها وقيل : على تاجها :

« أنا والله أصلح للمعالي وأشي مشتي وأتبه تها

وأكن طاشقي من أتم ثري وأعطي قبلي من يشتهها . »

ومما ينسب إليها وهو عندي كثير على شعر امرأة :

« لحاظكم تجرحنا في الحمى ولحظنا يجرحكم في الحدود

جرح يجرح ، فاجعلوا ذا بذا فما الذي أوجب جرح الصدود . »

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها ، والليل لا يها ، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ، ثم إن الوزير «أبا طاهر بن عبدوس» أيضاً هام بها وكاب بعشرتها ، وكان تصدم الظرف والأدب ، وكانت «ولادة» كثيرة الحبث به ، ولها معه نوادر ظريفة ، ومن نوادرها الظريفة أنها مرت يوماً بدار «ابن عبدوس» وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه - وأمامه بركة تولد من سراحيض وأقذار - فوقفت عليه وقالت يا أبا طاهر :

« أنت الخصيب وهذه مصر فتدقنا فكلا كما بحر . »

أَثْرَتْ هَزْبَ الشَّرَى - إِذْرَبْنُ - وَنَبَّهَتْهُ إِذَا هَذَا فَأَغْتَمَضُ (١)
وَمَا زِلْتُ تَبْسُطُ (٢) مُسْتَرَسِلًا - إِلَيْهِ يَدَ الْبَغْيِ لَمَّا أَنْقَبَضُ

* * *

حَذَارِ حَذَارٍ فَإِنَّ الْكَرِيمَ - إِذَا سِيمَ خَسْفًا - أَبِي فَأَمْتَعَضُ
فَإِنَّ سُكُونَ الشَّجَاعِ النَّهْوِ سِ (٣) لَيْسَ بِمَانِعِهِ أَنْ يَعَضُّ
وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَزَلُّ وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرَضُ
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ مَسَاعٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا الْحَفْضُ (٤)
وَهَلْ وَارِدُ الْعَمْرِ مِنْ عِدِهِ يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفِ الْبَرَضُ (٥)

لم يجر جواباً، فضت وحفظت هذه النادرة، واشتغل بها الناس، وهذا البيت لأبي نواس تمثلت به ونقلته هذا
القل الحسن من - المدح إلى الهجاء - وكان كثيراً ما يخدمها ويغني التمرد بها ، وفي ذلك يقول ابن زيدون:
« وفرك من عهد ولادة سراب تراهي وبرق ومض
هي الماء يأبى على قابض ويمنع زبدته من محض . »

وكان أرسل أمرها معه والباعث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة : أن «ابن عبدوس» لما سمع بها أرسل
إليها امرأة من جهته تستميلها إليه وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرّد بمواصلته ، فبلغ ابن زيدون
ذلك ، فسكتب هذه الرسالة البديمة جواباً له عن لسانها تتضمن هذه الفرائب من سب أبي عامر والتهكم له
والهجاء له وجعلها جواباً له على لسان ولادة ، وأرسلها إليه عقيب رجوع المرأة - ببلغت منه كل مبلغ ، واشتهر
ذكرها في الآفاق ، وأمسك «ابن عبدوس» عن التعرّض لولادة إلى أن انتقل «ابن زيدون» إلى «اشبيلية» وتوفي بها
تتمده الله برحمته ، وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه . هذا معنى ما ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين .
(١) أثرت : هجت ، والهزبر : من أسماء الأسود ، والشري : موضع تكثر فيه الأسود ، وريض :
أوى إلى عرينه ، وهذا : نام .

(٢) يقول : وما زلت تبسط يد البطش والبغى على ذلك الأسود الرابض في مجتمه على حين أمت يده
المنقبضة منك .

(٣) النهوس : المعضوس ، والشجاع الذكر من الحيات ، قال القائل :

« أتبيح له - وكان أخوا عيال - شجاع - في الحماطة - مستكن . »

(٤) الحفض : الجمل الضعيف .

(٥) المد : أراد به هنا معين الماء الذي له مادة لا تنقطع ، يقال ماء عد أي كثير دائم لا ينقطع ،

البرض : القليل . قال ابن دريد :

« أرمق العيش على برض فان رمت ارتشافا رمت صعيب المنسي »

يقال ماء برض (بالسكون) أي قليل وهو خلاف العمر ، والمستشف : الذي يأتي على آخر ما في الأثناء عند العزب .

إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا - أَرْمَدًا - فَحَظُّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُنْقَضَ (١)

* * *

أَرَى كُلَّ مُجْرٍ « أبا عامرٍ »
 أُعِيدُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي (٢)
 فَإِنِّي أَلِينُ لِمَنْ لَانَ لِي
 وَكَمْ حَرَّكَ الْعُجْبُ مِنْ حَانٍ
 يُسْرُهُ إِذَا فِي خِالَاءِ رَكْضٍ
 إِذَا وَتَرَى بِالْمَنَايَا أَنْقَبَضُ
 وَأَتْرُكُ مَنْ رَامَ قَسْرِي حَرَضُ (٣)
 فَعَادَرْتَهُ ، مَا بِهِ مِنْ حَبْضُ (٤)

* * *

« أبا عامرٍ » أَيْنَ ذَاكَ الْوَفَاءُ
 وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ
 تَشُوبُ وَأَنْحَضُ (٥) مُسْتَبْقِيَا
 إِذِ الدَّهْرُ وَسَنَانُ ، وَالْعَيْشُ غَضُّ؟
 مُصَادَقَتِي الْوَاجِبَ الْمُفْتَرَضُ؟
 وَهَيْهَاتَ مَنْ شَابَ مِمَّنْ مَحْضُ!

* * *

أَبْنِي لِي ، أَلَمْ أَصْطَلِعْ نَاهِضًا (٦)
 أَلَمْ تَنْشَ مِنْ أَدْبِي نَفْحَةً
 بِأَعْبَاهِ بَرِّكَ ، فَيَمَنْ نَهَضُ؟
 حَسِبْتَ بِهَا الْمِسْكَ طَيِّبًا يُفَضُّ؟

(١) قال المتنبي :

« قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم . »

(٢) المنزِع : السهم الذي يرمى به أبعد ما يقدر عليه لتقدر به النلوة قال الأعمش :

فهو كالمنزِع المَرِيض من الشو حط عاك به يمينا الغالي

(٣) حرَض : ساقط لا يقوى على النهوض .

(٤) الحبض : التحرك والصوت ، والقوة وبقية الحياة ، يقول : كم دفع الغرور من قرب حينه إلى ..

وأنى فتركته ميتا لاجراك به .

(٥) أى تخرج الصافي بالكدر وأصغيك الهوى خالصا من كل شائبة .

(٦) وفي رواية : « ناديا »



أَمْ تَكِ مِنْ شَيْعَتِي غَادِيًا إِلَىٰ تُرْعِ صَاحَكُنَّهَا فُرْضٌ^(١) ؟
 وَلَوْ لَا اخْتِصَّاصُكَ لَمْ أَلْتَفِتْ لِحَالِكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ
 وَلَا عَادَتِي - مِنْ وِفَاءٍ - سُرُورٌ وَلَا نَالَتِي - لِجَفَاءٍ - مَضْنٌ
 يَعِزُّ اعْتِصَارُ الْفَتَىٰ وَارِدًا إِذَا الْبَارِدُ الْمَذْبُ أَهْدَىٰ الْجَرَضُ^(٢)

* * *

عَمَدَتِ لِشِعْرِي وَلَمْ تَتَّعِبْ^(٣) تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضِ
 أَضَاقَتْ أَسَايِبُ هَذَا الْقَرِيضِ ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَشْمُهُ فَأَنْقَرَضُ ؟

* * *

لَعَمْرِي لَفَوْقَتَ سَهْمِ النَّضَالِ وَأَرْسَلْتَهُ، لَوْ أُصِيتَ الْفَرَضُ^(٤)
 وَشَمَّرْتَ لِلْخَوْضِ فِي جُلَّةِ - هِيَ الْبَحْرُ - سَاحِلِهَا لَمْ يُخَضْ
 وَغَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ « وَلَا دَّةٍ »^(٥) سَرَابٌ تَرَأَىٰ وَبَرَقٌ وَمَضْ
 تَظُنُّ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظَّنُّ نٌ فِيهَا تَقُولُ عَلَىٰ مَنْ فَرَضَ :
 « هِيَ الْمَاءُ يَا بِي عَلَىٰ قَابِضٍ^(٦) وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مِنْ مَخَضِ »

(١) الفرض - جمع فُرْضَة ، والفُرْضَة من النهر ثلثة يستقى منها ومن البحر محط السفن .
 (٢) وفي الأصل : « ولكن يعز اغتصار الفتى واردا » ، والجرض معناه المصص بالريق ، يقال
 حرض بريقه : ابتلعه بالجهد . والاعتصار : أن يفتس الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يسربه قليلا
 قليلا ، قال عدى بن زيد :

« لو بغير الماء حلقي شرق كنت - كالغصان - بالماء اعتصاري . »

(٣) ولم نأل جهدا . (٤) الفرض : الهدف .

(٥) وفي الأصل : « وغرك من عهد فعالة » ولكنه في بقية الروايات : « ولادة »

(٦) وفي رواية : « هي الماء يعز على قابض » .



وَبُنَّتَهَا بَعْدِي أَسْتُحَمِدَتُ بِسِرِّي إِلَيْكَ لِمَعْنَى غَمَضٍ

* * *

« أبا عامر » عَثْرَةٌ فَاسْتَقِلَّ لِتَبْرِمَ مِنْ وَدْنَا مَا أَنْتَقَضَ
وَلَا تَعْتَصِمُ ضَلَّةً بِالْحِجَابِ (١)
وَالَا أَنْتَحَتِكَ جُيُوشُ الْعِتَابِ مُنَاجِرَةً فِي قَضِيضٍ وَقَضٍ

* * *

وَأَنْذِرْ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ بِطِبِّ الْجُنُونِ إِذَا مَا عَرَضَ
كَفَيْلٌ يَبِطُّ خِرَاجٍ قَسَا (٢)
يُبَادِرُ بِالْكِيِّ قَبْلَ الضَّمَادِ جَرِيٌّ عَلَى شَقِّ عِرْقٍ نَبَضَ
وَأَشْعِرُهُ أَنِّي أَنْتَخَبْتُ الْبَدِيلَ وَبُسْعِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحَضَضِ
فَلَا مَشْرَبِي - لِقِلَاةٍ - أَمْرٌ وَأَعْلِمُهُ أَنِّي أَسْتَجَدْتُ الْعَوْضَ
وَإِنَّ يَدَ الْبَيْنِ مَشْكُورَةٌ وَلَا مَضْجَعِي - لِنَوَاهٍ - أَقْضُ
وَحَسْبِي أَنِّي أَطَبْتُ الْجَنَى لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَضَمٍ رَحَضَ (٣)
وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي لِإِبَانِهِ ، وَأَبْتَحْتُ النِّفْضَ (٤)
غَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَاكَ الرَّبْضَ (٥)

(١) الخجاج : الحاجة والجدل .

(٢) وفي الأصل : « خراج حرى . »

(٣) رحنض : غسل .

(٤) النفض : ماسقط من الورق والتمر وحب العنب حين يوجد بعضه في بعض .

(٥) الرض : الأمعاء ، أو ما في البطن سوى القلب ، وماوى النعم ، وقوتك الذى يكفيك من اللين .

مدح ابن جهور وشكر باديس (١)

« وقال من قصيدة طويلة يمدح بها الوزير

الأجل محمد بن جهور . »

سَلِ الْمَعَشَرَ الْأَعْدَاءَ - إِنْ رُمْتَ صَرَفَهُمْ - عَنِ الْقَصْدِ إِنْ أَعْيَاكَ مِنْهُ مَرَامُ
أَتَوْكَ كَأَسَادِ الشَّرَى فَرَدَدْتَهُمْ كَمَا أَجْفَلْتَ وَسَطَ الْفَلَاحِ نَعَامُ
مَضَوْا يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَمَّا وَرَاءَهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ - بِالْمُبْكِيَّاتِ - عِصَامُ (٢)

(١) سق الكلام عن « باديس » وعن « صنهاجة » في ص (٢٢٠ و ٢٢١) من هذا الديوان ،
فليرجع إليها من شاء .

(٢) يقول المثل : « ما وراءك يا عصام ؟ » وجاء في مجمع الأمثال عن المفضل الضبي أن أول من قال
ذلك الحرث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه لما بلده جمال ابنة عوف بن سلم الشيباني وكلها وقوة عقلها ،
دعا امرأة من كندة يقال لها « عصام » ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : ادهي حتى تعلمي
لي علم ابنة عوف ، فمدت حتى انتهت إلى أمها ، وهي « أمامة » بنت الحرث ، فأعلمتها ما قدمت له ،
فأرسلت « أمامة » إلى ابنها وقالت : أي بنية هذه خالك أنت لتنظر إليك فلا تستري عنها شيئا إن
أرادت النظر ، من وجهه أو خلقه ، وناطقها إن استندت منك ، فدخلت إليها ، فظارت إلى ما لم تر قط مثله ،
فخرجت من عندها وهي تقول : « ترك الخداع ، من كتم القناع . » فأرسلتها مثلا ، ثم انطلقت إلى
الحرث فلما رآها مقلة ، قال لها : « ما وراءك يا عصام . » قالت : « صرح الخوض عن الريد . » رأيت
جبهة كالمرأة المصقولة ، يزينها شعر حالك كأذناب الحيل ، إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت
عناقيد جلاها الوابل ، وحاجين كأنما خطا بقلم ، أو سودا بحمم ، تقوسا على مثل عين ظبية عجيبة ،
بينهما أنف كحد السيف الصنيع ، حفت به وجنتان ، كالأرجوان ، في بياض كاللجان ، شق فيه فم كالحاتم
لزيد المبتسم ، فيه ثنايا غر ذات أشر ، تقلب فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، بهزل وافر ، وحواب حاضر ،
تلتقي فيه شمتان حراوان ، في رقبة بيضاء كالفضة ، ركبت في صدر كصدر تمثال دمية ، وعصدان مندجان ،
يتصل بهما دراعان ، ليس فيها عظم يمس ، ولا عرق يحس ، ركبت فيهما كمان دقيق قصيبا ، ابن
عصيبا ، تعقد إن شئت منوما الأنامل ، تنأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين بخرفان طليما ثيابها ، تحت ذلك
بطن طوى طوى القباطي المدبجة ، كسر عكنا كالقراطيس المدرجة ، تحيط بذلك العكن سرة كالمدهن الجلو ،
خلت ذلك ظهر فيه كالجدول ، ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لا يتر ، لها كفل يقدما إذا ترضت ،
وبنوها إذا قعدت ، كأنه دعص الرمل ، لبدنه سقوط الدل ، يحمله ثغدان افواوان ، تحتهما ساقان خدلجان ،

وَمَا ضَاقَ عَنْهُمْ جَانِبُ الْعُذْرِ إِنَّهُمْ كَمِثْلِ الْقَطَا لَوْ مَيَّرَ كَوْنٌ لَنَأْمَوْا (١)

يحمل ذلك قدمان ، كحذو اللسان ، فبإذن الله مع صغرهما ، كيف تطيقان حمل ما فوقهما ؟ . فارسل الملك إلى أبيها فخطبها فزوجها لإياه وبث بصداقتها فجهزها إليه ، فلما أرادوا أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها : أي بنية ! إن الوصية لو تركت لفضل أدب لترك ذلك منك ، ولكنها تذكرة للنافل ، ومعمونة للعائل ، ولو أن امرأة استمنت عن الزوج لشي أبيها ، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أي بنية ! إنك إن ذارقت الجو الذي منه خرجت ، وخافت العش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكك عليك رقيباً ومليكاً ، فسكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكا ، إلى آخر ما جاء في هذا الخبر ، قال في مجمع الأمثال بعد سياقة هذا الخبر : وروى أبو عبيد ، ما وراءك على التذكير ، وقال : يقال إن المتكلم به النامة الذيباني قاله لعصام بن شهر حاجب النعمان وكان النعمان مريضاً ، وقد أرجف بموته ، فسأله النامة عن حال النعمان ، فقال : « ما وراءك يا عصام . » ومعناه ما خلفت من أمر العليل ، أو ما أمامك من حاله ، ووراء من الأضداد . (١) يشير إلى النمل المشهور : « لو ترك القطا ليلا نام » يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته .

وقد تمثل به الحسين بن علي (رضي الله عنه) في الليلة الأخيرة التي تلاها مصرعه ، قال عليّ ابنه :
إني لحالس في تلك العشيّة - التي قتل أبي في صبيحتها - وعمتي « زينب » عندي تمرضني ، إذ اعتزل
أبي بأصحابه - في خباء له - وعنده « حوى » مولى « أبي ذر » - وهو يمالج سيفه ويصلحه -
وأبي يقول :

« يادهر : أف لك من خلبل
كم لك - بالاشراق والأصيل -
من صاحب ، أو طالب قتيل
والدهر لا يقنع بالسديل
وإنما الأمر إلى الجليل
وكل حى سالك السبيل . »

قال عليّ بن الحسين :

فأطادما أبي مرتين أو ثلاثاً - حتى فهمتها - نعرفت ما أراد ، فثقتني عبرتي ، فرددت دعوى ولزمت السكوت ،
وطلت أن البلاء قد نزل ، فأما عمتي فأنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة ، وفي النساء الرقة والجزع -
فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها - وإنما لحاسرة - حتى انتهت إليه ، فمالت :
« وائتكلاه ! ليت اليوم أعدمى الحياة ! اليوم ماتت « فاطمة » أمي و « عليّ » أبي و « حسن »
أخي . يا خليفة الماضي ، وثمان الباقي . » فنظر الحسين ، وقال :
« يا أخيه ! لا يذهبن حملك الشيطان ! »

قالت : « بأبي أنت وأمي ، يا أبا عبد الله استقتلت ، نفسي فذاك ! » فردّ شخصته ، وترقرقت
عيناه ، وقال :

« لو ترك القطا ليلا نام ! »

* * *

فِدَاءِ « لِبَادِيَسَ » النَّفُوسُ ، وَجَادَهُ مِنْ الشُّكْرِ - فِي أَفْقِ الْوَفَاءِ - غَمَامٌ
 فَمَا لِحِقَّتْ تِلْكَ الْعُهُودَ مَلَامَةٌ وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَاكَ الْحِفَافِ - ذِمَامٌ (١)
 وَمِثْلَكَ وَالِي مِثْلَهُ فَتَصَافِيَا كَمَا صَافَتِ - الْمَاءَ الْقَرَّاحَ - مُدَامٌ
 رَسِيْلِكَ - فِي شَأْوِ الْمَعَالِي - كِلَا كَمَا بَعِيدُ الْمَدَى صَعْبُ الْهُمُومِ - هُمَامٌ

* * *

لَعَمْرِي لَقَدْ أَحْظَيْتَهُ بِوِفَادَةٍ لِأَسْنَى كَرِيمٍ أَنْجَبْتَهُ كِرَامٌ
 فَمَا أَنْفَكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ يَسِرْ فَلَا جِسْمٍ لَّا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مُقَامٌ (٢)
 حُسَامُكَ مَهْمَا تَخْتَرِطُهُ لِمِثْلِهَا فَقَلَّ غَنَاءُ السَّيْفِ حِينَ يُشَامُ

اسم من أحب

« وقال في معشوقة يؤخذ اسمها بالتوالي من أرض
 وسماء وماء ، فيتكوّن من مجموعها « أسماء . » »

إِنَّ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ عَلَيْنَا أَذِمَّةً لَا تُذَمُّ
 هِيَ بِمَنْزُ أَسْمٍ مَنْ أَحَبُّ وَوَلَاءِ وَبِتَكْرِيرِ بَعْضِهَا يَسْتَتِمُّ

قالت :

« يا ويلتنا ! أفتنصب نفسك اختصاباً ؟ فذلك أفرح لقلبي ، وأشد على نفسي ! » ولطمت وجهها ،
 وأموت إلى جيبها وشقته ، وخرت مغشياً عليها .

فقام إليها الحسين فصب على وجهها الماء ، وعزّأها بكلام طويل يرجع إليه القاريء - إذا شاء في كتابنا
 « مصارع الأعيان » من ص « ٢٥ إلى ٥٦ »

(١) تهجد . (٢) وفي الأصل :

« فإبنك إلا عدل نفسك ، إن يسر فلجيم - لا للنفس منك - مقام . »

وقال

« كان أبو العطف بن حيي إذ ورد إشبيلية
 رسولا قد سأله أن يريه من شعره ، فطله
 حتى كتب إليه شعرا يستطك فيه ، فجاء به
 عليه في عروضه وفافيته . »

أُقَدَّتَنِي مِنْ نَفَائِسِ الدَّرْرِ مَا أُبْرَزْتَهُ غَرَائِرُ الفِكْرِ (١)
 مِنْ لَفْظَةِ قَارَنْتَ نَظِيرَتَهَا قِرَانَ سَقَمِ الجُفُونِ لِلْحَوْرِ (٢)
 أَبْدَعَهَا خَاطِرٌ ، بَدَائِئُهُ - فِي النِّظْمِ - حَازَتْ جَلَالََةَ الخَطَرِ
 العِطْرُ مِنْهَا سَرَى لَهُ نَفْسٌ ، مِنْ نَفْسِ الرِّوْضِ رَقٌّ فِي السَّحْرِ (٣)

* * *

يَا رَاقِمَ الوَشْيِ - زَانَهُ ذَهَبٌ - رَقْرَقَ إِذْ رَفَّ مِنْهُ فِي الطَّرْرِ (٤)

- (١) يقول : أدنى من نفائس تلك الشبيهة بالدر اشقت عنه الأصداف ما أبرزته غرائر فكيرك من
 مكنون روائع السكك ، وبدائع الحكم .
- (٢) سقم الجفون : فتورها ، والحور : في العين شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض لون
 الجسد ، وقيل الحور أن تسود العين كلها كما في عين الطباء والبقر ، وهذا ليس بموجود في الأدبين ،
 يقول : أكتبتني من نفائس دررك كل لفظة وافقت قريبتها ، وقارنت نظيرتها ، قران سقم الجفون ،
 لحور العيون .
- (٣) يقول : العطر من هذه السكك البديعة التي أبدعها خاطر كسرى له نفس يحكي في الأريج والرفة
 نفس الروض العطر ، سرى به النسيم وقت السحر ، وفي الأصل : « أخطر مهما سرى له نفس . » ،
 وما أثبتناه هنا هو ما يرشد إليه السياق .
- (٤) الوشي : نقش ، ورقرق : تحرك ولج وصار له بصيص وتلاؤ ، ورف يقال : رف اللون
 والذهب والبرق يرف ، (بالكسر) رفيقا برق وتلاؤ ، ورمت الأسنان كذلك ، وفي الحديث أن
 « الناسة » الحمدي أشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
 « ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكذرا
 ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا . »
 فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا يفضض الله فاك . « فبقيت أسنانه ترف حتى مات ، يقول :
 يا كاتبا يرقم في الكتاب ما يحكي البرد الموشى المذهب الطرر والحواسي ، والذي للونه رقرق وبصيص ، وفي
 الأصل « رقرق » وقد وضعنا بدلها « رقرق » ليستقيم المعنى والوزن .

- وَنَاطِمَ الْعِقْدِ - نَظْمَ مُقْتَدِرٍ - (١) يَفْصِلُ بَيْنَ الْعُيُونِ بِالْعُرْرِ
 لِي بِالنِّضَالِ الَّذِي نَشِطْتُ لَهُ (٢) عَهْدٌ قَدِيمٌ مُعْجَمُ الْأَثَرِ
 هَلْ أُنْصِلَ السَّهْمَ فِي الْجَفِيرِ وَقَدْ (٣) تَعَطَّلَتْ فَوْقَهُ مِنَ الْوَتْرِ ؟

* * *

- مَا الشَّعْرُ إِلَّا لِمَنْ قَرِيحَتُهُ (٤) غَرِيضَةُ النُّورِ غَضَّةُ الثَّمَرِ
 تَبْسِمُ عَنْ كُلِّ زَاهِرٍ أَرْجِ (٥) مِثْلَ الْكِمَامِ ابْتَسَمَنَ عَنْ زَهْرٍ
 إِنَّ الشَّفِيعَ الْهُمَامَ سَوَّغَهُ اللَّهُ اتَّصَالَ التَّأْيِيدِ بِالظَّفْرِ
 الْفَاضِلُ الْخُبْرُ فِي الْمُلُوكِ إِذَا (٦) أَقْصَرَ خُبْرُهُ عَنْ غَايَةِ الْخَبْرِ
 نَجَلُ الَّذِي نُصَحُّهُ وَطَاعَتُهُ كَالْحَبِجِّ تَتْلُوهُ بَرَّةُ الْعُمَرِ

(١) العيون : الحيار المنتعب من حبات العقد ، والعرر البيض ، يقول : وبأناطم الشعر نظم قدير يفصل بين أجزائه ، ويؤلف بين مواقع كانه ، كما يؤلف ناظم العقد بين خرزه وحبائه ، ويفصل بين الحيار المنتخب منها برر الآلى .

(٢) النضال : المرءاء بالسهام وأراد به هنا المساجلة والمسايق في مجل القول ، ومعجم الأثر : مهمم مشكل قد انقضت معاملته وآثاره ، يقول : بعثت إلى بهذه الكمام الثمينة ، والدظم الرائع تريد بذلك أن تجدد عهد النضال الذي نشطت له أنت الآن بعد أن طاب بي عهده ، وأهم على أمره ، واستعجم أثره .

(٣) أنصل . مضارع أنصل السهم جعل له نصلا ، والجفير : جعبة السهام ، والفرق : موضع الوتر من السهم ، يقول : هل أجعل للسهم الذي في الجفير نصلا ، وقد تعطلت فوقه أى مشى رأسه ولم تمد صالحه لأن يوضع الوتر في موضعها ، يريد أن آلة النضال بطلت عنده وتعطلت أسبابها لطول العهد .

(٤) غريضة النور : الفريضة ، والنقض : كلاهما اللين الطرى الناضر من الزهر والنيات وغيرهما .

(٥) الخبر : (بضم وكسر أوله وسكون ثانيه) العلم بالشيء ، عن عيان وخبرة ، والخبر : البأ الذي يأتيك عن طريق السماع ، يقول : هو الملك الذي يفصل ويزيد الخبر والعلم بصفاته وأحواله عن الخبر الذي يبانك عنه في حين أن غيره من الملوك يقتصر الخبر والعلم بأحوالهم عن الخبر الذي يأتيك عنهم .

(٦) برة العمر : أى العمر المبرورة المقبولة جمع عمرة ، وهى فى الأصل الزيارة ، وتنحقق شرعا بالطواف بالبيت والسعى بن الصفا والمروة ، والفرق بينها وبين الحج أن العمرة تطوع وأنه يجوز للانسان أن يعتمر فى السنة كلها بخلاف الحج فإنه لا يجوز الاحرام به وأداء مناسكه إلا فى أشهر الحج المعروفة وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة ، يعنى أن نصحه وطاعته من أعمال البر التى تقابل من الله بالثواب ، وهى اكونها من الطاعة والبر بمثابة الحج الذى تتلوه العمر المبرورة .

شَاهِدُ عَهْدِي لَكَ الصَّحِيحُ بِإِخْلَاصٍ نَأَى صَفْوَهُ عَنِ الْكَدْرِ

* * *

مَشَيْتُ فِي عَذَلِي الْبَرَّازَ لِمَنْ لَمْ يَرْضَ فِي الْعُدْرِ مِشِيَةَ الْحَمْرِ (١)
وَقُلْتُ: مَطَلُ الْغَنِيِّ وَرَدُّ مِنَ الظُّلْمِ، مُبَلِّغِي مَلَاوِمِ الصَّوْدَرِ (٢)
وَلِي مَمَازِيرُ لَوْ تَطَلَّعُ فِي لَيْلِ سِرَارٍ أَغْنَتْ عَنِ الْقَمَرِ
مِنْهَا اتَّقَائِي لِأَنَّ أَكُونَ أَنَا الْجَالِبَ مَا قُلْتُهُ إِلَى هَجْرٍ (٣)
لَكِنْ سَيَاتِيكَ مَا يُجَوِّزُهُ سَرُوكَ دَابَّ الْمَسَامِحِ الْيَسْرِ
فَأَكْتَفِ مِنْهُ بِنَظْرَةٍ عَنِّي (٤) لَأَحْظُ فِيهِ لِكِرَّةِ النَّظَرِ

(١) البراز : من الأرض الفضاء الواسع الذي ليس به حجر يستتره من شجر أو غيره ، والحجر : ما يستتر الناسى ويوارى الصيد من شجر أو جرف أو جبل من حال الرمل أو غير ذلك ، يقول : هناك وملك لوما صريحاً لا مواربة به ، فكانت فيه كمن يمشى البراز لا يواريه حجر ، ولا يستتره ساتر من مرتفع أو شجر ، وهو عذل أعلنه لمن لم يرض قبول صدر أستر وراهه عجرى عن مجاراته ، وأخفى في التماسه ضمعي عن مباراته وفي المثل : « مشى إليه البراز » و « مشى إليه الملا والبراح » أى مشى إليه ظاهراً غير مستتر ، وجاء في صد هذا المثل مثل آخر وهو : « مشى إليه الحجر ، ودب له الضراء . »

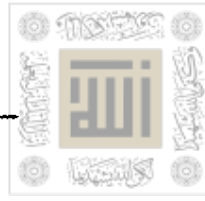
(٢) المظل : المد يقال مظل الجبل وغيره يظله مظللاً ، وفي الحديث : « مظل الغنى ظلم . » والملاوم : جمع الملاومة ، والصدر : الانصراف والرجوع عن الشيء .

(٣) في المثل : « كستبضع الثمر إلى حجر . » و « ناقل الثمر إلى هجر » وهو مثل قديم متداول : بضرب في الخطأ لأن ناقل الشيء إلى معدنه مخطىء ويقال أيضاً كستبضع الثمر إلى خبير . قال اللابغة الجعدي :
« وإن امرأ أهدى إليك قصيدة كستبضع تمرا إلى أرض خبيرا . »

وقد ورد هذا المثل في كتاب لسيدنا على كرم الله وجهه ورضي عنه بعث به جواباً إلى معاوية رضي الله عنه وهو من محاسن كتبه ، وذلك حيث يقول عليه السلام في صدر هذا الكتاب : —

« أما بعد » فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفا الله محمداً صلى الله عليه وآله لدينه ، وتأييده إياه بمن أيدته من أصحابه ، فاقد خبا لنا الدهر منك مجباً إذ طفت تخبرنا بلاء الله عندنا وأعمته علينا في نبينا ، فكنت في ذلك : « كناقل الثمر إلى هجر ، أو داعي مسدده إلى النضال . » إلى آخر ماجاء في هذا الكتاب المتبع ، فارجع إليه في نوح البلاغة إن شئت .

(٤) أى تعترض لك من غير تسمل ولا قصد ، يقول : سيأتيك نظمي هذا الذي يجيزه سرورك وإغضاؤك عما فيه أعضاء المسامح السهل ، فاكثف منه بنظرة مجلى ، فانه لاحظ فيه لماودة النظر ككرة بعد كرة .



بين ابن زيدون والمعتمد

« وكتب إليه المعتمد على الله المؤيد
بنصر الله وهو جالس في فصيل من القصر
تحت غرفة لزومه :

أيها المنحط عني مجلسا
وله في القلب أعلى مجلس
بفؤادي لك حب يقتضى
أن ترى تحمل فوق الأرواس
فجاوبه ابن زيدون . «

أَمْ نَسِيمُ الرِّوَضِ تَحْتَ الْحِنْدِسِ	أَسْقِيطُ الطَّلَّ فَوْقَ النَّرْجِسِ
جَامِعِ كُلِّ خَطِيرٍ مُنْفِسِ (١)	أَمْ نِظَامٌ لِلْأَلِ نَسَقِ
مَالِكٍ بِالْبُرِّ رِقِّ الْأَنْفُسِ	أَمْ قَرِيضٌ جَاءَ نِي عَن مَلِكِ
حَايِرَةٌ فِي مَنْطِقِي لِي مُخْرَسِ	دَهَلَتْ فِكْرِي مِنْ إِبْدَاعِهِ
خَادِجٍ يُتَلَى بِحَزْنٍ مُؤَيَسِ	بِتُّ مِنْهُ بَيْنَ سَهْلٍ مُطْمَعِ

* * *

يَا سَنَا شَمْسِ الْمَحْيَا أَشْمِسِ	يَا نَدَى يُعْنَى « أَبِي الْقَاسِمِ » غِمِ
يَا مُهَيِّجَ الْأَنْفِ الصَّعْبِ أَعْبِسِ	يَا بَهِيَّجَ الْخُلُقِ الْعَذْبِ أَبْتِمِ
سَارَ فِيهِ - يَا بَهَاءَ الْمَجْلِسِ	يَا جَمَالَ الْمَوْكِبِ الْغَادِي - إِذَا
نِعْمَةٌ تُذَكِّرُ عَهْدَ السُّنْدُسِ	أَنْتَ لَمْ يُقْنِعْكَ أَنْ أَلْبَسْتَنِي
مَوْلِيَا طُوْنِي مُحَلِّي مَلْبَسِ	فَتَلَطَّفْتَ لِأَنْ حَلَيْتَنِي

(١) يقول : أم هي لآلى مندقة في نظام جامع أنفس الأعلام وأجلها خطرا .



ذَٰكَ تَنْوِيهٌ ثِنَانِي فَخْرُهُ سَامِيَ اللَّحْظِ أَشْمَ الْمُعْطِسِ
 شَرَّفَتْ بِكَرِّ الْمَعَالِي خِطْبَةً مِنْكَ ، فَانْعَمَ بِسُرُورِ الْمُعْرِسِ
 تُنْمَحُ التَّأْيِيدَ يُجَلِّي لَكَ عَنْ ظَفَرِ حُلُوٍ وَعِزِّ أَقْمَسِ
 وَأَرْتَشِفَ مَعْسُولَ نَضْرٍ أَشْنَبِ تَجْتَنِّدِيهِ مِنْ عَجَاجِ الْعَسِ
 وَأَرْتَفِقَ بِالسَّعْدِ فِي دَسْتِ الْمُنَى تُصْبِحُ الصُّنْعَ دِهَاقِ الْأَكْوَسِ
 فَأَعْرِضُ الدَّهْرَ - فِيمَا شِدَّتُهُ - مُرْتَقَى فِي صَدْرِهِ لَمْ يَهْجِسِ

وقال

« وقد أمره بدخول حمام القصر وبعث إليه بسخور وطيب . »

رِضَاكَ لَنَا - قَبْلَ الطَّهُّورِ - مُطَهَّرٌ وَقُرْبُكَ - مِنْ دُونِ الْبُخُورِ - مُعْطَّرٌ
 فَلَوْ عَزَّ حَمَامٌ لَأَذَفَانَا ذَرَى يَفِيضُ بِهِ مَاءَ النَّدَى الْمُتَفَجَّرِ
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ طِيبٌ لَأَغْنَتْ حَفَاوَةٌ تُمْسِكُ مِنْهَا حَالِنَا وَتُعْتَبِرُ (١)
 فَلَا فَارِقَ الدُّنْيَا سَنَايَ مُقَدَّسٍ بِعَيْشِكَ فِيهَا أَوْ ثَنَائِ مُجَمَّرِ (٢)
 وَدُمْتَ مُلَقَى - كُلَّ يَوْمٍ - صَبِيحَةً يُغَادِيكَ فِيهَا - بِالْفُتُوحِ - مَبَشَّرِ

وقال

« مجاوباً له عن شعر خاطبه به . »

أَمْ وَلايَ بُلَّغْتَ أَقْصَى الْأَمَلِ وَسَوَّغْتَ دَأْبَ نِسَاءِ الْأَجَلِ (٣)

(١) لو لم نجد الطيب لأغنتنا عنه حفاوتك التي نعطرنا بالمسك والعنبر .
 (٢) السناء : الرمة ، والثنا ، المدح ، والمجرم العبق ، يقال : حمر ثوبه : بخره ، وجر النار : هياها .
 (٣) نساء الأجل : طول العمر .

وَعُمِّرْتَ مَا شِئْتَ فِي دَوْلَةٍ تَقْصُرُ عَنْهَا طِوَالَ الدُّوَلِ
فَأَنْتَ الَّذِي غُرُّ أَعْمَالِهِ تَحَلَّى بِهَا الدَّهْرُ بَعْدَ الْعَطَلِ
يُشْرَفُ مَمْلُوكَكَ الْمُسْتَرَقَّ نَظْمٌ مِّنَ الْكَلِمِ الْمُنْتَخَلِ (١)
وَرَاخٌ تُعِيدُ إِلَى مَنِ أَسَّسَ طَيْبَ زَمَانِ الصَّبَا الْمُقْتَبِلِ (٢)
فَأَخْجَلَنِي الْبُرْ مِنْ قَرَطِهِ وَإِنَّ الْجَوَابَ لِيُبْدِي الْحَجَلَ
وَقَدْ يَقْبَلُ الدَّهْرَ مَوْلَى الْأَنَا مِ جُهْدِ الْعَبِيدِ إِذَا مَا أَقْلُ
سَعِدْتَ كَمَا سَعِدَ الْمُشْتَرَى وَنِلْتَ عَلَا لَمْ يَنْلَهَا زُحَلُ (٣)

جواب

« وقال مجابو باله أيضا . »

هَلْ يَشْكُرَنَّ «أَبُو الْوَلِيدِ» (٤)
أَوْ أَنْ تُسَوِّغَ نِعْمَةً
إِن لَمْ يَدِنْ بِنَصِيحَةٍ
لَا زِلْتَ رَافِعَ رَايَةٍ
إِذْنَاءَكَ الْأَمَلِ الْبَعِيدِ
لِلدَّهْرِ أَشْهَرَتِ الْحَسُودُ
تُرْضِيكَ فَهَوُ مِنْ الْيَهُودِ
تُضْحِي، السُّعُودُ لَهَا جُنُودُ

وقال يستهديه خمرأ

يَا بَانِيًّا كُلَّ مَجْدٍ وَهَادِمًا كُلَّ وُجْدٍ
جِسْمُ الشُّرُورِ سَوِيٌّ مِّنْ صَوْنِغِ نِعْمَاكَ عِنْدِي
فَهَبْ لَهُ رُوحَ رَاخٍ يَنْطِقُ بِأَحْفَلِ تَحْمِدِ

(١) المنتخل : المنقح المتخير . (٢) وقد جاء بعد هذا البيت قوله :

« أنت مع اسراء ما يقبدي وأغرب باكورة تنقل . »

(٣) المشتري وزحل كوكبان معروفان . قال أبو الملاء :

« زحل أشرف الكواكب دارا من لقاء الردي على ميعاد . »

(٤) يعني نفسه .

وقال مجاباً المعتمد

أَفَاضَ سَمَاحُكَ بِحَجَرِ النَّدَى وَأَقْبَسَ هَدْيُكَ نُورَ الْهُدَى
 وَرَدَّ الشَّبَابَ أَعْتِلَاقَكَ بَعْدَ مُفَارَقَتِي ظِلَّهُ الْأَبْرَدَا (١)
 وَمَا زَالَ رَأْيُكَ فِي الْجَمِيلِ يُفْتَحُ لِي الْأَمَلَ الْمُوصَدَا (٢)
 وَحَسْبِي مِنْ خَالِدِ الْفَخْرِ أَنْ رَضِيتَ قَبُولِي مُسْتَعْبِدَا (٣)
 وَيَا فَرَطَ مَا بِي (٤) إِذَا مَا طَلَمْتَ قَقَمْتُ أَقْبَلُ تِلْكَ الْيَدَا
 وَرَدَدْتُ لِحَظِي فِي غُرَّةِ إِذَا اجْتَلَيْتِ شَفَتِ الْأَزْمَدَا
 وَطَاعَةُ أَمْرِكَ فَرَضٌ أَرَا هُ مِنْ كُلِّ مُفْتَرَضٍ أَوْ كَدَا
 هِيَ الشَّرْعُ أَصْبَحَ دِينَ الضَّمِيرِ فَلَوْ قَدْ عَصَاكَ لَقَدْ أَلْحَدَا
 وَحَاشَى مِنْ أَنْ أَصِلَ الصَّرَاطَ فَيَعْدُونِي الْكُفْرُ عَمَّا بَدَا (٥)
 وَأُخْلِفَ مَوْعِدَ مَنْ لَا أَرَى لِدَهْرِي إِلَّا بِهِ مَوْعِدَا (٦)

- (١) يقول : رد على شبابي بعد أن فارقت ظله الأبرد اعتلاقاً بأسبابك واتصالاً بدولتك .
 (٢) وما زال جميل رأيك فيّ يفتح لي من الآمال كل باب مفلق .
 (٣) وكفاني نفرا خالداً ألك رضيت قبولى ضمن من استعبدتهم بأحسانك ، ومددت عليهم ظلّ نعمتك الوارف . (٤) في الأصل : « يا فرط باوى . »
 (٥) يقول : حاشى أن أصل الصراط وأرفض أول فرض على من طاعتك التي هي الخمر ، ومعتقد السير ، فيعدني الكفر عما بدا لي من صحة الايمان .
 (٦) في الأصل : « وأخلف بالوعد » وهو لا يعتمدى بالباء ، فأبدلناه بالموعد ليصح اللفظ ، والسبب في أنه يتصل هنا من خلف الموعد أن « المعتد » كان قد عرض له سفر بجأة فكتب إلى « ابن زيدون » :
 « العين بمدك تقضى بكل شيء تراه
 فليجل شخصك عنها ما بالفيب جاء . »
 معانت « ابن زيدون » عن الجواب أشغال توات عليه ، ثم استبطأه « المعتد » فبحث إليه بالقصيدة التالية معاتباً :
- وعدت وأخلفتني الموعدا وخالفت بالنتهى المبتدا



أَتَانِي عِتَابٌ مَتَى أَدَّكِرُ هُفِي نَشَوَاتِ الْكُرَى أُسْهَدَا^(١)
وَإِنْ كَانَ أَعْقَبَهُ مَا أَقْتَضَى شِفَاءَ السَّقَامِ وَتَقَعِ الصَّدَى^(٢)
ثَنَاءٌ ثَنَى فِي سَنَاءِ الْمَحَلِّ زُهُرَ الْكُورِ كَيْبِ لِي حُسَّدَا^(٣)
قَرِيضٌ مَتَى أَبْغِ لِلْقَرَضِ مِنْهُ أَدَاءٌ أَجِدُ شَأُوهُ أُبْعَدَا
لَوْ الشَّمْسُ مِنْ نَظْمِهِ حُلِيَّتٌ أَوْ الْبَدْرُ قَامَ لَهُ مُنْشِدَا
لَضَاعَفَ مِنْ شَرَفِ النَّيْرِيِّ حِطًّا بِهِ قَارَنَ الْأَسْعَدَا

وأطمعني ثم أيلستني ويعني الود أن أحقدا
وأضعفت بالمطل جل الرجا فرث وأعمده محصدا
وعاد ضياء ارتقا في ظلاما وأصح مصباحه أرمدا
وكان فمالك قبل المقال فاذا عدا الآن فيما بدا
وقد كان ظي بها رأيت به أنه الشيء بل اليدا
وكم قد توكتفها روضة تقرب لي الأمل الأبعدا
ينور هلك أرجاءها ويقطر طبعك فيها ندا
توكتفها زمتا ناظري إذا سر يوم تهادى غدا
على ذاك أمديك من ماجد تشبث بالطرف فيه الهدى
لحيناً أزور به روضة وحيناً أحيي به مسجدا
لك العلم مهما أرد بحره لأروى به أحد الموردا
وفيك تجمعت المأثرا ت طرا قصرت بها مفردا
شماثل تنثر شمل الهمو م نترك بالرأى شمل العدا
فتعني الله بالخط منك ولا زلت لي مؤناسرمدنا
ودمت ودمت على حالنا كما يصحب الفرقد الفرقدنا
فلولاك كانت ربوع السرو رمي تجاوب فيها الصدى

- (١) أتاني من قبل المدوح عتاب نسب لي ذكراه الأرق والسهد كما رنجتني نشوات الكرى وغشيتي أوائل النوم .
(٢) يقول : أسهدني وأرتني اذكار هذا العتاب ، وإن كان أعقبه ما اقتضى شفاء القلوب ، وإطفاء وحر الصدور .
(٣) ثناء ومدح رفعت به محلي ، فأثنت زهر النجوم تحمدني عليه .



فَدَيْتُكَ مَوْلى: إِذَا مَا عَثَرْتُ
 رَكَنتُ^(١) إِلَى كَرَمِ الصَّفْحِ مِنْهُ
 وَأَنْتَ سُوقَ أَحْتِمَالِ أبى
 شَفِيعِى إِلَيْهِ هَوَى مُخْلِصِى
 وَمِنْ وَصَلِى هِجْرَةٌ لَأَعْدُ
 وَنُعْمَى تَقْيَاتُهَا أَيْكَةَ
 تَبَارَكَ مَنْ جَمَعَ الْخَيْرَ فَيْكَ
 مَضَاهُ الْجَنَانَ وَظَرَفُ اللِّسَانِ
 رَأَى شَيْمَتَيْكَ لِمَا تَسْتَحِقُّ
 لِيَهْنِكَ أَنْكَ أَرْكَى الْمُلُوكِ
 سِوَى نَاجِلِ لَكَ سَابِى الْهُمُومِ
 هُمَامٌ أَعْرُ رَوَيْتَ الْفَخَارَ
 أَقَالَ ، وَمَهْمَا أَرْغَ أَرْشَدَا
 فَأَمَّنِى ذَاكَ أَنْ يَحْقِدَا
 لِمُسْتَبْضِعِ الْعُذْرَانَ يَكْسِدَا^(٢)
 كَمَا أَخْلَصَ السَّابِكُ الْعَسْجِدَا
 لِحَالِى سِوَى يَوْمِهَا مَوْلِدَا^(٣)
 فَشُكْرِى حَمَامٌ بِهَا غَرَّدَا
 وَأَشْعَرَكَ الْخَلْقَ الْأَعْجِدَا
 وَجُودُ الْبَنَاتِ بِسَكْبِ الْجَدَا
 وَقَفَّى فَأَظْفَرَ إِذْ أَيْدَا
 بِنَى وَأَشْرَفُهُمْ سُودَدَا
 مَدَانِى الْفَوَاضِلِ نَأَى الْمَدَى^(٤)
 حَدِيثًا إِلَى سَرُوهِ مُسْنَدَا^(٥)

(١) فى الأصل « وكنت » وقد وضعنا بدلها « ركنت » التى هى كصورتها فى الخط ليستقيم المعنى .
 (٢) المستبضع: اسم فاعل من استبضع الشئ، جعله بضاعة، والبضاعة طائفة من المال ترسل إلى الأسواق للتجارة، يقول: إن احتماله وإغصامه عن الهوات بمثابة سوق تأبى لمن استبضع إليها الأعدار أن تكسد بضاعته، وهو مأخوذ من النمل: « كستبضع التمر إلى حجر . »
 (٣) الوصل: جمع وصلة بمعنى الاتصال والاسباب والدرائع، يقول: ومن أسباب اتصالى به وذرائعى إليه مجرة فارقت فيها موطنى، واتصلت على أثرها بدولته، واعتلقت بحبله وذمته، تلك الهجرة التى لأعد أن حال استقرت وولدت، إلا يوم أن حصلت وتمت .
 (٤) الناجل: الكريم العال، يقول: ليس فى الملوك أركى منك سوى والدك الذى نجتك وأنجيتك .
 (٥) يقول: إن أباك همام أعز مشرق الوجه، رويت عنه الفخار حديثاً مسنداً إلى سروره ومجده ونبله .

سَلَكْتَ إِلَى الْمَجْدِ مِنْهَاجَهُ فَقَدْ طَابَقَ الْأَطْرَفَ الْأَتْلَدَا (١)
 هُوَ اللَّيْثُ قَلَدَ مِنْكَ النَّجَادَ لِيَوْمِ الْوَعْيِ شِبْلَهُ الْأَنْجَدَا (٢)
 يُعِدُّكَ صَارِمَ عَزْمٍ وَرَأْيٍ فَتَرْضِيهِ جُرْدًا أَوْ أُغْمِدَا (٣)
 وَمَا اسْتَبَهَمَ الْقُفْلُ فِي الْحَادِثَا تِ إِلَّا رَاكَ لَهُ مِقْلَدَا (٤)
 فَأَمَطَاكَ مِنْكَبِ طَرْفِ النَّجُومِ وَأَوْطَا إِخْمَصَاكَ الْفَرْقَدَا
 فَلَا زِلْمًا يَرْفَعُ الْأَوْلِيَا ۚ مُلْكُكُمْ وَيُحِطُ الْعِدَا
 وَنَفْسِي لِنَفْسَيْكُمْمَا الْبَرِّيَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُتَوَقَّى الْفِدَا
 فَنَ قَالَ : أَنْ لَسْتُمَا أَوْحَدَيْنِ فِي الصَّالِحَاتِ فَمَا وَحَدَا (٥)

وقال

لَعَمْرِي لَنْ قَلْتُ إِلَيْكَ رَسَائِلِي لِأَنْتَ الَّذِي نَفْسِي عَلَيْهِ تَدُوبُ
 فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي تَبَدَّلْتُ غَيْرَكُمْ وَلَا أَنَّ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ يَتُوبُ

وقال

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصَادِفُ خَلْوَةٌ لَدَيْكَ ، فَأَشْكُو بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدُ؟
 رَعَى اللَّهُ يَوْمًا فِيهِ أَشْكُو صَبَابَتِي وَأَجْفَانُ عَيْنِي - بِالذُّمُوعِ - شَوَاهِدُ

- (١) الأطراف : الحديث ، والأتلد : القديم .
 (٢) النجاد : حائل السيف ، والأنجد : الشجاع ذو النجدة والبأس ، يقول : هو أي والدك الملك ليت
 قلد شبله الأنجد الشجاع السيف ليوم الوعى والحرب .
 (٣) يعدك صارم عزم وحزم في الحرب والسياسة ، فترضيه في الحايين : جرد السيف ، أو أغمد .
 (٤) استبهم : استمتع ، والقفل : ما يفتق به الباب ، والمقلد : المفتاح ، يقول : لانسنتلق الحادثات
 إلا رآك مفتاحاً لأقفالها المغلقة ، وفي الأصل : « الفعل » فوضعنا مكانها « القفل » ليناسب
 الاستبهام والمقلد .
 (٥) يقول : أن من ينكر أنكما في البر والصالحات أو حدين قد بلغ في الجحد والانكار مبلغ من ينكر
 التوحيد ولا يقول بوحدانية الله .

تهنئة

« وقال رحمه الله بهيه أيده الله بالقدوم من سفر . »

أَيُّهَا الظَّافِرُ أَبْشِرْ بِالظَّفَرِ وَأَجْتَلِ التَّأْيِيدَ فِي أَبْهَى الصُّورِ
 وَتَقِيًّا ظِلَّ سَعْدٍ تَجْتَنِي فِيهِ مِنْ غَرَسِ الْمُنَى أَحْلَى الشَّعْرِ
 وَرِدِ الصُّبْحَ فَكُمْ مُسْتَوْحِشٍ غَرَضٍ^(١) مِنْكَ إِلَى أُنْسِ الصَّدْرِ
 كَانَ مِنْ قُرْبِكَ فِي عَيْشٍ نَدِ عَطِرِ الْأَصَالِ وَصَاحِ الْبُكْرِ
 كُلَّمَا شَاءَ تَأْتَى أَنْ يَرَى خُلُقِ الْبَرْجِيسِ^(٢) فِي خَلْقِ الْقَمَرِ

(١) غرض : يصف من الغرض (بمركة) وهو شدة النزاع نحو الشيء ، والشوق إليه يقال : غرض إلى لقائه فهو غرض اشتاق ، ومنه قول الشاعر :

فمن بك لم يفرض فاني وناقى بيجر إلى أهل الحمى غرضان
 بمن فبدي ما بها من صباة وأخى الذي لولا الأسي اقصاني

و في الأصل : « عرض » .

(٢) البرجيس

البرجيس : المشتري وهو أحد الدراري الخمسة : المشتري ، وزحل ، والمريخ ، وعطارد ، والزهرة ، وهذه الكواكب الخمسة هي الجنس الكمنس المذكورة في قوله تعالى : « فلا أقسم بالجنس الجوار الكمنس . » قالوا : وإنما وصفت بما ذكر في الآية لأنها من الكواكب السيارة التي تجرى مع الشمس والقمر ، وخنوسها رحوعها مزهرة بعد اختفائها في ضوء الشمس ، ولذلك تسمى الرواجع ، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس من كمنس الظلي والوحش إذا دخل كمناسه ، وفي النهاية لابن الأثير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الكواكب الكمنس فقال هي البرجيس وزحل وعطارد وبهرام والزهرة ، البرجيس : المشتري ، وبهرام : المريخ . »
 والبرجيس : لفظة فارسية تدل على « المشتري » وهو كوكب معروف تطلق عليه الفرنجة اسم « جوبيتر » « Jupiter » وهو - في أساطير قدماء الرومان واليونان ، اله الآلهة ، المهيمن على كل الكائنات العلوية والسفلية ، قالوا : « وإنما سمي المشتري - من المراء ، وهو الوضوح لضياء لونه وصفائه . » قال الشاعر :

« يارب ليل بت أرعى نجمه - حتى الصباح - بزفرة وعويل
 والمشتري - في الأفق - يخفق لامعا كغم الحبيب بشير بالتقبيل . »

فَتَوَى دُونَكَ مَثْوَى قَلْبِي يَشْتَكِي مِنْ لَيْلِهِ مَظَلَّ السَّحَرِ
 قُلْ لِسَاقِينَا: «يَحْزُ أ كَوْسُهُ» وَإِشَادِينَا: «يَصِلُ قَطْعَ الْوَتْرِ»
 حَسْبُنَا سُكْرُ جَنَّتِهِ ذِكْرُهُ دُونَهُ الشُّكْرُ الَّذِي يَجْنِي السَّكْرَةَ (١)
 لَمْ يُغَادِرْ لِي سَقَامِي جَلْدًا مَعَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ تَبَّتَ الْمِرْرُ (٢)
 أَيُّهَا الْمَاشِي الْبِرَازَ الْمُنْبَرِي لَزَمَانِي إِنْ مَشَى تَحْوِي الْخَمْرُ (٣)
 وَالَّذِي إِنْ سِيمَ مَا فَوْقَ الرَّضَى وَجِدَ الْأَلْوَى الْبَعِيدَ الْمُسْتَمِرَّ (٤)
 وَإِذَا أُعْتَبَ فِي مَعْتَبَةٍ لِأَنَّ مِنْهُ جَانِبُ السَّمْعِ الْيَسْرَ
 تَطْمِي الْمُهْدَى إِلَى أُبْرَجِ مَنْ نَظَمَ السَّحْرَ بَيَانًا أَوْ نَثْرَ

(١) السكر: النية غير المملووخ من ماء التمر المشد، والشراب المتخذ من التمر نوطان: ما يسبل من التمر حين يكون رطباً فاذا اشتد سمي سكراً، وما يفضح أي يشق من التمر ثم يقع في الماء ليستخرج الماء حلاوته ثم يترك حتى يشتد وتذهب حلاوته ويسمى فضيخاً وكلامهما مسكر. وقد ورد ذكر السكر في قوله تعالى: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً.»، ومعنى هذا البيت والذي قبله: قل لساقينا: نوح كؤوسك عنا فقد أغناانا السكر الذي تحدته الذكر، عن السكر الذي يجنيه السكر، وقل لشادينا: صل قطع الوتر والغناء، فهما حلا في السمع من ذكره الكفاية والبناء.

(٢) ثبت: ثابت، والمر: جمع مره (بالسكر) وهي القوة والشدة أي لم يغادر لي السقام جلداً وصبراً مع أنني لم أزل ذا مرة قويا، وورد هذا البيت في الأصل هكذا:

لم يغادر لي شفا من جلد مع أي لم أزل ثبت الغرر

وما أثبتناه من الاصلاح هو ما يرشد اليه السياق.

(٣) البراز: المنسج من الأرض الذي ليس به ما يستره من شجر أو غيره، والخمر: ما يستر الماشي أو الصيد من شجر أو جرف أو جبل رمل أو غير ذلك، يقول: يا من يدافع عني إذا رأى زمانى معنى إلى متكرراً يريد ختلى وأخذى على غيره. (٤) الألوى: الشديد الحصومة الجدل السليط، والمستمر: من استمر استحككم مصدر ميمي يعني أنه بعيد شأو الحصومة، وفي المثل: «لتجدن فلانا ألوى بعيد المستمر.» وقد جاء هذا المثل في قول الراجز:

«إذا تحازرت وما بي من خزر ثم كسرت الطرف من غير عور

وجدتني ألوى بعيد المستمر أحمل ما حملت من خير وشر.»

أي وجدتني خصماً سليط اللسان بعيد شأو الحصومة.

لِي فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ عَنْ
 غَيْرِ أَنْ الْعُذْرَ رَسْمٌ وَاضِحٌ
 ثُمَّ قَدْ وَفَّقَ عَبْدُهُ عَظُمْتَ
 لَأَعْدَا حَظَّكَ إِقْبَالَ تَرَى
 وَأَصْطَبِخَ كَأْسَ الرَّضَى مِنْ مَلِكٍ
 حِينَ صَمَّمْتَ إِلَى أَعْدَائِهِ
 فَأَضْغَمَ غَمْرٌ لِلنَّدَى مِنْ قَوْفِهِمْ
 سَبَقَ النَّاسَ فَصَلَّى مِنْكَ مَنْ
 زُنْتَمَا الْأَيَّامَ إِذْ مُذَكُّكُمْ
 فَأَبْقِيَا فِي دَوْلَةٍ قَادِرَةٍ
 مُسْتَدَلِّي مَنْ طَغَى مُسْتَأْصِلِي
 عَامِي مَنْ ضَلَّ مُزْنِي مَنْ شَكَا
 تَضَحَّكَ الْأَزْمُنُ عَنْ عَلِيَا كَمَا
 جَابِ التَّمْرِ إِلَى أَرْضِ هَجَرَ
 تُنْفَتُ الشُّكُورَى إِذَا الشُّوْقُ صَدَرَ^(١)
 نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ فَشَكَرَ
 قَاضِيًا أَثْنَاءَهُ كُلَّ وَطَرَ
 سِرَّتَ فِي إِرْضَانِهِ أَزْكَى السَّيْرِ
 فَأَنْتَحَتَهُمْ مِنْكَ صَمَاءُ الْغَيْرِ
 كَانَ يُرْوَى شُرْبُهُمْ مِنْهُ الْغَمْرُ^(٢)
 إِنْ رَأَى آثَارَهُ الزَّهْرَ أَقْتَفَرُ^(٣)
 سَالَ فِي أَوْجُهِهَا سَيْلَ الْغُرْرِ
 بَعْضُ حُرَّاسِ نَوَاحِيهَا الْقَدَرُ
 شَافَةَ الْبَاغِي مُقِيلِي مَنْ عَثَرَ
 خَلَّةَ الْإِمْحَالِ بَدْرِي مَنْ نَظَرَ
 ضَحِكَ الرَّوْضَةَ عَنْ ثَغْرِ الزَّهْرِ

(١) صدر : أسباب الصدر ، يقال : صدر فلان فلانا يصدره صدرا (من باب نصر) أصاب صدره .
 (٢) الغمر : تدح صغير يتصانن به القوم في السفر إذا قل الماء ولم يكن معهم منه إلا اليسير ، والتصانن
 أن يلقوا به حصاة ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغير الحصاة ، ثم يعطى الاناء كل رجل منهم بحسب دوره
 وجاء في شعر أعتى بأهله : -
 « يكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء ويروي شربه الغمر »
 (٣) اقتفر - من اقتفر الأثر - اقتفاه وتبعه ، والمعنى : « سبق أبوك لجملك مصلياً وتالياً بمدته أنت يامن
 يفتق آثار أبيه الزهر .



ذكرى ولادة

« كان يكاف بولادة بنت المهدي هذه ويهيم ،
ويستضيء بمور تخيلها في الليل البهيم ، وكانت من
الأدب والظرف ، وتييم المسمع والظرف ، بحيث تختلس
القلوب والألباب ، وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب ،
فلما حل بذلك القرب ، وانحل عقد صبره بيد الكرب ،
كر إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها ، ويتسلى برؤية
مافيهما ، فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ، ونثر
سوسنه وورده ، وأترع جداولها ، وأنطق بلابلها ، فارتاح
ارتياح جيل بوادي القرى ، وراح بين روض يانع
وريح طيبة السرى ، فنشوق إلى لقاء ولادة وحن ،
وخاف تلك النوائب والمحن ، فكتب إليها يصف فرط
قلقه ، وضيق أمدته إليها وطلقه ، ويعاتبها على إغفال
تعهدده ، ويصف حسن محضره بها ومشهده (١) : »

إِنِّي ذَكَرْتُكَ « بِالزَّهْرَاءِ » مُشْتَقًا
وَاللَّيْسِيمِ أَعْتِلَالٌ - فِي أَصَائِلِهِ -
وَالرَّوْضُ - عَنِ مَائِهِ الْفِضَى - مُبْتَسِمٌ ،
يَوْمٌ ، كَأَيَّامِ لَدَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ،
نَلْمُهُ بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهْرٍ
وَالْأَفْقُ طَلَقٌ ، وَمَرَأَى الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا (٢)
كَأَنَّهُ رَقَّ لِي ، فَأَعْتَلَّ إِشْفَاقًا
كَمَا شَقَقْتَ - عَنِ اللَّبَاتِ - أَطْوَاقَا (٣)
بِتَنَا لَهَا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَاقَا
- جَالَ النَّدَى فِيهِ - حَتَّى مَالَ أَعْنَاقَا

(١) قلائد المعيان . (٢) وفي بعض الروايات : « ووجه الأرض قد راقا » .

(٣) اللبات : جمع لبة ، وهي موضع القلادة من الصدر ، والأطواق : جمع طوق ، وأراد به ما يطيف
بالعنق من الثوب ، ولا شك أن الهيئة الحاصلة من اسياب الماء الفضى في الروض تشبه الهيئة الحاصلة من
انشقاق طرق الثوب عند ترائب النحر والصدر ، وجاء في بعض الروايات : « كما حلت عن اللبات أطواقا . »

كَأَنَّ أَعْيُنَهُ - إِذْ حَايَنْتِ أَرْقِي -
 وَرَدُّ تَأَلَّقَ - فِي ضَاغِي مَتَابِتِهِ -
 مَرَى يُنَافِحُهُ نِيلُوفَرُهُ عَبِقُ
 كُلُّ يَبِيحُ لَنَا ذِكْرِي تُشَوِّقُنَا
 لَا مَسْكَنَ اللَّهُ قَلْبًا ، عَنْ ذِكْرِكُمْ
 لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمُ الصَّبْحِ - حِينَ مَرَى -
 لَوْ كَانَ وَفَى الْمَنَى - فِي جَمِينَا بِكُمْ -
 بَكَتْ لِمَا بِي ، فَجَالَ الدَّمْعُ رَقْرَاقًا
 فَأَزْدَادَ مِنْهُ الضُّحَى - فِي الْعَيْنِ - إِشْرَاقًا
 وَسَنَانُ ، نَبَهُ مِنْهُ الصَّبْحُ أَحْدَاقًا
 إِلَيْكَ ، لَمْ يَعُدَّ عَنْهَا الصَّدْرُ إِنْ صَاقَا
 فَلَمْ يَطِرْ - بِجِنَاحِ الشَّوْقِ - خَفَاقًا
 وَفَاكُمْ بِفَتَى أَضْنَاهُ مَا لَاقَى
 لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقًا

* * *

يَا عَلِيَّ الْأَخْطَرَ الْأَسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى
 كَانَ التَّجَارِي بِمَحْضِ الْوُدِّ - مُذْرَمِنِ -
 فَالَازَ - أَمَّحَدَ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ -
 نَفْسِي ، إِذَا مَا أُفْتِنِي الْأَحْبَابُ أَغْلَاقًا
 مِيدَانِ أَنْسِي ، جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقًا
 سَلَوْنُكُمْ ، وَبَقِينَا نَحْنُ عُشَّاقًا |

إلى ولادة

يَا نَارِحًا - وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ -
 أَلْهَتَكَ عَنْهُ فُكَاهَاتُ تَلَذُّ بِهَا
 أَنْتَكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ دُنْيَاهُ
 فَلَيْسَ يَجْرِي - بِبَالٍ مِنْكَ - ذِكْرَاهُ
 الدَّهْرُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ
 عَلَّ اللَّيَالِي تُبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ ،

إلى أبي حفص بن برد

قُلْ لِأَبِي حَفْصٍ - وَلَمْ تَكْذِبْ - يَا قَمَرَ الدِّيْوَانِ وَالْمَوْكِبِ :
 مَا لِأَبِي صَفْوَانَ - مَا لَوْفِنَا - أَبْرَقَ فِي الْأَلْفَةِ عَنْ خُلْبِ ؟
 وَلَمْ يَعُدْ إِلَّا كَمَا يَتَّقِي مُسْتَرِقُ السَّمْعِ مِنَ الْكُؤُكِبِ ؟

* * *

عَفْفُهُ بِاللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَأَشْتَمُ - وَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمْ - فَأَضْرِبْ
 وَعَاطِهِ صَهْبَاءَ مَشْمُولَةٍ يَرَى لَهَا الْمَشْرِقَ فِي الْمَغْرِبِ
 وَلَيْشْرَبِ إِلَّا كَثْرَ مِنْ كَأْسِهِ وَأَعْمِدُ - إِلَى فَضْلَتِهِ - فَأَشْرَبِ
 عَقُوبَةً ، أَحْسِنَ بِهَا سُئُتَةً - فِي مِثْلِهِ - مِنْ حَسَنِ مُذْنِبِ
 وَبَاكَرِ الطَّيِّبِ ، وَرُوحَالَهُ ، فَأَنْتَمَا فِي زَمَنِ طَيِّبِ

ليل انس

« وبات ليلة باحدى جنات اشبيلية فقال : »

وَلَيْلٍ أَدْمَنَا فِيهِ شُرْبَ مُدَامَةٍ إِلَى أَنْ بَدَا لِلصَّبْحِ - فِي اللَّيْلِ - تَأْمِيرُ
 وَجَاءَتْ نُجُومُ الصَّبْحِ - تَضْرِبُ فِي الدُّجَا - فَوَلَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ مَقْهُورُ
 فَحَزْنَا مِنْ اللَّذَاتِ أَطْيَبَ طَيْبَهَا ، وَلَمْ يَعْرِضْنَا هَمٌّ وَلَا عَاقَ تَكْدِيرُ
 خَلَا أَنَّهُ - لَوْ طَالَ - دَامَتْ مَسَرَّتِي ، وَلَكِنْ لِيَالِي الْوَصْلِ فِيهِنَّ تَقْصِيرُ

دواء

« وقد أهدى دواء »

قَدْ بَعَثْنَاهُ يَنْفَعُ الْأَعْضَاءَ حِينَ يَجْلُو - بِلُطْفِهِ - السَّخْنَاءَ^(١)
جَاءَ يُرْهِى مُسْتَشْفَى رَقِيقٍ يَخْدَعُ الْعَيْنَ رَقَّةً وَصَفَاءً^(٢)
تَنْقُذُ الْعَيْنُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ نُورٍ مَلَائِةُ أَيْدِي الشَّمُوسِ ضِيَاءَ
أَكْسَبَتْهُ الْأَيَّامُ بَرْدَ هَوَاءٍ فَهَوَ جِسْمٌ قَدْ صِيغَ نَارًا وَمَاءَ
مَنْظَرٌ يُبْهِجُ الْقُلُوبَ ، وَطَعْمٌ تَشْكُرُ النَّفْسُ عَهْدَهُ أُسْتِمْرَاءَ
لَذَّةُ الْوَصْلِ نَالَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ - كَلِفٌ طَالَمَا تَشَكَّى الْجَفَاءَ^(٣)
يَفْضَحُ الشَّهْدَ طَعْمُهُ - كُلَّمَا قِيدَسَ - إِلَيْهِ وَيُخْجِلُ الصَّهْبَاءَ
فَضَلَ السَّابِقَ الْمُقَدَّمَ - فِي النُّضْجِ - فَأَزْرَى بِطَعْمِهِ إِزْرَاءَ
غَيْرَ أَنِّي بَعَثْتُ هَذَا غِدَاءَ - يَشْتَهِيهِ الْفَتَى - وَذَلِكَ دَوَاءَ
مُلْطَفٌ يُبْرِدُ الْمِزَاجَ إِذَا جَا شَ التَّهَابَا ، وَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءَ

(١) بعثناه : أى الدواء المعهود بينه وبين مخاطبه ، ومعلوم أن الطب وعلم الكيمياء وتركيب الأدوية والصيدلة والجراحة تقدمت في الأندلس وبخاصة في القرون الوسطى وعند علماء الأندلس كابن رشد ، وأبي القاسم زهراوى ، وابن زهر ، وأضرابهم من علماء المشرق بمقداد : كان سينا والرازى ، وعلى ابن العباس أخذ علماء أوروبا علومهم الطبية وغيرها ، وقد مرّ بك كثير من قصائد ابن زيدون التي تتعرض لذكر الطب والعلاج ، وأنت إذا تأملت فيما يمر بك من هذا النوع وأشبابه تقرأ فيه آيات الحضارة ، وتشمّر بأثار المدينة . والسخناء : من قولهم : لاني لأحد في نفسى سخناء - بالمد - وسجونة أى حراوة جديدة من وجع أو حمى .

(٢) يقول : إن هذا الدواء قد جاءك يزهى في رفته وسيولته بوعاء رقيق تستشف العين ماى داخله ، وينخدع الناظر فلا يكاد يراه لشدة رفته وصفائه .

(٣) يقول : إن متعاطيه يسمرته ويجد فيه لذة كاذبة الكاف المشوق ، ظفر بوصول الحبيب بعد يأس وطول جفاء .



وَمُعِينٌ لِّوَاصِلِ الصَّوْمِ، يَسْرِي بَرْدُهُ - فِي الْحَشَاءِ - فَيُرْوِي الظَّمَاءَ
(فَتَقَبَّلَهُ) شَافِعًا لِأَيْدِيكَ الَّتِي بَعْضُهَا يَفُوتُ الثَّنَاءَ (١)

حسي رضاك

إِلَيْكَ - مِنَ الْأَنَامِ - غَدَا أَرْتِيحِي ، وَأَنْتِ - عَلَى الزَّمَانِ - مَدَى أَقْدِرَاحِي
وَمَا أَعْتَرَضَتْ مُهُومُ النَّفْسِ إِلَّا - وَمِنْ ذِكْرِكَ - رِيحَانِي وَرَاحِي
فَدَيْتُكَ : إِنْ صَبْرِي عَنْكَ صَبْرِي - لَدَى عَطَشِي - عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ (٢)
وَلِي أَمَلٌ - لَوِ الْوَاشُونَ كَفَوْا - لَاطْلَعَ غَرْسُهُ ثَمَرَ النَّجَّاحِ
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِي عَدُوٌّ - رِضَاكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْضَى سِلَاحِ
وَلَمَّا أَنْ جَلَّتْكَ لِي - أَخْتِلَاسًا - أَكْفُ الدَّهْرِ لِلْحَيْنِ الْمُتَّاحِ (٣)
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابِ ، وَغُصْنِ الْبَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحِ
فَلَوْ أَسْطِيعُ طَرْتُ إِلَيْكَ - شَوْقًا - وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ
عَلَى حَالِي وَصَالٍ وَأَجْتِنَابِ ، وَفِي يَوْمِي دُنُوبِي وَأَنْتِزَاحِ
وَحَسَنِي أَنْ تَطَالِمَكَ الْأَمَانِي - بِأَفْقِكَ - فِي مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحِ

(١) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :

« شافعا لأيديك التي بعضها يفوت الثناء . »

والتكلمة لا ياباها السياق .

(٢) يقول : إن صبري عنك كصبري على الماء القراح لدى عطشي وشدة ظمئي .

(٣) يقول في هذا البيت والذي بعده : ولما أن جلتك وأبرزتك يد الدهر خلسة لحيى وهلاكي الذئ

أتيح وقدر لي ، طلعت سافرة كما تطلع الشمس من نقاب ، وخطرت مائة كما يرفل غصن البان في وشاح

وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلَامَ إِلَيَّ - غِيًّا - وَلَوْ فِي بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ (١)
فَوَادِي - مِنْ أَسَى بِكَ - غَيْرُ خَالٍ وَقَلْبِي - عَنْ هَوَى لَكَ - غَيْرُ صَاحٍ

عودى إلى الوصال

بَاعَدْتِ - بِالْإِعْرَاضِ - غَيْرَ مُبَاعِدٍ وَزَهَدْتِ فِيمَنْ لَيْسَ فَيْكَ بِزَاهِدٍ (٢)
وَسَقَيْتَنِي - مِنْ مَاءِ هَجْرِكَ - مَالَهُ أَصْبَحْتُ أَشْرَقُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ
هَلَّا جَعَلْتِ - قَدْتِكَ نَفْسِي - غَايَةً لِلْعُتْبِ ، أَبْلُغُهَا بِجَهْدِ الْجَاهِدِ (٣)
لَا تُفْسِدُنْ - مَا وَقَدْ تَأَكَّدَ يَدْنَانَا مِنْ صَالِحٍ - خَطَرَاتُ ظَنِّ فَاسِدٍ
حَاشَاكَ مِنْ تَضْيِيعِ أَلْفِ وَسِيلَةٍ - شَجِيَ الْعَدُوُّ لَهَا - بِذَنْبٍ وَاحِدٍ (٤)
إِنْ أَجْنِهَ خَطَأً ، فَقَدْ عَاقَبْتَنِي ظَلَمًا ، بِأَبْلَغَ مِنْ عِقَابِ الْعَامِدِ (٥)

* * *

عُودِي لِمَا أَصْفَيْتَنِيهِ مِنَ الْهُوَى بَدَيْتِي ، فَلَسْتُ لِمَا كَرِهْتِ - بِعَائِدٍ
وَضَعِي قِنَاعَ السُّخْطِ عَنْ وَجْهِ الرِّضَا كَيْمَا أُخِرَّ إِلَيْهِ أَوْلَ سَاجِدٍ (٦)

(١) وحسي أن تمشي بالسـلام غيا أي يوما بعد يوم ولو مع أنفاس الرياح التي تهب من ناحيتك ، وفي الأصل « وأن تبدي » وقد وضعنا بدلها « تهدي » التي هي كصورتها حتى لا تكون نائية في موضعها ، وقد وجد هذا البيت بعد تأليه ، ولكننا آثرنا تقديمه عليه بحكم العطف على قوله :

« وحسي أن تطالملك الأمانى . »

(٢) باعدت فتى غير ماعد وذاك باعراصك عنه ، وزهدت في محب ليس فيك بزاهد .

(٣) يقول كان ينبغي أن تجعلى بنى وبينك نهاية للعتب وفاقية أبلغ فيها رضاك بجهد الجاهد وشق النفس .

(٤) يقول : حاشاك أن تضيع ألف وسيلة توصلت بها إلى رضاك يراها عدوى كالتسبب معترضا في

حلقه بذنب واحد .

(٥) إن أجن ذلك الذنب خطأ فقد ظلمتني بأن طابقتني عليه بأشد من عقوبة من أتى بالذنب عمدا .

(٦) أزيل عن وجه الرضا ما يستره من قناع السخط كما أكون أول ساجد على نعمة رضاك عنى .



أبو القاسم

« وأمره المعتضد أن يعارض قطعاً من أشعار كان
 يستحسن ألحانها فعارضها رحمه الله بقطع وهي : »

يُقَصِّرُ قُرْبُكَ لَيْلِي ^(١) الطَّوِيلَا وَيَشْفِي وَصَالِكَ قَلْبِي الْعَالِيَا
 وَإِنْ عَصَفَتْ مِنْكَ رِيحُ الصَّدُودِ فَقَدْتُ نَسِيمَ الْحَيَاةِ الْبَلِيَا
 كَمَا أَنْبَى ^(٢) إِنْ أَطَلْتُ الْعِيَارَ وَلَمْ يُبْدِ عُذْرِي وَجْهًا جَمِيَا
 وَجَدْتُ « أبا القاسم الظافر المؤيد بالله » مَوْتِي مُقِيَا
 إِذَا مَا نَدَاهُ هَمِّي وَالْحَيَا شَاهُ ، وَعُدَّ الْجَوَادُ الْبَحِيَا
 وَأَقْلَامُهُ وَفَقُّ أَسْيَافِهِ يَظَلُّ الصَّرِيرُ يُبَارِي الصَّلِيَا

وقال

أَنْتَ الْمُسَبَّبُ لِلْوُلُوعِ وَمُثِيرُ كَامِنَةِ الدُّمُوعِ
 يَتَمَنِّيَانِ لَوْ أَعْفِيَا - مَهْمَا طَلَعَتْ - مِنْ الطَّلُوعِ
 وَالظَّافِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ وَاحِدٌ عَدْلُ الْجُمُوعِ
 الْبَدْرُ فِي سَحْبِ الْبُرِّ وَدِ الْلَيْثُ فِي لِبَدِ الدَّرُوعِ
 عَنَّتِ الْأُصُولُ لِأَصْلِهِ وَتَقَاصَرَتْ عَنْهُ الْفُرُوعُ

(١) في الأصل : « الليل »

(٢) في الأصل : « أنبي »

آلام المحب

مَتَى أَبْثُكَ ^(١) مَا بِي ؟ يَا رَاحَتِي وَعَذَابِي
 مَتَى يَنْوِبُ لِسَانِي فِي شَرْحِهِ - عَنْ كِتَابِي ؟
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِيكَ لِمَا بِي
 فَلَا يَطِيبُ ^(٢) مَنَايِي وَلَا يَسُوغُ شَرَابِي

* * *

يَا فِتْنَةَ الْمُتَعَزِّي ^(٣) وَحُجَّةَ الْمُتَصَابِي :
 الشَّمْسُ أَنْتِ، تَوَارَتْ - عَنْ نَاطِرِي - بِالْحِجَابِ

* * *

مَا الْبَدْرُ - شَفَّ سَنَاهُ عَلَى رَقِيقِ السَّحَابِ -
 إِلَّا كَوَجْهِكَ ، لَمَّا أَضَاءَ تَحْتَ النَّقَابِ

كيف السلو ؟

كَمْ ذَا أُرِيدُ وَلَا أَرَادُ ؟ يَا سَوْءَ مَا لَقِيَ الْفُؤَادُ !
 أَصْفِي الْوِدَادَ مُدَلَّلًا ، لَمْ يَصْفُ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ
 يَقْضِي عَلَيَّ دَلَالَهُ - فِي كُلِّ حِينٍ - أَوْ يَكَادُ
 كَيْفَ السَّلُو عَنْ الَّذِي مَثْوَاهُ - مِنْ قَلْبِي - السَّوَادُ ؟

- (١) وفي بعض الروايات : « متى أتيتك . »
 (٢) وفي بعض الروايات : « لم يلد منامي »
 (٣) وفي الاصل : « يا فتنة المفري »



مَلَكَ الْقُلُوبِ بِحُسْنِهِ ، فَلَهَا - إِذَا أَمَرَ - أَنْقِيَادُ

يَا هَاجِرِي كَمْ أَسْتَفِيدُ الصَّبْرَ عَنْكَ ، فَلَا أَفَادُ
أَلَّا^(١) رَمَيْتَ لِمَنْ يَبِيْتُ وَحَشَوُ مُقَلَّتِهِ الشَّهَادُ؟
إِنْ أُجِنِ ذَنْبًا فِي الْهَوَى - خَطَأً - فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ
كَانَ الرَّضَى - وَأَعِيدُهُ - أَنْ يُعْقِبَ الْكُورَ الْفَسَادُ

قسم

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أُضِي الْوَدَادَ لَهُ
إِلْفُ الذُّغُرُورِ الْوَعْدِ، يَصْفَحُ لِي
تَجَلُّو الْمَنَى شَخْصَةً لِي - وَهُوَ مُحْتَجِبُ
يَا بَدْرَتِيْمِ بَدَا فِي أَفْقِ مَمْلَكَةٍ،
أَفْدَى بَدَائِعَ شَكْلِ مِنْكَ مُضْمِرَةً
مَحْضًا ، وَلَا مَ بِهِ الْوَأْسِي فَلَمْ أُطِعْ -
عَنْهُ ، وَيُقْنِمُنِي التَّعْلِيلُ بِالْخُدَعِ
عَنِّي - فَمَا شِدَّتْ مِنْ مَرَأَى وَمُسْتَمَعِ -
فَرَاقَ مُطْلِعًا مِنْ خَيْرِ مُطَّلَعِ -
لِقَتْلِ نَفْسِي - عَمْدًا - أَشْنَعَ الْبِدَعِ -

تَاللَّهِ - أَكْرَمَ مَا أَمْضَى الْيَمِينِ بِهِ
مَا لَدَّ لِي قُرْبُ أَنْسٍ أَنْتِ نَارِحَةٌ
مَنْ دَانَ فِي حُبِّهِ بِالصَّدْقِ وَالْوَرَعِ -
عَنْهُ ، وَلَا سَاغَ عَيْشٌ لَسْتُ فِيهِ مَعِي -

خداع الأمانى

وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالضَّمِيرِ إِلَى
مَنْبِتُ نَفْسِي - مِنْ صِفَائِكَ - ضَلَّةً
وَدَعَوْتُ - مِنْ حَنَقٍ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَّا
وَلَقَدْ تَرُّهُ الْمَرءُ بَارِقَةُ الْمَنَى

(١) ألا : هلا .



في الغزل

« وله يتغزل و يعاتب من يستعطفه و يتنزل . »

يا مُسْتَخِفًّا بِعَاشِقِيهِ وَمُسْتَفْهِمًا لِنَاصِيهِ
وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِيْنَا حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوَّ فِيهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرَانِي تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدَّعِيهِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهْزِمَ التَّسْلَى وَيَغَابَ الشُّوقُ مَا يَلِدِيهِ

إلى هاجر

أَوْسَلَبُ مِنْ وَصَالِكِ مَا كُسِبْتُ؟ وَأَعَزَلُ - عَنِ رِضَاكَ - وَقَدْ وَايْتُ؟
وَكَيْفَ - وَفِي سَبِيلِ هَوَاكَ طَوْعًا - لَقِيتُ مِنَ الْمَكَارِهِ مَا لَقِيتُ !
أَسِرُّ عَلَيْكَ عَتَبًا لَيْسَ يَبْقَى ، وَأُضْمِرُ فِيكَ غَيْظًا لَا يَبِيتُ
وَمَا رَدَّى عَلَى الْوَاشِينَ ، إِلَّا : «رَضِيتُ بِجَوْرِ مَا لِكْتِي رَضِيتُ.»

دعاء محب

أَنِّي أَضِيعُ عَهْدَكَ ؟ أَمْ كَيْفَ أَخْلِفْتُ وَعَدَّكَ
وَقَدْ رَأَيْتَكَ الْأَمَانِي رِضَى ، فَلَمْ تَتَّعِدْكَ

* * *

يَا لَيْتَ مَالِكَ عِنْدِي ! - مِنَ الْهَوَى - لِي عِنْدَكَ^(١)

(٢) وفي بعض الروايات :

« يا ليت شعري ، وعندي ما ليس - في الحب - عندك
هل طال ليلك بعندي ؟ كطول ليلي بعندك ؟ . »

فَطَالَ أَيْسَلَكَ بَعْدِي كَطَوْلُ كَيْلِي بَعْدَكَ
 سَلَنِي حَيَاتِي أَهْبَهَا ، فَلَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّكَ
 الدَّهْرُ عِبْدِي ، لَمَّا أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ-عَبْدَكَ

أنت حسبي

يَا مَنْ غَدَوْتُ بِهِ - فِي النَّاسِ - مُشْتَهَرًا قَانِي عَلَيْكَ يُقَاسِي الْهَمَّ وَالْفِكْرًا
 إِنْ غَبَيْتَ لَمْ أُلْقِ إِنْسَانًا يُؤْتِسُنِي (١) وَإِنْ حَضَرْتُ ، فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرَ

ما الذي أنكروه ؟

قَالَ لِي : « أَعْتَلَّ مَنْ هَوَيْتَ » حَسُودٌ قُلْتُ : « أَنْتَ الْعَلِيلُ وَيَحْكُ لَاهُو »
 مَا الَّذِي أَنْكَرُوهُ مِنْ بَهْرَاتٍ (٢) ضَاعَفَتْ حُسْنَهُ وَزَادَتْ حُلَاهُ
 جِسْمُهُ - فِي الصَّفَاءِ وَالرَّقَّةِ - الْمَا ، فَلَا غَرَوَ أَنْ حُبَابُ عِلَاهُ

شوق بعد سلوان

عَاوَدْتُ ذِكْرِي الْهَوَى - مِنْ بَعْدِ نِسْيَانٍ وَأُسْتَحَدَّتْ الْقَلْبُ شَوْقًا بَعْدَ سُلوَانِ
 مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ ، يَبْدُو بِهَا صَمٌّ مِنَ اللَّجِينِ ، عَلَيْهِ تَاجُ عَقِيَانِ
 غَرِيرَةٌ - لَمْ تُفَارِقْهَا تَمَاطُهَا - تَسْبِي الْعُقُولِ بِسَاجِي الطَّرْفِ وَسِنَانِ
 لَا سَتَجِدَنَّ - فِي عَشْقِي لَهَا - زَمَنًا يُنْسِي سَوَافِ أَيْامِي وَأَزْمَانِي
 حَتَّى تَكُونِ لِمَنْ أَحْبَبْتُ حَاتِمَةً ، نَسَخْتُ - فِي حُبِّهَا - كُفْرًا بِإِيمَانِ

(١) في الأصل « يونسى » بابدال الهمزة واوا وهو إبدال مقبس كما يعلم من علم الصرف ، وهو مضارع أنسى (بالتضعيف) أى أزال وحشق كأنسى ، وجاء في كلامهم :
 « إذا جاء الليل استأنس كل وحشى ، واستوحش كل إنسى » .

(٢) البهرات : واحدها برة كسجدة وسجدات ، وهي خراج صفار تظهر على الوجه ، وتنطف جلده ، وأهلب ما يكون ذلك في أوان الشباب ، ولذلك يعرف عند العامة في بلادنا (بحب الشباب) ، وقد هله في البيت التالى تعليلا حسنا ، حيث شبهه بالحباب يطفو على وجه الماء الشبيه ببشرة وجه الحبيب فى الرقة والصفاء .



أسر الهوى

يَا سُوَءَ تَفْسِي - إِنَّ أَحَكَمَ - وَأَخْتِيَارِي إِنَّ أَحْسَرَ
 كَمْ لَأَمَنِي فِيكَ الْحَسُو دُ، وَفَنَدَّ الْوَأَشِي فَأَكْثَرَ
 قَالُوا : « تَغَيَّرَ بِالسُّلُوءِ وَبِالْمَلَامَةِ قَدْ تَعَيَّرَ »
 وَتَوَهَّمُوكَ جَنَيْتَ ذَنْبًا بِالتَّجَنِّي لَيْسَ يُغْفَرُ
 وَبِرَعْمِهِمْ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي الرَّضَى بِالذُّونِ يُعْذَرُ
 لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهُوَى رِقٌّ، وَأَنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرُ^(١)

معذرة

إِنْ تَكُنْ نَأَلْتِكِ - بِالضَّرْبِ يَدِي - وَأَصَابْتِكِ بِهَا لَمْ أُرِدِ
 فَلَقَدْ كُنْتُ - لَعْمَرِي - لَكَ بِالْمَالِ وَبِأَخِي الْوَالِدِ
 فَتَقِي مِنِّي بِعَهْدِ ثَابِتٍ وَضَمِيرٍ خَالِصٍ الْمُعْتَقِدِ
 وَلَنْ سَاءَ كِ يَوْمٌ فَأَعْلَمِي أَنْ سَيَتْلُوهُ سُرُورٌ بِغَدِ

وصف الكأس

أَنَا ظَرْفٌ لِلْهُوِّ كُلِّ ظَرِيفٍ أَنَا مُسْتَوَدَعٌ لِعَلْقِ شَرِيفٍ
 أَنَا كَالصَّدْرِ فِي الْإِحَاطَةِ بِالرَّاحِ إِذِ الرَّاحُ كَالضَّمِيرِ اللَّطِيفِ
 سَلَّ عَنِ الطَّيِّبَاتِ فَهِيَ فُنُونٌ أَلْفَتْ فِي أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ
 أَيُّ حُسْنٍ يَنِي بِحُسْنِي مَحْمُو لَا بِكَتْفِي وَصِيفَةٍ أَوْ وَصِيفِ

(١) من قولهم « الحسن أحمر » أي ذو مشقة وبلاء يريدون أن من تمسق الحسن والجمال تحمل و
 سبيله المشقة وصبر على الأذى ، وإنما يقال ذلك لأن يستتره الهوى ، ويفلته الحسن على أمره فيبقى في سبيله
 الموت الأحمر .



غاية المحبين

لَنْ كُنْتَ فِي السَّنِّ - تَرْبَ الْهَيْلَالِ ، لَقَدْ فُقِّتَ - فِي الْحُسْنِ - بَدْرَ الْكَمَالِ
 أَمَا وَالَّذِي نَكَّدَ الْحَظَّ فِي دُنُوِّ الْمَكَانِ بِبُعْدِ الْمَنَالِ
 لَقَدْ بَلَغْتَنِي دَوَاعِي هَوَاكَ إِلَى غَايَةِ مَا جَرَّتْ لِي بِبَالِ
 فَقُلْ لِلْهَوَى : « يَجْرُ مِلُّ الْعِنَانِ » فَيَدَانُ قَلْبِي رَحِيبُ الْمَجَالِ

صفح المذنب

يَا قَمْرًا مَطْلَعُهُ الْمَغْرِبُ قَدْ ضَاقَ بِي - فِي حُبِّكَ - الْمَذْهَبُ
 أَعْتَبُ - مِنْ ظُلْمِكَ لِي - جَاهِدًا ، وَيَغْلِبُ الشَّوْقُ فَاسْتَمْتَبُ
 أَلْزَمْتَنِي الذَّنْبَ الَّذِي جِئْتَهُ ، صَدَقْتَ ، فَاصْفَحْ أَيُّهَا الْمَذْنِبُ

لا يأس

أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي يَمَلَأُ عَيْنِي مَنْ تَأْمَلُ
 حَمَلَ الْقَلْبُ تَبَارِيحَ التَّجَنِّي فَتَحَّ مَلُ
 لَيْسَ لِي صَبْرٌ جَمِيلٌ ، غَيْرَ أَنِّي أَتَجَمَّلُ
 ثُمَّ لَا يَأْسَ ، فَكَمْ قَدْ نِيلَ أَمْرٌ لَمْ يُؤْمَلْ

عتب

أَوْجَنِي - بِلَا جُزْمٍ - وَأُقْصِي بِالْأَذْنِبِ ، سِوَى أَنِّي مَحْضُ الْهَوَى صَادِقُ الْحُبِّ
 أَغَادِيكَ بِالشُّكْوَى ، فَأُضْحِي عَلَى الْقَلِي وَأَرْجُوكَ لِلْعُتْبَى ، فَظَفَرُ بِالْعُتْبِ
 فَدَيْتُكَ ، مَا لِمَاءٍ - عَذْبَا عَلَى الصَّدَى - وَإِنْ سُمْتَنِي خَسْفًا ، تَحَلَّكَ مِنْ قَلْبِي
 وَلَوْ لَأَكَ ، مَا ضَاقَتْ حَشَايَ - صَبَابَةً - جَعَلْتُمْ قِرَاهَا الدَّمْعَ سَكْبًا عَلَى سَكْبِ

تجنى الحبيب

ثِقِيَ بِي - يَا مُعَذِّبِي - فَإِنِّي
وَأِنْ أَصْبَحْتَ قَدْ أَرْضَيْتَ قَوْمًا
وَهَلْ قَلْبٌ كَقَلْبِكَ فِي ضُلُوعِي ،
تَمَنَّتْ - أَنْ تَنَالَ رِضَاكَ - نَفْسِي ،
وَلَمْ أَجْنِ^(١) الذُّنُوبَ فَتَحْقِدِيهَا ،
سَأَحْفَظُ فِيكَ مَا ضَيَّعْتِ مِنِّي
بِسُخْطِي ، لَمْ يَكُنْ ذَا فِيكَ ظَنِّي
فَأَسْأَلُ عَنْكَ حِينَ سَلَوْتِ عَنِّي
فَكَانَ مَنِيَّةً ذَلِكَ التَّعْنَى
وَلَكِنْ عَادَةٌ مِنْكَ التَّجْنَى .

لا يأس في الحب

أَنْتِ مَعْنَى الضَّنَى وَسِرُّ الدَّمُوعِ ، وَسَبِيلُ الْهَوَى ، وَقَصْدُ الْوَلُوعِ
أَنْتِ وَالشَّمْسُ صَرَّانِ ، وَالْكِنْ لَكَ - عِنْدَ الْعُرُوبِ - فَضْلُ الطَّلُوعِ
لَيْسَ بِالْمَوْئِسِيِّ تَكَلُّفِكَ الْعَتَبِ - دَلَالًا - مِنَ الرَّضَى الْمَطْبُوعِ
إِنَّمَا أَنْتِ - وَالْحَسُودُ مَعْنَى - كَوْكَبٌ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرَّجُوعِ

بقية المسواك

أَهْدِي إِلَيَّ بَقِيَّةَ الْمِسْوَاكِ لَا تُظْهِرِي بُخْلًا بِعُودِ أَرَاكِ
فَلَعَلَّ نَفْسِي ، أَنْ يُنْفَسَ سَاعَةٌ عَنْهَا بِتَقْبِيلِ الْمُقْبَلِ فَالِكِ
يَا كَوْكَبًا - بَارِي سَنَاهُ سَنَاهُ - تَرْهَى الْقُصُورُ بِهِ عَلَى الْأَفْلَاكِ
قَرَّتْ وَفَارَتْ - بِالْخَطِيرِ مِنَ الْمَنَى - عَيْنُ ثِقَلَبُ لِحْظَهَا فَتَرَكَ

(١) وف الأصل : « ولم أجز » .

غرور المنى

إِنْ سَاءَ فِعْلُكَ بِي ، فَمَا ذَنْبِي أَنَا ؟
لَمْ أَسْأَلْ حَتَّى كَانَ عُدْرُكَ - فِي اللَّيِّ
وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ - بِالضَّمِيرِ - إِلَى الْهَوَى ،
مَنَيْتُ نَفْسِي - مِنْ وَفَائِكَ - ضَلَّةً ،
حَسَبُ الْمُتَيْمِ - أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَا
أَبْدَيْتِهِ - أَخْفَى ، وَعُدْرِي أَيْنَنَا
وَدَعَوْتُ - مِنْ حَنَقٍ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَا
وَلَقَدْ تَعَرُّ الْمَرْءَ بَارِقَةَ الْمُنَى

صلينى

أَغَابِيَّةٌ عَنِّي ، وَحَاضِرَةٌ مَعِي ،
أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَشَقَى بِحُبِّكَ ، أَوْ أَرَى
أَلَّا عَطْفَهُ تُحَيَّا بِهَا نَفْسُ عَاشِقٍ ؟
صَلِينِي - بَعْضَ الْوَصْلِ - حَتَّى تَبَيِّنِي
أُنَادِيكَ - لَمَّا عَمِلَ صَبْرِي - فَأَسْمَعِي
حَرِيْقًا بِأَنْفَاسِي ، غَرِيْقًا بِأَذْمِعِي
جَعَلْتِ الرَّدَى مِنْهُ بِرَأْيٍ وَمَسْمَعٍ
حَقِيقَةً حَالِي ، ثُمَّ مَا شِدْتِ فَأَصْنَعِي

شكوى ضائعة

سَأَحِبُّ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ (١)
أَصْبَحْتَ تُسَخِطُنِي فَأَمْنَعُكَ الرَّضَى
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ ،
قَدْ كَانَ فِي شَكْوَى الصَّبَابَةِ - رَاحَةً ،
يَا مَنْ يُصِحُّ - بِمُقَلَّتَيْهِ - وَيُسْقِمُ
- مَحْضًا - وَتَظْلِمُنِي فَلَا أَتَظْلِمُ
فَالْحُسْنَ يَنْتَهَمَا مُضِيٌّ مَظْلِمٌ
لَوْ أَنَّ نِيَّ أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

وفاء المحب

لَمَّا اتَّصَلْتَ اتِّصَالَ الْحُبِّ (٢) بِالْكَبِيدِ
ثُمَّ أَمْتَزَجْتَ أَمْتَزَاجَ الرُّوحِ بِالْجَسَدِ

(١) وهذا قريب من قول الفائل :

« شابهت أعدائي نصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم . »

(٢) وفي الأصل : « الحب »



سَاءَ الْوُشَاةَ مَكَانِي مِنْكَ ، وَآتَقَدْتُ - فِي صَدْرِي كُلِّ عَدُوٍّ - جَمْرَةُ الْحَسَدِ
فَلَيْسَخَطِ النَّاسِ لَا أَهْدِي الرِّضَى لَهُمْ ، وَلَا يَضِيعُ لَكَ عَهْدُ آخِرِ الْأَبَدِ
لَوْ أُسْتَطَعْتُ - إِذَا مَا كُنْتُ غَائِبَةً - غَضَضْتُ طَرْفِي ، فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ

غدر الحبيب

يَا لَيْلُ طُلُ ، لَا أَشْتَهِي - إِلَّا بِوَصْلِي - قِصْرَكَ
لَوْ بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي ، مَا بَتُّ أَرْعَى قَمْرَكَ
يَا لَيْلُ خَبْرٌ : أَنَّنِي أَلْتَدُّ عَنْهُ خَبْرَكَ
بِاللَّهِ قُلْ لِي : هَلْ وَفَا ؟ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ غَدَرَكَ »

حذر العاشق

لَنْ فَاتَنِي مِنْكَ حَظُّ النَّظَرِ لَا كَتَفَيْنِ بِسَمَاعِ الْخَبْرِ
وَإِنْ عَرَضَتْ غَفْلَةٌ لِلرَّقِيبِ ، فَحَسْبِي تَسْلِيمَةٌ تُخْتَصِرُ
أَحَازِرُ أَنْ تَنْطَنِّي الْوُشَاةُ ، وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهُوَى بِالْحَذَرِ
وَأَصْبِرُ مُسْتَيْقِنًا : أَنَّهُ سَيَحْظِي - بِنَيْلِ الْمُنَى - مَنْ صَبَرَ

قناعة المحب

سَأَفْنَعُ مِنْكَ بِلِحْظِ الْبَصْرِ ، وَأَرْضِي بِتَسْلِيمِكَ الْمُخْتَصِرُ
وَلَا أَتَخَطَّى التَّمَسُّ الْمُنَى ، وَلَا أَتَعَدَّى اخْتِلَاسَ النَّظَرِ
أَصُونُكَ - مِنْ لِحْظَاتِ الظُّنُونِ - وَأَعْلِيكَ عَنْ خَطَرَاتِ الْفِكْرِ
وَأَحْذَرُ - مِنْ لِحْظَاتِ الرَّقِيبِ - وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهُوَى بِالْحَذَرِ



كيف السلو ؟

هَلْ لِدَاعِيكَ مُجِيبٌ ؟ أَمْ لِشَاكِيكَ طَيِّبٌ ؟
يَا قَرِيبًا - حِينَ يَنْأَى - حَاضِرًا - حِينَ يَغِيبُ - !
كَيْفَ يَسْأَلُوكَ مُحِبٌّ زَانَهُ مِنْكَ حَيِّبٌ ؟
إِنَّمَا أَنْتَ نَسِيمٌ تَتَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ
قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ظَنٍّ ، هُوَ - لَا شَكَّ - مُصِيبٌ
أَنَّ سِرَّ الْحُسْنِ مِمَّا أَضْمَرْتَ تِلْكَ الْجُيُوبُ

أنت المنى

أُرْخَصْتَنِي - مِنْ بَعْدِ مَا أُغْلِيْتَنِي -
بَادَرْتَنِي بِالْعَزْلِ عَنِ خُطَطِ الرِّضَى ،
هَلًّا - وَقَدْ أَعْلَقْتَنِي شَرَكَ الْهَوَى -
الصَّابِرُ شَهِدٌ - عِنْدَ مَا جَرَّعْتَنِي -
كُنْتَ الْمَنَى ، فَأَذَقْتَنِي غُصَصَ الْأَذَى ،
وَحَطَطْتَنِي ، وَلَطَمًا أُغْلِيْتَنِي
وَلَقَدْ مَحَضْتُ النُّضْحَ إِذْ وَلِيْتَنِي
عَلَّيْتَنِي بِالْوَضْلِ ، أَوْ سَلَّيْتَنِي
وَالنَّارُ بَرْدٌ ، عِنْدَ مَا أُصْلِيْتَنِي
يَا لَيْتَنِي مَا قُوتُ فَيْكَ : يَلِيْتَنِي

بقاء على العهد

جَازَيْتَنِي - عَنِ تَمَادِي الْوَصْلِ - هِجْرَانَا
بِاللَّهِ هَلْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى خَطَأً
عَهْدِي كَعَهْدِكَ ، مَا الدُّنْيَا تُغَيِّرُهُ
مَا صَحَّ وَدَى إِلَّا أَعْتَلَّ وَدُكَّ لِي ،
يَا أَلَيْنَ النَّاسَ أُعْطِفَا ، وَأَفْتَنَهُمْ
حَسُنْتَ خَلْقًا ، فَأَحْسِنِ لَاتَسُوْا خَلْقًا ،
وَعَنْ تَمَادِي الْأُمَى وَالشَّوْقِ سُلُوَانَا
أَمْ جِئْتَهُ عَامِدًا ظَلَمًا وَعُدُوَانَا ؟
وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْكَ الْعَهْدُ الْوَانَا
وَلَا أَطَعْتُكَ إِلَّا زِدْتَ عِصْيَانَا
لِحَظًا ، وَأَعْطَرَ أَنْفَاسًا وَأَرْدَانَا
مَا خَيْرُ ذِي الْحُسْنِ إِنْ لَمْ يُؤَلِّ إِحْسَانَا ؟



أين وفاؤك؟

أَشْمَتَ بِي فِيكَ الْعِدَا وَبَلَغْتَ مِنْ ظُلْمِي الْمَدَى
 لَوْ كَانَتْ يَمَلِكُ فِدْيَةَ مِنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ أُفْتَدَى
 كُنْتَ الْحَيَاةَ لِعَاشِقٍ مُذْ حُلْتُ أَيْقَنَ بِالرَّذَى
 لَمْ يَسْأَلْ عَنْكَ ، وَلَوْ سَلَا لَمَذَرْتُهُ ، فَبِكَ أُفْتَدَى
 ضَيَّعْتَ عَهْدَ مَحَبَّةٍ كَالْوَرْدِ سَامَرُهُ النَّدَى
 أَيْنَ ادَّعَاؤُكَ لِلْوَفَا ، وَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا (١)

صريع الحب

لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُتٌ» مَا كَانَ رَدِّي «لَا»
 أَبَدَيْتَ لِي - مِنْ أَفَانِيَنِ الْقَلْبِ - عِبْرًا ،
 لَمْ تُبْقِ جَارِحَةً بِالْهَجْرِ مِنْ جَسَدِي
 فَلَيْغَنِ كَفَّكَ أَنِّي بَعْضُ مَنْ مَلَكَتْ ،
 وَلْتَقْضِ مَا شِئْتِ - مِنْ هَجْرٍ وَمِنْ صَلَاةٍ -
 سَقِيًا لِعَهْدِكَ وَالْأَيَّامُ تُقْبِلُنِي
 إِذِ الزَّمَانُ بَلِيغٌ فِي مُسَاعَدَتِي
 إِنْ كَانَ لِي أَمَلٌ إِلَّا رِضَاكَ ، فَلَا
 يَجَاثِرُ الْحُكْمَ ، أَفْدِيهِ بِنَ عَدَلًا
 أَرْسَلْتَنِي - فِي أَحَادِيثِ الْهَوَى - مَثَلًا
 إِلَّا خَلَعْتَ عَلَيْنَهَا - بِالضَّنَى - حُلَلًا
 وَإَيْكَفِ طَرْفَكَ أَنِّي بَعْضُ مَنْ قَتَلَا
 لَا أَقْضِي مَا عِشْتُ سُلُوَانًا وَلَا مَلَا
 وَجَهَ الشَّرُورِ بِهِ جَذْلَانٌ مُقْتَبِلًا
 يَهْدِي إِلَيَّ - تَفَارِيقُ الْمُنَى - مُجَلَا
 بُنِغْتُ - يَا أَمَلِي - مِنْ دَهْرِي الْأَمَلَا

(١) في الأصل : « وما عدا فيما بدا . » وأصل المثل كما في مجمع الأمثال للبيداني : « ما عدا مما بدا . »
 أى ما منعتك مما ظهر لك أولاً ، قاله علي بن أبي طالب للزبير بن العوام رضى الله عنهما يوم الجمل يريدما الذى
 صرفك عما كنت عليه من البيعة ، وهذا متصل بقوله : « مررتنى بالحجاز ، وأنكرتني بالمراق ، فما عدا
 مما بدا . »

وفاء المحب

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي الْبَدْرَ الَّذِي كَمَلَا
أَنْ الزَّمَانَ الَّذِي أَهْدَى مَوَدَّتَهُ
أَمَّا الْحَبِيبُ الَّذِي أَبْدَى الْجَفَاءَ لَنَا،
وَلَمْ تَرِدْ أَنْ ظَفِرْنَا مِلءَ أَعْيُنِنَا
أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَا زِلْتُ أُحْفُهُ
هَذِي الْحَقِيقَةُ ، لَا قَوْلِي مُخَازَعَةٌ :
فِي مَطْلَعِ الْحُسْنِ - وَالْعُضْنِ الَّذِي أَعْتَدَلَا
إِلَى مُرْتَهِنٍ شُكْرِي بِمَا فَعَلَا
فَمَا رَأَيْنَا قِلَاهُ حَادِثًا جَلَلَا
بِالْمُشْتَرِي ، فَتَجَبَّنَا لَهُ زَحَلَا
ظِلَّ الْهَوَى ، وَأَسْقِيهِ الرِّضَا عَمَلَا
لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُت» مَا كَانَ رَدِّي «لَا»

انت حسبي

لَمْ يَكُنْ هَجْرِي حَبِيبِي عَنْ قَلِي
سَرَّهُ شُكْرِي - إِذْ عَافِي - وَلَمْ
أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي يَرْضَى بِهِ
مَثَلٌ فِي كُلِّ حُسْنٍ مِثْلُ مَا
يَافَتَيْتَ الْمِسْكَ يَا شَمْسَ الضُّحَا
إِنْ يَكُنْ لِي أَمَلٌ غَيْرَ الرِّضَا
لَا وَلَا ذَاكَ التَّجَنِّي مَدَلَا
يَدْرٍ مَا غَايَةُ صَبْرِي فَأَبْتَلِي
لِي مَنْ لَوْ قَالَ «مُت» مَا قُلْتُ: «لَا»
صَارَ ذُلِّي - فِي هَوَاهُ - مَثَلَا
يَا قَضِيبَ الْبَاكِ يَا رِيمَ الْفَلَا
مِنْكَ ، لَا بُلَّغْتُ ذَاكَ الْأَمَلَا

إلى هاجر

أَتَهَجَّرُنِي وَتَغْصِبُنِي كِتَابِي ؟
أَيَجْمَلُ أَنْ أُبِيحَكَ مَخْضَ وَدِّي ؟
فَدَيْتُكَ ، كَمْ تَمُضُّ الطَّرْفَ دُونِي
وَكَمْ لِي مِنْ فُؤَادِكَ - بَعْدَ قُرْبِ -
وَمَا فِي الْحَقِّ غَضْبِي وَأَجْتِنَابِي
وَأَنْتَ تَسُومُنِي سُوءَ الْعَذَابِ
وَكَمْ أَدْعُوكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
مَكَانَ الشَّيْبِ فِي نَفْسِ الْكِهَابِ



أَعِدْ - فِي عَبْدِكَ الْمَظْلُومِ - رَأْيَا
وَإِنْ تَبَخَّلَ عَلَيْهِ قَرُبٌ دَهْرٍ
تَنَالُ بِهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ (١)
وَهَبْتَ لَهُ رِضَاكَ بِلَا حِسَابٍ

لا سبيل إلى السلو

أَذْكَرْتَنِي سَالِفَ الْعَيْشِ الَّذِي طَابَا
إِذْ نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ لِلْوَصْلِ - نَعْمَهَا
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ شَوْقِ يُطَاوِلُنِي
كَمْ نَظْرَةٌ لَكَ فِي عَيْنِي عَلِمْتَ بِهَا
يَا لَيْتَ خَائِبَ ذَلِكَ الْعَهْدِ قَدْ آتَا
مِنَ الشَّرُورِ غَمَامٌ فَوَقَّهَا صَابَا
فَكَلَّمَا قَيْلَ فِيهِ: «قَدْ قَضَى»، ثَابَا
- يَوْمَ الزِّيَارَةِ - أَنْ الْقَلْبَ قَدْ ذَابَا
فَإِنْ أَكَلَفَهُ عَنْكُمْ سَلْوَةً يَابَى
لَا عَذْبَ اللَّهُ إِلَّا حَاشِقًا تَابَا
مَاتَوْتِي بِنُصُوحٍ - مِنْ مَحَبَّتِكُمْ -

انت الحياة

أَمَّا رِضَاكَ فَعَلِقْتُ مَالَهُ تَمَنُّ
تَبِكِي فِرَاقَكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاظِرُهَا
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ
أَنْتَ الْحَيَاءُ فَإِنْ يُقَدَّرُ فِرَاقُكَ لِي
وَاللَّهِ مَا سَاءَ نِي أَنِّي جُفِيتُ ضَنِّي
لَوْ كَانَ أَمْرِي - فِي كَتْمِ الْهَوَى - بِيَدِي
لَوْ كَانَ سَاعَتِي فِي وَسْطِهِ الزَّمَانِ
قَدْ لَجَّ فِي هَجْرِيهَا عَنْ هَجْرِكَ الْوَسْنِ
قَدْ حَالَ مُذْ غَابَ عَنِّي وَجْهُكَ الْحَسَنِ
فَلْيُحْفَرِ الْقَبْرُ أَوْ فَلْيَحْضُرِ الْكَفَنِ
بَلْ سَاءَ نِي أَنْ سِرِّي - بِالضَّنَى - عَلَنُ
مَا كَانَ يَعْلَمُ - مَا فِي قَلْبِي - الْبَدَنُ

ذكرى معاهد قرطبة

عَلَى الثُّغْبِ الشَّهِيدِي مِثِّي تَحِيَّةٌ
وَلَا زَالَ نَوْزُ فِي الرُّصَافَةِ ضَا حِكُ
زَكَتْ، وَعَلَى وَادِي الْعَقِيقِ سَلَامٌ
بَارِجَاهَا يَبْكِي عَلَيْهِ غَمَامٌ

(١) - قريب من هذا قول البحري :

« أَعِيدِي فِي نَظْرَةِ مُسْتَتِيبٍ تَوْخِي الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَنَامَا »

مَعَاهِدٌ لَّهُوَ لَمْ تَزَلْ فِي ظِلَالِهَا
زَمَانٌ رِيَاضُ الْعَيْشِ خُضْرٌ نَوَاضِرٌ
فَإِنْ بَانَ مِنِّي عَهْدُهَا ، قَبِلَوْعَةٍ
تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي بِهَا ، فَتَبَادَرَتْ
وَصُحْبَةَ قَوْمٍ كَالْمَصَابِيحِ ، كُلُّهُمْ
إِذَا طَافَ بِالرَّاحِ الْمُدِيرُ عَلَيْهِمْ
وَأَحْوَرُ سَاجِي الطَّرْفِ حَشْوُ جُفُونِهِ
تَخَالُ قَضِيبَ الْبَانَ - فِي طَى بُرْدِهِ -
يُدِيرُ - عَلَى رَغَمِ الْعِدَا - مِنْ وَدَادِهِ
فَمَنْ أَجَلِهِ أَدْعُو لِقُرْطَبَةَ الْمُنَى
مَحَلٌ غَنِينَا بِالتَّصَابِي خِلَالَهُ
فَمَا لِحَقَّتْ تِلْكَ اللَّيَالِي مَلَامَةٌ ،
تُدَارُ عَلَيْنَا - لِلْمُجُونِ - مُدَامٌ
تَرِفٌ ، وَأَمْوَاهُ الشَّرُورِ جِمَامٌ
يَسُبُّ لَهَا - بَيْنَ الضَّلُوعِ - ضِرَامٌ
دُمُوعٌ ، كَمَا خَانَ الْفَرِيدَ نِظَامٌ
- إِذَا هَزَّ لِلْخَطْبِ الْمِلْمِ - حُسَامٌ
أَطَافَ بِهِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كِرَامٌ
سِقَامٌ بَرَى الْأَجْسَامَ مِنْهُ سِقَامٌ
إِذَا أَهْتَزَّ مِنْهُ مَعْطِفٌ وَقَوَامٌ
سُلَافًا ، كَأَنَّ الْمِسْكَ مِنْهُ خِتَامٌ
بِسُقْيَا ضَعِيفِ الطَّلِّ وَهُوَ رِهَامٌ ^(١)
فَأَسْ-عَدْنَا ، وَالْحَادِثَاتُ نِيَامٌ
وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَاكَ الْحَبِيبِ - ذِمَامٌ

غدر الحبيب

أَجِدُّ ، وَمَنْ أَهْوَاهُ - فِي الْحُبِّ - عَابِثٌ
حَبِيبٌ نَأَى عَنِّي - مَعَ الْقُرْبِ وَالْأَسَى -
جَفَانِي بِالْإِطَافِ الْعِدَا ، وَأَزَالَهُ
تَغَيَّرْتُ عَنْ عَهْدِي ، وَمَا زِلْتُ وَائِقًا
وَمَا كُنْتُ - إِذْ مَلَكَتْكَ الْقَلْبَ - عَالِمًا
فَدَيْتُكَ ، إِنْ الشُّوقُ لِي - مُذْ هَجَرْتَنِي -
وَأَوْفَى لَهُ بِالْعَهْدِ ، إِذْ هُوَ نَاكِثٌ
مُقِيمٌ لَهُ - فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ - مَا كِثُّ
- عَنِ الْوَصْلِ - رَأَى فِي الْقَطِيعَةِ حَادِثٌ
بِمَهْدِكَ ، لَكِنَّ غَيْرَتِكَ الْحَوَادِثُ
بِأَنِّي - عَنْ حَتْفِي - بِكْفَى بَاحِثٌ
مُيْتٌ فَهَلْ لِي - مِنْ وَصَالِكَ - بَاعِثٌ؟

(١) رهام - جمع رهمة - وهي المطر الضعيف الدائم .



سَتَّبَلِي اللَّيَالِي - وَالْوِدَادُ بِحَالِهِ - جَدِيدٌ ، وَتَفَنَى وَهُوَ لِلْأَرْضِ وَارِثُ
 وَلَوْ أَنِّي أَقْسَمْتُ : أَنَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَقْتُولٌ ، لَمَا قِيلَ : « حَانِثٌ . »

اصنع ماشئت

يَانَسِيَا لِي - عَلَى عِرْفَانِهِ - تَلْفِي
 وَقَاطِعًا صِلَتِي - مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبَ -
 مَا شِئْتَ فَأَصْنَعُهُ ، كُلُّ مِنْكَ مُحْتَمَلٌ ،
 لَوْ كُنْتَ حَظِّي ، لَمْ أُطَلَبْ بِهِ بَدَلًا ،
 ذِكْرُكَ مِنِّي بِالْأَنْفَاسِ مَوْصُولٌ
 تَأَلَّهَ : إِنَّكَ - عَنْ رُوحِي - لَمَسْتُولٌ
 وَالذَّنْبُ مُغْتَفَرٌ ، وَالْعُذْرُ مَقْبُولٌ
 أَوْ نِلْتُ مِنْكَ الرِّضَا ، لَمْ يَبْقَ مَأْمُولٌ

أمنية

يَا قَاطِعًا حَبْلَ وُدِّي وَوَاصِلًا حَبْلَ صَدِّي
 وَسَالِيَا ، لَيْسَ يَدْرِي بِطُولِ بَيْتِي وَوَجْدِي
 لَوْ كَانَتْ هِنْدُكَ مِنِّي مِثْلُ الَّذِي مِنْكَ عِنْدِي
 لَبِتَّ - بَعْدِي - مِثْلِي ، وَبِتَّ - مِثْلَكَ - بَعْدِي

نفسی فرداؤك

لَوْ تَرَكْنَا بِأَنْ نَعُودَكَ عُدْنَا وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا وَزِدْنَا
 غَيْرَ أَنْ الْهَوَى اسْتَطَارَ حَدِيثًا ، فَأَتَتْحَتْنَا الْعُيُونُ لَمَا حُسِدْنَا
 فَلَوْ أَنَّ النُّفُوسَ تُقْبَلُ مِنَّا ، لَسَمَحْنَا بِهَا - فِدَاءً - وَجُدْنَا

دين الحب

يَا غَزَا لَا جُمِعَتْ فِيهِ - مِنَ الْحُسْنِ - فُنُونُ
 أَنْتَ فِي الْقُرْبِ وَفِي الْبُعْدِ - مِنَ النَّفْسِ - مَكِينُ
 بِهِوَاكَ - أَلْدَهْرَ - أَلْهُو ، وَبِحُبِّيكَ أَدِينُ

مُنِيَّة الصَّبِّ : أَغْنِي ،
وَأَحْفَظِ الْعَهْدَ ، فَإِنِّي
وَأَرْحَمَن صَبًا شَجِيًّا
لَيْلُهُ هَمٌّ وَغَمٌّ ،
شَفَّةُ الْحُبِّ ، فَأَمْسِي
صَارَ - لِلْأَشْوَاقِ - نَهْبًا ،
قَدْ دَنَّتْ مِنِّي الْمُنُونُ
لَسْتُ - وَاللَّهِ - أَخُونُ
قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ
وَسَقَامٌ ، وَأَيْنُ
- سَقَمًا - لَا يَسْتَبِينُ
فَنَبَّتْ عَنْهُ الْعَيْونُ

وفاء

يَبْنِي وَيَبْنِكَ مَالُو شِئْتِ لَمْ يَضِعْ -
يَابَاتِمَا حَظَّهُ مِنِّي ، وَلَوْ بُدِلَتْ
يَكْفِيكَ أَنْكَ - إِنْ حَمَلَتْ قَلْبِي مَا
تِهَ أَحْتَمِلْ ، وَاسْتَطِلْ أَصْبِرْ ، وَعِزَّ أَهْنُ ،
سِرٌّ إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ - لَمْ يَذِعْ
لِي الْحَيَاةُ - بِحَظِّي مِنْهُ - لَمْ أَبِيعْ -
لَمْ تَسْتَطِعْهُ قُلُوبُ النَّاسِ - يَسْتَطِيعْ -
وَوَلَّ أَقْبِلْ ، وَقُلْ أَسْمَعْ ، وَمُرَّ أَطِيعْ -

في سبيل الهوى

قَدْ نَالَ بِي مِنْكَ مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى
عَلَّتْنِي بِالْمُنَى - حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ
غُيِّرَتْ عَنْ خُلُقِي - قَدْ لَانَ لِي زَمَانُ -
لَا يَجْبُطُنْ عَمَلٌ - أَرْضَاكَ صَالِحَةٌ -
يَا مَنْ تَنَاهَيْتُ - فِي الْإِطَافَةِ فَجَفَا
بِالنَّفْسِ - لَمْ أُعْطَمِنْ أَسْبَابًا بِهَا طَرَفَا
لَيْنَ النَّسِيمِ ، فَلَمَّا لَدَّ لِي عَصَفَا
فَفِي سَبِيلِكَ أَنْفَقْتُ الْهَوَى سَرَفَا

صلة المحب

سِرِّي وَجَهْرِي أَنِّي هَامٌ ،
لَا يَتَمُّ الْوَأَشِي الَّذِي غَرَّنِي
عُدْتُ إِلَى الْوَصْلِ - كَمَا أَشْتَهِي -
قَامَ بِكَ الْعُذْرُ ، فَلَا لَأَمُّ
هَأَ أَنَا - فِي ظِلِّ الرِّضَى - نَأَمُّ
فَأَلْهَجْرُ بَاكٍ ، وَالرِّضَى بَأَسِيمُ

حَسْبِي - ، أَنَا الْمَظْلُومُ - فِيمَا جَرَى ،
يَا سَائِلًا عَمَّا بِنَفْسِي لَهُ
مَعْنَى الْهَوَى أَنْتَ وَشَخْصُ الْمُنَى ،
وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ : « أَنَا الظَّالِمُ »
- تَجَنَّبًا - وَهُوَ بِهِ عَالِمٌ
دَعْنِي مِمَّا يَزْعَمُ الزَّاعِمُ

مقيم على العهد

عَدِيرِي مِنْ خَلِيلٍ يَسْتَطِيلُ
وَيَرْضَى أَنْ تَضِيْعَ سُدِّي (١) حُقُوقِي ،
أَشْمَسًا أَشْرَقَتْ مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ !
أَمَا يُمْحِي عِتَابَكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟
وَلَوْ أَجِدُ السَّبِيلَ لَطَرْتُ وَجَدًا ،
كِتَابِي - عَنْ وِدَادِكَ - لَا يَزُولُ ،
يَمِيلُ - مَعَ الزَّمَانِ - كَمَا يَمِيلُ
وَبَاعِي فِي الْهَوَى تَبَاعٌ طَوِيلُ
أَمَّا لَكَ - فِي سِوَى قَلْبِي - أَفُولُ ؟
أَمَا يُرْجِي - إِلَى وَصْلِ - وَصُولُ ؟
وَلَكِنْ مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ
وَعَهْدِي - مِثْلَ عَهْدِكَ - لَا يَحُولُ

آلام المحب

يَا مُعْطِشِي - مِنْ وَصَالٍ كُنْتُ وَارِدُهُ -
كَسَوْتَنِي - مِنْ ثِيَابِ السَّقَمِ أَسْبَغَهَا -
إِنِّي بَصُرْتُ الْهَوَى ، عَنْ مُقَلَّةٍ كَحَلَّتْ
لَمَّا بَدَا الصَّدْعُ مُسْوَدًا بِأَحْمَرِهِ
أَوْفَى إِلَى الْخَدِّ ، ثُمَّ أَنْصَاعَ مُنْعَطِفًا
لَوْ شِئْتُ - زُرْتُ وَسَلَّكَ النَّجْمَ مُنْتَظِمًا ،
صَبَا - إِذَا التَّدَّتِ الْأَجْفَانُ طَعْمَ كَرِّي
هَذَا وَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِي ، فَلَا عَجَبٌ ،
هَلْ مِنْكَ لِي غُلَّةٌ إِنْ صَحْتُ : « وَاعْطَشِي »
- ظُلْمًا - وَصَيَّرْتَ مِنْ لُحْفِ الضَّنَى قُرْشِي
بِالسَّحْرِ مِنْكَ ، وَخَدِّ بِالْجَمَالِ وَشِي
أَرَى التَّسَالْمَ - بَيْنَ الرُّومِ وَالْحَبَشِ
كَالْمَعْرُوبَانِ أَنْتَنِي مِنْ خَوْفِ مُحْتَرِشِ
وَالْأَفْقُ يُحْتَالُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْعَبَشِ -
جَفَا الْمَنَامَ ، وَصَاحَ اللَّيْلُ : « يَا قُرْشِي »
قَدْ كَانَ مَوْتِي - مِنْ تِلْكَ الْجُفُونِ - خُشِي

(١) وفي الأصل : « كذا » .

إلى المعتمد

أَيُّهَا الظَّافِرُ لَا زَأْتِ مَدَى الدُّنْيَا مُظْفَرٌ

(١) الأحاجي والألغاز والمعميات

افتن كثير من النظاميين والكتاب في طرق الألغاز والتعمية ليمتحنوا بها الدكاء والقسرة على مك اللاسم والمعميات ، ويزجوا بها أوقات فراغهم الطويلة ، وهو عمل شاق مضمّن لا يقدم عليه إلا من فرغ باله من مشكلات الحياة وجدها . وأكثر أنواعه تافه لا خطر له ، وسنلم بطائفة كبيرة منها . وثمة أنواع من التعمية تقوم عند الملوك والأمراء إلى ذلك العهد مقام الشجرة ، وتطير الحمام الزاجل وما إلى ذلك من وسائل الخبارة السرية ، ومن يدري ؟ فربما كان مدار بين (ابن زيدون) و (المعتمد) من هذا النوع لم يكن يقصد به قتل الوقت والتسلية أو امتحان الدكاء لحسب ، وإنما كان يقصد به فوق ذلك المران على بعض ضروب الخبارة السرية التي كانت تمس إليها حاجة الدولة ، ويستعملها أنصارها السياسيون للتعمية على غيرم من خصومهم . وربما كان للتسلية وحدها وترجية أوقات الفراغ الطويلة أيضا . والطريقة التي تبناها المعتمد وابن زيدون هي إحدى هذه الطرق العديدة ، ولم نعتز عليها - فيما قرأناه من كتب الألغاز على كثرتها - ولم نسر إليها المعاجم العربية ، ولسكننا استنتاجنا من الأشعار التي دارت بينهما ، ومن قول « المقرئ » صاحب « نفع الطيب » الذي عزز ما ذهبنا إليه . وخلاصة هذه الطريقة أن يطير أحد المتراسلين إلى الآخر بيتا شائعا في قصيدة أو بيتين ويرس لكل حرف من حروفهما باسم طائر بعينه .

قال المقرئ :

« وكتب ابن زيدون إلى المعتمد :

« وافاك نظم لي في طيه معنى معنى اللفظ مستور

مرامه يصعب ما لم يحج بالسر - قرئ وشعرور .»

قال : « ثم ذكر أبياتا ، فيها أسماء طيور ، عمى بها عن بيت طيره فيها ، والبيت المطير هو :

« أت - إن كز - ظافر - يقطع من ينافر . »

فلك « المعتمد » وجاوبه :

« جاءني الطير التي سرها نظم به قلبي مسرور . اه .

وستمر بك هذه القصيدة في « ص ٢٩٩ » من هذا الديوان .

ويؤيد هذا الاستنتاج قول المعتمد :

« أرسل طيور الشعر نحوى فقد بث وؤادى شرك الفهم . »

وقول ابن زيدون للمعتمد :

« وافاك للطير سرب لديه سر مكم . »

ولا تكاد تخلو قصيدة - من هذا النوع - من ذكر الطيور كما يرى القاري في القوائد التالية ، وسنثبت

القصيدة التي نحن بصدها في الشرح ونقبها بمجدول نسرده فيه على الترتيب أسماء الطيور التي ذكرها فيها ،

وتقرن كل طائر بحرف هجائه ليتسنى للقاري استخراج البيت المطير بنفسه ، وهامى الأبيات :

« فاسأل الشاهين ، والصقرين ، والعتقاء تخبر

أَنْتَ أَسْنَى ابْنِ لِأَسْمَى وَالِدِي فِي أَمْدَهْرِي فَأَفْخَرِي
إِنْ تُرِيدُ شَرْحَ مُعْمَى هُوَ فِي نَظْمِي مَضْمَرِي

ثم زال القفر ، والفساد ، والنسر المعمر
ثم بعد الديك عد للذسر ، والزال المنفر
ثم عد للنسر والزال ، فكل قد تكرر
والجباري ، والسماي والشقراق المحبر
ثم سائل بعدما البازي - إن حل فصرصر
معها الطاوس والديك إذا بالصبح بشر
تلوه القمري مها ردد السجع فقرفر
ثم نادى الهيق والزال ، لعل السر يظهر
وتعريف ما لدى القبيح جين من خاف سيظهر
ثم عد للنسر والزال ، هما في الأمر أكثر
وازجر العمق حق الزجر ، إن الطير يزجر
وليس الزال سماي وشقراق تأخر . «

فليس فيها إلا أسماء طيور بعينها ترمز إلى حروف بعينها ، ونحن نبينها للقاري لتكون نموذجاً لمن
يعنيه حل أمثال هذه المعميات ، والبيت المعنى الذي يستخرج من هذه الأبيات هو :
« صدق لنا قال السهم تظهر على السكلمه . »

وأنت إذا تتبعت ما فيها من أسماء الطيور تجد أن كل طائر في مقابلة حرف من حروف هجاء البيت ونحن
نضع حروف البيت وأمام كل حرف طائره الذي يدل عليه في الجدول الآتي ليتبين للقاري طريقة الحل ،
وهذا هو الجدول :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	ا	نسر	ع	هيق
د	صقرين	ل	زال	ل	زال
ق	عنقاء	س	جباري	ي	قبيح
ل	زال	م	سماي	ا	نسر
ن	فياد	ه	شقراق	ل	زال
ا	نسر	ت	بازي	ك	عقق
ف	ديك	ظ	طاوس	ل	زال
ا	نسر	ف	ديك	م	سماي
ل	زال	ر	قري	ه	شقراق

فَأَسْأَلُ - الشَّاهِينَ ، وَالصَّقْرَيْنِ ، وَالْعَنْقَاءَ - تُخْبِرُ نُمُّ رَالَ الْقَفْرَ ، وَالْفِيَّادَ ، وَالنَّسْرَ المَعْمَرَةَ

والى القارىء معاني هذه الكلمات :

- الشاهين : ضرب من الصقور أكدر أبنت أى رمادى اللون .
- العنقاء : طائر خرافى لا وجود له إلا فى شعر الشعراء .
- رال : ولد النعام ، وسيبر بك فى « ص ٢٨٤ »
- الفياد : ذكر البوم .
- نسر : النسر طائر عظيم من جوارح الطير سمي بذلك لأنه ينسر الشيء ويقتله ويقتنصه والكثير الريش منه يسمى الغداف .
- ديك - الديك : ذكر الدجاج .
- رال : ولد النعام .
- جبارى - الجبارى : طائر فى حجم الديك الهندي كثيرة الريش ، ومنها بيضاء وكدراء .
- سماني : طائر معروف فوق المصفور ، ويجمع على سمانيات .
- قالوا : وهو ينوص فى البحر بأحد جناحيه ويقم الآخر كالمقلع للسفينة ، فتدفعه الريح إلى ساحل البحر .
- وكثيراً ما يوجد ببلاد السواحل ، وله صوت حسن ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء ، فاذا أقبل الربيع صاح .
- شقراق : طائر صغير بقدر الحمام أخضر مشع الحضرة ، حسن المنظر ، فى جناحيه سواد وعده الجاحظ نوحاً من الثريان . يألف الروابى وروس الجيال . وله مشى ومصيف ، قال الجاحظ وهو كثير الاستغاثة ، إذا سرت به طائر ضربه بجناحيه وهاج كأنه هو المضروب .
- بازى - البازى : من الصقور الأزرق الأحوى ، والأرقط القصير الجناحين الغليظ .
- طاوس : طائر فى نحو قدر الاوزة ، حسن اللون ، والذكر منه غاية فى الحسن له فى رأسه ذؤابة قائمة كالشربوش ، وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر ، وليس للأُنثى مثل ذلك وفى طبعه الزهو بنفسه والامحباب بريشه ، وفى الحريف ياتى ريشه كما ياتى الشجر ورتبه ، فاذا بدأ طلوع أوراق الأشجار طلع ريشه .
- قرى سير بك فى « ص ٣٠٤ »
- هبق : ذكر النعام ، قال أبو العلاء على لسان جنى فى رسالة العفران :
- « وأركب الهبق - فى الظلماء - معتسفاً أو لا ، فذب ريادة بات مرورا . »
- قبيج : مشى قبيج وهو السكروان وسيبر بك فى « ص ٣٠٤ »
- عمق - العمق طائر كالفراب ضخيم طويل المنقار يحجل حجلاً ، وهو يدجن ولونه ألبق بياض وسواد .
- شقراق - الشقراق : طائر مرقط بمحضرة وحمرة ويبيض ويكون بأرض الحرم .

ثُمَّ - بَعْدَ الدَّيْكِ - عُنْدَ النَّسْرِ وَالرَّأْلِ الْمُنْفَرِّ

أصل اشتقاق اللفز

وأصل اشتقاق اللفز - كما يروى النويري - من الأمر اليربوع ولر ، إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ بمنة ويسرة لبواري بذلك ويعمى على طالبه .

وللفر أسماء ، فمنها : المعايمة ، والمويص ، والرض ، والمخاجة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والسكاية ، والتبريص ، والاشارة ، والتوجيه ، والمعنى ، والمثمل ، ومعنى الجميع واحد ، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته .

فإنك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعاينك - أي يظهر لإعياءك ودو التبع - سميته : «معايمة» وإذا اعتبرته - من حيث صعوبة فهمه واعتياص استخراجها - سميته : «عوضاً» .

وإذا اعتبرته - من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب - سميته : «لغراً» . وفعلك له : «لغراً» .

وإذا اعتبرته - من حيث إن واضعه لم يفصح عنه - قلت : «رض» وقريب منه الاشارة .

وإذا اعتبرته - من حيث إن غيرك حاحك - أي استخراج مقدار تفكيره - سميته : «مخاجاة» .

وإذا اعتبرته - من حيث إن قائله قديومك شيئاً ويريد غيره - سميته : «لحناً» وسميت فملك : «الملاحن»

وإذا اعتبرته - من حيث إن معناه يؤول إليك - سميته : «مؤولاً» . وسميت فملك : «تأويل» .

وإذا اعتبرته - من حيث إن صاحبه لم يصرح بفرسه - سميته «تبريصاً» ، و «كناية» .

وإذا اعتبرته - من حيث إنه ذو وجوه - سميته : «الموجه» وسميت فملك : «التوجيه» .

وإذا اعتبرته - من حيث إنه معطى عليك - سميته : «معدي» .

طرق التعمية

ومن ضروب التعمية - ما ذكره المنقشندي - وهو أن يصطاح الانسان على إبدال حرف معين بحرف آخر معين - حيث وقع في القلم الممرور بالعمى - وهو أن جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ، فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واواً وبالعكس ، والذال راءً وبالعكس ، والسين عيماً وبالعكس ، والفاء ياءً وبالعكس .

فيكتب «محمد» «كطكر» ، و «علي» «سهف» ، و «مسعود» «كسار» .

ثُمَّ عُدَّ - لِلنَّسْرِ وَالرَّاءِ ل- فَكُلُّ قَدْ تَكَرَّرَ

وإنهم من يبدل الحروف بأعدادها في الجمل فيكتب « محمد » « ٤٠ و ٨ و ٤٠ و ٤ » وتعمل التعمية صفة أساسية .

ومنهم من يكتب - عوض عدد الحروف - حروفا ، وهو أبلغ في التعمية ، فيكتب « محمد » « لي ، بو ، لي ، اج » لأن اللام والياء بأربعين ، وهي عدد مالهم الأولى ، والباء والواو بثمانية ، وهي عدد ماللحاء ، واللام والياء أيضا بأربعين ، وهي عدد ما للميم الثانية ، والألف والجم بأربعة وهي عدد ما للدال ، فكانه قال : « م ح م د . »
وإن شاء أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن غير هذه الأعداد .

ومنهم من يجعل لكل حرف اسم رحل أو غيره . ومنهم من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين ، على ترتيبها على حروف « أبجد » :
ويجعل الألف للشرطين ، والباء للبطين ، والجم لثريا ، وهكذا إلى آخرها : فيكون بطن الحوت للغيث من « صنف » .

وربما اصطلح على الترتيب على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار ، أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من طروب التمامي التي لا يأخذها حصر .
وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختارها فلما له مقطعة على ترتيب حروف المعجم ، والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ، ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يماثل الآخر ، فكما جاءه في اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط . ثم يفصل بين كل كلمتين ، إما بخط أو بنقط ، أو بياض ، أو دائرة ، أو غير ذلك .

وأكثر المتقدمين يجعلون الحرف المشدد بحروفي ، والمتأخرون يجعلونه حرفا واحدا .
وقد ذكر الفلقشندي - في ذلك - فصلا طويلا في الجزء التاسع من صبح الأعشى ، ويرجع إليه القاري « من ص ٢٢٩ إلى ٢٤٩ » إذا شاء .

أمثلة من التعمية

ومن الأمثلة التي ذكرها النويري قول الحكيم أمير الدولة - المعروف بابن التليذ - ملعرا في الميزان :
« ما واحد مختلف الأسماء يبدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الرشاد كل رائي
أخرس - لا من علة وداء - ينفي عن التصريح بالأيما ،
يجيب - إن ناداه ذوامتراء - بالرفع والحفض عن النداء
يفصح إن خلق في الهواء . »

وهو بقوله : « مختلف الأسماء » يعني : « ميزان » الشمس ، والاصطرلاب ، وسائر آلات الرصد « وهو معنى قوله : « يحكم في السماء . » وميزان الكلام : « النحو » وميزان الشعر : « العروض » وميزان الماء : « المنطق » وهذه الميزان والدرع والمسكيات .

وقول آخر في الميزان :

« ما تقولون : فيما نزل من السماء ، وعلق في الهواء ، له عين عمياء ، وكف سلاء ، ليس له - إن عدل -

وَالْحَبَّارِي وَالسَّمَانِي وَالشَّقْرَاقِ الْمُحَسَّبَرِ

ثواب ، ولا عليه — إن جار — عقاب . خلق من ثلاثة أجناس ، تضعصمه الأنفاس . جسسه طار من غير لباس ، أخرس اللسان ، في أذنه خرصان ، مكرر الذكر في القرآن ، ينطوى — إذا نام — كالصل ، وفعله المستقبل ممتل ، وله في الآخرة أكبر محل . «

وقول ابن الرومي في فتيلة السراج :

« ماحية في رأسها درة تسبح في بحر قليل المدى ؟
إن غيبت كان العمى حاضراً وإن بدت للاح طريق الهدى ! »

وقول السري الرفاء في شبكة الصياد :

« وكثيرة الأحداق ، إلا أنها عمياء ، ما لم تنعس في ماء
وإذا هي انقسمت أفادت ربها ما لا ينال بأعين البصراء . »

وقول آخر في النوم :

« وحامل يحملني وما له شخص يرى !
إذا حصلت فوقه وهو لذيذ للمتطلي
سريت لا أدري أفي أرض سريت ؟ أم بما ؟ »

وقول المرعي في ركابي السرج :

« خليلان يظا في جوانب مجلس جسداراه قدام له ووراء
متى يصع الرجلين ماش عليهما يزل عنه — في وشك — حفا وحفاء . »

قوله : « خليلان » لتشابههما ، والجلس : « السرج » ، وجداراه : « قروبسه » و « رادفته »
والحفا متصور : « وجع الرجل » وعمدود ، من مشى الرجل حافياً بغير نعل .
وقوله في الملح :

« وببصاء — من سر الملاح — ملكنها فلما قضت إرني جبوت بها صهي
فباتوا بها مستمتعين ، ولم تزل نخثهم — بعد الطعام — على الشرب . »
قوله : سر أي : « حاصة » والملاح : جمع ملح ، والارب : الحاجة . وقول آخر في الحرب .

« ما ذات شوكة لها جناح يختطف الناس عن قريب
وهي عقيم ، ترى بنيتها من بين سرد ، وبين شيب
يأكل بعض البين بعضاً طلوع شمس إلى غروب
تصحيفها الداء — غير شك — قد يحسم الداء بالطبيب
والدواء موكوسه مكان يصلح للطائر النجيب
يعرفها من يكون طبا بالشعر والنحو والمريب . »

فهذا لفر مسمى في الحرب ، وشوكها : « السلاح » ، وجناحها : « جابها » ، وتدعيم لأنها لا يتلد ،
وبنوها : « رجالها . » وأكلهم : « قتلهم . » ، وتصحيفها : « الجرب » وعكسه : « برج »
وقول آخر في الثدى :

« وما أخوان مشبهان جدا كما اشتبهه الثراية والغراب »

نَمَّ سَائِلٍ بَعْدَهَا الْبَا زِيَّ إِنْ حَلَّ فَصَرَّصَرَّ

يضـمهما على سر الليالي - وما اجتمعا ، ولا افتترعا - إهاب
 لذاك ، وذا ، دموع هاملات ، ولكن كل دمعهما شراب
 يصونهما عن الأبصار - دين ويضرب - دون نيلهما - حجاب .
 وهما ثديا المرأة ، ويضمهما إهاب ، وهو : « الجلد »
 وقول آخر في الفخ :

« وما ميت كفتته ودفتته فقام إلى حي صحيح فأوثقه . »

وقول آخر في الصدى :

« وساكن يسكن في الغلاة ليس من الوحش ولا النبات
 ولا من الجن ، ولا الحيات ، ولا الحيام الشـمر والأبيات
 ولا بذي جسم ولا حياة كلا ، ولا يدرك بالصفات
 بلى ، له صوت من الأصوات يسمع في الأحيان والأوقات . »

وقد ذكر النويري أمثلة كثيرة من هذه الأنواع وأشباهاها ، ثم قال :

مسائل العويص

ومما يتصل بهذا الباب - مسائل العويص .

فمن ذلك قولهم :

« امرأتان التقتا برجلين ، قالتا لهما : «مرحبا بابنينا وزوجينا ، وابنى زوجينا . »

وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأمر الآخر ، فهما ابناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما

وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأمر الآخر ، فرزق كل واحد منهما ولدا ، فسكل من الولدين عم

الآخر وابن أخيه .

وقولهم :

« رجلان ، كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة الآخر ، فرزق كل واحد منهما ولدا ، فسكل من ولديهما خال

الآخر وابن أخته .

وقولهم :

« رجل وامرأتان ، هو خال إحداهما وهي خالته ، وعم الأخرى وهي عمته . »

وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه ، فولدتا بدين ، فبنت أخته

خالته ، وهو خالها ، وبنت جدته عمته وهو عمها .

وهذا أصل الأبيات المنظومة في ذلك :

« ولي خالة وأنا خالها ، ولي عمه وأنا عمها . »

مَعَهُ الطَّائِسُ وَالَّذِي إِذَا بِالصَّبْحِ بَشَّرَ

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته »
 وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأخت الآخر ، فزرق كل منهما ولدا ، فكل من ولدهما ابن خال
 الآخر وابن عمته .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر . »
 وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأب الآخر ، فكل من أولادهما عم أب الآخر .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر . »
 وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة ابن الآخر ، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

وقوله :

« رجلان ، كل واحد منهما خال أم الآخر . »
 وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة بنت الآخر فكل من أولادهما خال أم الآخر .

وقوله :

« رجلان أحدهما عم الآخر ، والآخر حله » وذلك أن رجلاين تزوج أحدهما امرأة ، وتزوج الآخر ابنة
 ابنها ، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب هو أخوها وخال ابنها .

وقوله :

« رجلان ، أحدهما عم الآخر وخاله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته »
 وذلك : أن رجلا له أخ لأب ، وأخت لأم ، فزوج أخاه لأبيه ، فأخته لأمه ، فأولدها ولدا ، فهما كذلك .
 وقد طلب الهمذاني من الخوارزمي - أثناء مناظرته المشهورة - أن يكتب كتابا خاليا من الحروف العواطل ،
 وآخر أوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها هم الخ » فسمى الخوارزمي ذلك شعبية . وصدق في تسميته
 كل الصدق .

وما أحدر هذا الوصف بأمثال هذه الألعاب الكلامية .

ألفاز الحريري

ومن ألبار الحريري الذي اقتبى أثر الخوارزمي في مقاماته قوله في المقامة الفرضية - وهي مقامته الخامسة عشرة :

« أيها العالم العقيب الذي ما قى ذكاه ، فماله من شبيه
 أدتنا في قضية ، حاد عنها كل قاض ، وحار كل ققيه :
 رجل مات عن أخ مسلم حرّ تقي من أمه وأبيسه
 وله زوجة ، لها - أيها الجبّ - أخ خالص بلا تمويه
 فحوت فرضها ، وحاز أخوها ما تقي بالارت دون أخيه
 فأشفتنا بالحواب عما سألنا فهو نص ، لا خلف يوجد فيه . »

ثم حل هذا اللغز بقوله :

« قل لمن يافز المسائل : إني كاشف سرّها الذي تخفيه
 إن ذا الميت الذي قدم السر ع أخا صرّسه عن ابن أبيه »

تَلُوهُ الْقُمَرِيُّ مَهْمَا رَدَّدَ السَّجْعَ فَقَرَّرَ

رجل زوج ابنة - عن رساه - بحمارة له ، ولا ضرو فيه
ثم مات ابنة ، وقد علقت منه ، فجاءت ببن يسر ذويه
هو ابن ابنة - ينير مرء - وأخو صرسه ، بلا تمويه
وان الابن الصريح أدنى إلى الجسد ، وأولى بارته من أخيه
لذا - حين مات - أوجب للزوجة ، ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنة - الذي هو في الأصل أخوها - من أمها باقية
وتحلى الأخ الشفيق ، من الارث ، وقلنا : يكفك أن تبكيه
هاك من الفتيا التي يعتذرها كل قاض يقضى ، وكل فقيه .
المقامة الشتوية

وقوله في المقامة الشتوية .

« عدى أطجيب أروبيها - بلا كذب عن العيان - فكنوني : أبا العجب
رأيت يا قوم ، أقواما غداؤهم بول العجوز ، وما أعنى ابنة العنب . »
« بول العجوز » لبن البقرة ، والمحوز أيضاً من أسماء الحجر .
« ومستنين من الأهراب قوتهم أن يشتوا خرقة تعي من السغب . »
« الحرقة » القطعة من الجراد .

« وعادين - متى ما ساء صنعهم ، أوقصروا فيه - قالوا : الذنب للحطب . »
« القادر » الطامخ في القدر والقدير المطوخ فيها .

« وكاتبين وما خطت أناملهم حرفا ولا قرؤا ماخط في الكتب . »

« السكاتبون » الحرازون يقال كتب السقاء والمزادة إذا حرزهما وكتب البعلة أو الناقة إذا جمع شفرهما
وخطهما . قال الشاعر :

« لا تأمن فراريا حلوت به على قلوصلك واكتبها بأسيار . »

« وتابمين عقابا في مسيرهم على تكبيهم في البيض واليب . »

« العقاب » الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب .

« وممتدين ذوى نسل بدت لهم نبيلة فانشوا منها إلى الحرب . »

« النبيلة » الجيفة ومه تنبل البعير إذا مات وأروح يعنى تنن .

« وعصبة لم تر البيت المتيق وقد حجت حثيا بلا شك على الركب . »

معنى « حجت حثيا » أى غلبت بالحجة مجاديين جاثين على الركب وجنى جمع جات .

« ونسوة بعد ما أدجن من حلب صبحن كاظمة من غير ما تعب . »

« كاظمة » في هذا الموضع من كظم الغيظ .

« ومدلين سروا من أرض كاظمة فأصبحوا حين لاح الصبح في حلب . »

« في حلب » أى أصبحوا يحملون اللبن .

« ويافماً لم يلامس قط فانيسة شاهدته وله نسل من العقب . »

« الذيل » مهنا العدو . قال تعالى - وهم من كل حذب ينسلون - « والعقب » مؤخر القدم .

نُمُّ نَادِ الْهَيْقِ وَالرَّاءِ لَ ، اَعْلَ السَّرِّ يَظْهَرُ

- « وشائبا غير محف للشب بدا في البدو وهو فتي السن لم يشب . »
 « الشائب » ههنا مازج اللين و « المشيب » اللين المزوج ويقال فيه مشيب ومشوب .
 « وصرضماً بلبات لم يفه فه رأيته في شـجار بين السب . »
 « الشجار » الهجمة ما لم تكن مظلة ، فان ظلت فهو الهودج ، والسب ههنا الحل ، ومنه قوله تعالى
 — فليدد بسبب إلى السماء —
 « وزارعا ذرة حتى إذا حصدت صارت غيراه يهواها أخوال الطرب . »
 « العبيراء » المسكر المتخذ من الذرة يسمى أيضا الكركرة ، وفي الحديث : إيام والنبيراء فانبا خمر العالم .
 « وراكأ وهو منلول على مرس ة- غل أيضا وماينفك من خيب . »
 « المنلول » ههنا العطشان ، وغل أى عطش .
 « ودا يد طلق يتاد راحلة — متمجلا— وهو مأسور أو كروب . »
 « المأسور » الذى يحد الأسر وهو احتباس البول .
 « والمالس » الآنى نحدأ والمالس الذى كثرت ماشيته ، وعليه سرر بمضمم قوله تعالى — أن امشوا كأن
 دطاء لهم بكثرة المشاية والنماء والبركة .
 « وحائكك أهدم الكفين ذا خرس فان مجتمكم فى الخلق من مجح . »
 « الحائك » ههنا الذى إذا مشى حرك منكبيه وفتح بين ركبيه .
 « ودا شطاط — كصدر الرمح فامته — صادفة: يبي يشك من الحدب . »
 « الحدب » ما ارتفع من الأرض .
 « وساعيا: فى مسرات الأنام— يرى إمرأهم مأنعاً، كالظلم والكذب . »
 « إمرأهم » يتقالم بالدين، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يترك فى الاسلام مفرح أى متقل من الدين
 أو يقضى عنه دينه . »
 « ومنسوما سماحة الرجال له وماله فى حديث الخلق من أرب . »
 « الخلق » ههنا الكذب ، ومنه قوله تعالى — إن هذا لإخلاق الأوابين .
 « وذا دمام وقت دلمهد مته ولادمام له فى مذهب العرب . »
 « الدمام » الثانى جمع ذمة ، وهى الثر القليلة الماء وعنى بالمذهب المسلك أى ماله آبار قليلة الماء فى البدو .
 « وذا قوى ما استبان قط لينته واينته مستين غير شتجب . »
 « اللين » نخيل الدقل ، ومنه قوله تعالى — ما فتأتم من لينة —
 « وساجداً فوق غل غير مكثرت بما أنى، ل يراه أفضل الغرب . »
 « الفعل » الحصير المتخذ من غل النخل .
 « وعاذوا ، وولما من ظل بعذره — مع الناطف — بالمذور ووصح . »
 « العاذر » الحاتى « والمذور » المحتون .
 « وبلدة ما بيا ماء لمنترف ، والماء يجرى عليها جرى منسرب . »

وَتَعَيَّفُ مَا لَدَى الْقُبُجَيْنِ مِنْ خَافٍ سَيَظْهَرُ

- « البلدة » الفرجة بين الحادين ونسباً أيضاً البلدة .
 « وقرية - دون أفرص القطا - شحنت بديل عيشهم من حلة السلب . »
 « القرية » بيت النمل « والديلم » النمل الكثير « وخلة السلب » حياء الشجر .
 « وكوكبا يتوارى عند رؤيته الاسان حتى يرى في أميع الحب . »
 « الكوكب » السكته البيضاء التي تحدث في العين « والاسان » ههنا إنسان العين .
 « وروثة قومت مالا له حطر - ونفس صاحبها بالماء لم تطاب . »
 « الروثة » مقدم الأنث .
 وصحفة من نصار حانس ، شريت - عد الملكاس - بغير اط من الذهب .
 « النصار » هاهنا شعرا للبع ، ومنه قول بعض النامين : « لا بأس أن يشرب في قدح العذار » عى به عدا .
 « ومستحيشاً بحش - ماش ليدع ما أظله من أعاديه فلم يحب . »
 « الحشعاش » الجماعة عليهم دروع وأسلحة .
 « ونامنا سر في كل وفي فه نور ، ولكنه نور بلا ذب »
 « النور » القطعة من الانط (وهو نوع من الجبن)
 « وكم رأى ناظرى فيلا على حمل وقد تورك فوق الرجل والقتب . »
 « القيل » الرجل الغائل الرأى .
 « وكم لمت - مرض اليد - مشتكياً وما شتكي قط في حد ولا امب . »
 « المشتكى » المتخذ شكوة وهي القرية الصغيرة .
 « وكنف أبحرت كرازا راعية - لدو - يندرم من تيبين كاشهب . »
 « الكرازا » كبش يحمل عليه الراعي أدواته .
 « وكم رأيت مقلقى عيين - ماؤهما يجرى من الرب - والعينان وحلب . »
 « الغرب » مجرى الدمع « والعينان » المقلتان .
 « وصادعا بالقنا من غير أن علفت »
 « القنا » ارتفاع الأنث وتحذب وسطه « وصدع به » أى كدغه .
 « وكم نزلت بأرض - لانخيل بها - وبعد يوم رأيت البسر في القلب . »
 « البسر » جمع بسرة وهو الماء الحديت المهد بالمطر « وانقلب » جمع قليب .
 « وكم رأيت - بأقطار الفلا - طبقا يطير في الجور منعباً إلى صيب . »
 « الطبق » القطعة من الجراد .
 « وكم مشاخ - في الدنيا - رأيتهم محلدين ، ومن ينحو من العطب ؛ »
 « الخلد » الذي أبطاً شبيهه .
 « وكم بدالى وحش - يشتكى سغبا - بمنطق ذلق أمضى من القصب . »
 « الوحش » الرجل الجائع .
 « وكم دعاني مستنج لحادثى وما أخل - ولا أخلت - بالأدب . »

ثُمَّ عُدَّ لِلنَّسْرِ وَالرَّاءِ لِهُمَا فِي الْأَمْرِ أَكْثَرَ

« المستنحى » الحالس على نحوة وهو المكان المرتفع .
 « وكم أنحت فلوصى - تحت جنبذة - تطلّ ماشئت من عجم ومن عرب . »
 « الحنبذة » القمة « والعرب » جمع عروب وهي التخبية إلى زوجها من قوله تعالى - عرباً أتراباً -
 « وكم نظرت إلى من سرّ ساعته ودمعه مستهلّ العطر كالسحب . »
 « سرّ » أى قطع سرره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرّة .
 « وكم رأيت قيصاً ضرّاً صاحبه حتى انثى واهى الأعصاء والعصب . »
 « القميص » الدانة الكثيرة القموص وهو الوثوب والقفز .
 « وكم لآزار لو أن الدهر أتلفه لطفٌ لبد حثيت السير مصطرب . »
 « الآزار » المرأة ، ومنه قول الشاعر : * مدى لك من أخى ثقة إزارى *
 ثم يقول في حتام قصيدته :
 « هذا وكم من أفانين محة عندى ، ومن ملح تلهى ومن نخب
 فان فطمت لاجن الفول بان لكم صدق ودلكم ظلمى على رطبي
 بان شدهتم ، فارالمار - فيه - على من لا يميز بين النع والغرب . »
 المقامة النجراية

وقوله - في المقامة النجراية - في مروحة الخيش ، وهي ثياب خشنة من الكتان تستعمل في العراق تكون
 شبه شراع السفينة ، تملق في سقف البيت ، ويعمل لها حبل منها - تجر به - وتل بالماء ، وترش بماء
 الورد ، إذا أراد الرجل النوم ، حصد جبلها ، فيهب منها نسيم بارد طيب يذهب أذى الحر ، ويستطاب
 معها النوم ، وقد ألتز فيها الحريرى بقوله :

« وجاريه في سيرها - مشمعه ولكن - على إثر المسير - قفوها
 لها سائق - من حسنها - يستحها ، على أنه - في الاحتات - رسيها
 ترى - في أوان الفيظ - تنطف بالندى ، ويدو - إذا زلى المصيف - قفوها . »

وقوله ملازا في حابول النحل ، وهو الحبل الذى يصعد به النحل ، ويتخذ من اللحاء أى ليف النحل .

« ومنتسب إلى أم ومنتسب إلى أم
 يمانها ، وقد كانت يمانها ، وقد كانت
 به يتوصل الجاني ، ولا يلحى ، ولا ينهى . »

وقوله - ملدرا في القلم - :

« ومأموم ، به عرف الامام كما باهت بصحبته الكرام
 له - إذ يرتوى - طيشان صاد ، ويسكن حين يمرره الأوام
 ويدرى - حين يستقي - دموطا يرقن ، كما يروق الابنسام . »

وقوله ملدرا في المروء الذى يكتمل به :

« وما ناكح أخنين جهراً وخفية ، وليس عليه - في النكاح - سبيل ؟
 حتى يمش هذى يمش - في الحال - هذه ، وإن مال بهل لم تجسده يميل
 ريدها - عند المشيب - تمهدا وبرأ ، وهذا - في البعول - قليل . »



وَأَزْجِرِ الْعَقْمَقَ - حَقُّ الزَّجْرِ - إِنَّ الطَّيْرَ تُزْجَرُ

وقوله - ملغزاً في الدولاب : -

«وجاف، وهو موصول ووصول ليس بالجاف
 غريق بارز، فأعجب له، من راسب طافي
 يسبح دموع مهضوم ويضم هضم متلاف
 وتحشى منسه حدثه ولكن قلبه صافي.»

إلى آخر هذه الألفاظ التي تراها في هذه المقامة .

المقامة اللطبية

وانظر قوله - في مقامته اللطبية :

«يامن - إدا - أشكل المعنى جلتسه أفكاره اللطبية»

إن قال يوماً لك المحاجي : «خذ تلك» مأمثله حقيقة .»

وهو يعنى بذلك كلمة : «هاتيك» وها للتذية وبمعنى خذ ، وتيك أى تلك .

وقوله : ماذا مثال قولهم : «حمار وحش زبنا .»

يعنى كلمة «فرازين» والفرا حمار الوحش .

وقوله : ما مثل قولك للذى حاحاك : «أنفق تقمع»

يعنى كلمة «منتقم» من : الأمر من مان يعون ، تمم مصارع وقم ، من الوقد وهو الاذلال .

وقوله : مأمثل قولك للذى أضفى يحاحى : «فقط ملكى»

ومثله : «صنبور» صن الأمر من الصون ، والبور : المهلكى .

وقوله : ماذا يمثال قولى : «استنش ربح مدامه»

ومثله : «رحراح» رح استنشق الرائحة ، والراح : الحمر .

وقوله : «سار بالليل مدة» أى شئ، مثله ؟

ومثله : «سراحين» سرى سار ليلاً ، وحين : مدة .

وقوله : لك البيان ، فبين ، مائل : «أحب فروقه»

ومثله : «مقلع» من : الأمر من وسق : أى أحب ، واللاع : الجبان .

وقوله : مأمثل قولك «أعط أب - ريقا يلوح بنير عروة»

ومثله : «أسكوب» أس : الأمر من الأوس ، وهو الاعطاء ، والكوب : الابريق بغير عروة .

وقوله : ما مثل قولك للمحا جى ذى الذكاء : «الثور ملكى»

ومثله «اللآلى» واللآلى : ثور الوحش .

وقوله : ماذا مثال : «صفير جعفة» بينه تديابا يتم به .

ومثله «مكاشفة» والمكاشفة : الصنير .

وقوله «ماذا يمثال قولى : جوع أمد بزاد ؟»

يعنى «طوامير» ، طوى : جوع ومير : من ما ره الطعام ، وهو مثل قوله : أمد بزاد .

وقوله : ما مثل قول المحاجي : «ظهر أصابته عين ؟»

يعنى : «مطاهين» جمع مطعون ، ومطأ مثل ظهر ، وعين - من طاه أى أصابه بالعين .

وَلَيْلِ الرَّالِ مُمَانِي وَشِقْرَاقٍ تَأَخَّرَ

- وقوله : ما مثل تولك للذى حاجيت : صادف جزئه ؟ «
ومثله « الفاصلة » وهي الحائثة بين الشيتين سد الواصلة وكله ألى مثل صادف وتكتب بالياء إذا
انفردت ، وصلة : جائرة أو عطية .
وقوله : ألا اكثرت لى مامل : « تامل ألف دينار »
ومثله : « هادنة » تأييد الهادى ، والعق أيداً ، ومعنى ها : حذ وتناول ، وديه هي ما يعطى لأهل
القتيل ، وهي من الذهب ألف دينار .
وتوله : مامل : « أهل حلية » بين هيب - رجل .
ومثله : « الماشية » وهي اسم لمن يشى الرجل من الأسياف ، غاشية السرج ما يعطى به ومعنى النى
أعدى وشية : حلية «
وتوله : مامل تولك للذى أضحى يحاجيك : « اكفب اكف . »
ومثله : « مهمة » وهو الصغراء ، ومعنى مه : اكفب وتكررها للأكيد .
وتوله : رات دا بيان - مامل تولي : « الشقيق أفلك »
ومثله : « أنظار » جمع حطر ، وهو ما يؤدي إلى الهلاك ، وإذا فصلته كان : « أخ » من معانيه
الشقيق ، ونار . أمز .
وتوله : مامل مولك للمحا حى دى المحي : « ما اختار فسه »
ومثله « أنزعه » جمع ابريق ، وإذا فصلت كات أى ما اختار ، ورقة : اسم من أسماء الفضة .
وتوله : أوصح لنا ما مثل قير لك للمحاسي : « دس جماعه »
ومثله : « حادية » وهي ما يطفو على الماء ، وطأ : أسر من ودلى ، والعثة : الحمانه .
وتوله أرت الين ، نقل لنا ما مثل قولى : « حالى اسكت . »
ومثله : « حنفة » أى خلصه ، وهم اها خلى اسكت .
وقوله فى منامه الريبة فى حوار طويل بين فتحيين .
- ما تمول بين توصاً ثم لمس طهر نمله ؟
- انقص الوصوه بعقله .
يعنى من لمس زوجته .
- فان توصاً ثم أنكأه ابرد ؟
- نحدد الوصوه من صد ؟
يعنى بالبرد : انوم
- أيمح المتوصى أنبيه ؟
- قد نذب إليه ، ولم يوحى عليه .
يعنى : الأذنين .
- أيجوز الوصوه مما يقده اثمان
- وهل أنظف منه لامريان

لَكَ ذَهْنٌ - بِالَّذِي فِي الشَّعْرِ مِنْ حَبِءٍ - سَيَشْعُرُ

يعني : جمع ثعب ، وهو مسيل الوادي .

- أَيْسْبَاحُ مَاءِ الضَّرِيرِ ؟

- نعم ، ويحْتَبُّ مَاءَ البَصِيرِ .

يعني بالضرير : حرف الوادي ، وبالْبَصِيرِ : الشكل

- أَيَحِلُّ التَّنَطُوفُ فِي الرَّبِيعِ ؟

- يَكْرَهُ ذَلِكَ لِاحْتِدَادِ الشَّيْبِ

يعني بالتطوف : التفتوط ، وبالربيع : النهر الصغير

- أَيَحِبُّ العِصْلَ عَلَى مَنْ أُمِّي ؟

- لا ، ولو ثِي .

يعني : من نزل « مي »

- فَهَلْ يَحِبُّ عَلَى الحَنْبِ غَسْلَ فَرْوَتِهِ ؟

- أَحَلُّ ، وَغَسْلَ ارْتِهِ .

يعني بالعمرة - لمدة الرأس ، وبالإبرة عظم المرقق .

وهكذا إلى أن استوفى مائة مسألة من هذا النوع .

المقامة النحوية

وقوله في المقامة الزامة والعشرين :

فما كلة هي - إن شئتم - حرف شوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب ، وأي اسم يتردد بين مرد حازم وجمع ملازم ، وأية هاء - إذا التقت أماطت اشبل ، وأظنقت المعتقل ، وأين تدخل السين فتعمل العامل من غير أن تحامل ، وما منصوب أبدأ على الظرف ، لا يحمقه سوى حرف ، وأي مضاف أهل من عرى الاضادة يعرورة ، واختلف حكمه بين مساء وغدوة ، وما العامل الذي يتصل آخره بأوله ، ويعمل مكوسه مثل عمله ، وأي عامل نائه أرحب منه وكراً ، وأظنم كراً ، وأكثر الله - تعالى - ذكراً ؟ وفي أي موطن تلبس الدكران ، برايع السوان ؟ وتبرر ربات الجمال ، مما ثم الرجل ؟ وأين يحب حفظ المراتب ، على المضروب والغنارب ؟ وما اسم لا يعرف إلا باستضافة كلمتين ، أو الاقتصار منه على حرفين ، وفي وضحه الترام ، وفي الثاني إلام ؟ وما وصف - إذا أردت بالون - نقص صاحبه في العيون ، وقوم بالدون ، وخرج من الزبون وتعرض للهون .

وقد سره بقوله :

« أما الكمة التي هي حرف شوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب » فهي نعم . إن .

(وأما الكمة التي هي حرف شوب أو اسم لما فيه حرف حلوب) فهي نعم إن اردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال فهي حرف وإن عتبت بها الابل فهي اسم والتعم تذكر ونؤت ، وتطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها إبل ، وفي الابل الحرف وهي التامة الصامرة سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف ، وقيل أنها السعة تشبيهاً لها بحرف الحبل (وأما الاسم المتردد بين مرد حازم وجمع ملازم) فهو سراويل . قال بعضهم هو واحد وجمه سراويلات ، على هذا القول هو مرد دوكي عن ضمه الحصر بأنه حازم ، وقال آخرون بل هو جمع واحده سراويل مثل شلال وشمايل ، وسربال وسراويل ، فهو على

فَتأمل مَا أَنبَرِي فِكْرِي لَهُ ، ثُمَّ تَدَبَّرْ

هذا القول جمع ، ومعنى قوله ملازم أى لا ينصرف وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع نالته ألف وبسدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفردته دون غيره من الجوع بأن لا نظيره في الأسماء الآحاد ، وقد كنى في هذه الأحجية عمالا ينصرف بالملازم كما كنى في التي قبلها عما ينصرف بالملازم (وأما الهاء التي إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل) فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صياغة وصياغة فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء به لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية تحف بهذا السبب وصرف لهذه العلة ، وقد كنى هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم (وأما السبب التي تمزج العامل من غير أن تجامل) فهي التي تدخل على العمل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من أدوات الصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للعمل إلى أن تصير الخففة من الثفيلة ، وذلك كقوله تعالى - علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون (وأما المنصوب على الظرف الذي لا يجمعه سوى حرف) فهو ضد إذ لا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت إلى عنده لحن (وأما المضاف الذي أدخل من صرى الاضامة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدرة) فهو لدن ولدن من الأسماء الملازمة للاضامة وكل ما يأتي بعدها مجرور بها إلا غدوة ، فإن العرب صببتها بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام ، ثم نوتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف ، وعند بعض النحويين أن لدن معى عند والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على مامو في ملكك ومكنتك مما دنا ملك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرت منك (وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله) فهو يا ومعكوسها أى وكلتاها من حروف النداء وعملهما ما في الاسم للمادى بيان وإن كانت يا أجول في الكلام وأكثر في الاستعمال وقد احتار بعضهم أن ينادى بأى القريب فقط كالهزة (وأما العامل الذي نالته أرحب منه وكرا ، وأعظم مكرأ ، وأكثر لله تعالى ذكراً) فهو باء القسم وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك : أقسم بالله ، ولدخولها أيضا على المضمر كقولك بك لأفعلن ، وإنما أبدلت الواو منها في القسم لأنها من حروف الشفاه ، ثم لتقارب معانيها لأن الواو تفيده الجمع والباء تفيده الالصاق ، وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان ، ثم صارت الواو المسدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ، ولهذا ألزمت بأها أكثر لله تعالى ذكراً . ثم إن الواو أكثر موطناً من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواز تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف ، فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر (وأما الموطن الذي يلبس به الذكر أن براغ النسوان وتبرز فيه وبات الحجال نعمائم الرجال) فهو مراتب العدد المضاف ، وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفتها كقوله تعالى - سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام - والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة ، وطام وطالمة ، وقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد فالبه وبرز في بزة صاحبه (وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المصروب والضارب) فهو حيث يشقه الفاعل بالفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيها أو في إحداها ، وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وهيسى أو من أسماء الإشارة نحو ذاك ، وهذا فيجب حينئذ لازالة اللبس لإقرار

وَأَعْتَقِدْ أَنِّي فِي « نَمَّ » كَمَنْ خَطَّ فَسَطَرَ

كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منها بتقديمه والمفعول بتأخره (وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو بالاختصار منه على حرفين) فهو مهمما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى أكفف ومن ما ، والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت عليها ما أخرى كما تزداد ما على أن ، فصار لفظها ما ما ، فتقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهمما ، ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى اعظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدهما كقولك مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملتزما للفعل ، وإن اقتضت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى أكفف فهم المعنى وكنت ملتزما من خاطبته أن يكف (وأما الوصف الذي أردف بالنون نفس صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون) فهو ضيف إذا لحقته النون استحالة إلى ضمين وهو الذي يتبع الصيف وينزل في التقيد منزلة الزيف .

ومن الأعيب الحريري قوله في مقامة أخرى — مما يقرأ طردا وعكسا في مقامته المغربية :

« لم أحامل ، كبر رجاء أجر ربك ، من يرب إذا بر ينم ، سكت كل من نم لك تكس » وقوله :

« أس أرملأ — إذا عرا وارغ إذا المرء أسا
أسند أبا نبامة أبين أخاء دنسا
أسل حناب عاشم مشاغب إن جلسا
أسر إذا هب مرا وارم به ، إذا رسا
اسكن تقو ، فعمى يسف وقت نكسا . »

المقامة القهقرية

وقوله في مقامته القهقرية :

« أتمرفون رسالة أرضها ساؤها ، وصحبها مساؤها ، نسجت على منوالين ، وتحلت في لوزين ، ووصلت إلى جهتين ، وبدت ذات وجهين .

إن بزغت من مصرقها ، فهايك بروقها ، وإن طلعت من منربها ، فيا لعجبها »

وهذه الرسالة التي تقرأ من أولها كما تقرأ من آخرها هي :

« الانسان صنيفة الأحسان ، ورب الجليل عمل الندب ، وشيعة الحر ذخيرة الهد ، وكسب الشكر استثمار السعادة ، وعنوان الكرم تبشير البشر ، واستعمال المداراة يوجب المصافاة ، وعقد المحبة يقتضى النصح وصدق الحديث حلية اللسان ، ودهاحة المنطق سحر الأبواب ، وشرك الهوى آفة النفوس ، وملل الحلائق شين الحلائق ، وسوء الطمع يابن الورع ، والتزام الحزامة زمام السلامة ، وتطلب المثالب شر المايب ، وتتبع العثرات يدحض المودات ، وخلوص النية خلاصة العطية ، وتهبئة النوال ثمن السؤال ، وتكلف الكلف يسهل الخلف ، وتيقن المعونة يسهل المؤونة ، وفضل الصدر ، سعة الصدر ، وزينة الرعاة وقت السعاة ، وجزاء المدائح بنت النائح ، زهر الوسائل ، تشفيح المسائل ، ومجلبة الغواية استغراق العاية ، وتجاوز الحد ، يكمل الحد ، وتمدى الأدب ، يحبط القرب ، وتناسى الحقوق ، ينشئ المقوق ، وتحاشى الرب ، يردع الرتب ، وارتفاع الأخطار ، لاقتحام الأخطار ، وتنوؤ الأقدار ، بواتاة الأقدار ، وشرف الأعمال ، وتقصير الآمال ، وإطالة الفكرة ، تنفيح الحكمة ، ورأس الرياسة ، تهذيب السياسة ، ومع اللجاجة ، تلتنى الحاجة ، وبعد الأوجال تنفاضل الرجال ، وتتفاضل الهمم تتفاوت القيم ، ويتزيد السفير ، بين التدبير ، وبخل الأحوال تنبئ الأحوال ، ويعوجب الصبر ثمرة الصبر ، واستحقاقه الاحاد بحسب الاجتهاد ، ووجوب الملاحظة ، كفاء الملاحظة ،

وَتَيَقِّنْ أَنْ مَا يَنْفَكُ أُنْزَسَوْفَ يَقْدَرُ

وصفاء الموالى ، بتمهد الموالى ، وتحلى المروءات بحفظ الأمانات ، واختيار الاخوان بتعفيف الأحزان ، ووقع الأعداء بكف الأوداء ، وامتنعان العتلاء بمقارعة الجهلاء ، وتبصر العواقب يؤذن المعاطب ، واتقاء الشنعة ينشر السمعة ، وقبح السمعة ، وقبح الجفاء يناق الوفاء ، وجوهر الأحرار عند الأسرار . «
 وقوله من خطبة لا نقط فيها ولا إنعام - في مقامته السمرقندية : -

« الحمد لله المدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللاواء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم ، وأهل السباح والكرم ، ومهلك عاد وإرم ، أدرك كل سر علمه ، ووسع كل مصر حلمه ، وعم كل عالم طوله ، وحد كل مازد حوله ، أحده حمد موحد مسلم ، وأدعوه دطاء مؤمل مسلم ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد ، العادل الصمد ، لا ولد له ولا والد ، ولا رد معه ولا مساعد ، أرسل محمداً للسلام بهذا الخ »
 وفي مقامته المراهية - رسالة ، « بحروف إحدى كتبها يمها النقط وحروف الأخرى - كما يقول - لم يعجمن قط » وهي :

« الكرم - ثبت الله حبش سمودك - يزين ، والثوم - غنث الله جفن حسودك - يشين . والأروع يثيب ، والممور يحيب ، والحلال يعيب ، والمائل يخيف ، والسبع يبدى ، والحك يقدى ، والعطاء ينحى ، والمطال يشحى ، والدطاء تقي ، والمدح يقي ، والحمر يحمرى ، والاعطاء يحمرى ، واطراح ذى الحرمة غنى ، وبحرمة نبي الآمال نفي ، وماض إلا صين ، ولا بين إلا ضنين ، ولا خرن إلا شقي ، ولا قبض راحة تقي ، وما تقي وعندك بين ، وآراؤك تشسى ، وهلاكك يفضى ، وحلمك يفضى ، وآلاؤك تهي ، وأعداؤك تنى ، وحسامك يفتى الخ . »

وله رسالة سينية كتبها - على لسان بعض الأمراء - إلى بعض أصدقائه كتاباً :
 باسم السميع القدوس أستفتح ، وباسماده أستفتح ، سيرة سيدنا الأسفهملآر ، السيد الفيس ، سيد الرؤساء ، سيف السلامين ، حرست نفسه ، واستقارت شمس ، وانسق أسه ، وبقى ثرسه .
 إلى أن يقول :

« وسيف السلاطين مسأثر بأس الجماع وحسو الكؤوس
 سلاقي ، وليس لباس السلاطين يناسب حسن سمات الفيس
 وسن تناسي حلاسه وأسوا السجايا تناسي الخليس
 وسر حسودى نظمى الرسوم ، وطس الرسوم كرمس النفوس
 وساقى الحسام بكأس السلاف ، وأسهمى بعوس وعوس . »

إلى آخر القصيدة .

ورسالة شبيهة ، وهي التي كتبها لأحد أصدقائه يمدحه فيها ، وفيها يقول :
 « بارشاد المدنى أنتهى ، شوق بالشبح شمس اشعراء ، رش معاشه ، ومشا ريشه ، وأشرق شهابه ، واعشوشبت شعابه ، بشاكل شعف المنقى بالنشوى ، والرائقى بلرشوى ، والشادن بشرخ الشباب ، والمعطشان إلى شيم الشراب ، وشكرى لتجشمه ومشفته ، وشواهد شمه ، بشاكل شكر الناشد للمنشد ، والمسترشد للمرشد ، والمستشعر للبشر ، والمستحبش للعبش المشمر ، وشعارى إنشاد شعره ، وإشجابه الكاشح والمكاشح بنشره »

وهكذا إلى أن قال :

« بأشعاره مشهورة ، ومشاعره وعشرته مشكورة ، وعشائره
 شأى الشعراء المشعابين شعره ، وشأيه مشجوا الحشا ، ومشاعره
 وشوه ترقيش المرتش رقته ، فأشباعه يشكونه ، ومعاشره



إلى المعتمد على الله

« وكتب أيضا رجه الله إليه أيده الله . »

يَأْتِيهَا الظَّافِرُ نِلْتِ الْمَنَى وَلَا يَنْلِنَا فِيكَ مَحْذُورُ
إِنَّ أُلْحِلَالَ الزُّهْرَ قَدْ ضَمَّهَا نَوْبٌ عَلَيْكَ الدَّهْرَ - مَزْرُورُ
لَا زَالَ الْمَجْدِ الَّذِي شِدَّتَهُ رَبْعٌ - بِتَعْمِيرِكَ - مَعْنُورُ
حَتَّى يُوفَى فِيكَ مَا يَبْتَغِي مُعْتَضِدٌ بِاللَّهِ مَنْصُورُ

* * *

وَأَفَاكَ نَظْمٌ - لِي فِي طِيَّةٍ - مَعْنَى مُعَمَّى الْأَفْظِ مَسْتُورُ
مَرَامُهُ يَضْعُبُ ، مَا لَمْ يَبْحُجْ - بِالسَّرِّ - قُمْرِي ^(١) وَعُصْفُورُ
وَبُلْبُلٌ ، ثُمَّ يَكْرَهُ اللَّذَا تَقَدَّمَ ، فَالْأَفْظُ مَكْرُورُ
ثُمَّ تَرَى الْبُلْبُلَ قَدْ حَمَّهْ نَسْرٌ ، بِهِ الشَّفَيْنِ ^(٢) مَسُورُ
ثُمَّ الْغُرَابُ الْجَوْنُ ، يَتْلُوهُ قُمْرِيٌّ وَدَرَّاجٌ وَزَرَّورُ

وشاق الشباب الشم والشب وشيه ، فنشوره بشرى المشوق، وناشره
شماؤه معشوته - كشموله - وشريبه مستبشر، ومعاشره . «

إلى آخر القصيدة .

(١) القمري : طائر حسن الصوت - ويجمع على قماري - ويقال للذكر منه : الورشان .

قال ابن سيده : « القمري طير صغير » وعده - في النحيم - من ا-ام .

وقد زعموا أن القماري - إذا ماتت دكورها - لم تتزوج إناثها .

والورشان - الذي هو ذكر القمري - يوصف بالحنوء على أولاده ، حتى أنه ربما نزل نفسه إذا رآها في يد القانص ، وقد صرّ بك في « ص ١٠٧ » قول ابن زيدون :

« إن أتني البلبل اهتا ج غناء الورشات »

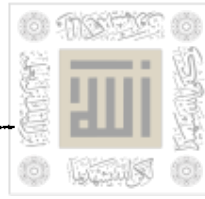
(٢) الشفنين - كما في حياة الحيوان وابن البيطار - نوع من الحمام ، دلوا : وهو الذي تسميه العامة

باليمام « وجمه شفانين .

ثُمَّ يَلِي الدَّرَاجُ (١) - مِنْ بَعْدُ غِرِّ نَيْقٍ (٢) - وَمُكَاةٍ (٣) وَشُرْشُورٍ (٤)
 وَبَاشِقٍ، ثُمَّ إِذَا حَلَقَ الشَّاهِينُ - وَالْمُصْفُورُ مَذْعُورٌ -
 ثُمَّ سَلَى الْمُكَاةَ يَصْدُقُكَ، وَالْمُصْفُورَ، وَالْقُمْرِيُّ مَزْجُورٌ
 وَإِنْ جَرَى الدَّرَاجُ - فِي إِثْرِهِ - زَرْزُورٌ - فَلَمَطُويٌّ مَذْشُورٌ
 وَثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ مَوْضُوعَهَا حَرْفٌ، لِفَصْلِ اللَّفْظِ مَقْدُورٌ
 وَفِي الَّذِي عَمَّسَتْ نُصْحٌ، لِمَنْ جَدَّ - مِنَ الْأَعْدَاءِ - مَشْكَورٌ (٥)

- (١) الدراج - يضم الدال - طائر ظاهر جناحيه أعبر ، وباطنها أسود - في حجم الفطا إلا أنه أطف .
 والملاحظ بيده من جنس الحمام ، لأنه يجمع بيضه تحت جناحه كما يفعل الحمام .
 قالوا : وهو كثير النجاج يبشر ، بقدم الربيع ، وهو يصلح بهبوب الشمال وصفاء الهواء ، ويسؤ حاله
 بهبوب الجنوب ، حتى لا يقدر على الطيران .
 (٢) الفرنيق أو الفرنوق : طائر مائي ، وقيل هو الكركي أو طائر يشبهه .
 قالوا :
 وهو دون الحمام - في المقدار - ولونه الحمرة مع كورة ، وفي صوته ترجيع وتحزين .
 ومن شأنها أنها تحسن أسواتها - إذا اختلطت - ومن طبعه أنه إذا فقد أنثاه لم يزل - فيما يزعمون -
 أعزب إلى أن يموت ، وكذلك الأني إذا فقدت ذكرها .
 قالوا :
 وهو شديد الاحتراس ، وفيه أعة للبيوت .
 (٣) المكاة : طائر . (٤) الشرشور : طائر يسمى : « البرنقش » وجمه شراشير .
 (٥) والبيت المطير في هذه القصيدة هو :
 « أنت - إن تمر - ظافر فليطع من ينافر . »
 ولصع في الجدول التالي أمام كل حرف طائرة على الترتيب الذي ذكره في القصيدة هكذا : -

الحرف	التأثر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	التأثر
أ	قرى	غ	نر	ف	دراج	ن	عصفور
ن	عصفور	ز	شفتين	ل	غرنيق	ى	مكاة
ت	بلبل	ط	غراب	ى	مكاة	ن	عصفور
ا	قرى	ا	قرى	ط	شرشور	ا	قرى
ن	عصفور	ف	دراج	ع	باشق	ف	دراج
ت	بلبل	ر	زرزور	م	شاهين	ر	زرزور



جواب (١)

« جأوبه ذو الوزارتين رحمة الله . »

حَظِّي - مِنْ نِعْمَاكَ - مَوْفُورٌ وَذَنْبُ دَهْرِي بِكَ مَغْفُورٌ
وَجَانِبِي - إِنْ زَمَنِي رَامَهُ - حَجْرٌ (٢) لَدَى ظِلِّكَ مَحْجُورٌ

* * *

يَا ابْنَ الَّذِي سَرَبُ الْهُدَى آمِنٌ مِنْذُ أَنْبَرِي يَحْمِيهِ مَوْفُورٌ

وليعلم الفارسي أن الشاهين في قوله : « ثم إذا خلق الشاهين . » ساقط ليس له حرف هاء كغيره من طيور الفصيدة ، وقد أشار إليه بقوله :

« وتم فاعلم أن موضوعها حرف لفصل اللفظ مقدور . »

وقد فكك المعتمد ، وجأوبه بالقصيدة التالية :

« يا خير من يلحظه ناظري ، شهادة ما شابها زور
ومن إذا ما ليل خطب دجا لاح به - من رأيه - نور
رأبك - إما شمته - صارم عصب على الأعداء معهور
جاءتني الطير التي سرّما نظم به قلبي مسرور
شمر هو السحر فلا تنكروا أتى به - ماعشت - مسحور
اللفظ والقرطاس - إن شباها - قيل هما مسك وكافور
وإنه لما اعتدى خاطري مسائل جأوب عصفور
هو لبيش الطير من فكرتي صقر فولي وهو مقهور
ولاح لي بيت فؤادي له دأبا على ودك مقصور
حظك من شكري يا سيدي بما بدا لي منك موفور
تصرت في نظمي فاعذر فن صاهاك في التقصير معذور
فأنت إن تنظم وتثر بقه أعوز مظلوم ومشرور
لا يعدمكم روض من الحظ في ال إكرام والترفيح محطور . »

(١) بحث ابن زيدون بهذه القصيدة للمعتمد ردا على قصيدته التي ذكرناها في هذه الصفحة .

(٢) الحجر الكسف أو الحرام ، يقال : « هذا حجر عليك » أي حرام و « نشأت في حجر بلان »

أي في كنفه ومنعته وحفظه وستره .



أَجَبْتِ أَمْرِي بِالَّذِي لَمْ يَزَلْ
 يُصْغِي إِلَيْهِ مِنْهُ مَأْمُورٌ
 الْبِسَ مِنْكَ الْمَلِكُ أَسْنَى الْحَلِي
 بِظَافِرٍ يَنْمِيهِ مَنْصُورٌ

* * *

يَا مُرُويَ الْمَأْمُورِ ، يَا نَنْ لَهُ
 عَبْدُكَ - إِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهِ -
 إِنْ تَعَفُّ عَنْ تَقْصِيرِهِ مُنْعِمًا
 إِنْ حَلَالَ السَّحْرِ - إِنْ صُعِقَتْهُ -
 نَظْمٌ زَهَانٍ مِنْهُ إِذْ جَاءَ فِي
 هَوَى إِلَيْهِ طَرَبًا خَاطِرِي
 لَا غَرَوْ أَنْ أُفْتِنَ إِذْ لَاحَظْتَ
 تَشَفَّ عَنْ مَعْنَاهُ الْفَاطَهُ
 جَهَلْتُ - إِذْ عَارَضْتُهُ - غَيْرَ أَنْ
 مَجْدٌ - مَعَ الْأَيَّامِ - مَأْمُورٌ
 فَهُوَ بِمَا تَوْلِيهِ مَشْكُورٌ
 فَالَسَّرُوا^(١) أَنْ يُقْبَلَ مَيْسُورٌ
 فِي صُحُفِ الْأَنْفُسِ مَسْطُورٌ
 عَلِقَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَذْخُورٌ
 كَمَا تَلَقَى الْوَصْلَ مَهْجُورٌ
 فِكْرِي مِنْهُ أَعْيُنُ حُورٌ
 كَمَا وَشَى بِالرَّاحِ بَلُورٌ
 لَا بُدَّ أَنْ يَنْفُتُ مَصْدُورٌ

* * *

يَا آلَ «عَبَادٍ» مُوَالَاتِكُمْ ،
 إِنْ الَّذِي يَرْجُو مُوَادَاتِكُمْ
 مَكَانَهُمْ مِنْكُمْ كَمَا مُحِطٌ عَنْ
 يَدْنُو إِلَيْكُمْ مَا نَأَى عَنْكُمْ
 لَا زِلْمٌ تَشَاوَنَهُمْ مَا أُنْجَلِي
 وَلَا يَزَلْ يَجْرِي - بِإِبْرَائِكُمْ
 زَائٍ - مِنَ الْأَعْمَالِ - مَبْرُورٌ
 - مِنَ الْمُنَاوِينَ - لَمْعُورٌ
 مَنزِلَةُ الْمَرْفُوعِ - مَجْرُورٌ
 إِنْ الْعُلَى مِنْ أُنْسِهِ نُورٌ
 - عَنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ - دَيْجُورٌ
 أَعْمَارُهُمْ - لِلَّهِ مَقْدُورٌ

(١) السرو: المروءة والعرف .

إلى المعتمد

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أيداه الله . »

يَا مُرْضِيًّا كُلَّ مَخْدَمٍ وَمُرْوِيًّا كُلَّ لَهْدَمٍ
 وَيَا سَمِيَّ الْمَصَلَّى عَلَى أَسْمِهِ وَالْمَسَلَمِ
 وَيَا ابْنَ أَعْظَمِ مَنْ هَا بِهِ الْمُلُوكُ وَأَكْرَمِ
 وَفَاكَ - لِلطَّيْرِ - سِرْبٌ لَدَيْهِ سِرٌّ مُكْتَمِ
 إِنْ تَسْأَلِ الطَّيْرَ عَنْهَا مُسْتَعْلِمًا مِنْهُ تَعْلَمِ
 وَالذَّمْرُ وَالرَّهْوُ (١) يُذْبِيكَ وَالظَّلِيمُ (٢) الْمَصْلَمِ

(١) الرهو : الكركي ، وهو - كما جاء في صبح الأعشى - طائر أعبر طويل الساقين في قدر الأوزة ، ويجمع على كراكي ، وفي طامه خور يحمله على التحارس ، حتى إنه إذا - اجتمع جماعة من الكراكي - يحرصها بالنوبة بيثها ، ومن شأن الذي يحرص منها ، أن يهتف بصوت حر ، كأنه يندب بأنه حارس . فإذا قضى نوبته قام واحد من كان نائما يحرص مكانه حتى يقضى كل منها نوبته من الحراسة ، ولا تطير متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد منها - كالرئيس لها - وهي تنبهه ، يكون ذلك حيا ، ثم يخلنه آخر منها مقدما حتى يصير الذي كان مقدما مؤخرا ، وفي طيها التناصر والعاقد ، ومن خاصتها أن أنشأها لانقعد للسفاد بل يسدها - وهي قائمة - ويكون سفاده مربعا كالمصفور .

وقال القزويني - في عجائب المخلوقات :

والكركي لا يتشى على الأرض إلا باحدى رجليه ، ويعلى الأخرى ، أو يسدها وضعا خفيما بحاجه أن تخسف به الأرض .

قال - في « المصايد والمطارد » :

وهو من أهد الطير صرنا يسمع على أذيال .

قالوا : وكانت الكراكي تأتي إلى مصر من بلاد الترك ، وفي طليها وصيدها كانت تتألى ملوك مصر ثقالا لا يدرك حده ، وتنفق في ذلك الأموال الجمة .

(٢) الظليم - ذكر النمام - وقد جاء في صبح الأعشى - في مغرض الكلام عن النمام - قوله :

« هو طائر معروف ، مركب من صورتين جبل وطائر ، ولذلك تسميه الترك « دواش » بمعنى « طير

جبل » وتسميه الفرس « اشتر مرك » ومعناه « جبل طائر » ويسمى ذكر النمامة : الظليم . قالوا :

ومساكنها الرمل ، وانفسع بيضا سطرأ مستطيلا ، بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحسدة منها عن

الأخرى ، ثم تعطى كل بيضة منها نصيبها من الحصن ، لأنها لا تستطيع ضم جميع البيض تحتها .

ثُمَّ الْهَدِيدُ^(١) تَلِيهِ حَمَامَةٌ تَتَرْتَمُ
 إِلَى عُقَابَيْنِ تَدْعُوهُمَا الظَّلِيمِ فَيَفْتَهُنَّ
 ثُمَّ الْعُقَابُ^(٢) مَعَ الصَّقْرِ، فَهُوَ بِالشَّرْحِ أَنْعَمَ
 وَالرَّالُ^(٣) وَالرَّهْوُ وَالْقَبِيحُ^(٤) فَالثَّلَاثَةُ حَوْمٌ
 ثُمَّ الْعُقَابُ فَسَلَّهُ وَالصَّقْرُ لَا يَتَلَعَّمُ

- وإذا خرجت للطعم ، فوجدت بيض نعامة أخرى حضته ونسيت بيضا فربما حضت هذه بيض هذه .
 ولذلك توصف - في الطير - بالمتقى .
 ويقال : إنها تقسم بيضا أثلاثا ، فذه ماتحضنه ، ومنه ماتحمله غذاء لها ، ومنه ما تفتحه وتحمله في الهواء حتى يتولد فيه ادود فتغدى به أمراخها إذا خرجت . قالوا :
 « وليس للنعام حاسة سم - مع ، ولكنه قوى الشم ، يستغنى بشمه عن سواهه . حتى يقال : أنه يشم رائحة القاس من بعد . وفي أساطير العرب :
 أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فتطموا أذنيها .
 ومن خصائصها أنها تتلعق العظم الصلب والحجر فتذيه معدتها .
 (١) الهديل ذكر الحمام ، قال أبو العلاء في دالته المشهورة :
 « يا بنات الهديل : أسعدن أوعدن قلب البكاء بالاسعاد . »
 (٢) العقاب : طائر من الجوارح تسميها العرب بالكاس ، قيل العقاب سيد الطيور والنسر حريفها
 وتقول العرب : « أبصر من عقاب » قال ابن دريد في مقصورته الرائجة :
 « فاستنزل الرياء - قسرا - وهي من عقاب لوح الجو أعلى منمنى . »
 وقد جاء في صحح الأعمش : أن العقاب مؤنثة لا تذكر ، وتجمع على عقبان وأعتب .
 وجاء في « المصايد والمطارذ » قوله :
 « وهي من أعظم الجوارح ، وليس بعد النسر في الطير - أعظم منها وأصل لونها السواد . »
 فنها سوداء دحوجية ، وخدارية - وهي التي لا يبيض فيها - ومنها البقعاء - وهي التي يخالط سوادها
 بياض - ، ومنها الشقراء وهي التي في رأسها نقط بياض - قال « أبو عبيدة » و « يونس » :
 « ويقال لذكر العقاب « القرن » ويقال إن ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجرم لانسأوى شيئا ،
 تلعب بها الصبيان » والعقاب من أسرع الطير طيراما . (ارجع إلى صحح الأعمش - ٢ ص ٥٣)
 (٣) الرأل : ولد النعام ، قال أبو العلاء :
 « قد كنت قلت - في كلام لي قديم - إنني قد هجرت الشعر هجر الرأل تركته . »
 (٤) الفبيح : والكروان ، معرب « كبيح » بالعارسية وهو طائر في قدر السحابة طويل الرحلين
 حسن الصوت لا ينم الليل .

إِلَى حُبَارَى^(١) وَبَارِ
وَحَالِكِ اللَّوْنِ أَعْصَمِ^(٢)
ثُمَّ السَّمَامِ^(٣) مَعَ الرَّا
لِ كَيْ يَبُوحَ الْمُجَنَّمِ^(٤)
إِلَى عُقَابٍ وَرَهْوِ
يُفْصِحُ بِمَا شِئْتَ أَسْنَمِ
وَمَا الظَّالِمِ بِآلِ
فَلَوْ زَجَرْتَ لَتَرْجَمَ
ثُمَّ العُقَابُ سَيُوحِي
لِلصَّعْرِ لَا تَتَكَلَّمُ
وَعَقَمْتُ وَهَدَيْتُ
وَتَمَّ فَضْلُهُ كَمَا قَدْ
يَا مُلْبِسَ الدَّهْرِ وَشِيَا
عَمِدَتْ فِيمَا تَقْدَمُ
مِنَ الْجَمَالِ مُنْتَمِ
إِسْلَمَ سَنِيَّ الْأَمَانِي
مُوزَرَ النَّصْرِ مُطَمِّمِ^(٥)

- (١) الحبارى : طائر - يقع على الذكر والأنثى - قالوا : « ويصرب به المثل - وى البلامة والحق يقال : « هو أبله من الحبارى » قبل ذلك لأنها إذا غيرت عشمها ذهلت وحصنت بيض غيرها .
- (٢) الأعصم : الظلي . قال ابن دريد :
« لو ناجت الأعصم لانحط لها - طوع القياد في شها ريج الذرى . »
وجمه عصم ، قال الشاعر :
- « واديتنى حتى - إذا ما فتنتنى بقول يحل العصم سهل الأباطح
تأهيت عنى حين - لالى حيلة - وعادرت ما عادرت بين الجوامح . »
- (٣) السمام : ضرب من الطير ، واحده سمامة .
- (٤) المجنم : الذى لا يفهم ، قال الممرى :
- « ججم هذا الزمان قولا وكلنا يرتجى بيانه . »
- (٥) « بيت الطير - فى هذا الشعر - هو :
« أهلك عدوك ، واسلم ، واظفر بيدوك - وانم . »
وقد فكه المتمد .



بيت مطير

« وكتب اليه المعتمد أيده الله

يا سيدي يا معدن العلم

يا آله للحرب والسلام

وجه طيور الشعر نحوى فقد

بث فؤادي شرك الفهم

فبعث اليه بيت مطير وجاوبه رحمه الله . »

يا ابن البُدُورِ الزُّهْرِ مِنْ لَحْمِ	أَلْحَقْنِي بِرِثْكَ بِالنَّجْمِ
بِالْعِلْمِ زَيْنَ الْبُرْدِ بِالرَّقْمِ	يَا لَأَبْسَ الْمَجْدِ الَّذِي زَانَهُ
شَافَهْتُ تِلْكَ الْكَفَّ بِاللَّئِمِ	قَدْ لَثِمْتَ كَفِّي الدَّرَارِيَّ مَذُ
يَمْضِي مَضَاءَ الْقَدَرِ الْحَئِمِ	قُلْدَ مِنْكَ الْمُلْكُ عَضْبَ الظُّبَا
وَحَدُّهُ مِنْ نَافِذِ الْعَزْمِ	فِرْنْدُهُ الرَّقْرَاقُ مِنْ بَشْرِهِ

* * *

مُؤَلَّفَ الْأَوْثُلُوْ فِي النَّظْمِ	قَدْ جَاءَ نِي النَّظْمِ الَّذِي خَلْتُهُ
فِي غُفْلِ حَالِي رَائِقِ الْوَسْمِ	حَلَيْتَنِي مِنْهُ بِفَتْخَرِ يُرَى
يَصِيدهَا فِي شَرِكِ الْفَهْمِ	مُسْتَدْعِيَا طَيْرِ الْمَعْمَى لِكَيْ
يَسْتَخْرِجُ الْإِفْصَاحَ مِنْ عَجْمِ ^(١)	فَهَاكَمَا تُهْدَى إِلَى خَاطِرِ

(١) البيت للمطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن تفر ظافر دليطع من ينافر . »



والبيت المطير

إِظْفَرَ كَمَا أَنْتَ ظَافِرٌ بِكُلِّ غَاوٍ مُنَافِرٍ

وطير له أيدى الله يبتين وهما

«شعر من محض وده»

لك في علم طيره

فهي مهما زجرتها

لم تخبر بغيره . «

ففكهما وجاوبه رحمه الله

أَيْهَا الْمَاجِدُ الَّذِي خَيْرُهُ وَفَقُّ خَيْرِهِ

وَالَّذِي سَيْرٌ مُشْتَرِيٌ أَفْقًا دُونَ سَيْرِهِ

مَلِكٌ صَحَّحَ - مِنْ أَدِيمِ - الْهُدَى - قَدْ سَيْرِهِ

فَهُوَ - الدَّهْرَ - نَقْمُهُ حَاضِرٌ ، دُونَ صَيْرِهِ

* * *

يَا لِلَّيْلِ سَمَّيْتُ مِنْ سَهْرِي فِي قَيْرِهِ ؟

عَزَّ - فِي وَهْنِهِ - مَرَا مٌ عَتَا فِي سُحَيْرِهِ

«شعر من محض وده» لك في علم صَيْرِهِ

فهي - مهما زجرتها - لم تُخبر بغيره



جواب على بيت مطير

« قال يمدح المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن
 المعتضد بالله وعباد بن محمد بن عباد ، أدام الله
 تأييده ، في حياة أبيه - وكان قد عمى له بيتا :
 « الحاجب الأعلى العضد قرّة عين المعتمد »
 ففكّه - أيده الله - وجاوبه بأربعة أبيات ، وهي :

يا سيدي ، الأعلى ومن
 أعدده أقوى العدد
 حلت طيورك بي ، وقد
 قرّبت منها ما بعد
 كاشفتنا عن سرّها
 فوشى إلىّ بها الصرد
 بيتا يدلّ على اعتقا
 دك يا جيل المعتقد
 الحاجب الأعلى العضد
 قرّة عين المعتضد
 جابوبه ذو الوزارتين بقصيدة ، وهي :

لَوْ أَنَّ مَنْ جَارَ قَصَدُ	لَمْ يَجْزِ - عَنْ وَصَلِي - بِصَدُّ
سَيِّئُ عَهْدٍ - أَرْخَصَتْ	عَيْنَاهُ فِي قَتْلِي الْعَمَدُ
مَالِكُ سُلْطَانِ الْهَوَى	أَمْنَهُ مِنْ الْقَوْدِ (١)
مُخَلَّدٌ خَلَّدَ - بَرَّ	حَ الشَّوْقِ - فِي كُلِّ خَلَّدُ
وَعُرُّ الرِّضَى ، لِحُبِّهِ	نَهَجٌ - إِلَى قَلْبٍ - جَدَّدُ

(١) القود : الدية .

قَاسٍ إِذَا مَا قِيلَ : « أَبْلَى حُلَّةَ الْهَجْرِ » أَجَدُّ
 أَوْ قُلْتُ : « قَدْ هَبَّ نَسِيمُ الْوَصْلِ لِي مِنْهُ » رَكَدُ
 مَا كُنْتُ أَبِي صَدَّهُ لَوْ أَنَّ سُئِلُوا نِيَّ صَدُّ

* * *

فِتْنَةٌ وَجِدٌ ، هِيَ كَأَلْفِ فِتْنَةٍ فِي الْعَجَلِ الْجَسَدِ
 غَيْرٌ مُبِينٍ ، طَرْفُهُ يَعْصِفُ بِالْخَضَمِ الْأَلَدِ
 عَصَفَ « أَبِي الْقَاسِمِ » بِالْقَتْلِ إِذَا الْقَتْلُ مَرَدُ
 الْحَاجِبِ الْأَعْلَى الَّذِي لَوْ مَا جَدَّ الشَّمْسَ مَجْدُ
 مَحْضُ الثَّقَى ، عَفَّ الْهُوَى غَمْرُ النَّدَى ، صَدَقُ الْجَلْدُ
 رَكِينُ طَوْدِ الْحِلْمِ إِنْ حُبَاهُ فِي النَّادِي عَقْدُ
 مُوَفَّقُ الْأَنْحَاءِ مَا دَ فِي أُسَالِيبِ الرَّشْدِ
 لَوْ قَصَّ كُنْهَ جُودِهِ لِلْبَحْرِ وَاقِي ، فَاسْتَمَدَّ
 مُؤَمَّلٌ - مَعَ الرَّضَا - يَهَابُ فِي حِينِ الْبَعْدِ
 إِنْ قُلِدَ الْأَمْرَ كَفَى وَإِنْ تَوَلَّى الشُّعْرَ سَدُّ
 مَا هِ سَمَاحٍ فَاضَ فِي تَجْرٍ ذَكَاءٍ فَاتَّقَدُ
 يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، يَا وَمَنْ - بِفَضْلِ اللَّهِ - حَا
 زَ النَّصْرَ فِي جِدِّ وَجَدُّ

(١) وفي الأصل :

يا عضد الدولة يا من يباريه اعتمد . «

أَصْبَحَ أَغْلَى وَالِدٍ فَأَوْقَهُ أَسْنَى وَلَدٍ
 حَدَّثَنَا عَنْ سُرُوهِ (١) نَاهِيكَ مِنْ قُرْبِ سَنَدٍ

* * *

مَلَكٌ - إِذَا نَحْنُ أَعْتَمَدْنَا مِنْهُ أَوْفَى مُعْتَمَدًا -
 تَهَلَّلَتْ شَمْسُ جَبِينٍ وَأَسْتَهَلَّتْ مُزْنَ يَدِ
 مُمَحَّصُ الدَّهْرِ الَّذِي أَصْلَحَ مِنْهُ مَا فَسَدَ
 وَعَاضِدُ الدِّينِ الَّذِي قَدْ كَانَ - قَبْلُ - يُضْطَهَدُ
 وَنَاصِرُ الْعِلْمِ الَّذِي تَفَقَّهُ لَمَّا كَسَدَ
 مَنْ لَمْ يَعِدْ إِلَّا وَفَى، وَلَا وَفَى إِلَّا وَعَدَ
 شَاوَرِينَ - فِي أَمْرِهِ - شَيْعَانُ لَوْ شَاءَ اسْتَبَدَّ
 يَخْشَى الْعَدُوَّ مِنْهُ عَزَّ مَ قَسْوَرٍ شَاكِي الْأَبَدِ
 سَمَّحٌ لَهُ - مَهْمَا عَنَا - فَظٌّ عَلَيْهِ إِنْ عِنْدَ
 كَالسَّيْفِ - فِي حَالِيهِ - إِنْ رَاقَ فَرِيْدُهُ رَاعٍ حَدُّ
 يَا مُهْدِي السَّمَطِ الَّذِي قُلْدَتُهُ فَخْرَ الْأَبَدِ
 أَحْسَنُ مِنْ رَقْمِ عِدَا رِ سَائِلٍ فِي وَشِي خَدِّ
 أَوْ مَبْسِمِ حُلُوِّ اللَّمَّا يَفْتَرُّ عَنْ عَذْبِ بَرْدِ

(١) السرو : المرءة : والفرع ، وفى الأصل : « حدثنا عن سروة »

إلى المعتد

قَدْ قُلْتُ - لَمَّا هَزَّنِي مِنْهُ الْبَدِيعُ الْمُفْتَقِدُ -
 « نَسِيمُ أُيُولِ سَرَى أَمْ وَرْدُ نَيْسَانَ وَرْدُ »
 خَاطِرِي السَّهْمُ وَشَى بِسِرِّ طَائِرِي لِأَلْصَرْدُ
 وَفِطْنَةُ تَأَلَّفَتْ - مِنَ الْمُعْتَى - مَا شَرْدُ
 شَنِشِنَةُ أَعْرِفَهَا فِي شِبْلِ مَلِكٍ مِنْ أَسْدُ

يَا آلَ « عَبَادِ » مِثَا لُ لَيْسَ يَعْدُوهُ السَّدْدُ
 مَنْ لِي بِشُكْرِ نِعْمَةٍ ، الْحُرُّ عَنْهَا مُعْتَبِدُ
 سَوَّغْتُ مِنْهَا الْعِزَّةَ الْقَعَسَاءَ فِي الْعَيْشِ الرَّغْدُ
 حَيْثُ اسْتُضِيفَ مَنَهْلُ صَفَا إِلَى ظِلِّ بَرْدُ
 كَأَنَّهَا لِي جَنَّةٌ حَفَّتْ بِمَكْرُوهِ الْحَسْدُ
 يَحْمِلُهَا مِنِّي وَآ فِي الشُّكْرِ صَافِي الْمُعْتَقْدُ
 كَمْ قَامَ بِالشُّكْرِ إِلَى أَنْ أَثْقَلْتَهُ فَقَعْدُ
 قَصَّرَ ، لَكِنْ لَمْ يُقَصِّرْ مُبْلِغُ الْعُذْرِ اجْتَهَدُ
 وَقَيْتُ بَطْشَ الْعَيْنِ فِيكُمْ بِالْعَمَى لَا بِالرَّمْدُ

صرعي الحب (١)

أَخَذَتْ ثُلُثَ الْهَوَى غَضَبًا، وَلِي ثُلُثُ، وَالْمُحِبِّينَ - فِيمَا يَنْبَهُمُ - ثُلُثُ
 تَاللهِ ، لَوْ حَلَفَ الْعُشَاقُ : أَنَّهُمْ مَوْتِي مِنَ الْوَجْدِ - يَوْمَ الْبَيْنِ - مَا حَمَتُوا

(١) من شعر ابن زيدون الذي قاله في مدة صباه ، وقد أورده المراكشي صاحب كتاب المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، ولم يرد في ديوان ابن زيدون .

قَوْمٌ - إِذَا هُجِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا وُصِّلُوا -
 مَاتُوا ، فَإِنْ عَادَ مِنْ يَهُودِيَّتِهِ بَعَثُوا
 تَرَى الْمُجِبِّينَ صَرَغِي - فِي عِرَاصِهِمْ -
 كَفْتِيَةِ الْكَهْفِ ، مَا يَذُرُونَ مَالِبُوهَا

ذكرى قرطبة

« وما قاله يشوق ابنة المهدي ومعاودة قرطبة ، وضمنها
 بيت أبي الطيب - في أول قصيدته الكافورية :
 « بم التعلل ؟ لا أهل ، ولا وطن ،
 ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن ؟ »
 قصيدة أولها (1) : »

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنُ
 يَحْنِي لَوَاعِيَهُ - وَالشَّوْقُ يَفْضَحُهُ -
 يَا وَيْلَتَاهُ ، أَيَّتِي - فِي جَوَانِحِهِ -
 وَأَرَقَ الْعَيْنَ - وَالظَّلْمَاءَ عَاكِفَهُ -
 فَبِتُّ أَشْكُو وَتَشْكُو - فَوْقَ أَيِّ كِتَابٍ -
 - مِنْ ذِكْرِكُمْ - وَجَفَاءَ أَجْفَانَهُ الْوَسَنُ
 فَقَدْ تَسَاوَى - لَدَيْهِ - السَّرُّ وَالْعَلَنُ
 فُوَادُهُ ، وَهُوَ بِالْأَطْلَالِ مُرْتَهَنُ
 وَرَقَاهُ قَدْ شَفَّهَا - إِذْ شَفَّنِي - حَزَنُ
 وَبَاتَ يَهْفُو أَرْتِيَا حَا يَنْتَنَا الْغُصْنُ

* * *

يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْوَامًا أَحِبُّهُمْ
 أَوْ تَحْفَظُونَ عُهُودًا لَا أُضِيْعُهُمَا
 وَمِنْهَا :

إِنْ كَانَ عَادَكُمْ عِيدٌ ، فَرُبُّ مَفْتَى
 وَأَفْرَدْتُهُ اللَّيَالِي - مِنْ أَحِبَّتِهِ -
 « بِمِ التَّعْلَلُ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنٌ ؟ »
 كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ ظَلَمْنَا
 إِنْ الْكَرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - تَمْتَحَنُ
 بِالشَّوْقِ قَدْ عَادَهُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - حَزَنُ
 فَبَاتَ يُنْشِدُهَا - مِمَّا جَنَى الزَّمَنُ - :
 وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنٌ ؟ »

(1) ذكرها كتاب المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، ولم ترد في ديوان ابن زيدون .



رَسَائِلُ ابْنِ زَيْدٍ وَرَبِّهِ اُخْبَارُهُ
وَشَعْرِ الْمَلِكَيْنِ
واخبارهما

الرسالة الهزلية (١)

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا الْمَصَابُ بِعَقْلِهِ ، الْمُورِطُ بِجَهْلِهِ ، الْبَيْنُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ
 غَلَطُهُ ، الْعَائِرُ فِي ذَيْلِ أُغْتِرَارِهِ ، الْأَعْمَى عَنْ شَمْسِ نَهَارِهِ ، السَّاقِطُ - سُقُوطَ
 الذُّبَابِ - عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَابِتُ - تَهَابَتِ الْفَرَاشِ (٢) - فِي الشَّهَابِ ، فَإِنَّ الْمُعْجَبَ
 أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةَ الْمَرْءِ نَفْسَهُ أَصُوبُ ، وَإِنَّكَ رَأَسْتَنِي مُسْتَهْدِيًا - مِنْ صِلَتِي -
 مَا صَفَرْتِ مِنْهُ أَيْدِي أُمَّتَالِكَ ، مَتَّصِدِيًا - مِنْ خُلَّتِي - لِمَا قُرِعَتْ دُونَهُ أُنُوفٌ (٣)
 أَشْكَالِكَ ، مُرْسِلًا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلًا عَشِيقَتِكَ قَوَادَةً ، كَاذِبًا نَفْسَكَ
 إِنَّكَ سَتَنْزِلُ عَنْهَا إِلَيَّ ، وَتَخْلُفُ - بَعْدَهَا - عَلَيَّ :

« وَلَسْتَ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا يَنْسِ بِالنَّائِلِ (٤) »

* * *

وَلَا شَكَّ أَنَّهَا قَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَضَنْ بِكَ ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَعْرِ عَلِيكَ ، فَإِنَّهَا
 أَعْذَرَتْ فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَاعِمَةٌ أَنَّ الْمَرْوَةَ لَفْظٌ
 أَنْتَ مَعْنَاهُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ أَمُّ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيُولَاهُ (٥) ، قَاطِعَةٌ أَنَّكَ أَنْفَرَدْتَ

(١) انظر ص « ٢٣٧ »

(٢) الفراش مشهور بأنه يطرح نفسه في النار فيحترق ، قال الشاعر :

« هل أتم إلا الفراش رأى الشهاب وقد توقد »

فدنا ، فأحرق نفسه ولو اهتدى برشد الأمد .

(٣) قرع الأنف أى العجز والدلة ، والعرب تقول للكفاء : « هو الفحل لا يقرع أنفه » وقد قال

ابن زبدون في إحدى قصائده في « ص ٦٧ » : « وأنف الفحل لا يقرع . »

(٤) البيت المتنبي ، وهو من قصيدته المشهورة :

« إلام طماعيسة العاذل ولا رأى في الحب للعاقل »

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل .

والقصيدة مشهورة فليرجع إليها الفارسي في ديوانه إن شاء .

(٥) أصله وحقيقتة .

بِالْجَمَالِ ، وَأُسْتَأْثَرْتَ بِالْكَمَالِ ، وَأُسْتَعْلَيْتَ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَأُسْتَوَلَيْتَ
عَلَى مَحَاسِنِ الْخِلَالِ ، حَتَّى خَيَّلْتَ أَنَّ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَاسَنَكَ فَغَضَضْتَ
مِنْهُ ، وَأَنَّ أَمْرَأَةَ الْعَزِيزِ ^(١) رَأَتْكَ فَسَلَتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ قَارُونَ ^(٢) أَصَابَ بَعْضَ
مَا كَنْزْتَ ، وَالنَّظْفَ ^(٣) عَثَرَ عَلَى فَضْلِ مَا رَكَنْتَ ، وَكِسْرَى ^(٤) حَمَلَ غَاشِيَتَكَ ،
وَقَيْصَرَ ^(٥) رَغَى مَاشِيَتَكَ ، وَالْإِسْكَندَرَ قَتَلَ دَارَا ^(٦) فِي طَاعَتِكَ ، وَأَرْدَشِيرَ ^(٧) جَاهَدَ
مُلُوكَ الطَّوَائِفِ بِخُرُوجِهِمْ عَنْ جَمَاعَتِكَ ، وَالضَّحَّاكَ ^(٨) أَسْتَدْعَى مُسَالَمَتَكَ ، وَجَدِيعةَ

(١) امرأة العزيز مشهورة بحبها يوسف الصديق وقصتها معروفة .

(٢) قارون : يضرب به المثل في الثراء والذنى ، وقد جاء في الكتاب الكريم : « وآتينا من الكنوز

ما إن معانجه لتنوء بالمعصية أولى القوة . »

(٣) قالوا : إنما عني النظف بن حبير بن حنظلة اليربوعي ، وقد كان مقما بالبادية مع بني تميم ، وقد نهب

أهوالا كان أرسلها كسرى إلى عامله وذهبا ومسكا ولآلى ، فضرب به المثل بما أصاب من ثروة طائلة ،
قال بعض ولده :

«أبي النظف المباري الشمس، إني عريق في السباحة والمعالى .»

(٤) كسرى : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الفرس .

(٥) قيصر : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الروم .

(٦) يعنى الاسكندر الأكبر المقدوني وتاريخه مشهور ، و « دارا » هو ملك الفرس الذى انتصر

عليه الاسكندر وقتله . (٧) اسم ملك من ملوك الفرس .

(٨) الضحاك يزعمون أنه قتل « جشيد » - سيد الشعاع ، وملك الأقاليم السبعة وأرل من عمل السلاح

واستخرج الابرسيم ، والفز ، وألزم أهل الفساد الأعمال الشائنة في قطع الصخور ، واستخراج المادن .

قالوا : وطال عمر « جشيد » وتجب ، وادعى الربوبية ، فخرج عليه الضحاك ، وتبعه خلق كثير من أعداء

« جشيد » فظفر به الضحاك ، فهرب « جشيد » بين يديه فظفر به الضحاك وأمر بنشره بمنشار ،

وقال له : « إن كنت لهما فادفع عن نفسك »

ثم ملك الضحاك - فيما يزعمون - وضفى وتجب وجر ودان بدين البراهمة ، وكان - فيما يقولون - أول

من غنى له ، وضرب الدنانير والدراهم ، ولبس التاج ، ووضع العشور ، إلى آخر ما زعموه له .

الأبرش^(١) تَمَتَّى مُنَادَمَتِكَ ، وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فِيكَ^(٢) ، وَبَلْقَيْسَ^(٣) فَأَيَّرَتِ الزَّبَاءَ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ^(٤) إِنَّمَا أَرْدَفَ لَكَ ، وَعُرْوَةَ بْنَ جَعْفَرٍ^(٥) إِنَّمَا رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَكَلَيْبَ^(٦) بْنَ رَبِيعَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمَرْعَى بِعِزَّتِكَ ، وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ

- (١) جذيمة الأبرش ، قد سبق الإشارة إليه في «ص ٢٠٢» فليرجع إليها من شاء .
- (٢) شيرين : هي زوجة كسرى أبرويز ، وبوران هي ابنته ، وقد أشار المرى إلى شيرين إشارة ظريفة في رسالة المفران فقال :
- ولو قالت شيرين الملكة لكسرى : « حملني الله فداءك » لحالبتني في ذلك - ونافقتني ، وإن رافقتني ووافقتني ، على أنه أخذها من حال دنية ، فجعلها في النعمة السنية ، وعقبه - في ذلك - الأحياء ، ووجرت لهم - في ذلك - قصص وأبناء ، وقيل له - فيما ذكر - :
- « كيف قطيب نفس الملك لهذه المومس ؟ »
- فصرت لهم المثل بالفرح ، جعل في الآناء الشعر والدم ، وقال للحاضر :
- « تعيب نفسك لشرب ما فيه ؟ » فقال : « إنها لا تطيب وهي بالأنجاس قطيب . »
- فأراق ذلك الشيء ، وغسله وهدب وطأه ، وحمل فيه - من بعد - مداما . وعرضه على الندامي ، وسكاهم بهش أن يشرب ، فقال : « هذا مثل شيرين » .
- (٣) بلقيس هي ملك بلاد سبأ ، والزبباء هي التي قتلها عمرو بن عيسى وقتل أباهما جذيمة بن الأبرش ، وقد مر ذكره .
- (٤) مالك بن نويرة : من مشهورى مرسان العرب وشحمانهم في الجاهلية ، وقد أدرك الإسلام . قالوا وارتد وبعت أبو بكر خالد بن الوليد لقتال أهل الردة ، وكان إذا صبح قوماً تسبح الآذان فإن سبهم كف عنهم ، وإن لم يسبهم قاتلهم إلى أن مرّ بالبواح وبه مالك وأصحابه ، فقبل إنهم لم يستمعوا أذاناً فقاتلهم ، وأتى بمالك بن نويرة أسيراً فأمر حاد بقتله . قالوا : واحتج قوم لخالد في قتله ، وطعن عليه آخرون في كلام طويل مشهور ، وقد رثاه أخوه متم رثاء الرائع ، وقد سمعه عمر فقال له زوددت لو رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به أحاك ، فقال له متم : والله لو علمت أن أخي صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرته ولم أحزن عليه ، ومن أبيات متم التي سارت في رثائه مسير الأمثال قوله :
- « وقالوا أتبكي كل قبر رأيت له قبر ثوى بين اللوى ، فالدكادك فقل لهم : « إن الأسى يبعث الأسى دعوني فهذا كله قبر مالك »
- (٥) عروة بن جعفر - كان ينتسب إلى جعفر هو وأهل بيته ، وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته إلى الملوك ، وكان هو السبب في حرب الهجاء المشهورة .
- (٦) كليب بن ربيعة - هو رئيس الحيين من بكر وتقلب ، وقد بلغ من جبروته ونفيه أنه كان يحضي مواقع السحاب فلا يرعي حماء ويتول وحش كذا وكذا في جوارى ولا تهاج ولا يورد أحد مع أهله ولا توقد نار مع ناره ، ولا يجتبي في مجلسه ، ولا يتكلم إلا باذنه كما يدل ذلك قول أخيه مهلهل في رثائه :
- « نبئت أن النار - بعدك - أوقدت - واستب - بعدك - يا كليب المجلس

بِأَنْفَتِكَ، وَمُهْتَلِهْلًا^(١) إِنَّمَا طَلَبَ ثَأْرَهُ بِهَمَّتِكَ، وَالسَّمْوَل^(٢) إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ،
وَالْأَحْنَف^(٣) إِنَّمَا أَحْتَبِي فِي بُرْدَتِكَ، وَحَاتِمًا^(٤) إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ، وَآقَى الْأَضْيَافَ

وتكلموا في — أمر كل عظمة — لو كنت حاضر أمرهم لم ينسوا .

وقد قتله جساس بن مرة زوج أخت كليب ، وكان ذلك سبباً في حرب البسوس .

(١) مهمل بن ربيعة — هو أخو كليب والآخذ بثأره في حرب طويلة تقنيننا شهرتها عن ذكرها .

(٢) السموءل — هو السموءل بن عاديا ، وهو من يهودي يثرب ، ويضرب به المثل في الوفاء — بعد حادثته المشهورة مع امرئ القيس الذي أودع عنده وديعة ومضى ، وحاول الحارث بن ظالم أن يأخذها من السموءل فأبى ، ثم ظفر الحارث بابنه ، فقال للسموءل : إن لم تعطني وديعة امرئ القيس قتلت ابنك فأبى . فقتل الحارث ابن السموءل وانصرف ، والسموءل هو صاحب اللامية المشهورة التي يقول في أهلها :

« إذا المرء لم يدينس — من اللؤم — عرضه وكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل — على النفس — ضيها ، وليس — إلى حسن الشاء — سبيل . »

(٣) الأحنف — هو الأحنف بن قيس ويضرب به المثل في الحلم .

(٤) حاتم — هو حاتم الطائي وهو أشهر من ضرب به المثل في الجود .

قالوا : — « وأجواد العرب في الجاهلية ثلاثة :

« حاتم الطائي ، هرم بن سنان ، كعب بن مامة »

قالوا « وحاتم أشهرهم ذكراً » .

وقد أدرك مولد النبي — صلى الله عليه وسلم — ومات قبل بعثته ، ومن مختار شعره قوله : —

« أحادل إن المال غم — ير مخلد وإن التي طارية مزود

وكم من جواد يفسد اليوم جوده وساوى قد ذكرته أفقر في غد

وكم لي آباء ، فما كف حودهم ملام ، ومن أيديهم خلقت يدي . »

وقوله :

« لحا الله صملوكا مناه وهمه من العيش — أن يلقى لبوسا ومطعنا

ولله صملوك يساور همه ويعضى على الاحداث — والهول مقما

إذا مارأى يوماً مكارم أعرض نيم كبراهن ، ثم صمدا . »

وقوله :

« أماوى إن المال غاد ورائح وبقى — من المال — الأحاديث والذكر

أماوى ما يبنى التراث عن الفتى إذا حشرت يوماً وضاق به الصدر

أماوى إن يصح صدائي بقفرة — من الأرض — لأماء لدى ولاجر

ترى أن ما أملكك لم يك ضرنى وأن يدي — مما تملك — به صفر

وقد علم الأتوام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفر

وأنى لا آلو — بمالى — صبيعة فأولّه زاد وآجره دخر

غنيانا زماناً بالتصملك والغنى وكلا سقانا — بكأ — يهما — الدهر

فما زادنا بغياً — على ذى قرابة — غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر . »

بِشْرِكٍ ، وَزَيْدٌ^(١) بِنَ مَهْلَهْلِ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَخْدَيْكَ ، وَالسُّلَيْكُ^(٢) بِنَ السُّلَاكَةِ إِنَّمَا
عَدَا عَلِيَّ رَجُلِيكَ ، وَعَامِرُ بِنَ مَالِكِ^(٣) إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ بِيَدَيْكَ ، وَقَيْسٌ^(٤) بِنَ زُهَيْرِ
إِنَّمَا اسْتَعَانَ بِدَهَائِكَ ، وَإِيَّاسُ بِنَ مُعَاوِيَةَ^(٥) إِنَّمَا اسْتَضَاءَ بِمِصْبَاحِ ذَكَائِكَ ،

(١) زيد بن مهلهل - أدرك الاسلام ، وكان فارساً مشهوراً ، بعبد الميت ، وشاعراً نابغاً ، وكان
يسمى زيد الخيل لكثرة ما عنده من الخيل ، ولما أسلم سماه النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد الخير .
(٢) السليك بن السلوك جاهلي تميم ، وهو أحد صماليك العرب وأحد لصوصهم العدائين الذين كانوا
لا يلقون ، قال ابن الرومي في وصف شهر رمضان :
« يمشي الهوينا ، فأما حين يطلبنا فللسليك يدانيه ولا السلوك . »
(٣) عامر بن مالك - المشهور بلعاب الأسنة ، وأمه أم البنين المشهورة التي امتحربها لبيد عند النعمان
في قوله :

« نحن بي أم البنين الأربعة . »

(٤) قيس بن زهير - هو صاحب الحروب المشهورة بين عبس وذبيان بسبب الفرسين (داحس والغبراء)
وكان يضرب به المثل في الدهاء ، ويقال : « أدهى من قيس . »
(٥) إياس بن معاوية - هو صاحب الفراسة والأجوبة السديدة الرائعة ، وكان قاضي البصرة ، ويضرب
به المثل في الذكاء . قال أبو تمام :

« أقدم عمرو في ساحة حاتم في حلم أحنف في دكاء إياس . »

قالوا : وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز أرسل رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع
بين إياس والقاسم بن أبي ربيعة ويولى القضاء أقدمهما ، فجمع بينهما ، فكان كل منهما يمتنع من الولاية ،
فقال إياس للشامي : « سل الحسن البصري عني وعن القاسم ، وسل بن سيرين . » فعلم القاسم أنه إن
سأل عنهما أشارا به ، فقال للشامي : « لا تسأل عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياساً لأفصل مني
وأعلم بالقضاء ، فإن كنت ممن يصدق ، فينبئني لك أن تصدق قولي ، وإن كنت كاذباً فما يجعل لك أن
أن تولى القضاء وأنا كذاب » ، فقال إياس للشامي : « إنك جئت برجل فأقنته على شفير جهنم فافتدى
نفسه من النار بيمين كاذبة يستنفر الله منها وينجو من النار » فقال الشامي : « أما إذ فطنت لها فاني
أريدك » فاستقضاءه ، فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب . قالوا : « ولما ولى القضاء دخل عليه الحسن
البصري فبكى إياس وقال له : « بلغني أن القضاء ثلاثة : رجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد
فأخطأ فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة » فقال الحسن « إن فيما قضى الله تعالى في النبي
داود ما يرد قول مولاى . » ثم قرأ قوله تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً »
لحمد سليمان ولم يذم داود ، وأخباره كثيرة مشهورة في كتب الأدب ، فلا حاجة بنا إلى الإفاضة .

وَسَحْبَانَ^(١) إِنَّمَا تَبَّ كَلِمٌ بِلِسَانِكَ ، وَعَمْرُو^(٢) بِنَ الْأَهْتَمِ . إِنَّمَا سَحَرَ بِيَّيَا نِكَ ، وَأَنَّ الصَّلْحَ - يَبْنَ بَكَرٍ وَتَغْلِبَ - تَمَّ بِرِسَالَتِكَ^(٣) ، وَالْحِمَالَاتِ - يَبْنَ عَبَسٍ وَذِيَّانَ - أَسْنِدَتِ إِلَى كَفَالَتِكَ ، وَأَنَّ أُحْتِيَالَ هَرِمٍ - لِمَلْقَمَةِ وَعَامِرٍ حَتَّى رَضِيَا - كَانَ ذَاكَ عَن

(١) سبحان وائل - يضرب به المثل في الفصاحة والبيان والقدرة على الخطابة ، أدرك الاسلام ومات سنة أربع وخمسين . قال الأصمى « وكان إذا خطب يسيل عرفاً ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ » قالوا : « وقدم على معاوية وفد من خراسان فيوم - سعيد بن عثمان - مطلب سبحان فلم يوجد في منزله فاقصب - من ناحيته - اقتصاباً وأدخل عليه فقال : « تكلم » فقال : « انظروا لي عصا تقوم من أودي . » قالوا : « وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين . » قال : « ما كان يصنع بها موسى وهو يحاط ربه وعصاه في يده . » فضحك معاوية وقال : « هاتوا عصا لجاءوا بها إليه فركلها برجله ولم يرضها . » وقال : « هاتوا عصاى » فأتوا بها فأخذها ، ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تتنح ، ولا تسل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في معنى تفرج منه وقد بقي عليه منه شيء ، فإزالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سبحان : ألا تمنع على كلامي ، فقال معاوية « الصلاة » قال : « هي أمامك ، ونحن في صلاة وتحميد ، ووعده ووعيد » ، فقال معاوية : « أنت أخطب العرب . » فقال سبحان : « والمعجم والجن والاس »

(٢) عمرو بن الأهم - من سادات بني تميم وخطبائهم في الجاهلية والاسلام ، وكان - لجماله - يدعو به : « المكحل » قالوا : « وودد على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو والزبرقان بن بدر فأسلما وأكرهما النبي - صلى الله عليه وسلم - » فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهم عن الزبرقان بن بدر بمحضوره فقال عمرو : « مطاع في أدنيه ، شديد العارضة في قومه ، مانع لما وراء ظهره . »

فقال الزبرقان : « يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني . » فقال عمرو : « أما والله لئن علمت ما قد علمت ، إنه لزم من المروءة ، أحق الأب ، لئيم الحال ، ضيق العطن ، حديث الغنى . » فرأى تغير النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اختلف قوله ، فقال : « يا رسول الله لا تنضب ، لما رضيت قلت أحسن ما علمت ، ولما غضبت قلت أقبح ما علمت ، فوالله ما كذبت في الأولى ، ولفقد صدقت في الثانية . » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا . » وتوفي سنة ٥٧ هـ - ومن مأثور حكاية قوله :

« أتسبغ الناس من رد جهله بجماله . » وقوله « أف» للخمر لو كان شيء يشتري ما كان شيء أنفس من المقل ، فالعجب لمن يشتري الحق بجماله فيدخله في رأسه فيقي في جيبه ويسلح في ذيله . » وكان ممن حرم الخمر - على نفسه - في الجاهلية .

(٣) بكر وائل ابنا وائل - هم الذين أشعلوا حرب البسوس ، وقد دامت سنين طويلة قتل فيها عطاء الحيين وأخبارها مشهورة .

إِشَارَتِكَ، وَجَوَابَهُ لِعُمَرَ - وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيِّمَا كَانَ يَنْفِرُ - وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ^(١)، وَأَنَّ
الْحِجَّاجَ^(٢) تَقَلَّدُوا لآيَةَ الْعِرَاقِ بِجِدِّكَ وَقُتَيْبَةَ^(٣) فَتَحَّ مَاوَرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ، وَالْمَهْلَبَ^(٤)
أَوْ هَنَ شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِيَدِكَ، وَفَرَّقَ ذَاتَ يَنْبِهِمْ بِكَيْدِكَ، وَأَنَّ هُرْمُسَ^(٥)
أَعْطَى بَلِينُوسَ^(٦) مَا أَخَذَ مِنْكَ، وَأَفْلَاطُونَ^(٧) أُوْرَدَ عَلَى إِرِسْطَطَالِسَ^(٨) مَا نَقَلَ عَنْكَ،
وَيَطْلَيْمُوسَ^(٩) سَوَى الْإِصْطِرْلَابَ بِتَدْبِيرِكَ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ،

(١) يشير بذلك إلى عمر بن الخطاب حين قال لهرم بن قطبة بعد أن أسلم: « أيهما كان الأفضل عندك
يعني عامراً وعلقة » فقال: « لو قلت الآن فيهما كلمة لامدت الحرب بين الحيين . » فأعجب بذلك القول
عمر وسر من سياسته وبعد ظره وقال له: « بحق حكمتك العرب »

(٢) الحجاج - هو الحجاج بن يوسف الثقفي ولد سنة ٤١ ونشأ بالطائف ، وولى الكوفة ، واشتهر
بسفك الدماء ، وهو الذي حاصر مكة وفيها عبد الله بن الزبير وضربها بالمجنيق (انظر ص ١٦ من كتاب
مصارع الأعيان) وحروبه مع شبيب ، وعبد الرحمن بن الأشعث مشهورة ، وقد ذكرناها في مصارع
الأعيان من « ص ٥٧ إلى ص ١١٥ » فليرجع إليها من شاء ، وكان يعجب بسرعة الجواب ، وله نوادر كثيرة
في ذلك ، قالوا : إنه قال ذات يوم لأحمد بن يونس « فكرت في أمرك فوجدت دمك ومالك حلالا » فقال :
« أيها الأمير أشد ما في القصة أن هذا الرأي بعد الفكر » فضحك ورضا عنه ، وقالوا إنه أتى بقوم
من أصحاب بن الأشعث فأمر بضرب أعناقهم ، فقام رجل فقال : « أيها الأمير إن لي عندك يدا » فقال
« وما هي ؟ » قال « شئتك رجل بحضرة ابن الأشعث فرددت عنك » فقال : « من يشهد لك ؟ » فأشار :
« هذا » وأشار بيده إلى رجل منهم ، فقال : « صدق أيها الأمير » فقال « مامنك أن تفعل كما فعل ؟ » قال
« بغضى لك » ، فقال الحجاج « أطلتوا هذا ليده عندما ، وهذا صدقه في مثل هذا الوقت » قال مالك
ابن دينار : « والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنعه إلى العراق وسوء صنعه له
حتى يجيل إلى أنه مظلوم » وقال الحسن البصري « لقد وقدتني كلمة سمعتها من الحجاج « إن امرأ دهب
ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرته . »

(٣) قتيبة - هو قتيبة بن مسلم الناعلي نشأ في مروانية وولى الأمانة ، وكان شجاعاً طمناً .

(٤) المهلب - هو المهلب بن أبي صفرة وهو الذي يعزى إليه الفضل في القضاء على الحوارج (انظر
ص ٩٢ : ٩٧ من كتاب مصارع الأعيان)

(٥) هرمس - هو الذي يزعم نفر من الصابئة أنه نبي مرسل وأنه إدريس عليه السلام ويسندون إليه
شرايعهم في تعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر والتقرب إليها بالذبايح وغيرها .

(٦) بليئوس - هو الذي تزعم الصابئة أن رسالة هرمس انتقلت من بعده إليه .

(٧ ، ٨) أفلاطون وإرسططاليس - عالمان من أعلام فلاسفة اليونان وقادة الفكر المتنازين .

(٩) بطليموس - هو صاحب كتاب المجسطى ، والجغرافيا ، والاسطرلاب وغير ذلك ، وهو أول من

تمرض للفلك والهندسة .

وَبِقِرَاطٍ^(١) عِلْمِ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ بِلُطْفِ حِسِّكَ ، وَجَالِينُوسَ^(٢) عَرَفَ طِبَاعِ
 الْحَشَائِشِ بِدِقَّةِ حَدْسِكَ ، وَكِلَاهُمَا قَدَدَكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَأَلَكَ عَنِ الْمِزَاجِ ،
 وَأَسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ الْأَعْضَاءِ ، وَأَسْتَشَارَكَ فِي الدَّاءِ وَالِدَّوَاءِ ، وَأَنَّكَ نَهَجْتَ
 لِأَبِي مَعْشَرٍ^(٣) طَرِيقَ الْقَضَاءِ ، وَأَظْهَرْتَ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ^(٤) عَلَى سِرِّ الْكِيمِيَاءِ ،
 وَأَعْظَيْتَ النَّظَامَ^(٥) أَصْلًا أَذْرَكَ بِهِ الْحَقَائِقَ ، وَجَعَلْتَ لِلْكِنْدِيِّ^(٦) رَشْمًا اسْتَفْرَجَ

(١) بقراط — علم من أعلام الطب واليونان .

(٢) جالينوس — من العلماء المتنازين الذين كان لهم الفضل في ترقية فن الطب ، وقد عرف خواص
 الحشائش ، وقاس أضرحتها وطبائنها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب القيمة في الطب .
 (٣) أبو معشر : كان في أول أمره من أصحاب الحديث ببغداد ، وكان يشنع على الكندي الفيلسوف
 المعروف ويفرى العامة به — قالوا « قدس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فأحبهما
 ثم عدل إلى أحكام الحجوم وتفنن ومهر وانقطع بذلك شراً عن الكندي لأنه من جنس علومه .
 (٤) جابر بن حيان — من أعلام العلماء العرب في الكيمياء .

(٥) النظام — إمام من أئمة المعتزلة ، وكان آية في الدكا ، من صغره . قالوا : إنه جاء إلى الخليل بن
 أحمد ليعلمه ، فقال له الخليل يمتحنه وفي يده قدح زجاج : « يا بني صف لي هذه الزجاجة » فقال : « أجمد
 أم يدم » قال « يدمح » قال « تريك الفدى ، ولا تقبل الأذى ، ولا تستر ما وراءها » قال « فذمها » قال
 « يسرع إليها الكسر ، ولا تقبل الخبر » قال « فصف لي هذه النخلة » وأوماً إلى نخلة في داره . قال
 « يدمح أم ذم ؟ » قال « يدمح » قال « حلو جناها ، باسق منبها ، ناضر أعلاها » قال « مذمها » قال
 « صبة المرتقى ، بعيدة المحتجى ، محفوفة بالأذى » فقال الخليل « يا بني نحن نحن إلى التلم منك أحوج » ثم اشتد
 على أبي الهذيل العلاف بمذهب الكلام إلى أن برع وظهر في أيام المعتصم وتبعه خلق كثير — وحكي عنه قال
 « مات لصالح بن عبد القدوس ولد ، فعصى إليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فراه
 محترفاً ، فقال أبو الهذيل « لا أعرف لجرحك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزروع » فقال صالح « يا أبا الهذيل
 إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال أبو الهذيل « وما كتاب الشكوك ؟ » قال « كتاب
 وضعت من قرأه شكاً وبما كان حق يتوهم أنه لم يكن ، وبما لم يكن حق يظن أنه قد كان » فقال له النظام
 « فشك أنت في موت ابنك ، واعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضاً في أنه قد قرأ هذا الكتاب
 وإن لم يكن قرأه » فحضر صالح وكان مذهبه من مذهب السوسطائية فأنهم يزعمون أن الأشياء للاحقيقة لها ،
 وإن ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده ، وأن حل اليقظان كحال
 النائم ، وتوفي سنة ٢٢١ هـ وسنه ست وثلاثون سنة .

(٦) الكندي — يعقوب الكندي من كبار فلاسفة الاسلام — انتقل إلى بغداد واشتد بفن الأدب ،
 ثم بعلوم الفلسفة — وحل مشكلات الأوائل وله مؤلفات رائعة — وهو مشهور بالبطل ، وكان يقول : من
 شرف البطل أنك تقول للأسئلة « لا » ورأسك مرفوع إلى فوق ، ومن ذل العطاء أنك تقول « نعم »

بِهِ الدَّقَائِقَ ، وَأَنَّ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتِرَاعُكَ ، وَتَأْلِيفَ الْأَوْتَارِ وَالْأَنْقَارِ تَوْلِيدُكَ
 وَابْتِدَاعُكَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى ^(١) بَارِي أَقْلَامِكَ ، وَمَسْهَلُ ^(٢) بَنِ هَارُونَ مَدْوَنُ
 كَلَامِكَ ، وَعَمْرَوُ بْنُ بَحْرٍ ^(٣) مُسْتَمْلِكُكَ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٤) مُسْتَفْتِيكَ ، وَأَنْتَ الَّذِي
 أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ ، وَوَحَدَّ الْمَاهِيَةَ ، وَبَيَّنَّ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَمِّيَّةَ ^(٥) ،

وَأنت مشير برأسك إلى أسفل ، ومؤلفاته كثيرة منها (أنسام العمل الانسي) وكتاب (الجوامع الفكرية)
 وكتاب (الفلسفة الأولى) وغيرها .

(١) عبد الحميد بن يحيى - هو عبد الحميد بن سعيد الكاتب المشهور ، وكان يقال « بدأت الكتابة بعد
 الحميد ، وختمت ذابن العبيد ، وكان في أول نشأته معلم صبيان بالكوفة ، فلما اتصل بمروان الجمدي قبل أن
 يصل إلى الخلافة صحبه وانقطع إليه فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان وأصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان
 « لم لم تسجد ؟ » فقال « ولم أسجد على أن كنت معناه فطرت عنا يعنى بالخلافة » فقال « إذن تطير معي »
 قال « الآن طاب السجود » وسجد وطل كاتب مروان طول خلافته .

(٢) سهيل بن هارون - من أهل نيسابور - رحل إلى البصرة فحسب إليها وكان شعوبيا ، واشتهر
 بالبخل . قال الجاحظ : أتى رحل سهيل بن هارون فقال : « هب لي ما لا ضرر به عليك » فقال : « وما
 هو يا أخي ؟ » قال : « درهم » قال : « لقد هوأ ب الدرهم وهو طائع الله في أرضه لا يهضي ، وهو
 عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية المسلم ، ألا ترى إلى أين
 انتهى الدرهم الذي وهبته ، وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم » قال : « فاصرف الرجل ولولا
 انصرافه لم يسكت » وحكى دعبل الخزامي قال : « أقبلنا يوما عند سهيل بن هارون وأطلبنا الحديث حتى أضرب
 به الجرع ودعا بعدائه فأنى بصحفة فيها مرق نخود ديك هرم فأحسد كسرة وتمقد ما في الصحفة فلم يجد
 رأس الديك فبقي مطرفا ثم قال لادم : « أين الرأس ؟ » قال : « رميت به » قال : « ولم ؟ » قال :
 « لم أطك تأكله » قال : « ولم طبت ذلك ، فوالله إني لأمقت من يرمى برحله ، فكيف برأسه؟ والرأس
 رميس يتفأل به ، وفمه أخواس الحمة ، ومنسه صبيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه ورقة الذي
 يتبرك به ، وعينه التي يعرب سمعائها المثل ، ودماغه عجيب لوجع السكبية ، ولم أر عظاما قط أهش من رأسه
 فان كان بلغ من خبائك أن لا تأكله بعدنا من يأكله ، أما علمت أنه خير من طرف الخناج والساق ،
 انظر أين رميته فقال : « والله ما أدري » قال : « لكبي أدري أنك رميته في بطك » .

(٣) عمر بن بحر - ذو السكائب المشهور ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالجاحظ وهو ممن يفخر به البيان
 العربي حتى قيل : « مما فضل الله به أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على غيرها من الأمم : عمر بن الخطاب
 في سياسته ، والحسن البصري في علمه ، والجاحظ في بيانه » - نشأ ببغداد وتلمذ على الزنم وانهقد
 بحسن البيان والفصاحة ، وأخباره مشهورة في كتب الأدب فلا داعي للإفاضة فيها -

(٤) مالك بن أنس - هو صاحب المذهب المشهور .

(٥) الماهية - ماهية الشيء . ما يحصل في الدهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف الشخصيات عنه إن
 كان حزياً . قالوا : وهي أحد حدود العلم عند الحكماء . فان العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام . علم (ما) وعلم



وَنَظَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ^(١) ، وَمَيَّزَ الصَّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ ، وَفَكَ الْمَعْمَى^(٢) ، وَفَصَلَ
بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمُسْمَى ، وَصَرَفَ وَقَسَمَ ، وَعَدَّلَ وَقَوَّمَ ، وَصَنَّفَ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ ،
وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ ، وَتَنَبَّأَ وَتَعَجَّبَ ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ ،
وَتَنَبَّأَ وَجَمَعَ ، وَأَظْهَرَ وَأَضْمَرَ ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ ، وَأَرْسَلَ وَأَسْنَدَ ،
وَبَحَثَ وَنَظَرَ ، وَتَصَفَّحَ الْأَدْيَانَ ، وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْ مَانِي وَغِيلَانَ^(٣) ، وَأَشَارَ
بِذَنْجِ الْجَمْعِ^(٤) ، وَقَتَلَ بَشَّارَ بْنَ بُرْدٍ ، وَأَنَّكَ لَوْ شِئْتَ خَرَقْتَ الْعَادَاتِ ، وَخَالَفْتَ
الْمَعْهُودَاتِ ، فَأَحْلَمْتَ الْبِحَارَ عَذْبَةً ، وَأَعَدَّتْ السَّلَامَ رَطْبَةً^(٥) ، وَتَقَلَّتْ غَدَاً فَصَارَ

(كيف) وعلم (كم) . فالعلم الذي طلب منه ماهيات الأشياء هو العلم الالهي ، والذي يطلب منه كيفيات
الأشياء هو الطبيعي ، والذي يطلب منه كميات الأشياء هو الرياضي .

(١) الجوهر والعرض : الجوهر - فيما يقولون - هو الجسم ، كالإسكان والمرس والحجر ونحو ذلك .
والعرض الحال وانصرف المتعاقب عليه كالألوان من بياض ، وسواد وحمر ، والحركات المختلفة من قيام وقعود
وانضطجاع ، وجميع ما عدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه .

(٢) وفك المعمي - وهو اللمز ، ارجع إلى « ص ٢٨٤ »

وكان الجاحظ يقول « ليس المعمي شيء قد كان كيسان مستعمل أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال ، ويكتب
خلاف ما يسمع ، ويقرأ خلاف ما يكتب ، وكان أعلم الناس باستخراج المعمي - فالوا : « وكان النظام - على
قدرته على أصناف العلوم - لا يقدر على استخراج أحف ما يكون من المعمي .

(٣) ماني وغيلان - ماني هو الذي تسمت إليه المانوية وهو ثوبى - نسبة إلى الاليتين - لرعه أن صانع العالم
اثنان ، أحدهما فاعل الخير وهو النور ، والآخر فاعل الشر وهو الظلمة ، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا
حساسين سمييين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة ، متصادان في الفعل والديبر ، فجوهر النور فاعل
حسن نير ونفسه خيرة قديمة نفاعية . منها الخير والسرور والصلاح وليس منها من الشر شيء ، وجوهر الظلمة
على ضد ذلك جميعه ، وقد أشار المتنبي إلى هذا المذهب بقوله :

« وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب . »

وكان ماني راهباً بنجران . فالوا : « وكان مؤمناً بالمسيح معظماً من أساتمة الصاري ، ثم وثى به حاسدوه
فأحدث ديناً ودماً إليه وتبعه كثير من الجوس .

وغيلان هو ابن يونس القندري الدمشقي . فالوا كان أبوه مولى لعثمان بن عفان ، وكان غيلان أول من تكلم
في القدر ، وخلق القرآن في الاسلام في رأى بعض المؤرخين .

(٤) الجعد - هو مولى بني الحكم وكان يعلم مروان بن محمد الجعدي ويقطن دمشق ويسب إليه بعض
المؤرخين أنه أول من تكلم بخناق القرآن .

(٥) السلام : الحجارة الصلبة .

أَمْسًا ، وَزِدْتَ فِي الْعُنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا ^(١) ، وَأَنْتَ الْمَقُولُ فِيهِ :

« كُلُّ الصَّيْدِ ^(٢) فِي جَوْفِ الْفِرَا . » وَ

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ ^(٣) . »

وَالْمَعْنَى بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

« فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا - عَلَى مَا فِيكَ - مِنْ كَرَمِ الطَّبَاجِ . »

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

« ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْبَاتِهَا . »

فَكَدَمْتَ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ^(٤) ، وَاسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ ^(٥) ، وَتَفَخَّخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ^(٦) ،

وَلَمْ تَجِدْ لِرِيحٍ مَهْرًا ، وَلَا إِشْفَرَةَ مَحْزًا ، بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ،

(١) العناصر : هي في رأى القدماء أربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٢) كل الصيد في جوف الفرا - مثل يضرب في وصف الشئ ، المراد على غيره قالوا : « وأصله أن قوماً خرجوا للصيد فعاد أحدهم ظلياً وآخر أرنباً وآخر فرا ، وهو الحمار الوحشى ، فقال لأصحابه : كل الصيد في جوف الفرا - يعنى أن جميع صيدكم يسير في جيب ما صدته ، ورعم بعضهم أن الفرا اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود ، وأما قول الشاعر : « وواد كجوف العير قمر قطعه »

فليس من هذا وإنما أراد الوادى المعروف بجوف حمار ، وحمار اسم رحل قديم كان في واد خصيب فظلم عشيرته ، فأرسل الله عليه ناراً فأحرقته وأحرق الوادى نغلاً وسكته الجن فقيل : أحلى من جوف حمار ، وحج يوماً أبو سميان بن حرب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أذن له فقال : « يا رسول الله ما أكدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجاهلئين » فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا أبا سميان

كل الصيد في جوف الفرا » . (٣) هذا البيت من قصيدة لأبى نواس في مدح الفصل بن يحيى .

(٤) كدمت في غير مكدم - عصفت في غير موضع للمعس ، وهذا المثل يضرب لمن يطلب ما يعجز عنه .

(٥) في هذا إشارة إلى قول الشاعر :

« فلو ناراً تفخت بها أضاءات ولسكن أنت تفخ في رماد

لقد أسمع - لو ناديت حيا - ولسكن لا حياة لمن تنادى . »

(٦) يشير إلى قول المنبى لسيف الدولة معرضاً بأبى دراس :

« أعيدتها نظرات منك صادقة أن تحسب الشعم فيمن لمه ورم . »

وَتَمَنَيْتَ الرَّجُوعَ بِخَفَى حُنَيْنٍ^(١) ، لِأَنِّي قُلْتُ :

« لَقَدْ هَانَ^(٢) مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ . » وَأَنْشَدْتُ :

« عَلَى أَنِّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبُ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ^(٣) »

وَنَحَرْتُ^(٤) وَبَسَرْتُ^(٥) ، وَعَبَسْتُ فَكَفَرْتُ ، وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، وَأَبْرَقْتُ

وَأَزَعَدْتُ^(٦) وَهَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ،

وَلِلضِّيَافَةِ حُرْمَةِ ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَدَالِ^(٧) الدَّمِاسْتِقِ ، وَالنَّعْلِ^(٨)

(١) حنى حين - مثل يضرب لمن يرجع بالحنية - وكان حين دوماً يقولون إسكافاً من أهل الحيرة ساومه أعرابيً بجنين ولم يشد منه شيئاً فماظه ذلك فخرج عليه وعلق أحد الحقيين على شجرة في طريقه وتقدم قليلاً وطرح الآخر وكن ، فجاء الأعرابي فرأى أحد الحقيين فوق الشجرة ، فقال « ما أشبه هذا بجنف حنين لو كان معه آخر لثكلت أخذه » ثم تقدم قليلاً فرأى الحف الآخر مطروحاً فزك وعقل بعيره فأخذه ورجع ليأخذ الأول فخرج حنين من المسكن وأخذ بعيره وذهب ورجع الأعرابي إلى أخيه بجنف حنين .

(٢) لقد هان من بالت عليه الثعالب - شطر بيت هو :

« أرب يقول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب . »

قاله رجل من بني سليم كان يعبد صنماً ، فرأى ذات يوم ثعلباً يبول على الصنم فكسره وأنشد هذا البيت وذهب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم .

(٣) البيت لأبي تمام من قصيدة رثاء ، منها قوله :

وقلت : « أحنى » قالوا « أعوذ قرابة » ؟ فقلت لهم : « إن الشكول أقارب »

صديقي في رأيي وعزيم ومذهبي وإن باعدتنا في الأصول المناسب

عجبت لصبري بعده - وهو ميت - وكنت اسرء أ أبكي دماً وهو غائب

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب .

(٤) نحرت - النخير صوت الأنف عند العضب .

(٥) والبسر - الاستعداد بالشئ قبل أوامه . وهو في قوله تعالى : « عيس وبسر » معناه أظهر

المبوس قبل أوامه . (٦) الأبراق والأرصاد - كناية عن التمهيد وأصلها من البرق والرعد . قال الشاعر :

« قفل للسما : ارعدى وابرق فانا وصلنا إلى المنزل . »

(٧) أي لفعلت بهذه المرأة التي أرسلتها رسولاً من قبلك - لولا حرمة الصيامة - فحل سيف الدولة بالدمستق ،

وهو لقب يطلق على كل قائد من قواد جيش الروم ، وقد هزمه سيف الدولة وأشار المتني إلى ذلك بقوله :

« وكنت إذا كاتبته قبل هذه كتبت إليه في قدال الدمستق . »

(٨) مثل لضربه العرب وقد ضمنه أحد الشعراء قوله :

« إن عادت المقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضرة . »

حَاضِرَةٌ إِنْ عَادَتِ الْعُقْرَبُ ، وَالْعُقُوبَةُ مُمَكِّنَةٌ إِنْ أَصَرَ الْمَذْنِبُ ، وَهَبَهَا لَمْ تَلَا حِظَّكَ بِعَيْنِ كَلِيلَةٍ عَنِ عِيُوبِكَ ، مَلُؤَهَا حَبِيبُهَا ^(١) ، حَسَنٌ فِيهَا ^(٢) مَنْ تَوَدُّ وَكَانَتْ إِتْمًا حَلَّتْكَ بِحِلَاكَ ، وَوَسَمَّتْكَ بِسِيمَاكَ ، وَلَمْ تُعْرِكَ شَهَادَةً ، وَلَا تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقَتْ سِنَّ بِكْرِهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَنْكَ ، وَوَضَعَتْ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ ^(٣) بِمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتَ بِهِ عَلَيْكَ ، فَلَا مَعِيدِي ^(٤) تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ :

هَجِينُ الْقَدَالِ ^(٥) ، أُرْعَنُ ^(٦) السَّبَالِ ، طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالْعِمْلَاوَةِ ^(٧) ، مُفْرِطُ الْحُمُقِ وَالْعَبَاوَةِ ، جَانِي الطَّبَعِ ، سَيِّءُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ ، بَغِيضُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيفُ الذَّهَابِ وَالْجَيْئَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُتَيْنُ الْأَنْفَاسِ ، كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُورُ الْمَثَالِبِ :

(١) إيسارة إلى قول اشعرون :

« أمابك إحلالا ، ومايك قدرة على ، ولكن مل ، عيب حبيبها . »

(٢) في هذا إيسارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

وقد قال لجلارات لها وتعت - ذات يوم - تبرد
أكما يعنى تبصرى - عمر ك الله - أم لم يقتصد؟
وتعاحكن وقد قلن لها : « حسن في كل دين من تود . »

(٣) الهناء : القطران ، والنق : الجرب ، وهذا المثل يعرب لمن يصعب الأمور في مواضعها ، وهو نصف

بيت لدريد بن السمة في الحساء وهو :

« متدلا تبدو محاسنه يصع الهناء مواضع النقب . »

(٤) مثل يعرب لمن يكون شبره خيرا من منظره . قاله النعمان لشقة بن سبرة ، وكان يعجبه ما يسمع

عنه ، فلما رآه استرعى منظره ، فقال النعمان : لأن تسمع بالمعدي خير من أن تراه .

فقال له : « أهدت الناس إن الرجال ليسوا بحرر ، وإنما يعيش المرء بأصغريه عليه ولسانه . »

(٥) القدال - جماع مؤخر الرأس ، وهجين القدال : أى خسيس الأصل . دلوا : « لأن الذى يعرف

أؤم نسيه إذا ولى طأطا رأسه حياء ودلا ، وكان الأؤم يتبين من قداله » وقيل « بل لكثرة انهزامه

في الحروب . »

(٦) أرعن : أحمق ، والسال : جمع سبلة وهى شعرة الشفة العليا وخصت الرعونة بها لأنها علامة الرجل .

(٧) العملاوة - الرأس مادام على العنق ، وفى المراساة أن طول العنق والرأس من دلائل الجمالة .

كَلَامُكَ تَمْتَمَةٌ ، وَحَدِيثُكَ غَمْغَمَةٌ ، وَيَأْتِيكَ فَهْفَهَةٌ ، وَضِحْكُكَ قَهْقَهَةٌ^(١) ،
وَمَشِيكَ هَرَوَلَةٌ ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ مَخْرَقَةٌ^(٢) :
«مَسَاوٍ لَوْ قَسِمْنَا عَلَى الْغَوَانِي - لَمَا أَتَهَرْنَا إِلَّا بِالطَّلَاقِ^(٣)»

حَتَّىٰ إِنْ بَافِلًا^(٤) مَوْصُوفٌ بِالْبَلَغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْنَقَةٌ^(٥) مُسْتَوْجِبٌ لِأَنْتُمْ
الْعَقْلُ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْكَ ، وَطَوَيْسًا^(٦) مَا تُورِثُهُ مِنْ الطَّائِرِ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ ،
فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْأَغْتِبَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْحَيَبَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ
سَقَرٌ ، كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْثَمَكَ لِكِرْمِي كِفَاءً ، وَضَعْتَكَ لِشَرَفِي وَفَاءً ، وَأَنْتِ
جَهَلْتِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَىٰ أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَىٰ الْأَفْهَاءِ ،
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ

(١) ذال الحاحط - التتمه : التردد في البناء ، وانماأناه : التردد في الفاء ، والعتلة : الراء اللسان عند
إرادة الكلام ، والحسنة تندر الكلام ، والقف : لإدخال حرف في حرف ، والرتة تبع الكلام ، فاذا
حاء منه بشيء اتصل ، وقيل العجمة فيه ، والتمه أذ يعدل من حرف إلى حرف ، والغنة أن يشرب الحرف
صوت الحيشوم والحنة أشد منها ، والاسكة أن يعترض الكلام حرف أعجمي ، والطمطمة أن يكون
الكلام شبيها بالمعجمي .

وأما الغممة فهي أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف - المهذبة : التي في العلق ، والقهقهة :
الضحك الشديد يستدلون به على قلة العقل .

(٢) الهرولة : بين المشي والعدو ، والمسألة : المقر ، والمخرقة : نوع من الحرق ، الذي هو ضد الرق ،
ومنه يقال : المحراق وهو شيء يلبس به كأنه يخرج لاطهار الشيء بخلافه .
(٣) البيت لأني تعلم . (٤) باقل : مضرب المثل في الهي .

(٥) هبنقة : مضرب المثل في الخلل وضعف العقل - قلوا : ووقع عقداً في عقه علامة لفسه لثلا يضيع
قالوا : وراقه أخوه إلى أن نام ، وأخذ العقيد من عقه وجعل في عقه نفسه ، ولما انتبه هبنقة ورأى أخاه ،
قال « أنت أنا ، وأنا باترى ، من هو أنا » وهو جاهلي .

(٦) الغني المالح المشهور ، وكان يسكن المدينة ، وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ، ويضرب به
المثل في الشؤم ، لأنه ولد يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وولد يوم مات أبو بكر ، وحدث يوم
قل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وكانت أمه تسمى بالنميمة بين نساء الأنصار ، ونوادر شؤمه كثيرة
مشهورة في كتب الأدب .

لَا يَتَقَارَبَانِ ، وَقُلْتَ : « الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ » وَتَمَثَّلْتَ (١) :
 « أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟ »

وَذَكَرْتَ أَنِّي عَلِقُ لَأَيْبَاعٍ (٢) مِمَّنْ زَادَ ، وَطَائِرٌ لَا يَصِيدُهُ مَنَّ أَرَادَ ، وَغَرَضٌ
 لَا يَصْبِيهِ إِلَّا مَنَ أَجَادَ . مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِيَةِ ، وَتَرَشَّحْتَ
 لِلتَّرْفِيَةِ ! وَلَوْ لَا أَنَّ جُرْحَ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ (٣) ، لَلَقَيْتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مَا لَاقَى
 يَسَارٌ (٤) ، فَهَاهُمْ إِلَّا يَبْعُضُ مَا بِهِ هَمَمْتَ ، وَلَا تَعْرَضُ إِلَّا لِأَيْسَرِ مَالِهِ
 تَعْرَضْتَ ، أَيْنَ ادْعَاؤُكَ رَوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ ؟
 أَمَا تَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلٌ مِسْمَعٍ وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَاهَا الْحَبِطَاتُ ؟ »

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وعمرك الله بالصعب وهما لأنه لم يرد القسم ، وإنما أراد سألت الله أن
 يطيل عمرك (بالفتح) أي حياتك ، وبعده قوله :

« هي شامية إذا ما استنكت وسهيل إذا استنقل يمانى . »

(٢) العلق : النفيس وهو من قصيدة للحريث بن قحطان التميمي كانت له فرس اسمها - سكاب - فأراد
 بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال :

« أبيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا تمار ولا تباع »

مفسدة مكرمة عاينا تجاع لها العيال ، ولا تجاع

فلا تطمع أبيت اللعن فيها ومنعكها شيء يستطاع . »

(٣) العجماء : البهيمة ، والحبار : الهدر ، والمعى : أن البهيمة إذا جرحت لادية لها ولا قصاص ،
 وهو مثل يضرب ، لمن يستهان به .

(٤) يسار : اسم عبد دميم أسود كان النساء يرينه فيضحكن منه لقبحه ويحسبن لفتكه
 معجبات به حتى نظرت إليه بنت مولاة فضحكت فظن أنها رضيت له ، فقال لصاحب له أسود : « قد

والله عفتني مولاتي ، فلا تزرونها الليلة » فقال له صاحبه « يا يسار ، اشرب لبن العشار ، وكل لحم الحوار
 وإياك وبنات الأحرار » فقال له « والله مارأيتي حررة إلا عفتني » فلما أمسى قال لصاحبه « احفظ علي

الابل حتى أنصرف ، وأهود إليك » فنهاه فلم ينته حتى دخل على بنت مولاة براودها عن نفسها ، فقالت
 له « مكلمك فان للحرائر طيباً ، أشمك إياه » فقال لها « هاتيه » فأنته بطيب وموسى قاطعة ، فأشنته

الطيب ، ثم أعتت بالموسى على منه فقطعته ، فخرج هارباً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل ، فضرب به المثل .

وَهَلَّا عَشَيْتَ وَلَمْ تَغْتَرَّ؟ وَمَا أَشُكُّ أَنَّكَ تَكُونُ وَافِدَ الْبَرَاجِمِ^(١)، أَوْ
 تَرْجِعُ بِصَحِيفَةِ الْمُتَمَسِّ^(٢)، أَوْ أَفْعَلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بِالْجُهَنِيِّ،
 إِذْ جَاءَهُ خَاطِبًا فَدَهَنَ أَسْتَهُ بَرِيَّتٍ وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّمْلِ، وَمَتَّى كَثُرَ تَلَاقِينَا
 وَاتَّصَلَ تَرَائِينَا، فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَادَعًا ابْنَةَ الْخَسِّ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السَّوَادِ^(٣)،
 وَقُرْبِ الْوَسَادِ؟ وَهَلْ فَقَدْتُ الْأَرَاقِمَ^(٤) فَأَنْكَحَ فِي جَنْبِ^(٥)؟ أَوْ عَضَلَنِي
 هَمَامُ بْنُ مَرْةَ فَأَقُولَ: « زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قُعُوْدٍ؟ »
 وَلَعَمْرِي لَوْ بَلَغْتُ هَذَا الْمَبْلَغَ لَأَرْتَفَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْحِطَّةِ، وَلَا رَضِيتُ بِهَذِهِ الْخِطَّةِ،
 قَالَتَارُ، وَلَا الْعَارُ، وَالْمَنِيَّةُ، وَلَا الدَّيْنِيَّةُ، وَالْحِرَّةُ تَجْمُوعٌ وَلَا تَأْ كُلُّ بَشْدَيْيَهَا^(٦):

- (١) وافد البراجم: هو رجل من بني تميم - والبراجم حسنة من أولاد حنظلة - والعرب تصرب المثل بواحد البراجم لأن عمرو بن هند أحرق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم لثأر له عندهم، وكان قد آلى أن يحرق منهم مائة فبينما هو يلتبس بقية المائة إذ مرَّ رجل اسمه عمار فاشتتم رائحة التتار فظن أن الملك اتخذ طعاماً ضدل إليه فقبل له « من أنت » فقال: « أنا وافد البراجم » فألقى في النار .
- (٢) شاعر جاهلي وفد هو وابن أخيه طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة فنادماه وبينما طرفة يهرب يوماً معه وفي يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو، فراها طرفة فقال: « ألا بأبي الظبي الذي تبرق شفتاه، ولولا الملك القاعد ألثمي فاه » فسمعها عمرو فأسرهما في نفسه وهم يقتله، ولكنه خاف من هجاء التمس، فكتب لهما كتابين إلى حامل البحرين، وقال: « إني كتبت لكما بصلة فاقبضاها من حامل البحرين » فخرجا من عنده بالكتابين، وصرَّ التمس بفلام من أهل الحيرة، فطلب إليه أن يقرأ كتابه فإذا فيه « إذا أتاك التمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه » فأقبل على طرفة فقال « والله لقد كتب لك بمثل هذا، فادفع كتابك إلى الفلام يقرؤه » فقال: « كلا ما كان ليجتري على قومي بمثل هذا » فألقى التمس صحيفته في نهر الحيرة وذهب طرفة مقتل .
- (٣) ابنة الخس امرأة جاهلية زنت ببعد لها، فلما قرعوها وعبروها بفعلتها ولاموها عليها قالت لهم معتبرة: « لقد حملني على ذلك قرب الوساد، وطول السواد » وهي تعني بطول السواد: طول السرار، وفي الحديث: « السواد من السحر » تقول: ساودته أي ساررتة، أنظر « ص ١٩٨ » (٤) حمى من تغلب .
- (٥) حمى من اليمن، وهو من شعر مهلهل التغلبي حين هرب وطالت عليه حرب اليبوس فزل في طريقه على حمى من اليمن فخطبوا إليه ابنته فساقوا المهر وهو جلود من آدم وغصبوه على الزواج فقال:
- « أهزز على تغلب بما أقيت أخت بني الأكرهين من جسم
 أنكحها فقدما الأرقام من جن ب وكان الحياء من آدم
 لوباً بأبائين جاء خاطبها ضرج ما أنف خاطب بدم . »
- (٦) هذه أمثلة لمن يفضل الهلاك على قبح الاحدوته .

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنْكَحٌ وَفَتِيَانٍ هَزَانَ الطَّوَالِ الْفَرَانِقَةَ^(١)

مَا كُنْتُ لَاتَخَطِّي الْمِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمْتَطِي الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ ، فَلِإِنَّمَا
يَتَيَّمُ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً ، وَيَرْعَى الْهَشِيمَ ، مَنْ عَدِمَ الْجَمِيمَ ، وَيَرْكَبُ الصَّعْبَ
مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبَوْتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ
مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْعَصْرِ ، وَرِيحَانِ الْمِصْرِ ، الَّذِينَ هُمْ الْكُوكِبُ غُلُوُّ
هِمِّمْ ، وَالرِّيَاضُ طَيْبُ شَيْمِمْ :

«مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي^(٢)»
حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ، وَأَنْتَى تَقَعُ مِنْهُمْ ، وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَאוُ
عَمْرٍ وَفِيهِمْ ، وَكَالْوَشِيظَةِ^(٣) فِي الْعَظْمِ يَبْنَهُمْ ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا بَلَغْتَ قَعْرَ
تَابُوتِكَ ، وَتَجَافَيْتَ عَن بَعْضِ قُوتِكَ ، وَعَطَّرْتَ أَرْدَانَكَ ، وَجَرَرْتَ هَمِيَانَكَ ،
وَاخْتَلَّتْ فِي مِشِيَّتِكَ ، وَحَذَفْتَ فُضُولَ لِحِيَّتِكَ ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ،
وَمَطَّطْتَ حَاجِبَكَ ، وَرَفَقْتَ خَطَّ عَذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَفْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، رَجَاءً
الْأَكْتِنَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي الْأَعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَنَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتَ
اسْتِكَ الْحَفْرَةَ^(٤) ، وَاللَّهُ لَوْ كَسَاكَ مُحَرَّقُ الْبُرْدَيْنِ^(٥) ، وَحَلَّتْكَ مَارِيَةٌ^(٦) بِالْقُرْطَيْنِ
وَقَلَّدَكَ عَمْرُ وَالصَّمَّامَةَ^(٧) ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّعَامَةِ^(٨) ، مَا شَكَتُ فَيْكَ ،

(١) اسم قبيلة - والعراصة الشباب ، والنس للأعشى .

(٢) البيت للعرندس أحد بني بكر بن كلاب .

(٣) قطعة العظم تكون زيادة في العظم الصميم - يقال ملاه وشيطة في قومه أي حشو فيهم .

(٤) مثل يصرب لمن يطلب أسرا فيحطه ولا يناله . (٥) انظر ص « ٢٠٠ »

(٦) ابنة ظالم زوج الحارث الأكبر الساسي - وقد أهدت قرطها إلى الكعبة .

(٧) انظر ص « ٢٠٧ - ٢١٠ »

(٨) فرس الحارث بن عباد التغلبي من سادات بني وائل .

وَلَا سَتَرْتَ أَبَاكَ، وَلَا كُنْتَ إِلَّا ذَاكَ، وَهَبَكَ سَامِيَّتَهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ
وَالْحَسَبِ، وَجَارِيَّتَهُمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ، أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى يَتِّ
قَعِيدَتُهُ لِكَاعٍ (١)؟ إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبُ خَالِي الدَّرَاعِ، وَأَيْنَ مَنْ أَنْقَرِدُ بِهِ مِمَّنْ
لَا غَلَبَ إِلَّا عَلَى الْأَقَلِّ الْأَخْسَّ مِنْهُ، وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَعْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ،
وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ، وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَيَّ، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَيَّ، وَبَيْنَ آخَرَ
قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ، وَتَزَحَّتْ بِيرُهُ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ،
وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشْفُ وَسُوءُ الْكَيْلَةِ (٢)، وَيَقْتَرِنُ عَلَيَّ بِكَ إِلَّا
الْغُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي يَتِّ سَأُولِيهِ (٣) :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحَرْصُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ (٤)

مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِدِرْعِكَ، وَتَرْبَعَ بِذَلِكَ عَلَى ظَلَمِكَ، وَلَا تَكُنْ
بِرَاقِشٍ (٥) الدَّالَّةَ عَلَى أَهْلِهَا، وَعَنْزَ السُّوءِ الْمُسْتَشِيرَةَ لِحَتْفِهَا، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ
بِكَ الْعِشَاءُ عَلَى سِرْحَانَ (٦)، وَبِكَ لَا بِظَائِي أَعْفَرَ (٧)، أَعْذَرْتَ إِنْ أَعْنَيْتَ شَيْئًا،
وَأَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا (٨) .

(١) القعيدة : الروحة ، واللكاع : الشيمة ، واليب للطيئة يقول :

« أطرف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لِكَاع . »

(٢) مثل بصرت في الحابن السبيثين يجتمعان . فالوا أنه لعمر بن مديكرب ، والحشف أردأ التمر ،

والكيلة مصدر يدل على الهيئة .

(٣) وهي امرأة من سلول ، وهو مثل فله طامر بن العليل عند ما توند النبي - صلى الله عليه وسلم -

دعا عليه وقال : اللهم اكفني عامرا بما ستنت ، يظهر في رقبته شدة مات منها وجعل يقول : « غدة كغدة

البعير ، وموت في بيت سلولية . » (٤) الدب لأبي العاصية . (٥) يشير إلى المثل (جنت

على أهلها راقش) (٦) الدب . (٧) مثل يصرب للشجاة بالـل - أي نزل بك المكروه ولا

نزل بطي ، والأعفر الذي لونه لون الدراب . (٨) يشير إلى قول المعري :

« لقد أسمعتم لو ناديت حيا . ولكن لا حياة لمن نادى

ونار لو سمعت بها أضاعت . ولكن أنت تفتح في رماد . »

ولعله اقتبسها في قصيدته من شعر عمرو بن مديكرب .

إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لَدِي الْحِلْمِ وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي^(١)
وَإِنْ بَادَرْتَ بِالنَّدَامَةِ ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ ، كُنْتَ قَدْ اشْتَرَيْتَ
الْعَافِيَةَ لَكَ بِالْعَافِيَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ قُلْتَ جَمْعَةً وَلَا طِخْنَ ، وَرُبَّ صَلْفٍ تَحْتِ^(٢)
الرَّاعِدَةِ ، وَأَنْشَدْتَ :

« لَا يُؤْيِسُنَّكَ مِنْ مُخَذَّرَةٍ قَوْلُ تَغْلِظُهُ وَإِنْ جَرَحَا^(٣) . »

فَعُدْتَ لِمَا نُهِيتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتَ مَا اسْتَعْفَيْتَ مِنْهُ ، بَعَثْتُ مَنْ يُرْمِيكَ إِلَى
الْخَضْرَاءِ^(٤) دَفْعًا ، وَيَسْتَجِثُّكَ نَحْوَهَا وَكَرًّا وَصَفْعًا ، فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبَثَ
أَكْأَرُوهَا^(٥) بِكَ ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ ، فَمِنْ قَرَعَةٍ مُعْوَجَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ ،
وَمِنْ فُجَلَةٍ مُنْتَنَةٍ يُرْمَى بِهَا تَحْتِ خُصَاكَ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، لِتَذُوقَ وَبَالَ
أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :

فَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٦)

(١) وهما مثلان يضربان في التحذير، وقد نظمهما الحارث بن ولاة اليشكري ، وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال :

« أفنك سادتنا بلا ترقة
ووطننا وطنا على جنف
وزعت أنا لا حلوم لنا
لا تأمن قوما ظلمتهم
ان بأبروا نخلا لميرهم
الآن لما ايمس مسريق
ترحو الأطاى أن أصلها
قوى هم قتلوا أيم أخى
فلئن عفوت لأهفون جلا

(٢) الجمجمة: صوت الرمح، والطحن: الدقيق، والصلف: قلة الخير والبركة، وسحاب صلف: أى قليل الماء كثير
الرد، وهما مثلان يضربان لمن يتوعد من غير أن يعمل . (٣) هذا البيت لبشار بن برد - وبعده قوله :
« عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بهدما جحا . »

(٤) الناحية: المزروعة من البلد، والوكز: ضرب الظهر مع الدفع أو الضرب بمجتمع اليد على الذقن .
(٥) الأكارون: الزارعون. (٦) البيت للمثنى - من قصيدة ذم كافور الاخشيدى وهجائه، ومنها قوله:

« وقد كنت أحسب قبل الخم
فما نظرت إلى عقله
وتد ضل قوم بأصنامهم
فأما بزق رياح فلا . »

الرسالة الجديدة لابن زيدون^(١)

« كتبها لابن جمهور »

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَادِي لَهُ ، وَأَعْتَادِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتَادِي بِهِ ،
 وَأَمْتِدَادِي مِنْهُ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَاضِي حَدِّ الْعَزْمِ ، وَارِي زَنْدِ^(٢) الْأَمَلِ ، ثَابِتَ
 عَهْدِ النِّعْمَةِ ، إِنْ سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِبَاسِ نِعْمَاتِكَ ، وَعَطَّلْتَنِي مِنْ حُلِي
 إِيْنَاسِكَ ، وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى بَرُودِ^(٣) إِسْمَافِكَ ، وَتَفَضَّتْ بِي كَفِّ حِيَاطَتِكَ ،
 وَغَضَضَتْ^(٤) عَنِّي طَرْفَ^(٥) حِمَايَتِكَ ، بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيْلِي لَكَ ،
 وَسَمِعَ الْأَصْمَ ثَنَائِي عَلَيْكَ^(٦) ، وَأَحَسَّ الْجَمَادُ بِأَسْتِحْمَادِي إِلَيْكَ - فَلَا غَرَوَ
 قَدْ يَفْصُ بِالمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاهِ الْمُسْتَشْفِي بِهِ ، وَيُوْتِي الْحَذِرُ مِنْ
 مَأْمَنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَعِّي فِي أُمْنِيَّتِهِ^(٧) ، وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ
 الْحَرِيصِ^(٨) :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوُنُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحَسَادِ
 وَإِنِّي لَا تَجَلَّدُ ، وَارِي الشَّامِتِينَ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمَّعُ^(٩) ، فَأَقُولُ :

(١) ارجع إلى « ص ٤٩ » (٢) الزند : الزناد ، ووري الزند هو اقتداحه وحروج النار منه .

(٣) برود : بارد . (٤) غضضت : حففت .

(٥) طرف : عين . (٦) يشير إلى قول المتنبي :

« أنا الذي نظر الأعمى إلى أدنى وأسمعت كلماتي من به صم . »

(٧) فيما يؤمله ويتمناه .

(٨) الحين : الهلاك ، والجهد : الطاقة ، وهذا مثل من أمثال العرب مشهور . قال عدى بن زيد :

« قد يدرك المطى من حظه - والحين قد يسبق جهد الحرير . »

(٩) يشير إلى قول أبي ذؤيب الهذلي :

« وتجلدى للشامتين أريهم - أنى - لرب الدهر - لا أتضعع . »

وقد تمثل به معاوية قبيل وفاته .

هَلْ أَنَا إِلَّا يَدُ أَدْمَاهَا سِوَارُهَا^(١) ، وَجَبِينَ عَضَّ بِهِ إِكْلِيلُهُ^(٢) ، وَمَشْرِفِي^(٣)
 الصَّقَّةُ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ ، وَسَمَهْرِي^(٤) عَرَضَهُ عَلَى النَّارِ مُثَقَّفُهُ ، وَعَبْدُهُ ذَهَبَ
 بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

« فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلِيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ^(٥) »
 هَذَا الْعَتَبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ، وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ^(٦) غَمْرَةٌ^(٧) ثُمَّ تَنْجَلِي ، وَهَذِهِ
 النَّكْبَةُ سَعَابَةٌ صَيْفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ^(٨) ، وَلَنْ يَرِيْبِنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ
 أَبْطَأَ سَيْبُهُ^(٩) ، أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ ضَنِينٍ - غَنَاؤُهُ^(١٠) ، فَأَبْطَأَ الدَّلَاءُ فَيَضًا
 أَمْلُوْهَا^(١١) ، وَأَثْقَلُ السَّحَابِ مَشِيًّا أَحْفَلُهَا^(١٢) ، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ^(١٣)
 جَدْبًا ، وَالذُّ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَدِيلًا^(١٤) ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ

(١) السوار : نوع من الخيل يابس في الساعد ، وقريب من هذا قول المنفي :

« يو كعب - وما أرت فيهم - يد - لم يدمها إلا السوار لها - من قطعه - ألم ونفس ، وفيها - من جلالة - افتحار . »

(٢) الأكليل : الناج . (٣) المشرفي : السبب .

(٤) السمهري : الرمح .

(٥) البيت لأني تميم ، وقريب من هذا المعنى قول المعري :

« اضرب وايدك - تأدياً على ريش - ولا تقل هو طبل عسير ستلم »

درب شسق برأس جر منفعة ، وقس على شق رأس السيف والقلم . »

(٦) النبوة : الجفوة . (٧) الغمرة : الشدة . قال الشاعر :

« وما هي إلا عمرة ثم تنجلي سريعاً وإلا نبوة تتصرم . »

(٨) مثل عربي : يشير إلى أن العسر سيقع به اليسر بعد قليل .

(٩) سيده : جوده أو عطاؤه . (١٠) غناؤه : خيره أو نفعه .

(١١) مثل عربي ، يقولون : « لعل أبطأ الدلاء أملؤها » وقد اشتق به الحريري في إحصاء

مقاماته ، ومعناه إن أبطأ الدلاء في الصعود هي الدلاء المثلثة بالماء .

(١٢) أحفلها : أكثرها ماء .

(١٣) الحيا : الغيث أو المطر .

(١٤) الغليل : شدة العطش .

كِتَابٌ ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ ^(١) ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ ^(٢) :
« فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ - الَّذِي سَاءَ - وَاحِدًا ، فَأَفْعَالُهُ - اللَّاتِي سَرَرْنَ - الْوُف . »

* * *

وَأَعُودُ فَأَقُولُ :

« مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسَعَهُ عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِمْلُكَ ،
وَالتَّطَاوُلُ ^(٣) الَّذِي لَمْ يَسْتَغْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ ،
وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيثًا ، فَأَيْنَ الْعَدْلُ ؟ أَوْ مُسَيْبًا ، فَأَيْنَ الْفَضْلُ ؟ »
إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعٌ ^(٤)
حَنَانِيكَ ^(٥) قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الرَّبِّي ^(٦) ، وَنَالَني مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَنِي ، وَمَا أَرَانِي
إِلَّا أَمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ^(٧) فَأَبَيْتُ وَأَسْتَكْبَرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحٌ ^(٨) :
« أَرْكَبْ مَعَنَا » فَقُلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » وَأَمِرْتُ

(١) اهتباله : اغتنامه .

(٢) اغفاله : تماضيه وتعاوله .

(٣) التتاول : التكبر ، والتطول : التفضل ، والتعامل : السكيف بما لا يطاق ، والاحتمال : هو القدرة على الجبل .

(٤) البيت الأول للترى ، والثاني مأخوذ من قول الشاعر :

« هبيني طلوما ملته بمساعة قصاصا وأين الأحذيا عزما لفضل ؟ . »

(٥) حنانيك : رحمتك وهو مثنى كلمة حنان .

(٦) الزنى : جمع زبية وهي الحفرة في مكان مرتفع لا يملوه الماء تحفر لصيد الأسد ، فاذا وصل إليها السيل كان سيلا عظيمًا لاعهد للناس به ، وهو مثل يضرب للشئ يربى على عابه .

(٧) يشير إلى استكبار إبليس عن السجود لآدم حين أمره الله بذلك بعصاه وحقت عليه اللعنة ، ومض نفسه عليه لأنه من نار وآدم من طين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : « مسجدوا إلا لإبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين » .

(٨) يشير إلى قصة نوح حين فاض الطوفان ، وركب السفينة هو ومن معه وحالفه ابنه وعصاه فهلك ، وقد أشار الكتاب الكريم إلى ذلك في قول نوح : « يا بئى أركب معنا ولا تكن من الكافرين » وقول ابنه : « ساوى لى جبل يعصمى من الماء » .

بِنَاءِ الصَّرْحِ ^(١) لَمَلَى أَطْلَعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى ، وَعَكَفْتُ عَلَى الْعِجْلِ ^(٢) ، وَأَعْتَدْتُمْ
فِي السَّبْتِ ^(٣) ، وَتَعَاطَيْتُمْ ^(٤) فَمَقَرْتُمْ ^(٥) ، وَشَرِبْتُمْ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَبْتَلِي
بِهِ جِيُوشُ « طَالُوتَ » ^(٦) ، وَقُدْتُ الْفَيْلَ لِأَبْرَهَةَ ^(٧) ، وَعَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى
مَا فِي الصَّحِيفَةِ ^(٨) ، وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ ^(٩) ، وَتَفَرَّتُ إِلَى الْعَيْرِ بِيَدْرِ ،
وَأُنْخَذْتُ بِثُلُثِ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ ^(١٠) ، وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْمَعْصِرِ فِي

(١) الصرح : الفصر - يشير إلى قصة فرعون وهي مدكورة في الكتاب الكريم حين قال : « يا أيها
الملك ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً » .

(٢) يشير إلى عجل بني إسرائيل الذي عبده .

(٣) يشير إلى قصة بني إسرائيل حين نبوا عن الصيد في يوم السبت فخالفوا ما نبوا عنه ، فحق بهم العذاب

(٤) تعاطيت : أي قتت على أطراف أصابع رجلي ورفعت يدي وضربت .

(٥) عقرت : قتلت يقال عقر العير بالسيف أي ضربت قوائمه به وهو يشير بذلك إلى ناقة صالح وذنوب

من عقرها ، وإلى الآية الكريمة : « فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسواها »

(٦) يشير إلى الذنب الذي اقترفه حيش « طالوت » عليه السلام ، وإلى الآية : « إن الله مبتليكم بنهر

فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده « ولكن أكثرهم خاله وشرب

منه فوقعوا في الآثم ، قال أبو العلاء :

« سقيا لدحة والدنيا مفرقة حتى يمود اجتماع النجم تشبينا

وبعدها لأريد الشرب من نهر كأنما أنا من أصحاب طالوتا »

(٧) يشير إلى قصة أبرهة عامل اليمن من قبل النجاشي حين ذهب لهدم الكعبة ومعه الفيلة لمضيه عليها

إذ بي كيسة في صنعاء اليمن ليحج إليها الناس بدل الكعبة فلم يمنوا بها وتوطر رجل فيها وأحرقها بهن نجار

اليمن ، وغضب النجاشي من ذلك ، وأمر أبرهة عامل اليمن بدمها وانقصة مدكورة في الكتاب الكريم

« ألم تر إلى رك كيف فعل بأصحاب الفيل * ألم تركيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترهيم

بججارة من سجيل * فجعلهم كعصف ما كول . » وقد أشار المعري إلى هذه القصة في لزومياته بقوله :

« حديث جاء عن قايي - ل - في الدهر - وهابلا

وطير عكمت يوماً على الجيش أبابيللا

متى نرحل عن دنيا تزيد العقل تخيلا . »

(٨) يشير إلى الصحيفة التي كتبها قريش وعلقوها في الكعبة يقررون فيها مقاطعة النبي - صلى الله

عليه وسلم - وحادثة الاسلام بعد أن رأوا إسلام عمر وحزرة الذي اعتز بها الدين .

(٩) نقض بيعة العقبة : مخالفة الاجماع والشذوذ عن : حجة الصواب .

(١٠) يشير إلى واقعة « أحد » حين انخذه ابن سلول هو ومن معه من المنافقين ورجعوا

بثك الجيش .

بَنِي قُرَيْظَةَ ^(١) ، وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ ^(٢) عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ ، وَأَنْفَتُ مِنْ
إِمَارَةِ أُسَامَةَ ^(٣) ، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ ^(٤) كَانَتْ فُلْتَةً ، وَرَوَيْتُ
رُحْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ ^(٥) ، وَمَزَّقْتُ الْأَدِيمَ ^(٦) الَّذِي بَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
وَضَمَيْتُ بِالْأَشْمَطِ ^(٧) الَّذِي عُنُوَانُ السُّجُودِ بِهِ ، وَبَدَأْتُ لِقَطَامٍ ^(٨) .
« ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرَبَ عَلِيٌّ بِالْحُسَامِ الْمُسَمَّمِ »

(١) بنو قريظة : طائفة من اليهود وقد أسر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بعد عودته من غزوة
الحدوق أن يصلوا المعصر في بني قريظة يعنى بذلك أن يسرعوا في الذهاب إليهم .
(٢) تشير إلى جريمة مسطح وحسان في حادثة الافك ، وهي اتهام عائشة زوج النبي - صلى الله عليه
وسلم - حين كانت عائدة من غزوة بني المصطلق ونزلت من اليهودج لقضاء حاجتها وسار أصحاب الرسول
- صلى الله عليه وسلم - من غير أن يتفقوا عائشة ، وكانت قد تخلعت عن الركب ، ومرت بها صفوان
وكان متحلفاً عن الركب فأركبها على جملة ، ولما وصلا أشاع أعوان سوء عنها ما أشاعوه ، ثم برأها القرآن ،
وأظهر طهارتها ، وألجم أهل الافك والبهتان .
(٣) يشير إلى تولية النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن حارثة قيادة الجيش الذي ذهب إلى الشام
وإلى تعالى بعض المهاجرين ، وأنتهم من إمارته ، وغضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليهم وتقريره
ليامهم ، وصعوده المنبر وهو طاسب رأسه لمرضه .
(٤) يشير إلى رأى الشيعة في أن علي بن أبي طالب كان أجدر بالخلافة من أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر
قد اختلسها لنفسه اختلاساً .

(٥) يشير إلى ملك أبي شجرة السلمي في بعض حروب الردة بجيش خالد بن الوليد .
(٦) يشير إلى أديم «عمر» أي جلده الذي صرّقه أبو لؤلؤة الخوصي حين قتله ، ويشير إلى قول الشاعر في رثائه :
« جزى الله خيراً من إمام ، وباركت يد الله في ذلك الأديم المذرق . »
(٧) يعنى بالأشمت : عثمان بن عفان ، وهو يشير إلى قول حسان بن ثابت في رثائه :
« ضحوا بأشمت ، عنوان السجود به ، يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً . »
(٨) قطام : اسم امرأة أغرت عبد الرحمن بن ملجم قتل علي ومرضته ، هراً لها ، فأجابها إلى ما طلبت ،
ويلى هذا البيت قوله :

« فلامهر أغلى من علي - وإن علا - ولا فلك إلا دون فلك ابن ملجم . »
وقد أشار البحري إلى ذلك أبداع إشارة حين قال :
« ولا عجب للأسد إن طفرت بها
خربة وحشى سقت حمزة الردي ، وموت علي من حسام ابن ملجم . »



وَكَتَبْتُ إِلَى عَمْرٍو بْنِ سَعْدٍ: « أَنْ جَمَعِجُ (١) بِالْحُسَيْنِ » وَتَمَثَّلْتُ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ (٢) :

« لَيْتَ أَشْيَاخِي - بِيَدْرِ - عَامُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلَنِ »
وَرَجَعْتُ الْكَعْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِذَ عَلَى الثَّنِيَّةِ (٣) ، لَكَانَ - فِيهَا جَرَى عَلَى -
مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَى نَكَالًا ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ - عِقَابًا .
« وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَا ! »

* * *

فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا نَعِيمَةٌ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ (٤) ، وَنَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ .
وَهُمْ الْهَمَّازُونَ الْمَشَاءُونَ (٥) بِنَعِيمٍ ، وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا
الْعَصَا ، وَالْفَوَاةُ (٦) الَّذِينَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا (٧) صَحِيحًا ، وَالسَّعَاءُ (٨) الَّذِينَ
ذَكَرَهُمُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدْقُ مَحْمُودٌ إِلَّا مِنْهُمْ »
« حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِي رَيْبَةً ، وَلَيْسَ - وَرَاءَ اللَّهِ - لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ »
وَاللَّهِ ، مَا غَشَمْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ ، وَلَا أَنْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ (٩) ، وَلَا
نَصَبْتُ لَكَ (١٠) بَعْدَ التَّشْيِيعِ ، وَلَا أَزْمَعْتُ يَا سَأْمَنُكَ مَعَ ضَمَانٍ تَسْكَفَلْتُ بِهِ

(١) يشير إلى تحريص عبيد الله بن زياد على قتل الحسين حين أرسل عمر بن سعد لقتله وأتبعه شمر وأمر عبيد الله عمرو بن سعد أن يجمع الحين أي يسبق عليه الخناق .
(٢) وقعة الحرّة - يشير إلى ما فعله يزيد بن معاوية حين أرسل عقبة بن مسلم لمحاربة أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام ، ولما تمّ يريد ذلك تمثّل بقول ابن الربيعي : « ليت أشياخي الخ . »
(٣) يشير إلى رحمة الحاج الكعبة بالمنجنيق وصلبه عند الله بن الربيع وهو يعنيه بالمأذ أي المنجنيق ، والثنية : طريق العقبة . (٤) الكاشح : العدو .
(٥) الهمازون : الذين يكثرون الهمز وهو العيبة ، والمشاءون : الذين يكثرون السمي بين الناس بالنعيمة .
(٦) الفوأة : جمع عار وهو المسال . (٧) الأديم الجلد .
(٨) السعأة : الذين يسعون بين الناس بالفساد . (٩) الصاعية : صاعيسة الرجل خاصته الدين صفون إليه ويفشون مجلسه . (١٠) ولا نصبت لك : عاديتك .

الثِّقَّةُ عَنكَ ، وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ . فَصِيمَ عِبْتِ الْجَفَاءِ بِأَذْمَتِي ^(١) ،
وَعَاتِ الْعُقُوقُ فِي مَوَاتِنِي ، وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ مِنِّي وَسَائِلِي ؟ وَ لِمَ ضَاقَتْ
مَذَاهِبِي ، وَأَكْدَتِ مَطَالِبِي ؟ وَعَلَامَ رَضِيَتْ مِنِّي الْمَرْكَبُ بِالتَّعْلِيْقِ . بَلْ
مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ^(٢) ؟ وَبِأَنَّ عَلَبَنِي الْمَغْلَبُ ^(٣) ، وَفَجَرَ عَلَيَّ الْعَاجِزُ الضَّعِيفُ ،
وَلَطَمْتَنِي غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ ^(٤) ؟ وَمَا لَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أُفْتَرَسَ ، وَتُدْرِكْنِي
وَلَمَّا أَمْرَقُ ^(٥) ؟ أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّمُ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ ^(٦) حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ
بِكَ ؟ وَتَتَقَطَّعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ وَقَدْ
زَانِي قَدِيمُ خِدْمَتِكَ ، وَزَهَانِي وَسَمُّ نِعْمَتِكَ ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي
سِمَاطِكَ ^(٧) ، وَقَمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بَسَاطِكَ ؟

« أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غُرَّةً فَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ - أُجْمَا
ثَنَاءً يَطَّلُ الرُّؤُوسُ مِنْهُ مَنُورًا ضَمًّا ، وَيُخَالُ الْوَشْيُ فِيهِ مُنَمَّنًا »

(١) الأداة : العهود والحرمان . (٢) رصيت من العيبة بلاياي : مثل ضرب في القناعة بالسلامة
قال امرؤ القيس :

« لقد طرقت في - الآفاق - حتى رصيت من العيبة بلاياي . »

(٣) المغلب : أي الضعيف . قال الشاعر :

« فإني لم يفجر عليك كفاخر ضعيف ولم يفلح مثل ممل . »

(٤) في المثل « لو ذات سوار لطمتني » ، يشير إلى ضعف المعتدي وحقارته والمادة أن السوار
لا تلبسه إلا الحرّة . قال الشاعر :

« بلاء ليس يعدله بلاء عداوة غيردي حسب ودين

يدحك منه عرضاً لم يهره ويرقع ملك في عرض مصون . »

وقال المعري : « خف يا كريم على عرض تعرضه لعائب ، فلتئيم لا يقاس بك

إن الزجاجة - لما حطمت - سبكت وكم تحطم من در فسا سبكا . »

(٥) وتدركني ولما أمرق : يشير إلى قول المنقب العمدي ، وقد اشتهد به عثمان بن عفان في كتابه إلى علي :

« فإن كنت ما كولا فكن أنت آكله وإلا فأدركني ولما أمرق . »

(٦) الأكفاء : جمع كفاء وهو الندى أي المثيل .

(٧) السباط : الصف ، وقد مرّ بك قول ابن زيدون في ص « ١٤٤ »

« إذا ما استوى في الدست طادحوة ، وقام سباطا حقه على الصدر . »

أي صفا حقه .

وَهَلْ لَبَسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتَهُ بِفَضَائِلِكَ ، وَتَقَلَّدْتَ الْجَوْزَاءَ إِلَّا عِقْدًا
فَصَلَّتُهُ بِمَآئِكَ ، وَأَسْتَمَلِي الرَّيِّعُ إِلَّا ثَنَاءَ مَلَائِكَةٍ بِحَاسِنِكَ ، وَبَثَّ (١) الْمَسْكُ
إِلْحَادِيًّا أَدْعَتُهُ فِي مَحَامِدِكَ ؟ مَا يَوْمُ «حَلِيمَةَ» بِسِرِّ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكْسُكَ
سَلِيًّا (٢) ، وَلَا حَلِيَّتِكَ عُطْلًا (٣) ، وَلَا وَسَمْتِكَ غُفْلًا ، بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا (٤)
فَبَنَيْتُ ، وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ ، حَاشَ لَكَ أَنْ أُعَدَّ مِنْ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ (٥)
وَأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ (٦) الْمَنْصُوبَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْتَرِقُ ، فَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ
- بِكَ وَبِي - فِيكَ أَوْلَى ، وَلَعَنَرِي إِنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ (٧) إِذَا بَلَغْتَنِي
الشَّمْسُ وَنَبَا بِي الْمَنْزِلُ ، وَأَصْفَحَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقَطُّعُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ .
فَلَا أُسْتَوِطِنُ الْعَجْزَ ، وَلَا أُطَمِّنُ إِلَى الْغُرُورِ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ :
«حَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ (٨)» وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنْ أَجْلَاءَ (٩) سِبَاءَ (١٠) وَالنُّقْلَةَ مُمَثِّلَةً (١١) :

(١) بثَّ : نشر ، وقوله « ما يوم حليلة بسر » مثل يصر - في كل أمره تعالم مشهور ، وأصله أن الحارث بن أبي شمر وجد حبشا إلى المنذر بن ماء السماء في العروة التي قتل فيها ، وأمر ابنته حليلة فأخرجت لهم سركا فيه خلق أي طيب ، فقال حلقيهم نظرت إليهم ، فجعلت تحفه . وهي من أجل ساء عصرها ، ومعنى القوم حتى أتوا المنذر ، فقالوا أنبياءك من عند صاحبنا وهو يدين لك بالطاعة ويعطيك حاجتك ، فتباشر المنذر بذلك ، وغفل المنذر وعسكره مع العفلة فحماؤا عليه وقتلوه ، وكان الحارث قد أوصاهم بذلك قبل أن يوجههم إليه ، فعيل : ما يوم حليلة بسر هدمت مثلا .

(٢) السليبي : المسلوب . (٣) العطل : العاطل . قال الطبراني :

« أصالة الرأي صاتي عن الخطل وحليلة الففضل زانتني لدى العطل . »

(٤) الآخر : الطيب ، والحس : الخير . وقد تناول الكتاب والشعراء هذا المعنى ، ولكننا لم نقرأ أبداً

من قول أمير الشعراء في قصة قبيز على لسان وصيفة مملكة فارس :

« إني وسعت ذها في بوتقه ولم أصف - بالطيب - إلا زبقه

وقلت عن شمس النهار : مشرقه . »

(٥) يشير إلى قوله تعالى : « وحوه يومئذ حاشعة عاملة ناصية تصلي ناراً حامية . »

(٦) يشير إلى قول عباس بن الأحنف :

« صرت كائن ذبالة نصبت نصي للناس وهي تحرق . »

(٧) في المثل « إذا بلغتك الشمس فتحول » (٨) حامري أم طامر : مثل يضرب لمن عرف

الدنيا وتقلباتها ولم تمنعه معرفته أن يميل إليها ويفتر بها . قال البهاء زمير :

« حذعوك بالقول المحال فصح أمك أم طامر . »

(٩) الجلاء : النزوح عن الوطن . (١٠) السبأ : الأسر . (١١) والنقطة : الكمال .

«وَمَنْ يَغْتَرِبْ - عَنْ قَوْمِهِ - لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَّجْرًا وَمَسْجَبًا وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ يُسِيءُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا»^(١) عَارِفٌ أَنَّ الْأَدَبَ الْوَطَنُ لَا يُخْشَى فِرَاقُهُ، وَالْحَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ زِيَالُهُ^(٢)، وَالنَّسِيبُ لَا يُجْنَى، وَالْجَمَالُ لَا يُخْفَى، ثُمَّ مَا قَرَأَ السَّعْدُ بِالْكَوَاكِبِ أَبْهَى أَثْرًا، وَلَا أَسْنَى خَطْرًا، مِنْ أَقْبَرَانِ غَنَى النَّفْسِ بِهِ، وَأَنْتِظَامِهَا نَسَقًا^(٣) مَعَهُ، فَإِنَّ الْحَاثِرَ لَهُمَا، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ مَنَهَلَ بَرٍّ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ، وَضَوَّجِكَ قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ، وَأَعْطَى حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ.

وَقِيلَ لَهُ: «أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَهَذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ»
 غَيْرَ أَنَّ الْوَطَنَ مَحْبُوبٌ، وَالْمَنْشَأُ مَأْلُوفٌ، وَاللَّيْبُ يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ، حَنِينَ النَّجِيبِ^(٤) إِلَى عَطْنِهِ^(٥)، وَالكَرِيمُ لَا يَخْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَائِلُهُ^(٦)، وَلَا يَنْسَى بِلَادًا فِيهَا مَرَاضِعُهُ، قَالَ الْأَوَّلُ:

«أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ إِلَى وَسَلْمَى - أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
 بِلَادٌ بِهَا حَلَّ الشَّبَابُ تَمَامِي^(٧) وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا»

هَذَا إِلَى مُعَالَتِي بِعَقْدِ جِوَارِكِ، وَمُنَافَسَتِي بِلَحْظَةِ مِنْ قُرْبِكَ، وَأَعْتِقَادِي

(١) كَبْكَب : الحبل . (٢) الزيال : المفارقة .

(٣) النسق : ما كان على نظام واحد . (٤) النجيب : الفحل الكريم من الابل .

(٥) العطن : مراك الابل حول الماء .

(٦) القوابل : جمع قابلة وهي التي تتلقى المولود عند خروجه (الداية) .

(٧) وفي رواية : «عق الباب .» وفي أخرى : «شق الشاب» وفي رواية اللسان :

«نبتت على تمامي» والتمام : ما يعلق للعظم ليقبه شر الحسد . قال الشاعر :

«وإذا المنية أشبت أظفارها ألبت كل تيممة لا تنفع .»

أَنَّ الطَّمَعَ - فِي غَيْرِكَ - طَبَعٌ ، وَالْغِنَى - مِنْ سِوَاكَ - عَنَاءٌ ، وَالْبَدَلَ مِنْكَ أَعْوَزُ ،
 وَالْعَوْضَ لَفَاءً (١) :

« وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي ضَنْنًا بِهِ - نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ »
 وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا (٢) ، وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَأَسْتَمَجِدَ الْمَرْخَ
 وَالْعَفَارُ (٣) ، فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ يَمُنُّ بِتَوْلَاكَ ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنكَ ، وَهَلَا
 كَانَ هَوَاكَ فَيَمُنُّ هَوَاهُ فِيكَ ، وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ :

« يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ »
 أَعِيدُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ (٤) خُلْبًا (٥) ، وَأَسْتَمْطِرُ جَهَامًا (٦) ، وَأَأْكُدِمُ (٧)
 فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعُقْبَانِ (٨) وَالرَّحْمِ ، فَمَا
 أَبْسَسْتُ (٩) لَكَ إِلَّا لَتَدِيرًا ، وَمَا حَرَّكَتُ لَكَ الْخُورَارَ (١٠) إِلَّا لِتَحِنٍّ ، وَمَا
 نَبَّهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامٍ (١١) ، وَمَا سَرَّيْتُ إِلَيْكَ ، لِأَلِأَحْمَدِ الشَّرِيِّ (١٢) لَدَيْكَ . وَإِنَّكَ

(١) لفاء : حيس . قال الشاعر :

« وما أن بالضعيف وظلموني ولا حطى انعام رلا الحيس »

(٢) كل الصيد في جوف الفرا : انظر « ص »

(٣) المرخ والعفار : نوطان من الشجر سريعاً الاتعاد ، وقريب من هذا قول المعري :

« وأمعست بك النخل - والحل مشور - وأعجبي من حك الذلح والصال . »

(٤) أشيم : أراقب السحاب لأرى أين يمتطر . (٥) الخلب : البرق الذي لا يصبح به غيث .

(٦) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٧) أكدم : أعس - والمثل العربي : « كدم في غير مكدم » - وهو يضرب لمن يريد الشيء من

غير أهله . (٨) يشير إلى قول المتنبي :

« ولا تشك إلى قوم فتشتمهم شكوى الجريح إلى العقبان والرحم . »

(٩) أبسست : رذقت من الرفق . (١٠) الخوار : ولد الناقة . (١١) يشير إلى قول بشار بن برد :

« إذا أيقظتك حروب العدا دنبه لها عمراً ، ثم نم »

دنتي لا ينام على غيرة ولا يشرب الماء إلا بدم . »

(١٢) يشير إلى المثل المشهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى » يشير إلى قرب الفرج بعد الصيق .

إِنْ سَنَيْتَ ^(١) عَقْدَ أَمْرِي تَيْسَّرَ ، وَمَتَى أَعْذَرْتَ ^(٢) فِي فِكِّ أَسْرِي لَمْ يَتَعَدَّرْ ،
 وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ النِّعْمَةِ ، وَالشَّقَاقَةَ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ ، وَفَضْلُ
 الْجَاهِ - تَعُودُ بِهِ - صَدَقَةٌ :

« وَإِذَا أَمْرٌ وَأَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ - فَكَأَنَّهُمَا مِنْ مَالِهِ ^(٣) »

لَعَلِّي أَلْقِي الْعَصَا بِذِرَاكٍ ^(٤) ، وَتَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ، وَأَسْتَأْنِفُ التَّأْدِبَ
 بِأَدْبِكَ ، وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحْظَةٍ ^(٥) ، وَلَا أَدْعَ
 لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لِفْظَةٍ ، وَاللَّهُ مُبَشِّرُكَ مِنْ إِطْلَابِي بِهِذِهِ الطَّلِبَةِ ^(٦) ، وَإِسْكَائِي ^(٧)
 مِنْ هَذِهِ الشُّكُورَى ، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمَصْنَعِ ، وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ
 مُسْتَوْدِعٍ ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ ، وَذَلِكَ بِيَدِهِ وَهَيْئٌ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا تَوَالَتْ عِذْرُ هَذَا التُّرِّ ، وَأَتَسَقَّتْ دَرَرُهُ ، فَهَزَّ عِطْفَ غُلُوَائِهِ ،
 وَجَرَ ذَيْلَ خَيْلَانِهِ ، عَارِضَهُ النِّظْمُ مُبَاهِيًا ، بَلَّ كَأَيْدِهِ مُدَاهِيًا ، حِينَ أَشْفَقَ
 أَنْ يَسْتَعْطِفَكَ أَسْتَعْطَافُهُ ، وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ الطَّافُهُ ^(٨) : فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ ^(٩)
 مِنْهُ ، وَأَعْتَدَّ بِالْفَائِدَةِ لَهُ ، فَزَالَ يَسْتَكِدُّ الذَّهْنَ الْعَمِيلَ ، وَالخَاطِرَ الْكَلِيلَ ،
 حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مَجْلُوءَةً ، فِي أَثْوَابِهَا ، مَنْصُوصَةٌ ^(١٠) ، بِحَلِيِّهَا وَمَلَابِهَا ^(١١) :

(١) سنيبت : يسرت وسهلت .

(٢) أعذرت : طلقت العذر .

(٣) البيت لأبي تمام . (٤) ذراك : كنفك وظلك .

(٥) لحظة : نظره .

(٦) الطلبة : المطالب . (٧) إسكائي : إزاله شكواي .

(٨) الطافه : حيره وبره .

(٩) العائدة : الجميل أو الصبيح .

(١٠) منصوصة : مرفوعة على المصصة ليلة الرفات . (١١) الملاب : الرعهران .

الهُوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ - وَالْمَنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ الذَّمِّيمِ (١)
 سَرْنَا عَيْشُنَا الرَّقِيقُ الْحَوَاشِي وَطَرَّ مَا أَنْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى
 إِذْ خَتَامُ الرِّضَا الْمُسَوِّغِ مِسْكٌ وَمِزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ
 وَغَرِيضُ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبِّ - وَنَشْوَانُ مِنْ سُلَافِ الذَّمِّيمِ
 طَالَمَا نَافَرَ الْهُوَى - مِنْهُ - غِرٌّ لَمْ يَطُلْ عَهْدُ جِيْدِهِ بِالتَّمِّيمِ

* * *

أَيُّهَا الْمُوذِنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْمِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ
 قَمَرِ الْأَفْقِ - إِنْ تَأْمَلْتِ - وَالشَّمْسُ مَهْمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو - بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ - نَحْوِ الْعَظِيمِ

* * *

بَوَاءَ اللَّهُ « جَهْوَرًا » شَرَفَ السُّو دَدِ فِي السَّرْوِ وَاللُّبَابِ الصَّمِيمِ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْرُ ، فَكَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْعُمُومِ
 قَلَدَ الْعُمُرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ ، وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ
 خَطَرٌ يَقْتَضِي الْكَمَالَ ، بِنَوْعِي خُلُقٍ بَارِعٍ وَخُلُقٍ وَسِيمِ

* * *

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ: هَا أَنَا أَشْكُو ، وَالْعَصَا بَدَاهُ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ
 مَا عَنَانَا أَنْ يَأْتِفَ السَّابِقُ الْمَرْ بَطَ فِي الْعَتِقِ مِنْهُ وَالتَّطْوِيمِ
 وَبَقَاءِ الْحَسَامِ - فِي الْجَفْنِ - يَثْنِي مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالتَّصْمِيمِ

(١) انظر شرح هذه القصيدة في «ص ٥٠» من هذا الديوان .

أَفَصَبْرٌ مِّثِينَ خَمْسًا مِنَ الْآيَاتِ م؟ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ!
 وَمُعَنَى - مِنَ الضَّنَى - بَهِنَاتٍ نَكَاتٍ بِالْكُلُومِ قَرَحِ الْكُلُومِ
 سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ، وَفِي الْعَا نِدِ أَنْسٌ يَنْفِي بِيْرُهُ السَّقِيمِ
 نَارٌ بَغْيٍ، سَرَى - إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ - لَطَاهَا، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ
 بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بُرْدًا وَسَلَامًا، كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ
 لِلشَّفِيعِ الشَّنَاءِ، وَالْحَمْدُ فِي صَوِّ بِ الْحَيَا - لِلرِّيَّاحِ ، لَا لِلغُيُومِ
 وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُذَلَّ - لِي الصَّغْبُ - مَثَابِي إِلَى الْهَمَامِ الزَّعِيمِ
 وَوِدَادٌ - يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ - وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ
 وَثَنَاءٌ أَرْسَلْتُهُ سَلْوَةَ الظَّا عِنَ عَنْ شَوْقِهِ ، وَلَهْوُ الْمُقِيمِ
 فَهَوَ رِيْحَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِرَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ
 لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًا - عَلَى هَفْوَةِ الْجَا نِي - مُصِيخًا إِلَى أَعْتِدَارِ الْكَرِيمِ
 وَمَتَى تَبَدَّ الصَّنِيعَةَ يُورِنُكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالشَّمِيمِ
 وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ :

« لَيْسَ دَهْرِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ - وَبَلَاءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ -
 لَيْسَ يُسْتَنْكَرُ النُّحُولُ لِثَلِي ، جَسَدِي مُبْتَلَى بِقَلْبِ مَشُومِ . »

* * *

هَا كَمَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَبْسُطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ ، لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ ،
 وَحَرَمَةُ الْإِخْلَاصِ ، فَهَبْ ذَنْبًا لِحَرَمَةٍ ، وَأَشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ ، لِيَتَأْتِيَ لَكَ
 الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



إلى المظفر (١)

« وكتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأقطس،

صاحب بطليوس ، وضمها قصيدة أولها .

ليص الطلي ، ولسود الملم

بمقلى - مد بن عبي - لم »

لَمَّا لَيْسَ الْحَاجِبُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - رِدَاءَ الْمَجْدِ مُعَلِّمًا ، وَحَمَلَ لَوَاءَ الْحَمْدِ

(١) كان المظفر من أعظم ملوك الطوائف . وكان أحرس الناس - كما يقولون - على جمع علوم الأدب ونوادير الأحبار وعيون التاريخ ، وقد ألب كتاباً كبيراً - في الأدب - في عشرة أحرار ضخمة ، وقد ولي « بطليوس » بعد موت أبيه « عبد الله بن مسleme » المعروف بابن الأقطس وقد استبد « عبد الله » هذا بالملك سنة ٤٣١ هـ - بعد فتنة بن أمية بالأندلس - فلما مات أخته ابنته « أبو بكر المظفر » وحظم أمره ونبه شأنه ، ومارالها حتى مات سنة ٤٦١ هـ . وحلعه عليها ابنته المتوكل حتى دله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ وقد كان ابن عباد يعريه بقتله - فيما يقولون - وكان المتوكل قدم راسحة في صناعة النظم والنثر مع شجاعة مفرضة ودروسية تامة ، وقد رثاه ابن عمه بقتله المشهورة ، وهي :

« الدهر يجمع - به - العين - بالأثر
 أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة
 فالدهر حرب - وإن أبدى مسالمة -
 ولا هوادة بين الرأس - تأخذ
 فلا تمر نك - من ديباك - نومتها ،
 ما لليلى - أقال الله عثرنا
 في كل حين لها - في كل جارة
 تسر بالشيء ، لسكن كي تعربه
 كم دولة - قدمعت والنصر يخدمها -
 هوت بدارا ، وولت غرب قاتله ،
 واسترجمت - من بي ساسان - ما وهبت ،
 وأتبع أحتها طسما ، وطاد على
 وما أقالت ذوى الهات - من يمن -
 ومرقت سبأ - في كل قاصية - ،
 وأنفذت - في كليب - حكماها ، ورمت

فما البكاء على الأشباح والصور
 عن نومة بين ناب الليث والمظفر
 والبص والسود مثل البص والسر
 يد العراب - وبين الصارم الذكر
 فما صناعة عينيها سوى السهر
 من الليلي ، وحانتها يد المسير -
 منا - جراح ، وإن زانغ عن الصر
 كاللايم نار إلى الحاني من الزهر
 لم تبق منها ، وسل ذكراك من خير
 وكان عصياً - على الأملاك - ذا أثر
 ولم تدع - لبي يونان - من أثر
 عاد وجرحم منها ناقض المرر
 ولا أجارت ذوى الغايات من مضر
 فما التقى رايح منهمم ببتكر
 مهلهلا بين سبع الأرض والبصر



مُعَلَّنَا ، فَاسْتَطَارَ بَارِقُ فَخْرِهِ ، وَأَسْتَضَاءَ فَائِخُ ذِكْرِهِ ، وَشَهَرَتْ مَحَاسِنُهُ عَلَيَّ
كُلَّ لِسَانٍ ، وَسَارَتْ مَا تِرُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ ، لِمَا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ ،

ولم ترد - على الصليل - صحته
ودوخت آل ديبان وإحوتهم
وألقت صدى - بالعراق - على
وأهلك «أبرويزا» بابه، وروم
ولم «يزد حرد» الصين واختزلت
ولم ترد مواضي «رسم» وقنا
يوم القليب بنو بدر فموا وسمي
ومرمت «جعفراً» بالبص، واختلست
وأشرقت بحبيب - فوق فارعة -
وحصد - يب عثمان دما ، وحط
ومارعت - لأبي اليقطان - صحته
وأجرت سيف أشقادا أما حسن ،
وليبتها - إذ مدت عمراً بحارحة -
وفي ابن همدان المصطفى «حسن»
فبعضنا فائل : « ما اغتاله أحد »
وأردت ابن ريبان بالحسين ، فلم
وعصب - بالطي - هودي أني أس ،
وأزلت معصما - من رأس شاهقة -
ولم تراقب مكان ابن الربير ، ولا
وأعمل - في لطيم الحن - حيلتها ،
ولم تدع - لأبي الدنان - قاسبه ،
وأحرق شلو «زيد» بعدما احترقت
وأظمرت بلوليد - بن اليريد - ولم
« حباية » حب رمان أتيح لها ،
ولم تعد قصب السفاح ثانية
وأسبلت دمة الروح الأمين على
وأشرقت جعفرأ - والفصل يطره -
وأخمرت في الأمين - العهد ، وانتدبت
وما دعت بعهود المستمين ، ولا
وأوتقت في - عراها - كل معتمد ،

ولا ثذ أسداً عن ربا حجر
عبساً ، وغصت بي بدر على النهر
يد ابته أحر العين والشعر
يزد حرد إلى « صرو » فلم يحمر
عنه - سوى العرس - جمع الترك والحرد
« دى حاج » عنه سعداً وابنة المير
قليب بدر - بمن فيه - إلى سقر
- من خيله - « حزة » الظلام للجرر
وألصقت « طلحة » الفياض بالمفر
إلى الربير ، ولم تستحي من عمر
ولم تزوده إلا الصبح في العمر
وأمكن - من حسين - راحتي شمر
مدت علياً بين شاءت من البشر
أنت بمعضلة الأناج والفكر
ومعصنا ساكت لم يوت من حصر
يوؤ بشع له - قد طاح - أو ظفر
ولم ترد الردي عنه فنا « زمر »
كانت بها مهجة المختار في وزر
راعت عيادته ناليد والحجر
واستوسقت لأبي الدنان ذي البحر
ليس اللطيم لها « عمرو » بمتصر
- عليه وحداً - قلوب الآي والسور
تبق الخلافة بين الكأس والوتر
و « أحمد » قطرته بفحسة القطر
عن رأس مروان أو أشيائه الحجر
دم بفتح لآل المصطفى هدر
والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
لجهر نابسه والأعبد القندر
بما تأكد للمعتر من سرر
وأشرقت - بقنداها - كل مقتدر

وَأَسْبَغَ مِنْ نَعْمِهِ ، وَوَطَأَ - لِلْأَمَلِينَ - مِنْ أَكْنَفِهِ ، وَهَزَّ - إِلَى الرَّاعِبِينَ - مِنْ
أَعْطَافِهِ ، وَرَفَرَفَتْ أَجْنِحَةُ الْأَهْوَاءِ إِلَيْهِ ، وَأَهْتَرَّتْ جَوَانِحُ الْأَمَالِ إِلَيْهِ ،

وروهت كل مأمون ومؤتمن ، وأسـلمت كل منصور ومنتصر
وأعـثرت آل عبادـ لعالمهم - بذيل زباه لم تنفر من الدهر

بي الظفر - والأيام ما برحت
سحقا ليومكم يوما ، ولا حجت
من للأسرة ؟ أو من للأعنة ؟ أو
من للظي ؟ وعوالى الخط قد عقدت
وطوقت - بالنايا السود - بيصم
من للبراعة ؟ أو من للبراعة ؟ أو
أودفع ككارثة ؟ أو ردع آزفة ؟
ويج السماح ووج الباس - لو ساما -
سقت ثرى الفصل والعماس هامية
ثلاثة ما رأى العصرات مثلهم
ثلاثة ما ارتقى النيران حيث رقوا
ثلاثة كدوات الدهر - منذ نأوا
ومر - من كل شيء - فيه أطيبه
أين الجلال الذى غضت مهابته
أين الآباء الذى أرسوا قواعده
أين الوفاء الذى أصفوا اشرائمه
كانوا رواسى أرض الله - منذ نأوا
كانوا مصايحها ، فد خبوا عثرت
كانوا شحى الدهر ، فاستهوتهم خدع
ويل امه من طلوت النار مدركه
من لى - ولا من بهم - إن أظلمت نوب
من لى ومن بهم إن عطلت سنن
من لى ومن بهم إن طبقت سخن
على الفضائل - إلا الصبر - بعدهم
يرحو عسى ، وله - فى أختها - أمل
قرطت اذات من مياها ، ماضحة

مراحلا - والورى منها على سر
- مثله - ليلة فى مقل العمر
من للأسنة ؟ يهديها إلى الثغر
- أطراف السنها - بالى والحصر
فأعجب بذاك ، وما منها سوى الذكر
من للسماحة ؟ أو للنفع والصرر ؟
أو وقع حادثة تعي على القدر ؟
وحسرة الدين والدنيا على عمر
تعى لإيهم - سماحا - لا إلى المطر
وصلا - ولو عززا بالشمس والقمر
وكل ما طار - من نسر - ولم يطر
عى - مضى الدهر لم يرنع ولم يحجر
حتى التمتع بالأصال والدمكر
قلوبنا وعيون الأنجم الزهر ؟
على دطام من عزت ومن طفر
لم يرد أحد منها على كدر
عنها - استطارت بمن دياها لم تقر
هدى الخليفة - يا الله - فى صدر
منه بأحلام طاد فى خطى الحصر
منهم بأسد سراة فى الوغى صـبر
ولم يكن ليها يفضى إلى سـهر ؟
وأخفت ألسن الآثار والسير ؟
ولم يكن وردها يفضى إلى صدر ؟
سلام مرتقب الأجر منتظر
والدهر ذو عقب شتى وذو غير
على الحسان حصى الياقوت والدرر .

وَكَثُرَ التَّغَايُرُ عَلَى تَفْيُوثِ ظِلِّهِ ، وَالتَّنَافُسُ فِي الإِعْتِلَاقِ بِحَبْلِهِ ، وَكُلُّهُ أُسْتَفْرَعُ
 جُهْدُهُ ، وَتَرَسَّلَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ ، وَلَا غَرَوَّ أَنْ يُسْتَمَطَّرَ النِّعَامُ ، وَيَكْتُرُ
 - فِي الْمَشْرَبِ الْعَذْبِ - الرَّحَامُ ^(١) .

وَمَا زِلْتُ - أُنْبِيَّ اللهُ الْحَاجِبَ - أَتَلَقِّي مِنْ مَسَاعِيهِ الْمَشْكُورَةَ ، وَيَقْرَعُ
 سَمِيَّ بِمَآثِرِهِ الْمَآثُورَةَ ، مَا هُوَ أُنْدَى مِنْ بُلُوغِ الْأَمَلِ ، وَأَشْهَى مِنْ أُخْتِلَاسِ
 الْقَبْلِ ، وَأَغْضُ مِنْ جَنِيِّ الرَّهْرِ ، وَمَاهُوَ الْطَفُّ مِنْ نَسِيمِ السَّحْرِ ، حَتَّى أَنْقَادَتْ
 نَفْسِي فِي زِمَامِ التَّامِيلِ وَالْمُودَّةِ ، وَنَازَعَتْ إِلَى الْأَخْذِ بِحِظِّهِ مِنَ الإِعْتِلَاقِ
 وَالْمَمَازِجَةِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعْدِ الْمَانِعَةِ ، وَأُمْتِدَادِ
 الثَّأْنِي الْمُعْتَرِضَةِ ، فَغَضَضْتُ طَرْفَ الْخَيْبَةِ ، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ
 دَرَكِ الْأُمْنِيِّ ، إِلَى أَنْ نَدَبَنِي الْأَدِيبُ « أَبُو فُلَّانٍ » إِلَى مُخَاطَبَتِهِ ، وَحَرَّضَنِي عَلَى
 مُكَاتَبَتِهِ ، وَنَبَّهَنِي عَلَى مَا فِي التَّنَاقُلِ - عَنْ مُدَاخَلَتِهِ - مِنْ التَّضْيِيعِ الصَّرِيحِ ،
 وَالتَّقْصِيرِ الْبَيْنِ الصَّحِيحِ ، إِذْ هُوَ أَسْنَى عَلَيَّ غَوْلِي فِيهِ ، وَأَنْفَسُ ذُخْرِ نُوفَسِ
 فِيهِ ، فَطَرَبْتُ - إِلَى ذَلِكَ - كَمَا طَرَبَ النَّشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْخَمْرُ ، وَأَهْتَزَزْتُ كَمَا
 أَهْتَزَّ - تَحْتَ الْبَارِحِ ^(٢) - الْفُضْنُ الرُّطْبُ ، وَرَأَيْتُ سُكْرَ يَدِ الْعَلِيَاءِ فِيمَا حَثَّنِي
 إِلَيْهِ ، وَحَضَّنِي عَلَيْهِ ، مِمَّا فِيهِ حِلْيَةُ الْفَخْرِ ، وَمَكْرَمَةُ الدَّهْرِ ، أَنْ أُسْتَفْتَحَ
 بَابَ الْمَكَاتَبَةِ بِالشَّفَاعَةِ ، وَأَنْهَجَ طَرِيقَ الْمُخَاطَبَةِ فِي الْعِنَايَةِ بِهِ ، وَتَبَيَّنْتُ - بَعْدَ
 ذِمَامِ الطَّلَبِ ، وَحُرْمَةِ الْوُدِّ وَالْأَدَبِ - مَا أُسْتَقْصِرُ نَفْسِي مَعَهُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي

(١) يشير إلى المثل المشهور : « المورد العذب كثير الرحام » .

(٢) ربح بارح - ربح شديدة .



خِدْمَةِ رَغْبَتِهِ قَلَمِي ، وَقَدْ تَأَخَّرَ قَدَمِي ، وَبَعْدَ الْأَقْتِصَارِ بِغَيْبَةِ كِتَابِي ، دُونَ
 أَنْ أَرْمَ إِلَيْهِ رِكَابِي ، وَهُوَ فَتَى نَامَ جَدُّهُ ، وَأُسْتَيْقِظَ حَدُّهُ ، فَتَنَكَّرَ الزَّمَانُ لَهُ ،
 وَأُعْتَرَّتِ الْأَيَّامُ لَهُ ، بَيْنَ ذُنَابِ سَعْيَاةٍ عَوَتْ عَلَيْهِ ، وَعَقَارِبِ وَشَايَةِ دَبَّتْ
 إِلَيْهِ ، وَأَصْلِي بِنَارِ حَرْبٍ لَمْ يَجْنِهَا ، وَآلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقِ أَحِبَّتِهِ ، وَالْبُعْدِ
 عَنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَمَمْلَقِ تَمَاعِهِ ، عَلَى ضَيْقِ حَالِهِ ، وَضَعْفِ إِحْسَانِهِ ،
 وَأَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْحَاجِبَ إِلَّا وِلَايَةً ، وَعَلَيْهِ إِلَّا تَنَاءً ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ
 يُعِيدُ شُكْرَهُ وَيُبْدِيهِ ، وَيَنْشُرُ حَمْدَهُ وَيَطْوِيهِ ، وَالْحَاجِبُ - أَدَامَ اللَّهُ إِعْزَازَهُ -
 وَلِيَّ بِأَعْدَائِهِ عَلَى زَمَانِهِ الْعُشُومِ ، وَأَمَلِي بِإِنصَافِهِ مِنْ دَهْرِهِ الظُّلُومِ ، بِالْبَاسِ
 مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ مَا عَرَى مِنْهُ ، وَإِزَادَهُ مِنْ شَرِيعَةِ رِضَاةٍ مَا حَلَى عَنْهُ ،
 وَالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفُقِ الَّذِي لَمْ يَرَ كَوْكَبَ سَعْدٍ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَلَقَى
 نَسِيمَ حَيَاةٍ إِلَّا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يُؤَلَّفُهُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي شَانِهِ ،
 مُسْتَجْزِلَ شُكْرِ مَنْ أَنْهَضَهُ لِسَانًا ، وَأَسْتَقَلَّ بِهِ بَيَانًا ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ ،
 وَالْمَعْهُودُ مِنْهُ كَرَمُ الْعَمَلِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُعَلِّمُهُ ، وَهُوَ حَسْبُهُ وَحَسْبِي فِيهِ .

وَلَمَّا أَطْرَدَ هَذَا النَّوْمُ بِحُسْنِ اتِّسَاقِهِ ، وَلَذِيذِ مَذَاقِهِ ، هَزَّتِ النَّظْمَ أَرْيَحِيَّةً
 جَذِبَ لَهَا بِعِنَانِهِ ، وَعَارِضَةً بِهَا فِي مِيدَانِهِ ، وَأَبَتْ أَنْ يَنْفَرِدَ النَّوْمُ بِلِقَاءِ
 الْحَاجِبِ وَمُشَافَهَتِهِ ، وَتَسْتَبِيدَ بِأَنْ تُنَمَّحَ غَرَّتُهُ ، وَتُخَدَمَ بِالْحُضُورِ حَضْرَتُهُ ،
 فَأَثَبَتْ مِنْهُ مَا إِنْ أَنْعَمَ عِنْدَ تَصَفُّحِهِ بِالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَالِ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ ،
 وَالْحَلَلِ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ ، وَصَلَ النِّعْمَةَ بِعَمَلِهَا ، وَقَرَنَ الْعَارِفَةَ بِشِكْلِهَا .

لَبِيضِ الطَّلِيِّ وَلِسُودِ اللَّمَمِ بِعَقْلِي - مُذْنِبٍ عَنِّي - لَمْ (١)

(١) ارجع الى هذه الفسيدة في « ص ١٢٩ »

فَفِي نَاطِرِي - عَنْ رَشَادِي - عَمِي ،
 قَضَتْ بِشِمَائِي - عَلَى الْعَازِلِينَ -
 فَمَا سَقَمْتُ لِحَظَاتِ الْعِيُو
 يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أُجَنِّ
 وَمَا ذُو التَّدَكُّرِ مِمَّنْ يُلَامُ

وَإِنِّي أَرَاخُ إِذَا مَا الْجَنُوبُ
 وَأَصْبُو لِعِرْفَانِ عَرَفِ الصَّبَا
 وَمِنْ طَرَبِ عَادَ نَحْوُ « الْبُرُودِ
 أَمَا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ
 قَضَى بِالصَّابَةِ أَنْقَضَى
 لِيَالِي نَامَتْ عِيُونَ الْوُشَا
 وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهُوَى
 وَأَيَّامُنَا مَذْهَبَاتُ الْبُرُودِ
 كَانَ « أَبَا بَكْرٍ » الْأَسْمَاءِيَّ
 وَوَشَّحَ زَهْرَةَ ذَلِكَ الزَّمَانِ
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُعْتَلِي لِلْعَمَلَا
 مَلِيكَ - إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ -
 فَاطُولُهُمْ - بِالْأَيْدِي - يَدَا ،

بُ رَاحَتِ بَرِيًّا جَنُوبِ الْعَلَمِ
 وَأَهْدَى السَّلَامَ إِلَى « ذِي سَلَمٍ »
 ق « أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ ابْتَسَمَ
 حَمِيدًا - لَقَدْ جَارَ لَمَّا حَكَمَ
 وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى أَنْصَرَمَ
 عَنَا ، وَعَيْنُ الرَّضَى لَمْ تَنْمَ
 فَأَجْنَتْ ثَمَارَ الْمَنَى مِنْ أُمَّمِ
 رِقَاقُ الْحَوَاشِي صَوَافِي الْأَدَمِ
 أَجْرِي عَلَيْهَا فِرْنَدَ الْكَرَمِ
 بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرٍ تَلَكَّ الشِّيمِ
 شَمَارِيحَ كُلِّ مُنِيفِ أَشْمِ
 حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَاهَمْتُهُ سَهْمِ
 وَأَثْبَتُهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمِ

(١) قال ابن ماني الأندلسي :

« وفي بهري - عن سواكم - عَمِي ، وفي أدبي - عن سواكم - صمم . »



* * *

وَأَرْوَعَ ، لَا مُعْتَنِي رِفْدِهِ
 ذُلُولُ الدَّمَائَةِ صَعْبُ الإِبَاءِ
 سَمَا لِلْمَجْرَةِ - فِي أَقْفَاهَا -
 وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ التُّجُومِ
 نَهَيْكَ - إِذَا جَنَّ لَيْلُ العَجَاجِ -
 فَشَامَ السُّيُوفِ بِهَامِ الكُؤَامَةِ
 جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافِ العَفَاةِ
 يَهِيحُ النَّزَالُ بِهِ وَالسُّوَا
 شَهِدْنَا ، لِأَوْتِي فَضْلَ الخِطَابِ
 وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنْ المَكْرُمَاتِ
 يَحْيَبُ ، وَلَا جَارُهُ يُهْتَضَمُ
 ثَقِيفُ العَزِيمِ إِذَا مَا أَعْتَزَمُ
 فَجَرُّ عَلَيْنَهَا ذُيُولَ الهِمَمِ
 وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدِّيمِ
 سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَدْرَتِيمِ
 وَرَوَى القَنَا فِي نُحُورِ البُهَمِ
 وَيُعْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى المُسْتَلَمِ
 لُ لَيْثًا هَمُورًا وَبِحْرًا خِضَمِ
 وَخُصَّ بِفَضْلِ النُّهَى وَالْحِكَمِ
 جَرَى اسِّيفٍ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمِ

* * *

وَمُسْتَعْمَدِ بِكَرِيمِ الفَعَا
 شَمَائِلُ تُهَجَّرُ عَنْهَا الشَّمُولُ
 عَلَى الرُّوضِ مِنْهَا رُؤَاةُ يَرُوقُ
 لِ - عَفْوًا - إِذَا مَا اللُّثْمُ أُسْتَدَمُ
 وَتَجْنِي لَهَا مُشَجِيَاتُ النِّعَمِ
 وَفِي المِسْكِ طِيبُ أَرِيحٍ يُشَمُّ

* * *

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ
 وَلَاذَ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعْمَمًا
 وَجَاهَدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الجَمَاهِ
 وَلَاءُ مِ شَعْبِ الهُدَى قَائِتَامُ
 بِذِمَّةِ أَبْلَجِ وَافِي الدَّمَمِ
 دِ مَنْ دَانَ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّنَمِ



فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَدَلَّ وَلَا شَامِخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ جَمِيرٍ - مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأُمَمِ
هُمْ نَعَشُوا الْمُلْكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ
نُجُومُ هُدَى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ - وَأَسْدٌ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمٌ

* * *

« أبا بكرٍ » أسلم على الحادثاتِ ، وَلَا زِلْتَ - مِنْ رَبِّهَا - فِي حَرَمِ
أُنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدُهَا كَمَا وَشَتِ الرَّوْضَ أَيْدِي الرَّهَمِ
وَإِنْ يَمُدُّنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى فَحَظِّي أَحْسَنَ وَنَفْسِي ظَلَمَ
وَإِنِّي لِأَصْفِيكَ مَحْضَ الْهَوَى وَأَخِي - ابْنُكَ - بَرَحَ الْأَلَمِ
وَغَيْرُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الدَّمَامِ إِذَا حُسْنَ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَهَ

* * *

وَمُسْتَشْفِعِ بِي ، بِشَرَّتِهِ - عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْآئِ
وَقَدَمَا أَقَلْتَ الْمَسِيءَ الْعِثَارَ وَأَحْسَنْتَ - بِالصَّفْحِ - عَمَّا جُتِرَ ،
وَعِنْدِي - لِشُكْرِكَ - نَظْمُ الْعُقُودِ تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومِ
تُجِدُّ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ
فَمِنْ مَعْصَمًا يِبْفَاجِ السُّعُودِ وَدُمْ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ ، أَيَامُهُ لَكُمْ حَشَمٌ ، وَاللَّيَالِي خَدَمُ



* * *

هَذَا أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ مَا أَقْتَنَصَتْهُ الْقَرِيحَةُ مَعَ اقْتِضَائِهَا ، وَأَجَابَتْهَا بِهِ
الْبَدِيهَةُ عِنْدَ اسْتِدْعَائِهَا ، وَالذَّهْنُ ^(١) عَلِيلٌ ، وَالطَّبْعُ كَلِيلٌ ، وَالرَّوِيَّةُ فَاسِدَةٌ ،
وَسُوقُ الْأَدَبِ - إِلَّا عِنْدَهُ - كَاسِدَةٌ ، وَلَوْ أَنِّي أُوتَيْتُ - فِي النَّشْرِ - غَزَارَةَ عَمْرِيو ،
وَبِرَاعَةَ ابْنِ سَهْلٍ ، وَأَمْدِدْتُ - فِي النَّظْمِ - بِنَظْمِ الْبُحْثَرِيِّ ، وَصِنَاعَةَ الطَّائِي ^(٢)
لَمَا رَدَدْتُ - إِلَى الْحَاجِبِ - إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَلَا أَوْرَدْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا صَدَرَ عَنْهُ ،
وَلَا أَنْفَذْتُ مَا أَنْفَذْتُ إِلَّا بَيْنَ أَمَلٍ يَبْسُطُ ، وَخَجَلٍ يَقْبِضُ ، فَرَأَيْتُ مَوْفِقٌ فِي
أَنْ يَمْنَحَ مَا بَعَثَ الْأَمَلُ إِسْعَافًا ، وَمَا أَوْجَبَ الْخَجَلُ إِغْضَاءً ، لِيَأْتِيَ الْإِحْسَانَ مِنْ
جِهَاتِهِ ، وَيَسْلُكَ - إِلَى الْفَضْلِ - طُرُقَاتِهِ . وَمُرَاجَعْتُهُ لِي عَنْ كِتَابِي بِعَهْدِ كَرِيمٍ يَكُونُ
كُحْلًا لِعَيْنِ الرَّضَا بِوَحْيَةِ الْقَوْلِ ، أَقِفُ بِهِ مِنْ تَوَالِي النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَأَنْتِظَامِ -
الْأَحْوَالِ - بِالصَّلَاحِ لَدَيْهِ - عَلَى مَا تَبْتَهَجُ لَهُ نَفْسِي ، وَيَنْتَظِمُ مَعَهُ عِقْدُ الْأَنْبِي ،
يَدُهُ عِنْدِي جَنَاهَا شَهْدٌ ، وَشَدَاهَا عَنَبْرٌ وَوَرْدٌ ، وَرِدَاؤُهَا الشُّكْرُ الْجَزِيلُ ،
وَأَتْبِعُهَا التَّنَاءَ الْجَمِيلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَلِيُبْلَغَ مِنِّي سَلَامًا يَهْدِي إِلَيْهِ نَدَاهُ ^(٣) ، وَتَحِيَّةً أَوْلَاهَا عِنْدِي وَآخِرُهَا عِنْدَهُ .

(١) وفي الأصل : « والدمر » .

(٢) يعني أبا تمام .

(٣) الند (بالفتح) وبكسر : الطيب أو العنبر ، وفي الأصل : « يهدي إليه نفسه »

إلى ابن مسleme

« وكتب من قرطبة إلى ابن مسleme باشيلية
 قبل تحوله إليها : »

يَا سَيِّدِي وَأَرْفَعُ عُدَدِي ، وَأَوَّلُ الذَّخَائِرِ فِي عُدَدِي ، وَأَخْطَرَ عِلْقِي مَلَأْتُ مِنْ
 أَقْتِنَائِهِ يَدِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عَيْشَةٍ بَارِدَةٍ الظَّلَالِ ، وَنِعْمَةٍ سَابِغَةِ الأَذْيَالِ ،
 قَدْ تَقَاصَرَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ ، وَتَوَالَى الحَدِيثُ الحَسَنُ غُنْكَ ، حَتَّى حَلَلْتَ مَحَلَّ الأَمَانَةِ ،
 وَكُنْتَ مَوْضِعَ تَقْلِيدِ الوَطَنِ ، وَثَبَاتِ الطَّوْبَةِ ، وَاللَّهُ يُمْتَعُ بِمَا حَازَهُ لَكَ مِنَ
 الخَيْرِ ، وَوَفَّرَهُ عَلَيْكَ مِنْ طِيبِ الذِّكْرِ .

فِي عِلْمِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا تَقْتَضِيهِ الْمُطْلَعُ مِنْ إِظْلَامِ الخَاطِرِ ، وَصَدَأِ النَّفْسِ ،
 وَيَجْنِيهِ طُولُ المُقَامِ مِنْ إِخْلَاقِ الدِّيَابِجَةِ وَإِرْخَاصِ القَدْرِ ، وَقَدْ آتَى أَنْ أُجْتَنِيَ
 مَرَّةً مِنْ آدَابِ أَطَلْتُ الإِعْتِنَاءَ بِهَا ، وَأَخْلَاقِ أَدَمْتُ رِيَاضَةَ النَّفْسِ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا
 مَخَضْتُ المُلُوكَ وَجَدْتُ عَبِيرَهُمُ الَّذِي أُنْسَى^(١) السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الدَّاهِرَ مَعَهُ ،
 وَأَتَّعَبَ الغَايِرَ بَعْدَهُ ، الحَاجِبَ فَخَرَ الدَّوْلَةَ مَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَكَبَّتْ
 أَعْدَاءُهُ ، مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ سِنِّي الهِمَمِ ، وَسَمَاحَةِ الشِّيمِ ، وَأَنْتِظَامِ أَسْبَابِ
 الرِّيَاسَةِ ، وَكَمَالِ آلَاتِ السِّيَاسَةِ ، وَأَجْتِمَاعِ المَنَاقِبِ الَّتِي أَفْرَدَتْهُ عَنِ النُّظَرَاءِ ،
 وَأَعْلَتْهُ عَنِ مَرَاتِبِ الأَكْفَاءِ ، فَرَأَيْتُ قَبْلَ أَنْ أَحْتَمِلَ لغيرِهِ نِعْمَةً ، أَوْ أُوسِمَ
 بِمَنْ سِوَاهُ بِصَنِيعَةٍ - أَنْ أَعْرِضَ نَفْسِي مَمْلُوكَةً عَلَيْهِ ، عَرِضَ مَنْ لَا يَوْمَ لَهَا
 - لِإِجَارَتِهِ - إِلاَّ بِالإِسْتِجَارَةِ ، وَلَا يَطْمَعُ لَهَا - فِي قُبُولِهِ - إِلاَّ بِالمُسَاحَةِ ، فَلَوْ
 كُنْتُ الوَلِيدَ بْنَ عُبَيْدِ بَرَاعَةَ نَظْمِ ، وَجَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى بِلَاغَةَ نَثْرِ ، وَإِبْرَاهِيمَ

(١) وَوِ الأَصْلُ : « أَطَلَبَ »

أَبْنِ مَهْدِيٍّ طَيْبِ مَجَالَسَةٍ ، وَإِمْتَاعِ مُشَاهَدَةٍ ، ثُمَّ حَضَرْتُ مَجْلِسَهُ الْعَالِيَّ ، لَمَّا كُنْتُ بِسَعَةِ إِحَاطَتِهِ - إِلَّا فِي جَانِبِ التَّقْصِيرِ ، وَتَحْتِ غَمْرَةِ النُّقْصَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَعْدَمَ فِي نَجَابَةِ غَرَسِ الْيَدِ ، وَإِصَابَةِ طَرِيقِ الْمَصْنَعِ ، مِنْ وَلايَةِ أُخْلِصُهَا وَنَصِيحَةِ أَفْحَضُهَا ، وَشُكْرِ أُجْنِيهِ الْغَضِّ مِنْ زَهْرَاتِهِ ، وَتَنَاهِ أَهْدَى إِلَيْهِ الْعَطْرِ مِنْ نَفْحَاتِهِ ، مِنْهَا مَا سَوَّغَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَوْهَبَةِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْهَضَكَ بِأَعْبَاءِ الشُّكْرِ لَهَا ، وَمِنْهَا شَرَفَ مَذْهَبِكَ ، وَكَرَّمَ سَجِيَّتِكَ ، وَصَحَّحَ مُشَارَكَتِكَ لِمَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْهَا أُسْتَيْجَابِي ، وَلَا أُسْتَدْعَاهَا بِمِثْلِ أُسْبَابِي ، مِنْ تَدَانِي الْجِدَارِ وَتَصَافِي السَّلْفِ ، وَالْإِتِمَاءِ إِلَى أُسْرَةِ الْأَدَبِ ، فَإِنْ وَافَقَتِ الْمُسَاعَفَةُ الْإِرَادَةَ فَحَظَّ أَقْبَلَ ، وَعَبْدٌ بَلَغَ مِنْ قَبُولِ سَيِّدِهِ مَا أَمَلَ

وَلَمْ أَقُلْ - عَمْرُكَ اللَّهُ - كَمَا قِيلَ فِي النَّجْمِينَ ، بَلْ قُلْتُ : « وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّدِيَّتَيْنِ » وَإِنْ عَاقَ حَرِّ مَانَ عَادَتُهُ أَنْ يُعَوِّقَ عَنِ الظَّفْرِ ، وَيَعْتَرِضَ دُونَ الْأَمَلِ ، فَأُغْلِمُهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - أَنْ فِي حَالِي الْمُطَلَّةِ مَعَ غَيْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ - وَيَوْمَ الْأُتْقَاعِ وَالتَّصَوُّفِ (١) ، كَالْمُهْتَدِيِّ بِالنَّجْمِ حِينَ عَدِمَ ذُكَاؤُهُ ، وَمُتَيَّمِّمِ الصَّعِيدِ حِينَ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ .

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا غَيْرَهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَأَلَوْحَشٍ يُدْنِيهِ مِنَ الْأَنْسِ الْمَحَلِّ وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ بِالْفُسْحَةِ فِي عُمْرِهِ ، وَالْإِغْلَاءِ لِأَمْرِهِ ، وَيَصْرِفُ الْأَقْدَارَ مَعَ إِشَارِهِ ، وَيُصْرِفُ وَجُوهَ التَّوْفِيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَلَكَ - يَا سَيِّدِي - فِي أُتْدَابِكَ مَا أَنْتَدَبْتُكَ لَهُ مَا لِلسَّاعِي الْمُنْجِحِ مِنَ الشُّكْرِ ، وَلِلْمُجْتَهِدِ الْبَالِغِ مِنَ الْعُذْرِ ، مِلَاكُ الْأَمْرِ بِتَقْدِيمِ الْمُرَاجَعَةِ بِالْجَوَابِ ، فَاسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَالْجَنَابِ فَأَعْتَمِدْ عَلَيْهِ ، وَأَهْدِي إِلَيْكَ نَدَى الْغَضِّ النَّاضِرِ مِنْ سَلَامِي ، وَالْأَرِيحِ الْعَاطِرِ مِنْ تَحِيَّتِي .

(١) العصور : بالواو والياء العدول والانصراف . وفي الأسفل « ويومى الأيقظان »

رسالة إلى المعتضد

« وكتب إثر ذلك إلى المعتضد رقعة يقول فيها : »

أطالَ اللهُ بقاءَ الحَاجِبِ فخرِ الدَّولةِ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَمَوْلَى المَنَاقِبِ
 الجَلِيلَةِ ، وَالضَّرَائِبِ النَّفِيسَةِ - فِي أَكْمَلِ مَا تَكْفَّلَ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ القَدْرِ ،
 وَنَفَازِ الأَمْرِ ، وَأَحْظَاهُ مِنَ النِّعَمِ بِأَسْبَغِهَا سِرًّا بَالًا ، وَأَبْرَدَهَا ظِلَالًا ، وَأَحْمَدَهَا مَالًا .
 كُنْتُ - أَعَزَّ اللهُ الحَاجِبَ - مَوْلَايَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الوَازِرِ أَبِي عَامِرٍ
 عِنْدِهِ بِمَا أَيْقَنْتُ أَنَّهُ أَتَهَى إِلَيْهِ ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ الوَازِرُ إِلَى بَعْضِ
 أَسْبَابِهِ بِمَا يَقُومُ مَقَامَ المُرَاجَعَةِ لِي بِمَا يَرْتَفِعُ عَن قَدْرِي ، وَلَا تَتَسَعُّ لَهُ سَاحَةٌ
 سُكْرِي ، لِعِلْمِي أَنَّهُ مِنَ الحَاجِبِ - أَيَّدَهُ اللهُ - صَدَرَ ، وَبَعْدَ إِذْنِهِ ^(١) نَفَذَ ،
 وَالَّذِي عَدَانِي عَن أَن يَكُونَ الكِتَابُ فِي ذَلِكَ إِلَى الحَاجِبِ - أَبْقَاهُ اللهُ -
 التَّأْدِبُ بِآدَابِ خِصْيَانِ العَبِيدِ فِي الإِجْلَالِ وَالإِعْظَامِ ، وَتَرَكَ التَّبَسُّطَ وَالإِقْدَامَ ،
 وَقَلَّمَ اسْتَفْنَتِ أَوَائِلُ مَطَالِبِ الأَتْبَاعِ لِخِضْرَةِ المُلُوكِ عَن وَسَائِطِ تَهْدُ لَهَا
 وَتَعْتَمِدُ أَوْقَاتِ الإِمْكَانِ بِهَا ، لِأَنِّي مَا اتَّخَذْتُ إِلَى الحَاجِبِ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ -
 غَيْرَ سِيَادَتِهِ ذَرِيعَةً ، أَوِ التَّمَسُّتُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ نَفَاسَةٍ نَفْسِهِ شَفَاعَةً ، وَأَيُّ
 مَعْدَى لِشَلِي عَن تَفْيِئِ ظِلَالِهِ ، وَالإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَصِنَاعَةُ الآدَابِ كَاسِدَةٌ إِلَّا
 عَلَيْهِ ، وَطَرِيقُ الأَمَلِ مُوَحِّشَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يَدْعُنِي إِلَى اسْتِطْلَاعِ مَا قَبْلَهُ
 شَكٌّ فِي كَرَمِهِ ، وَلَا سُوءُ ظَنٍّ بِسَمَاحَةِ شَيْمِهِ ، بَلْ لُزُومُ الطَّرِيقَةِ فِي التَّوَطُّئَةِ
 لِلْمَطْلَبِ ، وَالتَّدَرُّجِ إِلَى إِحْرَازِ الآدَبِ ، وَحَسْبِي أَنَّ أَمَلِي قَدْ أُرْتَادَ الجَنَابَ

(١) فِي الأَصْلِ : « وَبغيرِ إِذْنِهِ »



الرَّحْبَ ، وَالْمَشْرَبَ الْعَذْبَ ، وَأَعْلَى الْحُظُوظِ سَتُكْشَفُ ، وَالنَّوَائِبَ سَتُصْرَفُ ،
إِلَى أَنْ أُبْعَدَ إِلَى أْبْعَدِ غَايَاتِ الْأَمَلِ مِنْ مُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَاءِ ، وَالنَّظَرَ إِلَى
غُرَّتِهِ الزَّهْرَاءِ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْصَرِفُ فِكْرِي ، وَلَا يَنْصَرِمُ حِينٌ مِنْ عُمْرِي ، إِلَّا
فِي الذِّكْرِ لَهُ ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ ، وَالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَا أَقْدَمُ الْأَعْتِدَارِ مِنْ
مَهَابَةِ تَتَمَلَّكُ جَنَانِي ، وَحَصْرِي يَكَادُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْمَشَافَهَةِ لِسَانِي ، فَإِنْ
حَدَّثَ ذَلِكَ فَعُدْرِي عُدْرٌ^(١) الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ وَقَدْ انْقَطَعَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ،
فَقَالَ: « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مِنْ قِرَاهَةِ الْعَبْدِ أَنْ تَمَلِّكَ قَلْبَهُ هَيْبَةُ سَيِّدِهِ . »

وَسَيِّفُضِي - بِمِثَابَةِ اللَّهِ - إِلَى مَا يَسْتَجِيزُهُ الْحَاجِبُ مَوْلَايَ مِنْ إِمْتِنَاعٍ مَنْ
شَاهَدَ ، وَيَسْتَطْرِفُهُ مِنْ أَدَبٍ يَسْتَطْلِعُهُ مِنْ إِجْمَالِ طَلَبٍ ، وَجَمَالِ مَذْهَبٍ ،
كَمَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي سَأَصِلُ إِلَى مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنْ بَهَاءِ مَنْظَرٍ ، وَسَنَاةِ مَجْبَرٍ ،
وَرِفْعَةِ شَانٍ . وَعِظَامِ سُلْطَانٍ ، وَأَعْلَى السَّعَادَةِ تُهَيِّي لِي مِنَ الْحُظِّ مَا أُثْبِتُ بِهِ
مَا أَدْعَيْتُهُ لِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَأُنْجِزُ مَعَهُ مَا قَدَمْتُ عَنْهَا مِنْ هَذِهِ
الْعِدَاتِ ، فَحَوْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَفِيلٌ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، زَادَ اللَّهُ
الْحَاجِبَ مَوْلَايَ مِنْ سَنِيِّ قِسْمِهِ ، وَهَنِيَّ نِعْمِهِ ، وَبَلَّغَهُ النَّهَابَةَ مِنْ آمَالِهِ .

رسالة من قرطبة

« وكتب إليه بعد أن صدر من حضرته إلى قرطبة

رسالة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ لِلنِّعَمِ يُطَوَّقُهَا ، وَالْأَمَالَ يُصْرَفُهَا^(٢) ، وَالْمِنْنَ يُقْلَدُهَا

وَالْأَحْرَارِ يَسْتَعْبِدُهَا .

(١) في الأصل : « فعُدري عند الفضل . »

(٢) وفي نسخة الدخيرة المنقولة عن النسخة المنقولة عن النسخة المغربية : « يصدقها »

يَعْلَمُ الَّذِي أَسْأَلُهُ إِعْزَازَ مَوْلَايَ وَإِعْلَاءَ أَمْرِهِ ، وَصِلَةَ تَأْيِيدِهِ ، وَتَمَكِينَ
نَصْرِهِ ، أَنِّي - لَمْ أَزَلْ مُنْذُ فَارَقْتُ حَضْرَتَهُ الْجَلِيلَةَ حَضْرَةَ الْمَجْدِ وَالسِّيَادَةِ ، وَمَحَلِّ
الْإِقْبَالِ وَالسَّعَادَةِ - لَهَجَ اللِّسَانِ بِمَا حَبَّانِي مِنْ ثَمَارِ الْحِكْمَةِ وَالنَّعْمَةِ ، وَأَفَادَنِي
مِنْ عَقْدِ الْأَدَبِ وَالنَّسَبِ ، فَمِنْ كَبِيدِ حَاسِدٍ تَصَدَّعَتْ ، وَأَنْفَاسِ مُنَافِسٍ
تَقَطَّعَتْ ، وَنَاعِمِ الْبَالِ أَكْشَفْتُ بِأَلِّهِ ، وَمُتَمِّنٍ لِحَالِي طَالَمَا تَمَنَّيْتُ حَالَهُ ، وَقَلَّمَا
أَنَالَ أَدْنَى مَكَانَةٍ مِنْهُ ، وَأَرْقَى أَوَّلَ دَرَجَةٍ مِنَ الْخُصُوصِ بِهِ ، تَحْسُدُهُ
الْكُوَاكِبُ فِي إِشْرَاقِهَا ، وَتَنْحَشِدُ إِلَيْهِ الْأَمَانِي مِنْ أَطْرَافِهَا ، لِعَبِيدِهِ الَّذِينَ
أَنَا آخِرُهُمْ فِي الْخِدْمَةِ ، وَأَوَّلُهُمْ فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ ، وَيَرْفَعُ مِنْ هَمَمِهِمْ مَا
أُنْخَفِضَ ، وَيَنْسُطُ مِنْ آمَالِهِمْ مَا أَنْقَبَضَ ، وَلَا يُعْدِمُهُمُ التَّقَلُّبُ فِي نِعْمَتِهِ ،
وَالِإِعْتِلَاقَ بِأَسْبَابِ ذِمَّتِهِ ، بِمَجْدِهِ وَكَرَمِهِ ، وَكَانَتْ مِنْ مَوْلَايَ - أَعَزُّهُ اللَّهُ -
إِشَارَةٌ بَلْ عِبَارَةٌ أَعَدَدْتُهَا طَلِيْعَةً لِسُعُودٍ تَتَوَافَى طَلْقًا ، وَمُقَدَّمَاتٍ لِمَسَرَّاتٍ
تَتَوَالِي نَسَقًا ، فَلَمَّا لَحِقَ الْجُسْمُ بَعْدَ تَرْكِهِ النَّفْسَ لَدَيْهِ ، وَالْبِرَاءَةَ مِنْهَا إِلَيْهِ ،
بِالْوَطَنِ الَّذِي أَسْلَانِي عَنْهُ ، وَأَسْنَى لِي الْعَوْضَ مِنْهُ ، تَأْتَيْتُ مِنْ طَاعَتِهِ
الْمُقْتَرِنَةَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي نَفْسِي مَمْلُوكَتِهِ لِمَا أَنَا مُهِنٌّ بِهِ مُنَافِسٍ فِيهِ ، فَسَاعَفْتِ
الْمَآرِبُ ، وَأَسْمَحَتِ الْمَطَالِبُ ، وَلَمْ يَرِ بِنِي تَعَذُّرُ وَجْهِ حَاوِلَتُهُ ، وَلَا عَدَانِي تَيْسُرُ
أَمْرٍ تَنَاوَلْتُهُ ، وَلَمْ تَبْقَ عِلَّةٌ تُسَوِّغُ بِاعْتِرَاضِهَا الْإِعْتِدَارَ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى مَا يُعَاوَدُ
أَمْرُهُ ، وَيَتَجَدَّدُ فِي الْحَرَكَةِ إِذْنُهُ ، وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ لِأَنَّ الْإِذْنَ بَعْدَ عَهْدِهِ ، وَلِأَنَّ
الْمِيْعَادَ لَمْ يُحْكَمْ عَقْدُهُ ، بَلْ تَجَنَّبْتُ أَنْ أُدِلَّ بِتَرْكِ الْمَشَاوَرَةِ ، أَوْ أُخِلَّ بِرِسْمِ
الْمُؤَامَرَةِ ، فَلِمَوْلَايَ الطَّوْلُ فِي أَمْرِ الْوَسَاطَةِ عِنْدَهُ بِمُرَاجَعَةِ أُعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، وَأَجْتَهِدُ
فِي الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا ، وَاللَّهُ مُبَلِّغُنِي الْأَمَالَ مِنْ وَفْقَةِ بِحَضْرَتِهِ ، وَنَظَرَةٍ إِلَى غُرَّتِهِ ،
وَتَقْبِيلِ لِرَاحَتِهِ ، وَتَصَرُّفِ فِي سَاحَتِهِ ، فَهُوَ الْمَالِكُ لِذَلِكَ ، الْقَادِرُ عَلَيْهِ .

من رسالة

« وله من رسالة حذف أبو الحسن هنا أكثرها ولم يذكر إلا قطرة من وابل ، أو نفثة من سحر بابل ، وها أنا مثبتها على تواليها ، إشارة لحسن معانيها ، واستفادة من سني أدبه فيها ، وهي (١) : »

يَا سَيِّدِي الَّذِي كُنْتُ أَرَاهُ أَعَدَّ عُدْدِي ، وَأَخَصَّ جُنِّي ، مِنْ زَمَنِي ، وَمَنْ
 أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي أَصْلَحِ الْأَحْوَالِ ، وَأَفْسَحِ الْأَمَالِ .
 أُبَدِي جَرَى كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَرْحِ الضَّرُورَةِ الْخَافِزَةِ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِمَّا
 بَلَّغَنِي أَنَّكَ صَدَقَ الْأَمَانُ بِنِ عَلَيْهِ ، وَأَوَّلَ السَّفِيهِانِ الرَّأْيِ فِيهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ
 وَيَلُ الشَّجِيَّ مِنَ الْخَلِيِّ ، وَهَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّبْرُ .
 وَأَوْسَطُهُ بِمُعَاتَبَتِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَنْفِصَالِكَ عَنِّي ، وَبِرَاءَتِكَ مِنْ آكِدِ الْمُحِنَّةِ
 مِنِّي ، وَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِي وَرْدٍ وَلَا سَدَرٍ مِنْ مُشَارَكَتِي فِيهَا ، وَلَا كَانَتْ لَكَ
 نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ فِي مُظَاهَرَتِكَ لِي عَلَيْهَا ، مَعَ الْقُدْرَةِ لَكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ،
 وَتَذْلِيلِ صَعْبِهَا ، وَتَلْيِينِ شَدِيدِهَا ، وَتَقْرِيْبِ بَعِيدِهَا ، فَأَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ
 وَمَا ذَاكَ بُخْلًا مِنِّي لِبُخْلِي عَلَيْكَ بِالْإِغْضَاءِ أَنْتَ عَيْنِي (وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي)
 غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْقَدْيِ (٢) وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ (٣) ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ :
 يَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) ابن بسام . (٢) جملة «وليس من حق عيني» ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها لأن السياق يقتضيا ، وهو يشير إلى قول ابن الرومي :

« أنت عيني ، وليس من حق عيني غضُّ أجفانها على الأعداء . »

(٣) المعتابسة : المعاودة وبشرة الأديم : ظاهره الذي عليه الشعر ، أي إنما يعاد إلى الدماغ من الأديم ما سلت بشرته ، وهو مثل يضر في إمكان المراجعة والاستعتاب ، وفي الأصل «ولما يعاتب الأديم على البشرة . »

أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةٌ وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ
وَإِخْتِمْهُ بِتَكْلِيفِكَ مَا كَانَ سَبَبَ الْكِتَابِ ، وَالذَّاعِي إِلَى الْخِطَابِ ، عَسَاكَ أَنْ
تَتَلَا فِي عَوْدًا ، مَا ضَيَّعَتْ بَدْءًا ، وَتَهْتَبِلَ آخِرًا ، مَا أَغْفَلْتَ أَوَّلًا ، فَيَعُودَ عَيْتُ
مَا أَفْسَدْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ : « كَدَابِغَةٌ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ » (١) فَفَنَعْتَهُ
الْفَوْتَ قَبْلَ الْعَطَبِ .

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا
فِي عِلْمِكَ أَنِّي سُجِنْتُ مُغَالَبَةً بِالْهَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْعَمَى ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ
اتِّبَاعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ إِذْ يَقُولُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْمَصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ . »
دُونَ تَأَنٍّ تَذَرُكَ بَعْضُ الْحَاجَةِ بِهِ ، أَوْ اسْتِثْنَاتٍ تُؤْمِنُ مُوَاقِعَةً الزَّلَلِ مَعَهُ ،
بَلْ : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ . » وَشَهِدَ ابْنُ الْعَشَارِ الْعَارِي عَنِ النَّقَةِ
وَالْأَمَانَةِ ، الْبَعِيدُ مِنَ الرَّعِيَةِ وَالصِّيَانَةِ ، النَّاشِرُ لِأُذُنَيْهِ طَمَعًا ، الْآكِلُ
بِيَدَيْهِ جَشَعًا ، فَكَانَ : « الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَذَامٌ » . وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنْ الْحَقَّ
بِالشُّهُودِ ، وَهُوَ وَأَوْ عَمْرٍو فِيهِمْ ، وَنُونُ الْجَمْعِ الْمُضَافِ مَعَهُمْ ، دُونَ أَنْ يُلْحَقَ
بِحُزْمَةِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، وَيَنْوَبَ مُنْفَرِدًا عَنِ اثْنَيْنِ .

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ عِسْتَنْكَرٌ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ . »

(١) اضرب الأمر الذي انتهى مساده ، وذلك أن الجلد إذا حلم أي فسد إمامه ووقع فيه دود فننقب
لم يرج له لإصلاح ، ويروي عن الوليد بن عتبة أنه كتب إلى معاوية :
« فإنيك والكتاب إلى علي كدابة وقد حلم الأديم . »

وَلَيْتَنِي مَعَ مَنْ لَا يَحِلُّ قَوْلُهُ عَلَيَّ ، أُعْذِرُ فِي شَهَادَتِهِ إِلَيَّ ، وَلَمْ يَقْتَرِنِ الْحَشْفُ
مَعَ سُوءِ الْكَيْلَةِ ، وَيَسْتَضِيفُ لِي الْغُدَّةَ إِلَى الْمَوْتِ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةَ ، خُطَّتَا
خَسْفٍ لَمْ أَرَ النِّجَاءَ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ رَكِبْتُ الْحَوْلِيَّ الْأَشْهَبَ ، وَرَأَيْتُ خُرَاسَانَ
مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبُ ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى سَجْنِي بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ إِنْفَازِهِ ، لَهُ
مَجْلِسٌ حَضَرَهُ فُقَهَاءُ الْحَضْرَةِ وَمَنْ أَعْلَمَ بِسِيَاهُمْ ، وَجَرَى فِي غَشِيَانِ الْحُكَّامِ
مَجْرَاهُمْ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ أَتَمَّ نِيَّ بِالْمُغِيبِ عَلَى عَهْدِ الْمُتَوَلَّى مَوْلَايَ - كَانَ - نَقَعَ
اللَّهُ صَدَاهُ ، وَبَلَّ ثَرَاهُ ، وَثَبَّتَ عِنْدَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنِّي مِمَّنْ تُعَامِلُهُ الْهَمَمُ ، وَلَا
رَفَعَ عَنْهُ الظَّنُّ ، فَكَأَنَّهُمْ أَفْتَى بِالْإِعْذَارِ إِلَيَّ ، فِيمَا شَهِدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَيَّ ،
ثُمَّ سَجَّنِي أَنْ لَمْ آتِ بِمَدْفَعٍ ، أَوْ أَصْدَعَ مِنَ الْحُجَّةِ بِمَقْنَعٍ ، فَاحْتَاطَ وَأَجْتَهَدَ ،
وَتَحَرَّى وَأَقْتَصَدَ ، وَصَالِحِي مِنْ هَذِهِ الْفُتْيَا عَلَى النِّصْفِ بِتَأْخِيرِ الْإِعْذَارِ ،
وَتَقْدِيمِ الصَّلْحِ ، وَالصَّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ^(١) ، ثُمَّ أَظْهَرْتُ إِلَيْهِ عَقْدًا كَانَ
الْمُتَوَلَّى قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ ، قَدْ أَشْهَدَ فِيهِ أَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَنَّ
جَمِيعَ مَا تُحِيطُ بِهِ الدَّارُ الَّتِي تُؤْتِي بَعْدَ هَذَا الْإِشْهَادِ فِيهَا ، إِنَّمَا هُوَ لِلْغَائِبَةِ الَّتِي
فِي عِصْمَتِهِ ، حَاشَا دَقَائِقَ يَدَيْهَا ، وَمُحَقَّرَاتِ عَيْنَيْهَا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ أَشْهَدَ بِهَذَا عَلَى
نَفْسِهِ ، وَتَقَيَّدَ مِثْلَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، فَحَالَ أَنْ يُخَلَّفَ عَهْدًا ، وَيَهْلِكَ مِنْ وَصِيَّةٍ ،
وَسَأَلْتُهُ الشُّورَى فِيمَا أَثْبَتَهُ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى ذَلِكَ ، وَلَوْ لَمْ
تَكُنِ الشُّورَى مِنْ أَدَبِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

(١) جاء في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجامعة لأحكام القضاء التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري قوله : « والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . » وفي الأصل : « والسجن جائز بين المسلمين »

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . لَوْجِبَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا لِقَاحُ الْعَقْلِ ، وَرَائِدُ الصَّوَابِ ، وَأَنَّ لِلْمُشَاوِرِ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ ، صَوَابًا يَفُوزُ بِمَحْمَدَتِهِ ، أَوْ خَطَأً يُشَارِكُ فِي مَدَمَّتِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

« وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً مَكَانَ الْخَوَافِ عُدَّةً لِلْقَوَادِمِ ^(١) . »
 قَدْ قَرَعْتُ لَهُ الْعَصَا وَنَبَّهْتُهُ عَلَى أَنَّ الَّذِي دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ، لَا يَسُوغُ دَفْعِي عَنْهُ ، وَلَا يَجُوزُ مَعْنَى مِنْهُ ^(٢) ، فَحِينَئِذٍ عَلَّلَنِي بِمَوَاعِيدَ : كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مِثْلًا ، إِذَا قَطَعْنَا مِنْهُ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ ، وَكَانَ آخِرَهَا - الَّذِي نَسَخَ بِهِ مَا قَبْلَهُ - أَنْ تُدْرَجَ الشُّورَى إِلَى أَبْنَاءِ الشُّورَى لِلْوَرَثَةِ ، فَتَوَيْتُ أَرْقُبُ هَذَا الْحَيْنِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَحِينَ ، كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرَّبِيعَ : وَكَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءً .

« فَكُنْتُ وَإِيَّاهُ سَحَابَةً مُمَجَّلٍ رَجَاهَا ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ أُسْتَهَلَّتِ »

وَي فصل منها :

وَلَمْ أَقْصَ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي مِمَّا أَجْلَبْتُهُ إِلَّا مَا شَهَرَ شُهْرَةَ الْأَسْمِ ،
 وَعَرَفَ مَعْرِفَةَ النَّسَبِ ، وَمَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ بِسِيرٍ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ حَبْسِي قَدْ
 وَضِعْتُ مِنَ السَّجْنِ فِي مَوْضِعٍ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِوَضْعِ مَسْتُورِي النَّاسِ ،
 وَذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَفِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَبَعْضُهُ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ،
 فَنَيْتُ - مِنْ مُطَالَبَةٍ بَعْضٍ مَا يَهْتَمُّ النَّاطِرُونَ فِي السَّجْنِ لَهُ وَيَسْعَوْنَ إِلَيْهِ - بِمَا
 أَقْتَضَى نَقْلِي إِلَى حَيْثُ الْجُنَاةُ الْمُفْسِدُونَ ، وَاللُّصُوصُ الْمُقَيِّدُونَ ، وَشَكَوْتُ
 ذَلِكَ إِلَى الْحَكَمِ الْحَابِسِ لِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ بِمَشْهَدٍ مَنْ تَقَدَّمَ

(١) البيت لبشار بن برد . (٢) في الأصل : « ونبه على الذي دعوته إليه ، لا يسوغ لي دفعه

عنه ، ولا يجوز معنى منه . » وما أثبتناه هنا هو ما يمكن أن يستقيم به المعنى .

وَصَفُّهُ ، فَأَنْتَقَى مِنَ الرِّضَا بِهِ ، وَأَظْهَرَ الْأَمْتِعَاضَ مِنْهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُوَكَّلِ
 بِالسَّجْنِ فِي اخْتِيَارِ مَجْلِسِ أَبَانٍ فِيهِ مَنْ لَا تَلِيْقُ بِي مُلَابَسَتُهُ ، وَأَنْتَبِذُ عَمَّنْ
 لَا تُرْضَى لِي مُجَالَسَتُهُ ، ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ أَحْضَرَهُ مَجْلِسَ نَظَرِهِ ، وَأَمَرَ بِتَأْذِيْبِهِ ،
 عَلَى أَمْتِثَالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَأَنْتَهَيْتُهُ إِلَى مَا حَدَّ لَهُ ، وَأَسْتَأْنَفَ الْعَهْدَ فِي
 التَّضْيِيقِ عَلَيَّ ، وَمَنْعَ مَنْ أَعْتَادَ صِلَتِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَيَّ ، فَأَصْعِدْتُ إِلَى غُرْفَةٍ
 فِي السَّجْنِ أَقْنَعَنِي بِهَا مَعَ خَسَاسَتِهَا ، وَأَسْلَانِي عَنِ الْمُصِيبَةِ بِالسُّكُونِ فِيهَا
 - عَلَى مَضَاضَتِهَا - أَنْفِرَادِي مِنْ لَفِيفِ الْأَخْلَاطِ ، وَمَنْ ضَمَّهُ السَّجْنُ مِنَ السَّفَلَةِ
 وَالسَّقَّاطِ ، فَحِينَ أُسْتَوَاتِي إِلَيْهَا عَهْدَ بِحَطِّي إِلَيْهِمْ ، وَخَلَطِي بِهِمْ ، وَوَضَعِي
 بَيْنَهُمْ ، فَتَقَلْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ مَنْ أَبْلَغَ إِلَيَّ عَنِ ابْنِ أُخِي الْحَكَمِ
 رِسَالَةً جَامِعَةً مِنَ السَّبِّ الْفَاحِشِ فُنُونُهُ ، مُشْتَمِلَةً مِنَ الْوَعِيدِ الْمُرْهَبِ عَلَى
 ضُرُوبِهِ . فَلَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي .

« وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ ، وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ »
 فَلَمْ أَسْتَطِعْ صَبْرًا ، وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ أَبْلَيْتُ عُذْرًا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُعْذِرَ لِي لِيَيْدُ
 وَكَادَ^(١) ، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ . فَأَلْمَرُهُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ ، وَلَمْ أَسْتَجِزْ
 أَنْ أَكُونَ ثَالِثَ الْأَذَلِّينِ الْعَيْرِ وَالْوَتِدِ ، وَذَكَرْتُ أَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الظُّلْمِ

(١) يشير إلى قول لبيد يحاطب بنتيه :

فقوما فقولا بالدي قد علمتما ولا تخمشا وجهاء ولا تحلقا الشعر
 وقولا : « هو المرء الذي لا خليله أضع ولا خال الصديق ولا عذر »
 إلى الحول، ثم اسم السلام عليكما ومن بك حولا كما لا فقد اعتذر

واعتذر كأعذر أتى بمذر ، فهما بعد تمام الحول إذا أمسكتما عن النوح والبكاء على أيهما فلهما العذر .

وَالْهَرَبَ مِمَّا لَا يُطَاقُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« لَا عَارَ لَا عَارَ فِي الْفِرَارِ ، فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهُدَى إِلَى الْغَارِ »

وَنَظَرْتُ فِي مَفَارِقَةِ الْوَطَنِ ، وَالْبَيْنِ عَنِ الْأَحْبَةِ . فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ إِحْمَاشَ نَفْسِي بِإِيْنَسِ أَهْلِي ، وَقَطْعَهَا فِي مُوَاصَلَةِ وَطَنِي ، غَبْنٌ فِي الرَّأْيِ ، وَخَوْزٌ فِي الْعَزْمِ ، وَوَجَدْتُ الْحُرَّ يَنَامُ عَلَى الشُّكْلِ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الْأَذَلِّ ، وَأَذِنْتُ إِلَى قَوْلِهِمْ : لَيْسَ يَبْنُكَ وَبَيْنَ الْبِلَادِ نَسَبٌ ، وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلِ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

« أَرَى النَّاسَ أُحْدُوثَةً فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا

كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتُ فَكُلُّ مَكَانٍ وَطَنٌ »

وَلَمْ أُسْتَفْرِغْ أَنْ أُسَامَ بِمَثَلِ هَذَا الْخَسْفِ فِي مَسْقَطِ رَأْسِي ، وَمَعَقُ^(١) تَمَامِي ، وَأَوَّلِ أَرْضِ مَسَّ ثُرَابِهَا جِلْدِي ، فَقَدِيمًا ضَاعَ الْمَرْءُ الْفَاضِلُ فِي وَطَنِهِ ، وَكَسَدَ الْعَلِيقُ الْغَبِيِطُ فِي مَعْدِنِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

« أَضِيعُ فِي مَعَشْرِي ، وَكَمْ بَلَدٍ يَعُودُ عُودُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبِهِ »

فَأَسْتَخَرْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاصِحَّ وَجْهِ الْعُذْرِ ، ثَابِتَ قَائِمِ الْحِجَّةِ ، عِنْدَ مَنْ غَضَّ عَيْنَ الْهَوَى ، وَخَزَنَ لِسَانَ التَّعْسُفِ ، وَاللَّهُ يُصِيبُ غَرَضَ الصَّوَابِ بِرَأْيٍ ، وَيُقَرِّبُ غَايَةَ النَّجَاحِ عَلَى سَعْيٍ ، حَسْبَمَا ذَلِكَ فِي عَامِهِ أَنِّي مَظْلُومٌ مَبْنِي

(١) الملق : الموضع الذي تعلق أى تعلق فيه عن الصبي التمام ، ومنه قوله :

« بلاد بها عق الشباب تماثي وأول أرض مس حلدى ترابها. »

عَلَى، مَنسُوبٌ مَا لَمْ آتِهِ إِلَى، فَهُوَ الْمُؤَمَّلُ لِذَلِكَ، وَالْمَرْجُؤُ لَهُ، وَلَعَمْرُكَ يَا سَيِّدِي
 إِنَّ سَاحَةَ^(١) الْعُذْرِ لَتَضِيقُ عَنْكَ، وَمَا تَكَادُ تَتَّسِعُ لَكَ، فِي إِسْلَامِكَ تَلْمِيزَكَ
 وَابْنَ جَارِكَ وَشَيْخِكَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُتَابِرًا عَلَيْهِ آخِذًا عَنْهُ مُقْتَبِسًا مِنْهُ مَعَ
 إِكْتَارِكَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا، وَالْأَعْتِدَادِ بِهِ، وَأَدْعَاءِ الْحِفْظِ لَهُ، وَقَدْ رَوَيْتَ أَنَّ
 حَسَنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَسَمِعْتَ الْمَثَلَ: « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . »
 فَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَلَا أَقْلٌ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْجِدِّ، وَأَسْتَفْرَاقِ الْجَهْدِ، فَيُبْلَغُ
 نَفْسِ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ، وَلَا لَوْمَ فِي أَمْرِي بَلَّغَ الْعُذْرَ، وَلَكِنْ مِنْ لَكَ
 بِأَخِيكَ كُلِّهِ، وَمَا حُمُّ وَقَعُ، وَلَا حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ،
 وَتَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِي مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أَمِنْتُ بَعْضَ الْأَمْنِ، إِلَّا
 أَنْ رَزَا^(٢) مِنْ وَعِيدِ سَقَطَ إِلَى بَأْنِ السَّعَى لَمْ يَرْتَفِعْ، وَأَنَّ مَادَّةَ الْبَغْيِ لَمْ تَنْقَطِعْ،
 وَأَنَّ الْبَصِيرَةَ مُسْتَحْكِمَةً فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْأَفْقِ الَّذِي أَحْلُ بِهِ، وَالْجَنَابِ الَّذِي
 أَحْطُ فِيهِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ فِي ظَنِّي مَا كَانَ أَشَارَ لِي إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ كُنْتُ آوِي
 إِلَى الثِّقَةِ بِعَهْدِهِ، وَأَبْنِي عَلَى الْوَثَاقَةِ مِنْ عَقْدِهِ، مِنْ الْفُقَهَاءِ الْمَوْسُومِينَ بِالْأَثَرَةِ
 عِنْدَ الْحَكَمِ الْمَذْكَورِ وَالْمَكَانَةِ مِنْهُ، وَقَدْ عَاتَبْتُهُ عَلَى تَأْخُرِهِ عَنْ مُظَافَرَتِي
 وَتَقْصِيرِهِ فِي مُوَازَرَتِي، فَأَعْتَذَرَ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَنَفَذَ لِلْحِيلَةِ فِيهِ، إِذِ
 الْمُحَرِّضُ عَلَى لَا تَتَأْتِي مُعَارَضَتُهُ، وَلَا يَتَهَيَّأُ الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ وَصَفَنِي
 بِالْبَدَاءِ وَعَابَنِي بِالتَّسْلُطِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَوَاللَّهِ مَا اسْتَجَزْتُ هَذَا بَعْدَ أَنْ هَتَكَ

(١) في الأصل: « ان ساعة العذر . » وفي هامش الاصل « اعلمها سهه » وقد أثبتنا مكانها « ساحة »

التي هي على صورتها في الحط ليستقيم المعنى . (٢) الرز والركر الصوت الحقي تسمعه من بعيد .

مِنْ سِتْرِي مَا هَتَكَ ، وَأَنْتَهَكَ مَا أَنْتَهَكَ ، إِنْ كُنْتُ أَقُولُ مَعْدُورًا ، وَأَنْقُتُ
مَعْدُورًا ، فَكَيْفَ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَحْدُثْ سَبَبٌ ، وَلَا غَرَضٌ مُوجِبٌ ، وَمَالِي
وَهَذَا الْمَجْتَنِّي ثُمَّ مَالِيَا ، وَ « سَتُّ كِتَابِ شَهَادَتِهِمْ وَيُسْأَلُونَ » وَلَيْسَتْ هَذِهِ
بِيَكْرٍ مِنَ النَّهْمِ الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَالْحَائِمَا :

« فَإِنِّي رَأَيْتُ غُورَةَ الرَّجَا لِي لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا »

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ تَسْلُقُ *
مَسَامِعُهُ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ

وَيَا سَيْدِي :

لَوْ بَقِيَ الْمَاءُ حَلْقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالظَّمَانِ بِالْمَاءِ أَعْتِصَارِي
وَوَاللَّهِ مَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي أُوتِي مِمَّنْ أُوتِيَتْ مِنْهُ مَعَ اتِّصَالِي بِهِ ، وَأَنْقَطَعِي إِلَيْهِ ،
وَأَتَسَامِي بِالتَّامِيلِ لَهُ ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ . إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ التُّهْلِ ذِمِّمْ .
وَلَكِنْ :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ - لِلْمَرْءِ - عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِ الْقَوَائِدِ
لَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الشِّيمِ ، وَشُرُوطِ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَمِ ، أَنْ يَهَبَ لِي مَا أَنْكَرَ
لِمَا عَرَفَ ، وَيَعْفِرَ مَا سَخِطَ لِمَا رَضِيَ ، وَيُدْفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُوَثِّرَ
الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ وَأَرْفَقُ ، وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَ مَا نَصَّ لَهُ مِنْ سِعَايَةٍ ، وَزُفَّ إِلَيْهِ مِنْ
وَسَايَةٍ ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا أَلْقَاهُ ، وَفَضَحَ الْمُخْبِرَ الْمُتَقَرَّبَ بِهِ وَأَقْصَاهُ ، وَإِنْ كَانَ
حَقًّا صَبَرَ صَبْرَ الْحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءَ الْكَرِيمِ ، وَقَبِلَ إِنْابَةَ الْمُعْتَبِ ، وَأَقْتَصَدَ
فِي مُوَاخَذَةِ الْمُذْنِبِ ، فَقَدَّمَ التَّوْقِيفَ ، قَبْلَ التَّثْقِيفِ ، وَالتَّأْنِيبَ ، قَبْلَ التَّأْدِيبِ
فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ ، وَالْحُرُّ يُلْحِي وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْتٍ، أَيُّ الرِّجَالِ المَهْدَبُ؟
وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَنَّ بِالْحَضْرَةِ قَوْمًا لَا يَحْضُرُهُمُ العَدُوُّ تُحْتَمَلُ سَقَطَاتُهُمْ ،
وَتُغْتَفَرُ هَفَوَاتُهُمْ ، وَتُقَالُ عَثَرَاتُهُمْ :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبِحِينَ^(١)
وَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُدْلُونَ بِوَسِيلَةٍ إِلَّا سَارَكْتُهُمْ فِيهَا ، وَلَا يَمْتُونُ بِذَرِيَعَةٍ يَنْفَرِدُونَ
دُونِهَا :

هُوَ الجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ العَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ اليَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا
فَإِنْ كَانَتْ مُسَامِحَتُهُمْ لِسَابِقَةٍ سَلَفَتْ فَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنْهَا الحِظَّ الأَعْلَى ، أَوَلِكَمَالِ
أَدَبٍ فَقَدْ ضَرَبَتْ فِيهِ بِالقِدْحِ المُعَلَى ، أَوْ لِللُّطْفِ تَوَدُّدٍ فَمَا قَصَّرَتْ فِي الإِجْتِهَادِ
غَيْرَ أَنِّي حُرِمْتُ التَّوْفِيقَ ، وَالأَمْرُ لِلَّهِ ، رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدَ .
فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فِي سِوَةِ القَضَاءِ لِي العُدْرُ
وَاللَّهُ لَقَدْ أَظْهَرَتْ مَدْحَهُ ، وَأَضْمَرَتْ نُصْحَهُ ، وَتَمَّتْ عَلَى الصَّاعِيَةِ لَهُ ، وَجَرِيَتْ
مِلءُ العِنَانِ إِلَى الإِعْتِلَاقِ بِهِ ، أَسْقِيهِ السَّائِغَ مِنْ مِيَاهِ وُدِّي ، وَأَكْسِيهِ السَّابِغَ
مِنْ بُرُودِ خَمْدِي ، وَأُجْنِيهِ الغَضَّ مِنْ ثَمَرَاتِ شُكْرِي ، وَأُهْدِي إِلَيْهِ العَطِرَ
مِنْ نَفَحَاتِ ذِكْرِي لَا يُفِيدُنِي التَّحَبُّبُ إِلَيْهِ ، إِلَّا ضِيَاقًا لَدَيْهِ ، وَلَا يَزِيدُنِي
النَّقْرَبُ مِنْهُ ، إِلَّا بُعْدًا عَنْهُ :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِهِ إِنْ حَنِيتُ إِذَا النَّزْعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدًا
وَالَّذِي أَحِبُّهُ مِنْكَ ، وَاتَّقِ فِي المُسَارَعَةِ إِلَيْهِ بِكَ لِقَاءَهُ مُجَارِيًا ذِكْرِي ، مُفَاوِضًا

(١) أى ليس شرّ الثلاثة يا أم عمر الذى لا تسمينه الصبوح بصاحبك ، وى الأصل :
« وما شرّ الثلاثة — أم عمرو — لصاحبك الذى لا تصبحينا . »



فِي أَمْرِي ، مُعْلِمًا لَهُ بِالَّذِي لَا يَذْهَبُ عَنْهُ - مِنْ أَنَّ الَّذِي أَخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي غَايَةٌ
مَا يُسِيءُ الْمَدْوُ بِهِ ، وَيُسَاءُ الْمَوْلَى مِنْهُ - فَالْجَلَاءُ أَخُو الْقَتْلِ ، وَالغُرْبَةُ أَحَدُ السَّبَاءِ مِنْ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« وَمَنْ يَغْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْجَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُسِيءُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كِبْكَبَا »
وَقَدْ هَجَرْتُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ ظِرِّي ، وَالذَّارَ الَّتِي كَانَتْ مِهَادِي ، وَغَبْتُ عَنْ أُمَّ
أَنَا وَاحِدَهَا ، تَمْتَدُّ أَنْفَاسُهَا شَوْقًا إِلَيَّ ، وَتَغْضُ أُجْفَانُهَا حُزْنًا عَلَيَّ ، وَاللَّهُ يَرَى
بُكَاءَهَا ، وَيَسْمَعُ لِي - عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي - نِدَاءَهَا ، فَالِاسْتِجَابَةُ مَضْمُونَةٌ لِلْمُخْلِصِ
وَالْمَظْلُومِ ، وَقَدْ سَمَّيْتُ السَّمْتَيْنِ ، وَأَسْتَوْجَبْتُ الصَّفْتَيْنِ ، وَتَسَكَّنْتُ بُغْيَتِكَ الَّتِي
تَدْخِرُهَا عَلَيْهَا كَلِمَةٌ تَأْمِينِ ، وَإِشَارَةٌ إِلَى تَأْنِيسٍ وَتَسْكِينِ ، تُرَاجِعُنِي بِهَا
فَأُظْهِرُ بِحَيْثُ أَنَا آمِنًا ، وَأُتْقِي الْعَصَا مُطْمَئِنًّا ، فَإِنْ وَجَدْتَ حَزْرَ الشَّفْرَةِ ،
فَالْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْحِمْرَةَ^(١) ، فَإِنْ أَشْبَهْتَ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ ، أَعْلَمْتَنِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ
الْأَمْنَ فِي مَظَانِّهِ ، وَتَقَرَّرْتُ السَّلَامَةَ فِي مَوَاطِنِهَا ، وَصَبَرْتُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ لِي
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ حَالٍ
مُعَقَّبٌ ، وَلَرُبَّمَا أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا تَحْمَدُ ، وَلَكَ يَا سَيِّدِي فِي أَنْتِدَابِكَ لِمَا
نَدَبْتُكَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ ، وَالْأَيَادِي قُرُوضٌ ، وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ :

« لَا يَذْهَبُ الْمَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . »
وَالتَّحِيَّةُ الطَّيِّبَةُ وَالسَّلَامُ الْمُرَدَّدُ عَلَى سَيِّدِي .

(١) الحمرة : اسم للهيئة من الاختمار أى وضع الحمار على الرأس ، وهو مثل يضرب ان حذق الأشياء

وجرب الأمور .



شعر الملكين

(١)

شعر المعتضد

« قال المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبو عمرو

عباد بن محمد بن عباد رجه الله . »

إذا نام أقوام عن المجد — صلة —
 أسهد عيني أنت تمام بي الحال
 وإن راق أقواماً — من الناس — منطلق
 يروق ، يدامى مقال وأفعال . «
 (وقال)

« أقوم — على الأيام — خير مقام ،
 وأرقت في الأعداء — شر ضرام
 وأنفق في كسب المحامد — مهجتي ،
 ولو كان في الدكر الجليل — حمى
 وأبلغ — من دنياي — معنى سؤلها ،
 وأضرب — في كل الملا — بسهام
 إذا فصح الأملاك تقص ، فإنه
 بينه — عند الأنام — تمامي . «
 (وقال)

« من كان يسأل عن نوال فأنا الذي لست يسأل
 البجل عين قبيصة ، والجود عين للكمال
 أبصرت رشدي في الندى ، فالبجل — عندي — كالضلال
 هذا زفاف طعمه ، والجود حلوا كالزلال . «
 (وقال)

« لو كان قلبي — عن الاشغال — مترحاً ،
 نادى لفقد حبيب النفس : واحرباً
 لكننا شغلنا بالمجد — مجتهداً —
 يلهيه من حبه إن بان أو قرباً . «

« لقد بسط الله المسكارم من كفي
 فلتست — على العلات منها — أظا كف
 تتادى بيوت المال — من فرط بذلها —
 عيني : « قد أسرفت ظالمتي كفي »
 أتقرى عيني بالسماح فتهمي
 ولا ترتضى خلا يقول لها : يكي
 لعمرك ، ما الاسراف في طبيعة ،
 ولكن طمع البجل عندي كالخنف . «
 (وقال)

« من للشجاعة والكرم إلا الظالموم الظلم
 من لست لعدم عنده غير التبدل والمعدم
 أحيا المسكارم والملا وأقام ما آد المهتم
 يلقي العداة ، وسيفه قد قط هامات البهم . «
 (وقال)

« لعمرك إني — بالدامة — قوال ،
 وإني — لما يهوى الندامي — لفعال
 وإني — للخل الحليل — لتناش ،
 وإني — للقتل المناوي — لقتال
 قسمت زماني — بين كد وراحة —
 فلرأي أسعدار ، ولطيب آصال
 فأسمى — على اللذات واللهور — ما كفا
 وأضحى — بساحات الرياسة — أختال
 ولست — على الإدمان — أغفل بفتي
 من المجد ، إني — في المعالي — لمحتال

(وقال)

« هدى السعادة قد قامت على قدم
وقد خلفت لها في مجلس الكرم
فإن أردت - إلهي - بالورى حسناً
فلكني زمام الدهر والأمم
فاني لا عدك الدهر عن حسن ،
ولا عدك بهم عن أكرم الشيم
أفارع - الدهر - عنهم كل ذي طلب
وأطرد - الدهر - عنهم كل ذي عدم . »

(وقال)

« عن الفصد قد جازوا ، وما جرت عن تصد
إذا خفيت طرق العرائس عن أسد
إذا احترضوا للبحل أعرضت عنهم ،
وإن من أقوام كتمت الذي أسدى
فله ما أخفى من العدل والندى ،
ولله ما أبدى من الفضل والمجد
ولا ألتقى سبى بغير بشاشة
إذن فحدث الله معروفه عندي . »

(وقال)

« ألام ، ومالوي - على الحب - واحد ،
وقد صادني طرف كحيل وحاجب
أنحجب عني - والفؤاد يحبها -
لفهد عزّ محجوب تمناه حاجب
أروم فؤادي - في العرام - لينثني
وكيف وما دون الأية حاجب . »

(وقال)

« زهر الأسنة في الهيجا فعدت زهري
غرست أشجارها مستجول المر
ما إن ذكرت لها من ممرك جليل
إلا تحلله - بالصارم - الذكر
حق فعدت وأعداني تخاطبني
يا مانل الناس بالأجناد والفكر . »

(وقال)

« وإذا توعدت المسالك لم أرد
فيها السرى إلا برأى مقمر

وإذا طلبت عزيزة ففاتحي
فيها العزيمه والسان السهري . »
(وقال)

« كلام - كمثل الدرّ - تنثره نثرأ
ووصل - كظلّ الروض - تعطيكه نثراً
ولو لم تشب وصلي ببحر خلتي
أشاهه منها الشمس أو الثم البدر . »
(وقال)

« أنك الليل معتكراً ياقصه سنا البدر
ذر الساعات تبسطه ستقبصه يد الفجر . »
(وقال في القاضي أبي القاسم أبيه)

« ألا يا مليكا يرتعى وبيات
وبجراً له - في المكرمات - عباب
ومولى عدتي - منذ نشأت - مكارم ،
يصوبها - من راحتيه - سحاب
أطمتك - في سرى وجهي - جهداً ،
لم يك لي - إلا الملام - ثواب
وأعملت جهدي في رضاك - شمرا

ومن دون أن أضعي إليه حجاب
ولما كبا حدى إليك ولم يسع
لنفسى - على سوء المقام - شراب
وقل اصطباري ، حين لالي عندكم
- من العطف - لإفسوة وتباب
مررت بنفسى أبتعى فرجة لها
على أن حلو العيش بعدك صاب
وما هزني إلا رسولك أن جرت

إلى به صم الخضاب وركاب
فقال مقالا لم أحد عن مقاله
مناباً ، وعن بعض الأمور مناب
دماك أمير المؤمنين مثوياً
فقلت : « أمير المؤمنين نجاب »

فجفت أغذ السير ، حتى كأنما
يطير بسري - في الغلاة - عقاب
وما كنت - بعدالين - لإاموياً
بعزى على ألا يكون إياب



فجادت - وما كادت - علي بخدما
وقد ينبع الماء النخير من الصلح
فقلت لها : « هاتي ثماياك لاني
أفضل نوار الأماحي على الورد
وميلي على جسمي بجسك » فاشتت
تعيد الذي أملت منها كما تبدي
عناقاً ولثما أرويا الشوق بيننا
- فرادي ومثني - كالشرار من الزند
ياساعة - ما كان أقصر وقتها
لدي - تقضت غير مذمومة المهدي .
(وقال)

« ينادون قلبي ، والعرام يوجب ،
وللقب - في حين النداء - وجيب
• شوق دماه الشوق والوجد والهوى
يجيب نداء الحب وهو يجيب
يقاسي فؤادي الوجد والحب واصل -
وكيف تراه إن جفاه حبيب ؟
إذا أخطأ الأحباب ترتيب حالهم
فانت فؤادي - دائماً - ليصيب
علم بأسرار الغرام ، لأنه
نصير - بأدواء الحسان - طيب
يواصلني سرّاً ، ويصرم ظاهراً ،
وذلك - من أمهالهنّ - عجيب .
(وقال)

« بيض الهند والأسل الحداد
أرجي أنت يتم لي مرادي
فأبلغ بغيتي ، وأريح نفسي ،
وتحمد حالتي في كل نادى
ففتي الدهر في قتل الأماحي ،
وحسم رقابهم في كل وادي
فذاك الفرض - والرحمن - عندي
كقتل الفرض في حال الجهاد .
(وقال)

« وليل ظللنا فيه نعمل كأسنا
إلى أن بدت للصبح - في الليل - أعمال

ولكنك الدنيا إلى حبيبة
فما عنك لي - إلا إليك - ذهاب
وفضلك في ترك اللام ، فانه
- وحقك - في قلبي ظلاً وحراب
إذا كانت النعمي تكدر بالأذى
فما هي إلا عمة وعذاب
ولا تقبض بالمتع كفى فانه
- وحدك - نفس للملا وخراب
فوالله ما أبى بذلك غير أن
تحلي بحدوى راحتك رقاب
ويهدى إليك الناس دون تصع
شبة صدق لم يشبه كذاب
مسكل نوال لي ، إليك انقسابه ،
وأنت عليه - بالشاء - مثاب
بقيت مكين الأمر ، ماذر شارق ،
وما لاح في أفق السماء شهاب .
(وقال)

« يا قاتل العيب ولا واق
لا ترس بالله بانفاقي
عينك قد قادت إلى الردي
فالقاب جناح إلى راق
لولاك والرحمن ما كنت من
يحب في حمة عشاق
قد لدغت صدق قلبي فهل
تعم للذغ بدرياق .
(وقال)

« رعي الله من يصلي فؤادي بحبه
سعيراً ، وعيبي منه في جنة الخلد
غزالية العينين شمسة السنا
كشيبة الردي غصنية القصد
شكوت إليها حبا بدمامي
وأعلنتها ما قد لقيت من الوجد
فصادف قلبي قلبها - وهو سالم -
فأعدى ، ودوا الشوق المبرح قد يمدى



(وقال)

« ذكراك في في قد شبيت بتسبيحي
أفديك يا فتنة الجمان والروح
الله يعلم أنى لست أمحرّم
دهرى ولا تنقضى فيكم تباريحي
إن كنت أشرح معى حكيم شعفاً
فان سرّك عندى غير مشروح . »

(وقال)

« يا جاهل الحبّ إنّ الحبّ ذو سند
مهما أجزعته يوماً سوف أعتد
أيجهل الحبّ من أضحى به حرق
تكداد من حرّها الأحشاء تنقد
الله يعلم أنى شـيق أبدا
لا يقضى الشوق حتى يتقضى الأبد
إن يشرب الجسم برد الوصل منتعشاً
يهدى إليه دؤادى حر ما يحمد . »

(وقال)

« لله درّ الحبّ ماذا يصنع
يعنو له ملك الرمان ويخضع
للحب سلطات عظيم شأنه
مهما يقل قولاً فقلبي يسمع
إن يفر بالهجران مالك مهجتى
أقل إليه بحالتى أنضرع
ماذا انتفعت بحالتى عند الهوى
حال الهوى أبداً أجل وأرفع . »

(وقال)

« لله ما خلد الأحاض في خلدى
لمن غدا والدى كالروح والجسد
للأوحى أبى الجيش الذى ظفرت
منه بأمرس علق في الأمام يدى
موفق الرأى في الرايات لدته
في الجدّ والجود لاني الميشة الرغد
إذا رأته الملا نادته، فصححة
يا قرّة العين بل يا فلذة الكبد . »

وولت نجوم الليل تجرى هزينة

وجاء - مع الاصبح - نصر وإقبال
فقضيت - من هذا وذاك - ليانة
وتمّ لنا فتح مبين وآمال .
(وقال)

« وليل أدمنا فيه شرب مدامة
لمى أن بدا للصبح في الليل تأمير (١)
وجاءت نجوم الصبح تضرب في الدجى
فولت نجوم الليل والليل مقهور
لحزنا - من اللذات - أطيب طيبها
ولم يمدنا همّ ولا طاق تكدير
خلا أنه - لو طال - دامت مسرة
ولكن ليالى الوصل فيهنّ قصير . »

(وقال)

« أتعلم أن قلبي غير صاح ؟
وأنى من سلوكك في انتزاح
وكنت - الدهر - أصطاد المعالى
فقد أصبحت من صيد الملاح
تسقىني البجيلة كأس صد
وتزجها - لتعليلى - براح
ولو شاءت حياتى - الدهر - سقت
حرور القلب من شبح قراح
وكانت تصنع الحسنى جيلا
ولكن ليس تلقى غير لاح
فسقىني - فديتك - من عقار
ونادىني : هلم إلى اصطباح . »

(وقال)

« بطول علىّ الدهر إن لم ألقها ،
وبقصر - إن لاقيتها - أطول الدهر
لها غرّة كالبدر - عند تمامه -
وصدفا غير نمقا صفحة البدر
وقد كمثل الصن - مالت به الصبا -
ولفظ كما انحلّ الغظام من الدرّ

(١) هذه المقطوعة أدرجت سهواً ضمن شعر
ابن زيدون .

(وقال)

« أنام وما قلبي من المجد نام
وإنت فؤادي بالعالى هنام
وإن قدمت بى حلة من طلابها
فانت اجتهدى فى الطلاب لغنام
يعزّ على نفسى إذا رمت راحة
براح ومنينى الطباع الكرام
وأسهر ليلى مفكراً غير طاعم
وغيرى على الملات شبهان نام
ينادى اجتهدى إن أحس بفترة
ألا أين يا عباد تلك العزائم
فتهتّر آمالى وتقوى عرائمى
وتذكرنى لدائم الهرائم . »

(وقال)

« أنا فى الحب مغرم مستقبل
كل نيل أناله لى قليل
لى جثمان من يطنّ صحياً
وفؤادى من الغرام عليل
(١) أعطى بحقى
إن صبرى - على التحنى - جميل
لى ذهن - مثل الحسام - صقيل
هو من كثرة التحنى قليل . »

(وقال)

« لى على ألقى بالسهد والكمد
أدعوك يا معسى الأجسام بالسهد
قطعت قلبى الذى أعطاك جوهره
لى وهبتك محض النفس والكبد
يا درة لم تلج فى كف غائضها
إلا أهمل إليها آخر الأبد
قلبي بكفك لا أرجو الفكك له
مثل الفرسه حلت فى يدى أسد . »

(١) هكذا وجد ناقصاً بالأصل

(وقال)

« أترى اللقاء كما نحّ يوفق
فظلّ نصيح بالسرور ونعيق
حتم تطلّى الليالى قرب من
قلبي له متشوف متشوق
ملك أغرّ أعار أن تحظى به
لسوى الخاط ولحظى مملق
أودى أبا الجيش الموفق أنه
للمكرمات ميسر وموفق
ناهى به الرمن البهى كأنه
نشر على وجه الرمان ورونى
ملكك إذا فهنا بطيب نمائه
طلت به أدواهنا تطلق
حس الرياضة أن غدت مرادنة
ببناء فهو التاج وهو المفرق . »

(وقال)

« عرفت عرف الصا إدهب غاطره
من أدق من أنا فى قلبى أشاطره
أراد تجديد ذكره على شحط
وما تيقن أنى الدهر ذاكره
بنأى المرار به والدار دايسته
يا حبذا العمل لو صحت زواجره
دخرى أبا الجيش هل يقضى اللقاء لى
ويشستى ملك حفن أنت ناظره
فصاره قبصر إن قام منجرأ
لله أوله مجسد وآخره . »

(وقال)

« كأننا ياسينتنا المعسّ
كواكف فى السماء تبيضّ
والطرف الحر فى حواسه
تكدّ عذراء ناله المعسّ . »

(وقال)

« تنام ومدنتها يسهر وتصبر عنه ولا يصبر
لئن دام هذا وهذا به سيهلك وجداً ولا يشمر . »

(وقال)

«غصن من التبر دوقه ورق
كأنه المصبح تحته شفق
يا أبدع الناس في ماسنه
رق على من أذابه الأرق
مددت كفى رجاء رأفتكم
لا تتركوني ينالني الفرق
بحر دموعي مفرق جسدي
تداركوا مهجتي وبي رمق.»

(وقال)

«رعى الله حاليا حديثاً وماضيا
ولان كنت قد جردت عزى ماضيا
فما لليالى لا تزال ترومىنى
ويرمين منى صائب السهم قاضيا
وقد علمت أن الخطوب قطيعى
وما زلت - من لبس الدنيا طاريا
أجدد فى الدنيا نياجا جديدة
يجدد منها الجود ما كان باليا
فما سرّ لى بخل بخاطر مهجتي
ولا سرّ بخل الناس قط بياليا
ألا حبذا فى الجود إتلاف طارفى
وبذلى عند الحمد نفسى وماليا.»

(وقال)

«يجور على قلبى هوى ويجير
ويأسرنى إن الحبيب أمير
أطوع لأمر الحب طوع مسلم
وإن كان من شأنى إباباً ونفور
أغار عليه من لحاظى صيانة
وأكرمه إن الحب غيور
أخف إلى لقيا الحبيب ولانى
لصرك فى كل الأمور وقور.»

(وقال)

« يا فرّة تسخر بالبدر
ومقلة تنفت بالبحر
ومبسا نظم من جوهر
وماؤه من أعطر الحجر
ومنطقاً أوتيت من سحره
أحرّ فى قلبى من الجمر
وشادنا تيمنى شـخصه
ووكل الأجفات بالسهر
تاجر بى الله تفرز بالرضى
وترخ الجنة فى التجر .»

(وقال)

« يا درّة قلبى بها مفتون
يسلو، وإن سئل السلوثنين
الله يمسلم أن قلبى معرم
من كان ذاصبر فليس يكون
أو أن من يشرى رضاك بموزة
بالجلد قلنا: إنه المنبون .»

(وقال)

« يا قرا أصبح لى مالكا
لا تتركنى مكذا هالكا
وفلدة الكبد التى ضمها
مبيتها الدمر بأوجالكا
رق على قلب العميد الذى
يود أن يجرى على بالكا
حسنت فى خلق وخلق فلم
رضيت بالقبح لأفعالكا.»

(وقال)

« يصبرنى أهل المودة دائماً
وإن فؤادى والاله صبور
أغار على معنى الرئاسة لى
على كل حسن فى الزمان غيور
أصرف ذهى فى أمور كثيرة
وأعلم أن الدائرات تدور .»

(وقال)

« أظلت شفار المجد بالبيض والسر
وقصرت أعمار المداة على قر
ووسعت سبل الجود طبعاً وصنعة
لأشياء - في العلياء - صابها صدرى
فلا مجد للانسان ما كان ضده
يشاركه في الدهر بالنهي والأمر . »

(وقال)

« كان عشي القطر في شاطئ النهر
وفد رهت فيه الأراهر كالزهر
ترش بماء الورد رشا وتنثني
لتغليف أفواه بطييسة الحجر . »

(وقال حين دخل على المعتمد مالقه)

« أرى أنت فائدة الزمان
فقد ققت الممالك في معان
وقد رمتك من بلد بعيد
فأدناك الاله بلا توات
بذلنا جهدنا حزما وحزما
ووطننا الكماة على الطمان
وأجهدنا المزائم والمساعي
وأصلنا الحسام مع السنان
ليبنى أهل مالقة انتصاري
وإعزازي لهم بهد الهوان
سسينقذهم وينبيهم جيما
رضاع الخير إن درت لباني
وأرقبهم ذرا درج المعالي
كما أجنيهم عمر الأمانى

وأضاف الذي يبدى لساني
إليهم ما يمن لهم جناني
فحق عليهم شكر امتعاضى
وما خلق امتنان بامتنان
ولكن الحقائق مخبرات
وكم خبر ينوب عن العيان
لم أعتقهم من ذل كفر
جرى في ضيعهم ملء العنان
وتوراة محسرة أعزّت
فظالت ذلة السبع المثاني
إلى أن ثار بي عزم يمان
فأدرك سؤاله العضب اليماني
وأفضيت الصوارم خاطبات
فكان قضاؤهما سحر البيان
فعاد البرّ معمور الماني
وآب الفسق مهدوم المباني
وقام إمام جامعهم يصلى
وآنتت المسامع بالأذان
وكان ذوو الهدى ما بين ثاو
قتيل أو فقيد العقل فاني
مذاقترت بوبرم يهود
أباح حسامهم حسن القران
هنادجر ما أوليت فيهم
- من المتكات - بكر أو عوان
وحسي في سبيل الله موت
يكون ثوابه خلد الجنان . »

(٢)

شعر المعتمد

هو الذي لم تشم يمينك صفحته
 إلا تأتي مراد وانقضى وطر
 قدأخلفتني صروف- أنت تمامها-
 وقال موردها: «مالي بها صدر»
 فالنفس جازعة ، والعين دامعة ،
 والصوت مرتقع ، والسر منتشر
 وزاد همى ما بالجسم من سقم
 وشبت رأساً ، ولم يبلغنى الكبر
 وذبت إلا دماء في يمسكي
 أنى عهدتك تفوق حين تقدر
 لم يأت صيدك ذنباً يستحق به
 عتياً ، وها هو قد ناداك يعتذر
 ما الذنب لإعلى قوم دوى دغل
 وفي لهم عهدك اليهود إذ غدروا
 قوم نصيحتهم غش ، وصدقهم
 مين ، ونعمهم إن صرفوا ضرر
 يميز البنفس في الألفاظ إن نطقوا
 ويمرف الحقد في الألفاظ إن نظروا
 إن يحرق القلب نفت من مقالهم
 فإتعا ذاك من نار القلي شرور
 مولاي دعوة مملوك به ظمأ
 برح وفي راحتك السلسل الحصر
 أجب نداء أخى قلب تملكه
 أسي وذى مقلة أودي بها السهر
 لم أوت من زمني شيئاً أسر به
 فلست أعهد ما كاس ولا وتر
 ولا تملكى دل ولا خمر
 ولا سي خلدي غنج ولا حور

(قال رحمه الله حين خرج من مالقة مستعتباً لأبيه :)
 « سكن فؤادك لا تذهب به الفكر
 ماذا يمسد عليك البث والحذر
 وازجر جفونك لا ترضى البكاء لها
 واصبر فقد كنت عند الخطب تصطب
 وإن يكن قدر قد عاق عن وطر
 فلا مردّ لما يأتي به الفدر
 وإن تكن خيبة في الدهر واحدة
 فكم غدوت ومن أشياحك الظفر
 إن كنت في حيرة من حرم مجرم
 فإن عذرك - في ظلماتها - قر
 كم زفرة - في شفاف القلب - صاعده
 وعبرة من شئون العين تنحدر
 فوض إلى الله مما أنت خائفه
 وثق بتمتضد بالله يفتفر
 ولا ترعك خيلوب إن عدا زمن
 فالله يدفع والنصور ينتصر
 واصبر ، فأبك من قوم أولى جلد
 - إذا أصابهم مكرهه - صبروا
 من مثل قومك - والملك الهمام أبو
 عمرو أبوك - له مجد ومفتخر
 سميدع يهب الآلاف مقتدراً
 وبستقل عطاياه ويحتر
 له يد كل جبار يقبلها
 لولا نداء لقلنا لأنها « الحجر »
 يا ضيفما يقتل الأبطال مفترسا
 لا توهنتي فاني الناب والظفر
 وفارسا تحذر الأقران صولته
 صن عبدك القن فهو الصارم الذكر

بقيت مؤيدا ملاح برق
 وماغنى الحمام على قضيب .
 (وله إليه)

« أليامليكا ظل في الخطب مفزعا
 وياواحدأ فاق الحلائق أجمعا
 ترفق بعبد وده لك شيمة
 إذا كان ذو ودّ سواء تصنعا
 لئن كنت عن جهل - فديتك - غافرا
 فكم عاترقات هلاك له : «لما»
 أقلى مُقل عبدا شكورا وصارماً
 يجر من الأعداء لنا وأخذنا
 علتي من السخط الأليم سحابة
 فأغر بهاريج الرضى كي تشعما .
 (وله إليه)

«مولاي أشكوا إليك داء أصبح قلبي به قريحا
 إن لم توجه رساك عني فليست أدري له مريحا
 سحطك قد زادني سقاما
 فابث إلى الرضى مسيحا .
 (وله إليه)

«ياليث حرب ذاق الأعادي
 طمعين منه أريا وسما
 هذا إذا ناشبوه حربا
 وذا إذا استوهبوه سلما
 لاغرو أن حم منك جسم
 فعادة الأسد أن تحما
 وليهنى أن طلعت بدران
 لأعين الخلق مستهما
 لا زلت تلقى العداة بؤسى
 منك وتلقى الولاية نسي
 وتجز من قال من حسود
 إن يكن الحق قد ألما .
 (وله)

« يا بدر تم تجلي فالأرض تشرق منه
 العجز خلق ذميم فلا تحدث عنه .
 (وله)

رضاك راحة نفسي لا بجمت به
 فهو العتاد الذي للدهر أدخر
 هو المدام التي أسلو بها فايدا
 عدمتها عبثت في قلبي الفسكر
 ما تركي الحمر من زهد ولا ورع
 فلم يفارق لعمرى سسى الصخر
 وإنما أنا ساع في رضاك فإن
 أخفقت فيه فلا يفسح لي العمر
 ما سرني وأحاشى عصر عطفكم
 يوم أدخل به في عيني القصر
 أجل ولي راحة أخرى هلقت بها
 نظم الكلى في القنا والهلم تنفثر
 كم راحة لي في الأعداء واضحة
 تنى الليالي وما يفنى لها الحبر
 سارت بها العيس في الآفاق فانتشرت
 فليس في كل حي غيرها سر
 لا زلت ذا عزة قعاء شاحنة
 لا يبلغ الوهم أدناها ولا البصر
 ولا يزل وزر من حسن رأيك لي
 أدى إليه فعم الكهف والوزر
 إليك روضة فكري جاء منبتها
 ندى يميني لا طل ولا مطر
 حملت ذكراك في أرجائها شجرا
 وكل أوقاتها للمحتنى ثمر .
 (وله إليه)

«أيا ملكا يحل عن الضريب
 ومن يلتذ غفران الدنوب
 ومن في كفه بؤسى ونسى
 تصرف في العدو والحبيب
 تسحطك المنى أعل نفسي
 ومالي غير تفوك من طيب
 ولست بمنكر ذنبي ولكد
 ننى قد جئت في حال المررب
 فان عاقبتني فجاء مثلي
 وإن تصفح فليس من الغريب

ابن عمار (١)

« وكتب ذو الوزارتين أبو بكر بن صمار
إلى المعتد على الله حين تقبض النصراني
على الرشيد ابنه إذ حاول أمر مرسيه . »

« أصدق ظلي أم أصبح لي صخي فأمضى عزمي أم أعوج مع الركب

(١) ابن عمار

الوزير أبو بكر « محمد بن صمار » ذو النفس العصامية - كما يقول المراكشي - كان أحد الشعراء
المجيدين على طريقة أبي القاسم « محمد بن هاني الأندلسي » وربما كان أحلى منظما منه - في كثير من شعره .
ولشعره ديوان يدور بين أيدي أهل الأندلس ولم أر أحدا من أدركته سبي من أهل الآداب الذين أخذت عنهم
إلا رأيت مقدماته مؤثرا لشعره ، وربما تعالي بعضهم بشبهه بأبي العيب وهيهات . فن قصائده المشهورة التي
أجاد فيها ما أراد ، قصيدته التي كتبها من سرقة حين فرق المعتضد بالله بينه وبين المعتد لأنه شعله عن
كثير من أسره ففاه وهي : -

« على والا ما بكاء العمائم وفي والا ما نواح الخائم

وعى أنار الرعد صرخة طالب لثأر، وهز البرق صمعة صارم

ومالبست زهر النجوم حدادها لغيري، ولا قامت له في ماتم .»

وفي هذه القصيدة يقول يمدح المعتضد بالله :

« أبي أن يراه الله إلا مقلدا حية (١) سيف أو جمالة عارم .»

ومن جيد نسيبه قوله في قصيدة يمدح بها المعتضد بالله :

« جاء الهوى فاستشمره طاره ونعيمه فاستعذبوه أواره

لا تظلموا - في الحب - عزاء، وإنما عبدانه في حكمه أحراره

قالوا أضربك الهوى فأجبتهم: يا حبذا وحبذا اضاراه

قلبي هو احتار السقام لجسمه زيا ، فخلوه وما يختاره

عيتموني بالنحسول ، وإنما شرف المهند أن ترق شفاره

وشتم لعراق من آفته ولربما حجب الهلال سراره

أحسبتم السلوان هب نسيبه ؟ أو انذاك النوم حاد غراره ؟

إن كان أعياء القلب من حرب الجوى خذلته من دمي إذن أنصاره . »

ولابن عمار هذا مع المعتد أخبار عجيبة عنى بجمعها أهل الأندلس ، وأنا - إن شاء الله - مورد منها ما لا يخل
بالشرط الذي التزمته ، ولا يخرج عن الحد الذي رسمته ، حسب ما بقي على خاطري من ذلك ، لأنني كنت في

(١) الجميلة والجمالة : علانة السيف .

ولاني تهفو بي إليك مودة يعثرها ما قد تعرض من ذني
 إذا اتقدت في رأي مشيت مع الهوى وإن أتعمقه تكصت على عقي

حداثة سني قد صرفت عنايتي الى أخبار ابن عمار هذا مع المعتمد لما تضمنته من الآداب . وقد فتشت خزانة
 حفظي فلم ألب فيها إلا نبذة يسيرة وأنا موردها إن شاء الله عز وجل :

فابن عمار هذا هو محمد بن عمار يكنى أبا بكر أصله من «شلب» من قرية من أعمالها يقال لها : «شنبوس»
 مولده ومولد آبائه بها، كان خامل البيت ليس له ولا لأسلافه والرياسة في قديم الدهر ولا حديثه - حفظ، ولا زكا
 منهم بها أحد . ورد مدينة شلب طفلاً نشأ بها وتعلم علم الأدب على جماعة منهم أبو الحجاج يوسف بن عيسى
 الأعمى ، ثم رحل الى قرطبة فتأدب بها ومهر في صناعة الشعر فكان قصاراه التمسك به فلم يزل يجول
 الأندلس مسترفداً لا يخلص بمدحه الملوك دون غيرهم بل لا يبالى ممن أخذ ولا من استعطف من ملك أو سوقه ،
 وله في ذلك خبر ظريف ، وذلك أنه : ورد في بعض سفراته شلب لا يملك إلا دابة لا يجد علفها فكتب بشعر
 الى رجل من وجوه أهل السوق وكان قد مره عند ذلك الرجل أن ملاه له الخجلة شعيراً ووجه بها إليه، فرآها
 ابن عمار من أجل الصلات وأسنى الجوائز - ثم اتفق أن علت حال ابن عمار وساعده الجد ونهض به البخت
 وانتهى أمره أن ولاء المعتمد على الله مدينة شلب وأعمالها أول ما أمضى الأمر إليه فدحلها ابن عمار في
 موك ضخم وجملته عبيد وحشم وأطهر نخوة لم يطهرها المعتمد على الله حين ولها أيام أبيه المعتمد بالله ،
 فكان أول شيء سأل عنه الرجل صاحبه صاحب الشعر ، فقال : ما صنع فلان أهو حي ؟ قالوا : نعم
 فأرسل إليه بمحلاته بعينها بعد أن ملأها دراهم وقال لرسوله : « قل له لو ملأتها براً لملائها تبرا » ولم يزل
 ابن عمار على الحال التي ذكرناها من التقلب في بلاد الأندلس الاستجداء والاستعطاف إلى أن ورد على
 المعتمد بالله أبي عمرو فامتدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

« أدر الزجاجة فالقيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
 والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبرا

وفيها يقول بمدح المعتمد :

« عباد المحصر نائل كفه والحو قد لبس الرداء الأغبر
 قذاح زند أخذ ، لا ينك من نار الوغى إلا إلى نار القرى
 يختار أنت يهب الحريدة كاعما ، والظرف أجرد ، والحسام مجورها »

وفي هذه القصيدة يقول في وصف وقعة أوقعها المعتمد بالبربر :

« شقيب بسيفك أمة لم تعتقد إلا اليهود ، وإن تسعوا بربرا
 آثرت رحلك من رؤوس كياتهم لما رأيت العصن مشق مثمرا
 وخضبت سيفك من دماء نحوهم لما عهدت الحس يلبس أحجرا »

ومن أبيات هذه القصيدة بيت لم أسمع لم تقدم ولا متأخر بمثله وهو قوله :

« السيف أفصح من «زياد» خطبة - في الحرب إن كانت - يملك منبرا . »

ولما أنشد المعتمد هذه القصيدة استحسناها، وأمر له بجمال وثياب ومركب ، وأمر أن يكتب في ديوان الشراء
 فكان كذلك، ثم تعاقب بالمعتمد على الله - وهو إذ ذاك شاب - فلم تزل حاله ممة تزيد وموات خدمته له تقوى

وما أغرب الأيام فيما قضت به تريني بمدى عنك آنس من قرني
 أما بك للحق الذي لك في دمي وأرجوك للحب الذي لك في قلبي

وتأكد إلى أن صار ابن عمار ألقى بالعمد من شعراته (١) ، وأدنى إليه من حل وريده. كان العمد لا يستغنى عنه ساعة من ليل ولا نهار ، ثم اتفق أن ولي العمد على الله شب من قبل أبيه فاستوزر بن عمار هذا في تلك الولاية وسلم إليه جميع أموره فملب عليه ابن عمار غلبة شديدة ، وساءت السمعة عنهما ، فانضى نظر المعتضد التفريق بينهما ونفى ابن عمار عن بلاده حسب ما تقدم الإيماء إليه ، فلم يزل ابن عمار مقرباً في أقصى بلاد الأندلس إلى أن توفى المعتضد بالله ، فاستدعاه العمد وقربه أشد تقرب حتى كان يشاركه فيما لا يشارك الرجل فيه أخاه ولا أباه . وله معه أيام كونها ابشليخبر بحبيب ، وذلك أن العمد استدعاه ليلة إلى مجلس أنسه على ما كانت العادة جارية به إلا أنه في تلك الليلة زاد في التحفي به والبر له على المعتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم العمد عليه : « لتضمن رأسك ممي على وساد واحد » فكان ذلك . قال ابن عمار : فهتف بي هاتف في النوم يقول : « لالتمتر أيها المسكين إنه سيقنتك ولو بعد حين » قال : « فانتبهت من نومي فرطاً وتعوذت ثم عدت » فهتف بي الهاتف على حاله الأولى فانتبهت ، ثم عدت فسمعتة ثالثة فانتبهت فتجردت من أثوابي ، والتفت في بعض الحصر وقصدت دهليز القصر مستحقياً به ، وقد أزمعت على أني إذا أصبحت مستحقياً حتى آتي البحر فأركبه وأقصد بلاد المدرة فأكون في بعض جبال البربر حتى أموت ، فانقبه العمد فاندقني فلم يجدني فأمر بطلي فطلب له في نواحي القصر وخرج هو نفسه يتوكأ على سيفه والشعلة تحمل بين يديه ، وكان هو الذي وقع على فمكاتب مني حركة فأحس بي وقال : « ما هذا يتحرك في هذا الحصر ؟ » ثم أمر به بنفض ، فخرجت عرياناً ليس على الا سراويل . فلما رأي فاضت عيناه دموعاً وقال : « يا أبا بكر ما الذي حملك على هذا ؟ » فلم أر بدا من أن صدقته ، فقصدت عليه قصتي من أولها إلى آخرها ، فصحك وقال : « يا أبا بكر ، أصوات أحلام هذه آثار الخمار » ثم قال لي « وكيف أتتلك ، أرايت أحداً يقتل نفسه ؟ ما أنت إلا كسفي » فشكر له ابن عمار ودعا له بطول البقاء ، وتناسى الأمر نفسه ، ومرت على ذلك الأيام والليالي إلى أن كان من أمره ما سيأتي الإيماء إليه ، فصدقت رؤيا ابن عمار وقتل العمد نفسه كما قال .

ولما أوصى الأمر إلى العمد سأل ابن عمار ولاية شب وهي كانت بلده ومنشأه كما تقدم ، فأجابته العمد إلى ذلك وولاه إيما أنبه ولاية جعل إليه جميع أمورها خارجها وداخلها ، فاستدرت ولاية ابن عمار عليها إلى أن اشتد شوق العمد إليه وضعف عن احتمال العبر عنه ، فاستدعاه وعزله عنها واستوزره ، فكانت حاله معه شبيهة بحال جعفر بن يحيى مع الرشيد ولم يزل العمد يمد له لكل أمر جليل ويؤمله لكل رتبة عالية ، وكان ابن عمار مع هذا لا يئط به أمر إلا اصطلع به ، وكان فيه كالسكة المحمأة ، واشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الأندلس إذا ذكر عنده ابن عمار . قال هو رجل الجريرة ، وكان ابن عمار هو الذي رده عن قصد اشبيلية وقرطبة وأعمالها ، وذلك أنه خرج في جيوش ضحمة يقصد بلاد العمد طامعاً فيها ، فغافه الناس ، وامتلأت صدور أهل تلك الجهات رعباً منه ، وتيقنوا ضعفهم عن دفاعه . فتولى ابن عمار رده بألطف حيلة وأيسر تدبير ، وذلك أنه قام سفرة شطرنج في غاية الإتقان والابداع لم يكن عند ملك مثلها ، جعل صورها من الأبوس والعود الرطب والصندل ، وحلاها بالذهب ، وحمل أرضها غاية في الاتقان فخرج من عند العمد رسولا إلى الأندلس فلقبه في أول بلاد المسلمين فأعظم الأندلس قدره وبالغ

(١) القص: بفتح أوله وتشديد ثانيه أراد به رأس الصدر وهي العظام التي تتلاقى في وسط الصدر حيث ينبت الشعر.

ولى حسنات لوأمت ببعضها إلى الدهر لم يرجع لثأبة سربي

في إكرامه وأمر وجوه دولته بالتردد إلى خبائه والمسارعة في حوائجه فأظهر ابن عمار تلك السفارة فرآها بعض خواص الأذفنش فنقل خبرها إليه وكان العليج (الأذفنش) مولماً بالشطرنج فلما لقي ابن عمار سأله « كيف أنت في الشطرنج؟ » وكان ابن عمار فيه طبقة طالية فأخبره بمكانه منه ، فقال له بلسي أن عندك سفرة في غاية الاتقان ، قال ابن عمار نعم ، فقال كيف السبيل إلى رؤيتها؟ فقال ابن عمار لترجمانه قل له أنا أتيتك بها على أن ألب معك عليها ، فإن غلبتني فهي لك ، وإن غلبتني فلي حكمي ، فقال له الأذفنش هلمها لتنظر إليها ، فأمر ابن عمار من جاء بها ، فلما وضعت بين يدي العليج صاب وقال ماظنت أن اتقان الشطرنج يبلغ إلى هذا الحد ، ثم قال لابن عمار كيف قلت فأعاد عليه الكلام الأول ، فقال له الأذفنش لا ألب معك على حكم مجهول لا أدرى ماهو ، ولعله شيء لا يمكنني ، فقال ابن عمار لا ألب إلا على هذا الوجه وأمر بالسفرة فطويت وكشف ابن عمار سرّاً ما أراد له رجاله وثق بهم من وجوه دولة الأذفنش وجعل لهم أموالاً عظيمة على أن يوازروه على أمره ففعلوه فتملقت نفس العليج بالسفرة وشاور خاصته فيما رسمه ابن عمار فهونوا عليه ، فقالوا له : « إن غلبته كان عندك سفرة ليس عند ملك مثلها وإن غلبت فما صاه أن يحتكم وقبحوا عهده لإظهار الملك العجز عن شيء يطلب منه ، وقالوا إن طلب ابن عمار ما لم يمكن فتحن لك برده عن ذلك ، ولم يزلوا به حتى أحاب ، وأرسل إلى ابن عمار ، فجاء ومعه السفارة ، فقال له : « قد قبلت ما رسمته . » فقال له ابن عمار : « فأجعل بيني وبينك شهوداً ساهم له ، فأمر الأذفنش بهم فحضرُوا وافتتحا يلعبان ، وكان ابن عمار كما ذكرنا طقة في الأندلس لا يقوم له أحد فيها ، فغلب الأذفنش غلبة ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن للعليج فيها مطمن . فلما حققت العلبة . قال له ابن عمار : « هل صح أن لي حكمي؟ » قال « نعم » قال : « أن ترجع من هاهنا إلى بلادك » فأسود وجه العليج وقام وقعد وقال لحواصه « قد كنت أخاف من هذا حتى هوّ تنموه عليّ في أمثال لهذا القول » وهم بالنكت والتمادي لوجهه . فقبحوا ذلك عليه وقالوا له : « كيف يحمل بك العندر وآت ملك ملوك النصراري في وقتك » فلم يزلوا به حتى سكن وقال : « لا أرحع حتى آخذ أتاوة طاميين خلاف هذه السنة ، فقال ابن عمار « هذا كله لك » وجاءه بما أراد فرجع ، وكفّ الله بأسه ، ودعاه بحوله وحسن دفاعه عن المسلمين ، ورجع ابن عمار إلى إشبيلية ، وقد امتلأت نفس المعتمد سروراً به ، ثم إن المعتد حدث له أمل في التغلب على مرسية وأعمالها ، وهي التي تعرف بتدمير ، وكانت بيد أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر كان هو المنتلب عليها والمدير لأمرها ، فجهز المعتمد جيوشاً عظيمة ، وتكفل له ابن عمار بأخذها وإخراج ابن طاهر عنها فلحق ابن طاهر حين خرج من مرسية ببني عبد العزيز بلنسية ، وكان بها إلى أن مات رحمه الله ، ولما تلب ابن عمار على مرسية دار ملك بني طاهر كما ذكرنا حديثه نفسه ، وسوّل له سوه رأيه أن يستدّ بأمره ، وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ، فلم يزل يصرف الحيلة في ذلك إلى أن تمّ له بعضه ، ودانت له مرسية وأعمالها ، وطمع في ملك بلنسية إلى أن قام عليه رجل من أهل مرسية ، يقال له ابن رشيق كان أبوه من صرغاء الجند بها ، وكان ابن عمار قد خرج لبعض أسرته فدعا ابن رشيق هذا إلى نفسه ، وقامت معه العامة ومضى الجند ، فجاء يركض حتى المدينة وقد غلقت أبوابها ودونه لمخاصرها بمن معه أياماً ، فامتعت

وكم قدرت ينالاً بي من صرية فلا غرو يوماً أن تنزل من غربي

عليه ولم يقدر على دخولها ، فبقي حائراً لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه ، وقد كان بلغ المتمد قيامه عليه وخلع يده من طاعته ، فلم ير إلا الهروب ملجأً فهرب حتى لحق ببني هود بسرقة فأقام عندهم حتى ثقل عليهم وخافوا قائمته ، وبنضه في عيونهم ما فعل مع صاحبه وولى نعمته ، فأخرجوه عن بلادهم ولم تزل البلاد تتقاذفه وملوكها تشناه ، إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس في غاية المنعة يدعى شقورة ، كان المنتخب عليه رجلاً يقال له ابن مبارك فأكرم وقادته ، وأحسن نزله ، ثم بداله بعد أيام فقبض عليه وقيده وجعله في سجنه . فلما رأى ابن عمار ذلك منه قال له لا عليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوني عندك ، وتعرضني عليهم فما منهم إلا من يرغب فيّ ، فمن كان أشدهم رغبة جعل لك مالا ووجه بي إليه ، ففعل ابن مبارك ذلك فما عرضته على أحد من ملوك الأندلس إلا رغب فيه ، وكتب فين كتب إلى المتمد ، وفي ذلك يقول ابن عمار :

« أصبحت في السوق ينادي على رأسي بأنواع من المال
والله ما جار على ماله من ضمني بالثمن الغالي . »

وفي هذا السجن يقول ابن عمار وقد استدعي نورة يستنظف بها فتعذرت عليه فاستدعي موسى فأتى بها ، فقال في ذلك :

« بوسي شقورة عندي أربت على كل بوسي
فقدت هارون فيها فظلت أطلب موسى . »

وبعث المتمد على الله من رجاله من تسلّم ابن عمار من يد ابن مبارك بعد أن بعث إليه بمال وخيل ، وأمر المتمد الذين تسلّموا ابن عمار أن يزيدوا في الاحتياط عليه وتقيده ، فخرجوا به حتى وادوا قرطبة ، ووافق ذلك كون المتمد بها ، فدخلها ابن عمار أشنع دخول وأسوأه على بفل بين عدلى تن وقيوده ظاهرة للناس ، وقد كان المتمد أمر بإخراج الناس خاصتهم وعامتهم حتى ينظروا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزت له وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤساؤهم ، فالسعيد منهم من يصل إلى تقبيل يده أو يرد عليه ابن عمار السلام وغيرهم ، لا يصل إلى تقبيل ركبته أو طرف ثوبه ، ومنهم من ينظر إليه على بعد لا يستطيع الوصول إليه ، فسبحان محيل الأحوال ، ومدبّر الدول ، فدخل ابن عمار قرطبة كما ذكرنا بعد العزة القماء ، والملك الشامخ ، والرياسة الفارعة ، ذليلاً ، خائفاً فقيراً ، لا يملك إلا ثوبه الذي عليه ، فسبحان من سلبه ما وهبه ، ومنعه ما كان به أمتعه ، وأخبر بعض الموكلين به ما تمفق لهم معه من فرط ذكائه وسرعة فطنته قال : « لما قربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارس من البلد يركض يقصدنا ، فلما رآه ابن عمار وكان معها أزال العمامة عن رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر إلى ابن عمار ودخل معنا في الصف فشي ، فسألناه فيم جاء فقال « الذي جئت فيه صنعه هذا الرجل قبل أن أصل إليه » فعلمنا أنه أرسل ليزيل عمامته ، فأدخل على المتمد على الله على الحالة التي ذكرت يرسف في قيوده ، فجعل المتمد يعدد عليه أياديه ونامه ، وابن عمار في ذلك كله مطرق الرأس لا ينبس إلى أن اتففى كلام المتمد ، فكان من جواب ابن عمار أن قال : « ما أنكر شيئاً مما يذكره مولانا - أبقاه الله - ولو أنكرته لشهدت علىّ به الجمادات فضلاً ممن ينطق ، ولكن عثرت فأقل ، وزلت فاصفح » فقال المتمد : « هيات لئها عثرة لا تقال » وأمر به فاحدر في النهر إلى إشبيلية فدخل به إشبيلية على الحال التي دخل عليها قرطبة وجعل ، في غرته على باب قصر المتمد المعروف بالفصر المبارك وهو باق إلى وقتنا

ولا بد ما بيني وبينك من نثا يطبقها ما بين شرق إلى غرب

هذا فطال سجنه هناك . كتبت عنه في هذا السجن قصائد لو توصل بها إلى الدهر أنزع عن جوره ، أو إلى الفلك لكف عن دوره ، فكانت رقي لم تنجح ، ودعوات لم تسمع ، وتعمائم لم تنفع ، فنها قوله :

«سجايك إن عاقبت أئدى وأسحج ، وهذرك إن عاقبت - أجلي وأوضح
وإن كان - بين الخطئين - مزية ، فأنت - إلى الأذى من الله - تنجح
حنانك إذ أخذى برأيك ، لا تطع عدای ولو أتتو عليك وأفصعوا
فإن رحا أن عندك غير ما يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة يكران في ليل الخطايا فيصبح
وهي قد أعقت أعمال مفسد أما تفسد الأعمال ثم تصلح
أقلنى بما بيني وبينك من رضى له - نحو روح الله - باب مفتح
وعف على آثار جرم سلكتها بهية رحى منك تمحو وتمصح
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم فكل لئام بالذى فيه يرشح
سيأتيك في أمرى حديث وقد أتى يزور بنى عبد العزيز موشح
وما ذاك إلا ما علمت فأنتي إذا ثبت لا أنفك آسو وأجرح
كأنى بهم - لا درت الله درهم - أشاروا تجاهى بالشتمات وصرحوا
وقالوا: « سيجزيه فلان بفعله » فقلت: « وقد بعفولان ويصفح »
ألا إن بطشاً للمؤيد يرتعى ولكن حلما للمؤيد يرجح
وماذا عسى الواشون أن يزيدوا سوى أن ذنبى واضح متصحح
نعم لى ذنب غير أن لحلمه صفاة يزل الذنب عنها فيصفح
عليه سلام كيف دار به الهوى إلى فيدنوا أو حلى فينرح
ويهنيه إن مت السلوقا نى أموت ولى شوق إليه مبرح
وبين صلوعي من هواه تميمية ستدفع لو أن الحمام يجلح . »

ولما بلغت المعتد هذه القصيدة وأنشدت بين يديه كان بمحضرتة رجل من البعداديين ، فجعل يزرى على البيت وبين صلوعي ويقول ما أراد بهذا المعنى ، فكان من جواب المعتد رحمه الله أن قال : أما أنت سلبه الله المروءة والوفاء ، لما أعدمه الفطنة والدكاء إنما نظر الى بيت الهذلي من طرف خفي وهو -
« وإذا المنية أنشبت أظفارها الفيت كل تميمية لا تنفع . »

ولم يزل ابن صمار هذا بسجن المعتد إلى أن قتله صبوا في شهور سنة ٤٧٩ وتلخيص خبر قتله أنه لما طال سجنه كتب إليه بالقصيدة التي تقدم إنشادها ، فأدركت المعتد بعض الرقة ، فوجه إليه ليلا وهو في بعض مجالس أنه فأتى به يرسف في قيوده ، فجعل المعتد يمسد منته عليه ، وأياديه قبله ، فلم يكن لابن صمار جواب ولا حذر غير أنه أخذ في البكاء ، وجعل يتراقق للمعتد ، ويمسح عطفه ، ويستجاب من الألفاظ كل ما يقدر أنه يزرع له الرأفة في تلب المعتد فتم له بعض ما أراد من ذلك ، وخطفت المعتد سابقته وقدم حرمتيه ، بحبه ، فكتب ابن صمار من فوره بما دار له المعتد إلى ابنه الراضى بالله ، فوفاه الكتاب - وبمحضرتة قوم كانت بينهم وبين ابن صمار أحن قديمه - فلما قرأ الراضى الكتاب قال لهم : « ما أرى ابن صمار الا سيتخلص » فقالوا له « ومن أين علم مولانا ذلك » فقال : « هذا كتاب ابن صمار يخبرني فيه أن مولانا المعتد قد

ولاشك أن المفومك سجيبة فلم يبق إلا أن تخفف من عتي .

(جأوبه المتمد على الله)

«تقدم إلى ما عتدت عندي من الرحب متى تلقى تلقى الذي قد بلوته سأوليك منى ما عهدت من الرضى فما أشمر الرحمن قلبى قسوة تكافئه أنى به لك — ملوة

ورد تلقك العتي حجاباً من العتب صفوحاً عن الجاني رء، وفا على الصعب وأعرض عما كان إن كان من ذنب ولا صار نسيان الأذمة من شمي فليس يماني الشعر مشترك اللب .»

(وللمتمد على الله إلى ذى الوزارتين أبى بكر)

« قد زارنا الترجس الديكى وقد عطشنا وتم رى ونحن فى مجلس فدى وإن من يومنا العتى ولى حبيب غداً سبي ياليتك ساعد السمي . »

(وللمتمد إلى الوزير أبى عمر بن غطمش)

« فديت أباهم من فتي متى يختبر غيبه يحمده وداد صحیح ، وخلق مليح ونطق فصیح ، لدى المشهد أنتنى البدیهة تندى بدیما وأبدع ما فى الرياض الندى أزاهر : لم تنتشقى بالأنو ف لطفاء ، ولا جنيت باليد خجلت لشكواك فى طيها فا كدت أسمع للمنشد وقد فبرت لك تلك الرؤى ايشع طار وبرى صدى فهون عليك من النائبات إذا كان نصرى بالمرصد وكن مخبرى أنى سائل سؤال مدلّ على مسعد فجاءتك صفراء عند المنا م تسمى من الأثق الأبد لحيتك بالنفس الترجسى ولافتك بالمليس السجدى وعلتلك بالريق لو أنه أبيع لدى الزهد لم يزهد . »

وصده بالخلاص « فأظهر القوم الفرح وهم يبطنون غديره ، فلما قاموا من مجلس الراضى نشروا حديث ابن عمار أقبح نشر ، وزادوا فيه زيادات قبيحة صنت هذا الكتاب عن ذكرها فبلغ المتمد ذلك فأرسل إلى ابن عمار ، وقال له : « هل أخبرت أحداً بما كان بينى وبينك البارحة » فأنكر ابن عمار كل الأنكار ، فقال المتمد لرسول « قل له الورقتان اللتان استدهيتهما كتبت فى إحداها القصيدة ، فما فعلت بالأخرى ؟ » فادعى أنه ييض فيها القصيدة فقال المتمد « هلم المسودة » فلم يجر جواباً ، فخرج المتمد حثفاً ويده الطبرزين حتى صعد الذرقة اتى فيها ابن عمار ، فلما رآه علم أنه قاتله ، فجلل ابن عمار يزحف وقبوده تتله حتى انكب على قدمى المتمد يقبلهما والمتمد لا يبتيه شىء فعلاه بالطبرزين الذى فى يده ولم يزل يضربه به حتى برد ، ورجع المتمد فأمر بفسله وتكفينه وصلى عليه ودفنه بالقصر المبارك ، فهذا ما انتهى إلينا من خبر ابن عمار ملخصاً حسب ما بقى على خاطرى . « المعجب فى تلخيص أخبار العرب »



(وله رحمه الله)

« كتابي وعندي من فراقك ما عندي وفي خلدي ما فيه من لوعة الوجد
 وما خطت الأتلام إلا وأدمى تخط كتاب الشوق في صفحة الحد
 ولولا طلاب الحد زرتك طيبه عميدا كما زار الندى ورق الورد
 قبلك ما تحت اللثام من اللسا وعانت ما فوق الوشاح إلى العقد
 أغائبه عنى وحاضرة ممي لأن نبت عن هيني فأينك في كبدي
 أقيى على العهد الذي كان بيننا فأني على ما تعلمين من العهد . »

(وللويزير الكاتب أبي الوليد بن المعلم)

« أيدك الله إنه يوم تحجب فيه الصلاة والصوم
 وتحفز الراح غير وانية لا عار في حفزها ولا لوم
 فانشط إليه فانه أمل يبلغه في نديك القوم
 لازت مستيقظ السمود لنا وعنك في أعين الردي نوم . »

(فأجابه أيده الله)

« حمت بخفاقة الجناح وقد أمكن ورد فلا يطل حوم
 وسمت في الطيب والسرور فتى لم يزر يوما بطيبه سوم
 وهامو المجلس المعد لكم فادخل إليه وليدخل القوم
 إلى كؤوس لو شاء شاربها يعوم فيها لأمكن العموم . »

(لجأوبه رحمه الله)

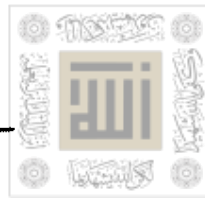
« ليك ليك من مناد له الندى الرحب والندى
 ها أنا بالباب عبد قن قلبته وجهك السنى
 شرفه والداه باسم شرفته أنت والنبي . »

(وقال)

« سلى تعلمي إن كنت غير عليمه بأن ليس في حبي لنفرك مطمع
 وأن لي القلب الذي ليس خاليا من الوجد والجفن الذي ليس بهجم
 بذكر نيك الدمن يهتز عند ما يهب نسيم ، والفزاة تطلع
 فوالله لا أتفك أذكر موضعي لديك ولأفك نحوك أنزع . »

(وقال)

« ألكم إلى العب الشحي . ماد فتفك عنه للأسي أصفاد
 رحل اصطباري إذ رحلتم قائلا أوب الأجابة بيننا الميعاد
 يا من نكلت دنوهم ووصالهم فبدا على من الشحوب حداد
 كم بت منكم بين غصني بانه كالسيف تضغط متته الأشهاد . »



(وقال في معشوقة اسمها « اعتماد » تؤخذ حروف اسمها من أوائل هذه الآيات .)

« أغائبة الشخص عن ناظري وحاضرة في صميم العواد
عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشجون وقدر السهاد
تملكت مني صعب المرام وصادفت ودّي سهل القياد
مرادى لفيك في كل حين وبليت أني أعطى مرادى
أقيمي على العهد ما بيننا ولا تستحيل لطول البعاد
دست اسمك الحلو في طي شعري وألفت به حروف اعتماد . »

(وقال)

« قلبي موال لمعديه وعاشق من لا يباليه
خلى الظلوم كلما زده مودة زاد تجنييه
يا غفر الله له دنبه في ظلم سب هائم فيه
يا حسن الوحه بحق الهوى لا ترض قبح الحجر والنيه . »

(وقال)

إني رأيتك في المنام ضجيعتي وكان ساعدك الوثير وسادى
وكانما عاتقتني وشكوت ما أشكوه من وجدى وطول سهادى
وكانني قبلت ثغرك والطلبي والوجنتين ونلت منك مرادى
ومواك لولا أن طيفك زائر في العلى ما ذقت طعم رقاد . »

(وقال يستدعي الوزير المصري الحكيم)

« أيها الصاحب الذي فارقت عيني ونسى منه السنن والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الراحة والمسمع الفنى والعناء
تتعاطى التي تنسيك في اللذذة والرقصة الهوى والهواء
فأه تلف راحسة ومحيا قد أعداك الحيا والحياء . »

(وله)

« لما نأت نأى الكرى عن ناظري وصرفته لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارة يحزى بها موهبت قلبي واعتذرت إليه . »

(وله)

« الجود أحلى على قلبي من الطفر ومن غناه أريوى في الصبوح لنا
وقد حننت إلى ما اعتدت من كرم وقد تناهت يدي عن كأسها غضبا
حتى أمك مسننى ما تجود به وأسمع الحد بالأخرى على الأثر
فهاها ، خلعا أرضى السباح بها محفوفة في أكف الشرب بالبدر . »



(وله)

« من للولك بتأو الأصيد الظل هيات جاء تكم مهديّة الدول
خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت من جاء يخطبها بالبيض والأسل
وكم غدت طاطلا حتى عرضت لها فأصبحت في سرى الخلى والحلل
عرس الملوك لنا في قصرها عرس كل الملوك به في مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم هجوم ليت بدرع الباس مشتدل . »

(وله إلى المعتضد بالله)

« مولاي ياذا الأيادي كواكفات النوادي
أنا عييد معدّ لحم داء الأعادي
واعتادت النفس مي تصيد الآساد
لاني عليها مقيم لرائح أو لغاد
أكر بالضرب فيها والظمن عند الجلاد
حتى أبحث حاما بمهفات حـداد
إن لم تكن أسد غيل تكن جاذر واد
بحق لحم وطى وكندة ومراد
ملكك من أرض حمص إلى قرى سنداد . »

(وله رحمه الله)

« نظن بنا أم الربيع سامة ألاغر الرحمن ذنباً تواقعه
أسام طيبا في ضلوعي كناسه وبدر تمام في فؤادي مطالعه
وروضة حسن أجتني من نمارها وبارد ظلم لم تكدر شرائعه
إدأ شمت كني نوالا تقيضه على معتفيا أو عدواً تقارعه . »

(وله)

« أمطلع زهر نجوم الكلام ومشرقه من خلال الحلك
أنا قريضك والههم حتى لدينا فأمسى به قد هلك
فهاك موارد ود صفت يملك فيها الذي أنهلك . »

(وله)

« درا بعثت مفصلا بجمان أو روضة مسكية الريحان
لابل عروساً قد زفت تولدت ما بين ففكرنا قد وبنان
سما لأمرك إذ دعوت إلى التي تدع القلوب قليلة الأحزان
أما الكؤوس فقد جرت ما بيننا ييدى فزال ساحر الأجفان
خنت يسقيني المدام بطرفه وبكفه ومتى أشا غناني
فلا لعمرك لم أكن لأضيمه لاتحسبنا من بني سهوان . »

(وله)

« إن كان تصريدا امير تمدد فلا جعلن مكانه وردا
 من قهوة ضمنت أكوستها نارا تكون على الحشا بردا.»

(وله)

« اشرب الكأس في وداد ودادك وتأنس بذكرها في افرادك
 قر غاب عن جفونك سرآ . وسكناه في سواد فؤادك . »

(وله)

« حسدت كتابي على فوزه بإبصاره النرة الزاهره
 بياليت شعفى يكون الكتاب فتاحطه المقله الساحره . »

(وله في اعتماد أيضا)

« بكرت تلوم وى الفؤاد بلايل سفها وهل يثنى الخليم الجاهل
 يا هذه كفى فاني عاشق من لا يرد هواى ضها عاذل
 حب «اعتماد» في الجوانح ساكن لا القلب ضاق به ولا هو راحل
 يا ظيية سلبت فؤاد محمد أو لم يروءك الهزبر الباسل
 من شك أنى هائم بك مغرم فملى هواك له على دلائل
 لون كسته صفرة ومدامع هطلت سحائبها وجسم ناحل . »

(وله في اعتماد أيضا)

« أدار النوى كم دار فيك تلهدى وكم عقتى عن دار أهيف أغيد
 حلفت به لو قد تعرض دونه كحاة الأهادى في النسيج المرسد
 لجردت للضرب المهند فاقضى مرادى وعزما مثل حد المهند
 فاحل خل من دؤاد خليله محل «اعتماد» من فؤاد محمد
 ولكنها الأقدار تردى بلا ظبا وتصمى بلا قتل وترى بلايد . »

(وله)

« مشمك أفوح في معطى ووجهك أملح في ناظرى
 ظفرت بقربك بعد امتناع فمن ذاك سميت بالظافر . »

(وله)

« يأبها الشمس التى قلبى لها أحد البروج
 لولاك لم أك مؤثرا فرش الحرير على السروج . »

(وله)

« أباح لطيف طيفها في الكرى الخدا فض به تفاحة واجتنى وردا
 وألتمنى ثمرأ شحمت نسيبه تخيل لى أنى شحمت به ندا
 ولو قدرت زارت على حال يقظه ولكن حجاب البين ما بيننا مدا



أما وجدت عنا الشئون معرجا ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
 سقى الله صوب القطر أم عبيدة كما قد سقت قلبي على حره بردا
 هي الظبي جبيداً ، والفرالة سة وروض الزبا فوحاء وغصن النقا قدا . «

(وله)

« من عاشق يشكو صلاته إلى محب هائم مثله
 كلاهما صب إلى الله حران ظمان إلى وصله
 يا رب عجل جمع هدا بدا وقرب الشكل إلى شكله . »

(وله)

« بجلي لبعذك هي غلسل فتسوق صحيح وجسدي عليل
 وودى على حسب ما تعلمين تزول الجبال وما إن يزول
 فلا تستحيلي لبعسد الديار فاني مع البعد لا أستحيل . »

(وله)

« القلب قد لج فما يفسر والوجد قد جل فما يستر
 والدمع جار قطره وابل والجسم نال توبه أصفر
 هذا ومن أعشقه واصل كيف به لو أنه يهجر
 لكن عدتي نأثبات النوى في دوحه والشادن الأهور
 والكوكب الوقادت تحت الدحي في أفقه والقمر الأزهر
 والرحس الفواح غب الديو في روضه والمدل الأذفر
 قد خبرت عن أي امرؤ في شحوب وصي يظهر
 وأبدت الإشفاق من حالي ومثل ما تديه ما تضمر
 واستفهمت أن كنت داعلة أو دا اشفاق ناره تسمر
 سيدتي لم تصبي عاشقا أضحي كما أخـبرك المخبر
 إذ قلت : هل من ألم طائف ما بك أو شوق فما تصبر
 طلعت بالشك هواي الذي يعرسه اليب والحضر
 والله ما سقتي إلا هوى كل هوى في حننه يصغر
 عسير جسدي فاعلمي أي أروم لفيك ولا أفـدر
 فاستغري الله من الظلم لي فإن من يظلم يستغفر . »

(وقال)

« يا طيبة لطفت من منازلها فالقلب منهنّ والأحداق والكبد (١)
 حي لك الناس طراً يشهدون به وأنت شاهدة إن ينهم حسد
 لم يعزب الوصل فيما بننا أبداً لو كنت واحدة مثل الذي أجده . »

(١) نسبت هذه الأبيات خطأ لابن زيدون انظر « ص ٢٢٣ » .

(وقال)

« هل راكب ذاهب عنهم يحيني
قد متّ إلا ذمّاء في يمسه
ما سرح الدمع من عيني وأطلقه
صبراً لعل الذي بالبعد أمرضني
كيف اصطباري وفي كانون فارقتي
شخص يذكرني فاه وخرته
لئن عطشت إلى ذاك الرضاب لكم
وإن أفاض دموعي نوح باكية
وإن بعدت وأضنتني المهموم لقد
أرحل عقد عزائي نأيه فلكم
ياحسن لإشراق ساعات الدنوبدت
والله ما فارقتني باختيارهم
وما تبدلت حبا غير حبه
أفدى الحبيب الذي لو كان مقتدراً
يارب قرب - على خير - تلاقينا »

(وقال)

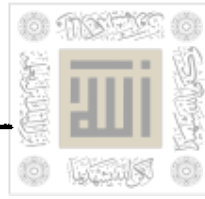
« ولما التقينا للوداع غسدية
وقرنت الجرد العتاق وصفقت
بكينا دما حتى كأن عيوننا
وكننا نرجى الأرب بعد ثلاثة
وقد خفت في ساحة القصر رايات (٢)
طبول ولاحق لافراق علامات
لجري الدموع الجرف فيها جراحات
فكيف وقد كانت عليها زيادات »

(وقال)

« أهلا بكم محبتكم - نحوى - القديم
حشو المطى ولو لي - لا بمجهلة
لائم القوم إن خطوا يجد قلم
لاخرق - إن رقوا كتباً - ولا حصر
أفدم أبا الأصبح المحبوب تلقى فنى
هذا فؤادى قد طار السرور به
سأكم الليل ما أشكوه من بعد
وحان أن يقسنى لى بكم حلم
فلن تضلوا ومن بشرى لكم حلم
وأن يقولوا يصب فصل الخطاب فلم
إذ يندون ولا جور إذا حكموا
هش المودة لا يزرى به سأم
إذ كنت تغلك الوخادة الرسم
واسأل الصبح عنكم حين يبتسم. »

(١) وردت هذه القصيدة في « ص ٦١ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .

(٢) وردت هذه القصيدة في « ص ١٠٩ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .



(وقال)

« الشمس تجل من جمالك فتغيب مسرعة لذلك
والنيث يحي أن يصب لما يراه من نواك
والبسدر يطلع ناقصاً حتى يتم من كمالك . »

(وقال)

« وشادن أسأله قهوة فجاد بالفهوة والورد (١)
فبت أسقى الراح من ريقه وأجتنى الورد من الحد . »

(وله)

« يا هلالا إذا بدا لي تجلت عن فؤادي دجنة الكربات
وغزالا لقلتيه بقلبي فتكات كأنها فتكاتي
تهت إذ حزت بالوصال وبالهمجر حياتي تملكها ومماتي
مترقى بموقب أنت منه في سواد القلوب والحدقات
أنا أختي عليك ياساكن القلب الممل بالصد من نغرات »

(وله)

« أنا في عذاب من فراقك سكران من حمر اشنياقك
صب الفؤاد إلى لقا نك وارثناك واعتناقك
لا تحسبي أني سلوت لما توالى من فراقك
هذي جفوني أنست لا تلتقي ما لم تلاقك
فصلى جميل الطن بى وثقى قلبي في وثامك . »

(وقال)

« وشمعة تنى ظلام الدجى نبي للمسدم عن الناس
قد جعل الرحمن من لطفه حياتها في القطع للراس
ساعدتها والكأس يسمى بها من ريقه أشهى من الكاس
ضياؤها لاشك من وجهه وحرها من حر أفاسي »

(وله)

« يا بديع الحسن والإحسان يا بدر الدياجي
يا غزالا صاد مسنى بالطسلى لث الهياج
قد غنينا بسنا وجسبك عن ضوء السراج »

(وله)

« تم له الحسن بالعدار واقترن الليل بالنهار
أخضر في أبيض تبدى ذلك آسى وذا بهارى



« فقد حوى مجلسي تماما إن بك من ريقه عقارى . »
 (وله)

« لله در أبي السنات من فارس شههم الجنان
 تخشاه آساد الرجال كما تريم به القيات
 فيأسه بشقى المدا ويحسنة يصي الحسان . »
 (وله)

« يقاتل باللحظ محبوبنا وبالسيف والرمح أمضى قتال
 فطورا يصيد ظباء النساء وطورا يصيد أسود الرجال . »
 (وله)

« إذا ما اتحدت الوغى دارعا وقتعت وجهك بالمنفسر
 حسينا يياك شمس الضحى عليها سحب من العنبر . »
 (وله)

« يا قرا قلبي له مطلع وشادنا في مهجتي يرتع
 والله ما أطمع في العيش مذ أصبحت وصلك لأطعم
 ليت كما يرتع في مهجتي أنى في ريقته أكرم . »
 (وله)

« وأغن يلعب بالهجوم كما غدت أرمح قومي بالمداء لواعبا
 ذى نعمة يسي العقول بها رشا من عند رضوان أماناها ربا . »
 (وله)

« بمن حكى صانوه السما لتقصر عنه طوال الرماح
 وصاغوا مثال الثريا عليه كواكب تفضى لنا بالنجاح
 وتردات أطواقه بالنجوم كما لبس الأفق توب الصباح . »
 (وله)

« أيا نفس لا تجزمي واصبرى فإن الهوى ما به منصف
 حبيب جفاك وقلب عصا ك ولاح لحاك ولا ملطف
 شجون ممنع الجفون الكرى وعضونها أدمعا تنزف . »
 (وله)

« أبصرت طرفك عند منتجر القنا فبـدا لطرفي أنه فلك
 أو ليس وجهك فوقه قسرا يجلى بنير نوره الخلك . »
 (وله)

« فتكت مقلناه بالقلب منى وبكت مقلناى شوقاً إليه



غكى لحظه لنا سيف هبا د ودمى له سحاب بديه . «

(وله)

« يا قرا أفته فؤادى مقالة لم تشب باؤك
ومن غدامسرق حرالكلام قد حازه بملك
نرت در القريض نثرا يقوم ذهنى له بلك
فقلت لله درّ ذهن يخرج درا من بحر فك
وجامت الطير مودعات سرك يا سركل ملك
بيتان دلا على و داد محضته لى بنير شك . «

(وله)

« بعث بالمرسل انبساطاً منى على خلقك الجليل
نزرأ حقيراً ففیه یأتى فضلك فى العذر والقبول
لو أنه مهجى لكنت تصغر فى قدرك الجليل . «

(وله)

« ترفقاً يا أبا يحيى ومن ظفرت كفى به فدعائى فضله الظافر
إن حال ما بيننا ريحاننا الناضر فناظر انقلب حقاً نحوكم ناظر
أحى مكانك من قلبى وأمنه كما حى الحاجب الإسلام بالاطر . «

(وله)

« أخلفتنى وعدك لى ومخلفاً أعهدك
فعد بأن تهجرنى واجر على عادتك . «

(وله)

« وردت أبا الفتح ياسيدى ورود الكرى بمد طول السهاد
ولما احتلت بنا لم تحمل من العين والقلب غير السواد
ودونك منا طيوراً فدت تطير إليك بريش الوداد . «

(وله)

« أبا الوليد تجاوز وهب لنا التفضيضا
واقبل جواباً على فظك الصحيح مريضاً
زفت نحوى مروساً تجتأب روضاً أريضا
جلوتها فى سواد تجسرو المعانى ييضاً
وقد منحتك نزرأ لا حقك المروضا
وسوف أرفع جهدى من قدرك المحفوضاً . «



(وله إلى أبيه رحمه الله)

« يا متبج الأكرام إنعاما ومتبج الإينام إتماما
 وطادلا في الناس لكنه أصح للأموال ظلما
 قرنت في كفاك بحر الندى بصارم أسكته الهاما
 وجمعت فيك خصال الوردى وحزت آراء وإقداما
 فالموت والعيش بينناك قد صرفن أسيافا وأقلاما
 أتقلت بالإينام ظهري، فقد ألحمت عن شكرك إخماما
 سفكت إفضالا دمي كي ترى تزيد في عمرك أعواما
 فاسلم لاهراق دماء العدا ما طرد الإصباح لإظلاما . »
 (وله إليه يطلب مجنا)

« أيا ماجدا لم يرم شامحا من المجد فاحتل غير القين
 سألتك صفراء بكرا فجهد على بها شامحا للسنين
 ترد السنن إذا أمها شبا حده من قويم السنين
 وإن كنت من معشر في الوغى أقاموا القلوب مقام الجنين . »

(وله إليه يطلب جوادا)

« ألا يا غرة السعد وقرّة نظر الحد
 ومولاي الذي ما زال بسحب حلة الحد
 لمبدك همه هامت بركض الصر الجرد
 ويرغب ضارعا منها إلى عليك في الورد
 وإن تقبضه من عبد تمنّ به على عبد . »
 (فبعث إليه مسرجا فكتب إليه)

« خلعت ثوب الصوّ على العبيد الوفيّ
 يا مستترقا بنعما • كل حر سريّ
 أتى على الورد سرج كالهدي فوق الهدى
 فسوف أورد رشي عليه قلب الكمي . »
 (وله إليه)

« يا أيها الملك الذي كفاه بخلت السحاب
 أنعمت بالبيض الكما ب على والحيل العرب
 وغدوت تحشى لامتا ب كما ترجى لنواب
 برضاك أبصر نائي ال آمال مني إذا اقترب
 وبطيب أيامي لديك عرفت أيام الشباب
 فشكرت ما أو ليثيبه من أياديك العذاب
 بشبا سنائي في الظما ن وحديسي في الضراب



وشبا لسانى فى المها فل بالتمتر لا يشاب
 لازلت تنتعل النجو موخذقتك فى التراب»
 (وله إليه)

« يا أيها الملك الذى لم يزل يسرى لى غرته السارى
 وجامعا فى كفه بالنسدى والبأس بين الماء والنار
 اهنأ فقد نلت الذى تشتهى نفسك واشكر نعم البارى . »
 (وله إليه يطلب الإذن بالصيد)

« امض على صيد رجاك بساعة يرتاح فيها باصطياد أرانب
 حتى يصيد بسعدك الأبطال فى يوم الوغى بأسنة وقواضب . »
 (وله إليه)

« وساعة للزمان مسفة قنصت فيها أرابنا وحمل
 فلا أرانى الايله منك رضى إن لم أصدمن عدالك كل بعزل . »
 (وله إليه)

« أوجه البدر يشرق فى الظلام وسـتر الله مد على الأنام
 وليث العاب لإقداما وبأسا ورب العضل والنعم الجسام
 عبيدك مولع بالصيد قدما وحب الصيدين شيم الكرام
 فاؤذك فيه واسلم للأعادى تدير عليهم كأس الحمام . »
 (وله إليه)

« أيا ملكا عمى فضله ولم ألب فى بحر نعماه زجرا
 عهدت البحار لجزر ومدّ وتانى بحار أياديك جزرا
 دعونا الأمانى لما رضيت بقاءت توالى علينا وتترى
 فلم يبق لى أمل أرتجيه سرى أن أقوم بنعداك شكرا
 بقيت ولا ملك إلا غدا غدا ملك كفك قهراً وقسرا

(وقال)

أمعتضداً بالله دعوة آمل رجاكـ على بعدـ فأصبح ذا قرب
 فأمم مأمولا وأم ميسما وحامت أمانيه على مورد عذب
 موارد ما حلآن عنهن حانما ولا غادرته غير مستعذب القرب
 وها أنا ظمان لمنهل وردكم وحسى موقوف على وردكم حسى
 أفر بالذى أملتـ مذ كنت آملاـ وتحتل من علباه فى المنزل الرحب
 بفتت أغذ السير حتى كأنى لا فراط لإغذاذى على ظهر النجب
 فألميت أعلى الناس قدرا وسوددا وعدلا فدنه النفس صدفا بلا كذب
 يمن لى راجيه كالوامق الصب ويهتر للمعروف كالعاصم المضب
 ولى لما تولى وأوليت شاكر فمن شكر النعماء نال رضى الرب . »

وقال (١)

« لما تماسكت الدموع وتنهنه القلب الصديع
قالوا الخضوع سياسة فليد منك لهم خضوع
وألد من طعم الخضوع ع على في السم النقيع
إن تستلب عنى الدنا ملكي وتسلمني الجموع

(١) جاء في كتاب المراكشي قبل هذه الآيات الرائعة مايلي :

قال يوسف بن تاشفين لبعض ثقاته من وجوه أصحابه : « كنت أظن أنى ملكت شيئاً ، فلما رأيت تلك البلاد صمرت - في عيني - مملكتي ، فكيف الحيلة في تحصيلها ؟ » فاتفق رأيه ورأى أصحابه على أن يرأسوا المعتد يستأذونه في رجال من صلحاء أصحابهم رغبوا في الرباط بالأندلس ، ومجاهدة العدو والكون ببعض الحصون المصانبة لاروم إلى أن يموتوا ففعلوا ، وكتبوا إلى المعتد بذلك ، فأذن لهم بعد أن وافق على ذلك ابن الأفطس التوكل صاحب الثغور ، وإنما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قوم من شيعتهم مبثوثين بالجزيرة في بلادها ، فإذا كان أمر من قيام بدعوتهم أو لإظهار لمملكتهم وجدوا في كل بلد أعواناً ، وقد كانت قلوب أهل الأندلس كما ذكرنا قد أشربت حب يوسف وأصحابه ، فجهز يوسف من خيار أصحابه رجلاً انتخبهم ، وأمر عليهم رجلاً من قرابته يسمى « بلجين » وأمر إليه ما أراد ، فجاز بدجين المذكور وقصد المعتد من ملوك الجزيرة ، فقال : « أين تأمرني بالكون ؟ » فوجه معه المعتد من أصحابه من ينزله ببعض الحصون التي اختارها لهم فنزل حيث أنزلوه هو وأصحابه ، وأقاموا هناك إلى أن ثارت الفتنة على المعتد ، وكان مبدؤها في شوال من سنة ٤٨٣ بأخذ جزيرة طريف المقابلة لطنجة من العدو دون مقدمة ظاهرة توجب ذلك ، ففتشت جموعه وأهواؤها ملتزمة ، واتثرت بلادها وقلوب أهلها على محبته منتظمة ، ولما أخذ المرابطون جزيرة طريف ونادوا فيها بدعوة أمير المؤمنين انتشر ذلك في الأندلس ، وزحف القوم - الذين قدمنا ذكرهم - الكاثولون في الحصون إلى قرطبة فحاصروها وفيها عباد بن المعتد الملقب بالمأمون ، وقد تقدم ذكره ، وهو من أكبر ولده ، فدخلوا البلد وقتل عباد هذا بعد أن أبلى عزراً ، وأظهر في الدفاع عن نفسه جلاً وصبراً ، وذلك في مستهل صفر الكائن في سنة ٤٨٤ فزادت الإحنة والحنة ، واستمرت في غلوائها الفتنة . وأجمعت على الثورة بحضرة اشبيلية طائفة ، فأعلم المعتد بما اعتقدته الطائفة المذكورة وكشف له عن مرادها ، وأثبت عنده سوء اعتقادها ، وأغرى بتمزيق أديتها ، وسفك دمها ، وحض على هتك حرمتها ، وكشف حرمتها ، فأبى له ذلك مجده الأصيل ، ورأيه الأصيل ، ومذهبه الجليل ، وما جاء الله من حسن اليقين ، وصحة العقل والدين ، إلى أن أمكنتهم الغرة يوم الثلاثاء منتصف رجب من السنة المذكورة فقاموا بجيش غير مستنصر ، واستنصروا بغنائم غير مستنصر ، فبرز هو من قصره ، سيفه بيديه ، وغلالته ترف على جسده لادركة له ولا درع عليه ، فلقى على باب من أبواب المدينة يسمى باب الفرج فارساً من الداخلين مشهور النجدة شاكى السلاح ، فرماه الفارس برمح قصير أنابيب القناة ، طوبل شفرة السنان ، فالتوى الرمح بغلالته وخرج تحت إبطه ، وهشمه الله منه ودفنه بفضله عنه ، وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه إلى أضلاره ، فخرّ صريعاً ، وانتهزت تلك الجموع ، ونزل المتسمنون للأسوار منها ، وظن أهل اشبيلية أن الحناق قد تنفس ، فلما كان عصر ذلك اليوم ، طوهدم القوم ، فظهر على البلد من واديه ،

فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
 لم أستلب شرف الطب ع أيسلب الشرف الرفيع ؟
 قد رمت يوم نزالهم إلا تحمصني الدروع
 وبرزت ليس سوى الفصيص من عن الحشى شىء دفع
 وبذلت نفسى كي تسيب لى إذا يسيل بها النجيع
 أجلى تأخر لم يمكن بهواى ذلى والحشوع
 ما سرت قط إلى الفتنة ل وكان من أسمى الرجوع
 شسيم الألى أما منهم والأصل تتبعه الفروع .»

ويش من سكنى نادية ، وبلغ فيه الأمل حاسده وشاويه ، وشبت النار في شوانيه ، فانقطع عندهما العمل
 وانقول ، وذهبت القوة من أيدي أهلها والحول ، وكان الذى ظهر عليها من جهة البر رجل من أصحاب
 يوسف أمير المسلمين والتوت الحال أياما يسيره إلى أن ورد الأمير سير ابن أبي بكر بن تاشفين وهو ابن أخى
 أمير المسلمين بمساكره متظاهرة ، وحشود من الرعية وامرة ، والناس في خلال هذه الأيام قد خاضهم
 الجزع ، وخالط قلوبهم الهلع ، يقطعون السبل سياحة ، ويمبرون النهر سباحة ، ويتوهون بجارى الأقدار ،
 ويترامون من شرفات الأسوار : حرصاً على الحياة والموفون بالعهد ، المقيون على صريح الود ، ثابتون إلى
 أن كان يوم الأحد لإحدى وعشرين خلت من رجب من السنة المذكورة ، وهذا يوم الكائنة العظمى والطامة
 الكبرى فيه حم الأمر الواقع ، واتسع الحرق على الراقع ، ودخل البلد من واديه ، وأصاب حاضره وناديه ،
 بعد أن جد الفريقان في القتال ، واجتهدت الفئتان في الذال ، وظهر من دفاع المعتد - رحمه الله - وبأسه ،
 وتراميه على الموت بنفسه ، مالا يزيد عليه ، ولا تناء لخلق إليه ، وى ذلك بقول المعتد بعد ما نزل بالعدوة
 أسيراً حسيراً :

« لما تماسكت الضلوع وتنهنه القلب الصديق . . . الخ

فشنت الغارة في البلد ولم يترك البربر لأحد من أهلها سبيدا ولا لبدا ، وانتهبت قصور المعتد نهياً قبيحا ،
 وأخذ هو قبضاً باليد ، وأجبر على مخاطبة ابنيه المعتد بالله والراضى بالله ، وكانا بمغقلين من معاقل الأندلس
 المشهورة لو شاء أن يمتنما بهما لم يصل أحد إليهما . أحد الحصنين يسمى رندة ، والآخر مارتلة ، فكتب
 رحمه الله ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما مستعطفين مسترحين معلمين أن دم الكل منهم مسترهن بثبوتها
 فأثقا من النذل وأيا وضع يديهما في يد أحد من الناس بعد أيهما ، ثم عطفتهما عواطف الرحمة ، ونظرا في
 حقوق أبيهما المقترفة بحق الله عز وجل ، فتسك كل منهما بدينه ، ونبذ دنياه ، ونزلا عن الحصنين بعد
 عهود مبرمة وموائيق محكمة . فأما المعتد بالله فإن القائد الواصل إليه قبض عند نزوله على كل ما كان يملكه
 وأما الراضى بالله فعند خروجه من قصره قتل غيلة وأخفى جسده ، ورحل المعتد وآله بعد استئصال جميع
 أحواله ، ولم يصحب من ذلك كله بلغة زاد ، فركب بالسفين ، وحل بالعدوة محل الدفين ، فكان نزوله
 من العدوة بطنجة .

(وقال)

« قل لمن قد جمع العبد سم وما أحصى صوابه (١) »

(١) قال المرء الكفى في كتاب المعجب :

« أقام المعتد بطنجة أياماً ، ولقيته بها المصري الشاعر ، فجرى معه على سوء عادته من قبح الكدية وإفراط الخلف ، فرفع إليه أشعاراً قديمة كان قد مدحه بها ، وأضاف إلى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه ولم يكن عند المعتد في ذلك اليوم مما زود به فيما بلغني أكثر من ستة وثلاثين مثقالاً فطبع عليها ، وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها سقطت من حفظي ووجه بها إليه فلم يجاوبه عن القطعة على سهولة الشعر على خاطره وخفته عليه كان هذا الرجل أعنى المصري الأعمى أسرع الناس في الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحركة المعتد على الله على الجواب بقطعة أولها : قل لمن قد جمع الخ »

وأقام المعتد بطنجة رحمه الله أياماً على الحال التي تقدم ذكرها ، ثم انتقل إلى مدينة مكناسة ، فأقام بها شهراً إلى أن نفذ الأمر بتسييرهم إلى مدينة اغمات ، فأقاموا بها إلى أن توفي المعتد رحمه الله ودفن بها بقبره معروف هناك ، وكانت وفاته في شهر سنة ٨٧ وقيل سنة ٨ فأنه أعلم ، توفي وسنه إحدى وخسون سنة ، فن أحسن ما سبى مما رثى به المعتد على الله مقطوعة من شعر ابن البانة أولها :

« لكل شيء من الأشياء - ميقات ،
والدمر في صينة الحرباء منغمس
ونحن من لعب الشطرنج في يده
فانفض يدك من الدنيا وما كنتها
وقل لعالمها الأرضي قد كتمت
طوت مظلتها لابل مسدلتها
من كان بين الندى والبأس أنصله
أنكرت إلا التواء للقيود به
وقلت هن ذؤابات فلم عكست
رأوه ليثاً يخافوا منه عادية

وله من قصيدة يرثيهم بها وهي كثيرة الجيد أولها :

« عريسة دخلتها النائبات على
وكعبة كانت الآمال تغرما
تلك الرماح رماح الحط تقفها
والبيض بيض الطبا قلت مضاربا
لما دنا الوقت لم تخاب له عدة
كم من دراري سمد قدهوت ووهت
نور ونور فهذا بعد نصته
يا صيف اتفر بيت المسكرات تخذ

أساود لهم فيها وآساد
فاليوم لا عاكف فيها ولا ياد
خطب الزمان ثقافا غير معتاد
أيدي الردى وثنتها دون إغداد
وكل شيء ليقات وميعاد
هناك من درر للمجد افراد
ذوى وذاك خبا من بعد إيقاد
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

كان في العرة شعر فتنظرنا جـوابه
قد أثبتناك فهـلا جلب الشعر ثوابه .»

ويا مؤمل وادريم ليسكنه
ضلت سبيل الندى بابن السبيل، فسر

وفيها يقول :

« أسيت - الاغداة النهر - كونهم
والناس قدملثوا العبرين، واعتبروا
حط القناع ، فلم تستر مخدرة
تفرقوا جيرة، من بعد ما نشأوا
حان الوداع فضجت كل صارخة
سارت سفائنهم - والنوح يتبعها -
كم سال في الماء من دمع، وكم حلت
من لي بكم - يابني ماء السماء - إذا

وهي طويلة جدا هذا ما اخترت له منها .

« ولما اتصل بزعانة الشعراء وملغى أهل الكديه ما صنع المتد رحمة الله مع المصري تمرضوا له بكل
طريق ، وقصدوه من كل فج عميق ، فقال في ذلك رحمة الله .

« شعراء طنجة كلهم والمغرب ،
سألوا العسير - من الأسير - وإنه
لولا الحياء وعزة الخبيسة
قد كان - إن سئل الندي - يجزل، وإن

وله في هذا المعنى رحمة الله :

« قح الدهر ، فاذا صنما
قد هوى - ظلماً - بمن مادته
من إذا الفيت همى منبراً
من غمام الجود من راحته
من إذا قيل الخناصم وإن
قل لمن يطعم في نائسه
راح لا يملك إلا دعسوة

كلما أعطى نقيسا نزما
أن ينادى كل من يهوى لما
أخجلتها كفسه فاعظما
عصفت ربح به فاقشما
نطق المافون هما سما
قد أزال اليأس ذاك الطعما
جبر الله العفاة الضيما . »



معارضات الشعراء لابن زيدون (١)

سركم الوصل ظناً لا فقدتكم
فكان بالوهم موجوداً ومظنوناً
سرى من المسك عن مسراكم خبير
بُعَيْدَ عهد هواكم سَيْرُهُ فينا
أيام بدركم يجلو ليالينا
نوراً وطيبكم يرعى بوادينا
مهلاً فلم نعتقد دين الهوى تبعاً
ولا قرأنا بصحف المس تلقينا
قد نصرف العدل يغويننا ويرشدنا
وتترك الدار تسلينا وتشجينا
وتتبع الحى والأشواق محرقة
تحوم بالماء والأرحام تحميننا
كواكب بسماء النقع قد جعلت
لنا رجوماً وما كنا شياطينا

معارضات أمير الشعراء

اندلسية

« نظم أمير الشعراء هذه القصيدة الرائعة وهو في منقاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيراً من مشاهدته ومعاهده .

« أولع كثير من الشعراء من قدماء ومحدثين بمعارضات ابن زيدون ، ولو أردنا أن تثبت معارضاتهم الكثيرة لقصائده المشهورة لاحتجنا إلى سفر ضخمة فلنجترى بقصيدة « أبو بكر بن الملح » التي ذكرها « ابن بسام » في كتاب الذخيرة من القدماء ، وقصائد أمير الشعراء أحمد شوقي بك التي عارض بها ابن زيدون . »

معارضة أبي بكر

قال ابن بسام بعد أن ذكر نونية ابن زيدون التي أولها :
« أضحي الثأني بديلاً من تدانينا » (٢)
« وهذه القصيدة بجملتها فريدة ، وقد عارضه فيها جماعة قصرُوا عنه منهم « أبو بكر بن الملح » نازعه فيها الراية ، مقصر عن العاية حيث يقول من قصيدة أولها . »

هل يسمع أربع شكوانا فيشكينا
أو يرجع القول مغناه فيغنينا
ثم استمرَّ في غزلها إلى أن قال :
يا باخلين علينا أن نودعكم

وقد بصدتم عن اللقيا فحيونا
قفوا نزرکم وإن كانت فرائدکم
نزرأ ، ومنكم بالوصل ممنونا

(١) انظر « ص ٤١٢ » (٢) انظر « ص ٤ »

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم
ولا مفارقهم إلا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس، كانت لهم أخلاقهم ديننا
لم نسر من حرم إلا إلى حرم
كالخمر من «بابل» سارت «لدارينا»
لما نيا الخلد نابت عنه نسخته
ثمائل الورد «خيريا» و «نسرينا»
نسقى ثراهم ثناء، كلما ثرت
دموعنا نظمت منها مراثينا
كادت عيون قوافينا تحركه
وكدن يوقظن في الترب السلاطينا
لكن مصر وإن أغضت على مقة
عين من الخلد بالكافور تسقينا
على جوانبها رفّت تماعنا
وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيها مآربنا
وأربع أنست فيها أمانينا
ومطلع لسعود من أواخرنا
ومغرب لجدود من أوالينا
بنا فلم نخل من روح يراوحنا
من برّ مصر وريحان يغاديننا
كأم موسى، على أسم الله تكفلنا
وبأسمه ذهبت في اليم تلقينا

يانأم «الطلح» أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم ناسى لوادينا؟
ماذا تقصّ علينا غير أن يدا
قصت جناحك جالت في حواشينا!
رحى بنا البين أيسكا غير سامرنا
أخا الغريب: وظلا غير نادينا
كل رمته النوى! ريش الفراق لنا
سهما، وسلّ عليك الين سكيننا
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع
من الجناحين عى لا يلبينا
فإن يك الجنس-يابن الطلح-فرقنا
إن المصائب يجمعن المصابينا
لم نال ماءك تحننا ولا ظمأ
ولا آدّ كارأ، ولا شجوا أفانينا
تجرّ من فن ساقا إلى فن
وتسحب الذيل ترناد المؤاسينا
أساة جسمك شتى حين تطلبهم
فن لروحك بالنطس المداوينا!
*
آها لنا! نازحى أيك بأندلس
وإن حللنا رفيفا من رواينا
رسم وقفنا على رسم الوفاء له
نجيش بالدمع، والإجلال يذنيننا



وقف إلى النيل واهتف في خمائله
 وانزل كما نزل الطل الرياحينا
 وآس ما بات يذوي من منارلنا
 بالمحادثات وَيضوي من مغايننا
 *
 ويامعطرة الوادي سرت سحراً
 فطاب كل طروح من مرامينا
 ذكية الذيل لو خائنا غلاتها
 قيص يوسف لم نحسب مغالينا
 جشمت شوك السرى حتى أتيت لنا
 بالورد كتباً ، وبالريا عناوينا
 فلو جزيناك بالأرواح عالية
 عن طيب مسراك لم تهض جوازينا
 هل من ذبولك مسكى نحمله
 غرائب الشوق وشياً من أمالينا
 إلى الذين وجدنا ود غيرهم
 دنيا وود هو الصافي هو الديننا
 *
 يا من نغار عليهم من ضمائرنا
 ومن مصون هواهم في تناجينا
 ناب الحنين إليكم - في خواطرنا -
 عن الدلال عليكم في أمالينا
 جئنا إلى الصبر ندعوه كمادتنا
 - في المائبات - فلم يأخذ بأيدينا

ومصر كالكرم ذي الإحسان : فاكهة
 لحاضرين ، وأكواب لبادينا
 *
 ياسارى البرق يرمي عن جوانحنا
 بعد الهدوء ويهمي عن مآقينا
 لما ترقق في دمع السماء دماً
 هاج البكا فحضنا الارض باكيننا
 الليل يشهد لم تهتك دياجيه
 على نيام ولم تهتف بسالينا
 والنجم لم يرنا إلا على قدم
 قيام ليل الهوى للمهد راعينا
 كزفرة في سماء الليل حائرة
 مما تردد فيه حين يضيونا
 بالله إن جبت ظلماء العباب على
 نجائب النور محدوداً (بجزينا)
 ترد عنك يداه كل عادية
 إنساً يعثن فساداً أو شياطينا
 حتى حوتك سماء النيل عالية
 على الغيوث وإن كانت ميامينا
 واحرزتك شفوف اللازورد على
 وشى الزبرجد من أفواف واديننا
 وحازك الريف أرجاء مورجة
 ربت خمائل ، واهتزت بساتينا

والسعد لودام، والنعمى لوأطردت،
والسيل لوعف، والمقدار لودينا
ألقى على الأرض حتى ردها ذهباً
ماء - لمسنا به إلا كسير - أوطينا
أعداه من يمنه «التابوت» وارتسمت
- على جوانبه - الأنوار من سينا
له مبالغ ما في الخلق من كرم
عهد السكرام وميثاق الوفييننا
لم يجر للدهر إعدار ولا عرس
إلا بأيمننا أو في ليالينا
ولا حوى السعد أطفى في أعنته
منا جياداً، ولا أرخى مياديننا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا
ولم يهن بيد انتمشتيت غالينا
ولا يحول لنا صيغٌ ولا خلق
إذا تلون كالحرباء شانينا
لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت
في ملكها الضخم عرشاً مثل واديننا
ألم تؤله على حافاته، ورأت
عليه آبناءها الغر الميامينا ؟
إن غازلت شاطثيه في الضحى لبسا
خائل السندس الموشية الغينا
وبات كل مجاج الواد من شجر
لوافظ القرز بالخيطان ترمينا

وما غلبنا على دمعٍ ولا جلد
حتى أتتنا نواكم من صياصينا
ونابغى كأن الحشر آخره
تميتنا فيه ذكراكم وتحيينا
نطوى دجاء بجرح من فراقكمو
يكاد في غلس الأسحار - يطوينا
إذا رسا النجم لم ترقاً محاجرنا
حتى يزول، ولم تهدأ تراقينا
بتنا تقاسى الدواهي من كواكبه
حتى قعدنا بها : حسرى تُقاسينا
يسدو النهار فيخفيه تجلدنا
للشامتين، ويأسوه تأسينا

سقي العهد - كأ كفاف الربي - رقة
أنى ذهبنا، وأعطاف الصبا لينا
إذ الزمان بنا غيناء زاهية
ترف أوقاتنا فيها رياحينا
الوصل صافية، والعيش ناغية
والسعد حاشية، والدهر ماشينا
والشمس تحتال في العقيان تحسبها
« بلقيس » ترفل في وشى اليمانينا
والنيل يقبل كالدينا إذا احتفلت
لو كان فيها وفاء للمصافينا



سعيًا إلى مصر تقضى حق ذاكرنا
 فيها إذا نسي الوافي وباكيننا
 كَنَزَ (بجلوان) عند الله نطلبه
 خير الوديع من خير للمؤدينا
 لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا
 لم يأت الشوق إلا من نواحيننا
 إذا حملنا لمصر أوله شجنًا
 لم ندر أي هوى الأمين شاجيننا

زحلة

« وقال معارضاً قصيدة ابن زيدون التي أولها :
 « ما للدمام تديرها عينك »
 شيعت أحلامي بقلب باك
 ولحت من طرق الملاح شباكي
 ورجعت أدراج الشباب وورده
 أمشي مكانهما على الأشواك
 ويجاني واه كأن خفوقه
 لما تلفت جهشة المتباكي
 شاكي السلاح إذا خلا بצועه
 فإذا أهيب به فليس بشاك
 قد راعه أنى طويت حباتي
 من بعد طول تناول وفكاك
 ويح ابن جنبي كل غاية لذة
 بعد الشباب عزيزة الإدراك

وهذه الأرض من سهل ومن جبل
 قبل (القياصر) دنأها (فراعينا)
 ولم يضع حجراً بان على حجر
 في الأرض إلا على آثار بانينا
 كأن أهرام مصر حائط نهضت
 به يد الدهر لا بنيان فانينا
 إيوانه الفخم من عليا مقاصره
 يفنى الملوك ولا يبقى الأواينا
 كأنها ورمالا حولها التظمت
 سفينة غرقت إلا أساطينا
 كأنها تحت لألاء الضحى ذهباً
 كنوز (فرعون) غطين المواينا

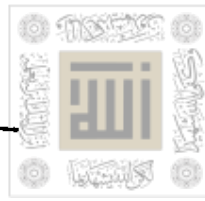


أرض الأبوة والميلاد ، طيها
 مر الصبا في ذبول من تصابينا
 كانت محجلة فيها موافقنا
 غرا مسلسلة المجرى قوافينا
 قآب - من كُرّة الأيام - لاعبنا ،
 وناب - من سنة لأحلام - لاهينا
 ولم ندع لليالي صافياً ، فدعت
 « بأن نعص فقال الدهر : آمينا »
 لو أستطعنا : نلضنا الجوّ صاعقة
 والبر نار وغي ، والبحر غسلينا



ودخلت في ليلين فرعك والذحى
ولثت كالصبح المنور فاك
ووجدت في كنهه الجوانح نشوة
من طيب فيك ومن سلاف لَمَّا ك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عيني في لغة الهوى عيناك
ومحوت كل لبانة من خاطري
ونسيت كل تعاتب وتشاكي
لا أمس من عمر الزمان ولا غد
مُجمَع الزمان فكان يوم رضاك
لُبنان رَدَّتني إليك من النوى
أقدار سَـيِرٍ للحياة دراك
جمعت نزيلتي ظهرها من فرقة
كرة وراء صواب الأفلاك
نمشى عليها فوق كل فجاءة
كالطير فوق مكامن الأشراك
وَلَوْ أَنَّ بالشوق المزار وجدتنى
ملقى الرحال على ثراك الأناكى
بنت البقاع وأم برَدَوْنِيهَا
طبي كجلق واسكبي برداك
ودمشق جنات النعيم وإنما
الفيت سدة عدنن رباك

لم تبق منا يا فؤاد بقيه
لفتوة أو فضلة لعراك
كنا إذا صقت نستبق الهوى
ونشد شد العصبه الفتاك
واليوم تبعث في حين تهزنى
ما يبعث الناقوس في النساك
يا حارة الوادى طرمت وعادنى
ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت في الذكري هواك وفي الكرى
والذكريات صدى السنين الحماكى
ولقد مررت على الرياض بربرة
عناء كنت حياها ألقاك
ضحكت إلى وجوهها وعيونها
ووجدت في أنفاسها رِيَاك
فذهبت في الأيام أذكر رفرفا
بين الجداول والعيون حواك
أذكرت هرولة الصبايد والهوى
لما خطرت يقبلان خطاك
لم أدر ما طيب العناق على الهوى
حتى ترفق ساعدى فطواك
وتأودت أعطاف بانك في يدي
واحمر من خفريهما خداك



كالغيد من ستر ومن شباك
 وكان كل ذؤابة من شاهق
 ركن المجرة أو جدار سماك
 سكنت نواحي الليل إلا أنه
 في الأيك أو وترأ شجى حراك
 شرقاً عروس الأرز كل خريدة
 تحت السماء من البلاد فداك
 ركز البيان على ذراك لواءه
 ومشى ملوك الشعر في مفناك
 أدباؤك الزهر الشموس ولا أرى
 أرضاً تمخض بالشموس سواك
 من كل أروع علمه في شعره
 ويراعه من خلقه بملاك
 جمع القصائد من رباك وربما
 سرق الشمائل من نسيم صباك
 (موسى) بيابك في المكارم والاعلا
 وعصاه في سحر البيان عصاك
 أحللت شعري منك في عليا الذرا
 وجعته برواية الأملاك
 إن تكرمي يا زحل شعري لانتى
 أنكرت كل قصيدة إلاك
 أنت الخيال بديعة وغريبه
 الله صاغك والزمان رواك

قسما لو انتمت الجداول والربا
 لتهلل الفردوس ثم نمناك
 مرآك مرآه وعينك عينه
 لم يا زحيلة لا يكون أباك
 تلك الكروم بقية من بابل
 هيهات نسي البابل جنك
 تبدى كوشى الفرس أقتن صبغة
 للناظرين إلى أذ حياك
 خرزات مسك أو عقود الكهربا
 أودعن كافوراً من الأسلاك
 فكرت في لبن الجنان وخرها
 لما رأيت الماء مس طلاك
 لم أنس من هبة الزمان عشية
 سلفت بظلك وانقضت بذراك
 كنت العروس على منعة جناحها
 لبنان في الوشى الكريم جلاك
 يمشى إليك اللحظ في الديباج أو
 في العاج من أى الشعاب أتاك
 ضمت ذراعها الطبيعة رقة
 «صنئين» و«الحرمون» فاحتضناك
 والبدر في ثبج السماء منور
 سألت حلاه على الثرى وحلاك
 والنيرات من السحاب مطلة



فشكا الحرقه مما أستودعك

يا نعيمى وعذابى فى الهوى

بعذولى فى الهوى ما جمعك

أنت روحى ظلم الواشى الذى

زعم القلب سلا أو ضيعك

موقعى عندك لا أعلمه

آه لو تعلم عندى موقعك

أرجفوا أنك شاك موجع

ليت لى فوق الضنا ما أوجعك

نامت الأعين ، إلا مقلة

تسكب الدمع وترعى مضجعتك

وقال

« وقال معارضا كافية ابن زيدون التى أولها :

« ودع الصبر محب ودعك (١) »

ردت الروح على المضى معك

أحسن الأيام يوم أرجعتك

مرّ من بعدك ما روعنى

أترى يا حلو بعدى روعك

كم شكوت البين بالليل إلى

مطلع الفجر عسى أن يطلعك

وبعث الشوق فى ريح الصبا



صفحات من كتاب الذخيرة لابن بسام

وبرع أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق لسانه ، فذهب به المعجب كل مذهب وهون عنده كل مطلب ، وكان علقه من عبد الله بن أحمد بن المكري أحد حكام قرطبة ظفر أحجن ، أداه إلى السجن ، فألقى نفسه يومئذ على أبي الوليد بن جهور في حياة والده أبي الحزم فشفع له وانتثله من نكبته وصيره في صنائه ، ولما ولى الأمر بعد والده - نوه به وأسنى خطته وقدمه في الذين اصطنع لدولته ، وأوسع راتبه وجلله كرامة لم تقمعه فيما زعموا ، واتفق أن عن له مطلب بحضرة لإدريس الحسني بمالقة ، فأطال الثواء هنالك ، واقرب من إدريس ، وخب على نفسه ، وأحضره مجالس أنسه ، فعتب عليه ابن جهور ، وصره في السفارة بينه وبين أمراء الأندلس فيما يجرى بينهم من التراسل والمداخلة ، فاستقل بذلك للعقل ما أوتيه من اللس والعارضة ، فاكتمب الجاه والمفظة ولم يعمده ذلك من التهافت في الترقى لبعده الهمة ، فهوى عما قليل إلى عباد صاحب إشبيلية اجتذبه إلى ذلك مهاجر هن وطه لابه ، ونزل على كنفه ، وصار من خواصه وصحابه ، مجالسه في خلواته ، ويراسل له في مهم رسائله على حال من التوسمة ، وكان ذهابه لعماد سنة ٤٤١ هـ لإحدى وأربعين وأربعمائة . قال أبو الحسن : « فأما سعة ذرعه ، وتندق طبعه ، وغرارة بيانه ، ورقة حاشية لسانه ، فالصبح الذي لا ينكر ولا يرد ، والرمل الذي لا يحصى ولا يعد . »

بداهته وتصرفه بفنون القول

أخبرني من لا أدفع خبره من وزراء إشبيلية قال : « عهدى بأبي الوليد فأثما على جنازة بعض حرمة والس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع يجيب بما أجاب به غيره لسعة ميدانه ، وحضور جنازه . » وقد أخرجت من أشعاره التي هي حجول وغرر ونوادر أخباره التي هي مآثر وأثر ، ورسائله

فصل في ذكر دي الوزارتين الكتاب أبي الوليد ابن زيدون واجتلاب عيون أخباره ، وفصوص رسائله وأشعاره .

قال أبو الحسن كان أبو الوليد عاية مشور ومنظوم وخاتمة شعراء مخزوم ، أحد من خبر الأيام خبراً ، وفاق الأنام طرا ، وصرّف السلطان نفعا وضرا ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقتارانه ، وحظ من النثر غريب المباتي ، شعري الألفاظ والمعاني . أخبرني غير واحد من وزراء إشبيلية قال : جلس ابن عبد العزيز من يد عباد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، وبقيت حضرته من أهل هذا الشأن ، أعرى من ظهر الأفعوان وأخلى من صدر الجبان ، فهم باستجلاب (محمد بن الباسي) المشهور أمره ، الآتي في القسم الثاني من هذا الديوان ذكره ، فكان أبو الوليد غص بذلك وواطأ أبو محمد بن الجدي على الإشارة بالاستعناء عما هنالك ، فكانت الكتب تنفذ من إنشاء أبي الوليد إلى شرق الأندلس ، ويقال تأتي بإشبيلية كتب هي بالمظم الخطير ، أشبه منها بالمشور .

حظوته عند ابن جهور

وقد أجرى ذكره أبو مروان بن حيان في وصف من كان اصطنع ابن جهور من رجال دولته ، فقال « ونوه بفن الآداب ، وعمدة الطرف ، والشاعر الديدع الوصف ، أبي الوليد أحمد بن زيدون ذي الأبوة السنية بقرطبة ، والوسامة ، والدراية ، وحلاوة المنظوم ، والسلطة ، وقوة العارضة ، والافتنان في المعرفة ، وقدمه للنظر على أهل الذمة لبعض الأمور المعترضة وقصره بعد مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤساء فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك » قال أبو مروان وكان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام الجماعة والفتنة

كالدهر إن عض يوماً

أبان فضل الكريم . «

وأبو الويد بن زيدون - على كثرة إحسانه - كثير
الاهتمام في النثر والنظام ، وكتب إلى أبي بكر مسلم
وهو محتف بقربة بعد فراره من السجن ، فصلا
من رقعة :

« وبلغني أنك أحد اللاتمين ومن أمثالهم
ويل للشحى من الحلى ، وهان على الأملس مالاق
الدبر واعتبك على انفصالك عي وترى أنك أحد
الحنة مي فلم أستطع صبراً ، وعلمت أن العاجز من
لا يستد فلرء يمح لاشالة ، ولم أستجر أن أكون
تلك الأذلين العير والوتد ، وتذكرت أن الفرار
من الظلم والهرب مما لا يذاق من سفن المرسلين ،
وقد قال تعالى على لسان موسى : ففررت منكم لما
حفتكم . مطرت في مفارقة الوطن فقد عيا ضاع
الفاضل في وطه ، وكسد العلق العبيط في معدنه
كما قال :

« أضيع في معشري وكم بلد

يكون عود الكباء من خطبه »

فاستحرت الله في إنفاذ العزم ، وأنا الآن حيث أمنت
بعس الأمن إلا أن السعي لم يرتفع ومادة البغي لم
تقطع ، وختم رسالته بهذا النظم :

« شحطنا وما بالدار نأى ولا شحط

وشط - بمن نهوى - المزار وما شطوا . »

كان أول هذه القصيدة ناظر إلى قول راشد أبي حكيمة
حيث يقول :

« ومستوحش لم يمض في أرض غربة

ولكنه ممن يحب غريب . »

ويناسبه أيضاً قول المتنبي :

« إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

أن لا تفارقهم فالراجلوت هم . »

قوله هرمت وما للشيب البيت ناقص عن قول المتنبي :

التي أخرجت الحفل ، واستوفت أمد المطلق الجزل .

وله في ابن جهور ، وكتب بها من السجن :

« ماجال بعدك لحطى في سنا القمر

إلاد كرتك ذكر العين بالأثر . » الخ

وله أيضاً قصيدة مريدة خاطب بها ابن جهور وهو

في تلك الحال من الاعتقال أولها :

« ألم يأن أن يكي الغمام على مثلي

ويطلب تأري البرق منصلت النصل . »

وفي بي جهور يقول :

« بني جهور أحرقتم بجفائكم

جناني ، فما بال المدايح تعبق

تعدوني كالعنبر الورد إنما

نطيب لكم أنفاسه حين يحرق . »

وأراه توارد في هذين البيتين مع أبي علي بن رشيق

القيرواني حيث يقول :

« أراك اتهمت أحاك الثغه

وعندك مقت وعندي مقه

وأنتى عليك وقد سؤتى

كما طيب المود من أحرقة . »

وأخذاه معاً من قول أبي تمام :

« لولا اشتعال النار وبها حاورت

ما كان يعرف فضل طيب المود . »

وأنتشدني بعض أهل وقتنا ، وهو أبو مروان بن

شماخ لنفسه :

« نواب قاتني ، فأبدت فضائلي

وكانت وكنت النار والعنبر الورداء . »

وليره :

« إن مست النار جسمي

أبدت طيب نسيم

وقوله لا يكن عهدك ورداً من قول العباس بن الأحنف :
 « لا تجعلى وصلنا كالورد حين مغى
 دا طلعة وأدينى الورد كدلاس . »
 كرّره العباس في موضع آخر ، فقال :
 « ولكننى شبهت بالورد عهدها
 وليس يدوم الورد والآس دائم . »

ما أخرجته من شعر ابن زيدون في النسب وما
 يناسبه من قصيدة :

« بتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
 شوقاً إليكم ولا جفت ما قينا (١)
 لم نعتد بعمدكم إلا الوفاء لكم
 رأياً ولم نتقلد غيره ديناً
 تكاد حين تناجيكم ضمائرنا
 يقضى علينا الأسي لولا تأسينا
 حالت لعمركم أياما فصدت
 سوداً وكانت بكم بيصاً ليالينا
 إذ جانب العيش طلق من تألفنا
 ومورد اللهو صاف من تصافينا
 وإذا هصرنا غصون الأس دانية
 قدأفها بغيرنا منه ما شينا
 ليسق عهدكم عهد السرور فما
 كنتم لأيامنا إلا رياحينا
 لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا
 إذ ظالمنا غير النأي المحيينا
 والله ما طلب أهواؤنا بدلا
 منكم ولا اصرفت حكم أمانينا
 ياسارى البرق فاد القصر فاسق به
 من كازصرف الهوى والوديسقينا
 ويا نسيم الصبا بلغ تحيينا
 من لو على البعد حيا كان يحيينا
 ريب . ملك كأن الله أشأه
 مسكا وقد لإنشاء الورى طيناً

(١) أثبتنا هذه الأبيات لاختلاف روايتها عن
 رواية الديوان .

« إن لا يشب فلقد شابت له كبدى

شيب إذا حصيته سلوة نصلا . »

وقد كرّر هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من
 شعره وكلف به وشعب الكلام فيه فتصرف ، وقد
 تقدّم إنشاده ، ومنه أيضاً قول عبد الجليل المرسي
 للمعتد ابن عباد :

« أتك على خلافتها جياى

وإن كان الصياح لها شكلا . »

وكتب أيضاً أبو الوليد بن زيدون من محبسه ذلك
 إلى أبي حفص بن برد بهذه الأبيات :

« ماعلى طيبيّ باس يجرح الدهر ويأسو (١)
 ربما أشرف الممر ، على الآمال ياس
 ولقد يتجيك إنفا ل، ويرديك احتراس
 والمحاذير سهام والمقادير قياس
 يا أبا حفص وما سا واك في فهم إياس
 من سنا رأيك لى في غسق الخطب اقتباس
 وودادى لك نص لم يحالفه القياس
 أذؤب هامت بلحى فاتبام وانتهاس
 يلبد الورد السبتي وله بهسد اوتراس
 إن أكن أصعبت نجو ساً نلاميث احتناس
 وتأمل كيف يمشى مقلة المجدد الدماس
 ويفت المسك في الترت بيوطا ويداس
 لا يكن عهدك ورداً إن عهدى لك آس
 وأردز كرى كأسأ ما امتطت كففك كاس
 مصى أن يسبح الدهر وقد طال الشماس . »
 قوله يلبد الورد السبتي البيت كقول النابعة :

« وقت يا قوم إن الليث منقبص

على براتنه للوثبة السارى . »

وأخذه ابن الرومي فقال :

« سكت سكوتاً كان وهناً بوثبة

عماس كذاك الليث للوثب يلبد . »

(١) أثبتنا هذه الأبيات هنا لاختلاف روايتها عن
 رواية الديوان .



إذا تأود آدته - رفاهية -

توم العقود وأدته البرى لينا
كانت له الشمس ظئرا في أكلته
بل ما تجبلى لنا إلا أهاينا
يا روضة طاله ما أجت لواحظا
وردا جلاه الصبا غضا وسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها
مى ضروبا ولذات أهاينا
لسنا نسيمك إجلالا وتكرمة
وقدرك المعتلى عن ذاك يفتينا
يا جنة الخلد أبدانا بسلسما
والكوثر المذب زقوما وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثائنا
والسعد قدغض من أجفان واشينا
سيران في خاطر الظلما . يكتننا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
إنافر أنا الأسى - عند النوى - سورا
مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم تصدل بمنهله
شربا وإن كان يظينا ميرونا
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه
- سالين عنه - ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنيناك عن كتب
لكن عدتنا - على كره - هوادينا
ناسى عليك وقد حث مشعمة
فينا الشول ، وغنانا مغنينا
لأ كؤس الراح تبدى من - شمائنا -
سيما ارتياح ، ولا الأوتار تلهينا
دوى على الوصل - مادما - محافظة
فالمر من دان أنصافا كما دينا
فما استفدنا خيلا صك يصرونا
ولا استفدنا حبيبا عنك يسلينا
ولو صبا نحونا من علو مطاله
بدر الدجى لم يكن - حاشاك - يسبينا
أبدى وفا ، وإن لم تبدى صلة
فالدكر يقنمنا ، والطيف يكفينا

وفي الجواب متاع إن شفعت به

بيض الأيادى التى ما زلت تولينا

عليك منى سلام الله ما بقيت

صباية بك تحفيا فتخفينا . «
وهذه القصيدة بحملتها مريدة وقد عارضه فيها

جماعة قصروا عنه (١)

وله من أخرى أثر نزهة كانت له بمنية الزهراء :

« لى ذكرك بالزهراء مشتاقا

والأفق طاق ووجه الأرض قدراقا . »

وله من أخرى ، وكتب بها من بطليوس أيام تكرره

عليها وهي من عرر نظامه وحر كلامه :

« يا دمع صب ما شئت أن تصوبا

ويا هؤادى أن أن تدوبا . »

وله :

« وسح الحق المبين وبقى الشك اليقين . »

وقال :

« صحت فصح بها السقيم ربح معطرة الذميم . »

وقوله :

« يا ليل طل لا أشتهى إلا كعبرى قصرك

لو بات عندى قرى ما بت أرعى قرك . »

وقوله :

« ودع الصبر محب ودعك

ذائع من سره ما استودعك . »

وقال :

« بينى وبينك ما لو شئت لم يضع

سر إذا داعت الأشياء لم يدع . »

وبها يقول :

ته أحتبل واستطل أسبر وعزأهن

وول أفبل وقل اسمع ومر أطم . »

أراه احتدى بهذا البيت مذهب أنى العيشل الأعرابى :

« فاصدق وعف وفه وانصف وأحتمل

واصلح ودار وكاف واحلم واسمع

والطف ولن وتأن وارفق واتمد

واحرم وجد وحام واحمل وادفع . »

كقولك الجن :

« أحل واقرر وضر وانقم ولن واخن

ورش وابن وانتدب للمعالى . »

وهذا البيت صنعه المولدون وعدوه تقسما

(١) وقد أبتنا بعض هذه المراضات فى ص « ١٠٤ »

وله من أخرى في ابن جهور :

« هذا الصباح على سراك رقيباً

فصلى بفرعك ليلاك الغريبياً . »

وقال ابن زيدون أيضاً :

« أما وألحاظ مراض صحاح

تصبي وأعطف نشاوى صواح . »

وفي بي جهور يقول عند نكبة بي ذكوان :

« لولا بنو جهور ما أشرفت هم

عد السوالف في أحيادها تلغ . »

قوله في هذه القصيدة إن السيوف إذا ما طاب

جوهرها في أول الطبع لم يعلق بها الطبع ، ينظر

بلحظ صريب إلى قول حبيب :

« والسيف مالم يلف فيه صيقل

من سنحه لم يتفتح بصقال . »

وله من أخرى يهوى المعتضد بن عباد بهزعة ابنه

اسماعيل لابن الأنفوس وقتل ولد إسحاق بن عبدالله

في تلك الحرب :

« ليهن الهدى إنحاح سعيك في العدا

وإن راح صنع الله نخوك واغتدى . »

وفاة ابن زيدون

وعما يتعلق بذكر وفاة ذي الوزارتين رحمة الله

عليه فصل من تاريخ الشيخ أبي مروان بن حيان

رأيت لإثباته لنبل مسافه ، وحسن اتساقه . يقول

فيه ، وفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من

ذي الحجة سنة اثنين وستين وأربعمائة سار

الحاجب سراج الدولة عباد بن محمد إلى إشبيلية الحضرة

الأميرة لمطالعتها ، وتأنيس أهلها من وحشة خاضرت

عامتهم من أجل عدوان رحل منهم على يهودى جاء (١)

لأمر جهة السوق عندهم ، وزعم أنه سب

الشريعة فبطش به المسلم وسط السوق وجرحه

وحرك عليه العامة ، فقبض عليه صاحب المدينة

بها عبد الله بن سلام واعتقله فكان لعامة الناس في

حبسه كلام وإكثار خشن ناله ، فتأطب السلطان

بقرطبة يعرفه ما كان منه ويستأمره في شأنه ، فجعل

إنفاذ ولده الحاجب سراج الدولة إلى إشبيلية في جيش

(١) في القطة التالية كثير من الاضطراب وقد

أثبتناها كما هي .

وتقطيعاً وتبعهم المتنبي فقال :

« أقل ائل اقطع اعمل على سسل أعد

زد هش بش تفضل ادن سرصل . »

ثم زاد المتنبي من هذا وبني حتى قال :

« عش ابقى اسم اسر قد جد

مرانه جد رف اسر بل . »

بينه المعروف . وأحسن لعمرى ابن زيدون في

هذا التقسيم ، ودافع بالحديث في صدر القديم ، ولو

قرع سمع أبي منصور بهذا التذوذ لما كان عند

ابن وسكبير بمذكور ، ولا أغرب بفرائب صاحب

ولا بيدائم البديع . ومن شعر أبي الوليد في

الغسيب السائر العريب الطيار المليح الخفيف

الروح قوله :

« أما رضاك فشيء ماله ثمن

لو كان سامحني في ملكه الزمن . »

وقال من أخرى :

« أنت معنى الصبي وسر الصلوع

وسبيل الهوى وقصد الدموع . »

وقال :

« غريب بأرض الشرق يشكر للصبا

تحملها مي السلام إلى الغرب

وما ضر أفتاس الصفا في احتمالها

سلام قتي يهديه حسم إلى قلب . »

وهذا مقول من قول العباس بن الأحنف حيث يقول :

« تالله ما شطت نوى ظاعن

سار من العين إلى انقلاب . »

وقال أبو الوليد من أخرى :

« ساحب أعدائي لأنك منهم

يا من يصح بتقلتيه ويسقم . »

وقال من قصيدة :

« أما في نسيم الريح عرف معرف

لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف . »

وقال أيضاً أبو الوليد من جملة قصيدة :

« يا أيها الملك الذي تدبيره

أضحي لملكه الزمان ملاكا . »

عليه، إذ كان منهم متعصبا له، هاويا إليهم، حديبا عليهم وليجة خير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية ، فصار مصابه كفا فيه من تأميلهم والبقاء لمن تفرد به وحده لأرب غيره ولاجرم إذا أعز الله إخوانه بإبتدار بقاء فتاه النذب أبي بكر ولده ساد أمثله ساميا مسماء عانظا عداه طاطيا منتهاه بأبوة صدق يجرى إلى العلى بضيفه من سباحة ودماثة وحصانة ونزاهة ومعرفة ووفور حظ من أدب بلاغة وكتابة وشركة في التعاليم العلمية واشتداد في رعاية متقدم الذمة لم يفقد إخوان أبيه معها إلا غيبته خلال حرّكن حاله عما قليل بعد أبيه عند سلطانه قسطاس السياسة فاستصر في استحضاره وأذناه من احتياؤه ورقاه في مراتب والده منتقلا له في درجاتها راضيا بلاهه فيما ناطه به منها حتى فرع ذروتها عما قليل فأحظاه بالوزارة وصيره وزيرا لحضرتة الأئمة اشبيلية، وجمع له أعظم خططها العلمية معاطس التماس من قوام الملكة خطة ولاية المدينة وواتاه الزمان ، والله يؤتى فصله من يشاء له الفصل والامتنان .

وقال :

« لا طار لي حظ إلى غاية

إن لم أكن منك دريش الجناح

وعتباك بعد العتب أمنية

مالي على الدهر سواها اقتراح

لم يثنني عن أمل ما جرى

قد يرتع الحرق وتؤسى الجراح

فاجهد بحمى الرأي عن يرح

منه العدا بكل شاكى السلاح

واشفع فللتافع ندمى بما

تمر من عقد وثيق النواح

إن سحاب الأذق منها الحيا

والحمد في تأليفها للرياح . »

وكان القاضي أبو بكر بن دكوان أجل من اشتغل عليه أوان مجدا وشرفا ونفقا في العلم وتظرفا مع دعاية حين خلواته تحمل حيي المحتبي ورفاقه عند شواته كالتنوخى والمهلبى، فإذا أصبحوا بكر أبو بكر إلى مصادرة ما يتجه عليه الحكم ومواجهته وأذكر

كثيف من نجبة غلمانه ووجوه رحاله لمشاركة القصة والاحتياط على العامة، نفذوا معه وسط هذا اليوم وأنفذ معه ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أحد الثلاثة أكابر وزرائه المثناة وزارتهم حمد دولته أزمه النفوذ مع الحاجب على بقية وعك متألماً منه ولم يعذره في التوقف لأجله ، فقصى لطيفته مساقا إلى منيته وخلف ولده أبا بكر الغد الوزارة المرثسة بالكتابة ، ورآه سادا مكانه بالحضرة ، فأقر فيها أياما ، ثم أسر بالمسير وراء والده لأمر كلفه أمجل بالانطلاق له ، فقصى نجبه غداة يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بهما ، نفلت منهم منازلهم بقرطبة وصيرت إلى سواهم ، فتحدث الناس بسبق مكان الأدب ابن زيدون لدى السلطان وإن استمساكه لعلى مرتبة بمدحتنه المعتضد بالله . كان من الاعتماد على الله رعاية لخصوصية أبيه به يعس باستمرارها تقناد المختصان به الحظيان لديه المستهمان لحاصته ابن مرتين وابن عمار إلى أن عملا في إبعاده وإبعاد ابنه الرقيب بعده وأمضى خلفه ، فعندها استساغا غصته ، واستهلا مكانه ، واحتويا على خاصة السلطان ، وتدير دولته ، ولكل دولة رجال ، ولكل مكتب إبدال ، ولم يطل الأمد لابن زيدون بعد لحاق ابنه به ، ووجدانه إياه متزايدا في مرجه ، نازعا عن الآفة على جهده في استدعائها على انتهاء المدة ، واستهاك القوة ، فاستقر به وجعه إلى أن قضى نجبه ، وهلك بدار هجرته اشبيلية صدر رجب سنة ثلاث وستين ، فدفن بها مشهورا مفتقدا ، واحتوى ترابها عليه ، فبا بعد ما بين قبره وقبر أبيه لدينا رحمة الله عليهما فقد تولى من أبنى الوليد كهل لن يخلف الدهر مثله جمالا وبيانا وبراعة وسلطانا وظرفا وحلولا من مراتب البلاغة نظما ونثرا بمرقة لم يخلف لها مده طاطيا بقرانه بين الكلامين وبراعة في العنين إلا أن يكون عند أولى التحقيق والنحصيل في النظم أمد ظمنا، واحت عقاء، فلا يلحقه فيه تقصير ولا يخشى رهقا شهوده في الفنين عسودل مقانع حضور عهد أهل المعرفة ، ولما اتصل خبر هلكته بمسيرته أهل قرطبة شيعوه وبكوا لفقدته وحزنوا

رحاله نخر لبلاد من رؤوسهم مائة وخمسين رأساً
ومن خيلهم مثلها فقس جناح قرنه وأفضى حماة رجاله
ثم إن عباد أثر ذلك جمع حلفاء خيله وقود عليها ابنه
إسماعيل مع وزيره ابن سلام ، وخرج نحو بلاد
ابن الأظس يابرة وقد استدعى أيضاً ابن الأظس
خليفته إسحاق بن عبد الله فلحقت به خيله مع ابنه
أبي الز بحد أن جمع ابن الأظس بقايا جيشه من
هزيمتهم المتقدمة الذكر ، وأخرج كل من قدر على
ركوب دابة من البيضاء ببلده وحشد من رجال البوادي
بعمله خلقاً كثيراً وأقل بجمعه هذا المنحوب ليدفع
خيل ابن عباد عن بلده يابرة ، وقد كان برابرة
خليفته إسحاق في عسكره قالوا له لا تلقهم فلست
تعرف قدر من زحف نحوك ونحن رأيناهم وسمعنا
بجمعهم بإشبيلية فلم يسمع منهم ومضى ، فالتقى
المريرقان من غير نزول ولا تمبئة فاختلفوا واجتلدوا
مليا لحقق الساديون الضراب . وتابوا الشدات فحاد
البرابرة عند أصحاب اسحاق ، وانهمز ابن الأظس
وحمل السيف على جميع من معه ، فاستأصاهم القتل
وقتل ولد اسحاق وجز رأسه وبث إلى إشبيلية
مع رأس ابن عم ابن الأظس صاحب يابرة
يدعي «سيد الله الحرار ونجا ابن الأظس في خيله
إلى يابرة . قال أبو مروان وأقل ما سمعت في
إحصاء قتلى هذه الواقعة ثلاثة آلاف فأزيد
وأخبرني من أتق به أن بطيوس بقيت خالصة
الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها
في وقعة ابن عباد هذه بفتيان أعمار الباء الشيوخ
الكهول الذين أصدوا يومئذ فاستدلت على مشو
المصيبة ، وجزع إسحاق بن عبد الله بمصاب ابنه
ولم يستجر لضده عباد في طلب رأس ابنه ، فإن
عباداً أضافه إلى رأس جده محمد بن عبد الله بإشبيلية
انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام ولم يزل الرأسان عند آل عباد مع عدة
رؤوس أهدتها الفتنة المديرة حتى دعت إشبيلية على الأمير
الأجل سير بن أبي بكر لفي . بجواتي مقفل مختوم عليه ،
وأمر بفتحها ، لا يشك أنه مال أو ذخيرة فادا هو ملو

ما كان عليه من فكاهته فكأنه في بردية الامام
وكأنه وقار بديل أو شمام مع عدله في قضائه وإنما
الحكم بمقتضى الحق وإما صائه حتى إذا راح الرواح
عادوا إلى القصف وتجاروا في ميدانهم كل وصف
إلى أن اختلس أبو بكر منها وتقلس ذيل . وؤاسته
عنها ، فاعتاض عنه بسواه وأفاضاً فيما كانوا فيه
وما تعدياه ، واتفق أن سر يوماً بقبره في لمة من
إخوانه وجماعة من عمار ميدانه فمطعوا عليه مسلمين
ووقفوا عليه متألمين ، فقال أبو الوابد :

« يا قبره العطر الثرى لا يبعدن

حلو من الفتیان فيك حلال »

وله :

« على داره الشرق مى تحية

زكت وعلى وادى العقيق سلام »

وله :

« خليلي لافطر يسر ولا أضحى

فما حال من أمسى مشوقاً كما أضحى »

وله يرثي :

« أعباد يا أوى الملوك لقد عدا

عليك زمان من سحيته الغدر . »

ونلمع من خبر هذه الواقعة بلحة . قال أبو مروان
في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أوقع ابن عباد
بابن الأظس إلى جنب يابرة ، وكان سبب هذه
الحرب أن فتح ابن يحيى صاحب لبله يؤمئذ خليفة ابن
الأظس والى آل عباد للضرورة فكاشفه ابن الأظس
وخانه فيما كان اتتمنه عليه من ماله الصامت عند
ما حمله إليه وديمة هند تورطه في حرب ابن عباد قيل
فابثت بينهما العصمة ، وأرسل ابن الأظس في
ذلك الوقت خيله للضرب على ابن يحيى فاستنات عباد
فأرسل إليه خيلاً منتقاة فلحقت الحيل الأفطسية وهي
قد شنت الغارة على لبله ، فكرت عليهم إذ كانوا
ضعفهم واسترسلوا في اتباع العباديين ولا يشعرون ،
فإذا بعباد بحملته في كمين قد خرج أترم فدهشوا
وولوا الأدبار ، فركبهم السيف ، وبذل عباد المال
في رؤوسهم ، وكانت ثقة خيل ابن الأظس وأبطال

ولصالح ابن صبيد في ذلك :
« ليس همي ولا طويل انتحابي
لمثيب أزال عني شيباني . »
رحع وقال ابن زيدون يرثي :
« انظر لحال السرو كيف تحال
ولدولة العلياء كيف تبال . »
وله من أخرى مما وجدته بخط ابن حيان يرثي
أبا الحرم ابن جهور :
« ألم تر أن الشمس قد ضحاها القبر
وإن قد كفانا فقدنا القمر البدر . »
وله من أخرى في هذا المعروض ، وقد تكرر فيها
بعض أبيات القصيدة الأولى ورثي بها أم أبي الوليد
ابن جهور يقول فيها :
« هو الدهر ، فأصبر للذي أحدث الدهر
فمن شيم الأحرار في مثلها - الصبر . »
لمى أبيات غير هذه من سائر أبيات القصيدة استمر
فيها بالتقديم والتأخير والتأنيث والتذكير رثي بها
آخرها عبادة المعتصم ، وجمل أول قصيدته قوله :
« هو الدهر فأصبر للذي أحدث الدهر . »
ثم أتبعه بقوله :
« حياة الوري نهب إلى الموت مهجع
لهم فيه إيضاح كما يوضح السفر . »
يتلاعب أبو الوليد بهذه القصيدة تلاعب الحطيئة بنسبه ،
ويتصرف تصرف أبي حنيفة في مدمبه ، فأنت وذاكر
وقدم فيه وأخر . قال أبو اللؤلؤ :
« رب لحد قد صار لحدا صرارا
صاحكا من تراحم الأضداد . »
وبلغني أنه وجد لابن زيدون إثر موت عبادة شعر
يقول فيه :
« لقد سرنا أن النعي موكل
بطاغية قد حم منه حمام
تجانب صوب المزن عن ذلك الصدى
ومر عليه الليث وهو جهام . »
وقال يخاطب الوزير أبا عامر بن عبدوس مز
قصيدة أولها :

من الرؤوس فأعظم ذلك وهاله ، وأسر برفع كل رأس
منها إلى من بقي من عقبه بالحضرة . حدثني من رأى
رأس يحيى بن علي الحمودي ثابت الرسم غير متكلم
الشكل فدفع إلى بعض ولده فدومه .
وقال ابن زيدون في ابن جهور من قصيدة أولها :
« أجل إن ليلى حيث أحيأوها الأزد
مهاة حمتها في سرايضها الأسد »
وكان ابن جهور يومئذ كسر دنان الحر ، وكان
أيضاً يومئذ لئيل ذلك عبد الرحمن بن سعد المصفر
شعر أوله :
« كسرت لجبر الدين أوعية الحر
فأحرزت خصل السبق في الكسر والجبر
صعدت إلى الشر الذي جمعوا
ففرقت منه فاسترحنا من الشر . »
في أبيات غير هذه استبردت جملتها وإنما ذهب
إلى عكس قول من تقدم من أعيان الشعراء من ذم
صب الشراب ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة
الكوفي وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :
« يا لقومي لقد جنى السلطان
لا يكن للذي أهان الهوان . » الخ
وبلغني أن الجاحظ أنتد هذه الأبيات ، فقال للمنشد
من حق الفتوة أن أكتبها فائما وما أقدر إلا أن
يصدني للعرض به ، قال المحدث فأعمدته ، وقام
يكتبها ، وكان بكر بن حارثة هذا مولى بني أسد
طيب الشعر حلما ماجنا ، وكان يألف مدمدا يأتيه
كل يوم في موضع يعنيه شرابا فلا يزال يشرب على
سسوته إلى أن يسكر ، وكان أيضاً يهوى غلاما
نصرانيا وهو القائل :
« زناره في خصره معقود
كأنه من كيدي مقود . »
وبكر القائل :
« قلبي إلى ما ضرتني داعي
يكتر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا
كان عدوي بين أضلاعي . »

ونحل من سيف الفدير
فبيسة القتل الطليل
والروض مسمطور تم
(م) عليه أنفاس القبول
والشمس ترمقها خلا
ل العيم عن طرف كليل
ابان يحدو الرصد من
ورق السحاب كالجول
ويهز كف البرق في الـ
آفاق مرهفة النصول
زمن سبكيه الحما
م ممي وتذمل عن هديل
يا برق أودية المني (١)
تفديك نفسى من رسول
عرج يشلب محيا
ما شئت من تلك الطلول
والمع على شرفات حمـ
س قرارة العرف الأنيل
فاذا جلاك أبو الوليد
سد بناظر اليقظ النبيل
فاقرأه من قبلى سلا
ما يقتضى حسن القبول
يا ضرة الزمن البهم
(م) وعزة الأدب الذليل
ومعكم العلم القصـ
ير على شبا الرمح الطويل
أعلت أنى خادم
ذكراك بالشكر الجليل
لم أستحل مما عهد
ت مع الزمان المستحيل
شفع عنايتك الجليل
لـة بي لدى الملك الجليل

(١) وفي الأصل : أودية التي .

« أثرت هزبر الشرى إذ ربض
ونبهته إذ هذا فاعتض .
ومما أغفله ابن بام من نسيب أنى الوليد الصحيح
الأقسام ، النازح عن الاطماع والأوهام ، المصدق
قول الجفرية فيما ينص من الإلهام قوله :
« انى قصر اليأس فيك الأمل
وحال تمنيك دون الحيل .
وقوله أيضاً :
« فديتك ليس لى قلب فأسلو
ولانفس فأنف إن جفيت .
وقوله :
« أنى أصمىع عهدك
أم كيف أخلف وعذك ؟ »
ولأبى بكر بن صمار يخاطب أبا الوليد بن زيدون
رحمهما الله :

« كيف اعترزت على الدليل
وقطعت أسباب الوصول
وقتلنى ، وزعمت أن
الدب منى للقتيل
وعليك حاهدت العدا
ولإيك ملت عن العذول
يا قاتلى ومدمى
في صفحتى أهدي دليل
ما أليق الفعل الجيد
ل بذلك الوجه الجليل
فبرزت في خلق الكريد
م وراءه خلق البخيل
ودعوتنى حتى أجبته
تـك ثم حدثت عن السبيل
جد بالقليل فإيت نقد
سى منك تقنع بالقليل
واذكر حلى زمن قطمنا
بصافية شمول
إذ نسحب الأذيال ما
بين الخليج إلى النخيل



وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر يمشو أهل الأدب إلى نزوء غربتها ، وبتهالك أفراد الثمرء على حلاوة عشرتها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرة متابها ، تخلط ذلك بملو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة أثواب ، على أنها سمح الله لها ، وتفعد زلها ، طرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول فيها السيل ، لئلا مبالانها ، ومجاهرتها بلذاتها ، كتبت - زعموا - على أحد عاتق ثوبها :
« أنا والله أصلح المعالي وأمشى مشيتي وأتبه تيبها . »

وكتبت على الآخر :
« أمكن عاشقي من ثم خدى وأعطى قلبى ، من يشتهبها . »
هكذا وجدت هذا الخبر ، وابراً إلى الله من عهدة ناقله ، وإلى الأدب من خلط انمل إن كان وقع فيه ، ولها مع أبي الوليد أخبار طوال وقصار يفوت إحصاؤها ويشق استقصاؤها - وأما دكاء حاطرها ، وغزارة نوادرها ، فأية من آيات فاطرها - مرت بالوزير أبي عامر بن عبدوس المتقدم الذكر ، وكان بقرطبة أحد أعيان المصر ، وبعض من هنى باسمها ، وقصر على حكما ، وأمام داره بركة تتولد على كثرة الأمطار ، وربما استمدت بشىء مما هنالك من الأقدار وقد نشر أبو عامر كفيه ، ونظر فى عطفيه ، وحشر أعوانه إليه ، فقالت له أبا عامر :
« أنت الحبيب وهذه مصر فتدققا ، فكلا كما بجر . »

فركته لا يجير حرفا ، ولا يرد طرفا ، وطال عمرها وعمر أبي عامر حتى أربيا على الثمانين وهو لا يدع صراستها ، ولا ينفل مواصلتها - وتحيف هذا الأهر المستطيل حال ولادة ، فكان يحمل كلما ، ويرقع ظلها ، على خوف واديه ، وحمود روائحه وغواديه ، أثراجيلا أبقاه ، وطلقا من الظرف جرى إليه حتى استوفاه - وكانت - زعموا - تعرض أيات آمن الشعر ، وقد قرأت أشيابه منه فى بعض التمايلق أضربت عن ذكره ، وطوبوته بأسره ، لأن أكثره

ولئن أجت راغب وأقلت عثرة مس - يقبل يا ألس بدر فى الطلام وبدر ظل فى المقيبل فلكم أتبت بتلها - وهى الصنيفة - فى مثيل .

ولابن زيدون يتنزل فى ولادة :
« يا نازحا وصحير القلب مشواه أنستك ديباك عبدا أنت مولاه . »
وله يتشوق إليها :
« غريب بأرض الشرق يشكر للعبا تحملها منه السلام إلى العرب وما ضر أنفاس الصبا فى احتمالها سلام فتى يديه جيم إلى تلب . »
وله :
« أيوحشى الزمان وأنت أسى ويظلمى النهار وأنت شسى . »

وله :
« ولقد شكوتك بالضمير إلى الهوى ودعوت من حنق عليك فأمننا . »
وله يتنزل ويمتاب ويتسطف ويستنزل :
« يا مستحقاً بعاشقيه ومستغنيا لنا صحيه . »
وكتب هن المعتضد إلى صهره الموفق أبي الجيوش ابن مجاهد :

« هرفت عرف الصبا لإذهب عاطره من أبق من أنا فى قلبى أشاطره أراد تجديد ذكراه على شعط وما تيقن أنت الدهر ذا كره ناي المزار به والدار دانيسة يا حبذا الفال لو صحت زواجره خلى أبا الجيش هل يقضى اللقاء لنا فيشتنى منك قلب أنت هاجره . »

قال ابن بسام : وأما ولادة التى ذكرها ابن زيدون فى شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصرى ، وكانت فى نساء زمانها ، واحدة أو أنها حضورشاهد ، وغزارة أرايد ، وحسن منظر ومخبر

عاصر الحلوته ضد القتيله عبد الرحمن المستظهر في الأدب والمعرفة ، وكان افتتح هذه السنة المؤرخة القاسم بن حمود بخلاسته وآخرها محمد هذا المذكور وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر فتصرت تلك السنة المكره على ثلاثة حلما ، وهذا من غريب الأنباء والله البقاء السرمدي ، وقلد محمد هذا الأمر ولم يكن من أهله ، فتأق جميع الناس بالاياس واستمالهم بالأهوية ، ورأى أن المال عزيز ، وأن الشر رخيص يقوم مقامه ، وينوب منابه ، وكان يقول للناس أجمعين ، ارتعوا كيف شئتم ، وارتعدوا بما أحببتم من الخدو طفتسي بالوزارة في آياه مفردة وشاة أراذل الدائرة ، وأحابت النظر فمسلاص رعاف المكتاب والخدمة ، وأما الشرطة العليا ومادونها من رقيم المنازل ، فحباها كثر من التحار والعامه ، واشال الناس على ابتغاء هذه المنارل عند السلطان الطماعية في كره الدولة ففسوا بأبه وعمررو فاءه ، وتملوا بالمنى ، فلما استبانوا ضعفه رفضوا خططهم ، وتبرأ كثير منهم منها ، وأسم أنه لم يتقلدا ولا سيما عند تكرار التفسير عليهم لاعمارة عندالإحاح الإضاة ، فجزت لبعضهم عد الاتماء عن تلك الخطط نوادر ظريفة مصحكة وانتهى هذا التنويه العام بهذا السلك الهمام إلى أن فصله أيضاً في طبقات أهل العلم فأسم منهم الفقهاء ، فأثر العلية منهم المشاورين أصحاب الصون بالاراء إلى خفة الوراة خالطاً لهم فيها بما ذكرناه من رطاف الخدمة وكبار الدائرة ، وجاء في ذلك بطامة لم تسمع في الأعصر الحالية فأخطأوا وألحقوا بالدين وصحته ، وطلبوا زيادة المعتلى على العامة ، فافتقروا بهذه الخطه وشدوا أيديهم عليها ، وهجروا من حظهم في الخطاب عنها مفرطين بما يعاب من ذلك إلى أن مضوا لسبيلهم ، وارتقى المستكن أيضاً بكثير ممن يحمل الحاجر، ويدرس مسائل الدفاتر، من أصاغر الطبقة العقوية إلى ما بلغت عليهم من منزلة الشورى ، فوسم قاتمهم بوسم الفتوى فأسرف في ذلك حتى بلغ عدم

ليس له عندى إعادة ولا إبداء ، ولا من كتابى في أرض ولا سماء . ونشير هنا بقىء من أخبار أيها المستكنى مدا لأطناب الآداب ، ووفاء بشرط الكتاب ، نسخته من كتاب ابن حبان : هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالناصرى ، بويح يوم قتل عبد الرحمن المستظهر يوم السبت ثلاث خلوزمن ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربمائة ، فتسنى بالمستكنى بالله ، اسما ذكر له فاختره لفسه ، وحكم سوء الاتفاق به لمشاكلته لعبد الله المستكنى العباسى أول من تسمى به في اسمه ووهنه وتخلفه وضمفه بل كان هذا زائداً عليه مقصراً عن خلال ملوكية كات في المستكنى سنيه لم يحسبها محمد هذا لفرط تخلفه على اشتباههما في سائر ذلك كله من نوبتهما بالفتنة ، واستظهارهما بالفسقة ، واعتدا كل منهما على ابن عم دى رحم ماسة ، وتوسط كل منهما في شأنه بامرأة خبيثة ، فلذلك حسناء التيرازية ، ولهذا ابنة عكرى المروزية ، فأصبعا في ذلك على فرط التباين عبرة ، وقال صاحب قط العروس : ومن عجب اتفاقهما في الأخلاق ، وفي السر واللقب وأن كل واحد منهما خلق عن الأمر ، وكل واحد منها تركه أبوه صغيراً ، ولم يكن محمد من هذا الأمر في ورد ولا صدر ، إنما أرسله الله على الأمة محنة وبلية ، إذ كان منذ عرف غفلا عطلا منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، طاطلا عن كل خلة تدل على فضيلة ، عضته الفتنة فأملق حتى استبجاز طلب الصدقة ، وهان حتى أمانه أهله على ما لهم من الهمة رأيته . أيام الحسب بأهل بيته في الولة الجودية، ولم يكن ممن لحقه الاعتقال منهم لكاكنه . يقصد أهل الفلاحة يومئذ بقرطبة أو ان ضمنهم لفلانهم يسألهم من زكاتها تكليماً ومخاطبة ، وبالجملة في تلخيص التعريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الإمارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ولا أنقص إذ لم يزل معروفاً بالتلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب والبطالة ، سقيم السر والملاية ، أسير الشهوة ،

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر عيره ، أقبلت بهد
 كالقصيب ، وردف كالكتيب ، وقد أطبقت نرجس
 النقل ، على ورد الحجل ، فلنا إلى روض مديح ، وماء
 سحح ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل
 أنهاره ، ودرّ الطلّ منثور ، وجيب الراح مزورور
 فلما شدينا نارها ، وأدركت فينا نارها ، برح كل منا
 بحبه ، وشكا إليه ما بقلبه ، وبتنا بيلة نحى الحوان
 الثمور ، وتقطف رمان الصدر ، فلما افصلنا عنها
 صباحاً ، أنشدتها ارتياحاً :

« ودع الصبر بح ودعك

دائماً من سرّ ما استودعك .»

قال أبو الوليد وكانت عتة قد غننا :

« أحببتنا لاني بلغت مؤملي

وساعدني دهري وواصلني حي

وحاء يهينني البشير بقربه

فأعطيته نفسي ، وردت له قلبي .»

سألها الإعادة بسيز أسر ولادة ، فجفا منها برق

التبسم ، وبدا عارض النجهم ، وعانبت عتة :

« وما ضرت هتبي لذنب أتت به

ولكننا ولادة اشتهت ضربني

فقامت تجر الدبل عائرة به

وتسمح طل الدمع بالغم الرطب .»

فبتنا على العتاب ، من غير اصطباب ، ودم المدام

مسفوك ، وما بدا للهو متروك ، فلما قامت خطباء

الأطيار ، على منابر الأشجار ، وانفت من الاعتراف

وبأكرت إلى الانصراف ، وشت بمسك الأقباس

على كافور الاطراس :

« لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا

لم تهو جاريتي ولم تتخير

وتركت غصناً مشراً بجماله

وجنحت للفصن الذي لم يشر

ولقد علمت بأنني بدر السما

لكن دهيت - لشقوتي - بالمشترى .»

قرطبة يومئذ الأربعين ، وذلك مما لم يعد في
 العابرين ، وكثر الإرجاف بتمير رجال الدائرة ،
 فاصطرت قرطبة لكثرة ما فيها من المردة ، فقبض
 على جماعة من بني عمه وحاشيته منهم علي بن أحمد
 ابن حرم وابن عمه عبد الوهاب المتقدمي الذكر
 سحوا بالمطوق ، ثم عاجل المستكني ابن عمه عبدالعزيز
 العمري شفق وأمسى ميتاً وماء إلى الناس فلم يسهل عليهم
 اغياله ، وفي أيام المستكني هذا استؤصل بقية قصور
 حسده الناصر بالخراب ، وطلمست أعلام قصور
 الرهراء ، واقنلع نحاس الأبواب ورضاص القمي
 وغير ذلك من الآلات ، فطوى بخرابها ساط الدنيا ،
 وتر حسنها إذ كانت له جبة الأرض فعدا عليها قبل
 تمام المدّة من كان أصعب قوة من قارة المسك ،
 وأوهن بيتنا من بقعة النمرود ، والله يسلمط جنوده على
 من يشاء له العزة والخبوت ، فلما كات ستة
 ست عشرة وتحرك يحيى بن حمود إلى قرطبة ، وضمف
 أسر المستكني ، اتفق الملائ على خلمه ودخلوا عليه
 وقالوا : لقد علم الله اجتهادنا في تثبيتك ، فاعتاص
 ذلك علينا ، واضطررتنا إلى مقاربة عدونا وهانحن
 خارجون إليه ، ولا ندري ما يحدث عليك بعدنا
 فإن لك الكرة فلا تيأس ، فجع اليوم غد ،
 بأجل الرد ، واستشعر الدل ، واهتبل
 الدرة ، وعزم على الهرب ، ففرج على وجهه
 وقد لبس ثياب الغايات ، متنقباً بين امرأتين لم يعيز
 منهن لمراسه على التحيث ، وخرج عن قرطبة ،
 فبات بإقليميس ، فكانت دولته تسعة عشر شهراً
 صماباً فكادت سوداً مشومات مشومات انتهى
 ما لحصته من كلام ابن حيان . قال أبو الوليد :
 كنت في أيام الشباب ، وغمرة التصابي هاأما بفادة
 تسمى ولادة ، فلما قدم اللقاء ، وساعد القضاء
 كتنت إلى :

« ترقب إذا جن الظلام زيارتي

فإني رأيت الليل أكرم للسر

وبى ملك مالوكا باليد ما بءاء

وبالشمس لم تطلع ، وبالنجم لم يسر .»

صفحات من كتاب نفع الطيب

الريان، مايز بأبناوعس الأجمان ، وقد نووا الأبراج
 للهو والطرب والتزه في روضى النبات والأدب ،
 ومثوا صاحباً لهم يسمى (خليفة) هو قوام لذتهم
 ونظام مسرتهم ليأتيهم بييد يدهبون لهم بدسبه في
 لجين زجاجة ، ويرمونه منها بما يقتضى تحريكه
 للهرب عن أقلوب وإزطاحه ، وجلسوا لاشفاؤه ،
 وترقب عرده على آثاره ، فلما نصروا به مقلام
 أول انفع بادروا إلى لقائه ، وسارعوا إلى نحوه
 وتلقائه ، واتفق أن فارساً من الجدر رك مرسه
 بصدمه ، ووطأ عليه فهشم عظمه ، وأجرى دمه
 وكسر قصاال النبيذ الذى كان معه ، ومرق من
 شملهم ما كان الدهر جمعه ، ومضى على غلوانه
 راكصا حتى خنى عن العين حائفاً من متعلق به يخين
 بتلقه الخين ، وحب وصل الورراء إليه تأسّموا
 عليه ، وأفاسوا في ذكر الرمان وعدوانه والخلف
 وألوانه ، ودخوله بطوام المضرات على تمام المسرات
 وتكديره الأودت اللععات بالآفات المؤلمة ، مثال
 ابن زيدون :

« ألهو والحتوف بنا مطيمه

ودأمن والمون لنا محيفه . »

فقال ابن خلدون :

« وفي يوم وما أدراك يوم

مصى قصالما ومضى حليمه . »

فقال ابن عمار :

« هما نغارتا وراح وروح

تكسرتا فاشقاف وحيمه . »

وكتب الوزير الشهير أبو حامد ابن ريدرت إلى
 الوزير أبى عبدالله بن عبدالعزيز اثر صدوره
 عن بلنسية .

« راحت فصح بها السيم » الأيات

ولما ورد إشبيلية نزل بدار الوزير الكتف دى

وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب (التبيين)
 في خلفاء بنى أمية بالأندلس على منزع كتاب
 (اليقين) في خلفاء المرق للسمودى .

ومثل ابن زيدون في قصيدته التى لم يقل مع
 طولها في النسيب أرق منها وهي التى يقول فيها :

« كأتنا لم نت والوصل ثالثا

والسعد قدغص من أجمان واشفيا

سران في حاطر الطلبةا يكتما

حتى بكاد لسان الصبح يفشينا . »

وهل نشأ ضدكم من النساء مثل ولاده الروانية التى
 تقول مداهبة للوزير ابن زيدون ، وكان له غلام
 اسمه على :

« ما لابن زيدون على فضله

يتابنى طلماً ولا ذنب لى

ينظر لى شزراً إذا جتته

كأتما حث لأحصى على . »

ومن حكايات أهل الأندلس في خلق المذار
 والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتحال
 ما حكاها صاحب (بدائع البداهة) قال :

أخبرنى من أتى به بما هذا معناه .

قال : « خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير
 أبو الوليد بن زيدون ، ومعهما الوزير ابن خلدون
 من إشبيلية إلى مظرة لبنى عباد لموضع يقال له
 (الفنت) تحف به مروج مشرقة الأنوار ، متنسمة
 الأتجاد والأغوار ، متبسة من ثور النوار ، في
 زمان ربيع سفت الأرض السحب فيه بوسيبها ووليها
 وجلبها في زاهر مليسها وباهر حليها ، وأرداف
 الربى قد تآزرت بالأرز الخضر من نباتها وأجباد
 الجداول قد نظم النوار قلائده حول نباتها ، ومجامر
 الزهر تمطر أردية النسام هند هباتها ، وهناك من
 البهار مايزرى عل مدهان النضار ، ومن الترجس

فهي وإن اشتهرت بالمعرق والمغرب لم يذكر جلتها
إلا اقليل ، وقد كنت وقعت بالمغرب على تسديس
لها لبعض علماء المغرب ولم يخبرني منها الآن إلا قوله
في المطلع :

« مالميون بسهم المعج تصميئا
وعن قطاف جني الأعطاف تحميئا
تألف كانت يحميئا ويصفيئا
تبرق عاث في شمل المحيئا
أضحى الفراق بديلا » الخ
وما أحسن قوله في هذا التسديس :

« ما للأحبة دانوا بالهوى ورأوا
تمويس عهد المفا بالبعد حين مأوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا
فغيرتهم وشاء بالساد سمعوا
عين العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نفس فقال الدهر آمينا . »

وقد ذكرنا في الباب الرابع موشحة ابن الوكيل
التي وطأ فيها لونية ابن زيدون هذه فلتراجع -
رجع - وقال ذو الوراقين ابن زيدون يتعزل :

« وصح الصبح المين » الأبيات
وشاسن ابن زيدون كثيرة ومد ذكرنا منها في غير
هذا المثل جملة . وسأل حارية من حوارى الأندلس
دا لوراقين أما الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت
أنشدته لياه وهو :

« يا عطشى عن وصال كنت وارده
هل منك لي غله أن صحت واضطشى . »

وكانت الجارية المذكورة تتشوق فتى قرشياً والوزير
يعلم ذلك وهي لا تعلم أنه يعلم ، فقال :

« كسوتني من ثياب السقم أسبغها ظلمنا
وصصيرت من لطف الضنا فرشى
. » الأبيات

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته
وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم
من الجنائز ليتشكروهم ، فقيل إنه ما أعاد في ذلك
الوقت عبارة قالها لأحد .

اورزاتين أبي عامر بن مسلمة ، وهو يبنى مجلساً ،
منسج أبياتاً كتبت فيه :

« عمر من يعمر ذا المجلسا » الأبيات
وقال فيه أيضاً :

« ادرها وقد حس المجلس » الأبيات
وكتب إلى الوزير أبي الماعلى المهلب بن عامر يستدعيه :

« طاب لنا لياتنا الحالية » الأبيات
وكتب إليه ذو الوراقين أبو عامر المذكور معاتباً :

تواعدنا على قرب الحوار
كأننا صدنا شسحط المرار
تطعم لي هائل المحر يدرا
وصار هائل وصلك في سرار
وشاع شديع قطعك لي بوصلي
هوا كان ذلك في استقار
أيجمل أن ترى عي صوريا
مأنسج مزلما دون اصطبار

وكتبت أريد سبك من عتاني
واسكن نائي فرط الحمار
فراع مودتي واحفظ جوارى
فانت الله أوصى بالجووار
وزدني منما من غير أمر
وأنس موحشاً من عقردار . »

وكتبت إليه ابن زيدون :

« هوأى وإن تاهت عمك دارى . . . » الأبيات
وكان أبو المطاف إذ ورد إشيلية رسولا قد سأله
أب يربه شيئاً من شعره فطلبه به حتى كتبت إليه
شعراً يستبطنه ، فأجابه ابن زيدون في المروض
والقافية :

« أهدنتني من نقائس الدرر » الأبيات
وهي أكثر مما ذكر . وكتب (أعنى ذا الوراقين
ابن زيدون) إلى ولادة :

« أضحى التناي بديلا من تدانينا » الأبيات
وإنما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ،
ولأن كثيراً من الناس لا يذكر جلتها ، ويظن أن
ما في القلائل وغيرها منها هر جميعها وليس كذلك

ابن جهور

فدخلوها بعد فتن كثيرة ، واضطرابات مستثيرة
والبلد مقفر ، والجلد مسفر ، فلم يبق غير يسير
حتى نبذ واضطرب أمره نافع ، واختطف
من الملك وانتزع ، وانقضت الدولة الأموية ،
وارتفعت الدولة العالوية ، واستولى على قرطبة
عند ذلك أبو الحزم ، ودبرها بالجد والعزم ،
وضبطها ضبطا آمن حائفها ، وردع طارق
تلك الفتنة وطائفها ، وخلال له الجوق فطار ،
واقترضى اللبانات والأوطار ، فعادت له قرطبة
على أكمل حالتها ، وانجلى به نور جلالها ، ولم تزل
به مشرقة ، وغصون الآمال فيها مورقة الى
أن توفي سنة ٤٣٥ هـ فانتقل الأمر الى ابنه
أبي الوليد ، واشتمل منه على طارف وتليد ،
وكان لأبي الحزم أدب ووفار وحلم سارت بها
الأمثال وعلم المثل ، وقد أثبت من شعره
ما هو لائق ، وذلك قوله في تفضيل الورد . .

« الورد أحسن ما رأت عيني وأذ
كي ماسقي ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه
فتذلت تنقاد وهي شواهد
وإذا تبسدى الورد في أغصانه
يزهو فذا ميت وهذا حاسد
وإذا أتى وفد الربيع مبشرا
اطلوع صفحته فنعم الوافد

دل في المطمح :
الوزير الأجل أبو الحزم جهور بن محمد
ابن جهور ، ونو جهور أهل بيت وزارة
اشتهروا كاشتهار ابن هيرة في فزاره ،
وأبو الحزم هذا أمجدهم في المكرمات ،
وأنجدهم في الملمات - ركب متون الفنون
فراضها ، ووقع في بحور المحن فغضها ،
منسسط غير منكمش ، لا طائش اللسان ولا
رعش ، وقد كان وزير في الدولة العالوية
فشرفت بجلاله ، واعترفت باستقلاله ، فلما
انقرضت ، وعاققت الأمن واعترضت ، تخير من
التدبير مدتها ، وخلي لأخلاده تدبير الرياسة
وشدتها ، وجعل يقبل مع أولئك الوزراء
ويدر غير مظهر للانفراد ، ولا متمصرف في
ميدان ذلك الطراد ، إلى أن بلغت الفتنة
مداها ، وسوغت ما شامت رداها ، وذهب
من كان يجد في الرياسة ويحب ويسعى في
الفتنة ، ولما ارتفع الوبال ، وأدبر ذلك الاقبال
راسل مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تخيلا
منه وتمويها وتداهايا على أهل الخلافة وذويها
وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض
منه لأهل قرطبة برق خلبه يشام ثقة بسرعة
التياها ، وتعجيل انتكائها ، وأنبوا إلى
دعائه ، وأجابوا إلى استدعائه ، وتوجهوا مع
ذلك الامام ، وألوا بقرطبة أحسن المام ،

السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم ، وصير أهل الأسواق جندا له وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم محصاة عليهم يأخذون ربهم ورؤوس الأموال باقية محفوظة يؤخذون بها ويراعون في كل وقت كيف حفظهم لها ، وفرق السلاح عليهم ، وأمرهم بتفرقة في الدكاكين والبيوت حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو دكانه ، وكان أبو الحزم هذا يشهد الجائز ، ويعود المرضى جاريا على طريقة الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الأمور تدبير الملوك المتعنين ، وكان آتيا وادعا وقرطبة في أيامه حرما يأمن فيه كل خائف ، واستمر أمره على ذلك إلى أن مات في عرّة صفر سنة ٤٣٥ هـ فكانت مدة تديره منذ استولى إلى أن مات أربع عشرة سنة وأشهرها ، ثم ولي ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور ، جرى في السياسة وحسن التدبير على سنن أبيه غير مخل بشيء من ذلك إلى أن مات أبو الوليد المذكور في سلخ شوال من سنة ٤٤٣ هـ فعلم عليها بعد أمور جرت - الأمير الملقب بالمأمون ابن ذي النون صاحب طليطلة فديرها مدة يسيرة إلى أن مات ، وخلف فيها بعده من البربر رجل يعرف بابن عكاشة أظن اسمه موسى ، فكان بها إلى أن غلب عليها وأخرج منها الأمير الظافر بحول الله أبو القاسم محمد بن

ليس البشر كالمبشر باسمه
خبر عليه من النبوة شاهد
وإذا تعرى الورد من أوراقه
بقيت عوارفه فهنّ خوالده . «



وقال صاحب كتاب المعجب :

ولما انقطعت دعوة بني أمية كما ذكرنا بالأندلس ، ولم يبق من عقبهم من يصلح للإمارة ، ولا من تليق به الرياسة استولى على تدير ملك قرطبة جهور بن محمد بن جهور ، ويكنى أبا الحزم ، وقد تقدم ذكر نسبه في ترجمة هشام ، وأبو الحزم هذا قديم الرياسة شريف البيت كان أبوه وزراء الدولة الحكيمة والعامة ، وهو موصوف بالدهاء ، وبعد العور ، وحصافة العقل ، وحسن التدبير ، ولم يدخل من دهائه في التفتن الكائنة قبل ذلك وكان يتصاون عنها ، ويظهر النزاهة والتدين والعفاف ، فلما خلا له الجؤ وأصفر الفناء ، وأقفر النادى من الرؤساء وأمكنته الفرصة وثب عليها فتولى أمرها ، واضطلع بحمايتها ، ولم يفتقل إلى رتبة الامارة ظاهرا جريا على ما قدّمنا من إظهار سنن العفاف بل دبرها تديرا لم يسبق إليه ، وذلك أنه جعل نفسه ممسكا للموضع إلى أن يرجيء من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك ورتب البوائين والحشم على تلك القصور على ما كانت عليه أيام الدولة ولم يتحوّل عن داره إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال

وثب عليها فتولى وفام بحمايتها ، ولم ينتقل إلى رتبة الأمانة ظاهرا بل رتبها ودبرها تدبيرا لم يسبق إليه ، وأظهر أنه حام للبلد إلى أن يحيى من يستحقه ، ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الامارة ولم يتحول عن داره إليها ، ودعا ما يتحصل من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم له .

وكان جهور يشهد الجارة ، ويعود المرضى ، ويحضر الأفراح على طريق الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الأمور تدير الملوك ، وكان مأمون الجانب فأمن الناس في أيامه ، وبقي كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وقام بأمرها بعده أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات .

بنو عباد

أما أحوال إشبيلية فإنها كانت في طاعة الفاطميين أعنى علي بن جود ، والقاسم بن جود ، ويحيى بن علي بن جود أيام كان الأمر دائرا بينهم على ما تقدم ذكره . فلما زحف يحيى بن علي بالبربر إلى قرطبة وهرب القاسم بن جود منها ، وقصد إشبيلية ، وقد كان ابنه محمد والحسن مقيمين بها أجمع أمر أهل إشبيلية ، واتفق رأيهم على إخراج محمد والحسن عنها قبل وصول القاسم أيهما فأخرجوهما ، وجاء القاسم فنعه دخول البلد أيضا ، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع إليه أمرهم ، وتجمع به كلهم فتوارد

عباد على ما يأتي بياته إن شاء الله تعالى . فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها دارا للملك وبعد غلبة المعتد عليها صارت تبعالا شيبيلية .

جهور (١)

جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله ابن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة رئيس قرطبة ، يكنى أبا الحزم . روى عن أبي بكر عباس بن الهذاني ، وأبي محمد الأصيلي ، والقاضي أبي عبد الله بن ممرّج ، وأبي القاسم خلم بن القاسم ، وأبي يحيى زكريا بن الأشج وغيرهم . وسمع منهم وأخذ العلم عنهم ، وقد أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عتاب الفقيه ، فقال حدثنا ثقة من الشيوخ الأكارب ، وهو يعني أبا الحزم هذا ، ثم صار تدبير أهل قرطبة إلى أبي الحزم هذا فأنتفها بالرياسة فيها ، إلى أن توفي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم من سنة ٤٣٥ ودفن بداره ، وصلى عليه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور متولى الأمر من بعده ، وكان سنة يوم وفاته إحدى وسبعين سنة ، وكان مولده أول المحرم سنة ٣٦٤ .

أما قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن جهور بن محمد بن جهور ، وكان من وزراء الدولة العاصرية ، موصوف بالدهاء والعقل ، ولم يدخل في شيء من العائن قبل هذا بل كان يتصاون عنها ، فلما خلا الجوّ وأمكنته الفرصة

(١) من كتاب الصلة لابن بشكوال .

وأجابوه إلى ما أراد ، ولم يزل يدبر أمر
 إشبيلية ، وهؤلاء المذكورون من وزرائه ،
 وكان له من الولد إسماعيل وهو الأكبر يكنى
 أبا الوليد وعباد يكنى أبا عمرو ، فأما إسماعيل
 فخرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لأبيه
 أمل في التعلب على ما كان البربر يملكونه
 من الحصون القريبة من إشبيلية بعسكر من
 جند إشبيلية ، فالتقى هو وصاحب صهاجة ،
 فأسلمت إسماعيل عساكره ، وكان أول قتيل
 وقطع رأسه وسير به إلى مالقة إلى إدريس
 ابن عليّ الفاطمي كما تقدم ، وبقي الأمر
 كذلك ، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور
 أحسن تدبير ، وكان صالحا مصلحا إلى أن
 مات في شهر سنة ٤٣٩ هـ .

اختيارهم بعد محض الرأي وتنقيح التدبير
 على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن
 عباد اللخمي لما كانوا يعلمونه من حصافة
 عقله ، وسعة صدره ، وعلاوة همته ، وحسن
 تدبيره ، فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك ،
 فتهيب الاستعداد ، وخاف عاقبة الانفراد أولا
 وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم
 رجالا ساهم لهم يكونون له أعوانا ووزراء
 وشركاء لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يحدث
 حدثا إلا بمشورتهم ، وهؤلاء المسمون هم
 الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ،
 ومحمد بن يريم الالهاني ، وأبو الأصح عيسى
 حجاج الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن عليّ
 الهوزني ورجال آخرون ذهبت عن أسمائهم
 ولا أعرف قبائلهم وبيوتهم ، ففعلوا ذلك

صفحات من كتاب العيني (١)

عن مقاومته فأخرجوه ، فاستدعاه القاضي
 أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد
 إليه بإشبيلية ، وأذاع أمره ، وقام
 بنصره ، فسار إليه وقام بواجبه ، وكتب
 بظهوره إلى ملوك الأندلس فأجاب أكثرهم
 وخطبوا له ، وجرت بيعته في الحرم سنة
 تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم إن عباد سير
 جيشا إلى زهير العاصري بأنه يخطب للوئيد
 فاستنجد زهير حيوس بن ماكر الصنهاجي

وأما إشبيلية فاستولى عليها فاضها محمد
 ابن إسماعيل بن عباد اللخمي ، وهو من
 ولد النعمان بن المنذر ، وفي هذا الوقت
 ظهر أمر المؤيد هشام بن الحكم ، وكان
 قد اختفى وانقطع خبره ، وكان ظهوره بمالقه
 ثم سار منها إلى المرتبة ، فخففه صاحبها زهير
 العاصري وأخرجه منها ، وقصد قلعة رباح
 فأطاعه أهلها ، فسار إليهم صاحبها أول
 إسماعيل ذي النون ، فخار بهم وضعفوا

(١) كتاب عقد الجمان للعيني ، القسم الرابع .

وتلاحق بجزير أصحابه وأشياعه ، وترك
الظافر ملقى على الأرض ، فرت عليه بعض
أهل قرطبة فأبصره على تلك الحالة فنزع
رداءه وألقاه عليه ، وكان أبوه إذا ذكره
يتمثل بهذا البيت :

« ولم أدر من ألقى عليه رداءه

سوى أنه قد سل عن ماجد محض . »

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها حتى عاد
ملكها إليه وترك ولده المأمون فيها فأقام بها
حتى أخذها يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد
حروب كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى
وأخذت إشبيلية من أييه المعتمد ، وبقى
مسجوما في أغمات إلى أن مات بها ، وكان
هذا وأولاده جميعهم - الرشيد ، والمأمون ،
والراضي ، والمعتمد ، وأبوه ، وجدته علماء
شعراء -

ملوك الطوائف (١)

بقلم الأستاذ نيكلسون

تفرقت امبراطورية عبد الرحمن الثالث
العظيمة ، وظهر على أنقاضها عدة ممالك
صغيرة « دويلات » أنشأتها الظروف
والمصادفات ، وكان يحكمها بعض القادة
المظفرين .

وقد أحسن نيكلسون في تشبيه تاريخ
إسبانيا في القرن الحادي عشر الميلادي

صاحب غرباطة ، فسار إليه بجيشه فعادت
عساكر ابن عباد ، ولم يكن بين العسكرين
قتال ، وأقام زهير ببأسه ، وجاء حيوس إلى
مالقة فات وولى بعد ابنه باديس ، واجتمع
هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحيوس فلم
يستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير ، وجمع
كثير من أصحابه ، والنقي عسكر ابن عباد
وابنه إسماعيل مع باديس بن حيوس ،
وعسكر إدريس اللوي صاحب سبتة بطمحة
واقتتلوا قتالا شديدا فقتل إسماعيل ثم مات
بعده القاسي أبو القاسم بن عباد وولى
بعده ابنه أبو عمرو ، ولقب المعتضد بالله فصبط
ما ولى وأظهر وفاة المؤيد ، واشتمل بأمر
إشبيلية وبقى كذلك إلى أن مات وولى بعده
إنه أبو القاسم محمد واقب بالمعتمد على الله ،
فاتسع في ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك
كثيرا من الأندلس ، وملك قرطبة أيضا ،
وولى عليها ابنه الطاهر بالله فبلغ خبر ملكه
ها إلى يحيى بن ذى الون صاحب طليطلة
فسدده عليهما فصمن له جرير بن عكاشة ،
وسار إلى قرطبة ، فأقام يسمى في ذلك وهو
ينتظر الفرصة ، فاتفق أن في بعض الليالي
جاء مطر عظيم ومعه ريح شديدة ورعدو برق فثار
جرير فخرج الظافر فيمن معه من العبيد والحرس ،
وكان صغير السن فحمل عليهم ودفعهم عن
الباب ، ثم إنه عثر في بعض كراته فسقط
فوثب عليه شخص فقتله ولم يبلغ الخبر إلى
الأجناد وأهل البلد إلا والقصر قد ملك

(١) فصل مختار من كتاب نظرات في تاريخ

الأدب الأندلسي للشارح .



كل جهة فتحوها فعاش أولئك المسيحيون في كنف المسلمين ، وأحسنت الحكومة معاملتهم ، ومنحتهم الحرية الدينية وكثيرا ما رفعتهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي بلاط الملك . فاعتنى كثير منهم الحضارة الاسلامية وافدئنا بها افتنا .

حتى رأينا « القارد » كاهن قرطبة في أواسط القرن التاسع للميلاد يولول في أوائل ذلك العصر شاكيا من أبناء دينه انصرفهم إلى مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وهيامهم بدراسة كتابات لاهوت نبي المسلمين وفلاسفتهم لا يقصدون بذلك إلى تنفيذها بل يقصدون إلى التعبير عن خوالجهم بأسلوب عربي رائع صحيح .

وكان القارد يقسهال .

أنى يتاح لانسان في هذه الأيام أن يقابل واحدا من أبناء جنسنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة ؟ ومن ذا الذى يدرس منهم فصول الأناجيل وسير الأنبياء والحواريين ؟ واحسرتاه :

إن كل الشبان المسيحيين ذوى المواهب لا يعرفون الا العربية والا كتابات العرب فهم يقرءونها ويدرسونها بحماسة باغة منتهاها كما أنهم ينفقون المال الطائل لاقتنائها في مكاتبهم وتراهم أنى وجدوا يذيعون أن تلك الآداب جديرة بالاعجاب .

فاذا تجاوزت عن ذلك وأخذت تحدثهم عن الكتب المسيحية أزر جانبهم وأجابوك

بتاريخ إيطاليا في القرن الخامس عشر ، فقد كان وجه الشبه - كما يقول - كبيرا جدا بينهما .

وكان هؤلاء القادة الذين اقتسموا بلاد الأندلس أشبه بأولئك القادة الذين كان يطلق عليهم في إيطاليا اسم : « Condottieri » وكان من بينهم ملوك العبادية الذين قطنوا إشبيلية ، وهم أقوى ملوك ، وقد أطلق عليهم كتاب المسلمين اسم : « ملوك الطوائف » وعلى الرغم من أن ذلك كان عصر تدهور سياسى ، وعلى الرغم من أن إسبانيا تشكو عجز مواردها الاقتصادية ، فقد وصل المجتمع في تلك الأيام الى مستوى لم يصل الى مثله من قبل .

وهنا يجدر بنا أن نقف لحظة علنا نستطيع أن نستعرض فيها أمامنا الشوط البعيد المدى الذى قطعتة الآداب والعلوم في طريق النجاح في ذلك العصر الذى يعد أزهى عصور الاحتلال الاسلامى في أوروبا .



فبينما ترى العرب الفاتحين في آسيا - كما بينا ذلك - قد سحرتهم حضارة قديمة تفوق حضارتهم بما لا نهاية له فأذعنوا لها وظهر أثرها فيهم إذ تراهم لم يكادوا يعبرون مضيق جبل طارق - في العرب - حتى انعكست الآية تماما .

وذلك أهم بعد أن تغلبوا على شبه الجزيرة وقع في أيديهم آلاف المسيحيين من

وقد كان للشعر العربي - في أوروبا -
على الاجال الخصائص التي رأيناها في الشعر
المعاصر له في الشرق .

فان الأوزان المصطلح عليها والقيود التي
لم يستطع أساطين بغداد أن يحرروا أنفسهم
من ربقها ظلت بحذافيرها في قرطبة واشبيلية .
وكما تأثر الشعر العربي في الشرق بالآداب
الفارسية ، فقد تأثر في اسبانيا كذلك باتحاد
الآريين والساميين واندماجهم شيئا فشيئا .
فكان ذلك سببا في ادخال عناصر
جديدة ظهرت في آدابها ، ولعل أمتع ميزات
الشعر الأندلسي هي ذلك الوجدان العاطفي
الراقي الذي يندر وجود مثله في النسيب
والذي ظهر كثيرا في أغانيهم عن الحب وهو
وجدان لا يقصر على تصوير فروسية القرون
الوسطى بل يتخطى ذلك إلى حد أن تحسبه
إحساسا جديدا بمحاسن الطبيعة التي جلته .
ولهذه الميزة سهل فهم ذلك الشعر على
الكثيرين من الآريين الذين قد لايسهل
عليهم فهم روح المعلقات أو قصائد المتنبي .

بازدراء أنها أسفار نافهة لا خطر لها .

واحسرتاه عليهم ! لقد نسي المسيحيون
أنفسهم حتى ليندرو العثور بين آلاف منا على
على فرد يستطيع أن يحرر الى أحد أصدقائه
رسالة لاتينية بأسلوب لا بأس به على حين
ترى جهرتهم قادرة على الابانة عمافي نفوسهم
بأسلوب عربي رائع ، وعلى حين ترى حذقهم
في قرض الشعر العربي قد وصل الى حد فاقوا
معه العرب أنفسهم .

ومهما يكن في كلام هذا الكاهن من
اغراق فما يترفع عن الجدل والنشكك أن
الثقافة الاسلامية قد أخذت بألباب
المسيحيين الاسبان ، كما افتتن بها اليهود
الذين خدموا الشعر والفلسفة بمساعداتهم
العديدة وكتاباتهم التي أنشئوها بلغتهم وبلغته
أبناء عمهم العرب .

أما المولدون والصابثون من الاسبانيين
الذين لانوا بالاسلام فقد استعربوا تماما بعد
أجيال قليلة ، ومن هؤلاء نبغ أشهر من
ازدان بهم الأدب العربي .



دراسات الكتاب لابن زيدون

« أثبتنا في هذه الصفحات أهمّ الدراسات
 التي كتبت - في العصر الحديث - عن
 ابن زيدون إتماماً للفائدة . »

— دراسة الدكتور أحمد ضيف (١)

اقتربت الوزارة في الأندلس بالأدب ، فكان الوزير كاتباً وشاعراً ، وكان أشهر الكتاب والشعراء
 وزراء ، وكانت الشهرة بالكتابة والشعر ، وفنون الأدب ، وفروع العلوم من وسائل الوصول إلى
 امتلاك الوزارة ، فكان للوزراء أثر عظيم في سير البلاغة والأدب ، وأصبحت منزلة الأدب كمنزلة الوزراء
 أنفسهم في الدولة ، وظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربعوا في مناصب الملك ، وتقبلوا في مراكز
 الدولة ، وتقبلوا على شئونها ، وهم جميعاً من الأدباء والعلماء ، والكتاب والشعراء وأصحاب الشورى ،
 وأعلام الحياة العقلية .

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الأدباء والشعراء المجيدين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب
 ابن زيدون المحرومي الأندلسي القرطبي ، أشهر من عرف في حلبة الأدباء ، وأظهرهم مييزة في فنون
 الكلام وأساليب الشعر والبيان ، لأنه صورة من صور الأدب في الأندلس ، وصحيفة من صحف البلاغة
 هناك ، وعمرة من ثمار غرس العرب في بلاد المغرب .

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة في سنة ٣٩٤ هـ وتوفي بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ وهو ثالث ثلاثة
 تسموا بابن زيدون : أحدهم أبو بكر عبد الله بن أحمد بن غالب والده ، والثاني أبو بكر ابنه وكان وزيراً
 للمعتمد بن عباد ومات مقتولاً ، وهم من أصل عربي كما أشرنا إلى ذلك في كلامنا على القبائل التي نزلت
 الأندلس من العرب . كان أبوه قاضياً مشهوراً بين قضاة قرطبة ، وعالماً وأديباً . مات سنة ٤٠٥ هـ
 فكان عمر ابنه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكان أبو الوليد منذ حداثة ميالاً إلى العلم والتعلم ، فاندفع
 يطلب لنفسه الكمال العقلي ، وكانت نشأته في قرطبة ساحة العلوم والآداب ، فانكب على الدرس والبحث ،
 وأخذ الأدب عن رجاله المعروفين ، وكان له ميل شديد لعلوم العرب وفنون اللغة فحفظ منها شيئاً كثيراً ،
 كما وعي كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب وحوادثها ، ومسائل اللغة ، حتى أصبح في
 مقدمة الشعراء والأدباء ، واندمج في مجالس الأدب ، فصار عالماً من أعلامها ودعاة من دعايتها ، وكانت
 قرطبة لا تزال في أوج صلاحها على الرغم من أنول شمس بني أمية بها ، وأهلها في رخاء من العيش ،
 أكثرهم يميل إلى العلم والأدب ومجالسة الأدباء ، فامتلات المحافل والجامع بضروب اللهو والطرب ، وكان
 لابن زيدون خفة روح ودعابة وميل إلى المجون ، فساعده ذلك على أن يسبق غيره ، وأن ينال شهرة

(١) من كتاب بلاغة العرب في الأندلس للدكتور أحمد ضيف .

واسعة بين أترابه . وكان للنساء أثر عظيم في هذه المجالس ، فاتمحه الناس إلى الاندماج فيها واستعذبوا هذا المورد ، وانصرفت هم الأدباء إلى التفوق في هذا الميدان ، فكان لذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء وصورة البلاغة من نظم ونثر ، وكأنما ضاعت كل صبغة جدية في الجامعات الأدبية لجرؤ الوزراء على الجاهرة بالمجون ، وكان ابن زيدون أحد أطلال هؤلاء لجذب إليه الأنظار .

وكان لولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي شهرة عظيمة في قرطبة لجمالها وعلوها وأدبها ، فوقع ابن زيدون في شركها ووقفت في شركه ، واشتمل كل منهما على صاحبه ، حتى حسد عليا وحسدها الناس عليه ، وكان من بين هؤلاء الحساد الوزير أبو طاهر بن عبدوس وهو كبير الحول والطول ، فتقرب إلى ولادة حتى أمالها إليه ، وكانت ولادة ملت صداقة ابن زيدون واتهمته كما اتهمها بذلك أيضا ، فهبت عاصفة من الجفاء بينهما شتت من شملهما وحالت بين قلوبهما ، لذلك غلب ابن عبدوس ابن زيدون على أمره ، واستولى على قلب ولادة ، ثم حدث أن رجعت إلى ابن زيدون فكتف عن لسانها لابن عبدوس رسالته الشهيرة الهرلية ، ثم استأثر بها ثاية ابن عبدوس ، فكانت هذه الحال سبب اضطراب في حياة ابن زيدون العقلية والسياسية وهكذا كانت حال الوزراء وأرباب الدولة وعقول الأدباء وأصحاب الأقلام والمفكرين ، وهذه الحادثة من أكبر الحوادث في حياة ابن زيدون . عاش ابن زيدون في بيئة كلها اضطراب ودياس ، وترنى ودرج في ذلك وتقلد لورارة فيها ، لأنه اشترك في حوادث الاضطراب التي كانت على أثر زوال دولة بني أمية ، فكان من أشياع ابن جمهور أحد ملوك الطوائف الذي ادعى لنفسه الملك في قرطبة بعد انحلال الدولة الأموية سنة ٤٢٣ وعلت منزلة ابن زيدون هناك ، فاتخذ ابن جمهور وزيراً له فلك أرمة الأمور ، وكان أقرب الناس إلى سيده الذي استعان به كثيراً في المسائل السياسية ، وتأمين الصلة بينه وبين الأمراء الآخرين لذكائه ودهائه ، فكانوا يحسدون ابن جمهور على الاختصاص به ، وحدثت حوادث أوفرت عليه صدور كثير من منافسيه والحاسديه على فضله ومنزلته ، لحملوا عليه عند ابن جمهور حتى أمر بسجنه فسجنه طويلاً ، فاستعفر واستعطف بما يلين من أجله الحديد ، فلم يفلح في إرضاء الأمير فمز على أعمال الحيلة والهرب من السجن . واختفى بقرطبة إلى أن استدفع بأبي الوليد بن جمهور عند أبيه أبي الحرم حتى شفع له ، وجعله أبو الوليد بمسد موت أبيه من المقدمين في دولته ، ولكن ابن زيدون لم يأمن على نفسه من بقاءه في قرطبة ، فهاجر إلى إشبيلية سنة ٤٤١ ودخل في حاشية المعتضد بن عباد وصار وزيراً لابنه المعتمد وبقي هناك إلى آخر عمره . هذه حياته وأخلاقه ، وقد ذكرها في شعره ونثره ومنها يرى أن حركات عقله كانت تفوق ذلك خطوة بخطوة ، فكانت حياته العقلية نتيجة هذه الحياة ، لذلك يمكن أن تقسم آثاره الأدبية إلى أقسام ثلاثة : عشقه لولادة وأثر ذلك في نفسه وما كتبه في هذا ، ثم مدحه لابن جمهور وابن عباد ثم أثر السجن في حياته العقلية .

شعر ابن زيدون

كان لأخلاق ابن زيدون والبيئة التي عاش فيها وميول الناس إلى اللهو أثر عظيم في شعره ، فقد كان للمجون مسحة خاصة في النظم والنثر ، فبرع ابن زيدون في النزل ، وكثير من شعره في ذلك كان منبثاً عن ثوران في نفسه وغليان في ميوله وأهوائه ، أذكي ذلك كله حبه لولادة ، فإن عشقه هذا فتح له باباً واسعاً

من الخيال قال فيه ما شاء وشاءت عواطفه أن توحى إليه ، كذلك كانت آلامه وما لاقاه في السجن باعثاً من بواض استنهاض ملكة الشعر فيه وإلهاماً من إلهاماته الفنية .

وشى به أعداؤه وحاسدوه إلى ابن جهور ، وكاد له منافسوه في حب ولادة حتى نالوا منه ، وشفوا غلثهم بجعل ابن جهور على سجنه بعد أن أحله منزلة الوزير يدبر ملكة ، وبعد أن اثبتنه وعرف له رأيته السيد وبراعته في إدارة الأمور وسلمه زمام الدولة ، ولم يكن لابن جهور أن يخطئ في نظره لما اشتهر به نفسه من سداد الرأي وصحته ، فإذا ناله ابن زيدون مكانة في نفس ابن جهور ، فقد كان ذلك عن جدارة واستحقاق ، ولكن أعداؤه تمكنوا من ابن جهور وهصب عليه وأمر بسجنه ، فأثار هذا السجن من نفس ابن زيدون عاصفة فنية جديدة رقت من خياله الشعري أثارها آلامه فأخذ بين أنيناً جيلاً ، ويفتن في آلامه ووصفها والتعير عنها مرّة شعراً ومرّة نثراً . . . والفني يمزج فنه دائماً بكل ما يرى ويسمع ويشعر ، ولقد كانت نفس ابن زيدون من النفوس الدقيقة الإدراك ، التي إذا أنت تثنى أئين الموسيقى ، وإذا شكت تشكو شكاة القلوب المملوءة شعوراً الواسعة التصوّر والإدراك الدقيق ، الذي يجعل الشكوى جميلة والكلام فيها جيلاً . كتب ابن زيدون من السجن إلى صديقه أبي حفص بن برد يشكو ويثنى من بلواه وهو ينهض الأمل مرة ويقعده اليأس أخرى ، ولا يترك شاردة تمرّ بخاطره إلا هدأ بها نفسه ، وتسلى بها عن آلامه . يستسلم أحياناً إلى القضاء فيشعر في نفسه براحة واطمئنان ، ويقلب أمأه صحفات الأيام فلا يعجب من الحوادث التي ألمت به ، ويرجع إلى صديقه فيسليه هو بنفسه ، ويسأله ألا يكف عن مجونه وتسليته ، لأن السعادة خلسة ، ثم يعود فيذكر أعداءه ويثلمهم منه ويبين أن ذلك ليس بالعجب لأنه :

إن قسا الدهر فللمساء من الصخر انبحاس

ويرى أنه حسد لمكانته ، ويمزج ذلك بالعبير والحكم والسخرية والتهمك من أحوال العالم وحوادث الحياة ، ويرجع أئينه وألمه وحقدته على الناس ، ولا سيما حاسديه ، ويضرب المثل كي يسكن من نفسه ، وهو في ذلك كمادته في الشكوى : يربط مرّة إلى الدرك الأسفل من اليأس ، ويترفع أخرى إلى ذروة الرجاء ، وكأنه في شجار مستمرّ بينه وبين نفسه وشعوره ، كل هذه المعاني في أبيات قليلة بأسلوب جميل رقيق ، يكاد يلمح الإنسان فيها خاطره المضطرب المتماوج . حيث يقول :

« ما على ظنيّ بأس ببحر الدهر ويأسو . » الح

هذه نفحات القلوب ، وهذا هو الشعر الذي يستولى على النفس ويلهمها الحكمة والعبرة ، وهذا هو جمال القول ، ليس ذلك لأنه مطرب مرقص بوزنه وفأيتته ، بل لأنه ساحر بمعانيه وجماله ، كل معنى فيه يحتاج إليه النفس في مثل هذه المواقف ، ولقد كانت هذه المعاني سائمة للنفس لأن الشاعر صادق في قوله ، معبر عن شعوره يرسم صوره من نفسه الحزينة التألمة ، لهذا كان الشعر جيلاً .

وقد بدأ قصيدة من قصائده في هذا بالفخر بنفسه ، وأمن في ذلك ، وكأنما كان يبكي حظه ويندبه بهذا الأسلوب الفخري ، أو كأنما كل معنى من هذه المعاني كانت تهديّ خاطره وترجح نفسه ، فلما مدح ابن جهور مدحه في قالب استعطاف ، وتوسط بين المدح الخالص والعتب الجدي ، وقد ظهر بنفس كبيرة وأنف أشم حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جهور ، فكان مادحاً أشدّ منه عاتباً ، لأنه كثيراً ما كان في مثل هذا الموقف لا يندى بالفخر بنفسه ، ولا يريد أن يعلل عليها ولو همسا أنه في موقف مثله ، وكأنه كان يتسلى بهذا ، لأنه يرى أن أعداءه لم ينالوا منه إلا لأنه فاتهم بلمه وفضله حتى إنه قال متهمكاً :

« ولو أنني أستطيع كي أَرْضَى العدا شريت ببيض الحلم حظاً من الجهل . »
وكل قصائده التي أرسلها يستعطف بها ابن جهور هي أثر ذلك الشقاء الذي لقيه في سجنه ، وصورة من صور
البؤس الذي حرك شعوره وفتق من لسانه ، وأثار في نفسه عواطفه الشعرية المدللة المدلولة هماً وعملاً .
ولكن أسلوبه في الشكوى والاستعطاف واحد في نظمه ونثره ، وما أشبه قصائده في ذلك وما فيها من
من المعاني برسائله الجديدة ، وكأنها كان فكره سجيناً مثله من شدة تألمه في السجن ، فانه لم يخرج عن
عادته في ضرب الأمثال والفخر بنفسه ، وأنه أفضل لإنسان وأكرم من دبّ على وجه الأرض .
غير أن كلامه مع ذلك عذب المذاق ، رقيق الحاشية ، جذاب خلاب ، تظهر عليه سيما الابتكار
والصدق والتعبير ، فانه ليس من الحيات الشعرية الصرفة ، بل به كثير من الحقائق التي كان يملها عليه
شعوره كما قال :

« ما جال بعدك لخطي في سنا القدر إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر . »

وكتب إلى أحد أصدقائه وهو مخنف بقرطبة بعد فراره من السجن ، فقال :

« . . . وبلغني أنك أحد اللآئين لي الخ »

إلى أن قال :

« شحطنا وما بالدار بأي ولا شحط وشط بمن نهوى الزار وما شطوا . »

إلى آخر ما قال في هذه القصيدة التي هي من أبداع قصائد الشكوى وأجمعها لذكر الماضي والحاضر والاستفجار
والاستعطاف ، والسرور بذكر ما اتقى والكاء على الحاضر ، وهي أيضاً أظهر في لهجتها الجديدة من
كثير من شعره ، ولذلك كانت أحف في أسلوبها ومعانيها ، ليس بها تلك الرقة الممهدة في كلامه ، كل ذلك
هاحه السجن وما تذوقه من الآلام ، فرسه في شعره ، لأنه رجل فني يعرف كيف يصور ما يشعر به ويعبر عما
يجول بخاطره . ولقد يلاحظ الانسان أن آراء ابن زيدون آراء عامة ليست ناشئة عن تفكير طويل أو
علم واسع ، وإنما هو خيالي أكثر منه مفكراً ، وشاعر أكثر منه عالماً ، وهذه كل حال شعره ونثره .
أما مدحه ورتاؤه فهما في المرتبة الأخيرة من شعره ، لأنه على جمال أسلوبه في ذلك ، وحسن تصرفه في المعاني
لا يكاد يعثر الانسان عليه على معنى حديد ولا رأى خاص ، بل يكاد يكون كل ما جاء من المعاني من قبيل معارضة
غيره من الشعراء والأخذ بمعانيهم ممزوجاً ذلك بما له من البراعة والصناعة والافتنان .

ومن أجل قصائده كلامه في المعتضد بن عباد وابنه المعتضد ، ومن أرق كلامه في الشكوى ، وأقرب
عباراته وصولاً إلى القلوب بكأوه على الماضي ، والتلذذ بذكره وما كان فيه من النعيم كقوله :

« الهوى في طلوع تلك النجوم والى في هبوب ذاك الميم . »

ولقد كان ينظر إلى أيامه الماضية فيحن إليها حيناً وولماً ، فإذا قرأت شعره في ذلك رأيت نفسك كأفك
واقف على أطلال سعادته البالية ، فبكي وبكيت معه ، كما قال :

« ألا هل إلى الزهراء أوبة نارح تقضت مبانها مدامه نرحا . »

الغزل في شعر ابن زيدون

يتبين من أحوال الاجتماع في الأندلس ، ومبول النفوس ، واختلاط النساء بالرجال ، واندماج كثير من
الأدبيات في مجالس اللهو والطرب ، أن المرأة شغلت جزءاً عظيماً من أوقات الرجال المفكرين ، وملأت

رءوسهم ، كما أن مجالس الشرب كان لها سلطان عظيم على نفوسهم ، فكانت المرأة تحرك المواطف والتمهيد ، والحر تدر العقول ، وتملي عليها القول ، وتفتح أمامها طرق التصور والخيال ، والعقول ثمة بنشوة الغرام والرهوس مثقلة بحرارة المدام ، والناس لا يفوتهم الطرب ، ولا يريدون أن يتواروا عنه لملقته بنفوسهم ، حتى في أشدّ المحن ، فقد رأينا أن ابن زيدون كتب وهو في سجنه لصديقه أبي حفص بن برد يقول :

« وأدر ذكرى كأساً ما امتطت كعك كاس
واغتمت صنفو الليالي إنما العيش اختلاس . »

وقع ابن زيدون في شرك ولادة بنت المستكفي بالله ، وكانت خليعة ماجدة بارعة روية بين الأدباء « تناضل الشراء ، وتساجل الأدباء ، وتفوق البرعاء . . . خرجت على نهاية في الأدب والظرف ، حضور شاهد ، وغزارة أوابد ، وحسن منظر ومجرب ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة متسدى لأحرار مصر ، وفناؤها ملبأ لجياد النظم والنثر ، يمشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهاك أفراد الشراء والكتتاب على حلاوة عشرتها ، وسهولة حجابها ، وكثرة منابها ، تخلط ذلك بلون نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب ، على أنها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها . . . » وقالوا « لأنها كانت بالمغرب كملية بالشرق ، إلا أن هذه تزيد الحسن ، وأما الأدب والشعر والنادرة وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها ، وكان لها صنعة في العناء ، وكان لها مجلس يفشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها ، فيمرّ فيه النادر وإنشاد كثير مما اقتصاه عصرها وكانت من الأدب والظرف ، وتمتيع السمع والظرف ، بحيث تختلس القلوب والألباب ، وتميد الشيب إلى أخلاق الشباب » فقال ابن زيدون رضاها ، ووقع من نفسها كما وقعت هي من نفسه ، حتى كتبت إليه تضرب له موعدا فقالت :

« ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكرم للسر

وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدن لم يطلع وبالنجم لم يسر . »

قال أبو الوليد : « فلما طوى النهار نوره ، ونشر الليل دنائيره ، أقيت بقدر كالفضيبي ، وردف كالكتيب ، وقد أطبقت نرجس الغل ، على ورد الحجل ، فلنا إلى روض مدح ، وظل سجع ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهاره ، ودرّ الطلّ منتور ، وجيب الراح ضرور . فلما شينا نارها ، وأدركت منا نارها ، صرح كل منا بحبه وشكا ما قبله . . . وأنشدتها :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سرّه ما استودعك . »

وكتبت إليه بعد ذلك تقول :

« ألهل لنا من بعد هذا التفرّق سبيل فيشكو كل صب بما لقي . »

إلى أن قالت :

« تمرّ الليالي لا أرى البين ينقضي ولا الصبر من رق القشوق معنق

سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً بكل سكوب هاطل الوبل مغدق . »

ولا نريد الآن أن نتكلم في العشق وأثره في النفس وما يوحيه من روائع القول وجمال الفكر حتى عند عامة الناس ، فإن تاريخ الإنسانية حافل بمحوادثه . ولسكنا نقول : إن العشق في كلام العرب أو شعر الغزل كما يسمونه ، ليس من المسائل الهزلية . لأن الشعر الذي هو وحي النفوس وجمال الإدراك الإنساني ، أكثر ما يكون ظهوراً في التعبير عن الحب ، ووصف هذا الضعف الانساني الذي نسجه عشقاً ، فإن العشق إدراك

أكبر مظاهر الجمال في الحياة ، ومن لم يفتح له قلبه يوماً ما ، لم ير غير ظواهرها ولم يتسرب إلى نفسه بصيص ضوء من جان مظاهر الحياة وأسرار النفوس في التألف ، وكثير من آمال الناس في تلك الصلة النفسية ، والعشق وما فيه من سعادة وجمال سر كامن في الشعر ، لأنه مصدر الشعر الحيالي الجميل . لذلك كان أجل الشعر ما يكشف عن سرّ من أسرار النفوس ، ويفتح القلوب . ويظهر مكنونات الإنسان وأخلاقه وآلامه وآماله . إن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مديونون لهنّ بأفضل الصفات لديهم وهي وصف شعور الناس ، والشاعر الذي يشمر بالحب لا يتكلم عن نفسه فحب ، وإنما يجمع آلام العشاق وأنينهم فيتألم ويئن معهم ، وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب للنفس من سماع هذا الأنين . إن الشاعر بصوغ بكلماته اهتزازات القلوب ورنات ما يجول من المعاني ويدعها إلى النفوس فتصيبو إليها ، ويذيعها بين العشاق فيرى كلّ قلبه وكأنه ينظر في سراًة يرى فيها صورته ، وذلك لا يكون إلا في الشعر .

فإذا أخطأ العرب في إمعانهم في هذا النوع والإكثار منه ، فقد أخطأوا من جهة واحدة : وهي تكرار المعاني وتقليد بعضهم بعضاً في ذلك ، وظنهم أن كل قلب يحب بشكل واحد ، وإن صلة الحب بتظاهر الجسم قوية متينة ، وأن المعاني محصورة في ذلك . ولكن ابن زيدون ليس من هؤلاء المقلدين ، بل من الذين كانوا يجولون جولات واسعة في الحيال ، فكان فياً مبدعاً . أرأيت شعراء العرب كيف يطنون في وصف الأمكنة التي احتضنوا فيها مع صديقاتهم ، وهم يتخذون ذلك وسيلة لأمرين : الأول إحياء ذكرى تلك الأيام والأمكنة وما فيها ، إذ كل شيء هناك كان يشهد حبهم ويعطف على تشوقهم ، وتلك الأمكنة جميلة لأنها احتوت عليهم ، والأضواء التي تسطع عليهم والأشجار التي كانت تظله . والكواكب التي كانت تنعجس أخبارهم ، جديرة بأن لا تنسى ، لأنها أثر من آثار العشق . الثاني أن الشاعر الفنى يهر من التكرار ، ويعرف أن معاني العشق والحب سرعان ما تنفد ، فهو يتعايل على شيء من المعاني الأخرى التي لها صلة بذلك ، كي يتسنى له أن يجول في ميدان أوسع ليصل إلى التعبير عن مراده ، أو يمنع العقول من أن يدركها الملل . فهو يستعين بذلك كما يستعين المصور الماهر بالألوان لإظهار الصورة التي يريد أن يرزما . كذلك كان ابن زيدون من هؤلاء الفنين أو قريباً منهم . فقد التحأ إلى مدينة الزاهراء الجميلة في أيام الربيع ، يريد أن يسلي نفسه ويخفف عنها من أثر حبه ولادة ، وذكر في شعر أرسله إليها كل ما كان يحيط به إذ ذاك وأبدع أيما إبداع ، وافقت افتنانا عظيما في ذلك ، فقال :

« إني ذكرك بالزهرام مشتافا والأفق طلق ووجه الأرض قد رافا »

وإذا كان لابن زيدون ميزة في شعره الغزلي فليس ذلك في ابتكار المعاني التي لم يسبق إليها ، وإنما هي في طريقة تصويرها بمباراة تلك النفوس وتستولي على القلوب وكأن الإنسان لم يقرأ مثلها ولم يسمع بما يشبهها لجودة الافتنان في التعبير والاسلوب . كما في قوله :

« إليك من الأنام قدا ارتياحي وأنت من الزمان مدى اقتراحي . »

ولقد يسمع الإنسان أنينه في شعره ، ويرى أنه الحزينة من خلال كلامه ، وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك القلق النفسى اللذين يملآن نفوس العشاق ويمنعان عنهم راحة الحياة ولذاتها . على أنه يلتذ لذكر محبوبته ويذوق الآلام بسببها . فيقول :

« متى أنيبك ما بي ياراحتي وعذابي . »

ولقد بلغ درجة من التعبير يحمل بها القارئ على الاعتقاد بأنه محلم كل الإخلاص في حبه ، وأن حبه هذا هو كل أمنيته ، وأنه يرى في سبيل العشق ما لا يراه غيره ، ويهون عليه كل شيء في سبيل لإرضاء حبيبه حتى حياته ، وهو مغرور بهذا كما قال :

« أنى تصيح عهدك أم كيف تخلف وعديك . »

على أنها لا نبرى ابن زيدون من التصنع أحياناً كما يقول لأنه كان كبيره من الشعراء يعبر عن غير شعور ، فإن تمكبه من الصنعة كان يفتق لسانه بقول الشعر ، كما قالوا إن السلطان أمره أن يعارض قطعاً كان يفتق بها ، واستحسن الخابيا ، دأبشاً أحياناً كأنها صادرة من عاشق مقيم ، وضمنها مدح السلطان ، فقال :

« يقصر تبرك ليلى الطويلا ويشى وصالك قلبي المليلا . »

وفي بعض كلامه ، ما يدل على أنه كان يتصيد الألفاظ والمعاني التي قيلت في العشق ، فينظمها ويلبسها ثوباً جديداً وكبلاً ، وقد برع براعة عظيمة في ذلك كما قال :

« يا غزالا أسارني موثماً في يد المحن . »

وهو في كل كلامه مبدع مجيد متفوق على غيره ، خفيف الروح ، عذب الألفاظ ، سهل الأسلوب . أما نونته التي أرسل بها إلى ولاده وبها كثيراً من شذوره وآرائه المختلفة . فهي على شهرتها وجمالها ككل شعره ولذلك لم تذكرها .

نثر ابن زيدون

اشتهر ابن زيدون برساليته الجدية والمزالية . أما الأولى فهي التي كتبها في سجنه يستعطف بها ابن جهور وأما الرسالة المزالية وكتبها على لسان ولادة يتهم على ابن عبدوس ويبال منه لمشاركته في غرامه . اشتهر ابن زيدون بآتين الرسالتين لحودة أسلوبها النادر المثال ، ولاحتوائها على كثير من الأسماء التاريخية والأمثال العربية ، واقتباس أبيات من الشعر معروفة وقعت في صوغ الكلام وكأنها حملت من أمله ، أو قيست على سمته ، وليس من السهل اقتباس المثل في أمكته ، ولا من المهي أن يخوض الإنسان محار الأدب الواسع ويسهل عليه الاختيار منه ، ويحفظ نفسه من الضلال في نواحيه ، ويميز بين الجيد وغيره ، ويختار ما يناسب المقام ، ويكون ذلك مقبولاً لدى النفس ، ثم يصوغ ذلك كله في قالب واحد ويضم بعض أجزائه إلى بعضها ، ويمحصه كما يحض الزبد ، فلا يبقاه منه جزء مع آخر .

إن الكلام على هذا الحول أصعب من الابتكار في التأليف المتبدأ ، وكلما قرب إلى القارئ الأسلوب وصعب عليه معرفة تأليفه ، شعر بسمة اطلاع الكاتب ، وأجج به وكبرت في نفسه منزلته ، وكلما فاجأه اسم لم يكن يحظر له ببال ، أو رأى عاب من ذهنه ، أو تيسر له قصة لا يظن أن تذكر في مثل هذا الكلام ، أو عبارة تحرك من نفسه حب الاستطلاع ، أو مثل العطف به ، أو ذكر رجل شهير يحمده ، أو نقطة تسر بها نفسه ، أو مسألة فنية يرتاح لها ويلتذ بدكرها ، زاد إعجابها بالكاتب وما كتب ، ورأى أن كل إنسان غير قادر على ذلك ، وأن هذه صفة يمتاز بها الكاتب عن سواه . كل ذلك في نثر ابن زيدون وهو من دواعي الإعجاب بأسلوبه في رسالته ، فقد عرف كيف يأتي في كتاباته بالتناسق في المعاني والألفاظ ، بل عرف أن يأتي بهذا التناسق في التأليف والجمع ، وكيف يتصيد كلام غيره ويرصفه رصفاً جيلاً ، كما أمكنه أن يرسم لنفسه منهجاً جمع فيه كل معلوماته ، واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه ، فكانت رسالته أيقنة

جيلة ، وكان كالمهندس الماهر الذي يعرف كيف يجمع بين الحجر والحجر ، والمصور الفنان الذي يؤلف بين اللون واللون . ولقد حاول ابن زيدون في رسالتيه الوصول إلى غرضه ، فلم يدع وسيلة ما يجسم بها المعنى في نفس القارئ لئلا يتهال عليه المعاني ويكون غرضه أوضح ، ورأيه أظهر ، إلا فذلها ، فكل ما ذكره من الأمثلة المتقبسة والمعاني المختارة قصد به توضيح ما يريد .

في رسالته الجديدة أراد أن يستمطع ابن جهور ، ويبري نفسه مما اتهم به وينكل بأعدائه ، فبدأ رسالته بالاستعطاف وهو يستذل نفسه تارة ، ويمدح ابن جهور ويظهر لإحلاصه له ويتملق إليه أخرى ، ويمتدح عنه فيما وقع منه في حقه ، ثم يبين له شدة ألمه من شهامة أعدائه ، فقال :

« يا مولاي وسيدى الذى ودادى له . الخ . »

ثم أخذ يتعلل بالأمال ، ويضرب في ذلك الأمثال ، ليسلى نفسه ويهدى منها بعبارات شمرية يريد أن يؤثر بها في ناس المرجو ويحمده على كل شيء ، كما يحمد الله على السراء والضراء ، فقال :

« هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي . »

ثم وقف موقف المذلة وكأنما يسمع الإنسان بكاءه في كلامه ، واستصغر ذنبه في ساحة صفو سيده ، وفي جوار ما ارتكبه غيره من الذنوب الكبيرة ، فقال :

« وأعود فأقول : ما هذا الدب الذى لم يسه عموك . الخ »

والمعجب في ذلك من حضور ذهنه وحدته مما يدل على تيفظه الشديد ، ثم أخذ بسد ذلك يبرى نفسه ، ويوجب من سيده الذى يصنى إلى أعدائه ، على ما كان له من المنزلة التي لم تدفع عنه ذلك ، وأخذ يلوم ابن جهور لو ما لا يظهر إلا من خلال عباراته ، لشدة تمكنه من تصرف الكلام واحتراسه فيما يقول :

« فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح . الخ »

ثم ذكره بإخلاصه له ، ومدحه إياه ، وأخذ يرجع إلى استعطائه وبعقله ، فقال :

« وقد زانق رسم خدمتك . الخ »

ثم حاته حزة نفسه فانتقل ثقلة أخرى ، وبين له أن مثله لا بصير على الهوان وأنه يستطيع فراقه ومجر بلده إلى مكان آخر ، ويحاطر في هجرته مده بما عسى أن يلاق من الآلام مستأنساً بأدبه وفضله ، فقال :

« ولعمرك ماجهلت أن صريح الرأى أن أمحوّل إذا بلغتى الشمس الخ . »

وكانه شعر بأن هذا يدعو ابن جهور إلى أن ينسى استعطائه لما يظن في هذا الكلام من عجب ابن زيدون بنفسه ، فأخذ يلطف من حديثه ، ويسكن من هياجه ، ويظهر تمسكه بجوار سيده لأنه أفضل شيء لديه في الحياة ، فقال :

« غير أن الوطن محبوب ، واللنأ مألوف . الخ »

ثم أخذ يقوى أمره في إجابة طلبه ، ويضرب الأمثال في ذلك ، ويمدح البناء في جوار سيده بقوله :

« أعيذك ونفى من أن أشيم خلبا وأستمطر جهاما . الخ »

هذا أكثر ما في هذه الرسالة الجديدة ، وأعظم ما فيها تأليفها الذى يرى من خاتمة تلك النفس الحائرة المضطربة التي تهيج سرّة وتحمده أحيانا ثم ترجع وتلين ، وكأنما الكاتب في نزاع مستمر بين نفسه وأهوائه ، أو كأنه هو ونفسه قرنان : يشتد كل منهما عند ما يخاف قوة صاحبه .

هذه صورة نفس ابن زيدون يراها القارئ إذا وقف عن كسب ونظر إلى حركات نفسه وهو يكتب أو



يمكر في هذه الرسالة . يرى منه الأبية وهو يفخر بها ويطن أنه من أهل الفضل ، ويرى نفسه للتكلمة ، وهو يحسب ويمد الذنوب الكبيرة التي تستحق مثل عقوبته ، لا يريد أن يقول هذا ظلم ، ولكن يريد أن يقول هذا حق وخرق في الرأي ، ويرى نفسه الكئيبة التي أخذتها الاكدار فذلت وأخذت تستعطف وتستدفع وتنمق ، يرى الإنسان كل ذلك في هذه الرسالة ، ومن هنا جالها وإبداها . لا ما بها من الأسلوب المبالغ أو العبارات المتهارة لا غير .

أما رسالته الثانية التي كتبها لابن عبدوس من لسان ولادة ، فقد دلّ فيها على اطلاع واسع بالأمثال والأخبار ، وعلى ناع أوسع في المحاء ، لأنه أقذع في ذم ابن عبدوس إقذاعا ، وتهكم به تهكماً لا مثيل له حتى إنه ليحيل إلى الإنسان أنه جمع كل ما يمكن أن يقال في الذم والتهكم وأفرقه على ابن عبدوس واستعمل أسلوباً جميلاً خلافاً يدل على تمكنه من التصرف في الكلام ومعرفة امتلاكه عقول انقراء ، لأن هذه الرسالة على ضوئها وكثرة الاقتباس فيها الذي يستغرق أربعة أحاسيسها أو أكثر ، وعلى ما فيها من الأمثال المعروفة والآيات المشهورة ، والاطناب في ذكر الأسماء التي يكي منها القليل ، ليس فيها ما يدعو إلى الملل ، ولا ما يندس بالاستهجان والابتذال . على أن بها شيئاً كثيراً من تلك العيوب ، فقد ذكر أكثر من خمسين اسماً لمشهورى الرجال ، مردها سرداً ، وكان يكي عسرهما ، وأكثر أيضاً من صفات الذم مما كاد يكون ثثرة ولمواً ، ولكنه سترك كل ذلك ببراعته في الصنعة ، وليس أدله على جفاء الطبع وغلظه من هذه الرسالة ، فقد ابتدأها بسماحة نادرة ، ولكنها سفاهة أدبية فنية فقال :

« أما بعد أيها المصاب بقله . الخ »

وسار على هذا النحو وأكثر من ذكر هذه الأسماء ، ثم أقذع في القم وألغش في صماته فقال :

« وهبها لم تلاحظك بين كايبة عن عيوك ملؤها حبيها حسن فيها من تود . الخ »

واستمرّ على هذا النحو إلى آخر الرسالة يضرب الأمثال للاستهراء والتهكم ، ولقد كشف ابن زيدون في هذه الرسالة عن نهم حقودة محبة الانتقام وأنه شديد الحفيظة ، ودل على غلظة في طبعه ، وخشونة في أخلاقه مع ذلك وهي رسالة تمتاز بأسلوبها ، وتناسق عباراتها ، ولعلّ ابن زيدون أخذ هذا الأسلوب عن الجاحظ في بعض رسائله ، كما في رسالة الترييم والتدوير .

٢ - دراسة الأستاذ السكندري^(١)

علمه وأدبه وبديته :

نشأ ابن زيدون في عصر اختلف فيه نظام ملك بني أمية بظافة بشورة البربر المشؤومة ، وقامت هذه الثورة وآثار الحضارة في كل شيء من علم وأدب وفنون مناربة بجرانها في قرطبة ، فكانت غنية بالعلماء والفقهاء والعموميين والشعراء والمحسنين في كل صنعة من نبتوا في عصر النصور الهنيء ، فصادف ابن زيدون من قبل من علمهم وكرم من أدبهم ، وكان أبوه وعشيرته من أهل الفقه والأدب فلم يكن إقباله على ما أخذ به أهله أنفسهم بدءاً من نفسه ، وإنما جرى في مفهارهم فزهم حلماً وأدبياً ، وبعد صيت وطول مهمة .

(١) مقتبسة من بحث طويل ممتع للأستاذ السكندري نشرته مجلة المجمع العربي .



كتابة ابن زيدون

(أ) طريقته فيها :

كانت طريقة كتابة الأندلسيين منذ عصر الناصر والمستنصر جارية على أسلوب ابن العميد وحلبته من أمثال العاصب بن عباد والبدیع والحوارزمي والصابي ومن تابعهم من أمثال الحريري والعماد والاصمغاني ، وكان الكتاب الأماسي الذي ينسخ على منوالها ، وإن حلّ المأثور من النظم وضمن بعض القرآن والحديث لا يلب ذلك على قوله فتفقد فيه صورة نفسه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التشبيبات الزائفة والتعليقات الحسنة ثم هو لا يخرج عن التزام السجع غالباً . وابن زيدون رعى هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فأما ما رعاه في كتابته منها فهو :

- ١ - حل المنطوم من مشهور الأبيات .
 - ٢ - الاحتجاج والاستشهاد بكثير من هذه الأبيات مستعملاً لها استعمال الأمثال فلا ينسجها إلى قائمتها .
 - ٣ - الاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث بلمظهما أو تغيير بعض نظمه .
 - ٤ - تضمين الحكم والأمثال بلفظ أصحابها أو بتغيير في نظمه .
- وأما ما خالف فيه فهو :
- ١ - عدم التزام السجع .
 - ٢ - الاستكثار من أمثال العرب القديمة استكثاراً كاد يمسد قوله الخاص بجانبه ضائماً وبخاصة العريب من هذه الأمثال .
 - ٣ - الاستكثار جداً من ذكر أسماء رجال التاريخ المشهورين .
 - ٤ - الاستكثار جداً من أسماء الوقائع الشهيرة في التاريخ .
 - ٥ - الاستكثار من الجمل المترادفة على مثال واحد في المعنى الواحد حتى يتكوّن منها فصل طويل يشغل فراغاً كثيراً من الرسالة لو اقتصر على فقرة واحدة من الفقر المتكررة في المعنى لترك الرسالة إلى خمسها أو سدسها . وهذه الطريقة غلبت على كتابته وهي على رسالتيه الجدية والهرلية أغلب ولاسيما الهزلية .

(ب) منزلته فيهما :

اشتهر ابن زيدون عند المعاربة والمشاركة بأنه من بناة الكتاب والشعر ، فأما الشعر فلا جدال في استعماله ، فلاستحقاقه ذلك الصيت الذائع فيها تأويل وتعليل يخرجان عن حدّ بلاغة الكتابة في ذاتها إلى أمور خارجة عن جوهر الاجادة ، وذلك أن كتابته اشتهرت بين الناس لأمرين :

أولاً : أنها ليست على متوال كتابة الأندلسيين في عصره بل هي مخالفة لها في بعض الصور ، وصدر العمل المخالف لعمل الناس من رجل متوسط في الحال لاف بداته للأنظار ، باهر للنفوس ، فكيف به لو صدر من ذي شأن نبه بمنه رفيع ونسب عريق ، وصيت ذائع في السياسة والأدب والشعر وحسن المحاضرة والنادمة .

وثانياً : أنها باهرة لا يعمانيها وروعة أساليبها وشدة حوكها في نفس قارئها بل بما اشتملت عليه من وفرة التضمين والاستشهاد والوقائع وأسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في الصدور ، وبمسهله

بطول الباع ، وسعة الاطلاع ، ويكبر من شأنها هي ، إذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بأثوار الأقوال ، معرفة بكثير من حوادث التاريخ وأسماء الأبطال ، بحيث إذا حفظ ناشئ متأدب الرسالة منها أودعت صدره زبدة اطلاع كثير وبحت طويل ، فكان شهرته آتية من طريق التثقيف والتعليم ، فتكون في الأدب أشبه بمن من متون العلم كثير المسائل والاحكام وجيز العبارة ، وهذا السبب بعينه هو سبب شهرة مقامات الحريري ، وبعض القصائد المحتوية على كثير من أسماء الرجال وحوادث التاريخ والحكم والأمثال ، كقصورة ابن دريد ورائية ابن عبدون في رثاء دولة بني الأقطس ، ونونية الرندي ، ولامية ابن الوردى ، ونونية البستي ونحوها ، وكلها عظيمة الأثر في التعليم والتأديب وسرعة التوقيف على أكثر ما لا يسع الأديب جهله في لفظ يسير وزمن قصير ، لافي بلاغتها ذاتها وحسن تأثيرها في النفس حتى تستجيب النفس لداعياها ، وتميل على قائلها ، ولذلك تجد رسالة ابن زيدون الجدية التي استعطف بها جهورا لم تؤد ما وضعت له . ولا نغنى بكلامنا هذا أن الرجل كان قليل الخاطر ، أو ضعيف الارتجال ، فكل من تعرض لذكر أخباره يصفه بقوة العارضة ، وسرعة البديهة والارتجال ، وأنه كان في مجلس ولادة يرتجل المقطعات الشعرية البليغة ، ويحاضر بالكت النادرة والأجوبة المسكتة ، ودفن بعض حرمه فوقف للناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما أحاب أحداً بما أجاب به غيره ، وتلك غاية لا تدرك .

وإنما خلق الرجل شاعراً مطبوعاً ، واضطرته الوزارة إلى الترسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر أشبه منها بالنثر ، وأكثر المغاربة لا يتحدثون إلا في شعره على عكس المشاركة .

رسالته الجدية

هذه الرسالة أشهر رسائله وأبلغها ، وأكثرها عائدة على المتعلمين الذين يحفظونها لتوع فصولها وتعدد الأغراض التي رمت إليها ، والمعاني التي لوحت بها على ما أبانت من أمل كتبها ، وما حوته من روعة التأثير في النفس . وهذه الرسالة بعث بها من السجن إلى جهور يستعطفه بها ولكنه منزع الاستعطف بكثير من الزهو والامتنان ، واستنطاق العقاب على ذنب متوهم على طريقته السكتانية التي وصفناها آنفا . وإذا حللنا هذه الرسالة إلى عناصر الأغراض التي تألفت منها وجدنا أنها لا تعدو عمرة أغراض تؤدي في عشرة أسطر إلا أن كثرة الجمل المترادفة الأسلوب والصورة زادت في ذرعها طولا .

وذلك أنه ناداه بالفاظ السيادة أولا ، ثم اعتذر له عن نكته إياه بمد ما أحس الجداد به الإنسان بصدق خدمته له وثنائه عليه ، بأن عمل الخير قد يعود على صاحبه بالشر ، وأول هذه المقابلة بأنها صادرة عن حسن نية وقصد تأديب ، ثم أخذ يستريث العفو ، ويستقطع هذا العقاب الذي كان بعضه كافيًا لردع الأبالسة وكبار الفتاك والحارجين على الأنبياء والأئمة والدين ، مع إن المسألة لا تخرج عن وشاية حساد سمع جهور لهم فنكى وليه الذي نوه بذكره ، ثم أخذ الزهو فذكر أنه كان في مكنته أن يستبدل بخدمته خدمة مز يرحب به من الملوك ، غير أنه من عليه مفارقة وطنه ومولاه القديم ، ثم عود نفسه من أن يكون معه كالمتجبر من الرمضاء بالنار ، وناشده المتني حتى توقع العكاك ، ثم استلح نثر هذه الرسالة ورأى أن يستلحقه بقصيدة ، فكانت هذه في رأينا آتق لفظاً ، وأعذب مورداً ، وأطبع اساقاً .

« ثم أورد القصيدة وقال : »

محاسن هذه الرسالة ومعانيها

لا ريب أن مكان هذه الرسالة من الأدب العربي مكان المشهور المأثور المحفوظ في الصدور المخلد في السطور وذلك لأمرين :

الأول : أنها جراب أدب حاو لجملة نماذج مختلفة من عيون مواد الأدب بما ضمنت من اقتباس القرآن والحديث ، والأمثال ، والحكم ، والآيات المشهورة ، وحل نظم الكثير منها والإشارة إلى ما فيها من وقائع التاريخ الشهيرة التي يجدر بالأديب معرفتها والاستشهاد بها .

الثاني : حسن ملاءمتها بين هذه الصنوف وجودة رصفها وجمع شتاتها في موضوع واحد مما يصر على غير حاذق التوفيق بين متباينة ، ويجعل نطقها غريباً ونسجها وحيداً .

الثالث : حصادة عبارتها وجرالة لفظها في كثير من مواضعها وخاصة ما استقل به كاتبها معنى وإنشاء . ولكننا إذا نظرنا إليها بعين الناقد وأنعمنا بالبحث في بلاغتها أي مطابقتها في معانيها ومبانيها لمقتضى الغرض الذي وضعت له ، وهو الاستعطاف ، وجدنا أنها تقصر دون بلوغه لجملة أمور :

الأول : كثرة ما رددته كاتبها فيها من عبارات الامتنان على مولاه بطول ثنائيه عليه وحسن سابقته عنده وعظيم بلائه في إقامة دولته مما يعمد الرئيس عادة تعبيراً وتجبياً .

الثاني : تهديد مولاه بأنه لولا حب الوطن لكان له أرفع مقام في خدمة غيره من الملوك الذين يتسارعون إلى الترحيب به ، ويقنفسون في استخدام أمثاله .

الثالث : أن وضعها بهذه الصورة يجعلها غير كفيلة بانجاح الغرض الذي وضعت له (وهو تحريك عاطفة الرحمة والعمو) بما يصرّف نفس فارثها عن أن يتأثر ببلاغتها ويشغلها بتذكر الحوادث والقصص التي أتت عليها ، وأسماء الناس ، ومضرب الأمثال ، فلا يفرغ القارئ من تعرف اسم رجل حتى يقع في مضرب مثل ، ولا يخلص من تفهم شاهد حتى يتقحم في أوعر منه ، فيتقسم فهمه ، وينشقت تأثره ، وإنما يأتي التأثير من انصباب غمرة من الانخداعات المتكررة ، بتكرّر العبارات البليغة المؤثرة ، فنحدهت بمجموعها أثراً كلياً في النفس ، فتجيش بالشفقة ، وتهش للعمو ، ويمثل ذلك كان الإنشاء المبرقش بكثير من أنواع البديع غير مؤثر ببلاغته ، لشغله الدهن عن التأثير ، وصرفه إلى تنهم البديعية .

ومن هذه الوجهة نرى أن رسالة ابن زيدون ليست مثالا يحتذى للإينشاء البليغ المؤثر في النفس .

الرابع : وقوع بعض هفوات له ذكرها الصفدي كاحتياج فقارها إلى ذكر فقار بعد تتم معناها وتلثم بها مع ما بعدها (وهذه نضرب صفحاً عن ذكرها) وكبعض أخطاء في المعنى والوقائع (وهذه نشير إلى بعضها ، ومن أراد مراجعة الجميع فعليه بشرح الصفدي) .

فن هذه قوله (وتأوت في بيعة العقبة) وسياق كلامه في هذا الفصل يقتضى ذكر أسماء أناس منكرات يبرأ هو أن يكون مثلهم ، ولم ينقل أحد من أهل الأثر أن أحداً ممن بايع فيها تأولها أو نكثها .

ومنها قوله « وتخلفت عن الصلاة في بني قريظة » ولم يعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنكر على من تخلّف عن صلاة العصر في بني قريظة وصلاهما في الأريق بل أقرّ الجميع على عملها وعد ذلك من اجتهاد الصحابة .

ومنها قوله « وزعمت أن بيعة أبي بكر كانت فلتة » مع أن قائل هذه الكلمة عمر بن الخطاب ، ولم يقلها من إرادة سوء ، فلا ينبغي أن يتمثل به في أعمال الجناة .

ومنها قوله « وكتبت إلى عمرو بن سعد أن جمع بالحسين » مع أن المکتوب إليه الحرث بن يزيد التيمي لا عمر بن سعد .

وقد أتى الصفدي على عيوب آية من تصحيف أو سوء تأويل منه هو ، أعرضنا عنها خوف التويل .

رسالته الهزلية

كان الوزير أبو عاصم بن عبدوس ينافس ابن زيدون في حب ولادة ، فاتفق أن حدث نبوة بينهما ، فأرسل ابن عبدوس إليها امرأة من صواحاته لتسديها إليه ، وتذكرها بعضه وأديه ، فردت ولادة المرأة بالحية ، وكتب ابن زيدون إلى ابن عبدوس عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه ويتهم ويهجو ويتوعده . وفي ظننا أن ابن زيدون كتبها من نفسه تشفياً من ابن عبدوس لا عن رأى ولادة ورساها عما أحش فيها وأقذع .

والرسالة كسابقتها في قلة أغراضها وتكرار أساليب فصولها ، وذلك أنه بدأها بوصف ابن عبدوس بأوصاف الحق والجهلاء منكرأ منه إرسال خليلته إلى ولادة ، مثنية عليه ومرغبة فيه ، واصفة له بأوصاف أعيان الزمان من العلماء ، والأدباء ، والأطباء ، والفلاسفة ، والشجعان من فلان وفلان ، وإن ولادة طردتها أشنع طردة ، ثم أخذ يهجو بأوصاف في الخلق والخلق ، وإن ولادة لو أرادت الرجال لكان لها من الاكفاه من قومها وأعيان زمانها من يفضله سناً وشرماً وجمالا الخ .

٣ - دراسة الأستاذ علام سلامة^(١)

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخرومي القرطبي كان من أبناء وجوه الفقهاء قرطبة وبرع في الأدب والفنون ، فتم عليه فضله ، وذاع صيته ، وارتفعت مكانته ، واختص به أبو الوليد ابن جهور أحد ملوك الطوائف واتخذ وزيراً وادتمت عليه في السفارات بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب القوم به ، وآمنوا ميله إليهم ابراعته ، وحسن سيرته ، واتفق أن قم عليه ابن جهور وحبه ، فاستعطفه برسائله السابقة وبأثالثها فلم يعن ذلك عنه شيئاً فتحيل لنفسه حتى تسأل من حبه والعمل بالمتصد بن عباد صاحب إشبيلية سنة ٤٤١ هـ فحل منه محل السويداء من الفؤاد ، واستخلصه استخلاص المتصم لابن أبي دؤاد يجالسه في خلواته ، ويركن إلى إشارته ، ولم يزل عنده وعند ابنه المتصد فأم الجاه وافر الحرمة حتى توفي سنة ٤٦٣ هـ وكان له ابن يقال له أبو بكر تولى وزارة المتصد ، وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة سنة ٤٨٤ هـ وقد أثنى عليه ابن بسام في الدخيرة بقوله : كان أبو الوليد غاية منشور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم ، فاق الأنام طرا ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقتارانه ، وحظ من النثر غريب المباني ، شعرى الألفاظ والمعاني .

ومما يحكى عنه في سعة البيان والقدرة على التفنن في أساليب الكلام أن ابنته توفيت فوقف للناس عند منصرفهم من الجنائز ليتشكر لهم ، فما أعاد عبارة قالها لأحد ، وهذا عجيب للغاية ، ولا سيما من يزون فقد قدامة من كبده :

« ولكنه صوب العقول إذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحاب . »

(١) من مذكرات طلبة دار العلوم .



كتابه

كان ابن زيدون مع صفاء قريحته ، وقوة سليقته في البيان يؤثر الرواية والتأني لنسج القول ، وكان مع سعة روايته فنون الأدب عليماً بأخبار المعجم والعرب ، متمسكاً من كل ما يعوز الأديب بسبب ، وليس بدعاً أن يكون لكل أولئك آثار في كتابته ، وليس بدعاً أن لم تكن كتابته عفو الخاطر السامع ، ولا وحي البديهة البادئة ، ولا عصاره عصر الجين ووليدة التكلف ، فقد جاءت خلاصة الرواية الحصيصة تؤيدها قوة الطبع ومصاصة التنقيح السديد ، يؤازره لطف الذوق ، كما جاءت سبيكة رائعة صائها صنم من مبتكر المعاني الساحرة ، ومستل الأمثال السائرة ، ومقتبس الأبيات النادرة ، ورصها بفرائد من أخبار الناس ونوادير الحوادث . ولئن كان البديع قد فاته في استرسال الطبع ، ولطف الخيال ، ورشافة المعاني ، لقد فاق هو البديع في متانة الباني ، وانتقل في نواحي المعاني ، والصر بمواضع الاقتباس ، وتوشية الرسائل بأخبار الناس . أما أوضح ميزاته ففحاشة الألفاظ في غير كرازة ، وعلو الأسلوب في غير اعتساف ، ورصانة المعاني في غير جفاف ، والتأليف بين جمال الخيال وجلال الحقيقة .

ومن محاسن رسائله رسائله الحدية والهزلية وكتابها غرّة في جبين الآداب العربية ، وقد عني بشرحها كثير من الأدباء . أما شعره فله ديباجة رائعة ، وصياغة بارعة كما هو سبائك النصار ، أو حدائق الأزهار ، إلا سب أنسك صاحب بيئته ، وإن مدح خلته شاعر مزينه ، ومن مقطعاته التي تشهد له بجودة الطبع ، وإتقان الصنعة قوله :

« بيني وبينك ما لو شئت لم يصع سر إذا ذاعت الأسرار لم يدع . »

ومن شعره الذي يختلط بالروح رقة ، وبالهواء لطافة قصيدته التي كتبها إلى ولادة التي كان شديد الكلف بها والهام مجبها يستديم عهداً ، ويؤكد ودّها ، وفيها يقول :

« أضحي التناهي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقياماً تحامينا . » الخ

وقد سقنا أكثر هذه القصيدة لبراعتها ، وقد حزن بعض شطورها ابن الوكيل في موشحة ، وسدسها بعض أدباء المغرب .

٤ - دراسة الأستاذ أحمد زكي باشا

أولياء ابن زيدون

كان في جملة القبائل التي ذهبت إلى الأندلس رهط من بني مخزوم توطنوا في جهات قرطبة وما إليها ، وناهيك بهذه القبيلة ذات الشرف الصميم ، واللسان القويم .

فكان بنو زيدون من رجالهم المعدودين ، خصوصاً في الفقه والأدب ، واشتهر منهم ثلاثة حفظ لنا التاريخ أسماءهم ، وهم :

(١) أبو بكر غالب بن زيدون .

(٢) أبو الوايد أحمد بن زيدون .

(٣) أبو بكر بن زيدون .

كان مولد الأول في سنة ٣٠٤ ومات سنة ٤٠٥ بعد أن بلغ من العمر مائة سنة . توفى في ضيعة له . ثم نقلوا تابوته إلى قرطبة ، فدفن بالربض (أى الضاحية) .

وهناك رثاء أبو بكر عبادة الشاعر الأندلسي بما يعرف بمقامه في قوله :

«أى ركن من الرياسة هيبنا وجوم من المكارم غيبنا
حلموه من بلدة نحو أخرى كي يوافوا به ثراه الأريضا
مثل حمل السحاب ماء طيبيا لتداوى به مكاناً مريضاً .»

وأما ثانيهم فهو واسطة العقد ، والذي يدور عليه كلامنا . والثالث هو الذي تقلد بعد أبيه (أبى الوليد) وزارة المعتمد بن عباد ، وانتقم لأبيه من ذى الوزارتين ابن عمار ، وكان أبو بكر هذا هو الذي تولى السفارة عن ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الأقصى حينما تنمر الاسبانيون مع ملكهم الإدفاوش (الفرنس السادس) لملوك الطوائف ، وخصوصاً لبي عباد في خلب يطول شرحه ، ولا يسع المقام تلخيصه .

من هو ابن زيدون ؟

هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخرومي الأندلسي . كان مولده بقرطبة في سنة ٣٩٤ أعى في الوقت الذي سرى فيه الانحلال في جسم الخلافة الروانية بالأندلس بعد أن بلغت من المجد نهاية النهايات ، وأدركت من الفصامة ما لا تصدق معه الروايات . في ذلك الوقت تحللت عرى الدولة ، فانقسم المسلمون على أنفسهم ، وتمخضوا ، واستنصروا أعداءهم على بعضهم بعضاً ، وسلموا البلاد والقلاع والحصون واحداً تلو الآخر إلى أعدائهم وأمدتهم بالمعونة على إخوانهم ، وهكذا حتى أودت تلك الفوادح بذلك الملك الكبير ، ثم أتت على القوم بأكلهم فأصبحوا خسرأ بعد عين . نتساءل عنهم بقولنا كيف وأين ؟ في تلك الأيام استظهروا على شهواتهم بجر ذيولها ، وامتروا بظالانها من أخلاف أباطيلها . حتى انتشت عصاهم ، ودارت بدائرة السوء . على الجهالة رحاهم .

كان ابتداء الاضطلال والانحلال من أول يوم جلس فيه المستعين على عرش الخلافة في منتصف ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ .

فقد كانت أيامه كلها كما وصفها ابن حيان الأندلسي « شداداً نكرات ، صعباً مشومات ، كرهيات المبدأ والفاخرة ، قبيحات المنتهى والحائمة ، ما فقد فيها حيف ، ولا ورق خوف ، ولا نم سرور ، ولا نقد شذور مع تغير السيرة ، وخرق الهيبة ، واشتمال الفتنة ، واعتلاء العصبية ، وظمن الأمن وطول الخماه ، دولة كفاها ذماً أنها تمخضت عن الفارقة الكبرى ، وآلت من التي بعدها إلى ما كان أعضل وأدهى . مما طوى بساط الدنيا ، وعفا رسمها وأهلك أهلها ، وإذا أراد الله شيئاً أمصاه . »

وكذلك لم يكن في المستكى أدنى كفاية للخلافة . وإنما أرسله الله على الأمة بحنة وبلية . إذ كان منذ عرف منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً عن كل حلية تدل على فضله ، عضته الفتنة فأملق ، وهان حتى أماته أهله ، ولقد رآه أبو حيان مؤرخ الأندلس المشهور أيام الحسف بأهل بيته في الدولة الموودية ولم يكن ممن لحقه الاعتقال منهم لركا كنه . كان يقصد أهل الفلاحة يومئذ بقرطبة أو ان ضمهم لملانهم يسألهم من زكاتها . قال « وقد أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الامارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ،

ولا أتمس . إذ لم يزل معروفاً بالتخلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب والبطالة ، سقيم السر والملايكة ، أسير الشهوة ، عامل الخلوة .

ذلك الوقت هو الذي أشار إليه ابن حزم بقوله :

« فضيحة لم يقع في الدهر مثلها ، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها ، يسمى كل واحد منهم بأمير المؤمنين ، ويخط له في زمن واحد : أحدهم خلف المصري بلشيبيلية على أنه هشام بن الحكم المؤيد . والثاني محمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء ، والثالث محمد بن علي بن حمود بمدينة مالقة ، والرابع إدريس بن يحيى بن علي بسبته ، تلك هي الأيام التي بنى العرب والبربر فيها في خصام مستديم ، وكان كل من الفريقين منقسماً على نفسه ، وكان الجميع في خلاف مع أهل المغرب الأقصى من الجنوب ، وفي حروب وخطوب مع بقايا الأمم الإسبانية من الشمال والعرب . في ذلك الوقت العصيب تفرق أهل الأندلس فرقاً . وتنت في كل جهة منها متغلب . وهم الدين عرفهم التاريخ باسم — ملوك الطوائف — وقد أرادوا أن يفتحوا أنفسهم وممالكهم فتقسموا ألقاب الخلافة ، كما تناهبوا أشلاءها . وكان منهم المعتضد ، والمأمون ، والمؤمن والمستعين ، والمفتدر ، والمعتمد ، والمعتد ، والموفق ، والتوكل . إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية . حتى قال في ذلك أبو علي الحسن بن رشيق بينين سارا سير الشمس ، وبقيا بقاء الدهر ، وهما :

« مما يزهدني في أرض أندلس سماع معتد فيها ومعتد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالمريحيك اتماخاً صولة الأسد . »

وكانت طرطوش ، وسرقسطة ، وإفراغة ، ولاردة ، وقلمة أيوب في يد بني هود . وكانت بلنسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز ، وكان الثغر أي ماموق طليطلة في يد بني ذى النون وكانت قرطبة في يد أبناء جمهور ، وكانت اشبيلية في يد بني عباد ، وكانت مالقة والجزيرة الخضراء ، وغرناطة في يد بني برزال من البربر ، وأما المرية فكانت في يد زهير العاصري الخادم ، ثم خيران العاصري الخادم ، ثم ابن صراح وكانت دانية وأعمالها والجزائر الشرقية (البليار) في يد مجاهد العاصري ، وكانت بطليوس وإبيرة وشنترين في يد بني الأوطس ، فلا عجب إذا كثرت الوزراء في تلك الأيام ، ولا عجب إذا كثرت أيضاً ذور الوزارتين ، فالناس على دين ملوكهم ، فكان كل من امتلك مائة كيلو متر مربعاً في مثلها يعد نفسه سلطاناً كبيراً . ويتخذ من الحاشية ما يضارع به أهبة الخلافة وقد كان عهدهم بها قريباً — فكثرت عندهم الوزراء ، وكثرت بينهم الذين يلبون أنفسهم بذى الوزارتين .

ومن الطبيعي أن الرياسة إذا انحطت من جلالها تمها المرؤوس في السقوط ، فلما تددت الخلافة في الانحلال صارت الوزارة أيضاً في درجات الهوان . فإن المستعين الذي ذكرناه قال بعد أن جاس تلى عرش الخلافة للناس أجمعين . ارتعوا كيف شتمتم ، وارتسموا بما أحببتهم من الحطط ، فتسمى بالوزارة مفردة ومثناة أراذل الدائرة ، وأخابث النظار ، فضلاً عن زعانف الكتاب والخدمة (عن ابن بسام)

وصارت هذه الرتبة تنحط مع انحطاط الدول ، حتى نزلت في أواسط القرن الثامن للهجرة إلى الدرجة التي وصفها لنا ابن فضل الله العمري حيث قال :

« سألت الشيخ العلامة ركن الدين أبا عبد الله بن القويوم رتبة الوزير بالمغرب ، فقال : ليست بطائل ، ولا لصاحبها شيء من الأسر . بل هو كالجوايش يخرج من قدام السلطان يوم الجمعة : حقيقة دون السمعة » وقد استبدت هؤلاء الرؤساء بتدبير ما تغلبوا عليه من الجهات ، وانقطعت الدعوة للخلافة ، فلم يبق لخليفة

هاشمي أو أموي ذكر على منابر الأندلس خلا أيام يسيرة دعي فيها بإشيلية لهشام المؤيد بن الحكم (أو لشخص شسبه له) حسبما اقتضته الحيلة ، واضطرّ إليه التدبير . ثم انقطع ذلك ، فأشبهت حال ملوك الأندلس بعد الفتنه حال ملوك الطوائف من الفرس بعد قتل دارا . وحال قواد الاسكندر بعد وفاته . ولم يزل هؤلاء الرؤساء في اقتتال وتحاذل ، يستعينون بعدوهم جميعاً فيبيل تارة إلى هذا وطورا إلى ذلك حتى اختلت الأحوال إلى أن تولاهم الضعف فاستنصروا بالمرايعين فاتظلم الشمل ، وعادت المياه لأرئبها . ولكن إلى أجل معين . ثم عاد الانشقاق والانقسام ، فأنحيت كلمة الاسلام ، وانطفأ ذلك النور ، وباد القوم عن أحرمهم في سنة ٨٩٧ هجرية . بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون . لأن دخولهم كان في سنة ٩٢ للهجرة على يد طارق يد زياد .

رفعت الستار عن هذا المنظر المحزن ليكون لكم ولأمة المشرق تذكرة وعبرة . خصوصاً في الأوقات الحاضرة ، والآن أقول لكم إنه على الرغم من توالي الفتن . واضطراب الأحوال كانت سوق الأدب رائجة وبصاعته نافعة . فكل أمير ، وكل وزير ، وكل كاتب ، وكل وجيه كان له من الأدب نصيب وافر . عرفنا من تقسيم الأندلس بين ملوك الطوائف أن بني جهور استبدوا بقرطبة وأن بني عباد استأثروا بإشيلية ، في المملكة الأولى درج دو الوزارتين ابن زيدون وترى وظهر فضله . وفي الثانية قضى بقية أيامه في العز والكرامة . وكانت بها وفاته في محرم سنة ٤٦٣ هـ على التحقيق الدقيق كما نس عليه . ماصره ابن بسام ولا عبرة بالأقوال الأخرى عن وفاته . لأن الذين قالوا بوفاته في سنة ٤٠٥ خلطوا بينه وبين أبيه غاب ابن زيدون .

اشتغل ابن زيدون بالأدب ، وطمس عن نكته ، وتقب عن دقائقه . إلى أن برع وبلغ من صناعتي النثر والنظم المبلغ الطائل . حتى قال فيه ابن بسام :

« كان أبو الوليد غاية مثور ومنظوم وخاتمة شعراء بني مخروم . . . الخ . »

وما هم أن أصبح في الأندلس « متم ذلك الحى ، وعاشق ولادة لامي ، زاد على مجنون ليلى ، وقيس لبي ، وابن أبي ربيعة صاحب التريا ، تركه هواه أنحف من قلم ، وأشهر من نار دلي علم . وله مع ولاده أخبار ما حكى مثلها ابن أبي عتيق ، ولا الاصفهاني عن سكان وادي العتيق ، ولا الأصمعي عن أهل ذلك الفريق ، أندى من نسيم الصباح ، وأرق من ربيق الغوادي في ثنور الأفتح »

وإذا تصفحنا دواوين الأدب عند الأمم الأخرى لا نجد له شبيهاً سوى تيبواس شاعر الرومان . وتنقسم حياة ابن زيدون إلى قسمين مهين (١) في قرطبة ، (٢) في إشيلية .

أولاً - في قرطبة : برع ابن زيدون في الأدب ، حتى كان أبو الوليد في الأندلس شبيهاً ومثيلاً لأبي الوليد في دولة المتوكل العباسي ، وقد سباه الناس بجمدى الأندلس ، واقد صدقوا . فن جملة المحفوظ عنه في صباه قوله :

أخذت ثلث الهوى غصباً ولي ثلث . . الخ

ثم هام بعد ذلك بحب ولاده بنت المستكفي الخليفة الأموي بالأندلس ، وكانت أديبة ، شاعرة ، جزلة القول حسنة الشعر ، تناضل الشعراء ، وتساجل الأدباء . وصهرت عمراً طويلاً ولم تزوج قط . جاءت على خلاف

أيها في كل أوصافها . فكانت مصداقاً لقوله تعالى « يخرج الحمى من البيت » وقد ابتذل حجابها بعد نكبة أيها وقله ، فصارت تجلس للشعراء والكتاب وتماثرهم ، وتحاضرهم ، ويتمتعها الكبراء منهم . وكانت على خلق جميل ، وأدب غصن .

وكان لابن زيدون معها أخبار تطرف القلوب ، وتشنف السامع ، لأنه خلق في هواها العذري عذاره ، وقد شهد المؤرخون كلهم لها بالهمة والسياسة . ولكن الشعراء في كل وادي يبيون ، فكيف لا يبيون بولاده أبو الوليد بن زيدون .

والمقام لا يتسع لاشعاره فيها وإشعارها إليه . ولكي آتاكم براموز ومثال ، واترك الباقي لمير هذا المجال . ودعها ذات يوم وأنشدها مرتجلاً :
« ودع الصبر محب ودعك . . الخ »
ثم قال :

« يانازحا وضير القلب القلب مشوا . . الخ »

ولما كان مجلس ولادة بقرطبة منتدبى لاجرار المصر . وفناؤها مملباً لجياد النظم والنثر . يمشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهافت أفراد الشعراء والكتاب على حلابة مسامرتها ، وهي مع ذلك محافظة على علو النصاب ، وكرم الأنساب ، وطهارة الآثواب ، وانفدطمع بمصم في الاستئثار بها دون ابن زيدون فنازه على حبها وزاجه في ودها رجل من رجال عصره ، وهو أبو عبد الله البجليوسي ، فكتب إليه ابن زيدون يزره بهذا الزجر :

« أيا عبد الإله اسمع . . الخ . »

ومنهم الوزير أبو عامر ابن عبدوس الملقب بالفار . وكان من أكابر رجال قرطبة ، فاغتاط ابن زيدون وبعت إليه هذه الأبيات :

« أثرت هزبر الشرى لاذ ربض . . الخ »

ثم كتب له رسالته المشهورة على لسان ولادة ، وقد عبث فيها به كما عبث الجاحظ في رسالته « الترييح والتدوير » بأحمد بن عبد الوهاب الكاتب في بغداد ، فاشتهرت رسالة ابن زيدون في المشارق والمغرب وهي التي شرحها كثير من أدباء المشاركة ، كابن نباتة والصفدى .

وشرح ابن نباتة قد طبع في مصر مراراً . وهو في غاية الحسن ونهاية الغائدة . وأما شرح الصفدى لهذه الرسالة فلم يصلنا . على أن ابن عبدوس لم يبتن عن محاولته . حتى تمكن من إيقاع الجفوة بين ابن زيدون وولادة ، واستأثر بها دونه ، فاغتاط ابن زيدون والتجأ إلى قريضة القارص ، فسمع الرجل بقوله :

« أكرم بولادة ذخرا لمدخر لو فرقت بين بيطار وعطار
قالوا أبو عامر أضحي يلم بها قلت الفراشة قد تدنومن النار
عيرتمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحب وما في ذاك من عار
أكل شهى أصبنا من أطايه بعضاً وبعضاً صفعنا عنه للفار.»

واقدم فاز ابن زيدون بنناه . من إقصاء الفار عن حماه . بل أن ولادة أخذت تمعبت بذلك الوزير . حتى لأنها صرت به ذات يوم في تربها وسربها ، وكان الوزير ابن عبدوس جالساً على داره يستنشق الهواء العليل ، وكانت أمام داره بركة تجمعت فيها مياه المطر ، والساق إليها هيء من أقدار الدار . وكان الوزير

جالسا في أبيته وعظمته وقد نصر كية ، ونظر في عطفه ، وحشر أعوانه إليه . فلما قربت منه ولادة نادته باسمه ، فهش إليها وبش ، واقترب من البدر فقالت له وهي تشير إلى البركة : يا ابن هيدوس :
 « أنت الحبيب وهذه مصر فتصدقنا فكلنا كما بجر . »

ثم نفرت كالظي الشارد وتركته حائراً باثراً . باهتاً صامتاً ، لا يحير جواباً ، ولا يبي خطأ ولا صواباً ، وهذا البيت لأبي تواس تمثلت به ولادة وتقلته هذا النقل الحسن من المدح إلى الهجاء .

غير أن هذا الوزير صبر حتى خلا جو قرطبة من ابن زيدون فاستأثر بولاده وعاش وعاشت حتى بلغا الثمانين وهما يتراسلان ويرتمان في بساطين الأدب ورياض العفاف .



لم يبلغ ابن زيدون الخامسة والعشرين من عمره حتى نبه ذكره ، وعمّ صيته . اصطنعه أبو الحزم بن جهور المتغلب على قرطبة ونواحيها وضواحيها ونوه به لأنه رأى في الآداب ، وعمدة الطرف . والشاعر البديع الوصف . ولما له بقرطبة من الأثوة السنية ، والوسامة والدراية ، وحلاوة المنظوم ، وقوة المعارضة ، والافتنان في المعرفة ، فكانت الكتب تنفذ من إنشائه إلى شرق الأندلس فيقول : تأتي اشبيلية كتبها بالنظم الخطير، أشبه منها بالمشور . ثم ترقى في وظائف الدولة القرطبية حتى صار إليه النظر على أهل الدمة . ثم رأى ابن جهور أهلاً للوزارة فراه إليها . بل جعله ذا الوزارتين ، فكان منه بمنزلة السيمير والوزير والمشير والسفير . فكم أفذه إلى ملوك الطوائف لأشور سياسية . ولحجرات تقتضيهما المعاملات والمجاهلات التي التي يوجبها ، أو يدعو إليها علاقته معهم أو مع ملوك الاسبانيين الذين كانوا يتربصون به وبهم دوائر السوء . فأحسن ابن زيدون التصرف في ذلك . وغلب على قلوب الملوك . حتى كان كل ملك يخطب وده . ويتنى أن يقيم عنده . ولكنه بعد انصاء مهمته يرجع إلى صاحبه بقرطبة وإلى مجالس أنسه بها . وهو به بأهلها في ذلك الوقت المصطرب بالعه الداخلية والخطوب الخارجية . كانت الجاسوسية لها أثر في مصالح الدولة ، وفي أحوال الأفراد .

ترك أمور الدولة وسياستها جانباً . وتقتصر على الدائرة التي ارتضينا لأنفسنا الجولان فيها وهي ميدان الأدب .

ونذكر حكاية تدل على الجاسوسية الفردية في تلك الأيام .

كانت بقرطبة جارية تتمشق فتي من القرشيين . وكانت لوجدها كاتمة . ولكن الخبر وصل إلى الوزير ابن زيدون ، فلم يعبأ به لأن القوم كلهم كانوا متفلقين في هذه السبيل .

وكانت الجارية تقول الشعر فجاشت نفسها بيت فذ وامتنع عليها ما تريد . وهذا البيت هو :

« يا معطشى عن وصال كنت وارده هل ملك لي غلة إن صحت : واعطشى . »

فجاءت إلى كبير الوزراء . وأمير الشعراء . وسأته أن يزيد عليه شيئاً وهي تظن أنه لا يعلم بما هي فيه من الغرام . فأمسك القرطاس واغتم فرصة الروى ، وما يعلمه من السر المطوى ، فكتب :

« كدوتني من ثياب السقم أسبغها ظلاماً وصيرت من لحف الضنى فرهى . »

.....

« جفتي إذا التدت الأجنان طيب كرى جفا المنام وصاح الليل يا قرهى . »

ومن تأمل أحوال الأندلسيين رأى أنهم كانوا يبالغون في التشبه بالشرقيين في كل ما اشتهروا به أو اشتهر

من أحوالهم ، فدانتهم وعمائرهم وقصورهم ومنازهم سموها بما اختاره الشرفيون في بلادهم كذلك حاكمهم في مجالس أسهم . وأما أقصر على ما يتعلق بابن زيدون وصحبه ، وأمهه لذلك مما كان في بغداد . كان في دار السلام الوزير المهلب المشهور ، والداضي التنوخي ، وقد بلغا من الكبر سناً عالياً . ولهما ذقون بيضاء تنهال على صدورهما ، وكانا يتماطبان في النهار أمور الدولة بماية الحشمة والوقار . حتى إذا جن الليل اجتمعا في مجلس المقار ، فكانا يشربان في أواني من البلور والنضار ، ولا يكتفیان بلذة الشراب ، بل يفسان أذقانهما في الأواني ، ثم يرش كل منهما الشراب بتلك الرشاشات الغريبة على صاحبه لثم لهما لذة السكر حسا ومعنى . باطناً وظاهراً ، ويستمرآن على ذلك طرفاً من الليل . حتى إذا جاء الصباح عادا إلى أشغالهما ، الوزير في تدبير الدولة ، وفاضي القضاء في النظر في الحصومات ، والحكم على منتضى الشرع ، واستمرآ على هذه الحال في معاورة المدام ، حتى وافاها الحمام .

فاسمعوا نظير ذلك في قرطبة . كان القاضي أبو بكر بن ذكوان ، من الجلالة باسمي . كان ، أدركته حرونة الأدب ، وله في العلم باع طويل ، وكان يقشبه في خلوته مع ابن زيدون ، بالداضي التنوخي مع الوزير المهلب ، وهناك ما شئت من دطابات ورقاطات ، وما نخلت من وكاهات ومجانات ، حتى إذا أصعبا ، ذهب دو الوزارتين إلى شأنه في ديوانه ، وبكر أبو بكر إلى مجلس الحكم بمنتضى الحق ، ومتى اقترب المساء عادا إلى النصف ، وتجاوزا في ميدانها كل وصف ، إلى أن سطا الدهر على أبي بكر .

واتفق أن مرّ ابن زيدون يوماً بامرئ بن ذكوان في لمة من إخوانه ، وجاءت من عمار ميسدانه ، فمظفوا عليه مسلمين ، فقال أبو الوليد بن زيدون مرتحلاً :

« انظر لحال السرو كيف تحال . . . الخ »



ففي أديب حر يصل إلى هذه المكنانة قبل أن يصل إلى الثلاثين من العمر ، فكيف لا يكون كما كان المنبي حرب الزمان والدمر . نعم فقد دبت عقارب الفيرة بينه وبين حاسدي نعمته وسعادته ، والمناظرين والأنداد فتألبوا عليه وتآسروا حتى انتهوا بإياعه في سراكهم ، ونجحوا لدى الأمير ابن جمهور فحبسه حبساً طالت مدته ، فكانت تلك السجون مثارا لشجونه ، فبعد أن صاغ لبني جمهور ولاسيما لأبي الحزم قلائد وخرائد ، كتب إليه من السجن أشعاراً ورسائل مختاره ، فاضت بها نفسه في التنصل والاعتذار والاستشفاع والاستعطاف ، ولكن المزاحمين له على مركزه في الدولة ، وعلى حب ولادة كانوا دائماً يفوزون ، فبقي في السجن مدة تنيف على الحسنة يوم .

كتب لابن جمهور تلك الرسالة البديمة التي طبعها أحد المستشرقين في سنة ١٨٨٩ . وهي التي شرحها العلامة صلاح الدين الصفدي .

ولقد زارته أمه في سجنه . نحاتها دمعها ، فقال يخاطبها من قصيدته اللامية التي وجهها إلى ابن جمهور مستعطماً :

« ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي . . . الخ »

وما أطف وصفه لنفسه ولوشاته في إحدى قصائده الطنانة :

« كان الوشاة — وقدم نيت بافكهم — أسباط بمقرب وكنت الذيبا . »

هذه الأحوال مضافة إلى نفس كبيرة تنعب في مراددا الأبدان ، شيبت رأس ابن زيدون وجعلته هرما قبل

الأوان ، فقد رأى الشيب في رأسه و عارصيه . وبكى على نفسه وقال من قصيدة أخرى يستمطف بها ابن جهور أيضا :

« لم تطو برد شبابي كبرة وأرى برق المشيب اعنلى في عارض الشعر
 قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كشب وللشيبه غصن غير مهتصر . »
 وفيها يقول بما يعرفنا بأنه عارف قدر نفسه :

« أحين رف على الآفاق من أدنى فخرس له من جناه يانع الثمر ؟
 وسيلة سبيا إن لا تكسر نسا فهو الوداد صفا من غير ما كدر . »

فدلنا بذلك على أن الشيب ألم برأسه وبلحيته ، قبل أن يصل إلى الثلاثين من عمره . وذلك مصداق لما ذكرناه من أنه بلغ مراتب العلاء وهو في سن الفتوة وريضان الصبا ، وذكر الصفدى أنه كان يخضب بالسواد . ثم أنه تحيل في الحرب ونجح . فلما خرج من السحن اختبى بقرطب . وأقام فيها متوارياً ، ثم نظم قصيدة طويلة يخاطب فيها ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر بن مسلم للشفاة ويستنزل أبا الحزم بن جهور وفيها يعرفنا أن مدة حبسه بلغت خمس سنين . قال :

« سنون من الأيام خمس قطعها أسيراً ، وإن لم يبد شد ولا ربط . »

والتصيدة طويلة جميلة جليظة ، ثم إنه مازال بأبي الوليد بن جهور يستشعر به إلى أيه أنى الحزم ، حتى شفع له وانتقله من نكبته وصيره في صنائه ، ولما ولي الأمر بعد والده توه به وقدمه في الدين اصطنع لدواته وجلله كرامة لم تقمعه ، رعموا . فلا غرابه إذا بكى واستبكي حينما مات أبو الوليد بن جهور الذي أذاقه من الحبس والعداب ألواناً . وقد وجد ابن سلام يحط ابن حيان هذه المرثية الدبيعة لابن زيدون و أبي الحزم :

« ألم تر أن الشمس قد صمها القبر الخ . »

ولكننا نعود إلى ولادة ونقساء هل نسي أبو الوليد ولادة ؟ كلا . بل عاد إلى التودد إليها والتعرب منها ، وكان يذكرها في قرطبة ويراسلها بأشعاره الرائعة القائمة .
 ذهب سرّاً إلى الزهراء يتأمل في محاسنها بوصفها بوله :

« لاني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً الخ . »

ثم أرسله أبو الوليد بن جهور سفيراً إلى حضرة إدريس الحسني بماتمة . فأطال البواء هنالك واقرب من إدريس وخف على نفسه ، وأحضره مجالس أسفه ، فعتب عليه ابن جهور وصرفه عن السفارة بينه وبين أسراء الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداحلة . إلى هنا انقضت أيامه في قرطبة ، فلقد خشي أبو الوليد أن يلاق من الوليد ما لاقاه من والده . وحينئذ صحت عريته على الهجرة من قرطبة والذهاب إلى المعتضد بن عباد باشبيلية . فلامه بعض اخصائه على ما اعتزمه من التحول عن وطنه وهجر أهله وخلاته ، فكتب إليه رسالة ضافية يعتذر فيها لنفسه ويتول من جلتها مانعه :

« وكنت أول حبسى قد وضعت من السحن في موضع قد جرت العادة بوضع مستورى الناس . . . الخ . »
 ولكن ابن زيدون كان قد ذاق من الدهر حلوه وحرماً فلم يرض لنفسه بالذهاب إلى إشبيلية دون أن يكون على ثقة من أسره . فلذلك كتب رسائل بديمة إلى بعض المرين من المعتضد ، ثم إلى المعتضد نفسه ، يمهّد السبيل إلى الهجرة . حتى إذا تحقق أنه سيتنزل في إشبيلية على الرحب والسعة أزمع الرحيل إليها ، وكان ذلك في سنة ٤٤١ للهجرة .



وافترق في وقت فراره من قرطبة إلى إشبيلية أن صادته عبد الأضحى ، فرأى الناس يتهجين بالعيد ، وهم يتزاورون ويتبادلون التهاني ، وهو شريد طريد ، ففاست نفسه بوصف حاله :

« خليلي لا فطر يسر ولا أضحي الخ »

فلما وصل إشبيلية . نزل على كنف المعتضد ، وأصبح من خواصه ومحابته يحالسه في خلواته ، ويرسله في مهم رسائله ، وولاه الوزارة وحفظ له لقبه « دا الوزاريتين » .

كان المعتضد جعل مجلسه محطاً من مجلس ابنه وولى عهده المعتضد بن عباد فكتب المعتضد لابن زيدون :

« أيها المسحط عني مجلساً وله في الدس أعلى مجلس

بفؤادي لك حب يقضى أن ترى تحمل فوق الأرواس .»

فأجابه ابن زيدون يشكره :

« أسقيط الطل فوق النرجس أم سيم الروض تحت الحدس ؟ »

ولكن هل أساء ذلك ولادة ومحاسنها . أم قرطبة ومساكنها ؟ كلا فلم يزل صاحبنا شموها بهذه وبذلك وأشعاره أكبر دليل على ذلك . فكما حانت له فرصة ، أو هياته نشوة ، قال فيهما أقوالاً تديب المواد .

فلقد تشوّق إلى قرطبة وساكنتها بقصيدة تدل على حنينها ولحن فيها ، فقال :

« على الشعب الشهدي مني تحية الخ »

وكان يبلغه عن بني جهور ما يسوءه في نفسه ونفرائته في قرطبة ، فقال يحاطبهم :

« بني جهور أحرقتمو بحفائكم مؤادي فما مال المدائح تعبق

تعدوني كالسبر الورد إنما نوح لكم أنفاسه حين يحرق .»

وأما أمداحه في المعتضد بن عباد فهي كثيرة جليل .

وقد كتب عنه إلى صهره الموفق أبي الخيش بن مجاهد المامري صاحب داية . والجزائر الشرقية المعروفة الآن بجزائر البليار :

« عرفت عرف الصبا اذهب عاطره الخ . »

قلت فيما تقدمت إن ملوك الطوائف كانوا منقسمين على أنفسهم ، وإن الحرب كانت دائرة بينهم فإليكُم مثالا واحداً مما يتعلق بان زيدون ، وذلك أن أخرب وقت بين المعتضد صاحب إشبيلية ، وبين ابن الأفلح صاحب بطليوس ، فانهزم ابن الأفلح هزيمة ذميمة ، وخسر خساره جسيمة ، فقال ابن زيدون يهني المعتضد :

« لبين الهدى إنحاح سعيك في الدنا الخ . »

هذا مع أن ابن زيدون سبق له مدح ابن الأفلح بمدحة شراء في قصيدته التي يقول فيها :

« لبيض الطلي ولسود اللعم الخ . »

ولا غرابة في ذلك ، فالملك عظيم ، وقصارى السياسة تقضى بالتبديل من حال إلى حال . خصوصاً إذا انقسمت أمة من الأمم على نفسها وخاضت في غمار الخطوب والعقن ، وفوق ذلك ، أفليس التقلب من مديح إلى هجاء ومن ملام إلى سلام ، هو سجية من سجايا التمرأ الكرام وغير الكرام .

فلما مات المعتضد بن عباد وتولى الملك ابنه المعتضد بن عباد كان لابن زيدون عنده تلك الكرامة وهذه الحفاوة ، تدل على ذلك شهادة التاريخ ويؤيدنا قول ابن زيدون نفسه في وثاء المعتضد ومحاطبته روحه بعد دفة :

«أعباد ! يا أوفى الملوك لقد عدا ، عليك زمان من سجيته الغدر.» الخ

ومن المعلوم أن ابن زيدون هو الذي دبر دولة المعتضد وأظهر صواته وأغراه بأعدائه ، وزين له الايقاع بعالمه ووزرائه . فندا شجحا في صدورهم ، ونكدا في سرورهم . فلما آل الأمر إلى المعتضد ، قام حساده وخصومه وسعوا لديه في النكايه به ، ثم رموا إليه برقمة فيها قصيدة طويلة أولها :

« يا أيها الملك العلي الأعظم اقطع وريدى كل باغ ينثم !

واحسم بسيفك داء كل منافق يمدى الجميل . وضد ذلك يكتم !»

وهي قصيدة طويلة تتألف من ٢٧ بيتاً كلها اغواء بابن زيدون على سبيل التصريح المفهوم . ولكن المعتضد كان أعقل من ابن حمور . فلم يصغ لتلك الحيلة ، ولم تنفع لديه تلك السمايه فقال في صدم ورد كيدم في نحرهم :

« كذبت مناكم : صرحوا أو جمعوا . . . الخ .»

فلما بلغ ابن زيدون ما راجعهم به ، وتحقق حسن مذهبه ، وعلم أن حيلتهم قد أخفقت ، وسمايتهم ما نفقت ، وسهامهم تبرعت ، ومكائدهم تعددت وتوزعت ، قال يمدح المعتضد ويعرض بأعادييه بقصيدة طويلة مطلعها :

« الدهر إن أملى فصيح أعجم . . . الخ .»

واستقرّ المعتضد به في وزارته ، وكان أحد وزراءه الثلاثة الأكبر المشاة وزارتهم . (أى أحد الثلاثة الذين يلقب كل واحد منهم بدي الوزارتين) والآخران هما ذو الوزارتين ابن عمار ، وذو الوزارتين ابن خلدون (جد صاحب التاريخ المشهور) .

خرج الثلاثة في أحد الأيام من إشبيلية إلى منظر (قصر خلوي) لبي صاد بموضع يقال له القنت (تقريبا لفظ اساني) وهو منزه تحف به مروج مشرقة الأنوار ، متنسمة الأنجاد والأغوار ، متنسمة هن تمور النوار . . . في زمان ربيع سقت الأرض السحب فيه بوسمها ووليها ، وجعلتها في زاهر ملبسها وباهر حليها ، وأرداف الربى قد تأزرت بالآزر الحضر من نباتها ، وأجباد الجداول قد نظم النوار قلانده حول لباتها ، ومجامر الزهر تمطر أردية النسائم عند هباتها ، وماك من البهار ، مايزرى على مدامن النضار ، ومن الترجس الريان ، مايزرأ بنواص الأصفان ، وقد نوا الانفراد للهو والطرب ، والتنزه في روضي النبات والأود ، وسنوا صاحباً لهم يسمى «خليفة» هو دوام لذتهم ، ونظام مسرتهم ، ليأبتهم ببنيذ يذهبون لهم يذهب في حين زجاجه ، ويرمونه بما يقضى بتحريكه للهرب عن الدلوب وإزعاجه ، فجلسوا لانتظاره ، وترقب عوده على آثاره ، فلما بصروا به متبلا من أول الفج بادروا إلى لغائه وسارعوا نحوه . وانفق أن فارساً من الجند رك فرسه فصدمه ، ووطئ عليه فهشم أعظمه ، وأحرى دمه ، وكسر قصال (١) النبيذ الذي كان معه ، وفرق من شملهم ما كان الدهر جمعه ، ومضى على غلوائه راكضاً حتى خفي عن العين ، خائفاً من متعلق به يحين بتعلقه العين ، وحين وصل الوزراء إليه تأسفوا عليه وأفاضوا في ذكر الزمان وعدوانه والحطب وألوانه ، ودخوله بطوام المضرات ، على تمام المسرات ، وتكديره الأوقات المنعمات ، بالآفات المؤلمات ، فقال ابن زيدون :

« أتلهو والحطوف بما مطيعة ونأمن والمنون لنا مخيفه »

فقال ابن خلدون :

« وي يوم وما أدراك يوم مضى قصالنا ومضى خليفه »

(١) القصال كلمة يستعملها المغاربة والأندلسيون بمعنى جرة النبيذ ، وهو إناء من الفخار .



قال ابن عمار :

« هما غفارتا راح وروح تكسرتا فأشفاق وجيفه »

ولابن زيدون مدائح في المعتمد بن عباد كلها درر وغرر ، وآيات بينات ، وله معه مباحث ومطارحات ومساجلات ، فتارة يشوقه إلى تعاطي الحيا في قصوره البديمة ، وتارة يرسل له التفاح ويكتب عليه الأشعار ، يدعو إلى تناول العفار ، وتارة يهنيه ، وأخرى يمدحه ، وله بيتان قد بلما حسد الإبداع في هذا الباب . قال يخاطبه :

« مهما امتدحت سواك قبل فاعما . مدحى إلى مدحى لك أستطراد

يفضى الميادين الفوارس حقبة كيما يعلمها النزال طراد »

فما أحسن هذا التنصل بالتمرن على المدح ، حتى إذا أجاد وبلغ المراد أهدي ثمرته إلى ابن عباد . هذه قطرة من بحر من بحور شعر ذلك الفرد ، وأما نثره فشيء سيد حصره ، ومما يجمله كثيرون أنه ألف كتابا في التاريخ وجمله ابن حرم من مفاخر الأندلس ، وقال إن أبا الوليد بن زيدون ألف كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب التبيين في خلفاء المشرق للمعدي ، وقد نقل صاحب «مع الطيب سطرأ أو سطرين عن هذا الكتاب الذي لم يبق له أثر ولا عين .

وما زال ابن زيدون يتشوق لقرطبة ولمن فيها ويعمل لدى المعتمد بن عباد حتى جعل قرطبة منتهى أمله . فسمى في مداخلة أهلها . ومواصلة ذوى الكلم فيها لأنه رأى عدم العائدة والمكايده لاستمساك أهلها بدعوة الخلافة وأفتهم من زوالها عنهم وانطماس رسومها في بلدهم ، فلما فاز بالمرام وانتظمت تلك العاصمة الضحمة في ملكه ، ذهب إليها مسرعا واهتم بتدبير شؤونها ، هنالك جاشت نفسه بالفخر على سائر ملوك الطوائف قال :
« من للملوك بشأوا الأصيد البطل . . . الخ . »

أما ابن زيدون ، فقد عاد قرير العين إلى وطنه وأهله ، وكانت له شبيه كبيرة في قرطبة ، فارتفع جده ، وزاد لإقبال الدنيا عليه وبلغت حظوته عند المعتمد درجة لا يطعم فيها .

حينئذ سمي في هلاكه صاحبا ، ابن مرتين وابن عمار ، وتلطفا في إيماده وإبعاد ابنه من بعده ليحلوا لهما الجوى ، ولينفردا بالاستئثار بابن عباد ، ولقد ساعدتهما الظروف .

وقد وقعت فتنة في إشبيلية واضطر ابن عباد للتعجيل بإرسال جيش كثيف إليها تحت قيادة ابنه سراج الدولة بن عباد ، فسول ابن مرتين وابن عمار لابن عباد أن يرسل ابن زيدون مع سراج الدولة وتلطفا في تفهم السلطان أن دهاب ذى الوزارتين فيه حقن للدماء ، وحفظ للنظام ، لما له من المسكاة العالية والجماء الربيع ، ولأنه محبوب لدى جميع القلوب ، ثم وسوسا له بأن المصلحة كل المصلحة هي في وجود ابن زيدون الوزير الماقل المدرب المحكم المحبوب بجانب سراج الدولة الذي هو قررة عين الملك ، ومطمح الأنظار لبقاء البيت العبادي ، وما زال الرجلان ينسجان على هذا المنوال حتى أفلحا خصوصا لعقاب ابن زيدون في مرض أزمه البيت .

صدر إليه الأمر بالذهاب ولم يمهله السلطان في التوقف لما به من الآلام ، فخرج منها مع الحاجب سراج الدولة بن عباد والجيش متوجهين إلى إشبيلية ، وكان ذلك يوم ١٣ ذى الحجة سنة ٤٦٢ ، وحلف في قرطبة ابنه الوزير الكاتب أبا بكر بن زيدون ، ولكن صاحبتنا (ابن مرتين وابن عمار) مازالا يميلان لدى ابن عباد حتى صدر الأمر إلى أبي بكر بن زيدون أيضا بان يلحق بابيه في إشبيلية . حينئذ خلا لهما الجو فاستأثرا بالأمر كلها وانفردا بتدبير الدولة بلا مشارك لهما في اهوائهما ولا معارض

لهما في اغراضهما ، وكان روال دولة ابن عباد كان مقداراً على يد هذين الرجاءين فان مرتين ، يكنى في التعريف بمراميه أنه ابن مرتين أي أنه من أصل غير عربي ، فان جده رجل إسباني ، وأما ابن عمار فقد أنكر فضل ابن عباد ، وشق عصا طاعته ، وسمى في المساد والحراب ، وخرق اليهود ، وخان وأتعب ابن عباد حتى أوهى دولته ، على ما هو معروف مشهور .

أما ابن زيدون وهو في إشبيلية ، فلم يطل الأندلس به بعد خاق أبه به ، وكأنه جاء ليكفنه ويدفنه بها في صدر رجب سنة ٤٦٣ هـ ، حيث تولى منه كهل أن يحافظ الدهر مثله جلالاً وبياناً وروعة وظرفاً . وهو عند أول التحميق والنظام أمد طمعا ، وأحث عنداً ، فلا يلحقه تقصير ، ولا يحشى وهناً ، ولما وصل خبره إلى قرطبة ، وله فيها تشرة كبيرة وأشياء كثيرة ، تنازعه وحرثوا عليه لأنه كان منهم ، هاوياً إليهم ، حذوا عليهم ، وليحه حير بينهم وبين سلطاتهم اخذت الولاية .

أراد السلطان أن يترصاه فأرسل لابنه (أي أنى بكر ابن زيدون) وقرنه إليه ، ورفاه في مراتب والده حتى أحطاه بلورارة ومد اشتم هذا مرضه ما وقع من دى الوردتين ابن عمار من الخروج على ابن عباد فأوغر صدر ابن عباد عليه ، وما زال يسأل لديه حتى كان سبأً في هلاك ابن عمار على ما هو معروف مشهور .

اتمنى الكتاب



تم طبعه « بشركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده » في يوم الخميس ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ (٤ اغسطس سنة ١٩٣٢) م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي



القوافي من ديوان ابن زيدون (١)

صفحة		صفحة	حرف الألف
٢٥٣	لأنت الذي نفسي عليه تذوب	٧٥	فاقن شكرا وعزاء
٢٥٩	يا قمر الديوان ، والموكب	٧٧	ونلت عافية الشفاء
٢٦٤	يا راحتي وعذابي	(٧٧)	(فيه حكيمى أو قضائى)
٢٦٩	قد ضاق لى - فى حبك - للذهب	٢٢٩	وهل يملك الدمع المشوق المصبا
٢٦٩	سوى أنى محض الهوى صادق الحب	٢٦٠	حين يجلو بلطفه السخناء
٢٧٣	أم لسا كيك طيب	(٢٨٥)	(يعدل فى الأرض وفى السماء)
٢٧٥	وما فى الحق غصي واجتنانى	(٣٨٧)	(ونفسي منه السنا والسنا)
٢٧٦	يا ليت غاب ذلك العهد قد آبا		
(٢٨٦)	(يختطف الناس عن قريب)		حرف الباء
(٢٨٧)	(وما آجتما ولا أقرقا إهاب)	١٩	يا دمع صب ما شئت أن تموبا
(٢٨٩)	(عن الميان فكنونى أبا المعجب)	٣٤	تحملها منه السلام إلى العرب
(٣٢٥)	(فقلت لهم إن الشكول أقارب)	٤٠	فيقصر - عن لوم الحوب - عتاب
(٣٧٠)	(نادى لفقد حبيب النفس واحربا)	(٤٠)	(خير بأدواء النفوس طيب)
(٣٧١)	(رقد صادقني طرف كحيل وحاجب)	٦٠	زمننا ، فكان السجن منه ثوانى
(٣٧١)	(وبجر له فى المكرمات عباب)	٦٩	فصلى بفرعك ليلاك الغريبا
(٣٧٢)	(وللقلب فى حين النداء - وجيب)	٩١	يامن تزينت الرياسة حين ألبس ثوبها
(٣٧٨)	(ومن يلتذ غفران الذنوب)	(٩٦)	(زارى وأندرك لب شرذبيبه)
(٣٧٩)	(فأمضى عزمى أم أعوج مع الركب)	(١٧١)	(فعذب ساكنيه وعذبوه)
(٣٨٥)	(وردتلقك العتي حجابا من العتب)	(٢٣٠)	(وليل أقاسيه بطىء الكواكب)

(١) كل ما وضعناه بين قوسين هو لير ابن زيدون .

صفحة

صفحة

- فهز - من الهوى - عطف ارتياحي ١٥٨
وَأَنْتَ عَلَى الزَّمانِ مَدَى اقْتِرَاحِي ٢٦١
(وَأَنْتَ فِي سُلُوكِ فِي انْتِزَاحِ) (٣٧٣)
(أَمْدِيكَ يَا فِتْنَةَ الْجَنَانِ وَالرُّوحِ) (٣٧٣)
(أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ قَرِيحًا) (٣٧٨)
(وَعَذْرُكَ إِنَّمَا عَاقِبَتُ أَجَلِي وَأَوْضَحُ) (٣٨٤)
(لِنَقْصَرِ عَنْهُ طَوَالَ الرِّمَاحِ) (٣٩٣)

حرف الدال

- (مَجَادٌ بِالْقَهْوَةِ وَالرُّودِ) (٣٩٢ و ٦٠)
(فَكَانُوا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي) (٦٨)
وَلَمْ تَجْهَلْ مَحْلَكَ مِنْ فَوَادِي ٧٤
فَلَهُ مِنْ أَجْلِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ٧٨
(قُلْتُ : أَمْرَانِ هَيْنَ وَتَشِيدِ) (٨٦)
وَفَدَتْ خَيْرَ وَافِدِهِ ١٦٥
مَهَاةٌ حَمْتَهَا - فِي مَرَاتِمِهَا - أَسَدِ ١٧٧
لَوْ سَاعَفَ الْكَافَ الْمَشُوقَ مَرَادِ ١٩٧
(وَأَنْتَ أَمْرٌ عَافِي أَنَا نَكَّ وَاحِدِ) (٢٠٤)
(ضَرَبْتَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْإِسْدَادِ) (٢٠٦)
(جَهْلًا بِنَا وَوَلَدْتَ عَبْدًا) (٢١٠)
(يَفْحَصُنَ بِالْمِعْرَاءِ شَدَا) (٢١٠)
(وَأَنَّ رَاحَ صَنَعَ اللَّهُ نَحْوَكِ وَأَغْتَدِي) (٢١٦)
(مَاطِلٌ فِيهِ سَمَاكِي وَلَا جَادَا) (٢١٩)
كَلْشَرَابِ الْعَذْبِ فِي نَفْسِي الصَّدَى ٢٢٣

- (ارمأح قومي بالعداة لواعبا) (٣٩٣)
(كفاه بخلت السحاب) (٣٩٥)
(يرتاح فيها باصطياد أرناب) (٣٩٦)
(رجاك على بعد فأصبح ذا قرب) (٣٩٦)
(وما أحصى صوابه) (٣٩٩)
(ذهبوا من الاغراب أبعد مذهب) (٤٠٠)

حرف التاء

- وقد خفقت في ساحة النصر رايات ٦١ و ٣٩١
وَأَعْزَلَ عَنْ رِضَاكَ وَقَدْ وَلَيْتَ ٢٦٦
(جداول ماء أرسلت فأسطرت) (٢٠٩)
(ليس من الوحش ولا النبات) (٢٨٧)
(عن فوادي دجنة الكربات) (٣٩٢)
(وللني من منايهن غايات) (٣٩٩)

حرف الشاء

- وَأَوْفَى لَهُ بِالْمَهْدِ إِذْ هُوَ نَاكْتُ ٢٧٧
حرف الجيم

- (قلبي لها أحد البروج) (٣٨٩)
(يا بدر الدياحي) (٣٩٢)

حرف الحاء

- فما حال من أمسى مشوقا كما أضى ٥٤
تصبي ، وإعطاف نشاوى صواح ٨٩
(وأخذني الحمد بالتمن الربيع) (٩٦)

صفحة	صفحة
(٣٩٠)	٢٢٣ فالقلب منهن والاحداق والكبد
(٣٩٤)	٢٤٩ ادناؤك الأمل البعيد
(٣٩٥)	٢٤٩ وهادما بكل وجد
(٣٩٩)	٢٥٠ وأقبس هديك نور الهدى
(٤٠٠)	٢٥٣ لديك فاشكو بعض ما أنا واجد
	٢٦٢ وزهدت فيمن ليس فيك بزاهد
	٢٦٤ يا سوء ما لقي الفؤاد
	٢٦٨ وأصابتك بمالم أرد
	٢٧١ ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
	(٢٧٤) وبلفت من ظاهي المدى
	(٢٧٨) وواصل جيل صدى
	(٣١٧) (ولإن النبي عارية فتزود)
	(٣٢٦) (وتعرت ذات يوم تبترد)
	(٣٧١) (إذا خفيت طرق العرائس عن أسد)
	(٣٨٥) (متى يختبر غيبه محمد)
	(٣٨٦) (وفي خلدي ما فيه من لوعة الوجد)
	(٣٨٦) (فتفك عنه للأسى أصفاد)
	(٣٨٧) (وحاضرة في صميم الفؤاد)
	(٣٨٧) (وكان ساعدك الوثير وسادي)
	(٣٨٨) (كواكفات الغوادي)
	(٣٨٩) (فلا جعلن مكانه وردا)
	(٣٨٩) (وكم عقني عن دار أهيف أغيد)
	(٣٨٩) (فعض به تفاعه وأجتني وردا)
	(٣٩٠) (ولأوجدت مناخطوب النوى بدا)
حرف الراء	
(٣٣)	(ملكا يحسنه الخليفة جعفر)
٣٨	لما جرت بالذي تشكوه أقدار
٥٨	كمثل هوى في حال الجوار
٦١	وأمرضت حسادي، وحاشاك أن تبرى
٩٢	إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر
(٩٢)	(إما من الطول أو من القصر)
٩٨	وفاضح الرشا الوسنان إن نظرا
١١٩	مضمخة الأنفاس طيبة النشر
١٤٠	فمن شيم الأبرار - في مثلها - الصبر
١٥٠	وأن قد كفانا فقدنا القمر البدر
١٥٢	عذارى دونه ريق العذارى
١٦٨	واطلع كما طلع الصباح الزاهر
١٧٠	غصن أثمرت ذراه بدر
١٧٤	فمن شيم الأبرار في مثلها الصبر
(٢٠١)	(بأن المرء لم يخلق صباره)
(٢٠٥)	(تروح بالخورتق والسدير)

صفحة	صفحة
(٣٧٦) (وقصرت أعمار العداة على قسر)	٢٤٤ ما أبرزته غرائز الفكر
(٣٧٦) (وقد زهرت فيه الأزاهر كالزهر)	٢٤٨ وقر بك من دون البخور معطر
(٣٧٧) (ماذا يفيد عليك البعث والحذر)	٢٥٤ واجتل التأيد في أبهى الصور
(٣٨٠) (والنجم قد صرف العنان على السرى)	٢٥٩ إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير
(٣٨٧) (ومن منال قصى السؤل والوطر)	٢٦٧ قلبي عليك يقامى الهم والفكرا
(٣٨٩) (وبصاره الغرة الزاهره)	٢٦٨ واختيارى إن أخير
(٣٨٩) (ووجهك أملح في ناظرى)	٢٧٢ لا كتفين بسماع الخبر
(٣٩٠) (والوجد قد جل فما يستر)	٢٧٢ وارضى بتسايمك المختصر
(٣٩٢) (وأقترن الليل بالنهار)	٢٨١ مدى الدنيا مظفر
(٣٩٣) (وقنمت وجهك بالمغفر)	(٢٩٨) (وعشرته مشكورة وَعشائره)
(٣٩٤) (كفى به فدعاني فضله الظافر)	(٣٠١) (حرف لفصل اللفظ مقدور)
(٣٩٦) (يسرى إلى غرته السارى)	(٣١٧) (ويبقى من المال الأحاديث ولذكر)
(٣٩٦) (ولم ألف في بحر نعام زجرا)	(٣٧١) (غرست أشجارها مستجزل الثمر)
حرف السين	(٣٧١) (فيها السرى إلا برأى مقمر)
١ يجرح الدهر ويأسو	(٣٧١) (ووصل كظل الروض تعطيكه نورا)
(٩٣) (للشيب عذرا في النزول براسى)	(٣٧١) (يناقضه سنا البدر)
٩٨ وقد آن أن ترع الأكوؤس	(٣٧٣) (إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير)
١٠٦ أطول عمر يبهج الأنفسا	(٣٧٣) (ويقصر أن لاقيتها أطول الدهر)
١١١ ويظلم لى النهار وأنت شمسى	(٣٧٤) (من أفق من أنا فى قلبى أشاطره)
(١٩٣) (بها أتر منهم جنى ودارس)	(٣٧٤) (وتصبر عنه ولا يصبر)
(٢٤٧) (أم نسيم الروض تحت الحندس)	(٣٧٥) (ومقلة تنفت بالسحر)
(٢٩٧) (وارع إذا المرء أسا)	(٣٧٥) (وإن فؤادى - والإله - صبور)
	(٣٧٥) (ويأمرنى ، إن الحبيب أمير)



- صفحة
- ١٨٤ بنعيك أن الدين من بعض ما نعى
- (٢٠٩) (تفرع لمتى شيب فظيع)
- (٢١٠) (وهز المشرفية والوقوع)
- ٢٦٣ ومشير كامنة الدموع
- ٢٦٥ محضا ولام به الواشي فلم أطمع
- ٢٧٠ وسبيل الهوى وقصد الولوع
- (٢٧١) أناديك لما عيل صبرى فاسمعى
- ٢٧٩ سر إذا ذاعت الأسرار لم يدع
- (٣٧٨) (ويا واحدا فاق الخلاتق أجمعا)
- (٣٢٨) (نفيس لا تمار ولا تباع)
- (٣٧٣) (يعنوله ملك الزمان ويخضع)
- (٣٨٦) (بأن ليس فى حى لغيرك مطمع)
- (٣٨٨) (ألا غفر الرحمن ذنبا تواقمه)
- (٣٩٣) (وشادنا فى مهجتي يرتع)
- (٣٩٧) (وتنهه القلب الصديق)
- (٤٠٠) (كلما أعطى تديبا نزعا)

حرف الفاء

- لنا، هل لذات الوقف - بالجزع - موقف ٢٣
- (٢٠٤) (تخوفنى الأعداء والنفس أخوف)
- ٢٦٨ أنا مستودع لعلق شريف
- ٢٧٨ ذكرك منى بالأفاس موصول
- ٢٧٩ يا من تناهيت - فى الطافه - نجفا

- صفحة
- (٢٩٨) (بأنس السماع وحسو السكؤوس)
- (٣٩٢) (نقى للعدم عن الناس)
- حرف الشين
- هل منك لى غلة إن صحت «واعطشى» ٢٨٠
- حرف الصاد
- (فى غير ذلك من الأمور أرخص) (٦٨)
- حرف الضاد
- نشب وافر، وجاه عريض ٨٢
- ونبهته اذهدا فاغتمض ٢٣٧
- (كراكب فى السماء تبيض) (٣٧٤)
- (وهب لنا التغميضا) (٣٩٤)
- حرف الطاء
- وشط - بمن نهوى - المرار وماشطوا ١٣
- حرف العين
- (يوما وصلنى ساءه) (٢٢)
- وخذ - فيما ترى - أودع (٦٦)
- ذهب الفؤاد فليس فيه براجم ٧٩
- (نفيس لا تمار ولا تباع) (٩٧)
- عارض كرب بلطفه رفعه ١١٨
- (بعقبى الدواء مطامعه) (١١٨)
- أم فى المثات التي قدمت منتفع ١٣٠
- (من الدهر حتى قيل لن يتصدعا) (١٤٥)

- صفحة
- (٣٨٨) (ومشرقة من خلال الحلاك)
- (٣٨٩) (وتانس بذكرها في انفرادك)
- (٣٩٢) (فتغيب مسرعة لذلك)
- (٣٩٢) (سكران من خمر اشتياقك)
- (٣٩٣) (فبدا لطرفي أنه فلاك)
- (٣٩٤) (مقالة لم تشب بإفك)
- (٣٩٤) (ومخلفا أعهدكا)
- (٤٠٥) (ولحت من طرق الملاح شباكي)
- (٤٠٨) (ردت الروح علي المضي معك)

حرف اللام

- (٣٢) (رحال عن الباب الذي أناداخله)
- ٥٧ فديتك واعتزرت علي ذليل
- ٦٢ أم عهدنا البدر يجتات الحلل
- (٦٨) (سهام العدا عنى فكنتم نصالها)
- ٩٩ وموردهم حيث الدماء مناهل
- (٩٩) (نهال وأسباب المنايا نهالها)
- ١٠٥ تخالط لون المحب الوجل
- (١٠٨) (لَوَ أَبصره الواشى لقرت بلابله)
- ١١٢ ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل
- (١١٥) (فلا تمصر ماء الصنيعة بالمطل)
- ١٢٠ وحدى - فى رجائكم - الكايل
- ١٣٩ لا تخش منى نسيانا ولا بدلا

- صفحة
- (٢٩٣) (وصول ليس بالجافى)
- (٣٧٠) (فلست على العلات منها أهاكف)
- (٣٩٣) (فإن الهوى مابه منصف)
- حرف القاف
- (٤٩) (على الصديق والعدو صدقه)
- ٦٠ جناني ، ولكن المدائح تعبق
- (٢٠٠) (وما المرء إلا عهده ومواقفه)
- والأفق طلق ومرأى الأرض قدراقا ٢٥٧
- (٣٧٤) (فنظلل نصبح بالسرور ونعيق)
- (٣٧٥) (كأه الصبح تحته شفق)

حرف الكاف

- ٩ فيميل - فى سكر الصبا - عطماك
- ١٢ ذائع من سره ما استودعك
- ١١١ بكل السننا جلالك
- ١٣٦ واطلب فسعدك يضمن الإدراكا
- ١٤٧ دعهم فشانهم غير شانك
- (٢١٧) (كلاهما ذو أنف ومحك)
- ٢٦٦ أم كيف أخلف وعدك
- ٢٧٠ لا تظهرى بخلا بمود أراك
- ٢٧٢ الا بوصل قصرك
- (٣٧٥) (لا تتركنى - هكنا - هالكا)



صفحة	صفاة	صفحة	صفاة
(٣٧٤)	(كل نبل أناله لى قلىل)	١٤٩	وحز المنى وتنجز الأمالا
(٣٨٨)	(ههيات جاء تكم مهدياة الدول)	١٥٣	ولدولة العلباء كيف تدال
(٣٨٩)	(سفها وهل يثنى الحللم الجاهل)	١٦٥	فى المنظر الحسن الجمبل
(٣٩٠)	(إلى محب هأم مثله)	(١٦٦)	(والمرء يعجز لا الحوئل)
(٣٩٠)	(فشوقى صحىح وجسمى علبل)	١٦٧	كم لها من ألم يدنى الأمل
(٣٩٣)	(وبالسلف والرمح أمضى قتال)	١٦٩	ققد لقح التشوق عن حبال
(٣٩٤)	(منى على خلقتك الجمبل)	١٩٥	وحال تبجنىك دون الحلبل
(٣٩٦)	(قنصت فىها أراننا وحجل)	٢٢٤	ومطلمها من جلوب الحلل
	حرف الملم	(٢٤٢)	(يا دهر أف لك من خلبل)
٣٥	رىح معطرة النسىم	٢٦٩	لقد ققت - فى الحسن - بدر الكال
٥٠	والمنى فى هبوب ذاك النسىم	٢٦٣	وىشفى وصالك قلبى العلبلا
٧٦	وعلقى أنت بها عالم	٢٤٨	وسوغت دأبا نساء الأجل
١٢٢	بعقلى - مذبذبن عنى - لم	٢٧٥	يا حائر الحكم أفضده بمن عدلا
١٨٨	ىعطى اعتبارى مادهمات فأعلم	٢٧٥	لا ولا ذاك التجنى مللا
١٩٢	إذ العىش غض والزمان غلام	٢٦٩	ىملاً عىنبى من تأمل
٢٤١	عن القصد إن أعباك منه مرام	٢٨٠	ىعبل - مع الزمان - كما ىعبل
٢٤٣	علبنا أذمة لا تدم	(٢٩٢)	(ولسكن على أثر المسىر قفولها)
٢٧١	يا من ىصح بقلتبىه وىسقم	(٢٩٢)	(ولبس علبه فى النكاح سببل ؟)
٢٧٦	زكت ، وصى وادى العقق سلام	(٣٧٠)	(ولإلى لما ىهوى الندامى لفعال)
٢٧٩	قام بك العذر فلا لأم	(٣٧٠)	(فأنا الذى لست بسال)
(٢٩٢)	(كما باهت بصحبته الكرام)	(٣٧٢)	(إلى أن بدت للصبح فى اللبل أعمال)
٣٠٣	ومرويا لسكل لهضم		

صفحة	
(٢٢١)	(بدور الزمان واسد العرين)
٢٦٥	ودعوت من حنق عليك فأمنا
٢٦٧	واستحدث القلب شوقا بعد سلوان
٢٧٠	سأحفظ فيك ما ضيعت مني
٢٧١	حسب المقيم أنه قد أحسنا
٢٧٣	وحططتني ولطالما أعلمتني
٢٧٣	وعن تمادى الأسى والشوق سلوانا
٢٧٦	لو كان ساحخي في وصله الزمن
٢٧٨	وقضينا الذي علينا وزدنا
٢٧٨	من الحسن فنون
(٣٧٥)	(يسلو - وإن سئل السلو - ضنين)
(٣٧٦)	(فقد فقت للمالك في معان)
(٣٨٨)	(أو روضة مسكية الريحان)
(٣٩١)	(إذ لا كتاب يوافيني فيحييني)
(٣٩٣)	(من فارس شهم الجنان)
(٣٩٥)	(من المجد فاحتل غير القنن)
(٤٠١)	(أو يرجع القول معناه فيغنينا)
(٤٠٢)	(تشجى لواديك أو تشجى لواديننا)
	حرف الهاء
٢٥٨	انستك دنياك عبدا أنت دنياه
٢٦٦	ومستغشا لنا صحيه
(٢٨٨)	(فاق ذكاء فخاله من شبويه)

صفحة	
(٣١٧)	(من العيش أن يلتقي لبوساً ومطعماً)
(٣٢٩)	(أخت بني الأكرمين من جشم)
(٣٣٢)	(إلا لتوهن قوة العظم)
(٣٧٠)	(إلا الظلوم المظلم)
(٣٧٠)	(وأوقد في الأعداء شر ضرام)
(٣٧١)	(وقد خلقت لها في مجالس الكرم)
(٣٧٤)	(فان فؤادي بالمعالى لهائم)
(٣٧٨)	(طعمين منه أرياً وسما)
(٣٧٩)	(وفي والامناوح الحاتم)
(٣٨٦)	(يحجب فيه الصلاة والصوم)
(٣٨٦)	(أمكن ورد فلا يطل حوم)
(٣٩١)	(وغان أن يتسنى لي بكم حلم)
(٣٩٥)	(ومتبع الانعام اتاماً)
(٣٩٦)	(وستر الله مد على الأنام)

حرف النون

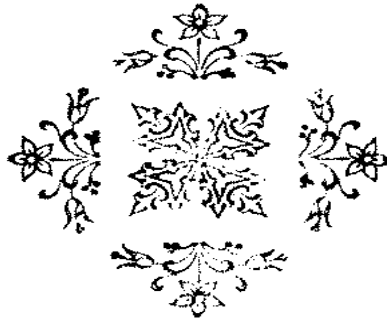
وناب - عن طيب لفيانا - تجافينا ٤	
ونفي الشك اليقين ٣٩	
بعث ودي بلائمن ٦٨	
في حلى الظرف الحسان ١٧٠	
موثقاً في يد المحن ١٠٨	
(أمرحنا بذكرك أم كنيننا) (١٠٨)	
(إذ لا كتاب يوافيني فيحييني) (١٠٩)	



صفحة

صفحة

	حرف الياء	(٣٣٢)	(أن الرؤوس محل النهي)
		(٢٧٨)	(فالأرض تشرق منه)
٥٩	فلتسناها هذه التاليه	(٣٧٩)	(ونعيمه فاستعذبوه أواره)
(٢٠٥)	(فروق ، فرامح ، فحقيه)	(٣٨٧)	(وعاشق من لا يباليه)
(٢٧٥)	(وإن كنت قد جردت عزمي ماضيا)	(٣٨٧)	(وصرفته لما انصرفت عليه)
(٣٨٥)	(وقد عطشنا وثم ري)	(٣٩٣)	(وبكت مقلتاي شوقا إليه)
(٣٨٦)	(له الندى الرحب والندى)		حرف الواو
(٣٩٥)	(على العبيد الوفي)	(٢١٧)	(فوز من قراقر إلى سوى)



مَخْتَارُ الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

يتضمن هذا الديوان عيون الشعر الجاهلي

لستة من فحول الشعراء

وهـم

- | | |
|-----------------------------|-------------------|
| (١) أمروء القيس | (٤) طرفة بن العبد |
| (٢) النابغة الذبياني | (٥) عنزة بن شداد |
| (٣) زهير بن أبي سلمى المزني | (٦) علقمة الفحل |

صح روايته، وشرح غريبه، وضبطه

مصطفى السقا

مدرس اللغة العربية وآدابها بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية بالقاهرة
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد وحرف جميل مضبوط بالشكل ومصصح
بغاية الاعتناء ومجلد بالتماش المذهب .

يطلب من مكتبة :

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

ص . ب . الفورية رقم ٧١

التي تقدم الفهرس الحاوي للكتب الأدبية وخلافها لمن يطلبه مجاناً .